كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية

إعداد

مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي



الجزء الحادي والعشرون

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



طبعة جديدة مصححة
الطبعة الأولى
١٩٩٤ ميلادية ١٤١٥/١٤ هجرية

بيروت – لبنان – بناية كليوباترا – شارع دكاش – ص.ب: ٧٩٥٧/١١
تلفون المستودع ٢٧٤٦٩٦-٢٧٢٠١٢-٢٧٨٧٦٦ المنزل ٨٣٠٧١١-٨٣٠٧١٧
برقياً: التراث – تلكس 23644 LE تراث

Beyrouth - Liban - Imm. Kleopatra - Rue Dakkache - B. P. 11/7957
Tél. Dépôt 274696, 272012, 278766 – Domicile 830711, 830717
Télégr. ALTOURAS – Telex 23644 LE

[١/٢١] / بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أخبار المنخل ونسبه

هو المُنخَّل بنُ عمرو ـ ويقال: المُنخّل بنُ مسعودٍ ـ بنِ أفلَتَ بنِ عمروِ بنِ كعبِ بـن سُواءةَ بنِ غَنْمِ بنِ حبيبِ بنِ يشكُرَ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ. وذكر أبو محلّم النسابة: أنه المدخّلُ بنُ مسعودِ بنِ أفلَتَ بنِ قَطَنِ بنِ سُوءةَ بنِ ١٥٣/١٨ مالكِ بنِ ثَعلبةَ بنِ حبيبِ بن غَنْمِ بـنِ حبيبِ بنِ كعبِ بنِ يشكُرَ. وقال ابنُ الأعرابيِّ: هو المنخّل بنُ الحارثِ بنِ قيسِ ابنِ عمرِو بن ثَعلبةَ بنِ عَدِيّ بنِ جُشَمَ بنِ حبيبِ بنِ كعبِ بنِ يَشْكُرَ.

يتهمه النعمان بالمتجردة فيقتله:

شاعر مُقِلٌّ من شعراء الجاهلية، وكان النعمانُ بنُ المنذر قد اتهمه بامرأته المتجرّدة ـ وقيل: بل وجده معها، وقيل: بل سُعِيَ به إليه في أمرها فقتله، وقيل: بل حبسه، ثم غَمَّض خبره، فلم تُعلم له حقيقة إلى اليوم. فيقال: إنه دفنه حيًّا، ويقال: إنه غرقه. والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العَنَزِيّ[١] وأشباهه ممن هلك ولم يعلم له خبر. وقال ذو الرُّمة:

تُقـارِب حتـى تُطمِـعَ التـابـعَ الصِّبـا ... وليسـت بـأدنـى مـن إيـاب المنخّـلِ

وقال النَّمِر بنُ تَوْلَب:

وقَـوْلـي إذا مـا أطلقـوا عـن بعيـرهـم ... تـلاقـونـه حتـى يئـوبَ المنخّـلُ

تفصيل سبب قتله:

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان، قال: أخبرني أحمدُ بنُ زهير قال: أخبرني عبدُالله بنُ كريم قال: أخبرني أبو عمرٍو الشيبانيُّ قال:

كان سببَ قتل المنخّل أنّ المتجرّدَة ـ واسمُها ماويّة وقيل: هند بنتُ المنذرِ بـنِ الأسود الكلبيّة ـ كانت عند ابن عم لها يقال له: حُلْم، وهو الأسودُ بنُ المنذرِ / بـنِ حارثةَ الكلبيُّ، وكانت أجملَ أهل زمانِها، فرآها المنذرُ بنُ [٢/٢١] المنذرِ الملكُ اللّخميّ فعشِقها، فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حُلم وامرأته المتجرّدة، فقال المنذر لِحُلم: إنه لقبيح بالرجل أن يقيم على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسه ولا لحيته شعرة بيضاء إلا عرَفتْها، فهل لك أن تطلّقَ امرأتَك المتجرّدة وأطلّقَ امرأتي سلمى؟ قال: نعم، فأخذ كلُّ واحد منهما على صاحبه عهداً. قال: فطلّق المنذر امرأته سلمى، وطلّق حُلم امرأتَه المتجرّدَة، فتزوّجها المنذر ولم يُطلِق لسلمى أن تتزوج حُلماً، وحجبها ـ وهي أمّ ابنه النعمانِ بنِ المنذر ـ فقال النابغة الذبياني يذكر ذلك:

قـد خـادعـوا حُلمـا عـن حـرّة خَـرِدٍ ... حتـى تبطَّنهـا الخـدّاع ذو الحُلُـم

---

(١) هو يذكر بن عنزة، أو عامر بن رهم، وكلاهما من عنزة، خرجا في طلب القرظ فلم يرجعا.

قال: ثم مات المنذر بن المنذر، فتزوّجها بعده النعمانُ بنُ المنذر ابنُه، وكان قصيراً دميماً أبرش، وكان ممن يجالسه ويشرب معه النابغةُ الذبيانيّ ـ وكان جميلاً عفيفاً ـ والمنخّل اليشكريّ ـ وكان جميلاً ـ وكان يُتَّهم بالمتجردة. فأما النابغة فإن النعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أولها:

مِــن آل ميّــةَ رائــحٌ أو مغتــدِ ... عجــلانَ ذا زاد وغيــرَ مــزوَّدِ

ووصفها فأفحش فقال:

وإذا طعنــتَ طعنــتَ فــي مستهــدِفٍ ... رابــي المَجسّــة بــالعَبيــر مُقَــرمَــدِ[1]

وإذا نــزعــتَ نــزعــتَ عــن مستحصِــفٍ[2] ... نــزع الحَــزوّر[3] بــالــرشــاء المحصَــدِ[4]

١٥٤/١٨ فغار المنخّل من ذلك، وقال: هذه صفة مُعاين، فهمّ النعمان بقتل النابغة حتى هرب منه، / وخلا المنخّل بمجالسته، وكان يهوى المتجردة وتهواه، وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل، وكانت العرب [٣/٢١] تقول: إنهما منه. فخرج / النعمان لبعض غزواته ـ قال ابن الأعرابيّ: بل خرج متصيّداً ـ فبعثت المتجردة إلى المنخّل فأدخلته قُبّتها، وجعلا يشربان، فأخذَت خَلخالها وجعلته في رجله، وأسدلت شعرها فشدّت خَلخالها إلى خَلخاله الذي في رجله من شدة إعجابها به. ودخل النعمان بعقب ذلك فرآها على تلك الحال، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له: عِكَبّ، وأمره بقتله، فعذّبه حتى قتله.

يحرض على عكب قاتله:

فقال المنخّل يحرّض قومه عليه:

ألا مَــن مبلِــغ الحيّــين عنّــي ... بــأن القــوم قــد قتلــوا أُبيّــا

فــإن لــم تثــأروا لــي مــن عِكَــبّ ... فــلا رَوِيتُــمُ أبــداً صَــدِيــا

وقال أيضاً:

ظَــلّ وسْــط النــديّ قتلَــى بِــلا جُــرْ ... م وقــومــي يُنتِجــون السّخــالا[5]

من شعره في المتجردة:

وقال في المتجرّدة:

دِيــارٌ لِلّتــي قتلتــكَ غصبــاً ... بــلا ســيــف يُعَــدّ ولا نِبــالِ

بطَــرفٍ ميّــت فــي عيــن حَــيٍّ ... لــه خَبَــل يــزيــدُ علــى الخَبــالِ

وقال أيضاً:

ولقــد دخلــتُ علــى الفتــا ... ة الخِــدرَ فــي اليــومِ المطيــرِ

(١) مقرمد: مطلى.
(٢) مستحصف: قليل البلولة ضيق.
(٣) الحزور: الرجل القوي.
(٤) المحصد: الحبل الشديد الفتل.
(٥) السخال: أولاد الغنم من الضأن والمعز ساعة: يولد.

الكـاعـبِ الخنسـاء[1] تـر ... فُـل فـي الـدِّمَقْـس وفـي الحـريـر
دافعتُهـا فتـدافعـت ... مَشْـيَ القطـاةِ إلـى الغـديـر
ولثمتُهـا فتنفَّسـت ... كتنفُّـس الظبـي البَهيـر[2]
ورَنَـت وقـالـت يـا مُنخَّـ ... ـل هـل بجسمـك مـن فتـور؟[3]
/ مـا مـس جسمـي غيـرُ حُبَّـ ... ـك فـاهـدئـي عنّـي وسيـري [٢١/٤]
يـا هنـدُ هـل مـن نـائـلٍ ... يـا هنـد للعـانـي الأسيـر؟
وأحبُّهـا وتُحبُّنـي ... ويُحـبّ نـاقتَهـا بعيـري
ولقـد شـربـتُ مـن المـدا ... مـة بـالكبيـر وبـالصغيـر
فـإذا سكـرتُ[4] فـإنني ... ربُّ الخـورنـق[5] والسـريـر
وإذا صحـوتُ فـإنني ... ربّ الشُّـويهـة والبعيـر
يـا رُبَّ يـومٍ ـ للمنخَّـ ... ـل قـد لهـا فيـه ـ قصيـرِ

رواية أخرى لخبر المنخل مع المتجردة:

وأخبرني بخبر المنُخَّل مع المتجرِّدة أيضاً عليُّ بن سليمانَ الأخفشُ قال: أخبرني أبو سعيد السكريُّ عن محمدِ بن حبيبٍ عن ابنِ الأعرابيِّ قال:

كانت المتجردةُ امرأةُ النعمان فاجرة، وكانت تُتَّهم بالمنخّل، وقد ولَدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المُنَخَّل، فكان يقال: إنهما منه، وكان جميلاً وسيماً، وكان النعمان أحمر أبرش قصيراً دميماً. وكان للنعمان يوم يركب فيه فيُطيل المُكث، وكان المُنخَّل من نُدَمائه لا يفارقه، وكان يأتي المتجرِّدةَ في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان فيطيل عندها، حتى إذا جاء النعمان آذَنَتْها بمجيئة وليدة لها موكّلة بذلك فتُخرجُه.

فركب النعمان ذات يوم وأتاها المنخّل كما كان يأتيها فلاعبَته،/ وأخذت قيداً، فجعلت إحدى حلقتيه في رِجْله [١٥٥/١٨] والأخرى في رجلها، وغفَلت الوليدةُ عن ترَقّب النعمان؛ لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قَرُب بعد، وأقبل النعمان حينئذ ولم يُطل في[6] مكثه كما كان يفعل، فدخل إلى المتجرِّدة، فوجدها مع المنخّل قد قيّدَتْ رِجلَها، ورجلَه بالقيد، فأخذه النعمان فدفعه إلى عِكَبٍّ صاحبِ سجنه ليعذّبه ـ وعِكَبٌّ / رجل من لَخم ـ فعذّبه حتى قتله. [٢١/٥]
وقال المنخّل قبل أن يموت هذه الأبيات، وبعث بها إلى ابنيه:

ألا مَـن مبلـغ الحُـرّيـن عنّـي ... بـأنّ القـوم قـد قتلـوا أُبيـا

---

(١) الخنس بالتحريك: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة، وفي جـ: «الحسناء».
(٢) البهير: المتابع الأنفاس.
(٣) رواية «الحماسة»:
فـدنـت وقـالـت يـا منخـ ... ـل مـا بجسمـك مـن حـرور
(٤) في جـ: «شربت».
(٥) الخورنق: قصر للنعمان الأكبر. وفي «الحماسة»: «السدير»، وهو نهر بناحية الحيرة.
(٦) في جـ. ف: «ولم يطل في وجهه».

وإن لـم تثـأروا لـي مـن عِكَـبٍ ... فـلا أُرويتمـا أبـداً صَـدِيّـا

يُطـوَّف بـي عِكَـبٌ فـي معـدٍّ ... ويطعـن بالصُّمُلَّـة[1] فـي قَفَيّـا

الأصح أن قاتله هو النعمان لا عمرو بن هند:

قال ابن حبيب: وزعم ابن الجَصّاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخّل، والقول الأول أصحّ.

قصيدته في المتجردة:

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجرّدة، وأولها قوله:

إن كنـتِ عـاذلتـي فسيـري ... نحـوَ العـراق ولا تَحـورِي

لا تسـألـي عـن جُـلّ مـا ... لـي واذكـري كـرَمـي وخِيـري

وإذا الـريـاح تنـاوحَـتْ ... بجـوانـب البيـت الكسيـر[2]

ألفيتِنـي هـشّ النـديّ ... بِمـرّ قـدحـي أو شجيـري[3]

ـ الشّجير: القِدح الذي لم يُصلَح حسناً، ويقال: بل هو القِدح العاريّة ـ.

ونَهـى أبـو أفعـى فقلـ ... ـدنـي أبـو أفعـى جـريـري[4]

وجـلالـة[5] خطّـارة[6] ... هـوجـاءَ جـائلـةَ الضُّفـور[7]

[٦/٢١] / تعـدو بـأشعـثَ قـد وَهـى ... سِـربـالُـه بـاقـي المسيـر[8]

فُضُـلاً[9] علـى ظهـر الطـريـق إلـيـك علقمـةَ بـنَ صيـر

الـواهـب الكـومِ[10] الصَّفـا ... يـا والأوانـس فـي الخُـدور

يُصفيـك حيـن تجيئـه ... بـالعَصْـب[12] والحَلْـي الكثيـر

(١) ب، س: «الصميلة»، تحريف، وزاد في ف بعد الأبيات: «الصملة: الحربة».

(٢) البيت الكسير: الذي له كسور، وهي ما مس الأرض من هدابة، وفي ف: «الكبير».

(٣) في «حماسة» أبي تمام «واللسان»: ألفيتني هش اليديـ ـن بمرى قدحي أو شجيري.
ويقول التبريزي في «شرحه»: الشجير: القريب، وإنما يعني قدحاً يتبرك به فيستعار. يقول: تجدني خفيف اليد بمسح القداح وعند حضور الأيسار، سواء القدح الذي جربته والذي لم أجربه حباً للندى.

(٤) الجرير: الزمام، وحبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة. والمراد منعه أن يعمل ما يريد.

(٥) جلالة: ناقة مسنة.

(٦) خطارة: تضرب بذنبها يميناً وشمالاً.

(٧) الضفور: جمع ضفر كحبل، وهو ما يشد البعير به من مضفور.

(٨) باقي المسير: لم يستنفد القدرة على المسير.

(٩) فضلاً: متفضلاً في ثوب واحد. وفي ف: «قصدا على: وضح الطريق».

(١٠) الكوم: جمع كوماء، وهي الناقة العظيمة السنام.

(١١) الصفايا: النوق الغزيرة اللبن.

(١٢) العصب: هو ضرب من البرود. وفي ب، س: «بالغض».

وفـوارسٍ كـأُوار[1] حـرِّ النـار أحـلاسٍ[2] الـذُّكـور
شـدُّوا دوابـرَ بيضهـم فـي كـلّ محكمـةِ القتيـر[3]
فـاستـلأمـوا[4] وتَلَبَّبـوا إن التلبّـب للمغيـر
وعلـى الجيـاد المضمَـرا ت فـوارسٌ مثـل الصقـور
يَخـرجـن مـن خَلَـل الغبـا ر يَجِفْـن بـالنَّعـم الكثيـر
فشفيـتُ نفسـي مـن أولـ ئـك والفـوائـحَ بـالعبيـر
يـرفُلـن فـي المسـك الـذكـيّ وصـائـك[5] كـدَم النّحيـر
يعكُفـن[6] مثـل أسـاود التَّـ ـنُّـوم لـم تُعكَـف لِـزور
/ ولقـد دخلـتُ علـى الفتـا ة الخـدرَ فـي اليـوم المطيـر [٧/٢١]
الكـاعـبِ الخنسـاء[8] تـر فـل فـي الـدِّمَقْـس وفـي الحـريـر
/ فـدفعتُهـا فتـدافعـتْ مشـيَ القطـاة إلـى الغـديـر ١٥٦/١٨
ولثَمتُهـا فتنفّسَـتْ كتنفّـس الظبـي البَهيـر
فـدنَـتْ وقـالـت يـا منخّـ ـل مـا بجسمـك مـن حَـرور؟
مـا شـفّ جسمـي غيـرُ حبِّـك فـاهـدئـي عنّـي وسيـري
ولقـد شـرِبـتُ مـن المُـدا مـة بـالصغيـر وبـالكبيـر
ولقـد شـرِبـتُ الخمـر بـالـ خيـل الإنـاث وبـالـذُّكـور
ولقـد شـرِبـتُ الخمـر بـالـ ـعبـد الصحيـح وبـالأسيـر
فـإذا سكِـرتُ فـإننـي ربُّ الخَـوَرْنَـق والسـديـر
وإذا صحـوتُ فـإننـي ربّ الشُّـوَيهـة والبعيـر
يـا رُبَّ يـوم للمنخّـ ـل قـد لهـا فيـه قصيـر
يـا هنـد هـل مـن نـائـل يـا هنـد للعـانـي الأسيـر[9]

(١) الأوار: اللهب والوهج.
(٢) أحلاس: ملازمون، جمع حلس بكسر فسكون، من حلس البيت، وهو الكساء يبسط تحت حر الثياب.
(٣) القتير: رؤوس مسامير الدروع.
(٤) استلأموا: لبسوا اللأمات، وهي الدروع، وتلببوا: تحزموا، وفي ب، س: «فاستلبثوا وتلبثوا. . إن التلبث». .
(٥) صائك: وصف من صاك به الطيب يصيك: لزق.
(٦) يعكفن: يمشطن أو يضفرن شعورهن.
(٧) التنوم: شجر يسود كله، شبه ضفائرهن بفروعه.
(٨) ف «الحسناء».
(٩) جاء هذا البيت في من مو، هد، مد، ولم يرد في سائر النسخ.

ومن الناس من يزيد في هذه القصيدة:

وأُحبّها وتُحبّني ... ويحبّ ناقتَها بعيري

ولم أجده في رواية صحيحة.

[٨/٢١]

صوت

لِمَن شيخان قد نَشَدا كلابا ... كتابَ الله لو قَبِل الكتابا

أُناشده فيُعرِض في إباءٍ ... فلا وأبِي كلابٍ ما أصابا

الشعر لِأُميّة بنِ الأسكر الليثيّ، والغناء لعبدالله بنِ طاهر، رمَل بالوُسطى. صنعه ونسبه إلى لَمِيسَ جاريتِه، وذكر الهِشاميّ أن اللحن لها، وذكره عُبيد الله بنُ عبدالله بنِ طاهرٍ في جامع أغانيهم ووقع إليّ، فقال: الغناء فيه للدّار الكبيرة، وكذلك كان يكنّى عن أبيه، وعن إسحاق بنِ إبراهيمَ بنِ مُصعبٍ وجواريهم، ويكنّى عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في دُور إخوته بالدار الصغيرة.



/ أخبار أمية بن الأسكر ونسبه

[٩/٢١]

نسبه:

هو أميةُ بنُ حُرْثانَ بن الأسكر بن عبدالله بن سرابيلِ الموت بنِ زُهرةَ بنِ زَبينةَ[١] بنِ جُنْدَع بنِ ليثِ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مناةَ بنِ كنَانَةَ بنِ خُزَيمةَ بنِ مُدرِكةَ بنِ إلياس بنِ مُضرَ بنِ نزار.

شاعر فارس مخضرَم أدركَ الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفُرسانهم، وله أيام مأثورة مذكورة.

عمر يستعمل ابنه كلابا على الأبلة:

وكان له أخ يقال له: أبو لاعق الدم، وكان من فُرسان قومه وشعرائهم، وابنُه كِلابُ بنُ أمية أيضاً أدرك النبي ﷺ فأسلم مع أبيه، ثم هاجر إلى النبي ﷺ فقال أبوه فيه شعراً، ذكر أبو عمرو الشيباني أنه هذا الشعر، وهو خطأ، إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا[٢] مع أهل العراق لقتال الفُرس، وخبره في ذلك يذكر بعد هذا.

قال أبو عمرو في خبره: فأمره ﷺ بصلة أبيه وملازمته طاعته.

وكان عمرُ بنُ الخطاب استعمل كلاباً على الأُبُلّة[٣]، فكان أبواه يتنابانه، يأتيه أحدهما في كل سنة، ثم أبطأ عليه وكبِرا فضعفا عن لقائه، فقال أبياتاً وأنشدها عمرَ،فرقّ له ورده / إليهما، فلم يلبث معهما إلا مدة حتى نهشَتْه أفعى؛ فمات وهذا أيضاً وَهْم من أبي عمرو، وقد عاش كِلاب حتى وَلِي لزياد الأُبُلّة، ثم استعفَى، أعفاه. وسأذكر خبره في ذلك وغيرَه ها هنا إن شاء الله تعالى.

[١٥٧/١٨]

شعره لابنه كلاب لما أغزاه عمر وطالت غيبته عنه:

فأما خبره مع عمر فإنّ الحسنَ بنَ عليٍّ أخبرني به، قال: حدثني الحارثُ بنُ محمد قال: حدثني المدائنيُّ عن أبي بكر الهُذَليّ عن الزُّبَيريّ عن عُروةَ بنِ الزبَير قال:

/ هاجر كِلابُ بنُ أميةَ بنِ الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بنِ الخطاب، فأقام بها مدّة، ثم لَقِيَ ذات يوم طلحةَ بنَ عُبَيد الله والزبيرَ بنَ العوّام، فسألهما: أيُّ الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمرَ فأغزاه في جيش، وكان أبوه قد كبِر وضعُف، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال:

[١٠/٢١]

لِمَنْ شيخانِ قد نَشَدا كِلابا ... كتابَ الله إن[٤] قَبِلَ الكتابا

أُناديه فيُعرِض في إباء ... فلا وأبي كِلابٍ ما أصابا

(١) في ب، س: «زبينة».
(٢) ف: «بهذا الشعر لما غزا».
(٣) الأبلة: بلدة غربي البصرة، ونهرها معدود من أجمل متنزهات الدنيا.
(٤) في ف: «لو قبل»، والأبيات في «أمالي القالي» ٣: ١٠٨ بترتيب مخالف.

إذا سجعَتْ[١] حمامةُ بطنِ وادٍ ... إلى[٢] بَيْضاتها دعَوا كلابا
أتاه مهاجران تكنَّفاه ... ففارق[٣] شيخه خَطِئا[٤] وخابا
تركتَ أباك مُرعَشةً يداه ... وأمَّك ما تُسيغ لها شرابا
تُمَسِّح مُهرهُ شفقاً عليه ... وتجنُبه أباعرَها الصعابا

ـ قال: تجنبه وتجنّبه واحد، من قول الله عز وجل: ﴿واجنُبْنِي وبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنامَ﴾[٥]. قال: ـ

فإنك قد تركت أباك شيخاً ... يطارق[٦] أينُقاً شُزُباً[٧] طِرابا
[٢١/١١] / فإنك والتماسَ الأجرِ بَعدي ... كباغي الماء يتّبع السرابا[٨]

ينشد عمر شعراً ليرد له كلابا فيبكي عمر رحمة له ويرده عليه:

فبلغَتْ أبياته عمرَ، فلم يردُّد كلابا وطال مقامه[٩] فأهتِر أمية وخُلِط جزَعا عليه، ثم أتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله ﷺ وحوله المهاجرون والأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أعاذلَ قد عذَلْتِ بغير قدرٍ ... ولا تدرين عاذلَ ما ألاقي
فإمّا كنتِ عاذلتي فرُدّي ... كِلابا إذ توجَّه للعراق
ولم أقضِ اللُّبانةَ من كِلابٍ ... غداةَ غدٍ وأذَّن بالفِراق
فتى الفِتيان في عسرٍ ويُسرٍ ... شديدُ الرُّكن في يوم التلاقي
فلا والله ما باليتَ وَجْدي ... ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وإبقائي عليك إذا شتَونا ... وضمَّك تحت نحري واعتناقي
فلو فَلَق الفؤادَ شديدُ وجْدٍ ... لهَمَّ سوادُ قلبي بانفلاق
سأستعدي على الفاروق ربّاً ... له دُفِعَ الحجيجُ إلى بُساقِ[١٠]
وأدعو الله مجتهداً عليه ... ببطن الأخشبَيْن إلى دُفاق
إنِ الفاروقُ لم يردد كلاباً ... إلى شيخين هامُهما زَواق

(١) في «الأمالي»: «هتفت».
(٢) في «الأمالي»: «على».
(٣) في «الأمالي»: «ليترك».
(٤) كذا في «الأمالي» والسمط. وفي ب، س، ف: «خطا وطابا» تحريف.
(٥) سورة إبراهيم، آية: ٣٥.
(٦) يطارق: يطابق.
(٧) شزبا: ضامرة. وفي «الأمالي».
وإن أباك حيث علمتماه ... يطارد أينقا شسبا طرابا
(٨) هذا البيت ساقط من «الأمالي».
(٩) في ب، س: «أمية»، تحريف.
(١٠) بساق: موضع بعينه.

عمر يسأل كلابا عن مبلغ بره بأبيه فيصفه له:

قال: فبكى عمر بكاء شديداً، وكتب بِرَدّ كلاب إلى المدينة، فلما قدِم دخل إليه، فقال: ما بلغ من بِرّك /بأبيك؟ قال: كنتُ أوثره[1] وأكفيه أمره، وكنت أعتمد إذا أردتُ أن أحلُب له لبناً أغزَرَ ناقةٍ في إبله وأسمَنها [١٥٨/١٨] فأُريحها[2] وأتركها حتى تستقرّ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له[2] فأسقيَه.

عمر يرد كلاباً عليه ويأمره أن يلزم أبويه:

فبعث / عمرُ إلى أميّةَ مَن جاء به إليه، فأدخله يتهادَى وقد ضعُف بصرُه وانحنى. فقال له: كيف أنت يا أبا [٢١/١٢] كلاب؟ قال: كما تراني يا أميرَ المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهي أن أرى كِلاباً فأشَمَّه شَمة، وأضُمَّه ضَمَّة قبل أن أموت. فبكى عمر، ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحبّ إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلاباً أن يحتلبَ لأبيه ناقة كما كان يفعل، ويبعثَ إليه. بلبنها، ففعل فناوله عمرُ الإناء، وقال: دونك هذا يا أبا كلاب[3].

فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال: لعمر: والله يا أمير المؤمنين، إني لأشَمّ رائحة يدي كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، وقال: هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به، فوثب إلى ابنه وضمّه إليه وقبّله، وجعل عمرُ يبكي ومَن حضَره، وقال لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنَك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرَفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه.

يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام:

ونسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ أن أمية كانت له إبل هائمة ـ أي أصابها الهُيام وهو داء يصيب الإبل من العطش ـ فأخرجَته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلَهم، فقال لهم: يا بَني بكر، إنما هي ثلاث ليال: ليلة بالبقعاء[4] وليلة بالفَرْع[5]، وليلة بِلَقْف[6] في سامرٍ من بني بكر، فلم ينفعه ذلك وأخرجوه، فأتى مُزَينة فأجاروه، وأقام عندهم إلى أن صحّت أبله، وسكنت، فقال يمدح مزينة:

تكنّفهـا الهُيـام وأخرجـوهـا	فمـا تـأوي إلـى إبـل صِحـاحِ
/ فكـان إلـى مُـزَينـةَ منتهـاها	علـى مـا كـان فيهـا مـن جُنـاحِ
ومـا يكـن الجُنـاحُ فـإنّ فيهـا	خـلائـقَ ينتميـن إلـى صـلاحِ
ويـومـاً فـي بنـي ليـث بـن بكـرٍ	تُـراعـى تحـت قعقعـة الـرمـاحِ
فـإمّـا أُصبحَـنْ شيخـاً كبيـراً	وراء الـدار يُثقلنـي سـلاحـي
فقـد آتـى الصـريـخَ إذا دعـانـي	علـى ذي مَنْعـة[7] عَتِـدٍ[8] وَقـاحِ

(١) في ب، س: «أدثره». وفي «المختار»: «كنت أبره».
(٢ ـ ٢) زيادة: من هد، ف.
(٣) في ب، س: «يا كلاب».
(٤) البقعاء: ماء لعبس، وقيل: مياه لبني السليط، تلقاء نجد على ٢٤ ميلاً من المدينة.
(٥) الفرع: قرية من ناحية المدينة.
(٦) «لقف» موضع أيضاً، وفي ب، س: «تلقف»، تحريف.
(٧) وفي جـ. ف: «ميعة» وهي جري الفرس ونشاطه.
(٨) عتد أي شديد تام الخلق. والوقاح: ذو الصلابة وفي ب، س: «عند»، تحريف.

وشـرُّ أخـي مـؤامـرةٍ خَـذولٌ ... علـى مـا كـان مـؤتكِـلٌ[١] ولاح

شعره حين ضحك راع منه وقد عمر حتى خرف:

أخبرني عمي قال: حدثنا محمدُ بنُ عبدِالله الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمروٍ والشيبانيٌّ عن أبيه، وأخبرني به محمدُ بنُ خَلَفِ بن المَرْزُبان قال: حدثنا أبو توبةَ عن أبي عمرو قال:

عُمِّر أميةُ بنُ الأسكر عُمراً طويلاً حتى خَرِف، فكان ذات يوم جالساً في نادي قومه وهو يحدّث نفسه، إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه يتعجب منه، فقام لينهض فسقط على وجهه، فضحك الراعي منه، وأقبل ابناه إليه، فلما رآهما أنشأ يقول:

يـا بَنـيّ[٢] أميـةَ إنـي عنكمـا غـانِ ... ومـا الغنـى غيـر أنـي مُـرعَـشٌ فـانِ

يـا بَنـي أميـةَ إلّا تحفظـا كِبَـرِي ... فـإنمـا أنتمـا والثُكـلُ سِيّـانِ[٣]

هـل لكمـا فـي تُـراثٍ تـذهبـان بـه ... إن التـراث لِهَيّـان بـنِ بَيّـان

ـ يقال: هيانُ بن بيّان، وهي ترى للقريب والبعيد ـ.

/ أصبحت هُزْءاً[٤] لراعي الضأن يَسخَر بي[٥] ... مـاذا يَـريبـك مِنّـي راعـيَ الضـأن

/ أعجَـبُ لغيـريَ إنـي تـابـع سلفـي ... أعمـامَ مجـد وأجـدادي وإخـوانـي

وانعَـقْ بضـأنـك فـي أرض تُطِيـف بهـا ... بيـن الأسـاف[٦] وأنتجهـا بِجِلْـذان[٧]

١٥٩/١٨ [٢١/١٤]

ـ جِلذان[٨]: موضع بالطائف ـ

ببلـدة لا ينـام الكـالئـان بهـا ... ولا يقـرّبهـا أصحـابُ ألـوان

الإمام علي يتمثل بشعر له:

وهذه الأبيات تمثّل بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه في خطبة له على المنبر بالكوفة.

حدثنا بها أحمدُ بنُ عُبيدِ الله بنِ عمار وأحمدُ بنُ عبدِ العزيز الجوهريُّ، قالا: حدثنا عمرُ بنُ شبّة قال: حدثنا محمدُ بنُ أبي رجاء، قال: حدثنا إبراهيمُ بنُ سعد، قال: قال عبدُالله بنُ عديّ بن الخِيار:

شهِدت الحكَمَين، ثم أتيت الكوفة وكانت لِي إلى عليّ عليه السلام حاجة، فدخلتُ عليه، فلما رآني قال: مرحباً بك يا بنَ أمّ قَتّال، أزائراً جئتنا أم لحاجة؟ فقلت: كُلٌّ جاء بي، جئت لحاجة، وأحببت أن أُجدّد بك عهداً،

(١) مؤتكل: غاضب هائج.
(٢) في ب، س: «بني أمية».
(٣) في ف: «مثلان».
(٤) في ب، س: «فرداً».
(٥) ف: «يلعب بي».
(٦) الأساف: البقاع التي لا تنبت، جمع أسافة، كسحابة وكناسة.
(٧) في «الأمالي»: «جمدان» كعثمان، وهو اسم واد، واسم جبل. في ب، س: «بخلدان».
(٨) في ب، س: «خلدان».

وسألته عن حديث فحدثني على ألا أُحدِّث به واحداً[١]، فبينا أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا عليٌّ صلوات الله عليه متنكِّب قَرَناً[٢] له. فجعل يقول: الصلاة جامعة. وجلس على المنبر، فاجتمع الناس، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر. فلما اجتمع الناس، ورضي منهم قام فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال:

/ أيها الناس، إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله ـ ﷺ ـ ما ليس عند الناس، ألا وإنه ليس[٣] عندي إلا ما [١٥/٢١] في قَرَني هذا، ثم نَكَتَ[٤] كنانته؛ فأخرج منها صحيفة فيها: المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يَدٌ على مَن سواهم. مَن أحدث حدَثا أو آوى مُحْدِثاً فعليه لعنةُ اللّهِ والملائكةِ والناس أجمعين». فقال له الأشعث بن قيس: هذه والله عليك لا لك، دَعْها تترحّل، فخفَض عليّ ـ صلوات الله عليه ـ إليه بصره، وقال: ما يدريك ما عَلَيَّ مما لي! عليك لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين، حائكٌ ابنُ حائك، منافقٌ ابنُ منافق، كافرٌ ابنُ كافر. والله لقد أسرَكَ الإسلام مرة والكفرُ مرة، فما فَدَاك من واحد منهما حَسَبُك ولا مالُك، ثم رفع إليّ بصرَه فقال: يا عبيد الله:

أصبحتُ قِنّا لراعي الضأن يلعب بي ... ماذا يَسريبك منّي راعيَ الضان

فقلت: بأبي أنت وأمي، قد كنتُ والله أُحبّ أن أسمع هذا منك. قال: هو والله ذلك، قال:

فما قِيلَ من بعدها من مقالة ... ولا عَلِقتْ مني جديداً ولا دَرْسا

يعود كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه ويولي الأبلة ثم يستعفي منها:

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدثنا الحارثُ، عن المدائنيّ قال:

لما مات أميةُ بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة، فكان يغزو مع المسلمين، منها مغازيهم، وشهد فتوحات كثيرة، وبقي إلى أيام زياد، فولاه الأُبُلّة، فسمع كلابٌ يوماً عثمانَ بنَ أبي العاص يحدّث أن داود نبيَّ اللّهِ ـ عليه السلام ـ كان يجمع أهلَه في السَّحَر فيقول: ادعوا ربكم فإن في السَّحَر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غُفِر له، إلا أن يكون عَشّاراً[٥] أو عَريفاً[٦].

/ فلما سَمِع ذلك كلاب كتب إلى زياد، فاستعفاه من عمله فأعفاه. [١٦/٢١]

قال المدائنيّ: ولم يزل كلاب بالبصرة[٧] حتى مات، والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة[٧] منسوبةٌ / إليه. $\frac{١٦٠}{١٨}$

شعر أمية وقد ظفر بنو ليث بقومه:

وقال أبو عمرو الشيبانيّ: كان بين بني غِفَارٍ قومه و[٧] وبني ليث حربٌ، فظفِرَتْ بنو ليث بغِفَار، فحالف رَحْضةُ بنُ خُزَيمةَ بنِ خلافِ بنِ حارثة بن غِفَار وقومُه [٧] جميعاً بني أسلمَ بنِ أَفصَى بن خُزاعة، فقال أمية بن الأسكر

(١) في ب، س: «حديثاً»، تحريف.
(٢) قرنا: جعبة.
(٣) في ف: «وإنه والله».
(٤) في ب، س: «نكب»، تحريف.
(٥) العشار: جابي عشر الأموال.
(٦) العريف: الرئيس، أو النقيب، وهو دون الرئيس.
(٧ ـ ٧) تكملة من ف.

في ذلك، وكان سيدَ بني جندُعِ بنِ ليث وفارسَهم:

لقد طِبتَ نفساً عن مواليك يا رَخْضا ... آثرتَ أذنابَ الشوائلِ والحمضا[١]

تُعلِّلُنا بالنَّصرِ في كلِّ شَتوةٍ ... وكلَّ ربيعٍ أنتَ رافضُنا رفضا

فلولا تأسِّينا وحدُّ رماحنا ... لقد جرَّ قومٌ لحمنا تَرِباً قَضّا

ـ القضّ والقضيض: الحصا الصغار ـ

عبدالله بن الزبير يتمثل بشعره:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثني أحمدُ بنُ زُهَير قال: حدثنا مُصعَبُ بنُ عبدِالله عن أبيه قال:

افتعل عمرو بن الزبير كتاباً عن معاويةَ إلى مروانَ بنِ الحكم بأن يدفع إليه مالاً، فدفعه إليه، فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عَمْراً حتى يؤدّيَ المالَ، فحبسه مروانُ، وبلغ الخبرُ عبدَالله بنَ الزبير، فجاء إلى مروانَ وسأله عن الخبر، فحدّثه به، فقال: ما لكُم في ذمتي، فأطلق عَمراً، وأدّى عبدُالله المالَ عنه، وقال: والله إني لأؤديه عنه وإني لأعلم أنه غير شاكر، ثم تمثّل قولَ أمية بن الأسكر الليثيّ:

[١٧/٢١] / فلولا تأسِّينا وحدّ رماحنا ... لقد جرّ قوم لحمنا تَرِباً قَضّا

سيدان يخطبان بنتاً له ويتفاخران في الظفر بها:

وقال ابنُ الكلبيّ: حدثنا بعضُ بني الحارثِ بنِ كعبٍ قال:

اجتمع يزيدُ بنُ عبدِ المَدانِ وعامرُ بنُ الطُّفَيل بموسم عُكاظ، فقَدِمَ أميةُ بنُ الأسكر، ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيدُ وعامرٌ، فقالت أمُّ كلابٍ امرأةُ أمية: مَن هذان الرجلان؟ قال: هذا ابنُ الديّان، وهذا عامرُ بنُ الطفيل. قالت: أعرفُ ابنَ الديّان، ولا أعرف عامراً. قال: هل سمعْتِ بمُلاعب[٢] الأسنة؟ قالت: نعم والله. قال: فهذا ابنُ أخيه.

وأقبل يزيدُ فقال: يا أميّةُ أنا ابنُ الديان، صاحبُ الكثيبِ، ورئيسُ مَذْحِج، ومكلِّمُ العُقاب، ومن كان يَصُوب أصابعه فتنطِف دماً، ويدلُك راحتَيْه فتخرجان[٣] ذهبا. قال أمية: بَخٍ بَخٍ.

فقال عامر: جدّي الأحزمُ، وعمّي أبو الأصبع، وعمّي ملاعبُ الأسنة، وجدّي الرّحّال، وأبي فارس قُرْزُل. قال أمية: بَخٍ بَخٍ، مَرْعًى ولا كالسَّعْدان[٤]، فأرسلها. مثلاً.

فقال يزيد: يا عامرُ، هل تعلم شاعراً من قومي رحَل بمدحِه إلى رجل من قومك؟ قال: لا، قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدحِهم إلى قومي؟ قال: نعم. قال: فهل لك نَجْمٌ يمان أو بُرْدٌ يمانٍ أو سيف يمَانٍ أو ركنٌ يمانٍ؟ فقال: لا، قال: فهل ملكناكم ولم تملكونا؟ قال: نعم، فنهض يزيد وقام، ثم قال:

(١) الشوائل: جمع شائلة، وهي التي أتى على حملها سبعة أشهر، والحمض: نبت ترعاه الإبل. وفي ب، س، السوالك والمحضا».

(٢) في ب، س: «ملاعب».

(٣) في ب، س: «فتخرج»، تحريف.

(٤) السعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل. مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه: وفي «مجمع الأمثال» للميداني: أنه للخنساء.

[١٨/٢١]

/ أُمَيّ يا بنَ الأسكر بنِ مُدلج ... لا تجعلَنْ[١] هوازنا كَمذحِجِ

إنك إن تلهج بأمر تلجَجِ[٢] ... ما النَّبع في مغرسه كالعَوْسج

* ولا الصَّريحُ المحضُ كالممزَّجِ *

وقال مُرّةُ بنُ دُودان العُقَيلي، وكان عدوّا لعامر بن الطفيل:

يا ليت شعري عنك يا يزيدَ ... ماذا الذي من عامر تريدُ؟

لكلّ قوم فخرُهم عتيدُ ... أمُطلَقون نحن أم عبيدُ؟

١٦١/١٨

/ * لا بل عَبيدٌ زادُنا الهَبيدُ[٣] *

فزوّج أمية يزيد[٤] فقال يزيد في ذلك:

يا لَلرجال لطارق الأحزان ... ولِعامر بن طفيلٍ الوسنانِ

كانت إتاوةُ قومه لمحرِّق[٥] ... زمنا وصارت بعدُ للنعمان

عَدّ[٦] الفوارسَ من هوازن كلّها ... كَثْفا[٧] عليّ وجئتُ بالديان

فإذا ليَ الفضلُ المبين بوالدٍ ... ضخمِ الدَّسيعة[٨] أزأنيٍّ[٩] ويمان

يا عامِ إنك فارسٌ متهوّرٌ ... غضٌّ الشباب أخو نَدًى وقيان

[١٩/٢١]

/ واعلم بأنك يا بن فارس قُرْزُلٍ ... دون الذي تسمو له وتُدانى

ليستْ فوارسُ عامر بمُقِرّةٍ ... لك بالفضيلة في بني عَيْلان

فإذا لقيتَ بني الخميس ومالكا ... وبني الضِّباب وحيَّ آل قنان

فاسأل مَنِ المرءُ المُنَوَّه باسمه ... والدافعُ الأعداء عن نَجران؟

يُعطَى المَقادةَ في فوارس قومه ... كرماً لعمرك والكريم يمان[١٠]

فقال عامر بن الطفيل مجيباً له:

يا للرجال لطارق الأحزان ... ولِما يجيء به بنو الدّيّانِ

فخروا عليَّ بِحَبْوة لمحرِّق ... وإتاوة سلفت من النعمان

---

(١) في ب، س: «لا تخلن» تحريف.
(٢) في ف: «تلهج».
(٣) الهبيد: الحنظل.
(٤) في ف: «يزيد بن عبد المدان ابنته».
(٥) ممن يلقبون بالمحرق: عمرو بن هند، والحارث بن عمرو.
(٦) في ب، س: «غدت».
(٧) الكثف: الكثرة والالتفاف.
(٨) الدسيعة: الجفنة والمائدة الكريمة.
(٩) أزأنيّ: لغة في يزني، نسبة إلى يزن، بطن من حمير، ووادلهم: حماه أحد ملوكهم، فسمي بذي يزن. وفي ف: «زاني ونماني».
(١٠) في ب، س: «معان».

مـا أنـت وابـنَ محـرقٍ وقبيلَـه … وإتـاوةَ اللخمـيِّ فـي عَيْـلان؟

فـاقصِد بـذَرْعـك قَصْـدَ أمـرك[1] قصـده … ودعِ القبـائـل مـن بنـي قحطـان

إذ كـان سـالفُنـا الإتـاوة فيهـم … أولـى فـفخـرك فخـر كـل يمـان

وافخر[2] بَرِهط بني الحَماس[3] ومالك … وابـن الضِّبـاب وزعبـل وقيـان

وأنـا المنخـل وابـنُ فـارس قُـرْزُلٍ … وأبـو نـزار زانـنـي ونمـانـي[2]

وإذا تعـاظمـت الأمـور مـوازنـا … كنـتُ المنـوَّهَ بـاسمـه والثـانـي

فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مُرّةَ بنِ دُودانَ، وقالوا: أنت شاعر بني عامر ولم تَهْجُ بَني الديان، فقال:

[٢١/٢٠] / تكلّفنـي هـوازنُ فخـرَ قـومٍ … يقـولـون الأنـامُ لنـا عبيـدُ

أبـوهـم مَـذْحِـج وأبـو أبيهـم … إذا مـا عُـدّت الآبـاءُ ـ هـودُ

وهـل لـي إن فخَـرتُ بغيـر فخـر … مقـالٌ والأنـامُ لـه شهـود؟

فـإنّـا لـم نـزل لهـمُ قطينـا[4] … تجـيء إليهـمُ منـا الـوفـود

فـإنّـا[5] نضـرب الأحـلام صفحـا … عـن العليـاء أو[6] مـن ذا بكيـد؟

فقـولـوا يـا بنـي عَيـلان كنـا … لكـم قِنّـا ومـا عنكـم محيـد[7]

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبيّ، والتوليد فيه بيّن، وشعره شعر ركيك غثّ، لا يشبه أشعار القوم، وإنما ذكرتُه لئلا يخلوَ الكتاب من شيء قد رُوي.

شعره حين أصيب رهط من قومه يوم المريسيع:

وقال محمدُ بنُ حبيبَ فيما رَوى عنه أبو سعيد السكّريّ، ونسخته من كتابه، قال أبو عمرو الشيبانيّ:

[١٦٢/١٨] أُصِيب قوم من بني جُندُع بنِ ليثِ بنِ بكرِ بنِ هوازنَ رهطِ أمية بنِ الأسكرِ يقال لهم /: بنو زَبينةَ، أصابَهم أصحاب النبي ـ ﷺ ـ يوم المُرَيْسِيع[8] في غزوته بني المُصْطَلِق، وكانوا جيرانَه يومئذ ـ ومعهم ناسٌ من بني لِحْيانَ [٢١/٢١] من هُذَيل، ومع بني جُندُع رجلٌ من خُزاعةَ يقال له: طارق، فاتهمه بنو ليث بهم، وأنه / دَلّ عليهم. وكانت خزاعةُ مُسلمُها[9] ومشركُها يميلون إلى النبي ـ ﷺ ـ على قريش. فقال أميةُ بنُ الأسكر لطارقٍ الخُزاعيّ:

(١) في ف: «قصد قومك قصره».
(٢ ـ ٢) زيادة من ف.
(٣) ذكروا في شعر يزيد باسم «بني الخميس».
(٤) قطينا: أتباعاً.
(٥) في ب، س: «وإني».
(٦) في ف: «أم».
(٧) في ف: «لهم قنا وما عنها».
(٨) المريسيع: بئر أو ماء الواحة.
(٩) في ف: «مسلموها ومشركوها».

لعمرك إني والخزاعيَّ طارقاً كنَعجة عادٍ حتفَها تتحفّر
أثارت عليها شَفرةً بكُراعها فظلّت بها من آخر الليل تجزَّر[1]
شَمِتَّ بِقومٍ هم صديقك أهلكوا أصابهمُ يومٌ من الدهر أعسر
كأنك لم تُنبأ بيوم ذُؤالة ويومِ الرّجيع إذ تنحّر حبتر[2]
فهلّا أباكم في هذيل وعمَّكم ثأرتُم وهمْ أعدى قلوباً وأوتر
ويوم الأراك يوم أُردِف سبيكم[3] صميمُ سَراة الدِّيل عبد ويعمرُ
وسَعدَ بن ليث إذ تُسلُّ نساؤكم وكلب بن عوف نحّروكم وعقّروا[4]
عجبت لشيخ من ربيعةَ مُهْتَرٍ[5] أُمِرّ له يومٌ من الدهر منكَر

/ شعر طارق الخزاعي يجيبه فيه: [٢١/٢٢]

فأجابه طارق الخزاعيّ فقال:

لعمرك ما أدري وإني لقائل إلى أيّ مَن يَظَّنّني[6] أتعذَّر؟
أعنِّف أنْ كانت زبينة أهلكت ونال بني لحيانَ شرّ ونُفّروا

ابن عباس ومعاوية يتمثلان بشعره وشعر صاحبه:

وهذه الأبيات: الابتداء، والجواب تَمثّل بابتدائها ابن عباس في رسالة إلى معاويةَ، وتمثل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها.

حدّثني بذلك أحمدُ بنُ عيسى بن أبي موسى العِجليُّ العطارُ بالكوفة، قال: حدثنا الحسينُ بنُ نصرِ بن مزاحم المِنقريّ قال: حدثنا زيد بن المعذَّل النَّمريُّ، قال: حدثنا يحيى بنُ شعيبِ الخراز، قال: حدثنا أبو مِخْنَف، قال:

لما بلغ معاويةَ مصابُ أمير المؤمنين عليّ ـ عليه السلام ـ دسّ رجلاً من بني القَيْن إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه، فدُلّ على القينيّ بالبصرة في بني سُلَيم، فأُخِذ وقتل.

وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية:

أما بعد، فإنك ودسّك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غَفَلات قريش مثل الذي ظفرتَ به من يمانيتك لَكَما قال الشاعر:

لعمرك إني والخزاعيَّ طارقاً كنعجة عاد حتفَها تتحفّر
أثارت عليها شَفرةً بكُراعها فظلّت بها من آخر الليل تُجزَّر

(١) في ف: «تنحر».
(٢) في ف: «خيبر».
(٣) في ب، س: «سبيكم».
(٤) في ب، س: «عقر»، تحريف.
(٥) المهتر: الرجل يفقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن.
(٦) يظّنّني: يتهمني.

شمِتَّ بقوم هم صديقك أهْلكوا أصابهُم يوم من الدهر أمعر[1]

[٢١/٢٣] فأجابة معاوية: أما بعد، فإن الحسنَ قد كتب إليّ بنحوٍ مما كتبت به وأنّبني / بما لم أجْن[2] ظناً وسوءَ رأي، وإنك لم تصب مَثلَنا، ولكنْ مثلُنا ومثلُكم كما قال طارقٌ الخزاعيُّ:

فوالله ما أدري وإني لصادق إلى أيِّ من يَظْنُنني أتعذر؟
أُعَنِّف أن كانتَ زبينةُ أهلكت ونال بني لِحيان شرّ ونُفِّروا

[٢١/٢٤] ١٦٣/١٨

/ صوت

أبُنَيّ إني قد كبِرتُ ورابني بَصري وفيّ لُمصلح مستمتَعُ
فلئن كِبرتُ نقد دنوتُ من[3] البلى وحَلَتْ لكم منّي خلائقُ أربع

عروضه من الكامل، والشعر لِعَبْدَة بنِ الطبيب، والغناء لابن مُحرِز، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفيه لمعبدَ خفيفُ ثقيل أول بالبِنصر في مجراها عنه أيضاً.



(١) الأمعر: القليل الخير، وفي ب، س: «أصعر».
(٢) في ب، س: «أجز»، تحريف.
(٣) في ف: «إلى» ورواية «المفضليات»: (١٤٦):

فلئن هلكت لقد بنيت مساعياً تبقى لكم منها مآثر أربع

/ نسب عبدة بن الطبيب وأخباره

[٢٥/٢١]

نسبه واسم الطبيب أبيه:

هو فيما ذكر ابنُ حبيبَ عن ابنِ الأعرابيِّ، وأبو نصر أحمدُ بنُ حاتمٍ عن الأصمعيِّ وأبي عمروٍ الشيبانيِّ وأبي فرْوة العُكْلِيِّ: عَبْدَة بن الطبيب، والطبيب اسمه يزيدُ بنُ عمرِو بنِ وَعْلَة بنِ أنسِ بنِ عبدِالله بنِ عبدِ تيم بنِ جُشَمَ بنِ عبد شمسٍ. ويقال: عَبْشَمْسُ بنُ سعدِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم.

وقال ابنُ حبيبَ خاصةً: وقد أخبرني أبو عبيدة قال:

تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها: عبدُ تَيم، وتَيم: صنم كان لهم يعبدونه.

كان شاعراً مجيداً ليس بالمكثر:

وعَبْدةُ شاعر مُجيد ليس بالمكثِر، وهو مُخَضْرَم، أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بنِ المُقَرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن. وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها:

هـل حَبـلُ خَـوْلَـةَ بعـد الهَجـر مـوصـولُ ... أم أنـتَ عنهـا بَعيـدُ الـدار مشغـولُ؟

حلّـت خُـوَيْلَـة فـي دارِ مجـاوِرةً ... أهـلَ المـدينـة[١] فيهـا الـديـك والفيـل

يقـارعـون رؤوس العُجْـمِ ضـاحيـةً ... منهـم فـوارس لا عُـزْلٌ ولا مِيـلُ[٢]

أرثى بيت قالته العرب من شعره:

أخبرني محمدُ بنُ العباسِ اليزيديُّ قال: حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال:

أرْثَى بيتٍ قالته العرب قول عَبدَةَ بنِ الطبيب:

فمـا كـان قيـس هُلْكُـه هُلْـكَ واحـدٍ ... ولكنّـه بُنيـانُ قـوم تهـدّمـا

/ وتمام هذه الأبيات: أنشدَناه عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ عن السكري والمبرّد والأحول[٣] لَعْبدَة يرثي قيساً: [٢٦/٢١]

عليـك سـلامُ الله قيـسَ بـنَ عـاصـمٍ ... ورحمتُـه مـا شـاء أن يتـرحّمـا

تحيـةَ مـن أوليتَـه منـك نعمـةً ... إذا زار عـن شَحْـطٍ بـلادَك سلّمـا

ومـا كـان قيـسٌ هُلكـهُ هلـكَ واحـدٍ ... ولكنّـه بُنيـانُ قـوم تهـدّمـا

(١) في «المفضليات»: «المدائن».
(٢) ميل: جمع أميل، وهو الجبان والسيء الركوب. أو من لا تُرمل معه ولا سيف ولا رمح.
(٣) في ب، س: «الأقول»، تحريف.

يترفع عن الهجاء:

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُريد قال: حدثنا أبو عثمانَ الأُشنانداني عن التوّزيّ عن أبي عبيدة عن يونُس قال:

قال رجل لخالدِ بنِ صَفوانَ: كان عبدَةُ بنُ الطبيب لا يُحسن أن يهجو، فقال: لا تقل ذاك، فوالله ما أبَى مِن عِيّ، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضَعة، كما يرى تركَه مروءةً وشرفاً، قال:

وأجـرأ مـن رأيـتُ بظَهْـر غيـبٍ ... علـى عيـب الـرجـال أولـو[1] العيـوب

عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعر له:

١٦٤/١٨ / أخبرني محمدُ بنُ القاسمِ الأنباريُّ قال: حدثنا أحمدُ بنُ يحيى ثعلبُ، عن ابن الأعرابيّ: أن عبد الملك بنَ مروانَ قال يوماً لجلسائه:

أيّ المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر، كأنها غِرْقيء[2] البيض. وقال آخرون: مناديل اليمن، كأنها نَوْر الربيع. فقال عبد الملك: مناديل أخي بني سعد عَبَدَة بن الطبيب، قال:

لمّـا نـزلنـا نصبنـا ظـلّ أخبيـةٍ[3] ... وفـارَ لِلقـوم بـاللحـم المـراجيـلُ

[٢٧/٢١] / وَرْدٌ وأشقـرُ[4] مـا يـؤنيـه[5] طـابخُـه ... مـا غيَّـر الغلـيُ منـه فهـو مـأكـول

ثُمّـتَ قمنـا إلـى جُـرْدٍ مُسـوَّمـةٍ ... أعـرافُهـنّ لأيـدينـا منـاديـل

يعني بالمراجيل: المراجل، فزاد فيها الياء ضرورة.

[٢٨/٢١] / **صـوت**

إن الليـالـي أسـرعَـت فـي نقضـي ... أخـذن بَعضِـي وتـركـن بعضِـي

حَنَيْـنَ طُـولـي وطَـوَيـن عَـرْضـي ... أقعـدْنَنـي مِـن بعـد طـول نهـض

عروضه من الرّجز، الشعر للأغلب العجليّ، والغناء لعمرو بن بانة، هزَج بالبنصر.

---

(١) في ف: «أخو».
(٢) الغرقيء: القشرة الملتزقة ببياض البيض.
(٣) في «المفضليات»: ١٤١: «لما وردنا رفعنا ظل أردية».
(٤) في «المفضليات»: «وردا». شبه ما أخذ فيه النضج من اللحم بالورد، وما لم ينضج بالأشقر.
(٥) يؤنيه، أي يمهله. وفي «المفضليات»: «لم ينهته» أي ينضجه وفي ب، س «ما ينهته»، تحريف.

/ أخبار الأغلب ونسبه

[٢٩/٢١]

نسبه:

هو ـ فيما ذَكر ابنُ قُتَيبة ـ الأغلبُ بنُ جُشَمَ بنِ سعدِ بنِ عِجلِ بنِ لُجَيمِ بنِ صعبِ بنِ عليِّ بنِ بكرِ بن وائلٍ.

إسلامه واستشهاده:

وهو أحد المعمَّرين، عُمِّر في الجاهلية عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام فأسلم، وحَسن إسلامه وهاجر، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعدِ بنِ أبي وقّاص، فنزلها، واستُشهد في وَقعةِ بِنَهاوَنْدَ[١]، فقبره هناك في قبور الشهداء.

هو أول من رجز الأراجيز الطوال:

ويقال: إنه أوّل من رجّز الأراجيز الطِّوال من العرب، وإياه عَنَى الحجاج بقوله مفتخراً:

* إني أنا الأغلبُ أمسى قد نشد[٢] *

قال ابن حبيب: كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحُداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى، فتأتِي منه بأبيات يسيرة، فكان الأغلب أولَ من قصّد الرجز، ثم سلك الناسُ بعده طريقته.

كانت له سرحة يصعد عليها ويرتجز:

أخبرنا الفضلُ بن الحُباب الجُمحيّ أبو خليفة في كتابه إلينا، قال: أخبرنا محمد بن سلاَّم، قال: حدثنا الأصمعيّ.

وأخبرنا أحمدُ بنُ محمدٍ أبو الحسن الأسديُّ قال حدثنا الرياشيّ، قال حدثنا مَعْمَر بنُ عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء، قال:

كانت للأغلب سَرْحة[٣] يصعد عليها، ثم يرتجز:

قد عرَفَتْني سَرْحتي فأطَّتِ[٤] ... وقد شَمِطْتُ بعدها واشمطَّتِ

فاعترضه رجل من بني سعد، ثم أحدِ بني الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد، فقال له:

/ قُبِّحتَ من سالِفةٍ[٥] ومن قفا ... عبدٌ إذا ما رسب القوم طفا [٣٠/٢١]

(١) نهاوند: من بلاد الجبل. جنوبي همذان.
(٢) في ف: «نشر».
(٣) السرحية: كل شجرة لا شوك فيها.
(٤) أطت: صوتت.
(٥) أصل السالفة: مقدم عنق الفرس. والمراد ذمه بقبح وجهه وقفاه.

كما شِرار الرَّعْي[١] أطرافُ السَّفَى

ينقص عمر عطاءه لقبوله الإنشاد من شعر في الجاهلية:

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ، قال: حدثنا عمرُ بنُ شبّة، قال: حدثني محمدٌ بـن عباد بنِ حبيبٍ المهلّبيُّ، قال: حدثني نصرُ بن نابٍ عن داود بن أبي هند عن الشعبيِّ، قال:

١٦٥/١٨ كتب/ عمرُ بنُ الخطاب إلى المغيرة بن شُعبةَ وهو على الكوفة: أن أستنشد مَن قِبَلك من شعراء قومك[٢] ما قالوا في الإسلام، فأرسل إلى الأغلب العجليّ فاستنشده فقال:

لقـد سـألـتَ هيِّنـا موجـودا أرجَـزاً تـريـد أم قصيـدا؟

ثم أرسل إلى لَبِيد فقال له: إن شئتَ مما عفا الله عنه ـ يعني الجاهلية ـ فعلتُ. قال: لا، أَنشدني ما قلت في الإسلام. فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة، وقال: أبدلَني الله عزّ وجلّ بهـذه في الإسلام مكـانَ الشعر.

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فنقّص عمرُ من عطاء الأغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء لبيد؛ فكتب إلى عمرَ: يا أمير المؤمنين، أتنقص عطائي أن أطعتك[٣]! فرد عليه خمسمائة وأقرّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة.

أخبرني محمدُ بن عبد العزيز[٤]، قال: حدثنا عمرُ بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا عليُّ بنُ القاسم، عن الشعبيّ قال:

[٣١/٢١] / دخل الأغلبُ على عمرَ، فلما رآه قال: هيه، أنت القائل:

أرجـزاً تـريـد أم قصيـدَا؟ لقـد سـألـتَ هيِّنـا مـوجـودَا

فقال: يا أمير المؤمنين إنما أطعتك، فكتب عمر إلى المغيرة: أن أردد عليه الخمسَ المائةَ[٥] وأقِرّ الخمسَ المائة للبيد.

شعر في سجاح حين تزوجت مسيلمة:

أخبرنا أبو خليفةَ عن محمد بن سلاّم قال: قال الأغلب العجليّ في سجاح لما تزوجت مُسيلمةَ الكَذّاب:

لقـد لقيـتْ سجـاح مـن بعـد العمـى مُلَـوَّحـاً[٦] فـي العيـن مجلـود القَـرا[٧]

مثـل العَتيـق[٨] فـي شبـابٍ قـد أتـى مـن اللُّجَيْمِيّيـن أصحـابِ القِـرَى

(١) الرعي: ما يرعى.
(٢) في ف: «مصرك».
(٣) ف: «إنما أطعتك».
(٤) ف: «أحمد بن عبد العزيز».
(٥) في ب، س: «الخمسمائة».
(٦) ملوحاً: وصف من لوحة السفر ونحوه، أي غيره وأضمره، أو من لوحت الشيء بالنار بمعنى أحميته.
(٧) القرا: الظهر.
(٨) العتيق: الجواد الرائع، والفحل من النخل. وقد تكون محرفة عن الفنيق، وهو الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب.

ليس بذي واهنة[١] ولا نَسا[٢] ... نشأ بلحم وبخبز ما اشترى[٣]
حتى شتا[٤] يَنتح[٥] ذِفراه[٦] الندى ... خاظى[٧] البَضيع[٨] لحمُه خظابظا[٩]
/ كأنما جمّع من لحم الخُصى ... إذا تمطّى بين بُرديه صأى[١٠] [٢١/٣٢]
كأنّ عِرق أيره إذا ودى[١١] ... حَبلُ عجوز ضَفَّرت سبعَ قُوى
يمشي على قوائم خمس زَكا[١٢] ... يرفع وُسطاهنّ من بَرد النّدى
قالت: متى كنت أبا الخير متى؟ ... قال حديثاً لم يغيّرني البِلى
ولم أفارق خُلّة لي عن قِلى ... فانتُسفت[١٣] فَيشته ذات الشّوى[١٤]
كأن في أجلادها[١٥] سبعَ كُلَى[١٦] ... ما زال عنها بالحديث والمُنى
والخُلُق السّفساف يُردي في الردى ... قال: ألا تَرَينَه قالت: أرى
قال: ألا أدخله؟ قالت: بلى ... فشام فيها مثلَ محراث[١٧] الغضى[١٨]
يقول لما غاب فيها واستوى ... لمثلها كنت أُحسّيك الحَسا

من أخبار سجاح:

وكان من خبر سجاح وادعائها النبوة وتزويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى، عن أبيه عن شعيب عن سيف:

إنّ سجاح التميميّة ادعت النبوّة بعد وفاة رسول الله ﷺ، واجتمعَتْ / عليها بنو تميم، فكان فيما ادّعت أنه [٢١/٣٣] أُنزل/ عليها: يَأيها المؤمنون المتقون، لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، ولكنَّ قريشاً قوم يبغون. [١٦٦/١٨]

(١) الواهنة: ريح تأخذ في المنكبين، أو في العضد، أو في الأخدعين عند الكبر.
(٢) النسا: عرق من الورك إلى الكعبين، كأنه يريد أن نساه صحيح.
(٣) في ف، مد: «ما اشتهى».
(٤) في ف: «نشا».
(٥) ينتح: يخرج.
(٦) الذفري: العظم الشاخص خلف الأذن.
(٧) خاظى: مكتنز.
(٨) البضيع: ماانماز من لحم الفخذ، جمع بضيعة.
(٩) وخظا : اكتنز وركب لحمه بعضه بعضاً، وبظا: وتوكيد لما قبله.
(١٠)صأى: صوت.
(١١)ودى: المراد نعظ، أي قام.
(١٢)أصل الزكا: الشفع من العدد. وقيل في الشفع والوتر: الأعداد كلها شفع ووتر. فيكون خمس زكا، خمس عدداً.
(١٣)انتسف اللون بالبناء للمجهول: التمع، وانتسف الطائر الشيء: نقره. وفي «المختار»: «فانتفشت».
(١٤)الشوى: في الأصل: قحف الرأس.
(١٥)أجلادها: أصل الأجلاد من الإنسان جسمه أو جملة شخصه.
(١٦)من معاني الكلية: مقعد حمالة القوس.
(١٧)المحراث: ما تحرك به النار.
(١٨)في ب، س «الفضا»، وفي ف: «القضا». وكل تحريف.

واجتمعت بنو تميم كلها إليها لتنصرها. وكان فيهم الأحنف بن قيس، وحارثة بن بدر، ووجوه تميم كلها.

وكان مؤذّنَها شبيبُ بن ربعيّ الرياحيّ، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة، وقالت: يا معشرَ تميم، اقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة، وأضرموا فيها ناراً مِلْهامة، حتى تتركوها سوداء كالحمامة[1].

وقالت لبني تميم: إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة، وإنما جعله في مضر، فاقصدوا هذا الجمع، فإذا فضفضتموه كررتم على قريش. فسارت في قومها وهم الدّهم[2] الداهم. وبلغ مسيلمةَ خبرُها، فضاق بها ذرعاً، وتحصّن في حجر حصن اليمامة. وجاءت في جيوشها فأحاطت به، فأرسل إلى وجوه قومه وقال: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها وتدعنا، فإن لم نفعل فهو البوار.

وكان مسيلمة ذا دهاء، فقال: سأنظر في هذا الأمر. ثم بعث إليها: إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنزل عليكِ وحياً، وأنزل عليّ. فهَلُمّي نجتمع، فنتدارس ما أنزل الله علينا، فمَن عرف الحق تبعه، واجتمعنا فأكلْنا العرب أكلا بقومي وقومك.

فبعثَت إليه: أفعل، فأمَر بقُبّة أدَم فضُربَت، وأمر بالعُود المَندَليّ[3] فسُجر فيها، وقال: أكثِروا من الطيب والمِجْمر[4]، فإنّ المرأة إذا شمت رائحَة الطيب ذكرت الباه، ففعلوا ذلك.

[٢١/٣٤] / وجاءها رسوله يخبرها بأمر القُبّة المضروبة للاجتماع، فأتته فقالت: هات ما أُنزِل عليك. فقال: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نُطفة تسعى، بين صِفاق[5] وحَشاً، من بين ذكر وأنثى، وأموات وأحيا، ثم إلى ربهم يكون المنتهى. قالت: وماذا؟ قال: ألم تر أن الله خلقنا أفواجا، وجعل النساء لنا أزواجا، فنولج فيهن الغراميل إيلاجا، ونخرجها منهن إذا شئن إخراجا. قالت: فبأي شيء أمرك؟ قال:

ألا قـومـي إلـى النَّيـكِ فقـد هُيِّـي لـك المضجـعْ
فـإن شئتـي[6] ففـي البيـت وإن شئتـي ففـي المُخـدعْ
وإن شئتـي سلقنـاك[7] وإن شئتـي علـى أربـعْ
وإن شئتـي بثلثيـه وإن شئتـي بـه أجمـعْ

قال: فقالت: لا، إلاّ به أجمع. قال: فقال: كذا أُوحَى الله إليّ، فواقعها. فلما قام عنها قالت: إن مثلي لا يجري أمرُها هكذا، فيكون وصمة على قومي وعليّ، وليكن مُسلِّمةُ النبوّة إليك، فاخطبني إلى أوليائي يزوّجوك، ثم أقود تميما معك.

فخرج وخرجَت معه، فاجتمع الحَيّان من حنيفة وتميم، فقالت لهم سجاح: إنه قرأ عليّ ما أُنزل عليه،

(١) عبارة الطبري (٢: ٢٣٩): . . . ودفوا دفيف الحمامة.
(٢) الدهم: العدد الكثير.
(٣) العود المندلي: هو المطري بالمسك والعنبر. واللبان. منسوب إلى مندل: قرية بالهند.
(٤) المجمر: ما يوضع فيه الجمر.
(٥) الصفاق: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر.
(٦) وصلت تاء الفاعل المكسورة بالياء لهجة لربيعة.
(٧) سلقها: بسطها فجامعها.

فوجدته حقّاً، فاتبعتْه، ثم خطبها، فزوّجوه إياها، وسألوه عن المهر، فقال: قد وضعتُ عنكم صلاة العصر، فبنو تميم إلى الآن بالرَّمل لا يصلّونها، ويقولون: هذا حق لنا، ومهر كريمة منا لا نردّه. قال: وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سَجَاح في كلمة له:

أضحَتْ نَبِيَّتنا أنثى نُطيف بها ... وأصبحت أنبياءُ الله ذُكْرانا

قال: وسَمع الزبرقانَ بنَ بدرٍ لأحنفُ يومئذ، وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم، فقال / الأحنف: والله ما رأيت [٣٥/٢١] أحمق من هذا النبي قَطّ. فقال الزبرقان: والله لأخبرن بذلك مسيلمةَ. قال: / إذاً والله أحلف أنك كذبت فيصدّقني ١٦٧/١٨ ويكذبك. قال: فأمسك الزبرقان، وعلم أنه قد صدق.

قال: وحُدِّث الحسنُ البصريّ بهذا الحديث، فقال: أمِن والله أبو بحر من نزول الوحي. قال: فأسلَمَت سجاحِ بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة، وحسُن إسلامها.

/ صـوت [٣٦/٢١]

كم ليلةٍ فيكِ بِتُّ أسهرها ... ولوعةٍ من هواك أُضمِرُها

وحُرقةٍ والدموعُ تُطفئها ... ثم يعود الجوى فيُسعِرها

بيضاءُ رُود[1] الشباب قد غُمِسَت ... في خَجَلٍ دائب يعصفرها

الله جارٌ لها فما امتلأت ... عيناي إلا من حيثُ أُبصرُها

الشعر للبحتريّ، والغناء لعَريب، رمَل مطلق من مجموع أغانيها، وهو لحن مشهور في أيدي الناس، والله أعلم.

(١) الرود: مخفف الرؤد، وهي الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء.

[٢١/٣٧]

/ أخبار البحتري ونسبه

نسبه وكنيته:

هو الوليدُ بنُ عُبَيْدِ الله[١] بنِ يحيى بنِ عبيد بن شِمْلال بن جابر بـن سَلَمَةَ بن مُسْهِر بن الحارث بن خيثم[٢] ابن أبي حارثة بن جَدْي بن تدول بن بُحتُر بن عَتود بن عَنَمَة[٣] بن سَلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن جُلْهُمَةَ وهو طيِّىءُ بـنُ أُدَدَ بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعْرُب بن قَحطان.

شاعريته وندرة هجائه:

ويكنى أبا عُبادة، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب، نَقِيّ الكلام، مطبوع، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء، وله تصرّف حسن فاضل نقيٌّ في ضروف الشعر، سِوى الهجاء، فإن بضاعته فيه نزْرة، وجيّدُه منه قليل. وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لمّا حضره الموتُ دعابه، وقال له: اجمع كلّ شيء قلتُه في الهجاء. ففعل، فأمره بإحراقه، ثم قال له: يا بني، هذا شيء قلتُه في وقت، فشفيتُ به غيظي، وكافأت به قبيحاً فُعِل بي، وقد انقضى أَرَبي في ذلك، وإن بقي رُوِي، وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودة، وأخشى أن يَعودَ عليك من هذا شيء[٤] في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه، قال: فعلمت أنه قد نصحَني وأشفق عليّ، فأحرقته.

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي الغَوْث.

وهذا ـ كما قال أبو الغوث ـ لا فائدة لك ولا لي فيه، لأن الذي وجدْناه وبقي في أَيْدي الناس من هجائه أكْثَرُهُ ساقط، مثل قوله في ابن شير زاد:

[٢١/٣٨]

/ نفقــتَ نُفُــوق الحمــار الــذّكَــرْ ... وبــان ضُــراطُــك عنــا فمــرْ

ومثل قوله في عليّ بن الجهم[٥]:

ولــو أعطــاك ربُّــك مــا تمَنّــى[٦] ... لــزادك منــه فــي غِلَــظ الأيــورِ

عَــلامَ طَفِقْــت تهجــونــي مليّــا ... بمــا لفّقــت مــن كــذبٍ وزُورِ

---

(١) مم، ف: «عبيد».
(٢) ف: «جشم».
(٣) ف: عمير».
(٤) ف: «شر».
(٥) ف: «مروان بن أبي الجنوب» بدل «علي بن الجهم» والمثبت في «الديوان» هو ما ذكرناه.
(٦) تمنى هنا ليس فعلاً ماضياً، ولكنه مضارع محذوف أحد التائين.

وأشباه لهذه الأبيات، ومثلها(١) لا يُشا كل طبعَه، ولا تليق بمذهبه، وتنبىءُ بركاكتها وغَثاثة /ألفاظها عن قِلَّة ١٦٨/١٨ حَظّه في الهجاء، وما يُعرف له هجاءٌ جيّدٌ إلا قصيدتان إحداهما قولُه في ابن أبي قماش:

مــرّت علــى عَــزْمِهــا ولــم تقــفِ ... مُبــدِيــةً للشُّنــان والشَّنَــفِ

يقول فيها لابن أبي قماش:

قـد كـان فـي الـواجـب المُحقَّـق أن ... تعـرف مـا فـي ضميـرهـا النَّطـفِ
بمـا تَعـاطيـتَ فـي العيـوب ومـا ... أُوتيـت مـن حكمـة ومـن لَطَـفِ
أمَـا رأيـت المـرّيـخَ قـد مـازج الـزّ ... هـرة فـي الجـدّ منـه والشَّـرَفِ
وأخبـرتـك النّحـوسُ أنكمـا ... فـي حـالتـي ثـابـت ومُنصَـرَفِ
مـن أيـن أعملـت ذا وأنـت علـى ... التَّقـويـم والـزِّيـج جِـدّ مُنعكـفِ(٢)
أمـا زجـرتَ الطيّـر العـلا أو تَـعَـيَّـفْـت المهـا(٣) أو نظـرت فـي الكَتِـفِ
رذُلـت فـي هـذه الصنـاعـةِ أو ... أكـديـتَ أو رمتَهـا علـى الخَـرَفِ
لـم تَخْـطُ بـاب الـدّهليـز منصـرفـاً ... إلا وخَلخـالُهـا مـع الشَّنَـفِ(٤)

/ وهي طويلة، ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس، وقصيدته في يعقوب بن الفرج [٣٩/٢١] النّصرانيّ، فإنها ـ وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها ـ تجري مجرى التّهكّم باللفظ الطيّب الخبيث المعاني، وهي:

تظـنّ شُجُـونِـيَ لـم تَعْتَلِـجْ ... وقـد خلـج البَيْـنُ مـن قـد خلَـجْ

وكان البحتريّ يتشبّه بأبي تمّام من شعره، ويَحْذو مَذْهَبَه، ويَنْحو نحوَه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله، ويراه صاحباً وإماماً، ويُقدّمه على نفسه، ويقول في الفرق بينه وبينه قولَ مُنصِف: إنّ جَيّدَ أبي تمّام خيرٌ من جَيّدِه، ووسَطَه ورَدِيئَه خيرٌ من وسط أبي تمّام ورديئه(٥)، وكذا حكم هو على نفسه.

هو وأبو تمام:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي: قال: حدثني الحسين بن علي الباقُطائيّ: قال:

قلت للبحتريّ: أيُّما أشعر أنتَ أو أبُو تمام؟ فقال: جيّده خير من جيّدي، ورَديئي خَيْر من رديئه.

حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني أبو الغوث يحيى بن البحتري: قال:

كان أبي يُكنّى أبا الحسن، وأبا عبادة، فأشير عليّ(٦) في أيام المتوكل بأن أقتصر(٦) على أبي عبادة، فإنها أشهر، فاقتصرت(٦) عليها.

(١) ف، مم: «من جنسها».
(٢) البيت ساقط من ب، س.
(٣) لعلها: «تعيفت لها» بدل «تعيفت المها».
(٤) الشَّنف: ما عُلّق بالأذن، وفي ف: «الكتف».
(٥) كذا في ف: وفي باقي النسخ: «ووسطه خير من وسط أبي تمام ورديئه» وهذا أسلم للعبارة.
(٦) ف، مم: «فأشير عليه... بأن يقتصر... فاقتصر».

حدثني محمد قال:

سمعتُ عبدَالله بن الحسين بن سعد يقول للبحتريّ ـ وقد اجتمعنا في دار عبدالله بالخلد، وعنده المبرّد في سنة ست وسبعين ومائتين، وقد أنشد البحتريّ شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله ـ: أنت واللّهِ أشعرُ من أبي تمّام في هذا الشعر، / قال: كلاّ والله، إن أبا تمام للرّئيسُ والأستاذُ، واللّهِ ما أكلتُ الخبزَ إلاّ به، فقال له المُبرّد: لله دَرُّك يا أبا الحسن، فإنك تأبى إلا شَرَفاً من جميع جَوَانِبك. [٢١/٤٠]

حدثني محمد: قال: حدثني الحسين بن إسحاق: قال:

قلت للبحتريّ: إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام، فقال: والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضرّ أبا تمّام، والله ما أكلت الخبزَ إلا به، ولَوَدِدْتُ أنّ الأمر كان كما قالوا، ولكني والله تابعٌ له آخذٌ منه لائذٌ به، نَسِيمي يركدُ عند هوائه، وأرْضِي تَنْخَفِض عند سمائه.

حدثني محمدُ بن يحيى: قال: حدثني سَوّار بن أبي شراعة، عن البحتري: قال: وحدثني أبو عبدالله الألوسيّ، عن علي بن يوسف[1]، / عن البحتري: قال: ١٦٩/١٨

كان أوّلَ أمري في الشعر ونباهتي أنّي صِرتُ إلى أبي تَمّام، وهو بِحمص، فعرضتُ عليه شعري، وكان الشّعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل عليّ، وترك سائر مَنْ حضر، فلما تفرّقوا قال لي: أنتَ أشعرُ مَنْ أنْشَدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خَلّةً[2] فكتب إلى أهل مَعَرّة النّعمان، وشهد لي بالحِذق بالشعر، وشفع لي إليهم وقال: امتدِحْهم، فصرتُ إليهم، فأكرموني بكتابه، ووظّفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أولَ مالٍ أصبتُه. وقال عليّ بن يوسف في خبره: فكانت نسخة كتابه: «يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عُبادَة الطائيّ، وهو ـ على بذاذته[3] ـ شاعر، فأكرموه».

يعشق غلاماً فيلتحي:

[٢١/٤١] حدثني جَحظةُ: قال: سمعتُ البُحتريّ يقول: كنت أتعشقُ غلاماً من أهل / مَنْبِج يقال له شُقران، واتّفق لي سفرٌ، فخرجت فيه، فأطلت الغَيْبة، ثم عُدتُ، وقد التحى، فقلت فيه، وكان أولَ شعر قلتُه:

نَبَتَتْ لِحيةُ شُقرا نَ شَقِيقِ النَّفْسِ بَعْدِي
حُلِقَتْ[4]، كيف أتته قبل أن يُنْجِزَ وعدِي!

وقد روى في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شِنْدان.

بدء التعارف بينه وبين أبي تمام:

حدثني عليّ بن سليمان: قال: حدثني أبو الغوث بن البحتريّ عن أبيه، وحدثني عمي: قال: حدثني علي بن العباس النُّوبَخْتيّ، عن البحتريّ، وقد جمعت الحكايتين، وهما قريبتان: قال:

(١) ف، مم: «علي بن سيف».
(٢) الخلة: الحاجة.
(٣) بذ بذاذة وبذوذة: ساءت حاله ورثت هيئته.
(٤) حلقت بالبناء للمجهول: جملة دعائية، وفي بعض النسخ: خلقت، وهو تصحيف.

أولُ ما رأيتُ أبا تَمّام أنّي دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدتي:

أأفـاق صـبٌّ مـن هَـوىً فـأُفيقا   أو خـان عهـداً أو أطـاع شفيقـا؟

فُسرّ بها أبو سَعيد، وقال: أحسنتَ والله يا فتى وأجدتَ، قال: وكان في مجلسه رجل نبيلٌ رفيع المجلس منه، فوق كل مَنْ حضر عنده، تكاد تمسُّ ركبتُه ركبتَه، فأقبل عليَّ ثم قال: يا فتى، أما تستحي منّي! هذا شِعْر لي تنتحله، وتُنشدُه بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقًّا تقول! قال: نعم، وإنما عَلِقه مني، فسبقني به إليك، وزاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة، حتى شَكّكني ـ علم الله ـ في نفسي، وبقيت مُتَحيّراً، فأقبل عليّ أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منّا ووُدّك لنا ما يُغنيك عن هذا، فجعلتُ أحلِف له بكل مُحْرِجَة من الأيْمانِ أنَّ الشِّعْر لي ما سبَقني إليه أحدٌ، ولا سَمعتُه منه، ولا انتحلتُه، فلم ينفعْ ذلك شَيْئاً، وأطرَق أبو سعيد، وقُطع بي، حتى تَمَنَّيت أني سُخْتُ في الأرض، فقمت منكسرَ البال أجرُّ رِجليَّ، فخرجت، فما هو إلا أن بلغتُ بابَ الدّار حتى خرج الغِلمان فردّوني، فأقبل عليّ الرّجل، فقال: الشعرُ لك يا بني، والله / ما قلتُه قطّ، ولا سمعتُه إلا منك، ولكنني ظنَنْتُ أنّك [٢١/٤٢] تهاونتَ بمَوْضعي، فأقدمتَ على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تُريد بذلك مُضاهَاتي ومُكاثَرتي، حتى عَرَّفَني الأميرُ نسبَك وموضعَك، ولَوَدِدْت ألّا تلد أبداً طائيّةٌ إلا مثلَك، وجعل أبو سعيد يضْحَك، ودعاني أبو تمام، وضمّني إليه، وعانَقَني، وأقبل يقرّظني، ولَزِمْته بعد ذلك، وأخذتُ عنه، واقتديتُ به، هذه رواية من ذكرت.

إنشاد له بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري:

وقد حدثني عليُّ بن سليمان الأخفش أيضاً قال: حدثني عبدُالله بنُ الحُسَيْن بن سَنَدِ القُطْرُبليّ:

أن البحتريّ حدثه أنّه دخل على / أبي سعيد محمد بن يوسف الثّغريّ، وقد مدحه بقصيدة، وقَصَده بها، فألفى [١٧٠/١٨] عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه، فاستأذنه البحتريّ في الإنشاد وهو يومئذ حَديثُ السّنّ، فقال له: يا غلام أتُنشِدُني بحضرة أبي تمّام؟ فقال: تأذن ويستمع[1]، فقام، فأنشده إياها، وأبو تمام يسمع ويهتزّ من قَرْنه إلى قَدَمه استحساناً فلما فرغ منها قال: أحسنتَ والله يا غلام، فمِمَّن أنت؟ قال: من طيِّىء، فطرِب أبو تمّام وقال: من طيِّء، الحمد لله على ذلك، لَوددْتُ أن كل طائيةٍ تَلِدُ مِثلَك، وقبّل بَين عَيْنَيه، وضمّه إليه وقال لمحمد بن يوسف: قد جعلتُ له جائزتي، فأمر محمد بها، فضُمَّت إلى مثلها، ودُفِعت[2] إلى البحتريّ، وأعطى أبا تَمّام مثلها، وخُصّ به، وكان مدّاحاً له طول أيامه ولابنه بعده، ورثاهما بعد مقتليهما، فأجاد، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه، وروى أنه قيل له في ذلك فقال: من تمام الوفاء أن تفضُل المَراثي المدائحَ[3] لا كما قال الآخر ـ وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال ـ: كنا نَعمَلُ للرَّجاء، نحن نَعْمَلَ اليوم للوَفاء. وبَيْنَهما بُعْد.

كان بخيلاً زري الهيئة:

حدثني حكم بن يحيى الكنتحي قال:

/ كان البحتريّ من أوسخ خلق الله ثوْباً وآلة وأبخلهم على كل شيء[4]، وكان له أخ وغلام معه في داره، [٢١/٤٣]

---

(١) ف، مم: «تأذن وتستمع».
(٢) ف: «ودفعتا».
(٣) زيادة «لا» عن مم، ف، وهي زيادة ضرورية، لأن مذهب الشاعرين على طرفي نقيض.
(٤) مم: «وأبخلهم على الطعام».

فكان يقتلهما جوعاً، فإذا بلغ منهما الجوعُ أتياه يبكيان، فيرمي إليهما بثمن أقواتهما مُضَيّقاً مُقَتَراً، ويقول: كُلاَ، أجاعَ اللّهُ أكبادكما[١] وأعرى أجلادكما[١] وأطال إجهادكما.

قال حكم بن يحيى: وأنشدته يوماً من شعر أبي سهل بن نوبخت، فجعل يُحرّك رأسه، فقلت له: ما تقول فيه؟ فقال: هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى.

وحدثني أبو مسلم محمدُ بنُ بحر الأصبهانِيّ الكاتب، قال:

دخلت على البحتريّ يوماً فاحتَبسَني عنده، ودعا بطعام له، ودعاني إليه، فامتنعت من أكله، وعنده شيخٌ شامِيٌّ لا أعرفه، فدعاه إلى الطعّام، فتقدّم، وأكل معه أكلاً عنيفاً، فغاظه ذلك، والتفت إليّ، فقال لي: أتعرف هذا الشيخَ؟ فقلت: لا، قال: هذا شيخ من بني الهُجَيْم الذين يقول فيهم الشاعر:

وَبنــو[٢] الهُجَيْــم قبيلــةٌ مَلْعــونــةٌ ... حُــصُّ اللّحــى[٣] مُتشــابهــو الألْــوانِ

لــو يسمعــون بــأكلــة أو شَــرْبَــة ... بعُمــانَ أصبــح جَمعُهــم بعُمــانِ[٤]

قال: فجعل الشيخ يشتمه، ونحن نضحك.

ماء من يد حسناء:

وحدثني جحظة: قال: حدثني عليّ[٥] بنُ يحيى المُنَجّمُ: قال:

اجتازت جارية بالمتوكّل معها كوز ماء، وهي أحسنُ من القمر، فقال لها: ما اسمك؟

[٢١/٤٤] / قالت: برهان، قال: ولمن هذا الماء؟ قالت: لِستيّ قُبَيحة، قال: صُبّيه في حَلْقِي، فشربه عن آخره، ثم قال للبحتريّ: قل في هذا شيئاً، فقال البحتريّ:

مــا شَــرْبَــةٌ[٦] مــن رَحيــق كــأسُهــا ذَهَــبٌ ... جــاءت بهــا الحُــورُ مــن جَنّــات رِضْــوان

يــومــاً بــأطيــبَ مــن مــاء بــلا عَطَــش ... شــربتُــه عبثــاً مــن كــف بُــرْهــان

أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخفش، وأحمدُ بن جعفر جحظة: قالا: حدثنا أبو الغوث بن البحتري: قال:

كتبتُ إلى أبي يوماً أطلب منه نَبيذاً، فبعث إليّ بنصف قِنّينة دُرْدِيّ[٧]، وكتب إليّ: دونكها يا بنيّ، فإنها تكشِفُ القحْط، وتضبِطُ الرّهْط. قال الأخفش، وتُقِيتُ الرّهْط.

قصته مع أحمد بن علي الإسكافي:

حدثني أبو الفَضْل عباسُ بنُ أحمد بن ثوابَةَ قال:

(١ ـ ١) التكملة من: ف، مم.

(٢) ب، س: «وبني الهجيم».

(٣) حص اللحى: قليلو شعر اللحية.

(٤) عمان الأولى ممنوعة من الصرف، وعمان الثانية مصروفة، وليس في هذا ضرورة شعرية. لأنه يجوز فيها الأمران، كقريش وتميم ونحوهما، على معنى حي أو قبيلة.

(٥) كذا في النسخ، وفي نسخة بيروت: «يحيى بن علي المنجم».

(٦) ف: «قهوة».

(٧) الدردي: ما رسب أسفل العسل والزيت ونحوهما من كل شيء مائع كالأشربة والأدهان.

قدم البحتريُّ النِّيلَ[1] على أحمدَ / بنِ عَليّ الإسكافيّ مادحاً له، فلم يُثِبْه ثَواباً يرضاه بعد أن طالت مُدَّتُه عنده، ١٧١/١٨ فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

مـا كسبنـا مـن أحمـدَ بـنِ عَلـيٍّ ومـن النِّيـلِ غيـرَ حُمَّـى النِّيـلِ

وهجاه بقصيدة أخرى أولها:

* قِصَّـةُ النِّيـلِ فـاسمعـوهـا عُجـابَـه *

فجمع إلى هجائه إيّاه هجاءَ أبي ثَوابَةَ، وبلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم وثيابٍ ودَابَّةٍ بسَرْجها ولجامها، فردّه إليه، وقال: قد أسلفتكم إساءةً لا يجوز معها قبولُ رِفْدِكم[2]، فكتب إليه أبي: أمّا الإساءة فمغفُورة وأما المعذرة فمشكورة، والحَسناتُ / يُذهِبْنَ السيئات، وما يأسو جراحَك مثلُ يدك. وقد رددتُ إليك ما رددتَه عليَّ، [٢١/٤٥] وأضعفتُه، فإن تلافَيْتَ ما فَرَط منك أثبنا وشكرنا، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا. فقبل ما بَعث به، وكتب إليه: كلامُكَ واللّهِ أحسنُ من شعري، وقد أسلفتَني ما أخجَلَني، وحَمّلتَني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي. ثم غدا إليه بقصيدة أولها:

* ضَـلالٌ لهـا مـاذا أرادت إلـى الصّـد *

وقال فيه بعد ذلك:

* بـرقٌ أضـاء العقيـقَ مـن ضَـرَمِـه *

وقال فيه أيضاً:

* دانٍ دعـا داعـي الصِّبـا فـأجـابَـهْ *

قال: ولم يزل أبي يصله بعد ذلك، ويتابع برّه لديه حتى افترقا.

شعره في نسيم غلامه:

أخبرني جحظة قال:

كان نسيمٌ غُلامُ البحتريّ الذي يقول فيه:

دَعـا عَبْـرتـي تجـرِي علـى الجَـور والقصـد أظـنُّ نسيمـاً قـارفَ الهـمَّ مـن بعـدي

خـلاَ نـاظِـري مـن طيفِـه بعـدَ شخصِـه فيـا عجبـاً للـدَّهْـر فقـدٌ[3] علـى فَقْـدِ

غلاماً روميًّا ليس بحسن الوجه، وكان قد جعله باباً من أبواب الحِيَل على النّاس، فكان يَبيعُه ويعتمد أن يُصَيّره إلى مِلْك بعض أهل المروءات ومن يَنْفُق عنده الأدب، فإذا حصل في مِلْكِه شَبَّب به، وتشوّقه، ومدح مولاه، حتى يهبه له، فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات نسيم، فكُفِي النَّاسُ أمرَه.

خبـره مع محمد بن علي القمي وغلامه:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال:

(١) النيل: بليدة في سواد الكوفة، ونهر من أنهار الرقة، عن «معجم ياقوت».
(٢) ف: «صلتكم».
(٣) فقد بالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، وفي ف: فقدا بالنصب على الحالية.

[٢١/٤٦] كتب البحتريّ إلى أبي محمد بن عَلِيٍّ القُمّيّ[١] يستهديه نبيذاً، فبعث إليه نبيذاً مع / غلام له أمرد، فجَمَّشه[٢] البحتريّ، فغضب الغلامُ غضباً شديداً، دلّ البحتريَّ على أنه سَيُخْبِر مولاه بما جرى، فكتب إليه:

أبـا جعفـرٍ كـان تَجْميشُنـا ... غـلامَـك إحـدى الهَنـات الـدَّنِيّـة
بعثـتَ إلينـا بشمـس المُـدام ... تضـيء لنـا مـع شمـس البـريّـة
فليـت الهـديّـة كـان الـرّسـول ... وليـتَ الـرسـولَ إلينـا الهَـدِيّـة

فبعث إليه محمدُ بنُ عَلِيّ الغُلامَ هَدِيّة، فانقطع البحتريّ عنه بعد ذلك مدة، خجلاً مما جرى، فكتب إليه محمدُ بن عليّ:

هجـرتَ كـأنّ البِـرّ أعقـب حِشمَـةً ... ولـم أرَ وَصْـلاً قبـل ذا أعقـب الهَجْـرا

فقال فيه قصيدته التي أولها:

* فتى مَذْحِج عَفْواً فتى مذحِجٍ غُفْرا[٣] *

وهي طويلة. وقال فيه أيضاً:

أمـواهـبٌ[٤] هـاتيـك أم أنـواءُ ... هُطُـلٌ وأخـذٌ ذاكَ أم إعطـاءُ
إن دَامَ ذا أو بَعـضُ ذا مـن فعـل ذا ... ذهـب[٥] السخـاءُ فـلا يُعَـدُّ[٦] سَخـاءُ
/ ليس الـذي حلّـت تميـمٌ وسْـطَـه الـ ... ـدهنـاء، لكـن صـدرُكَ الـدهنـاءُ[٧]
ملـك أغـرّ لآل طَلحـةَ مَجـدُه ... كفّـاه بحـرُ سمـاحـةٍ وسمـاءُ[٨]
/ وشـريـف أشـراف إذا احتكّـت بهـم ... جُـرْبُ القبـائـل أحسنـوا وأسـاءوا[٩]
أمحمـدُ بـنَ علـيٍّ أسمَـعْ عُـذْرَةً ... فيهـا شفـاءٌ للمُسـيء وداءُ
مـالـي إذ ذُكِـر الكـرامُ رأيتنـي ... مـالـي مـع النَّفـر الكـرام وَفـاءُ؟
يصفـو علـيَّ العَـذْلُ وهـو مُقـاربٌ ... ويَضيـق عنـي العُـذْرُ وهـو فَضـاءُ
إنّـي هجـرتُـك إذ هجـرتُـك حِشمـةً ... لا العَـوْدُ يـذْهِبُهـا ولا الإبـداءُ

(١) نسبة إلى بلدة «قم» قال ياقوت: وهي مدينة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها بين أصبهان وساوة.
(٢) التجميش: المغازلة والملاعبة.
(٣) مذحج كمجلس: أكمة، ولدت مالكاً وطيئاً أمهما عندها، فسموا مذحجاً، وفي ب: «فتى مذحج غفرا فتى مذحج غفراً»، والمثبت من ف، وهو الوجه.
(٤) مواهب بالتنوين للضرورة.
(٥) في «المختار»: فني السخاء.
(٦) في «الديوان»: «فلا يحس سخاء».
(٧) الدهناء: الصحراء.
(٨) ف: «وعطاء».
(٩) ب، مم: «إذا احتلت» بدل «إذا احتكت». و «حرب» بدل «جرب» والمثبت من ف.

أبو تمام يشيد به:

حدثني عليُّ بنُ سُليمان الأخفش: قال: حدَّثني أبو الغَوْث بن البُحتريّ: قال:

حدَّثني أبي: قال: قال لي أبو تمام: بلغني أنَّ بني حُمَيْد أعطَوك مالاً جَليلاً فيما مدحتهم به، فأنشِدني شيئاً منه، فأنشدته بعضَ ما قلتُه فيهم، فقال لي: كم أعطَوْك؟ فقلت: كذا وكذا، فقال: ظلموك، والله ما وَفَّوْك حقّك، [٤٩/٢١] فَلِمَ استكثرتَ ما دفعوه إليك؟ / والله لَبيتٌ منها خيرٌ مما أخذت، ثم أطرق قليلاً، ثم قال: لعَمْري لقد استكثرت ١٧٣/١٨ ذلك، واستُكثِر لك لمّا مات الناسُ وذهب/ الكرامُ، وغاضت المكارمُ، فكسدت سُوقُ الأدب، أنت والله يا بُنَيَّ أميرُ الشعراء غداً بعدي، فقمتُ فقبّلت رأسه ويديه ورجليه، وقلت له: والله لهذا القولُ أسرُّ إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إليّ من القوم.

أبو تمام ينعي نفسه:

حدثني محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب: قال: قال لي البحتريّ: أنشدتُ أبا تمام يوماً شيئاً من شعري، فتمثّل ببيت أوس بن حجر:

إذا مُقْـــرَمٌ منـــا ذرا حـــدُّ نـــابِـــه ... تخمَّـــطَ فينـــا نـــابُ آخَـــرَ مُقْـــرَمِ[1]

ثم قال لي: نعيتَ واللّهِ إليّ نفسِي، فقَلْتُ: أُعِيذك بالله من هذا القول، فقال: إنّ عمري لن يَطول، وقد نشأ في طيءٍ مِثلُك، أمَا علمتَ أنّ خالدَ بن صفوان رأى شبيبَ بن شَيْبَة، وهو من رَهْطة يتكلم، فقال: يا بُنَيّ، لقد نَعَى إليّ نفسِي إحسانُك في كلامك، لأنّا أهلُ بيت ما نشأ فينا خَطِيبٌ قطّ إلاّ مات مَنْ قبله، فقلت له: بل يُبقِيك الله، ويجعلني فداءَك. قال: ومات أبو تمام بعد سنة.

يشمخ بأنفه فيغري به المتوكل الصيمري:

حدثني أحمد بن جعفر جحظة: قال: حدثني أبو العَنْبس الصَّيْمرِيّ قال:

كنتُ عند المتوكل والبُحتريّ يُنشده:

عـــن أيّ ثغـــر تبتَسِـــمْ ... وبـــأيّ طـــرفٍ تحتكـــمْ؟

حتى بلغ إلى قوله:

قـــلْ للخِليفَـــة جعفـــر الـ ... متـــوكّـــلِ بـــنِ المعتصِـــمِ

/ المُبْتَـــدِي للمُجْتَـــدِي[2] ... والمنعِـــم بـــنِ المُنْتَقِـــمِ [٥٠/٢١]

أسلَـــمْ لـــدِيـــنِ محمـــدٍ ... فـــإذا سلمـــتَ فقـــد سَلِـــمْ

قال: وكان البحتريّ من أبغض الناس إنشاداً، يتشادق ويتزاوَر[3] في مشيه مرة جانباً، ومرة القَهْقَرَى، ويهزّ

(١) المُقرم: السيد المقدم، تشبيهاً بالمقرم من الإبل، وهو المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل، وذرا حد نابه: انكسر، والتخمط: الأخذ والقهر بغلبة، والبيت في معنى قول الآخر:

* إذا مات منا سيد قام صاحبه *

(٢) ب، مم: «المجتدي للمتجدي»، وما أثبتناه من ف. وهو أبلغ في المدح، لأن المراد أن يعطي قبل السؤال.

(٣) يتزاور: ينحرف.

أخجلتَنــي بنَــدَى يــديْــك فسَــودَت ... مــا بيننــا تلــك اليــدُ البَيضـــاءُ[١]

وقطعْتَنــي بــالبــرّ حتـــى إننــي ... متـــوهّــــم أن لا يكـــون لقـــاءُ

صِلَــةٌ غَــدَت فــي النــاس وَهْـي قطيعَــةٌ ... عجبــاً وبِــرّ راح وَهْـــو جَفـــاء

ليــواصِلنَّــك رَكْــبُ شِعــري سـائـرا ... تُهْـدَى بــه فــي مــدحــك الأعـداءُ[٢]

حتــى يتــمّ لــك الثنــاءُ مُخَلَّــداً ... أبــداً كمــا دامــت لــك النَعمــاء

فتظــلّ تَحسُــدك الملــوكُ الصِّيــدُ بــي ... وأظَــلّ يحســدُنــي بــك الشُعــراء

كان موته بالسكتة:

أخبرني عليُّ بن سُلَيْمانَ الأخفشُ: قال: سألني القاسِمُ بنُ عبيد الله عن خَبَر البُحتريّ، وقد كان أُسكت، ومات من تلك العِلّة، فأخبرتُه بوفاته، وأنه مات في تلك السَّكْتَة، فقال: ويحه رُمِي في أحسَنِه[٣].

/ **أبو تمام يلقن البحتري درساً في الاستطراد:**

[٤٨/٢١]

أخبرني محمد بن يحيى: قال: حدثني محمدُ بن عليّ الأنباريّ: قال: سمعتُ البَحتريَّ يقول: أنشدني أبو تمامٍ يوما لنفسه:

وســابــح هطــلِ التَّعـــداء هَتّـــان ... علــى الجــراء أمِيــنٍ غيــر خــوّانِ[٤]

أظمــي الفصُــوصِ ولــم تظمـأ قـوائمـهُ ... فخــلّ عينيــك فــي ظمــآنَ رَيّــانِ[٥]

فلــو تــراه مُشِيحــاً والحصــى زِيَــمٌ[٦] ... بيــنَ السنــابــك مــن مثنّــى ووُحــدان

أيقنْــتَ إنْ لــم تثَبّــت أنّ حــافــره ... مــن صَخْـرِ تَـدْمُـرَ أو مـن وَجْـه عثمـان[٧]

ثم قال لي: ما هذا الشعر؟ قلت: لا أدري، قال: هذا هو المستطرد، أو قال الاستطراد. قلت: وما معنى ذلك؟ قال: يُرِيك أنه يريد وصف الفَرَس وهو يريد هجاءَ عثمان، وقد فعل البحتري ذلك، فقال في صِفَة الفَرس:

مـــا إن يَعـــافُ قَـــذًى ولـــو أوردتَـــه ... يــومــاً خــلائــقَ حَمْــدَوَيْــهِ الأحــول

وكان حمدويه الأحولُ عدوًّا لمحمد بن علي القُمّي الممتَدح بهذه القصيدة فهجاه في عُرض مدحه محمداً. والله أعلم.

---

(١) لعله يريد بتسويد النعمة البيضاء، ما فرط منه من تجميشه للغلام، أو يريد أن هذه النعمة جعلته له رقيقاً على حد قول الشاعر:

كلمــا قلــت أعتــق الله رقــي ... صيــرتنــي لــه المكــارم عبــدا

(٢) في ب: «لأوصلنك». وفي مم: «تهذي» بدل «تهدي» وفي «المختار»: «يرويه فيك لحسنه الأعداء».

(٣) لعله يريد بأحسن ما فيه، لسانه.

(٤) ب: «الشعراء» بدل «التعداء» وهو تحريف، والجراء: جمع جرو، وهو ولد الكلب وكل سبع.

(٥) الفصوص: المفاصل، وظمؤها: ضمورها، وجر «ريان» وكذا عثمان في البيت الأخير لضرورة الشعر، وفي «المختار»: «فجل بعينيك في ظمآن ريان».

(٦) زيم: جمع زيمة، وهو القطعة من الشيء.

(٧) تثبت: فعل مضارع حذفت منه إحدى التائين. وتدمر: قال ياقوت: تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام، والمقصود وصف وجه عثمان بالصفاقة، حتى كأنه قطعة قدت من صخر، وعثمان هو عثمان بن إدريس.

رأسه مَرَّة، ومنكبيه أخرى، ويشير بكُمّه، ويقف عند كل بيت، ويقول: أحسنتُ والله، ثم يُقبِل على المستمعين، فيقول: ما لكم لا تقولون أحسنت؟ هذا والله ما لا يُحسِن أحدٌ أن يقول مثله: فضجر المتوكل من ذلك وأقبل عليَّ، وقال: أما تسمع يا صَيْمَرِيّ ما يقول؟ فقلت: بلى يا سيّدي، فمُرني فيه بما أحببتَ، فقال: بحياتي أهجُه على هذا الرّويّ الذي أنشَدنيه، فقلت: تأمُر ابنَ حمدون أن يكتب ما أقول، فدعا بداوةٍ وقرطاس، وحضَرني على البديهة أن قلت:

أدخلــتَ رأسـك فـي الـرّحـم ... وعلمــتَ أنّــك تنهــزمْ

يـا بحتـريُّ حَـذارِ وَيْـحَـك مـن قُضـاقِضـةٍ ضُغُـم[1]

فلقـد أسَلْـتَ بـواديْـ ... ـك[2] مـن الهجـا سَيْلَ العَرِمْ

فبـأيِّ عِـرضٍ تعتَصِـمْ ... وبَهَتْكـه جَـفَّ القَلَـمْ؟

واللّـه حِلْفَـةَ صـادقٍ ... وبقبـرِ أحمـدَ والحـرَمْ

وبحـقِّ جعفـرِ الإمـا ... مِ ابـنِ الإمـام المعتصِـمْ

لأصَيِّـرنَّـك شُهـرةً ... بيـن المسيَّـل إلـى العَلَـمْ

/ حَـيّ الطّلـول[3] بـذي سلَـمْ ... حيـث الأراكـةُ والخِيَـمْ [٥١/٢١]

يـا بـنَ الثّقيلَـة والـثـقيـل علـى قُلـوبِ ذَوي النّعَـم

/ وعلـى الصغيـر مـع الـكبيـر مـن المَـوالـي والحَشَـمْ ١٧٤/١٨

فـي أي سَلْـح تـرتطِـمْ ... وبـأيِّ كـفٍّ تلتقِـمْ؟

يـا بـنَ المُبـاحـةِ للـورَى ... أمِـن العفـافِ أم التُّهَـم[4]

إذ رَحْـلُ أختـك للعَجَـم ... وفـراشُ أمّـك فـي الظُّلَـم

وبِبـابِ دارِك حـانَـةٌ ... فـي بَيْتِـه يُـؤتَـى الحَكَـمْ

قال: فغضِبَ، وخرج يعدو، وجعلت أصيح به:

أدخلـت رأسـك فـي الـرّحِـمْ ... وعلمــتَ أنّــك تَنْهَــزِم

والمتوكل يضحك، ويصفّق حتى غاب عن عينه.

هكذا حدثني جحظة عن أبي العنبس.

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العنبس، فرأيتُها قريبة اللفظ، موافقةَ المعنى لمَا ذكره جحظةُ، والذي يتعارفه الناس أن أبا العَنْبَس قال هذه الأبيات ارتجالاً، وكان واقفاً خلف البحتريّ، فلما ابتدأ وأنشد قصيدته:

(١) القضاقض: الأسد، وجمعه قضاقضة، وضغمه: عضه بملء فيه، فهو ضاغم، وجمعه ضُغُم.

(٢) ب، مم: «بوالديك» والمثبت من ف.

(٣) ب، س: «حيث الطلول».

(٤) ب: «أمن العقاب أم الفهم» والمثبت من مم، ف، والمستفهم عنه ما ورد في البيتين التاليين.

عـــن أيّ ثغـــرٍ تبتسِـــمْ وبـــأيّ طـــرْف تحتكـــم

صاح به أبو العنبَس من خلفه:

فـــي أيّ سَلْـــح تـــرتَطِـــم وبـــأيّ كَـــفٍّ تَلْتَقِـــمْ

أدخلـــتَ رأسَـــك فـــي الـــرّحِـــم وعلمـــتَ أنـــك تنهـــزِمْ

[٢١/٥٢] / فغضب البحتريّ، وخرج، فضحك المتوكّل حتى أكثر، وأمر لأبي العَنْبَس بعشرة آلاف درهم والله أعلم.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصّوليّ، وحدثني عبدالله بن أحمد بن حمدون عن أبيه: قال: وحدثني يحيى بن علي عن أبيه:

إن البحتريّ أنشد المتوكّل ـ وأبو العَنْبَس الصّيمريّ حاضر ـ قصيدَتَه:

عـــن أيّ ثَغْـــر تَبْتَســـم وبـــأيّ طَـــرْف تحتكـــمْ؟

[١] إلى آخرها، وكان إذا أنشد يختال، ويعجب بما يأتي به، فإذا فرغ من القصيدة ردّ البيت الأول، فلما رده بعد فراغه منها. وقال:

عـــن أيّ ثغـــر تبتســـم وبـــأيّ طـــرف تحتكـــم[١]

قال أبو العنبس وقد غمزه المتوكل أن يولع به:

فـــي أي سَلْـــح تَـــرْتَطِـــم وبـــأي كـــفّ تَلْتَقِـــمْ

أدخلـــت رأســـك فـــي الـــرَّحِـــم وعلمـــتَ أنـــك تَنْهَـــزِمْ

فقال نصف البيت الثاني، فلما سمع البحتريُّ قوله ولّى مُغْضَبا، فجعل أبو العنبس يصيح به:

* وعلمتَ أنك تنهزم *

فضحك المتوكل من ذلك حتى غُلِب، وأمر لأبي العنبس بالصّلة التي أُعِدّت للبحتري.

قال أحمد بن زياد[٢]: فحدّثني أبيّ قال:

[٢١/٥٣] / جاءني البحتريّ، فقال لي: يا أبا خالد أنت عشيرتي وابنُ عمّي وصديقي، وقد رأيتَ ما جرى عليّ، أفتأذنُ لي[٣] أن أخرج إلى مَنْبج بغير إذن، فقد ضاع العِلْم، وهلك الأدب؟ فقلت: لا تفعل من هذا شيئاً، فإن الملوك ١٧٥/١٨ تمزَح بأعظم مما جرى، ومضيت معه إلى الفتح، فشكا إليه ذلك، فقال له نحواً من قولي، ووصله، / وخلع عليه، فسكن إلى ذلك.

الصيمري يسترسل في سخريته به بعد موت المتوكل:

حدثني جحظةُ عن عليّ بن يَحْيى المُنجِّم: قال:

لمّا قُتِل المتوكّلُ قال أبو العنبس الصيْمريُّ:

(١ ـ ١) التكملة من هد، هج.

(٢) مم، ف: «أحمد بن يزيد».

(٣) ف: «أفترى لي». ومنبج: بلدة الشاعر شمالي سوريا.

يـا وحشـةَ الـدنيـا علـى جَعْفَـرِ ... علـى الهمـام الملـك الأزهـرِ[١]

علـى قتيـلٍ مـن بنـي هـاشـم ... بيـن سـريـر المُلْـك والمِنْبَـرِ

واللّـهِ ربّ البَيْـتِ والمَشْعَـر ... والله أن لـو قُتِـلَ البُحْتُـرِي

لثـارَ بـالشّـام لـه ثـائِـر ... فـي ألـف نَغْـلٍ[٢] مـن بنـي عَـضْ خَـرى

يقـدُمهـم كُـلُّ أخـي ذِلّـة ... علـى حمـارٍ دابِـرٍ أعـورِ

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحتريّ، فضحك، ثم قال: هذا الأحمق يرى أنّي أُجيبُه على مثل هذا، فلو عاش امرؤ القيس. فقال، من كان يجيبه[٣]؟.



(١) البيت من مم، ف، وهو ساقط من ب، س.

(٢) ب: «نفل» بدل «نغل» والنغل ابن الزنا، أما عض خرى فلعله اسم قبيلة اخترعها للصيمري اختراعاً لمجرد السخرية.

(٣) في «المختار»: «ولو عاش امرؤ القيس. فقال مثل قوله لم أجبه».

[٢١/ ٥٤]

/ ذكر نتف من أخبار عَريبَ مستحسنة

منزلتها في الغناء والأدب:

كانت عريب مغنّيةً محسنةً، وشاعرةً صالحة الشعر، وكانت مليحةَ الخط والمذهب في الكلام، ونهايةً في الحسن والجمال والظَّرف، وحسن الصورة وجودة الضَّرب، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنّغم والأوتار، والرواية للشعر والأدب، لم يتعلق بها أحدٌ من نظرائها، ولا رُؤيَ في النساء بعد القيانِ الحجازيّات القديمات، مثل جميلة وعَزّة الميلاء وسَلّامة الزرقاء ومَن جَرَى مَجْراهن ـ على قِلَّة عَدَدهن ـ نظيرٌ لها، وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهنّ مما يكون لمثلها من جواري الخلفاء، ومَنْ نشأ في قصور الخلافة وغُذّي برقيق العيش، الذي لا يدانيه عيش الحجاز، والنش بين العامة والعرب الجفاة، ومن غلُظ طبعه، وقد شهد لها بذلك مَنْ لا يحتاج مع شهادته إلى غيره.

أخبرني محمد بن خلف وَكِيع، عن حماد بن إسحاق: قال: قال لي أبي:

ما رأيتُ امرأةً أضربَ من عَريب، ولا أحسنَ صنعةً ولا أحسنَ وجهاً، ولا أخفّ رُوحاً، ولا أحسَن خِطاباً، ولا أسرعَ جَواباً، ولا ألعبَ بالشّطرنج والنَّرد، ولا أجمعَ لخَصْلة حَسَنة لم أر مثلها في امرأة غيرها. قال حمّاد: فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي، فقال: صدق أبو محمد، هي كذلك، قلت: أفسمعتها؟ قال: نعم هناك، يعني في دار المأمون، قلت: أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحِذق؟ فقال يحيى: هذه مسألة الجواب فيها على أبيك، فهو أعلم مني بها، فأخبرتُ بذلك أبي، فضحك، ثم قال: ما استَحْيَيْتَ من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا.

هي وإسحاق والخليفة المعتصم:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى: قال: حدثني أبي، قال:

قال لي إسحاق: كانت عندي صَنّاجة[1] كنت بها مُعجباً، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون، فبينا أنا ذات يوم في منزلي، إذ أتاني إنسان يَدُقّ الباب دقّاً / شديداً، فقلت: انظروا من هذا؟ فقالوا: رسول أمير المؤمنين، فقلت: ذهبت صَنّاجتي، تجدهُ ذكرها له ذاكرٌ، فبعث إليّ فيها. فلمّا مضى بي الرسول انتهيتُ إلى الباب، وأنا مُثخَن، فدخلت، فسلّمت، فردّ عليّ السلام، ونظر إلى تغيّر وجهي، فقال لي: أسكن، فسكنت، فقال لي: غنّ صوتاً[2] وقال لي: أتدري لمن هو؟ فقلت: أسمعه، ثم أخبرُ أميرَ المؤمنين إن شاء الله ذلك، فأمر جارية من وراء الستارة، فَغَنّته وضربت، فإذا هي قد شبّهته بالغناء القديم، فقلت: زدني معها عوداً آخر، فإنه أثبت لي، فزادني عوداً آخر، / فقلت: هذا الصوت مُحَدَث لامرأة ضاربة، قال: من أين قلت ذاك؟ قلت: لمّا سمعت لِينَه

[٢١/ ٥٥]

١٧٦/ ١٨

(١) الصناجة: آلة موسيقية ذات أوتار.

(٢) ف، مم: «فسألني عن صوت».

عرفت أنه مُحدَث من غناء النساء، ولما رأيت جَودَة مقاطِعِه علمت أنّ صاحبته ضاربة، وقد حَفِظت مقاطِعَه وأجزاءَه، ثم طلبتُ عوداً آخر، فلم أشكّ، فقال: صدقت، الغناءُ لعريب.

قال ابن المعتز: وقال يحيى بن عليّ[1]:

أمرني المعتمد على الله أن أجمع غِناءَها الذي صنعَته، فأخذت منها دفاترَها وصُحُفها التي كانت قد جمعت فيها غِناءَها فكتبتُه فكان ألفَ صوت.

أصواتها كمّاً وكيفاً:

وأخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خُرْدَاذْبه:

أنه سأل عريبَ عن صَنْعتها، فقالت: قد بلغتْ إلى هذا الوقت ألفَ صوت.

وحدثني محمد بن إبراهيم قريض[2] أنه جمع غناءها من ديواني ابن المعتز، وأبي العُبيس بن حمدون، وما أخذه عن بِذعة جاريتها التي أعطاها إياها بنو هاشم، فقابل بعضَه ببعض، فكان ألفاً ومائة وخمسة وعشرين صوتاً.

وذكر العَتّابيّ أنّ أحمد بن يحيى حدثه: قال:

سمعت أبا عبدالله الهِشاميّ يقول ـ وَقد ذُكِرت صنعةُ عريب ـ: صَنْعتُها مثلُ قول أَبي دلف في خالد بنِ يزيدَ حيث يقول:

/ يــا عيــنُ بَكّــي خــالِــدا ألفــا ويُــدعَــى واحــدَا [٥٦/٢١]

يــريــد أنّ غِنَـاءهــا ألــف صــوت فــي مَعْنــى واحــد، فهــي بمنــزلــة صَــوْت واحــد

وحكى عنه أيضاً هذه الحكاية ابنُ المعتز.

وهذا تحامُلٌ لا يَحِلّ[3]، ولعمري إن في صنعتها لأشياء مرذولة لَيّنة، وليس ذلك مما يَضَعُها، ولا عَرِي كبيرُ أحدٍ من المغنّين القدماء والمتأخرين من أن يكون صَنْعَتِه النادِرُ والمتوسّطُ سِوَى قوْم معدودين مثلِ ابن محرز ومَعْبِد في القدماء، ومثلِ إسحاق وحده في المتأخرين، وقد عِيبَ بمثل هذا ابنُ سُرَيج في محله، فبلغه أنّ المغنين يقولون: إنما يغنى ابنُ سريج الأرْمال والخفاف، وغناؤه يَصلُح للأعراس والولائم، فبلغه ذلك فتغنى بقوله:

لقــد حبَّبَــتْ نُعْــمٌ إلينــا بــوجههــا مســاكنَ[4] مــا بيــن الــوتــائِــر فــالنَّقْــعِ

ثم توفّي بعدها، وغناؤه يجري مجرى المعيب[5] عليه، وهذا إسحاق يقول في أبيه: ـ على عظيم محلّه في هذه الصناعة وما كان إسحاق يُشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره ـ ولأبي سِتُّمائة صوت، منها مائتان تشبّه فيها بالقديم، وأتى بها في نهاية من الجودة، ومائتان غناءٌ وسط مثل أغاني سائر الناس، ومائتان فلسية[6] وددْت أنه

(١) ف: «علي بن يحيى» والمثبت من ب، مم.
(٢) ب: «محمد بن القاسم قريض».
(٣) ف، مم: «لا يجمل».
(٤) ف: «منازل»، والوتائر: موقع بين مكة والطائف، والبيت لعمر بن أبي ربيعة.
(٥) ف: «ثم توفي بعدها فجرى مجرى المعتب عليه».
(٦) ف، مم: «فلسية» ولعله يقصد أنها تافهة، فينسبها إلى الفلس المقابل للدرهم والدينار.

لم يُظهِرها ويَنْسبُها لنفسه، فأسترها عليه، فإذا كان هذا قولَ إسحاق في أبيه فمن يعتذر بعده من أن يكون له جيّد ورديء، وما عَرِي أحد في صناعة من الصناعة من حال يَنقُصه عن الغاية، لأن الكمالَ شيء تفرّد الله العظيم به، والنقصانَ جبلّةٌ طَبَعَ بني آدم[1] عليها، وليس ذلك إذا وُجِد في بعض أغاني عريب مما يدعو إلى إسقاط سائرها، [٢١/٥٧] ويلزمه اسم الضّعف واللّين، وحسب المحتجّ لها شهادةُ إسحاق بتفضيلها، وقلّما شهد / لأحد، أو سَلِم خَلْق ـ وإن تَقدَّم وأُجْمِع على فضله ـ من شَيْنه[2] إيّاه وطعنه عليه، لنفاسته في هذه الصناعة، واستصغاره أهلَها، فقد تقدّم في ١٧٧/١٨ أخباره مع علّوية، ومُخارق، وعمرو بن بانة، وسليم بن سلام، وحسين بن محرز، ومن قبلهم /ومن فوقهم مثلُ ابن جامع وإبراهيم بن المهديّ وتهجينه إياهم، وموافقته لهم على خطئهم فيما غنّوه وصنعوه مما يُسْتغنى به عن الإعادة في هذا الموضع، فإذا انضاف فِعلُه هذا بهم، وتفضيلُه إياها، كان ذلك أدلَّ على التحامل ممّن طعن عليها، وإبْطالِه فيما ذكرها به، ولقائل ذلك ـ وهو أبو عبدالله الهشامي ـ سببٌ كان يصطنعه عليها، فدعاه إلى ما قال، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى.

ومما يدلّ على إبطاله أنّ المأمون أراد أن يمتحن إسحاقَ في المعرفة بالغناء القديم والحديث، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها، فكاد يجوز عليه، لولا أنه أطال الفكر والتلوّم واستثبت، مع علمه بالمذاهب في الصنعة، وتقدُّمِه في معرفة النّغم وعِلَلِها، والإيقاعات ومجاريها.

وأخبرنا بذلك يحيى بن عليّ بن يحيى: قال: حدثني أبي عن إسحاق:

فأمّا السبب الذي كان من أجله يعاديها الهشاميّ، فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبدالله بن طاهر قال: ذُكِر لأبي أحمدَ عُبَيد الله بن عبدالله بن طاهر عمّي أنّ الهشاميّ زعم أن أحسن صوت صنعته عريب:

* صَـــاحِ قَـــدْ لمْـــتَ ظَـــالمـــا *

وإن غناءها بمنزلة قول أبي دُلَفٍ في خالد:

يـــا عيـــنُ بكّـــي خـــالـــداً ألفـــاً ويُـــدْعـــى واحِـــدا

[٢١/٥٨] فقال: ليس الأمر كما ذكر، ولعريبَ صنعةٌ فاضلة متقدّمة، وإنما قال هذا فيها / ظلماً وحَسَداً، وغَمطها ما تستحقّه من التّفضيل، بخبر لها معه طريف، فسألناه عنه، فقال: أخرجتُ الهشاميَّ معي إلى سُرَّ مَنْ رأى، بعد وفاة أخي، يعني أبا محمدَ بن عبدالله بن طاهر، فأدخلتُه على المعتزّ، وهو يشرب، وعريب تغنّي، فقال له: يا بن هشام، غَنِّ، فقال: تُبتُ من الغناء قُتِل سَيّدي المتوكل، فقالت له عريب: قد واللّهِ أحسنتَ حيث تُبتَ، فإن غناءك كان قليلَ المعنى، لا مُتْقَنٌ[3] ولا صحيح ولا مُطرِب، فأضحكت أهلَ المجلس جميعاً منه، فخجل؛ فكان بعد ذلك يَبسُط لسانَه فيها، ويَعِيبُ صنعتَها، ويقول: هي ألفُ صوت في العدد، وصوتٌ واحد في المعنى.

وليس الأمرُ كما قاله، إن لها لصنعةً تشبَّهت فيها بصنعة الأوائل، وجوّدت، وبرزت فيها، منها:

* أئــن سكنــت نَفْســي وقــلَّ عَــويلُهــا *

ومنها:

---

(١) كذا في ب على أن فاعل طبع ضمير ذى الجلال، وفي ف، مم: «طُبِع بالبناء للمجهول».
(٢) مم: «تليه».
(٣) كان القياس لا متقناً، ولا صحيحاً، ولا مطرباً بالنصب، فلعل هنا مبتدأ مقدراً «لا هو متقن. . .» إلخ.

* تقـــــول هَمِّـــــي يـــــومَ وَدَّعتهـــــا *

ومنها:

* إذا أردت انتصـــافـــاً كـــان نـــاصـــركـــم *

ومنها:

* بـــأبـــي مـــن هـــو دائـــي[(١)] *

ومنها:

* أسلمـــوهـــا فـــي دمشـــقَ كمـــا *

ومنها:

* فـــلا تعتّبـــي ظلمـــاً وزوراً[(٢)] *

/ ومنها: [٥٩/٢١]

* لقـد لام ذا الشـوق الخَلِيُّ مـن الهـوى[(٣)] *

ونسختُ ما أذكره من أخبارها، فأنسبه إلى ابن المعتزّ من كتاب دفعه إليّ محمدُ بن إبراهيم الجراحيّ المعروف بقريض، وأخبرني أن عبدالله بن المعتز دفعه إليه، من جمعه وتأليفه، فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها، إذا كان فيها حشو كثير، وأضفت إليه ما سمعتُه ووقع إليّ غيرَ مسموع مجموعاً ومتفرقاً، ونسبت كل رواية إلى راويها.

برمكية النسب:

قال ابنُ المعتزّ: حدّثني الهشاميّ أبو عبدالله وأخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خُرداذْبة قالا:

كانت عَرِيبُ لعبدالله بن إسماعيل صاحبِ مراكب الرّشيد، وهو الذي ربّاها، وأدّبها، وعلّمها الغناء.

قال ابنُ المعتزّ: وحدثني غيرُ الهشاميّ، عن إسماعيل بن الحسين خالِ المعتصم: أنها بنتُ جعفرِ بن يحيـى، وأنَّ البرامكة لما انتُهِبوا سُرِقت وهي صغيرة.

قال: فحدثني عبدُ الواحد بنُ إبراهيم بن محمد بن الخَصِيب: قال:

حَدّثني/ مَنْ أثِق به، عن أحمدَ بنِ عبدالله بن إسماعيل المراكبي: أنَّ أُمَّ عريب كانت تسمَّى فاطِمة، وكانت قَيِّمةً لأُم عبدالله بن يحيـى بن خالد، وكانت صَبِيّة نظيفة، فرآها جعفرُ بن يحيـى، فهويَها، وسأل أمَّ عبدالله أن تُزَوّجه إيّاها، ففعلت، وبلغ الخبرُ يَحْيـى بنَ خالد، فأنكره، وقال له: أتتزوّج مَن لا تُعرف لها أمٌّ ولا أب؟ اشْتَرِ مكانها مائة[(٤)] جارية وأخرجها، فأخرجها، وأسكنها داراً في ناحية باب الأنبار سرًّا من أبيه. ووكّل بها مَنْ يحفَظها، وكان يتردّد إليها، فولدت عَريب في سنة / إحدى وثمانين ومائة، فكانت سِنُوها إلى أن ماتت ستا وتسعين سنة، قال: وماتت أمّ عريب في حياة جَعْفر، فَدفعها إلى امرأة نصرانية، وجعلها دايةً لها، فلما حَدَثت الحادِثة بالبرامكة باعَتْها [١٧٨/١٨] [٦٠/٢١]

(١) ب: «دان» بدل: «دائي».
(٢) ساقطة من ب، وهي في مم، ف.
(٣) ب، س، مم: «لقد نام ذو الشوق القديم من الهوى».
(٤) ف: «ألف جارية».

من سِنْبِس النخّاس، فباعها من المراكبي.

قال ابن المعتز: وأخبرني يوسفُ بنُ يعقوب:

إنه سمع الفضل بنَ مَرْوان يقول: كنتُ إذا نظرتُ إلى قَدَمَيْ عَريب شبّهتُهما بقدمي جعفر بن يحيى، قال: وسمعت مَنْ يحكي أن بلاغتها في كتبها ذُكِرت لبعض الكُتّاب فقال: فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى؟.

وأخبرَني جحظة قال: دخلتُ إلى عريب مع شروين المغني وأبي العُبيس بنِ حمدون، وأنا يومئذٍ غلام عليّ قِباء ومِنْطقة، فأنكرتني وسألت عنّي، فأخبرها شَروين، وقال: هذا فتى من أهلِك، هذا ابنُ جعفر بن مُوسَى بن يحيى بن خالد، وهو يغنّي بالطّنبور، فأدنتْني، وقرّبت مجلسي، ودعت بطُنبور، وأمرتْني بأن أغنيّ فغنّيت أصواتاً، فقالت: قد أحسنتَ يا بُنيَّ ولتكونَنَّ مغنّياً، ولكن إذا حَضرت بين هَذين الأسدين ضِعْتَ أنت وطنبورُك بين عُودَيْهما، وأمرت لي بخمسين ديناراً.

قال ابنُ المعتزّ: وحدّثني مَيمونُ بنُ هارون: قال:

حدَّثتني عَرِيبُ قالت: بعثَ الرشيد إلى أهلها[1] ـ تَعْني البرامكة ـ رسولاً يسألهم عن حالهم، وأمره ألاّ يعلمهم أنه من قبله، قالت: فصار إلى عمي الفضل، فسأله، فأنشأ عمّي يقول:

صوت

سَــألُــونـا عــن حــالـنـا كـيـفَ أنـتـمْ ... مَــنْ هَــوَى نَجمــهُ فكيــفَ يكـــونُ؟

نحــن قــومٌ أصــابنـا عَنَــتُ الــدّهــر ... فَظَلْنــا لــريبــه نَسْتكيــنُ

[٦١/٢١] / ذكرت عَرِيبُ أنّ هذا الشعر للفَضْل بنِ يَحيى، ولها فيه لحنان: ثاني ثقيل وخفيف ثقيل، كلاهما بالوُسْطى، وهذا غَلَط من عَرِيب، ولعله بلغها أنّ الفضل تمثل بشعرٍ غيرْ هذا، فأُنسِيَتْه وجعلت هذا مكانه.

فأمّا هذا الشّعر فللحُسَيْن بنِ الضحّاك، لا يُشَكّ فيه، يَرثي به محمداً الأمينَ بعد قوله:

نحــن قــوم أصــابنــا حــادثُ الــدّهــر ... فظلْنــا لــرَيْبــه نَسْتِكيــنُ

نتمَنَّـى مــن الأمــين إيــابــاً ... كــلَّ يــوم وأيــنَ منّــا الأميــنُ؟

وهي قصيدة.

تعشق، وتهرب إلى معشوقها:

قال ابنُ المعتزّ: وحدّثني الهِشاميّ:

إنّ مولاها خرج إلى البصرة، وأدّبَها وخرّجها وعلّمها الخَطَّ والنّحوَ والشّعر والغناءَ، فبرعت في ذلك كله، وتزايدت حتى قالت الشعر، وكان لمولاها صَديقٌ يُقال له حاتم بن عديّ من قُوّاد خُراسَان، وقيل: إنه كان يكتب / لعُجَيْف على ديوان الفرض، فكان مولاها يَدْعُوه كثيراً، ويخالطه، ثم ركبه دَيْنٌ فاستتَر عنده، فمدّ عينَه إلى عَرِيب، فكاتبها، فأجابَتْه، وكانت المُواصَلةُ بينهما، وعَشِقَته عَرِيب، فلم تزل تَحْتال حتى اتخذت سُلّما من [١٧٩/١٨]

(١) ف، مم: «أهلنا».

عَقَب[1]، وقيل: من خيوط غلاظ، وسَترته، حتى إذا همّت بالهَرَب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمُدّة ـ وقد أعدّ لها موضعاً ـ لَفّت ثِيابَها وجعلَتْها في فراشها بالليل، ودَثَّرتْها بِدِثارها، ثم تسوَّرَت من الحائِطِ، حتى هرَبت، فَمَضَت إليه، فمكثت عنده زَماناً، قال: وبلغني أنها لمَّا صارت عنده بعث إلى مولاها يستَعير منه عُوداً تُغنّيه به، فأعاره عودَها، وهو لا يعلم أنها عنده، ولا يتهمه بشيء من أمرها، فقال عيسى بنُ عَبْدالله بنِ إسماعيل المراكبيّ، وهو عيسى ابنُ زَيْنب يَهْجُو أباه ويُعَيّره بها، وكان كثيراً ما يهجوه:

[٦٢/٢١]

/ قــاتــلَ الله عَــريبَــا ... فعَلَــت فِعْــلاً عَجيبَــا

رَكِبَــت والليــلُ دَاجٍ ... مــركبــاً صَعْبــاً مهــوبــا[2]

فــارتقَــت مُتصِــلا بــالنَّجــم أو مــنــه قــريبــا

صبــرت حتــى إذا مــا ... أقصــد النَــومُ الــرَّقيبــا[3]

مَثَّلــت بيــن حَشَــايَــا ... هــا الكِيــلا تَسْتــريبَــا[4]

خَلفــاً منهــا إذا نــو ... دِيَ لــم يُلْــفَ مُجيبَــا

ومضــت يحملهــا الخــو ... فُ قَضيبــاً وكَثيبــا

مُحَّــةٌ[5] لــو حُــرّكــت خِفْــتَ عليــهــا أن تــذوبــا

فتــدلَّــت لمُحِــبٍّ ... فتلقّــاهــا خَبيبَــا

جَــذِلاً قــد نــال فــي الــدُّنيــا مــن الــدُّنيــا نصيبــا

أيّهــا الظَّبْــي الــذي تَــسْــحَــرُ عيــنــاه القُلُــوبَــا

والــذي يــأكــل بعضــا ... بَعضُــه حُسنــاً وطيبــا

كُنــتَ نَهْبــاً لــذئــابٍ ... فَلَقَــد أطعمْــتَ ذِيبَــا

وكــذا الشــاةُ إذا لــم ... يَــكُ راعيهــا لَبيبَــا

لا يُبــالِــي وَبــأ المَــرْ ... عَــى إذا كــان خَصيبــا

فلقــد أصبــح عبــدُالله م ... كشخــانَ حَــريبَــا[6]

[٦٣/٢١]

/ قــد لعمــري لَطَــم الــوَجــهَ ... وقــد شَــقَّ الجُيــوبَــا

وجــرت منــه دُمــوعٌ ... بكــت الشَّعْــر الخَضيبــا

وقال ابن المُعتَزّ: حدّثنا محمد بن موسى بن يُونُس:

(١) العقب: العصب الذي تعمل منه الأوتار.

(٢) ف، مم: «المختار» «مهيباً» بدل «مهوبا» وكلاهما صحيح.

(٣) أقصد النومُ الرقيبا أي أصاب الرقيب سهمُ النوم.

(٤) المراد: أنها مثلت في مخدع نومها شبحاً يوهم أنه هي حتى لا تبعث الريبة.

(٥) المحّة: صفرة البيض، يشبهها بمح البيضة في اللين.

(٦) الكشخان: الديوث، والحريب: المسلوب المال، وفي مم: «كشخان مريباً»، وفي «المختار» «كشخانا حريبا».

أنّها مَلَّته بعد ذلك، فهربت منه، فكانت تُغَنّي عِند أقوام عَرَفَتْهم ببَغْداد، وهي متستّرة متخفِّيَة، فلمَّا كان يَوْم من الأيّام اجتاز ابنُ أخ للمراكبي ببُسْتان كانت فيه مع قوم تُغَنّي، فسمع غِناءَها، فعرفه، فبعَث إلى عمه من وقته، وأقام هو بمكانه، فلم يبرح حتى جاء عمُّه، فلبَّبها[1] وأخذها، فضربها مائة مِقْرعة، وهي تصيح: يا هذا لِمَ تَقْتُلُني! أنا لستُ أصبر عليك، أنا أمرأة حُرَّة إن كنتُ مملوكةً فبِعني، لست أصبر على الضِّيقة، / فلما كان من غد ندم على فعله، وصار إليها فقبَّلَ رأسَها ورجْلَها، ووهب لها عَشْرة آلاف درهم، ثم بلغ مُحَمَّداً الأمِينَ خَبَرُها، فأخذها منه، قال: وكان خبرُها سَقَط إلى محمد في حياة أبيه، فطلبها منه، فلم يجبه إلى ما سأل، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادماً عنده، فاضطغَن لذلك عليه، فلما وَلِيَ الخلافةَ جاء المراكبيّ، ومحمد راكب، لِيُقبِّل يدَه، فأمر بِمَنْعِه ودفعه، ففعل ذلك الشّاكريُّ، فضربه المراكبيّ وقال له: أتمنعني من يدِ سيِّدي أنْ أقبّلَها؟ فَجاء الشّاكريُّ لَمَّا نزل محمد فشكاه، فدعا محمدٌ بالمراكبيّ، وأمر بضرب عنقه، فسُئل في أمره، فأعفاه، وحبسه، وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكُراع، وبعث، فأخَذَ عريبَ من منزله مع خَدَم كانوا له، فلما قُتِل مُحمَّد هَرَبت إلى المراكبيّ، فكانت عنده، قال: وأنشَدني بعضُ أصحابنا لحاتم بن عديّ الذي كانت عنده لَمَّا هَرَبت إليه، ثم ملَّتْه فهَرَبت منه، وهي أبيات عدّة، هذان منها:

ورُشُّوا على وَجْهي من الماء وانْدُبُوا قتيلَ عَريبٍ لا قتيلَ حُروبِ

فليتكِ إنْ عجَّلتِني فقتَلتِني تكونين من بعد المماتِ نَصِيبي

/ قال ابن المعتزّ: وأمّا رواية إسماعيل بن الحُسين، خالِ المعتَصِم فإنها تخالف هذا، وذكر أنّها إنما هربت من دار مولاها المراكبيّ إلى محمد بن حامد الخاقانيّ المعروف بالخشن، أحدِ قوّاد خُراسان قال: وكان أشقر أصهب الشعر أزرق، وفيه تقول عَريب ـ ولها فيه هزج .ورَمَل من روايتي الهشامي وأبي العباس ـ:

بأبي كلّ أزرقٍ أصهبِ اللون أشقرِ[2]

جُنّ قلبي به وليس جُنوني بمُنكَرِ

تذكر ناسياً:

قال ابن المعتزّ: وحدثني ابن المدبِّر قال:

خرجْتُ مع المأمون إلى أرض الروم، أطلبُ ما يطلبه الأحداث من الرزق، فكنا نسير مع العَسْكر، فلما خرجنا من الرَّقّة رأينا جماعة من الحَرَم في العَماريّات على الجمّازات[3] وكنّا رُفْقَةً، وكُنّا أترابا، فقال لي أحدهم: على بعض هذه الجمّازات عَرِيب، فقلت: من يراهنني أمُرُّ في جنبات هذه العُماريّات، وأُنشد أبيات عيسى ابن زينب؟.

قاتلَ الله عَرِيبا فعلت فعلاً عجيبا

فراهنني بَعضُهم وعُدِّل الرِّهنانِ[4] وسرت إلى جانبها فأنشدتُ الأبياتَ رافعاً صَوْتي بها، حتى أتممتها، فإذا أنا

(١) لبَّبها: أخذ بتلابيبها، وهي مجتمع ثيابها عند العنق، وفي مم: «فكبها» بدل «لبّبها».
(٢) ف: «بأبي كل أصهب أزرق العين أشقر».
(٣) ف: «رأينا جماعة من الخدم معهم جماعة الحرام». والعماريات: الهوادج، والجمازات جمع جماز وتوصف بها النياق السريعة.
(٤) عُدِّل الرهنان: سوّى بين المبلغين اللذين تراهن عليهما المتراهنان.

بامرأة قد أخرجت رأسَها فقالت: يا فتى أنسِيتَ[١] أجودَ الشّعر وأطْيَبه؟ أنسيت قوله:

وعَـــريـــبٌ رَطْبَـــةُ الشَّفْـ ـرَيْــنِ قــد نيكــت ضُــروبــا[٢]

/ اذهبْ فخُذْ ما بايَعْت فيه، ثم ألقت السّجْف، فعَلِمت أنها عَرِيب، وبادرتُ إلى أصحابي خوفاً من مكروه [٢١/٦٥] يلحقني من الخدم.

رقيب يحتاج إلى رقيب:

أخبرني إسماعيلُ بنُ يُونُس قال: قال لنا عمر بن شبّة:

كانت للمراكبيّ جارية يقال لها مظلومة، جميلةُ الوجه، بارعةُ الحسن، فكان يبعث بها مع عَرِيب إلى الحَمّام، أو إلى من تزوره من أهله ومعارفه، فكانت ربما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه، فقال فيها بعضُ الشعراء وقد رآها عنده:

لقــد ظلمــوكِ يــا مظلــومَ لمّــا أقــامــوكِ الــرَّقيــبَ علــى عَــريــبِ

/ ولـو أَوْلَـوكِ إنصــافــاً وَعَــدْلا لمــا أخلــوْكِ أنــتِ مــن الــرّقيــبِ [١٨١/١٨]

أتَنْهَيــنَ المُــريــبَ عــن المعــاصــي فكيــف وأنــتِ مــن شــأنِ المُــريــبِ

وكيــف يُجــانِــبُ الجــانِــي ذنــوبــاً لَــديــكِ وأنــتِ داعِيَــةُ الــذُّنــوبِ

فــإن يَسْتَــرقِبُــوكِ علــى عَــريــبٍ فمــا رَقَبُــوكِ مــن غيــب القلــوبِ[٣]

وفي هذا المعنى، وإن لم يكن من جنسِ ما ذكرته ما أنشدنيه عليُّ بنُ سليمان الأخفش في رَقِيبَة مُغَنّية استُحْسِنت وأظنه للنّاشِيء:

فــديتُــكِ لــو أنهــم أنصَفُــوا لقــد منعــوا العيــنَ عــن نــاظِــريْــكِ[٤]

ألــم يقــرءوا ويحهــم مــا يــرو ن مــن وحــي طَــرْفــك فــي مُقْلَتَيْــكِ

وقــد بعثــوك رَقِيبــاً لنــا فمــن ذا يكــون رَقِيبــاً عليــكِ

تَصُــدّيــنَ أعْيُنَنــا عــن ســواك وهــل تنظــر العيــنُ إلا إليــكِ

/ **من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون:** [٢١/٦٦]

قال ابن المعتز: وحدثني عبد الواحد بن إبراهيم، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، وعن محمد بن إسحاقَ البغويّ، عن إسحاق بن إبراهيم:

أنّ خَبرَ عَرِيب لمّا نُمِيَ إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مَوْلاها، فأُحْضِرا، وغنّت بحضرة إبراهيمَ بنِ المهديّ تقول:

(١) ولو قرئت (أُنسيت) بالبناء للمجهول على أن الجملة خبرية لا إنشائية لكان ذلك حسناً.
(٢) المعروف: إن رطوبة الشفرين ليست من الصفات المستحسنة في المرأة، فلعل الشاعر يكنى بذلك عن استدامة غشيان الرجال لها بدليل تتمة البيت.
(٣) ف: «من ريب القلوب».
(٤) ف، «والمختار»: «فديتك لو أنهم أنصفوك لما منعوا العين عن ناظريك»

لكلّ أُناسٍ جَوْهَرٌ متنافَسٌ وأنتِ طِرازُ الآنساتِ المَلائحِ

فطَرِب محمد، واستعَاد الصوتَ مِراراً، وقال لإبراهيم: يا عَمّ كيف سمعت؟ قال: يا سيدي، سمعتُ حسناً، وإن تطاولت بها الأيام، وسكن رَوْعها ازداد غِناؤُها حُسْناً، فقال للفضل بن الربيع: خُذْها إليك، وساوِم بها، ففعل، فاشتَطّ مولاها في السَّوْم، ثم أوجَبها له بمائة ألف دينار، وانتَقَض أمرُ مُحمّد، وشغِل عنها، وشُغِلت عنه، فلم يأمُر لَمَوْلاها بثَمَنها حتى قُتِل بعد أن افتَضّها، فرجعت إلى مولاها، ثم هربت منه إلى حاتم بن عديّ، وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدم.

وقال في خبره: إنها هَرَبت من مولاها إلى ابن حامد[1]، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد، فتظلّم إليه المراكبيّ من محمد بن حامد[2]، فأمر بإحضاره فأحضِر، فسأله عنها فأنكر، فقال له المأمون: كذبت قد سقط إليَّ خبرُها. وأمر صاحبَ الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطَة، ويضع عليه السّياط حتى يردّها، فأخذه، وبلغها الخبرُ فركبت حمارَ مُكارٍ، وجاءت وقد جُرّد ليُضْرب، وهي مكشوفة الوجه، وهي تصيح: أنا عَرِيب، إن كُنتُ مملوكةً فَلْيبِعْني، وإن كُنتُ حُرَّةً فلا سَبيلَ له عليَّ، فُرفع خَبَرُها إلى المأمون، فأمر بتعْديلها[3] عند قتيبة بن زياد القاضي، فَعُدِّلَتْ عنده، وتقدَّم إليه المراكِبيّ مطالباً بها، فسألَه البَيّنَة على مِلكه إياها، فعاد متظلّماً إلى المأمون، وقال: قد طولبت بما لم يُطالَبْ به أحد في رقَيق، ولا يوجد مِثْلُه في يد مَن ابْتاع عَبْداً أو أَمَة.

[٢١/٦٧] / وتظلَّمَت إليه زُبيدةُ، وقالت: من أغلظ ما جَرَى عليَّ بعد قتل محمد ابني هُجومُ المراكبيّ على دَاري وأخذُه عَرِيباً منها. فقال المراكبيّ: إنما أخذتُ مِلْكي، لأنّه لم يَنْقُدْني الثَّمن، فأمر المأمونُ بدفعِها إلى محمد بن عمر الواقديّ ـ وكان قد ولاّه القضاء بالجانبِ / الشرقي ـ فأخذها من قتيبة بن زياد، فأمر ببيعها ساذجة، فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم، فذهبت به كُلَّ مذهب ميلاً إليها ومحبّة لها. [١٨٢/١٨]

قال ابن المعتز: ولقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قَبّل في بعض الأيام رِجلَها، قال: فلما مات المأمون بِيعت في ميراثه، ولم يُبَع له عبدٌ ولا أمَة غَيرُها، فاشتراها المعتصم بمائة ألفِ درهم، وأعتقها، فهي مولاته.

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنها لمّا هربت من دار محمد حِين قتل تدلّت من قصر الخُلْد بحَبْل إلى الطريق، وهربت إلى حاتم بن عديّ.

وأخبرني جحظةُ، عن ميمون بن هارون:

أنّ المأمونَ اشتَراها بخَمْسة آلاف دينار، ودعا بعبدالله بن إسماعيل، فدفعها إليه وقال: لولا أنّي حلفتُ ألاّ أَشترِيَ مملوكاً بأكثَر من هذا لِزدْتك، ولكني سأولّيك عَمَلاً تكسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة، ورمى إليه بخاتَمَين من ياقوت أحمر، قيمتهما ألف دينار، وخلع خِلَعاً سَنِيّة، فقال: يا سيدي، إنما يَنْتَفع الأحياء بمثل هذا، وأما أنا فإني ميّت لا محالة، لأن هذه الجارية كانت حياتي، وخرج عن حضرته، فاختلط وتَغَيَّر عَقلُه، ومات بعد أربعين يوماً.

(١) ف: «حاتم».
(٢) ف: «حاتم بن عدي».
(٣) عدل الشيء أو الحكم: أقامه وسواه. وتعديلها عند قتيبة بن زياد إقامة العدل في أمرها عنده.

قال ابن المعتز: فحدثني عليّ بن يحيى قال: حدثني كاتب الفضل بن مروان: قال:

حدثني إبراهيمُ بن رباح قال:

كنت أتولّى نفقاتِ المأمون، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عريبَ، فأمره أن يَشْتَرِيَها، فاشْتَراها بمائة ألف درهم، فأمرني المأمون بحملها، وأن أحمل إلى إسْحاق مائة ألف درهم أخرى. ففعلتُ ذلك، ولم أدر كيف / أثبتها، فحكيت في الدّيوان أن المِائةَ الألف خرجت في ثمن جَوهرة، والمائة الألف الأخرى خرجت [٢١/٦٨] لصائِغها ودلاَّلها، فجاء الفضلُ بن مروان إلى المأمون، وقد رأى ذلك، فأنكره، وسألني عنه، فقلت: نعم هو ما رأيت، فسأل المأمونَ عن ذلك، وقال: أَوْجبْ وهب لدلاّل وصائغ مائة ألفِ درهم، وغَلّظ القصة، فأنكرها المأمون، فدعاني، ودنوت إليه، وأخبرته أنه المال الذي خرج في ثمن عَرِيب وصلة إسحاق، وقلت: أيّما أصوبُ يا أمير المؤمنين: ما فعلتُ أو أُثبِتُ في الدّيوان أنها خرجت في صلة مُغَنّ وثمن مُغَنّية؟ فضحك المأمون وقال: الذي فَعلتَ أصوبُ، ثم قال للفضل بن مروان: يا نَبَطيّ، لا تعترض على كاتبي هذا في شيء.

وقال ابن المكي: حدثني أبي عن تَحرير الخادم: قال:

دخلتُ يوماً قصر الحرم، فلمحت عريبَ جالسةً[١] على كرسي ناشرة شعرها تغتسل، فسألت عنها، فقيل: هذه عَرِيب[١] دعا بها سَيدُها اليومَ، فافتَضّها.

قال ابن المعتّز: فأخبرني ابن عبد الملك البصريّ:

أنّها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد، وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالته، ثم احتالت في الخروج إليه، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت، حتى حَبِلت منه وولدت بنتاً، وبلغ ذلك المأمون فزَوَّجه إياها.

وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرزور، عن أبيه، وحدّثني به المظفّر بن كيغلغ عن القاسم بن زرزور، قال:

لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جُبّة صوف وختْم زِيقها[٢] وحَبسها في كَنِيف مظلم شهراً لا ترى الضوء، يُدْخَل إليها خبزٌ وملحٌ وماءٍ من تحت الباب / في كل يوم، ثم ذكرها، فَرقّ لها، وأمر [٢١/٦٩] بإخراجها، فلما فُتح البابُ عنها، وأُخرِجَت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني:

/ حجبوه عــن بصـــري فَمثّــل شَخصــهُ ... فـــي القلـــب فهْــو محجّـــبٌ لا يُحجَـــبُ ١٨٣/١٨

فبلغ ذلك المأمونَ، فعجب منها، وقال: لن تَصْلُح هذه أبداً، فزوّجها إيّاه.

نسبة هذا الصوت

صــوت

لـــو كـــان يَقـــدرُ أن يَبُثّــك مـــا بــه ... لـــرأيـــتَ أحســـن عـــاتـــب يتعَتّـــبُ

حجبـــوه عـــن بَصَـــري فمُثّـــل شَخصـــهُ ... فـــي القَلْـــب فهـــو مُحَجّـــب لا يُحجـــبُ

(١ ـ ١) التكملة من: مم، ف.

(٢) زيق القميص ونحوه: ما أحاط بالعنق منه.

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى.

رقعة منها في تركه:

قال ابن المعتزّ: وحدثني لؤلؤٌ صديقُ عليّ بن يحيى المنجّم: قال: حدثني أحمدُ بنُ جعفر بن حامدٍ: قال:

لما توفي عَمِّي محمدُ بن حامد صار جدّي إلى منزله، فنظر إلى تركَتِه، وجعل يُقلّب ما خلّف، ويُخرَج إليه منها الشيءُ بعد الشيء إلى أن أُخرِج إليه سَفَطٌ مختومٌ، ففضَّ الخاتَم، وجعل يفتحه، فإذا فيه رِقاع عَرِيب إليه، فجعل يتصفّحها ويبْتَسم، فوقعت في يده رقعةٌ، فقرأها، ووضعها من يده وقام لحاجة، فقرأتُها فإذا فيها قوله:

صوت

ويلـــي عليـــكَ ومنكـــا ... أوقعـــت فـــي الحـــق شَكّـــا
زعمـــتَ أنّـــي خئـــونٌ ... جَـــوْراً علـــيّ وإفْكَـــا
إن كـــان مـــا قلـــتَ حقـــاً ... أو كنـــت أزمعـــتُ تَـــرْكَـــا
فـــأبـــدلَ الله مـــا بـــي ... مـــن ذِلّـــة الحـــبّ نُسْكَـــا

[٧٠/٢١] / لعَرِيب في هذه الأبيات رمل وهزج، عن الهشاميّ والشّعر لها.

تجيب على قبلة بطعنة:

قال ابنُ المعتز: وحدثني عبد الوهاب بن عيسى الخراسانيّ، عن يعقوب الرّخاميّ: قال:

كنّا مع العباس بن المأمون بالرّقة وعلى شرطته هاشم ـ رجل من أهل خراسان ـ فخرج إليّ، وقال: يا أبا يوسُف، أُلقِي إليك سِرًّا لثقتي بك، وهو عندك أمانة، قلت: هاتِه، قال: كنت واقفاً على رأس الأمين[١] وبي حَرٌّ شديد، فخرجتْ عَرِيبُ، فوقفت معي، وهي تنظرَ في كتاب[٢] فما ملكتُ نفسي أن أومأتُ بقُبْلة، فقالت: كحاشيَة البُرد. فوالله ما أدري ما أرادات، فقلت: قالت لك: طعنة.

قال: وكيف ذاك؟ قلت: أرادت قول الشاعر:

رَمَـى ضـرعَ نـابٍ فـاستمـرّ بطعنـةٍ ... كحـاشيـة البُـرْد اليمـانِـي المُسهّـم[٣]

وحكى هذه القصة أحمد بن أبي طاهر، عن بشر بن زيد، عن عبدالله بـن أيوب بن أبي شمر، أنهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد، وعَرِيب تغنّيهم، فغنّت تقول:

رمـى ضَـرع نـابٍ فـاستمـرِ بطعنـة ... كحـاشيـة البـرد اليمـانـي المسهّـم:

فقال لها المأمون: من أشار إليك بقبلة، فقُلتِ له طعنة؟ فقالت له: يا سيدي، مَن يشير إليّ بقبلة من

(١) ف: «الأمير».
(٢) ف: «وهو ينظر في كتاب».
(٣) الناب: الناقة المسنة، والمراد أن الطعنة كانت نافذة فأحدثت بالضرع ما يشبه النقش المسهم في البرود اليمنية، ويعتبر قولها: كحاشية البرد، من الكنايات الخفية، كأنها تقول لمن أومأ إليها بالقبلة: رميت بمثل هذه الطعنة.
يفهم من هذا أن قصة القبلة الأولى وما لابسها من الطعنة المشار إليها في هذا البيت كانت قد شاعت وتدوولت حتى أوحى تكرار البيت أمام المأمون أن ثمة قبلة أخرى أومأ بها مومىء إلى عريب، فوقف الغناء وجعل يتحرى مصدر هذه القبلة.

مجلسك؟ فقال: بحياتي عليك! قالت: محمد بن حامد، فسكت.

[٢١/٧١] / تحب أميراً وتتزوج خادماً:

قال ابن المعتز: وحدثني محمد بن موسى: قال:

اصطَبح المأمونُ يوماً ومعه ندماؤه، وفيهم محمد بن حامد وجماعةٌ من المغنين، وعريبُ معه على مُصَلّاه، فأومأ محمدُ بنُ حامد إليها بقبلة، فاندفعت تغني ابتداء.

/ رَمَى ضَـرْعِ نـابٍ فـاستَمـرَّ بطَعْنـةٍ   كحـاشيـةِ البـردِ اليمـانـيِّ المسهَّـمِ [١٨٤/١٨]

تريد بغنائها جوابَ محمد بن حامد بأن تقول له: طعنة، فقال لها المأمون: أمسكي، فأمسكت، ثم أقبل على النّدماء فقال: من فيكم أومأ إلى عريب بقبله؟ والله لئن لم يَصْدقْني لأضربنّ عُنقَه، فقام محمد، فقال: أنا يا أمير المؤمنين أومأتُ إليها، والعفو أقرب للتقوى، فقال: قد عفوتُ.

فقال: كيف استدلّ أميرُ المؤمنين على ذلك؟ قال: ابتدأَتْ صوتاً، وهي لا تغني ابتداء إلا لمعنى، فعلمتُ أنها لم تبتدىء بهذا الصوت إلا لشيء أُومىء به إليها، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلاّ إيماء بقبلة، فعلمت أنها أجابت بطعنة.

قال ابن المعتز: وحدثني عليّ بن الحسين:

أنَّ عَريبَ كانت تتعشق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيرُه أنها كانت لا تضرب المَثَل إلا بحُسْنِ وجه أبي عيسى وحُسْنِ غنائه، وكانت تزعم أنها ما عَشِقت أحداً من بَني هاشم وأصْفَته المحبَّةَ من الخُلَفاء وأولادِهم سِواه.

قال ابن المعتز: وحدثني بعضُ جوارينا:

إنّ عَريبَ كانت تتعشّق صالِحاً المنذريّ الخادمَ، وتزوّجته سرًّا، فوجّه به المتوكل إلى مكانٍ بعيد في حاجة له، فقالت فيه شعراً، وصاغت لحنه في خفيف الثقيل وهو:

[٢١/٧٢] / صـوت

أمّـــا الحبيـــبُ فقـــد مضـــى   بـــالـــرغـــم منّـــيَ لا الـــرّضـــا

أخطـــأتُ فـــي تـــركِـــي لمـــن   لـــم ألـــق منـــه مُعَـــوّضـــاً[١]

قال: فغنّته يوماً بين يدي المتوكل، فاستعاده، وجعل جواريه يتغامَزْن ويضحكن، فأصغَتْ إليهنّ سِرًّا من المتوكل، فقالت: ياسَحّاقات، هذا خير من عملكنّ.

قبلي سالفتي تجدي ريح الجنة:

قال: وحُدِّثت عن بعض جواري المتوكل، أنها دخلت يوماً على عريب، فقالت لها: تعالَيْ ويحك إليّ، فجاءت. قال: فقالت: قَبِّلِي هذا الموضع مِنّي فإنك تجدين ريح الجَنَّة فأومأتْ إلى سَالفتِها[٢]، ففعلت، ثم قالت لها: ما السبب في هذا؟ قالت: قبّلَني صالحُ المنذريّ في ذلك الموضع.

(١) ب، مم: «عوضاً» والمثبت من ف، وهو أرجح؛ لأن البيتين من مجزوء الكامل لا مجزوء الرجز. وفي «المختار»: «لم ألف».
(٢) السالفة: ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى نقرة الترقوة.

وقت انسجام لا وقت ملام:

قال ابن المعتز: وأخبرني أبو عبدالله الهشاميّ قال: حدثني حمدون بن إسماعيل، قال: حدثني محمد بن يحيى الواثقيّ، قال:

قال لي محمد بن حامد ليلة: أُحبُّ أن تُفرغ لي مَضْرِبَك، فإني أريد أن أجيئك، فأقيمَ عندك، ففعلتُ، ووافاني، فلما جلس جاءت عريبُ، فدخلت.

وقد حدّثني به جحظة: قال: حدثني أبو عبدالله بن حمدون:

أنّ عَريب زارت محمدَ بنَ حامد، وجَلَسا جميعاً، فجعل يُعاتِبها، ويقول: فعلتِ كذا، وفعلتِ كذا، فقالت لي: يا محمد، هذا عندكَ رأي[1]؟ ثم أقبلت عليه، فقالت: يا عاجز خُذْ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه.

[٢١/٧٣] / وقال جحظة في خبره:

اجعل سراويلي مِخْنَقَتي، وألْصِق خَلْخالِي بقُرْطي، فإذا كان غدٌ فاكتب إليَّ بِعتابك في طومارٍ حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة، ودع هذا الفضولَ، فقد قال الشّاعر:

صـوت

دَعِـي عَـدَّ الـذّنـوب إذا التقينـا ... تعـالَـيْ لا أعـدُّ ولا تعـدِّي[2]

وتمام هذا قوله:

فـأقسـم لـو هممـتِ بمـدّ شعـري ... إلـى نـار الجحيـم لقُلْـتِ مُـدّي

الشعر للمؤمّل: والغناء لعريب، خفيف رمل، وفيه لعلوية رَمَل بالبِنصر من رواية عمرو بن بانة:

مع ثمانية من الخلفاء:

أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخَصِيب: قال:

$\frac{١٨٥}{١٨}$ حدثني أبو الحسن/ عليّ بن محمد بن الفُرات قال: كنت يوماً عند أخي أبي العباس، وعنده عَريب جالسة على دَسْت مفرد لها، وجواريها يغنِّين بين يدينا وخلف ستارتنا، فقلت لأخي ـ وقد جرى ذكر الخلفاء ـ: قالت لي عريب: ناكني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحداً إلا المعتزّ، فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد. قال ابن الفرات: فأصغيت إلى بعض بني أخي، فقلت له: فكيف ترى شهوتها الساعة، فضحك ولَمَحَتْه، فقالت: أيَّ شيء قلتم؟ فجحدتُها. فقالت لجواريها: أمسكن، ففعلن، فقالت: هنّ حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما لَينصرفْنَ جميعاً، وهنّ حرائر[3]. إن حرِدْتُ من شيء جرى، ولو أنها تسفيل، فصَدقتُها. فقالت: وأي شيء في هذا؟ أما الشهوة فبحالها، ولكن الآلة قد بَطَلت[4] أو قالت: قد كَلَّت، عودوا إلى ما كنتم فيه.

(١) الجملة استفهامية حذفت منها أداة الاستفهام، كأنها تقول له: أتوافق على أن هذا وقت عتاب.
(٢) لا في «لا أعد» نافية؛ لأن المرء لا ينهى نفسه؛ ولا الثانية ناهية بدليل حذف النون.
(٣) استئناف لكلام جديد، تبين فيه أنها لن تغضب مما يتساررون به في شأنها مهما يكن.
(٤) ولكن الآلة قد بطلت: تريد أن شبابها ولى.

/ **شرطان فاحشان:** [٢١/٧٤]

وحدثني الحسنُ بن علي بن مودّة: قال: حدثني إبراهيمُ بن أبي العُبَيْس: قال: حدثنا أبي: قال:

دخلنا على عريب يوماً مُسلّمين، فقالت: أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزنيجة صنَعتْها بِدْعة بيدها من لوز رطب، وما حضر من الوظيفة، وأغنيكم أنا وهي، قال: فقلت لها على شريطة، قالت: وما هي؟ قلت: شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين، وأنا أهابُك؟ قالت: ذاك لك، وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل، فقد علمت ما هو، فعجبت لها، وقلت: فقولي، فقالت: أتريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو؟ فقلت: إي والله ذاك الذي أردت. قالت: شرطي أيْرٌ صُلْب، ونَكْهَة طيبة، فإن انضاف إلى ذلك حسنٌ يُوصَف، وجمالٍ يُحْمد فقد زاد قَدرهُ عندي، وإلا فهذان ما لا بدّ لي منهما.

تلقن حبيبها درساً في كيف تكون الهدية:

وحدّثني الحسنُ بنُ علي، عن محمد بن ذي السّيفين إسحاق بن كنداجيق[١]. عن أبيه: قال:

كانت عَريب تُولَع بي وأنا حديث السن، فقالت لي يوماً: يا إسحاق قد بلغني أنَّ عندك دَعْوة فابعث إليَّ نَصيبِي منها، قال: فاستأنَفْتُ طعاماً كثيراً. وبعثت إليها منه شيئاً كثيراً؛ فأقبل رسولي من عندها مُسرِعاً. فقال لي: لما بلغتُ إلى بابها، وعرفَتْ خبري أمَرتْ بالطعام فأُنْهِب وقد وَجّهتْ إليك برسول. وهو معي، فتحيّرت وظننت أنها قد استقصَرَت فِعْلي، فدخَل الخادم ومعه شيء مشدود في منديل ورقعة، فقرأتها، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا عجميّ يا غبيّ، ظننتَ أنّي من الأتراك وَوَخْش[٢] الجند، فبعثتَ إليّ بخبز ولَحم وحلواء، الله المستعانُ عليك، يا فَدَتْك نفسِي، قد وجهت إليك زلّة[٣] من حضرتي، فتعلم ذلك من الأخلاق ونحوه من الأفعال، ولا تستعمل أخلاق العامة، / في ردّ الظرف. فيزداد العيبُ والعَتْبُ عليك إن شاء الله، فكشفت المنديل، فإذا طبق [٢١/٧٥] ومِكبّه من ذهب منسوج على عمل الخلاف، وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق، وقد عَصَبَتْ طرفيهما وفيها قطعتان من صدر درّاج مشوي ونقل وطَلْع[٤] وملح. وانصرف رسولها[٥].

أيهما أغلى: الخلافة أم الخل الوفي؟

قال ابن المعتز: حدثني الهشاميُّ أبو عبدالله. عن رجل ذكره، عن علّوية قال:

أمرين المأمونُ وسائرَ المغنين في ليلة من اللّيالي أنْ نَصِير إليه بُكرةً ليصطبحَ، فغدونا ولَقِيني المراكبيُّ مولى عَرِيب، وهي يومئذ عنده، فقال لي: يأيها الرجل الظالم المعتدي، أما تَرِقّ ولا ترحم ولا تَستحي؟ عريبُ هائمة تَحْلم بك في النوم ثلاث مرات في كلّ لَيْلة، قال علّوية: فقلت: أمُّ الخلافة زانية[٦]. ومضيت معه، فحين / دخلت قلت: استوثق من الباب، فإني أعرَف خلق الله بفضول البَوّابين والحُجاب، وإذا عريبُ جالسةٌ على كرسيّ تطبخ، ١٨٦/١٨

(١) ب: «كنداجين».

(٢) الوخش: الرديء من كل شيء.

(٣) الزلة: ما يحمل إلى الصديق من مائدة صديقه.

(٤) الطلع: ثمر النخل أول ظهوره. وفي ف: «وطلح» والطلح: الموز.

(٥) تشير هذه القصة والرسالة التي بعثت بها عريب إلى أن هذا الطعام إنما يقدم للطعام، أما ما يقدم لمثلها فشيء فوق ذلك يعتمد على الكيف لا على الكم، وقد شفعت رأيها هذا بالنموذج الذي بعثت به إليه.

(٦) أم الخلافة زانية، يريد بهذه العبارة تنبيه عريب، والاستخفاف بموعد الخليفة كائنة ما تكون النتيجة.

وبين يديها ثلاث قدور من دجاج، فلما رأتني قامت تعانقني وَتقبّلني، ثم قالت: أيما أحب إليك أن تأكل من هذه القدور، أو تشتهي شيئاً يُطْبخ لك، فقلت: بل قِدْر من هذه تكفينا، فغرفت قِدْراً منها، وجعلتها بيني وبينها، فأكلنا ودَعَوْنا[1] بالنبيذ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا، ثم قالت: يا أبا الحسن، صَنعت البارحة صوتاً في شعرٍ لأبي العتاهية، فقلت: وما هو؟ فقالت هو:

عَــذِيــري مــن الإنســان لا إن جفــوتــه صَفــا لــي ولا إن كنــت طــوعَ يــديــه[2]

[٢١/٧٦] وقالت لي: قد بقي فيه شيء، فلم نزل نردده أنا وهي حتى استوى، ثم جاء الحُجّاب / فكسروا باب المراكبيّ واستخرجوني، فدخلتُ على المأمون، فلما رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق، وأنا أغنّي الصوت، فسمع وسمع مَنْ عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه، وسألني المأمون عن خبره، فشرحتُه له. فقال لي: ادنُ ورَدّدْه، فردّدْته عليه سبع مرات. فقال في آخر مرة: يا علّوية. خذ الخلافة واعطِني هذا الصاحب.

نسبة هذا الصوت

صوت

عَــذِيــري مــن الإنســان لا إن جَفَــوتُــه صفــا لــي ولا إن كُنــتُ طَــوعَ يــديــه

وإنّــي لمشتــاقٌ إلــى قُــربِ صــاحِــبٍ يَــرُوق ويَصْفُــو إن كَــدرْتُ عليــه[3]

الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية، والغناء لعريب، خفيف ثقيل أول بالوسطى، ونسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة والأصبغ إلى عَلُّوية.

لماذا غضب الواثق والمعتصم عليها:

قال ابن المعتز: وحدثني القاسمُ بن زُرْزور: قال: حدثتني عَرِيبُ قالت: كنت في أيام محمد[4] ابنةَ أربع عشرة سنة، وأنا حينئذ أصوغ الغناء.

قال القاسم: وكانت عريب تكايد الواثق فيما يَصوغُه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحناً أجودَ من لحنه، فمن ذلك:

لــم آتِ عــامــدةً ذَنْبــاً إليــك بَلَــى أُقِــرّ بــالــذنــب فــاعــفُ اليــوم عــن زلّلــي

لَحنُها فيه خَفِيف ثقيل، ولحن الواثق رَمَل، ولحنها أجود من لحنه، ومنها:

أشكــو إلــى الله مــا ألْقَــى مــن الكمَــدِ حَسْبِــي بِــرَبّــي ولا أشكــو إلــى أحَــدِ

لحنُها ولحن الواثق جميعاً من الثقيل الأول، ولحنها أجوَدُ من لَحْنِه.

---

(١) مم: «ودعت».

(٢) ف: «ولا إن صرت» بدل: «ولا إن كنت».

(٣) ف: «وإني لمشتاق إلى ظل صاحب يرق ويصفو أن كدرت عليه

(٤) تقصد محمداً الأمين.

/ نسبة هذين الصوتين [٢١/٧٧]

صوت

لم آتِ عامدةً ذنباً إليك بلى ... أُقِرّ بالذنب فاعفُ اليوم عن زللي

فالصّفح من سيّدٍ أولى لمُعتذرٍ ... وقاك رَبُّك يوم الخوفِ والوَجَلِ

الغِناء للواثق رمل، ولعريب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لِطالب بن يزداد فيه هزجاً / مطلقاً. ١٨٧/١٨

صوت

أشكو إلى الله ما ألقى من الكَمَدِ ... حَسْبي بربي ولا أشكو إلى أحدِ

أين الزمان الذي قد كنت ناعمةً ... في ظِلّه بدنُوّي منك يا سَنَدي

وأسألُ الله يوماً منك يُفْرِحني ... فقد كحلتُ جفونَ العين بالسَّهَدِ

شوقاً إليك وما تدري بما لقيت ... نفسي عليك وما بالقلب من كمدِ[١]

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى، وللواثق ثقيل أول بالبِنْصر.

قال ابن المعتز: وكان سببَ انحراف الوَاثق عنها، وكيادها آياه، وانحرافِ[٢] المعتصم عنها أنه وَجَد لها كِتاباً إلى العَبّاس بن المأمونِ ببَلَد الرُّوم: اقتُلْ أنت العِلْج ثَمّ، حتى أقتل أنا الأعور الليلي هاهنا. تعنى الواثق، وكان يَسْهَر بالليل، وكان المعتصم استخلفه ببغداد.

تغضب على جارية مبتذلة:

قال: وحدثني أبو العُبَيس بنُ حَمْدون قال:

غَضِبت عَريب على بَعْض جواريها المذكورات ـ وسمّاها لي ـ فجئت إليها يوماً. وسألتُها أن تعفو عنها. فقالت في بعض ما تقوله، مما تعتد به عليها من ذنوبها: يا أبا العُبَيْس / إن كنت تشتهي أن ترى زِنايَ وصَفاقةَ [٢١/٧٨] وَجْهي وجراءَتي على كل عظيمة[٣] أيام شبابي[٣] فانظر إليها واعرف أخبارها.

كانت تجيد ركوب الخيل:

قال ابن المعتز: وحدثني القاسم بن زُرْزُور قال: حدثني المعتمد، قال:

حدثتني عَرِيبُ أنها كانت في شبابها يُقدَّم إليها بِرْذَوْن. فتَطفِر عليه بلا ركاب.

تندمج في الصوت فلا تحس لدغ العقرب:

قال: وحدثني الأسديّ: قال: حدثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف بزعفرانة: قال:

تمارى خالي أبو عليّ مع المأمون في صوت، فقال المأمون: أين عَرِيب؟ فجاءت وهي محمومة، فسألها عن

(١) البيت ساقط من ب. والتكملة من ف. مم.
(٢) انحراف. بالكسر عطفاً على انحراف الأولى، أي وكان سبب انحراف المعتصم أنه . . . إلخ.
(٣ ـ ٣) التكملة من ف، مم.

الصوت فقالت فيه بعلمها، فقال لها: غنيّة، فولّت لتجيءَ بعود، فقال لها: غنية بغير عود، فاعتمدت على الحائط للحُمّي وغنّت، فأقبلت عقرب، فرأيتُها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثا، فما نَحّتْ يدها، ولا سكتت. حتى فرغت من الصوت، ثم سقطت وقد غُشِي عليها.

غسالة رأسها تتقسمها جواريها:

قال ابن المعتزّ: وحدثني أبو العباس بنُ الفرات: قال:

قالت لي تحفة جارية عَرِيب: كانت عَرِيبُ تجد في رأسها برْداً، فكانت تغلّف شعرها مكان العِلّة[1] بستّين مثقالاً مِسكاً وعَنبراً، وتغسله من جُمعةٍ إلى جمعة، فإذا غَسلَته أعادته، وتتقسم الجواري غُسالةَ رأسها بالقوارير وما تُسرّحه منه بالمِيزان.

ترتجل معارضة لصوت:

حدثني أحمد بن جعفر جحظة، عن عليّ بن يحيى المنجّم: قال:

دخلتُ يوماً على عَرِيب مسلّماً عليها، فلما اطمأننتُ جالساً هطلت السماء بمَطَر عظيم، فقالت: أقم عندي اليوم حتى أُغَنّيَك أنا وجواريّ، وابعثْ إلى مَنْ أحببتَ من إخوانك، فأمرتُ بدوابيّ فرُدّت، وجلسنا نتحدث، فسألتني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة، ومن كان يغنينا، وأيّ شيء استحسنا من الغناء، فأخبرتها أنَّ صوت الخليفة كان لَحْناً صنعه بنانٌ من الماخوري، فقالت: وما هو؟ فأخبرتها أنه:

[٢١/٧٩] / **صوت**

تُجـافِـي ثـم تَنطَبِـقُ ... جفـونٌ حَشْـوُهـا الأرقُ

وذي كَلَـفٍ بكـى جَـزَعـاً ... وسَفْـرُ القـوم مُنطلِـقُ

/ بـه قَلَـقٌ يُمَلمِلُـه ... وكـان ومـا بـه قَلَـقُ

جـوانحُـهُ علـى خَطَـرٍ ... بِنـارِ الشّـوق تَحتـرِقُ

١٨٨/١٨

فوجّهت رسولاً إلى بنان، فحضر من وقته، وقد بلّته السماءُ، فأَمرت بخِلَع فاخرة، فخُلِعَت عليه، وقُدّم له طعام فاخر، فأكل وجلس يشرب معنا، وسألتْه عن الصوت، فغناها إيّاه فأخذتَ دَواةً ورُقْعَةً وكتبت فيها:

أجـاب الـوابِـلُ الغَـدِقُ ... وصـاح النّـرجِـس الغَـرِقُ

وقـد غنّـى بنـان لَنـا: ... جُفـونٌ حَشْـوُهـا الأرقُ

فهـاتِ الكـأسَ مُتـرعـةً ... كَـأنّ حُبـابَهـا حَـدَقُ

قال عليّ بن يحيى: فما شربنا بقيّة يومنا إلا على هذه الأبيات.

رموز برموز:

حدّثني محمد بن خلف بنُ المرزبان، عن عبدالله بن محمد المروزيّ: قال:

(١) مم، ب: «الغسلة».

قال لي الفضل بن العباس بن المأمون: زارتني عَرِيبُ يوماً ومعها عِدَّةٌ من جواريها، فوافتنا ونحن على شرابنا، فتحادثنا ساعة. وسألتها أن تُقِيم عندي، فأبت وقالت: دعاني جماعة من إخواني من أَهْل الأدب والظَّرف، وهم مجتمعون في جَزيرة المُؤَيِّـد، فيهم إبراهيمُ بن المُدَبِّر وسَعِيدُ بن حُميد ويحيى بن عيسى بن منارة، وقد عزمتُ على المسير إليهم، فحلفت عليها. فأقامت عندنا، ودعت بدواة وقرطاس فكتبت:

بسم الله الرحمن الرحيم وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرفٍ متفرقة لم تزد عليها، وهي: أردت، ولولا، ولعلي[1].

/ ووجهت به إليهم، فلما وصلت الرقعة عَيُّوا بجوابها، فأخذ إبراهيم بن المدبّر الرقعةَ، فكتب تحت أردت: [٢١/٨٠] ليت، وتحت لولا: ماذا، وتحت لعلي: أرجو. ووجهوا بالرقعة فصفَّقت ونَعَرت[2] وشربت رطلاً وقالت لنا: أأترك هؤلاء وأقعد عندكم؟ إذاً تركني الله من يديه، ولكنّي أُخلِّف عندكم من جواريّ مَنْ يكفيكم، وأقوم إليهم، ففعلت ذلك وخلَّفت عندنا بعضَ جواريها، وأخذت معها بعضَهن، وانصرفت.

لها حكم النظام:

أخبرنا محمد بن خلف، عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء، عن أبيه قال:

عتَب المأمون على عَرِيب، فهجرها أياماً، ثم اعتلَّت فعادها، فقال لها: كيف وجدت طعم الهَجْر؟ فقالت: يا أميرَ المؤمنين، لولا مرارة الهجر ما عُرِفت حَلاوةُ الوَصْل، ومن ذَمّ بدءَ الغضب أحمد عَاقبةَ الرضا، قال: فخرج المأمون إلى جلسائه، فحدثهم بالقصة، ثم قال: أتُرى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كبيراً[3]؟.

لا تريد دخيلاً بينها، وبين المأمون:

حدثني محمد بن خلف، عن أبي العيناء، عن أحمد بنِ أبي داوُد: قال:

جرى بين عَرِيب وبين المأمون كَلامٌ، فكلمها المأمون بشيء غَضِبت منه، فَهَجَرتْه أياماً، قال أحمد بنُ أبي دُواد: فدخلتُ على المأمونِ. فقال لي: يا أحمد، اقضِ بيننا، فقالت عريب: لا حاجة لي في قضائه ودخوله فيما بيننا، وأنشأت تقول:

وتخلِط الهجرَ بالوصال لا يدْخُل في الصُّلح بَيْنَنا أحدُ

ماذا كانت تفعل في خلوتها مع محمد بن حامد:

حدّثني محمد بن خلف قال: حدثني محمدُ بن عبد الرحمن، عن أحمد بن حمدون، عن أبيه، قال:

كنتُ حاضراً مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صَلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذاتِ رُعود وبُروق، فقال لي المأمون: اركب الساعة فرسَ النَّوْبة وسِرْ إلى عَسْكر أبي / إسحاق ـ يعني المعتصم ـ فأدِّ إليه رسالتي في كيت وكيت، [١٨٩/١٨] قال: فركبتُ / ولم تَثْبُت مع شمعة، وسمعت وقع حافر دابة، فرهبْت ذَلِك، وجعلت أتوقّاه، حتى صَكَّ ركابي [٢١/٨١]

(١) لعل المراد برموزها: أردت الحضور إليكم، ولولا أنهم منعوني ما تخلفت، ولعلي أستطيع الإفلات، ولعل المراد برموز بن المدبر: ليت ما أردته نفذ، وماذا عساهم يفعلون لو تركتهم، وأرجو تنفيذ ما رجوته.

(٢) نعرت نعيراً ونعاراً: صاحت: وصوتت بخيشومها.

(٣) ف: «كثيراً». ويريد بالنظام الفيلسوف المعروف عند علماء الكلام.

رِكابَ تلك الدّابة، وبَرقت بارقة فأضاءت وَجْه الراكب، فإذا عَرِيبٍ، فقلت: عريب؟ قالت: نعم، حمدون، قلت: نعم. ثم قتل: من أين أقبلتِ[1] في هذا الوقت؟ قالت: من عند محمد بن حامد، قلتُ: وما صنعتِ عنده؟ قالت عريب: [2] ياتكش، عريب[2] تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجةً من مَضْرِب الخليفة وراجعةً إليه، تقول لها: أيّ شيء عَمِلت عنده؟ صَلّيتُ معه التراويح؟! أو قرأت عليه أجزاءً من القرآن، أو دارسته شيئاً من الفقه، يا أحمق تعاتَبنا، وتحادثَنا، واصطلحنا، ولعبنا، وشربنا، وغنينا، وتنايكنا، وانصرفنا، فأخجلتْني وغاظتني، وافترقنا، ومضيت فأدّيت الرّسالة، ثم عدت إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتَنَاشُد الأشعار، وهمَمت والله أن أحدّثَه حديثها، ثم هِبْتُه فقلت: أقدّم قبل ذلك تعريضاً بشيءَ من الشعر، فأنشدته:

ألا حـيِّ أطـلالاً لـواسعـة الحبـل[3] ... ألـوفٍ تسوّى صالـح القـوم بـالـرّذْل

فلـو أن مـن أمسَـى بجـانـب تلْعـة ... إلـى جبلـيْ طـيٍّ فسـاقطـة الحَبْـلِ

جلـوسٌ إلـى أن يَقْصـر الظّـلّ عنـدهـا ... لـراحـوا وكُـلّ القـوم منهـا علـى وصْـل

فقال لي المأمون: اخفِض صوتَك لا تَسمعُك عَرِيب فتَغْضَب، وتظنّ أنّا في حديثها، فأمسكتُ عما أردت أن أخبره، وخار الله لي في ذلك.

تُعشَق ولا تَعشق:

[٢١/٨٢] حدثني محمد بن أحمد الحكيمي: قال: أخبرني ميمون بن هارون، قال: قال لي / ابن اليزيدي: حدثني أبي قال: خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الرّوم، فرأيت عريبَ في هودج، فلما رأتني قالت لي: يا يزيديّ، أنشدني شعراً قلتَه حتى أصنع فيه لحناً[4] فأنشدتها:

مـاذا بقلبـي مـن دوامِ الخفـقِ[5] ... إذا رأيـتُ لمعـانَ البَـرْقِ

مـن قِبَـلِ الأردنِّ أو دِمشْـقِ ... لأنّ مـن أهـوَى بـذاك الأُفـقِ

فـإن فيـه وهـو أعـزّ الخَلْـق ... علـيّ والـزّورُ خـلاف الحـقّ[6]

ذاك الـذي يَملِـك منّـي رِقّـي ... ولسـت أبغِـي مـا حَييـتُ عِتقِـي

قال: فتنفّستْ تنفّساً ظننت أن ضُلوعَها قد تقصّفت منه، فَقلْتُ: هذا والله تنفس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجز[7] أنا أعشق، والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس، فادّعاها من أهل المجلس عشرون رئيساً طريفاً.

(١) لفظ «أقبلت» من ف.
(٢ ـ ٢) تكملة من ف، ولم نجد لتكش أصلاً في العربية.
(٣) واسعة الحبل: كناية عن أنها لا تردّ يَدَ لامس، والأبيات الثلاثة في وصف امرأة متهتكة غاية التهتك. وفي «المختار»: «... لقاطعة الحبل... تساوي صالح القوم بالنذل».
(٤) ب: «أنشدني شعراً قلت حتى أسمع فيه لحناً».
(٥) في «المختار»: «من أليم الخفق».
(٦) هذا البيت من «المختار».
(٧) ف: «يا عاض» والمعضوض محذوف لمعرفته.

بيتا عباس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبها:

حدثني محمد بن خلف: قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر: قال: حدثني أحمدُ بنُ حَمْدون: قال:.

وقعَ بَين عَرِيب وبين محمد بن حامد شَرّ، وكان يَجِد بها الوَجْد كُلَّه، فكادا يَخرُجان من شَرّهما إلى القطيعة، وكان في قلبها منه أكثرُ مما في قلبه منها، فلقيته يوماً، فقالت له: كيف قلبُك يا محمد؟ قال: أشقى والله ما كان[1] وأقرحُه، / فقالت له: استبدل تسْلُ[2]، فقال لها: لو كانت البلوى باختيار لَفعلت: فقالت: لقد طال إذاً تعبك، [٢١/٨٣] فقال: وما يكون؟ أصْبِر مُكْرَهاً، أما سَمعتِ قَولَ العباس بن الأحنف.

تَعَبٌ يطول[3] مع الرجاء بذي الهَوى | خَيرٌ له من رَاحةٍ في اليأسِ
لولا كرامتكُم لما عاتَبتُكم | ولكنتُمُ عندي كبَعْضِ النّاس

/ قال: فذرفَت عيناها، واعتذرت إليه وأعتَبَتْه، واصطلحا، وعادا إلى أفضلِ ما كانا عليه. ١٩٠/١٨

اختلاف في فن عريب:

حدثني أحمد بن جعفر جحظة: قال: قال لي أبو العباس بن حمدون ـ وقد تجاذبنا[4] غناءَ عَرِيب ـ ليس غناؤها مما يعتدّ بكثرته، لأن سَقَطه كثير، وصنعتها ساذجة، فقلت له: ومن يُعرَف في الناس كُلّهم من مُغنيّ الدولة العباسية سَلِمت صنعتُه كلّها حتى تكون مثلَه! ثم جعلت أعدّ ما أعرفه من جَيّد صَنْعَتها ومُتَقَدّمها وهو يعترف بذلك، حتى عددت نحواً من مائة صوت مثل لحنها في:

* يا عزّ هل لكِ في شيخٍ فتًى أبدا *
و * سيسليك عما فات دولةُ مفضلٍ *
و * صاحِ قد لمت ظالماً *
و * ضحك الزمان وأشرقت *

ونحو هذا، ثم قال لي: ما خَلّفتْ عريبُ بعدها امرأةً مثلَها في الغناء والرّواية والصَّنْعة، فقلت له: لا، ولا كثِيراً من الرجال أيضاً.

قصة لحن في بيت يتيم:

ولعريبَ في صنعتها:

* يا عزّ هل لكِ في شيخٍ فتى أبداً *

/ خبرٌ أخبرني ببعضِه أحمد بنُ عبيد الله بن عمار، عن ميمون بن هارون. [٢١/٨٤]

وذكر ابن المعتز أن عبد الواحد بنَ إبراهيم بن الخصيب حدّثه عَمَّن يثِق به، عن أحمد بنِ عبدالله بن إسماعيل المراكبيّ: قال:

(١) أشقى: مضافة إلى «ما»، والقسم فاصل بين المتضايفين، يريد أن يقول: قلبي أشقى ما كان وأقرحه والله.
(٢) ب: «استبدل بديلاً».
(٣) ب: «يكون». وفي «المختار»: «لذي الهوى».
(٤) ب: «تجارينا».

قالت لي عريب: حج بي أبوك وكان مضعوفاً، فكان عديلي، وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستنشدُهم الأشعارَ، وأكتب عنهم النوادر وسائرَ ما أسمعه منهم، فوقف شيخٌ من الأعراب علينا يسأل، فاستنشدتُه، فأنشدني:

يـا عـزّ هـل لـك فـي شيـخ فَتًـى أبـدا وقـد يكـون شَبـابٌ غَيـرُ فِتيـان

فاستحسنتُه، ولم أكن سمعته قبل ذلك، قلت: فأنشدني باقي الشعر، فقال لي: هو يتيم، فاستحسنت قوله وبرَّرتُه، وحفظت البيت وغنّيت فيه صوتاً من الثقيل الأول، ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه، فلمّا كان في ذلك اليوم عَشِيًّا قال لي: ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدَك إياه الأعرابيّ، وقال لك: إنه يتيم. أنشدينيه إن كنت حَفِظْته، فأنشدتُه، إياه، وأعلمته أني قد غنّيت فيه، ثم غنيته له، فوهب لي ألف درهم بهذا السبب، وفرح بالصوت فرحاً شديداً.

قال ابن المعتز: قال ابن الخصيب:

فحدثني هذا المحدِّث أنه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكل ـ ومن ها هنا تتصل روايةُ ابن عَمَّار، عن ميمون، وقد جَمعتُ الرّوايتين إلا أن مَيْمونَ بنَ هارون ذَكَر أنهم كانوا عِنْد جَعْفر بنِ المأمون، وعندهم أبو عيسى، وكان عندهم عليُّ بنُ يَحْيى، وبِدعة جاريةُ عَرِيب تغنيهم ـ فذكر عليُّ بنُ يحيى أن الصَّنعةَ فيه لِغَير عَرِيب، وذكر أنها لا تَدَّعي هذا وكابَرَ فيه، فقام جعفرُ بنُ المأمون، فكتب رُقْعَة إلى عريب ـ ونحن لا نعلم ـ يسألُها عن أمر الصوت وأن تكتب إليه بالقصة، ففعلت، فكتبت إليه بخطها:

[٢١/٨٥] / بسم الله الرحمن الرحيم.

هَنِيًّـا لأربـاب البيـوت بُيـوتُهـم وللعَـزَب المسكيـن مـا يَتَلَمَّـسُ

أنا المسكينة، وحيدة فريدة بغير مؤنس، وأنتم فيما أنتم فيه، وقد أخذتم أنسى ومن كان يُلهيني، تعني جاريتها: بدعة وتحفة ـ فأنتم في القصف والعزف، وأنا في خلاف ذلك، هناكم الله وأبقاكم[١]، وسألتَ ـ مدّ الله في عمرك ـ عما اعْتَرضَ فيه فلان، والقِصَّةُ في هذا الصوت / كذا وكذا، وقصَّتْ قِصَّتها مع الأعرابيّ كما حدّثت به، ولم تَخْرُم حرفاً منها، فجاء الجواب إلى جَعْفر بن المأمون فَقرأه وضحك. ثم رمى به إلى أبي عيسى، ورمى به أبو عيسى إليّ، وقال: اقرأه، وكان عليّ بن يحيى جالساً إلى جَنْبِي، فأراد أن يَسْتَلِب الرقعة، فمنعته، وقمت ناحية، فقرأتُها: فأنكر ذلك، وقال: ما هذا؟ فورّينا الأمرَ عنه لئلا تقع عربدة، وكان ـ عفا الله عنا وعنه ـ مبغضاً لها.

١٩١/١٨

تروي قصة غرامية عن أبي محلم:

قال ابن المعتز: وحدثني أبو الخطّاب العَبّاسُ بنُ أحمدَ بنِ الفُرات، قال: حدّثني أبي، قال:

كنا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب وعَرِيبُ حاضرةٌ إذ غَنّى بعضُ مَنْ كان هناك:

يـا بـدرُ إنّـك قـد كُسِيـت مشـابهـاً مـن وجـه ذاك المستنيـرِ الّـلائـحِ
وأراك تمصَـح[٢] بـالمحـاق، وحسنُهـا بـاقٍ علـى الأيـام ليـس ببـارح

فضحكت عَرِيب وصفَّقت وقالت: ما على وجه الأرض أحدٌ يعرف خبر هذا الصَّوتِ غيري، فلم يُقدِم أحدٌ منا

(١) ف: «وأمراكم».
(٢) مصح يمصح مصوحاً: ذهب وانقطع، والمراد هنا ذهاب الضوء، وفي ف: «تمسح»، وفي «المختار»: «تسمج بالمحاق».

على مسألتها عنه غيري، فسألتها، فقالت: أنا أخبركم بقصته، ولولا أن صاحب القِصَّة قد مات لَمَا أخبرتكم، إن أبا مُحلِّم قدِمَ بغداد، فنزل بقرب دار صالح المسكين في خانٍ هناك، فاطّلعت أُمُّ محمد[1] ابنةُ صالح يوماً، فرأته / يبول، فأعجبها مَتاعُه[2]. وأحبّت مواصلته، فجعلت لذلك علّة بأن وَجَّهتْ إليه تقترض منه مالاً، وتُعلِمُه أنها في [٢١/٨٦] ضِيقَة وأنّها تَرُدُّه إليه بعد جُمْعَة، فَبَعَث إليها عَشرةَ آلافِ دِرْهم، وحلَف أنّه لو مَلَك غيرَها لبَعَث به، فاستحسنتْ ذلك وواصلته، وجعلت القرضَ سبباً للوُصْلة، فكانت تُدخلُه إليها ليلاً، وكنت أنا أغنّي لهم، فشربنا ليلة في القمر، وجعل أبو مُحَلِّم ينظر إليه، ثم دعا بدواة ورقعة، وكتب فيها قوله:

يــا بــدرُ إنــك قــد كُسِيــتَ مشــابهــاً مــن وَجْــهِ أُمِّ محمــد ابنــةِ صَــالــحِ

والبيت الآخر، وقال لي: غنّي فيه، ففعلتُ واستحسنّاه وشربنا عليه، فقالت لي أم محمد في آخر المجلس: يا أختي، قد تنبّلت[3] في هذا الشعر إلا أنّه سيبقى عليَّ فَضِيحة آخر الدهر، فقال أبو مُحَلِّم: وأنا أغيّره، فجعل مكان أمّ محمد ابنة صالح، «ذاكَ المستنير اللائح». وغَنَّيتُه كما غيَّره، وأخذه الناسُ عني، ولو كانت أُمُّ محمد حَيّة لما أخبرتكم بالخَبر.

فأما نِسْبة هذا الصوت

فإنَّ الشعر لأبي مُحَلِّم النَّسَّابة، والغِناء لعَريب ثَقيل أوّل مُطْلَق في مَجْرى الوُسْطى من رواية الهِشاميّ وغيره، وأبو مُحَلِّم اسمه عوف بنُ مُحَلِّم.

تستزير حبيبها فيخشى على نفسه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، عن ميمونِ بن هارون: قال:

كتبت عَرِيبُ إلى محمد بن حامد ـ الذي كانت تهواه ـ تستزِيرُهُ، فكتب إليها: إني أخاف على نفسي، فكتبت إليه.

صوت

إذا كنــــتَ تحــــذرُ مــــا تحــــذرُ وتـــزعُـــم أنـــك لا تَجسُـــرُ
فمـــالـــي أُقِيـــمُ علـــى صَبْـــوَتـــي ويَـــومُ لِقـــائِـــك لا يُقـــدَرُ

/ فصار إليها من وقته.

[٢١/٨٧] لعريب في هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرا في الخبر رَمَل،/ولشاريه خَفِيف رمل، جُمعا من رواية ١٩٢/١٨ ابن المعتز، والبيتان الآخران:

تبيَّنْــتَ عــذري ومــا تَعــذِر وأبليــتَ جسمــي ومــا تشعــرُ

(١) ف: «أم صاخ» وهو تحريف بدليل ما جاء في النص الوارد في البيت الثاني.
(٢) متاعه: قُبُله.
(٣) ف: «يا بنتي إنك قد غنيت». وتنبلت: أظهرت مهارة وحذقاً.

أَلِفْــــتَ السُّـــــرورَ وخَلَّيْتَنـــــــي[١] ودَمْعِـــي مـــن العيـــن مـــا يَفتــرُ

وذكر ميمون في هذا الخبر أن محمدَ بن حامد كتب إليها يُعاتبها في شيء كَرِهَه، فكتبت إليه تعتذر، فلم يقبل، فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت.

صوت

أحببـــتُ مـــن شعـــر بَشّـــار لحبكُـــم بَيْتـــا، كلِفـــت بـــه مـــن شِعْـــرِ بَشّـــار

يـــا رحمـــةَ اللّـــهِ حُلّـــي فـــي مَنـــازِلنـــا[٢] وجـــاوِرينـــا فـــدَتْـــكِ النَّفـــسُ مـــن جـــارِ

إذا ابتهلـــتُ ســـألـــتُ اللّـــهَ رحمتَـــه كنيـــتُ عنـــك ومـــا يَعـــدُوك إضمـــاري

الشعرُ لأبي نُواس منه البيت الأول، والثاني لبشار ضمنّه أبو نواس، والغناء لعريب ثقيل أول بالبنصر، ولعمرو بن بانة في الثاني والثالث رمل.

وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عَمّ نجاح بن سَلَمة الكاتب.

رحمة حبيبة بشار ورحمة حبيب أبي نواس:

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأخفَشُ، عن محمد بن يزيد النحويّ: قال:

كان بَشّارٌ يُشبِّبُ بامرأة يقال لها رحمة، وكان أبو نواس يتعشق غلاماً اسمه رحمة بن نجاح، عَم نَجَاحِ بنِ سَلَمَة الكاتب، وكانت متقدماً في جماله، وكان أبوه / قد ألزمه وأخاه[٣] رجلاً مدنياً، وكان معهم كأحدهم، وأكثر [٨٨/٢١] أبو نواس التّشبيبَ برحمة في إقامته ببغداد وشخوصه عنها، وكان بشار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها.

يـــا رحمـــةَ الله حُلّـــي فـــي منـــازلنـــا حَسْبـــي بـــرائحـــة الفِـــرْدَوْس مـــن فِيـــكِ

يـــا أطيـــبَ النـــاسِ ريقـــاً غيـــرَ مُخْتَبَـــرِ إلا شهـــادةَ أطـــرافِ المســـاويـــكِ

فقال أبو نواس، وضمّن بيت بَشّار.

أحبيـــت مـــن شعـــر بشـــار لِحُبّكـــم بَيْتـــاً كَلِفـــت بـــه مـــن شِعْـــر بَشّـــار

الأبيات الثلاثة....

وقال فيه:

يـــا مَـــن تـــأهّـــب مُـــزمعـــاً لِـــرواحِ مُتَيَمِّمـــاً بغـــدادَ غيـــرَ مُـــلاحِ

فـــي بَطْـــن جَـــارِيـــة كَفَتْـــك بسَيْـــرهـــا رَمَـــلاً وكـــلّ سِبـــاحـــة السَّبّـــاحِ[٤]

بُنِيـــت علـــى قَـــدَرٍ ولاءم بينهـــا صِنْفـــان مـــن قـــارٍ ومـــن ألـــواحِ

(١) ف، مم: «وخلفتني».
(٢) يريد بشار رحمة محبوبته كما يشير إلى ذلك البيت الثالث، وكما ورد في القصة، والمضمن ـ كما يدل سياق القصة أيضاً ـ هو المصراع الأول من البيت الثاني، لا البيت كله.
(٣) أخاه معطوف على الهاء في ألزمه.
(٤) جارية: يقصد سفينة جارية، والرَّمَل: ضرب من السَّير، وهو الهرولة، ويريد أن السفينة كفتة مؤونة السير على القدم واجتياز النهر سباحة.

وكــأنهــا ـ والمــاء ينضــح صــدرَهــا والخَيــزُرانــةُ[1] فــي يَــدِ المــلاَّحِ ـ
جُــونٌ[2] مــن الغِــربــان يبتــدر الــدّجــى يَهْــوِي بصَــوْتٍ واصطِفــاقِ جَنــاحِ
سلِّــم علــى شــاطــى الصَّــراة[3] وأهلِهــا واخصُــص هنــاك مَــدينــةَ الــوَضّــاحِ
/ واقصــدْ ـ هُــدِيــتَ[4] ـ ولا تكــن متحيّــراً فــي مقصــدٍ عــن ظَبْــيِ آلِ نَجــاحِ

[٢١/٨٩]

عــن رحمــة الــرحمــن واســأل مَــنْ تــرى سِيمــاهُ سِيمــا شــارِبٍ للــرّاحِ
فــإذا دُفِعْــتَ إلــى أغــنَّ وألثَــغٍ ومُنَعَّــمٍ ومُكَحَّــلٍ ورَدَاحِ[5]
وكشَمْسِنــا وكبــدرنــا حــاشــى التــي سَمَّيْتُهــا منــه بنَــوْرِ أقــاحِــي
/ فاقصِــد لــوقــت لِقــائــه فــي خَلْــوةٍ لِتَبُــوحَ عنــي ثَــمَّ كــلَّ مبــاحِ

193/18

واخبِــرْهُ[6] بمــا أحبَبْــتَ عــن حــالــي التــي ممسَــايَ فيهــا واحــدٌ وصَبــاحِــي

قال: فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذِكر ابنه بأن عَقَدَ بينه وبينه حُرْمَة، ودعاه إلى منزله، فجاءه أبو نواس والمدينيّ لا يعرفه، فمازحه مِزاحاً أسرف عليه فيه، فقام إليه رحمة، فعرفه أنه أبو نواس، فأشفق المدينيّ من ذلك، وخاف أن يهجوه ويشَهِّر اسمه، فسأل رحمةَ أن يكلمه في الصفح له والإغضاءِ عن الانتقام، فأجابه أبو نواس وقال:

اذهــبْ سلمــتَ مــن الهجــاء ولــذعِــه وأمَــا ولَثغــةِ رحمــةَ بــنِ نجــاحِ
لــولا فُتــورٌ فــي كــلامــك يُشتَهــى وتَــرفُّقِــي لــك بعــدُ واستِمــلاحِــي
وتَكَسُّــرٌ فــي مقلتيــك هــو الــذي عَطَــفَ الفُــؤادَ عليــكَ بعــد جِمــاحِ
لَعلِمــتَ أنّــك لا تمــازِحُ شــاعِــراً فــي ســاعــةٍ ليســت بحيــنِ مُــزاحِ

مدخل إلى ترجمة معقل بن عيسى:

صـوت

أأبكــاك بــالعُــرُف المنــزلُ ومــا أنــتَ والطّلَــلُ المُحــوِلُ؟
ومــا أنــتَ ويْــكَ ورســمُ الــدِّيَــارِ وسِنُّــكَ قــد قــاربــت تكمُــلُ؟

/ عروضه من المتقارَب، والشعر للكميت بنِ زيد الأسديّ، والغناء لمُعقِل بنِ عِيسى أخِي أبي دُلَفٍ العِجليّ، [٢١/٩٠] ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر، وهذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبدَ الرحمن بنَ عَنْبسة بنِ سَعِيد بنِ العاصِي بن أمية.

(١) الخيزرانة: مجداف السفينة.
(٢) جون: خير كأن، والجونُ: الأبيض والأسود، والمراد به هنا الأسود.
(٣) الصَّراة: نهر بالعراق، وفي ب، مم: «السَّراة».
(٤) ف: «واقصد هناك».
(٥) الرداح: الثقيل الأوراك.
(٦) وصلت همزة (أخبر) لضرورة الشعر.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدثني الحسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ، عن عليّ بن هشام[1] ، عن محمد بنِ عبد الأعلى بن كناسة: قال:

كان بين بني أسد وبين طيء بالحُصّ - وهي قريبة من قادِسِيّة الكوفة - حربٌ، فاصطلحوا وبقي لطيء دِماءُ رَجُلَين، فاحتمل ذلك رَجلٌ من بني أسد، فمات قبل أن يؤدّيه، فاحتمله الكميت بن زيد، فأعانه فيه عبدُ الرحمن بنُ عَنْبسة، فمدحه بقوله:

أأبكـــاك بـــالعُـــرُفِ المنـــزلُ وَمـــا أنـــتَ والطّلَـــلُ المحـــوِلُ

فأعانه الحكم بن الصلت الثقفيّ، فمدحه بقصيدته التي أولها:

* رأيـــتُ الغـــوانـــيَ وحشـــاً نُفُـــورا *

وأعانه زيادُ بن المُغفّل الأسديّ، فمدحه بقصيدته التي أولها:

* هـل للشبـاب الـذي قـد فـات مـن طلـب؟ *

ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء، فأقبل الرجل يعطي الكميتَ المائتين، والثلاث المائة، وأكثر وأقل، قال: وكانت دِيَةُ الأعرابي حينئذ ألفَ بَعِير ودِيةُ الحَضريّ عَشْرةَ آلافِ دِرهم، وكانت قيمة الجمل عَشْرة دراهم، فأدّى الكميتُ عِشرين ألفاً عن قيمة ألفي بَعِير.



[٩١/٢١]

/ نسبة ما في أشعار الكميت هذه من الأغاني

صوت

منها:

هـل للشبـاب الـذي قـد فـات مـن طلـبِ أم ليـس غـابـرُه المـاضـي بمُنقلـبِ

١٩٤/١٨ / دَعِ البكاء علـى مـا فـات مـن طلـب فـالـدهـر يـأتـي بـألـوان مـن العَجـبِ

غنّاه إبراهيمُ الموصليّ خَفِيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق.

(١) ف: «حدثنا أبو مسلم علي بن مسلم» بدل «عن علي بن هشام».

/ ذكر معقل بن عيسى

[٢١/٩٢]

شاعر مغن:

كان معقِلُ بن عيسى فارساً شاعراً جَواداً، مغنّياً فَهِماً بالنّغم والوتر، وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دُلَف وتَقريظِه في المعرفة بالنغَم، وقال: إنه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقته صَنْعةً؛ إذ سَلَّم ذلك له أخوه مَعْقِل، وإنما أخملَ ذكرَه ارتفاعُ شأن أخيه، وهو القائل لأبي دلف في عَتْبٍ عَتَبه عليه:

أُخَيَّ مالَكَ ترميني فتُقصِدَني ... وإن رَمَيْتُك سهماً لم يجُزْ كبِدي

أُخَيَّ مالَكَ مجبولاً على تِرتي ... كأن أجسادنا لم تُغْذَ[1] من جسدِ

وهو القائل لمخارق، وقد كان زار أبا دلف إلى الجبل، ثم رجع إلى العراق، أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكريّ:

صوت

لعمري لئن قَرَّتْ بقُربك أعينٌ ... لقد سَخِنت بالبَيْن منك عُيونُ

فَسِرْ أو أقِم وقفٌ عليك محبَّتي[2] ... مكانُك من قلبي عليك مَصونٌ

فما أوحشَ[3] الدنيا إذا كنتَ نازحاً ... وما أحسنَ الدنيا بحيثُ تكونُ

عروضه من الطويل، والشعر لمعقل بن عيسى، والغناء لمخارق، ولحنه من الثَّقِيل الأول بالوسطى، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل، وفيه ثاني ثقيل يقال: إنه لمخارق، ويقال: إنه لمعقل.

/ ومن شعر معقل قولُه يمتدح المعتصمَ، وفيه غِناء للزُّبَيْر بن دَحْمان من الثقيل الأول بالبنصر: [٢١/٩٣]

صوت

الدارُ هاجك رسمُها وطلولُها ... أم بَيْنُ سُعْدَى يوم جَدَّ رحيلُها

كُلٌّ شجاك فقل لعينك أعْوِلي ... إن كان يُغني في الديار عَويلُها

ومحمدٌ زينُ الخلائف والذي ... سَنَّ المكارمَ فاستَبان سَبِيلُها

(١) ف: «لم تغد».
(٢) ف: «مودتي».
(٣) ف: «فما أقبح».

صـوت

ألَيـسَ إلـى أجبـال شمـخٍ إلـى اللّـوى ... لِـوَى الـرّمـل يـومـاً للنّفـوس مَعـادُ؟

بِـلادٌ بهـا كُنّـا، وكنّـا مِـنَ اهلِهـا ... إذِ النّـاسُ نـاسٌ والبـلادُ بـلادُ

الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا، والغناء لابن محرز، ولحنه من الثّقيل الأول بالبنصر عن ابن المكي، وقيل: إنه من منحوله إليه.

خبر رجل من عاد:

أخبرني ابن عمار[1] عن أبي سعد، عن محمد بن الصّبّاح: قال: حدثنا يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيميّ[2] عن الهيثم بن عديّ: قال: أخبرني حمّاد الرّواية: قال:

حدثني ابنُ أخت لنا من مراد: قال: ولِيتُ صدقاتِ قومٍ من العرب، فبينا أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم: ألا أريك عجباً؟ قلت: بلى، فأدخلني في / شِعب من جبل، فإذا أنا بسهم من سهام عاد، فتى قد نشب في ذِروة الشّعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب:

[٩٤/٢١] / ألا هَـلْ إلـى أبيـاتِ شمـخ إلـى اللّـوى ... لِـوى الـرّمـل يـومـاً للنفـوس معـادُ؟

بـلاد بهـا كُنّـا وكنـا مِـنَ أهلهـا ... إذِ النّـاسُ نـاسٌ والبـلاد بـلادُ

ثم أخرجني إلى ساحل البحر، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً، ويظهر تارة، وإذا عليه مكتوب: يا بن آدم يا بن عبدِ ربه، اتّقِ الله، ولا تعجل في أمرك، فإنك لن تسبق رزقك، ولن تُرزق ما ليس لك، ومن البصرة إلى الديل ستمائة فرسخ، فمن لم يصدق بذلك فليمشِ الطريقَ على الساحل حتى يتحقّقه، فإن لَمْ يَقْدِر على ذلك فلينْطَحْ برأسه هذا الحجر.

/ صـوت

[٩٥/٢١]

يـا بيـتَ عـاتكـةَ الـذي أتعـزّلُ ... حَـذَرَ العِـدا وبـه الفُـؤادُ مـوكّـلُ

إنـي لأمنحُـكَ الصّـدودَ وإنّنـي ... قَسمـاً إليـك مـع الصّـدود لأميَـلُ

أتعزله: أتجنبه وأكون بمعزل عنه. العِدا: جمع عدوّ، ويقال عُدًا بالضم وعِدا بالكسر، وأمنحك: أعطيك. والمنيحة: العطية. وفي الحديث أن رجلاً منح بعض ولده شيئاً من ماله، فقال له النبي ﷺ: أكلَّ ولدك منحتَ مثل هذا؟ قال: لا، قال: فارجعه.

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاري، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق ويونس وغيرهما، وفيه لابن سُرَيج خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن الهشامي وابن المكي وعلي بن يحيى.

---

(١) ف: «أحمد بن عبيد الله بن عمّار».

(٢) ف: «التميمي».

/ الأحوص وبعض أخباره

[٢١/٩٦]

الأحوص يعارض ابن أبي دباكل أو يسرقه:

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحرميّ عن الزبير[١] قال: حدثني عمر بن أبي بكرٍ المؤمّلي، وأخبرنا به الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مُصْعَب الزبيريّ، عن المؤمّلي، عن عمر بن أبي بكر الموصلي، عن عبدالله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر: قال:

خرجت أنا والأحوصُ بنُ محمد مع عبدِالله بن الحسن بن الحسن إلى الحج، فلما كنا بقُدَيْد قلنا لعبدالله بن الحسن: لو أرسلت إلى سليمانَ بن أبي دُباكل، فأنشدَنا شيئاً من شعره، فأرسل إليه فأتانا، فاستنشدناه، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها:

يا بيتَ خَنْساءَ الذي أتجنَّب ... ذهب الشباب وحُبُّها لا يَذْهبُ

أصبحتُ أمنَحُكِ الصدودَ[٢] وإنَّني ... قَسَماً إليك مع الصّدود لأجنُبُ

ما لي أحنُّ إلى جمالِك قُرِّبت ... وأصُدُّ عنك وأنت مِنّيَ أقربُ

لله دَرُّك هل لديك مُعوَّلٌ ... لمتيَّمٍ أم هل لودّك مَطلبُ؟

فلقد رأيتك قبل ذاكَ وإنني ... لمُوكَّلٌ بهواك أو مُتَقَرِّب

إذ نحن في الزمن الرخيّ وأنتمُ ... متجاورون كلامُكم لا يُرقَبُ

تبكي الحمامةُ شَجوها فتَهيجُني ... ويروح عازبُ همِّيَ المتأوِّبُ

وتَهبُّ جاريةُ الرياح مِنَ ارضكم[٣] ... فأرى البلاد لها تُطِلُّ وتُخصِبُ

/ وأرى السَّمِيّة باسمكم فيزيدُني ... شوقاً إليك رجاؤك المُتَنَسِّبُ[٤]

[٢١/٩٧]

// وأرى العدوَّ يودّكم فأوَدّه ... إن كان يُنسب منك أو لا يُنسبُ

وأُخالِف الواشِينَ فيك تجمُّلا ... وهمُ عليَّ ذوُو ضغائنَ دُؤَّبُ

ثم اتخذتِهم عليَّ وَليجةً[٥] ... حتى غَضِبتُ ومثلُ ذلك يُغضِبُ

(١) ف: «الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار».

(٢) ف: «إني لأمنحك الصدود»، وكاف الخطاب مكسورة على اعتبار أن المخاطب محبوبته الخنساء، أو مفتوحة على أن المخاطب بيتها والأول أنسب.

(٣) وصل همزة أرض لضرورة الشعر.

(٤) هذا البيت تكملة من ف، وهو ساقط من باقي النسخ.

(٥) وليجة: أصدقاء وأعوان.

قال: فلما كان من قابل حجّ أبو بكر بنُ عبد العزيز بن مروان، فقدم المدينة، فدخل عليه الأحوصُ، واستصحبه فأصحبه، فلما خرج الأحوصُ قال له بعض من عنده: ماذا تريد بنفسك؟ تقدُم بالأحوص الشام، وبها من يُنافِسك من بني أبيك، وهو من الأفَن والسَّفَه على ما قد علمت فيَعِيبُونك به. فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص متنجّزاً لما وعده من الصحابة[(١] فدعا له بمائة ديناء وأثواب وقال: يا خال، إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت[١)] أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه، فيجبهكَ فيشمَتَ بك عدوّي من أهل بيتي، ولكن خُذْ هذه الثيابَ والدنانير، وأنا مستأذن لك أميرَ المؤمنين، فإذا أذن لك كتبت إليك، فقدمتَ عليّ، فقال له الأحوص: لا ولكن قد سُبِعْتُ[٢] عندك، ولا حاجة لي بعطيّتك، ثم خرج من عنده، فبلغ ذلك عمرَ بنَ عبد العزيز، فأرسل إلى الأحوص وهو يومئذ أميرُ المدينة، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار، وكساه ثياباً فأخذ ذلك، ثم قال له: يا أخي هَبْ لي عِرْض أبي بكر، قال: هو لك، ثم خرج الأحوص، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دُباكل قصيدةً مدح بها عمرَ بنَ عبد العزيز.

[٢١/٩٨] / وقال حماد: قال أبي: سرق أبيات سلميان بأعيانها، فأدخلها في شِعره، وغيّر قوافِيَها فقط، فقال:

يـا بيـتَ عـاتكـة الـذي أتعـزَّل ... حـذَر العِـدَا وبـه الفـؤاد مـوكّـل
أصبحـتُ أمنحُـك الصّـدودَ وإنَّنـي ... قَسَمـاً إليـك مـع الصّـدود لأمْيَـل
فصـددتُ عنـك ومـا صـددتُ لبِغْضـةٍ ... أخشـى مقـالـةَ كـاشـحٍ لا يَعْقِـلُ
هـل عيشُنـا بـك فـي زمـانـك راجـعٌ ... فلقـد تفـاحـش[٣] بعـدك المتعلّـل؟
إنـي إذا قُلـتُ استقـام يحُطُّـه ... خُلْـفٌ كمـا نظـر الخِـلافَ الأقبَـلُ[٤]
لـو بـالّـذي عـالجـت لِيـنَ فـؤاده ... فـأبَـى يُـلانُ بِـه لَـلانَ الْجَنْـدلُ[٥]
وَتجنُّبـي بَيْـتَ الحبيـبِ أودُّه ... أُرضِـي البغيـضَ بـه، حـديـثٌ مُعْضِـلُ
ولئـن صـددتُ لأنـتِ لـولا رقبتـي ... أهـوَى مـن الـلائـي أزورُ وأدْخُـل
إنّ الشَّبـابَ وعيشَنـا اللـذَّ[٦] الـذي ... كُنّـا بـه زمنـاً نُسَـرُّ ونَجـذَلُ
ذهبـت بشـاشتُـه وأصبَـح ذكـرُه ... حُـزْنـاً يُعـلُّ بـه الفـؤاد وينهـلُ
إلّا تَـذَكُّـرَ مـا مضـى وصبـابـةً ... مُنِيَـتْ لقلـب متيَّـمٍ لا يَـذْهـلُ
أودَى الشبـابُ وأخلقَـتْ لـذّاتُـه ... وأنـا الحـزيـنُ علـى الشبـاب المُعْـوِلُ

[٢١/٩٩] / يبكـي لمـا قَلَـبَ الـزمـانُ جـديـدَه ... خَلقـاً وليـس علـى الـزّمـان مُعـوَّلُ[٧]

(١ ـ ١) التكملة من ف، مم. وجاء مكانها: «فقال له كرهت... إلخ» في النسخ الأخرى.
(٢) سبع فلان فلاناً: شتمه ووقع فيه، يريد: أنك تغيرت علي بسبب الوشاية.
(٣) ف: «تقاعس».
(٤) ب، س، مم: «بأبي إذا قلت... الأحول». القَبَل: الحول، أو إقبال نظر كل من العينين على الأخرى.
(٥) معنى البيت: لو أنني عالجت الجندل بما عالجت به فؤاده فلم يلن للآن الجندل، فهنا محذوف يفهم من سياق الكلام.
(٦) اللذّ: اللّذيذ، وفي ف: «كنا به زمناً نعل وننهل» وهي رواية مرجوحة لما جاء في البيت التالي.
(٧) قلب: بمعنى صيّر، وخلقا مفعول ثان له.

والرأس شاملُهُ البَياضُ كأنه ... بعد السّواد به الثَّغامُ المُحْجِلُ(١)

وسفيهةٍ هبَّت عليَّ بسُحْرةٍ ... جَهْلاً تلوم على الثَّواء وتعْذِلُ(٢)

فأجبتُها أن قلتُ لستِ مُطاعةً ... فذري تنصُّحكِ الذي لا يُقبَلُ

/ إنّي كَفانِي أن أعالج رِحْلَةً ... عُمَرٌ ونبوةُ من يضنّ ويبخلُ

١٩٧/١٨

بِنَوال ذِي فجرٍ تكون سِجالُه ... عَمَمَا إذا نزل الزَّمانُ الممحلُ

ماضٍ على حدث الأمور كأنه ... ذو رَوْنقٍ(٣) عَضْبٌ جَلاهُ الصَّيْقَلُ

تُبدِي الرجال إذا بدا إعظامه ... حذَرَ البُغاث هَوَى لهنّ الأجْدَلُ(٤)

فيرون أنّ له عليهم سورةً ... وفضيلَةً سَبَقَت له لا تُجْهَلُ

مُتحمِّل ثِقَلَ الأمورِ حوى له ... سبقَ المكارم سابِقٌ مُتَمَهِّلُ

وله إذا نُسِبَت قريشٌ منهم ... مجدُ الأرومة والفَعالُ الأفضلُ

وله بمكة إذْ أميّة أهلُها ... إرثٌ إذا عُدَّ القديمُ مُؤثّلُ

/ أعيت قرابَتُه وكان لُزومُه ... أمْراً أبانَ رَشادَهُ مَنْ يَعْقِلُ(٥)

[٢١/١٠٠]

وسَموتَ عن أخلاقهم فتركتهم ... لِنَداك إنّ الحازمَ المتحوّلُ

ولقد بدأتُ أريدُ وُدَّ معاشِرٍ ... وَعَدُوا مواعِدَ أخلفت إن حُصِّلوا

حتى إذا رجع اليقينُ مطامعي ... يأساً وأخلَفَني الذين أؤمّلُ

زايلتُ ما صَنَعوا إليك برِحْلَةٍ ... عَجْلَى وعندك عنهمُ مُتَحوَّلُ

ووعدتَني في حاجةٍ فصَدَقْتَني ... ووفيتَ إذ كَذَبُوا الحديثَ وبَدَّلوا

وشكوتُ غُرماً فادحاً فحملتَه ... عَنّي وأنت لمثله مُتَحمِّلُ

فلأشكرنَّ لك الذي أوليتَني ... شُكراً تُحلُّ به المطيُّ وتُرحَلُ

مِدَحاً تكون لكم غرائبُ شعرها ... مَبْذُولَةً ولغيركم لا تُبذَلُ

فإذا تَنَحّلْتُ القريضَ فإنّه ... لكم يكون خِيارُ ما أتَنَحّلُ

ولعمرُ مَن حَجَّ الحجيجُ لِبَيْتِه ... تَهْوِي به قُلُص المَطِيّ الذُّمَّلُ

(١) الثغام: نبت أبيض، ويقال: أثغم الرأس: صار كالثغام بياضاً، والمحجل من الحجل، وهو البياض في رجل الفرس ونحوه، فهو صفة مؤكدة: وفي ب، مم: «المحول» بدل «المحجل» أي الثغام الذي مضى عليه الحول، والرواية الأولى أرجح، وفي ب «شاملة البياض» وقد رجحنا رواية ف، مم؛ لأن الرأس مذكر.

(٢) بسُحرة إنها تعذلني وقت السحر، وفي ب «الثراء» بدل «الثواء» والمثبت من ف وهو أوفق لما في الأبيات التالية.

(٣) ذو رونق: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: كأنه سيف ذو رونق.

(٤) ف «الحمام» بدل «البغاث» والأجدل: الصقر. يريد أن الرجال يهابون عمر كما يهاب البغاث أو الحمام الصقر.

(٥) مو، ب، مم: «أعيت قرائته وكان لزومه ... أثراً أبان وشاده من يعقل»
والصواب ما أثبتناه، والمعنى عليه: أن الالتجاء إلى الممدوح أمر أشار به ذوو التجربة والخبرة.

إنَّ امرأً قد نال منك قرابةً ... يَبْغي منافِعَ غيرها لمُضَلَّلُ

تَغْفُوا إذا جَهِلُوا بحلمك عنهم ... وتُنِيلُ إن طلبوا النَّوال فتُجزِلُ

وتكون مَعْقِلَهم إذا لم يُنجِهم ... من شَرِّ ما يخشون إلّا المَعْقِلُ[1]

حتى كأنك يُتَّقى بك دونهم ... من أُسْدِ بِيشةَ خادِرٌ مُتَبَسِّلُ[2]

[٢/١٠١] / وأراك تفعل ما تقول وبعضُهم ... مَذِقُ[3] الحديث يقول ما لا يَفْعل

وأرى المدينة حين صِرْتَ أميرَها ... أَمِنَ البَريءُ بها ونام الأعزلُ

فقال عمر: ما أراك أعفيتني مما استُعْفيت منه، قال: لأنه مَدَحَ عمر وعَرَّض بأخيه أبي بكر.

[٢/١٠٢] / نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

مالي[4] أحِنُّ إذا جِمالُك قُرِّبت ... وأصدّ عنك وأنت مِنّيَ أقربُ؟

وأرى البلادَ إذا حللتِ بغيرها ... وَحْشاً وإن كانت تُظَلّ وتُخصِبُ

/ يا بيت خنساءَ الذي أتجنَّب ... ذهب الشباب وحُبُّها لا يذهبُ

تبكي الحمامةُ شجوَها فتَهيجُني ... ويَروحُ عازب هَمِّيَ المتأوِّبُ

١٩٨ / ١٨

الشعر لسليمان بن أبي دُباكل، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو.

وقال ابن المكّي: فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز، وأوله:

* تبكي الحمامة شجوها فتهيجني *

من هي عاتكة؟

أخبرني الحسينُ بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي، وقال محمدُ بن كُناسة: حدثني أبو دُكين بنُ زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر: قال: رأيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص:

* يا بيت عاتكة الذي أتعزل *

وهي عجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالاً من نيلج[5] تتمَلَّح به.

أخبرني الحرميّ عن الزبير، عن محمد بن محمد العمريّ: قال:

عاتكة التي يُشبّب بها الأحوصُ عاتكةُ بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية.

(١) مو: «من شر ما يخشى ونعم المعقل».
(٢) بيشة: مكان اشتهر بأسده، الخادر: الذي لزم عرينه، متبسل: عابس غضباً، أو شجاعة.
(٣) مذق الحديث: مخلوطة غير خالصة، وأصله من مذق اللّبن: خلطه بالماء.
(٤) ف: «إني أحنّ».
(٥) النيلج: «دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر».

أخبرني الحرميّ، عن الزبير، عن إسحاق بن عبد الملك:

/ إن الأحوص كان لَيِّناً، وأن عاتكة التي يَنْسِب بها ليست عاتكةَ بنتَ عبدالله بن يزيد بن معاوية، وإنما هو [١٠٣/٢١] رجل كان ينزل قُرىً كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة.

أخبرني الحرميّ عن الزبيريّ عن يعقوب بن حكيم: قال:

كان الأحوص لَيِّناً، وكان يلزم نازلاً بالأشراف، فنهاه أخوه عن ذلك، فتركه فَرَقاً من أخيه، وكان يمرّ قريباً من خيمة النازل بالأشراف ويقول:

يــا بيــت عــاتكــة الــذي أتعــزّل ... حــذر العــدا وبــه الفــؤاد مــوكــل

يكنى عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه.

الفرزدق وكثير يزوران الأحوص:

أخبرني الحرميّ، عن الزبيري، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم: قال: حدثني عبد العزيز بن عمران: قال:

قدم الفرزدق المدينة، فقال لكُثَيِّر؟ هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدث عنده؟ فقال له: وما نصنع به؟ إذا والله نجد عنده عبداً حالكاً أسود حلوكاً يؤثره علينا، ويَبيتُ مُضاجِعه ليلته حتى يصبح، قال الفرزدق: فقلت: إن هذا من عداوة الشعراء بَعْضِهم لبعض، قال: فانهَضْ بنا إليه إذاً ـ لا أَبَ لغيرك ـ قال الفرزدق: فأردفتُ كُثَيِّراً ورائي على بغلتي، وقلت: تلففْ[١] يا أبا صخر، فمثلُك لا يكون رَدِيفاً، فخمَّر رأسَه وألصق فيَّ وجهه، فجعلتُ لا أجتاز بمجلس قوم إلا قالوا: من هذا وراءَك يا أبا فراس؟ فأقول: جارية وَهبَها لي الأمير، فلما أكثرت عليه من ذلك، واجتاز على بني زُرَيق، وكان يُبغِضهم، فقلتُ لهم ما كنت أقول قبل ذلك، كشف عن رأسه وأومَض[٢] وقال: كذَب، ولكني كرِهتُ أن أكون له رديفاً[٣] وكان حديثُه لي مُعجباً[٣]، فركِبت وراءه، ولم تكن لي دابة أركبُها إلا دابتُه، فقالوا: لا تعجل يا أبا صَخر، ههنا دَوابُّ كثيرة تركَبُ / منها ما أردت، فقال: دَوابّكم والله أبغضُ إلي من [١٠٤/٢١] رِدْفه، فَسَكَتُوا عنه. وجعل يتغشَّم[٤] عليهم، حتى جاوز أبصارهم، فقلت: والله ما قالوا لك بأساً، فما الذي أغضبك عليهم؟ فقال: والله ما أعلم نفراً أشدّ تعصباً للقرشيين من نفر اجتزتُ بِهم، قال: فقلت له: وما أنتَ ـ لا أمّ[٥] لك ولقريش ـ قال: أنا والله أحدهم، قلت: إن كنتَ أحدَهم فأنت والله دَعِيُّهم، قال: دَعِيُّهم خيرٌ من صَحيح نسب العرب، وإلا فأنا والله من أكرم بيوتهم، أنا أحد بني الصَّلت بن النضر، قلت: إنما قريش ولد فهرْ بن مالك، فقال: كَذَبت. فقال: ما عِلمُك يا بن الجعْراء بقريش؟ هم بنو النَّضْر بِنِ كنانة، ألم تر إلى النبي ﷺ انتسب إلى النَّضر بن/ كنانة، ولم يكن ليجاوز أكرمَ نسبه، قال: فخرجنا حتى أتينا الأحوص، فوجدناه في مشربة له، فقلنا له: ١٩٩/١٨ أنرقَى إليك أم تنزل إلينا؟ قال: لا أقدر على ذلك، عندي أمّ جعفر، ولم أرها منذ أيام، ولي فيها شُغل، فقال كُثَيِّر:

(١) يريد بتلففه أن يتنكر، حتى لا يعرفه الناس.

(٢) أومض: أشار إشارة خفيفة رمزاً أو غمزاً.

(٣ ـ ٣) التكملة من مو، ف.

(٤) يتغشم: يتجنَّى.

(٥) ب، مو: مم: «لا أرض لك».

أم جعفر والله بعضُ عبيد الزَّرانيق[١] فقلنا له: فأنشدنا بعضَ ما أحدثتَ به، فأنشدنا قوله:

يـا بيّـتَ عـاتكـةَ الـذي أتعـزّل حـذرَ العِـدا وبـه الفـؤادُ مُـوكَّـل

حتى أتى على آخرها، فقلت لكثير: قاتَلَه الله، ما أشعره، لولا ما أفسد به نَفَسَه، قال: ليس هذا إفساداً، هذا خَسْفٌ إلى التُّخوم، فقلت: صدقت، وانصرفنا من عنده، فقال: أين تريد؟ فقلت: إن شئت فمنزلي، وأحملُك على البغلة، وأهب لك المِطْرف، وإن شئت فمنزلك ولا أرزؤك شيئاً، فقال: بل منزلي، وأبْذُلُ لك ما قَدرت عليه، [٢١/١٠٥] وانصرفنا إلى منزله، فجعل يحدثني ويُنشدني حتى جاءت الظّهر، فدعا لي بعشرين / ديناراً وقال: استعِن بهذه يا أبا فرس على مقدمك، قلت: هذا أشد من حُملَان بني زُرَيق، قال: والله إنك ما تأنف من أخذ هذا من أحد، غيرِ الخليفة، قال الفرزدق: فجعلت أقول في نفسي: تالله إنه لمن قريش، وهممت ألا أقبل منه. فدعتني نفسي - وهي طَمِعَةٌ - إلى أخذها منه، فأخذتها.

من هي الجعراء؟

معنى قول كُثَيّر للفرزدق: يا بن الجعراء: يُعَيّره بِدُغَة، وهي أم عمرو بن تميم، وبها يُضرب المثل في الحماقة، فيقال: هي أحمق من دُغَة، وكانت حاملاً، فدخلت الخلاء، فولدت، وهي لا تعلم ما الولد، وخرجت وسَلاها[٢] بين رجليها، وقد استهل ولدها، فقالت: يا جارتا، أيَفْتَح الجعرفاه[٣] فقالت جارتها: نعم يا حمقاء، ويدعو أباه، فبنو تَميم يُعَيّرُون بذلك، ويقال للمنسوب منهم: يا بن الجعراء.

ملاحاة بينه وبين السريّ:

أخبرني الحرميُّ، عن الزبير قال: حدثني سُليمانُ بن داود المجمعيّ: قال:

اجتاز السَّرِيّ بنُ عبدِ الرّحمنِ بنِ عُتبة بن عُوَيْمر بن ساعدة الأنصاريّ بالأحوص وهو ينشد قوله:

* يـا بيـتَ عـاتكـةَ الـذي أتعـزّل *

فقال السّريّ:

يـا بيـت عـاتكـة المُنَـوّةَ بـاسْمِـه اقعُـد علـى مَـنْ تحـتَ سَقْفِـك واعجَـل

فواثَبَه الأحوصُ، وقال في ذلك:

فـأنـت وشتمـي فـي أُكـاريـس[٤] مـالـك وسَبّـي بـه كـالكَلْـب إذ يَنبـح النَّجْمـا

[٢١/١٠٦] / تَـدَاعَـى[٥] إلـى زَيْـد ومـا أنـتَ منهـم تَحُـقُّ أبـاً إلاّ الـولاءَ ولا أُمّـا

وإنّـك لـو عَـدَّدْتَ أحسـابَ مـالـك وأيـامِهـا فيهـا ولـم تنطـق الـرَّجْمـا

أعـادتْـك عَبْـداً أو تَنَقَّلْـت كـاذِبـاً[٦] تَلَمَّسُ فـي حـيٍّ سـوى مـالـك جِـذْمـا

(١) الزرنوق: النهر الصغير، وتزرنق: استقى على الزرنوق بالأجرة، فالمراد بعبيد الزرانيق الذين يكرون للسقي.
(٢) السلا: جلدة يكون فيها الولد من الناس والمواشي.
(٣) الجعر: ما يبس من العذرة.
(٤) الأكاريس: جمع أكراس، وأكراس جمع كرس بمعنى الجماعة، وفي مو: «وسبّي له».
(٥) تداعى: مضارع حذفت منه إحدى التاءين، وفي ف: «تدعى»، والمعنى على كليهما: تنسب إلى زيد ولست منهم.
(٦) ب: «أعادتك عبداً وانتقلت مكذباً».

وما أنا بالمخسوس في جِذمِ مالك ... ولا بالمُسمَّى ثم يلتزم الإسما

ولكن أبي لَوْ قد سألتَ وجدتَه ... توسَّطَ منها العِزَّ والحَسَب الضَّخما

فأجابه السَّريُّ فقال:

سألتُ جميعَ هذا الخلق طُرًّا ... متى كان الأُحَيْوص من رجالي

وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة، فألغَيْتُ ذكرها.

شعره يسعف دليل المنصور:

أخبرني محمد بن أحمد بن الطّلاس / أبو الطيِّب، عن أحمد بن الحارث الخَرّاز، عن المدائني، وأخبرني به ٢٠٠/١٨ الحَرَمِيّ، عن الزبير: قال: حدثني عمي - وقد جمعت روايتيهما -.

أنّ المنصورَ أمر الرّبيع لما حجّ أن يُسايره برجل[1] يعرف المدينة وأهلَها وطرقَها ودُورَها وحيطانها، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الربيع زماناً، وهو رجل من الأنصار، فقال له: تهيأ فإني أظن جَدَّك قد تحرَّك، إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها وحيطانها ودورها فتَحسَّسْ[2] موافقته ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك، ولا تكتُمه شيئاً، ولا تسأله حاجة، فغدا عليه بالرجل، وصَلَّى المنصور، فقال: يا ربيعُ، الرجل، فقال: ها هو ذا، فسار معه يخبره عما سأل حتى ندر[3] من أبيات المدينة، فأقبل عليه المنصور، فقال: من أنت أولاً؟ فقال: من لا تبلغُه / معرفتُك - هكذا ذكر الخرّاز وليس في رواية الزبير - فقال: ما لك من الأهل [١٠٧/٢١] والولد؟ فقال: والله ما تزوجتُ، ولا لِي خادمٌ، قال: فأين منزلك؟ قال: ليس لي منزل، قال: فإن أمير المؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف درهم، فرمى بنفسه فقبَّلَ رجله، فقال له: اركب، فركب، فلما أراد الانصراف قال للربيع: يا أبا الفضل، قد أمَرَ لي أمير المؤمنين بصلة، قال: إيه، قال: إن رأيت أن تنجِّزَها لي، قال: هيهات، قال: فأصنع ماذا؟ قال: لا أدري والله - وفي رواية الخراز أنه قال: ما أمر لك بشيء، ولو أمر به لدعاني، فقال: أَعْطه أو وقَّعَ إليّ - فقال الفتى: هذا همٌّ لم يكن في الحساب، فلبِثتُ أياماً، ثم قال المنصور للربيع: ما فعلَ الرجل؟ قال: حاضر، قال: سايرنا به الغداة، ففعل، وقال له الربيع: إنه خارج بعد غد، فاحتلْ لنفسك، فإنه والله إن فاتك فإنه آخرُ العهد به، فسار معه، فجعل لا يمكنه شيءٌ حتى انتهى إلى مسيره، ثم رجع وهو كالمُعْرِض عنه، فلما خاف فوتَه أقبل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيتُ عاتكة، قال: وما بيتُ عاتكة؟ قال: الذي يقول فيه الأحوصُ.

* يا بيتَ عاتكة الذي أتعزل *

قال: فَمَهْ، قال: إنه يقول فيها:

إنّ أمرأً قد نال منك وسيلة ... يرجو منافعَ غيرِها لمضلّلُ

وأراكَ تفعَلُ ما تقول وبَعضُهم ... مَذِقُ الحديث يقول ما لا يَفْعَلُ

فقال الزّبير في خبره: فقال له: لقد رأيتُك أذكرتَ بنفسك، يا سليمان بنَ مخلد، أعطه أربعة آلاف درهم، فأعطاه إياها، وقال الخرّاز في خبره: فضحك المنصور، وقال: قاتلك الله، ما أظرفك، يا ربيعُ أعطِه ألف درهم،

(١) مم، مو، ف: «أن يبغيه رجلاً».

(٢) ف، مم: «فتحرّ» بدل «فتحسس»، وفي ب: «فتحسن». (٣) ندر: خرج.

فقال: يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعةَ آلاف درهم، فقال: ألفٌ يُحَصَّل خير من أربعة آلاف لا تُحصَّل.

ابن المقفع يتمثل بمطلع لاميته:

وقال الخراز في خبره: حدّثني المدائني: قال:

أُخِذ قومٌ من الزنادقة، وفيهم ابنٌ لابنِ المقفع، فمرّ بهم على أصحاب المدائن، فلما رآهم ابنُ المقفع خَشِي أن يُسَلّم عليهم فيُؤْخَذ، فتمثَّل:

[١٠٨/٢١] / يــا بيــتَ عــاتكــةَ الــذي أتعــزَّلُ — حــذَرَ العِــدا وبــه الفــؤادُ مُــوكَّــلُ

الأبيات، ففَطِنوا لما أراد، فلم يُسلّموا عليه، ومضى.

هو ومعبد يردان اعتبار جارية:

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّة: قال:

بلغني أنّ يزيدَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله أن يُجَهِّز إليه الأحوصَ الشاعر ومعبداً المُغَنيّ.

٢٠١/١٨ فأخبرنا محمد بن خلف وكيع: قال: حدثنا عبدُالله بنُ شبيب: قال: / حدثني إسماعيل بن أبي أويس: قال: حدثني أبي: قال: حدثنا سلمة بن صفوان الزّرقي، عن الأحوص الشاعر ـ وذكر إسماعيل بن سعيد[1] الدمشقي ـ: أنّ الزُّبير بن بكّار حدثه عن ابن أبي أويس، عن أبيه، عن مسلمة بن صفوان، عن الأحوص، وأخبرني به الحرمي، عن الزبير، عن عمه، عن جرير المدينيّ المغني، وأبو مسكين: قالوا جميعاً:

كتب يزيدُ بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة ـ وهو عبدُ الواحد بن عبدالله النّصريّ ـ أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومعبداً المغني مولى ابن قَطَن قال: فجُهِّزنا وحُمِلنا إليه، فلما نزلنا عُمانَ أبصرنا غديراً وقصوراً، فقعدنا على الغدير وتحدثنا وذكرْنا المدينة، فخرجتْ جارية من بعض تلك القصور، ومعها جرة تريد أن تَستقي فيها ماء، قال الأحوص: فتغنّت بمدحي في عُمَر بن عبد العزيز:

* يــا بيــت عــاتكــةَ الــذي أتعــزل *

فتغنت بأحسن صوت ما سمعتُهُ قط، ثم طرّبت، فألقت الجرة فكسرتها، فقال مَعبد: غنائي والله، وقلت: شعري والله، فوثبنا إليها، وقلنا لها: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لآل سَعِيد بن العاص ـ وفي خبر جرير المغني: لآل [١٠٩/٢١] الوليد بن عقبة ـ ثم اشتراني / رجل من آل الوحيد بخمسين ألفَ درهم، وشُغف بي، فَغَلَبَتْه بنتُ عم له طرأت عليه، فتزوّجها على أمري، فعاقَبتْ منزِلتُها منزلتي، ثم علا مكانُها مكاني، فلم تزدها الأيّامُ إلا ارتفاعاً، ولم تزدني إلا اتضاعاً، فلم ترضَ منه إلا بأن أخدمها، فوكلتني باستقاء الماء، فأنا على ما تريان، أخرج أستقي الماء، فإذا رأيت هذه القصورَ والغُدرانَ ذكرتُ المدينة، فطربت إليها، فكسَرْتُ جرتي، فيعذلني أهلي، ويلومونني، قال: فقلت لها: أنا الأحوص، والشعر لي، وهذا مَعْبد، والغناء له، ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين، وسنذكرُك له أحسنَ ذكر. وقال جرير في خبره ووافقه وكيع، ورواية عمر بن شبة: قالوا: فأنشأت الجارية تقول:

إن تـــرونـــي الـغـــداةَ أسعـــى بجَـــرٍ — أستقِـــي المـــاءَ[2] نحـــو هـــذا الغـــديـــر

(١) ف: «أحمد بن سعيد».
(٢) ف: أستقي فيه ماء».

فلقــد كنـتُ فـي رخـاءٍ مــن الـعـيــش وفــي كــل نعمــةٍ وسُـرورِ
ثــم قــد تُبصِـران مــا فـيــه أمـسَـيـتُ ومــاذا إليــه صــار مَصِيـري
فـإلــى الله أشتكــي مــا الاقــي مــن هَــوانٍ ومــا يُجِــنُّ ضَميـري
أبلغــا عَنــيَ الإمـــامَ ومــا يـعــرف صِدقَ الحَـديـث غيـرُ الخَبيـرِ[1]
أننــي أضــرَبُ الخَـلائِـق بـالعُـود وأحْكَــاهُــم بِبَــمٍّ وزِيــرِ[2]
فلعــلّ الإلَــهَ ينُقِــذ ممــا أنـا فيـه فـإنّنـي كـالأسيـرِ
ليتنـي مِـتّ يـوم فـارقـتُ أهلـي وبـلادي فـزُرتُ أهـلَ القُبـورِ
فـاسمعـا مـا أقـول لقّـاكمـا الله نجـاحـاً فـي أحسـن التيسيـرِ

فقال الأحوص من وقته:

/ صوت

[٢١/١١٠]

إنّ زيــنَ الغـديــر مــن كسـر الجـزْ رَوَغَنّــى غِنــاء فحــلٍ مُجيــدِ
/ قلتُ: مــن أنـتِ يــا ظعيــنُ فقـالـت: كنـتُ فيمـا مضـى لآل الـوليـدِ

٢٠٢ / ١٨

وفي رواية الدّمشقي:

قلـت: مـن أيـن يـا خَلـوبُ فقـالـت: كنـتُ فيمـا مضـى لآل سعيـدِ
ثـم أصبحـتُ بعـد حَـيٍّ قـريـشٍ فـي بنـي خـالـد لآل الـوحيـدِ
فغِنـائـي لمعبَـد ونَشِيـدي لفتـى النـاس الأحْـوَص الصِّنـديـدِ
فتبـاكيـتُ ثـم قلـت: أنـا الأحْـوص والشيـخ مَعْبـدٌ فـأعِيـدي
فـأعـادت لنـا بصـوتٍ شجِـيٍّ يتـركُ الشيـخَ فـي الصِّبـا كـالـوَليـدِ

وفي رواية أبي زيد:

فـأعـادت فـأحسَنـت ثـم ولّـت تتهـادَى فقلـتُ قـولَ عميـدِ
يعجِـزُ المـالُ عـن شِـراكِ ولكـن أنـتِ فـي ذِمّـة الهُمـام يـزيـدِ[3]
ولـك اليـومَ ذِمّتـي بـوفـاءٍ وعلـى ذاكِ مـن عِظـامِ العهـودِ
أنْ سَيجْـري لـك الحـديـثُ بصـوت مَعبـديّ يَـرُدُّ حَبْـلَ الـوريـدِ[4]
يفعـل الله مـا يشـاء فَظُنّـي كُـلَّ خيـر بنـا هنـاكَ وزيـدي

(١) ف: «مثل الخبير».
(٢) مو: «بالعود وقد كنت في سرير الوزير» والبم والزير من آلات للطرب.
(٣) ف: «الإمام».
(٤) ب، مو: «يدر» بدل «يرد».

قـالـت القينـةُ الكَعَـابُ: إلـى اللـهِ أمـوري وأرْتَجـي تَشـديـدي

غَنّاه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش والهشامي وغيرهما، وهي طريقة هذا الصوت، وأهلُ العِلْم بالغناء لا يصححونه لمعبَد.

[٢١/١١١] / قال الأحوص: وضع فيه معبَدٌ لحناً فأجادَه، فلما قَدِمنا على يزيدَ قال: يا مَعْبَد أَسْمِعني أحدثَ غِناء غنَّيت وأَطْرَاه، فغناه معبد:

* إنّ زَيْنَ الغديرِ من كَسَرَ الجرَّ وغنى غناء فحْل مُجيدِ *

فقال يزيدُ: إن لهذا لَقِصّة فأَخْبراني بها، فأخْبراه، فكتب لعامِله بتلك الناحية: إنَّ لآل فلان جاريةً، من حالها «ذيت وذيت»، فاشْتَرِها بِمَا بَلَغَت، فاشتراها بمائة ألف درهم، وبعث بها هديَّة، وبعث معها بألطافٍ كثيرة، فلما قَدِمَت على يزيدَ رأى فضلاً بَارِعاً فأُعْجِبَ بها، وأجازها، وأَخْدَمَهَا، واقطعها، وأفرد لها قصراً، قال: فوالله ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز وكُساً وطُرَف.

يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثل بشعره عند النكسة:

وقال الزبير في خبره عن عَمّه: قال:

أظن القصة كلَّها مصنوعة، وليس يشبه الشِّعرُ شعرَ الأحوص، ولا هو من طرازِه، وكذلك ذَكَرَ عمرُ بن شبّة في خبره.

أخبرني الحَرَميّ، عن الزّبير قال:

سمعت هشامَ بنَ عبدالله بن عِكْرِمة يحدِّث[(١] عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: قال: كنتُ مع يزيد بنِ عُمَرَ بن[١)] هبيرة ليلة الفرات، فلما انهزم الناسُ التفتَ إليّ فقال: يا أَبَا الحارث، أَمْسَيْنَا والله وهُم كما قال الأحوص:

أبْكـي لمـا قَلَـبَ الـزمـانُ جـديـدَه خَلَقـاً وليـس علـى الـزمـان مُعَـوَّلُ

بيتان من شعره يؤذنان بزوال الدولة الأموية:

أخبرني الحَرَمِيّ عن الزبير عن محمد بن محمد العُمَري:

أنّ عاتكةَ بنتَ عبدالله بنِ يزيدَ بن معاوية رُئِيت في النّوم قبل ظُهورِ دَوْلة بَنِي العباس على بَنِي أمية كأنَّها عُريانة ناشِرَةٌ شعرَها تقول:

[٢١/١١٢] / أيـن الشّبـابُ وعيشُنـا اللَّـذُّ الـذي كُنّـا بـه زَمنـاً نُسَـرُّ ونُجـذَل

ذهبـت بَشـاشتُـه وأصبـح ذِكـرُهُ حُـزْنـاً يُعَـلُّ بـه الفـؤادُ ويُنْهَـل

فتأول الناس ذلك بزَوال دنيا بني أمية، فكان كما قالوا:

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الجمحي، عن شيخ من قريش:

(١ ـ ١) التكملة من ف، مم، مو.

أنه رأى في النوم امرأة من ولد عثمان بن عفان على منايم على دار عثمان المقبلة على المسجد، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغني:

أيـــنَ الشبـــاب وعيشنـــا اللّـــذ الـــذي ... كنـــا بـــه يـــومـــاً نُســـرّ ونجـــذل

ذهبـــت بشـــاشتـــه وأصبـــح ذكـــره ... حُـــزنـــاً يُعـــلّ بـــه الفـــؤاد وينهـــل][1]

قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى خرج الأمر عن أيديهم، وقتل مروان.

[2] قال إسحاق: المنامة: الدكان وجمعها منايم[2].

/ صـوت

[٢١/١١٣]

٢٠٣
١٨

/ يـــا هنـــدُ إنَّـــكِ لـــو عـــلـــمـــــتِ بعَـــاذلَيْـــنِ تتـــابعـــا

قـــالا فلـــمْ أسْمَـــعْ لِمَـــا[3] ... قـــالا وقلـــتُ بـــل اسْمَعَـــا

هنـــدٌ أحـــبُّ إلـــيَّ مـــن ... مـــالـــي وروحـــيَ فـــازجعـــا

ولقـــد عَصَيْـــتُ عَـــواذِلـــي ... وأطعْـــتُ قلبـــاً مُـــوجَعـــا

الشعر لعبدالله بنِ الحَسن بنِ الحسن عليهم السلام، والغناء لابن سُرَيْج، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل، الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رَمَل بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، ذكر أبو العُبيسْ أنه لابن سريج وذكر الهشامي وابنُ المكيُّ أنه للغريض، وذكر حَبَش أن لإبراهيم فيه رملاً آخر بالبنصر، وقال أحمدُ بنُ عُبَيْد: الذي صح فيه ثقيل الأول وخفيفه ورمله، وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لابن عبَّاد.

(١) التكملة من هد، هج.
(٢ ـ ٢) التكملة من ف.
(٣) في «المختار»: «قالا فلم يسمع لما...».

[٢١/١١٤]

/ ذكر عبدالله بن الحسن بن الحسن
عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر

نسبه:

عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب - عليهم السلام - وقد مضى نسبُه في أخبار عمِّه الحسينِ صلواتُ الله عليه في شِعرِه الذي يقول فيه:

لعمــــــرُكَ إنَّنـــــي لأُحِــــــبُّ دارا تَحـــلُّ بِهَـــا سُكَيْنَـــةُ والـــرَّبـــابُ

ويُكْنَى عبدُالله بنُ الحسن أبا محمد، وأمُّ عبدِالله بنِ الحَسَن فاطمةُ بنتُ الحُسَيْن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمُّها أم إسحاق بنتُ طلحةَ بن عبيد الله، وأُمُّها الجرباء بنت قُسامةَ بن رومان عن طيِّء.

سميت جدته الجرباء لحسنها:

أخبرني أحمد بن سعيد: قال: حدثنا يحيى بنُ الحسن: قال:

إنما سُمِّيت الجَرباء لِحُسْنها، كانت لا تقف إلى جنبها امرأةٌ، وإن كانت جميلة إلا استُقْبِحَ منظرُها لجمالها، وكان النساء يتحامَيْنَ أن يَقِفْنَ إلى جنبها، فشُبِّهت بالناقة الجَرباء التي تتوقّاها الإبلُ مخافة أن تُعْدِيَهَا.

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئهن خُلُقاً، ويقال: إن نساء بني تَيْمٍ كانت لهنّ حُظْوةٌ عند أزواجهنّ على سوء أخلاقهنّ، ويروى أن أمَّ إسْحاقَ كانت ربّما حملت وولدت وهي لا تُكَلِّمُ زَوْجَها.

أخبرني الحرمّي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمِّه بذلك: قال:

وقد كانت أم إسحاق عند الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام، فلما حضرته الوفاةُ دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له: يا أخي إني أرضى هذه المرأة لك، فلا تَخْرُجَنَّ من بيوتكم، فإذا انقضت عِدَّتُها فَتَزَوَّجها. فلما تُوفّي الحَسَن عنها تزوجها الحسين عليه السلام، وقد كانت ولدت من الحسن [٢١/١١٥] عليه / السلام (١) ابنَه طلحة بن الحسن، فهو أخو فاطمة لأمها(١) وابن عمها، وقد درج طلحة ولا عقب له.

جمال وسوء خلق:

ومن طرائف أخبار التَّيْمِيَّات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبدالله. قال:

كانت أمُّ سلمة بنتُ محمد بنِ طلحة عند عبدالله بن الحسن(٢) وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتُغْلِظ، له، ويَفْرَق منها ولا يخالفها، فرأى يوماً منها طيبَ نَفْس، فأراد أن يشكو إليها قسوتها، فقال لها: يا بنتَ محمد، قد أُحرِق والله قلبي... فَحَدَّدَتْ / له النَّظَر، وجمعت وجهها وقالت له: أحرقَ قلبَك ماذا؟ فخافها فلم يقدر على أن ٢٠٤/١٨

(١ - ١) التكملة من ف.
(٢) ف: «موسى بن عبدالله بن الحسن».

يقول لها: سوءُ خُلقك، فقال لها: حُبُّ أبي بَكْرٍ الصِّدّيق، فأمسكتْ عنه.

وتزوَّجَ الحسنُ بن الحسن فاطمةَ بنتَ الحُسَيْن في حيَاة عَمّه، وهو ـ عليه السلام ـ زوَّجَهُ إيّاها.

زواجه فاطمة بنت الحسين:

أخبرني الطّوسيّ والحَرَميّ، عن الزبير، عن عمه بذلك، وحدثني أحمدُ بنُ محمد بنِ سعيدٍ عن يحيى بن الحَسَن عن إسماعيلَ بن يعقوبَ قال: حدثني جَدّي عبدُ الله بنُ مُوسَى بن عبدالله بن الحسن، قال:

خطب الحسن بن الحسن إلى عمه الحُسَينِ ـ صلوات الله عليه ـ وسأله أن يزوّجه إحدى ابنتيه، فقال له الحسين عليه السلام: اختَرْ يا بُنَيَّ أحبَّهما إليك، فاستَحْيا الحسن، ولم يُحْرِ جواباً، فقال له الحسين عليه السلام: فإني اخترتُ منهما لك ابنتي فاطمة، فهي أكثر شبهاً بأمّي فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

أخبرني الطوسيّ والحرميّ عن الزبير عن عمه مصعب:

/ إنَّ الحَسَن لمَّا خَيَّره عمُّه اختار فاطمة، وكانوا يقولون: إنَّ امرأةً، سُكَيْنَة مردودتها، لمنقطعةُ القَرِين في الجَمال. [١١٦/٢١]

أخبرني الطوسيّ والحرميّ بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار، وأخبرني محمد بـن العباس اليزيديّ، عن أحمد بن يحيى وأحمدَ بن زهير، عن الزبير، وأخبرني أحمدُ بن سعيد، عن يحيى بن الحسن، عن الزبير بن بكار واللفظ للحَسَن بن علي، وخبرُه أتمّ: قال: قال الزبير: حدثني عمي مصعب ولم يذكر أحداً.

ليس لمخضوب البنان يمين:

وأخبرني محمدُ بن يحيى عن أيوبَ، عن عمر بن أبي المَوالِي قال الزبير: وحدثني عبد الملك بنُ عبد العزيز بنِ يُوسُف بنِ الماجَشون، وقد دخل حديثُ بعضهم في بعض حديثِ الآخرين:

أنّ الحسن بن الحسن لما حضرتْه الوفَاةُ جَزِع، وجعل يقول: إني لأجد كَرْباً ليس إلا هو كربَ الموت، وأعاد ذلك دفعات، فقال له بعض أهله: ما هذا الجزع، تُقدِم على رسول الله ﷺ وهو جَدُّك وعلى عَلِيّ والحَسَن والحُسَيْن ـ صلوات الله عليهم ـ وهم آباؤك؟ فقال: لعمري إنَّ الأمرَ لكذلك، ولكن كأني بعبدالله بن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء في مُضَرَّجَتَيْن[١] أو مُمَصّرتين وهو يُرَجِّل جُمَّتَه يقول: أنا من بني عبد مناف جئتُ لأشهَد ابنَ عمّي، وما به إلا أن يخطب فاطمة بنتَ الحُسَين، فإذا جاء فلا يَدخُلْ عَليَّ، فصاحت فاطمة: أتسمع؟ قال: نعم، قالت: أعْتقت كل مملوك لي، وتصدقت بكل مِلك لي إن أنا تزوجتُ بعدك أحداً أبداً، قال: فسكن الحسن وما تنفّس ولا تحرّك حتى قَضَى، فلما ارتفع الصّياح أقبل عبدالله على الصِّفَةِ التي ذكرها الحسن، فقال بعضُ القوم: تُدخِله. وقال بعضهم: لا يَدْخُل، وقال قوم: لا يضرّ دُخولُه، فدخل وفاطمة تَصُكُّ وجهها، فأرسل إليها وصيفاً كان معه، فجاء يتخطى النَّاسَ حتى دنا منها فقال لها: يقول لك مولاي أبقي على وجهك فإن لنا فيه أرَباً، قال: / فأرسلت يدَها في كُمّها واختمرتْ وعُرِف ذلك منها، فما لَطَمَتْ وجهَهَا حتى دُفِن صلوات الله عليه. فلما انقضت عِدَّتُها خَطَبَها فقالت: فكيف لي بِنَذْرِي ويميني؟ فقال: نخلف عليك بكل عبد عبدين، وبكل شيء شيئين، ففعل وتزوجته، وقد قيل في تزويجه إياها غيرُ هذا. [١١٧/٢١]

(١) ضرج الثوب: صبغه باللون الأحمر.

أخبرني به أحمدُ بن محمد بنِ إسماعيل الهمدانيّ، عن يحيـى بن الحسن العلويّ، عن أخيه أبي جعفر، عن إسماعيل بن يعقوب، عن محمد بن عبدالله البكريّ:

٢٠٥/١٨ أنّ/ فاطمة لما خطبها عبدُالله أبت أن تتزوّجه، فحلفتْ عليها أُمُّها لتتزوجَنَّه، وقامَتْ في الشّمس، وآلت لا تَبْرَح حتى تتزوجه، فكرهت فاطمةُ أن تُحْرَج، فتزوجته.

وكان عبدالله بن الحسن بن الحسن شيخَ أهله وسيّداً من ساداتهم ومقدَّماً فيهم فَضْلاً وعلماً وكرماً، وحبسه أبو جَعفْر المنصور في الهاشمية بالكُوفة لَمَّا خرج عليه ابناه محمدٌ وإبراهيمُ فمات في الحَبْسِ، وقيل: إنَّه سقط عليه، وقيل غير ذلك.

كان من أجملِ الناس وأفضلهم:

أخبرني أحمدُ بنُ محمد بن سعيد، عن يحيـى بن الحسن عن عليِّ بن أحمد الباهليّ: قال: سمعتُ مُصعباً الزبيريَّ يقول:

انتَهَى كلّ حُسْنٍ إلى عبدالله بنِ حسن، وكان يقال: مَنْ أحسنُ الناس؟ فيقال: عبدُالله بنُ الحسن، ويقال: مَنْ أفضلُ الناس؟ فيقال: عبدالله بن الحسن.

حدثني محمد بن الحسن الخَثْعَمِيُّ الأشاني[1] والحسن بن عليّ السلوليّ قالا: حدثنا عبّاد بن يعقوب قال: حدثنا تلميذُ بن سليمان، قال: رأيت عبدَالله بن الحسن، وسمعتُه يقول: أنا أقربُ الناس إلى رسول الله ﷺ، ولدتْني بنتُ[2] رسول الله ﷺ مرتين.

[٢١/١١٨] / حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيـى بن الحسن، عن إسماعيل بن يعقوب، عن عبدالله بن موسى، قال:

أوّلُ من اجْتَمَعَت له وِلادةُ الحسنِ عليه السلام والحسينِ ـ صلوات الله عليهما ـ عبدُالله بن الحسن عليه السلام:

حدثني محمد بن الحسن الأشنانيّ، عن عبدالله بن يعقوبَ، عن بُنْدقة بن محمد بن حِجازة الدّهان قال:

رأيت عبدَالله بن الحسن، فقلت: هذا والله سَيِّدُ الناس، كان مكسُوّاً نوراً من قَرْنه إلى قَدَمه.

قال عليُّ بن الحسين: وقد رُوِيَ ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن عليٍّ عليه السلام، وأمُّه أمُّ عبدالله بنتُ الحسن بن علي عليه السلام.

حدثني أحْمدُ بن محمد بن سَعِيد، عن يحيـى بن الحسن، عن القاسم بن عبد الرزّاق: قال:

جاء منظورُ بنُ زَبَّانَ الفَزارِيُّ إلى حَسَنِ بن حَسَن ـ وهو جَدُّه أبُو أُمّه ـ فقال له: لعلك أحْدَثْتَ بعدي أهلاً، قال: نعم، تزوجت بنت عَمّي الحسين بنِ عليّ ـ عليهما السلام ـ قال: بِئْسَما صنعتَ، أما علمت أن الأرحامَ إذا الْتَفّت أَضْوَتْ[3]، كان ينبغي أن تتزوج في الغُرُبِ، قال: فإن الله جلّ وعزّ قد رزقني منها ولداً، قال: أرنِيه، فأخرج

(١) ب: «الأشناندانيّ».
(٢) ف، مو، مم: «ولدني رسول الله»، أي أنه ينتسب إلى الرسول من جهتين.
(٣) مو: «إذا تشابكت أضوت». وأضوت: دقت وضعفت.

إليه عَبْدَالله بن الحسن فسُرَّ به، وقال: أنجبت، هذا والله ليثُ غاب ومَعْدُوٌّ عليه، قال: فإن الله تعالى قد رزقني منها ولداً ثانياً، قال: فأرنيه[١] ، فأخرج إليه حسن بن حسن بـن حسن، فسُرَّ به، وقال: أنجبت، وهذا دون الأول، قال: فإن الله قد رزقني منها ولداً ثالثاً، قال: فأرنيه [١]. فأراه إبراهيمَ بنَ الحسن.

[١١٩/٢١] / غمزة ترجى بها شفاعة:

حدثني أبو عُبَيْدٍ محمد بن أحمد الصيرفيّ: قال: حدثنا محمد بن علي بن خَلَف قال:

حدثنا عمر بن عبد الغفار قال: حدثنا سعيد بن أبانٍ القُرشيُّ قال:

كنتُ عند عمر بن عبد العزيز، فدخل عبدالله بن الحسن عليه، وهو يومئذ شاب في إزارٍ ورِداء، فرحَّبَ به وأدناه وحيّاه، وأجلسه إلى جنبه وضاحكه، ثم غمز عُكْنة من بطنه، وليس في البيت حينئذ إلا أمويّ، فقيل له: ما حملك على غمز بطن هذا الفتى؟ قال: إني لأرجو بها[٢] شفاعة محمد ﷺ.

يعطي جائزة:

حدثني عمر بن عبدالله بن جميل العتكيّ، عن عمرَ بن شبّة، عن إسماعيلَ بن جعفر الجعفريّ: قال:

حدثني سعيد بن عقبة الجُهَنِيّ: قال: إني لعندَ عبدِالله بن الحسن إذ أتاني آتٍ، فقال: هذا رجل يدعوك، فخرجت، فإذا أنا بأبي عَدِيّ / الشاعرِ الأمويّ، فقال: أعْلِمْ أبا محمد، فخرج إليه عبدُالله، وهم خائفون، فأمر له [٢٠٦/١٨] بأربعمائة دينار، وهِنْدٍ[٣] بمائتي دينار، فخرج بستمائة دينار. وقد روى مالكُ بن أنس عَنْ عبدِالله بنِ الحَسنِ الحديث.

كان يسدل شعره:

حدثني أحمدُ بن محمد بنِ سَعِيدٍ عن يحيى بنِ الحسن قال:

حدثنا عليُّ بنُ أحمد الباهليُّ عن مُصْعبِ بن عبدالله قال: سئل مالكٌ عن السَّدْل[٤] قال: رأيت مَنْ يَرْضَى بِفعله؛ عبدالله بن الحسنِ يفعلُه، والسبب في حَبْس عبدِالله بنِ الحسن وخروج ابْنَيه وقتلِهما يَطولُ ذِكرهُ. وقد أَتَى عُمَرُ بن شَبَّة منه بما لا يَزيدُ عليه أحدٌ إلا اليَسِير، ولكن من أخباره ما يَحسنُ ذكره ها هنا فنذكرهُ.

السبب في حبسه وقتل ابنيه:

أخبرني عُمرُ بن عبدالله العتكي عن عُمرَ بنِ شَبّة، قال: حدثني موسى بن سَعِيد / بـن عَبْد الرحمن وأيوبُ بنُ [١٢٠/٢١] عُمرٍ عن إسماعيلَ بنِ أَبِي عَمْرٍو قالوا:

لَمَّا بنى أبو العَبّاس بِناءَه بالأنبار الذي يُدعَى الرُّصافةَ: رصافةَ أبي العباس قال لعبدِالله بن الحسن: ادخل فانظر ودخل معه، فلما رآه تمثل:

ألـم تـرَ حَـوْشَبـاً أمْسَـى يُبَنّـي ... بِنـــاءً نَفعُـــه لِبَنِـــي نُفَيْلَـــة[٥]

(١ ـ ١) التكملة من مم، ف.

(٢) «إني لأرجو بها» أي بالغمزة المفهومة من المقام، لا بالبطن.

(٣) الهند: المائة من الإبل، وفي ف: «بمد بمائتي دينار وآنية بأربعمائة دينار».

(٤) سدل الشعر سدلاً: أرخاه.

(٥) مو: «قصوراً نفعها» بدل «بناء نفعه». وحوشب: اسم رجل. وفي «المختار»:

ألـم تـر حـوشبـا يبنـي قصـوراً ... ليبقـى نفعهـا لبنـي نفيلـة

يُــؤمِّــلُ أن يُعَمَّــرَ عُمْــرَ نُــوحٍ وأمــرُ اللّــهِ يحــدُث كــلَّ لَيْلَــةْ[1]

فاحتَملَه أبُو العَبَّاس[2] ولم يُنكِّتْه بها.

أخبرني عَمّي عن ابن شبّة عن يعقوب بنِ القاسم عن عَمْرو بن شهاب، وحدَّثني أحمدُ بنُ محمدّ بنِ سَعِيدٍ عن يَحْيى بنِ الحَسَن عن الزُّبير عن محمد بنِ الضَّحَاكِ عن أبيه قالوا:

إن أبا العبَّاس كتب إلى عبدالله بن الحَسَن في تَغَيُّب ابنَيْه:

أُرِيــدُ حَيــاتَــه ويُــرِيــدُ قَتْلِــي عَــذيــرَكَ مــن خَلِيلِــكَ مــن مُــرادِ[3]

قال عُمرُ بنُ شَبّة: وإنما كتب بها إلى محمد، قال عمر بن شَبَّة: فبعثوا إلى عبد الرحمن بنِ مسعود مَوْلى أبي حنين[4]، فأجابه[5]:

وكيــفَ يُــرِيــدُ ذاكَ وأنــتَ منــه بمنــزلــةِ النِّيــاطِ مــن الفُــؤادِ

/ وكيــفَ يُــرِيــدُ ذاكَ وأنــتَ منــه وزَنْــدُكَ حيــن تقــدح مــن زِنــادِ[6] [٢١/١٢١]

وكيــفَ يُــرِيــدُ ذاكَ وأنــتَ منــه وأنــتَ لِهَــاشــمٍ رأسٌ وَهــادِ

أخبرني عُمرُ بن عبدالله بن شَبّة عن عِيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبدالله بن الحسن قال:

بينا أنا في سَمَر أبي العباس، وكان إذا تَثاءَب أو ألقى المِرْوحة من يَدِه قمنا، فألقاها ليلة فقمنا، فأمسكَني فلم يبقَ غيري، فأدخل يدَه تحت فراشه، وأخرج إضْبارة كُتُب وقال: اقرأ يا أبا محمد، فقرأت فإذا كتابٌ من مُحمدّ بن هِشام بن عمرو التَّغلبيّ يدعوه[7] إلى نَفْسِه، فلما قرأتُه قلت له: يا أمير المؤمنين، لك عهدُ الله وميثاقُه ألاّ ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا.

أخبرنا العتكيّ عن ابن شَبَّة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر، عن عبدالله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال:

لما استُخلِف أبو جعفر ألَحَّ في طلب مُحمَّد والمسألةِ عنه، وعمّن يُؤويه، فدعا بَنِي هاشمٍ رجلاً رجلاً، فسألهم عنه، فكلهم يقول: قد عَلِم أمير المؤمنين أنك قد عَرَفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه، ولا يريد لك خلافاً، ولا يحب لك معصية، إلاّ الحسن / بن زيد فإنه أخبره خبرَه[8]، فقال: والله ما آمنُ ٢٠٧/١٨

(١) ف: «وأمر الله يطرق كل ليلة».

(٢) يريد بقوله: «فاحتمله أبو العباس» أي لم يؤاخذه بالتمثل بهذين البيتين اللذين يتطير منهما.

(٣) يشير أبو العباس بهذا البيت إلى أن ابني عبدالله بن الحسن يضمران له السوء مع إحسانه إليه وإليهما.

(٤) كذا في ف، وفي مو: «مولى أبي منصور».

(٥) ف: «فأجاب عنها. وقال الزبير: أجابه عبدالله بن الحسن فقال».

(٦) في «المختار»: «. . . حين يقدح في زناد».

(٧) أي يدعو عبدالله بن الحسن ليخرج معه على الخليفة.

(٨) فإنه أخبره خبره، أي أخبر الحسن بن زيد الخليفة خبر محمد.

وثوبَه عليك، وأنه لا يَنامُ فيه فَرَ[١] رأيك فيه قال ابن أبي عبيدة: فأَيقَظَ مَنْ[٢] لا ينام.

/ أخبرني عمر بن عبدالله بن شبّة عن عيسى بنِ عَبْدِاللَّهِ بنِ مَحمّد بن عُمَر بن علي بن أبي طالب عليه السلام [١٢٢/٢١] عن محمدِ بن عِمْران عن عُقبَةَ بن سَلْم:

إنّ أبا جَعْفرٍ دعاه، فسأله عن اسمه ونَسَبه، فقال: أنا عُقبَةُ بن سَلْم بنِ نافع بنِ الأَزْدهَانيّ، قال: إني أرى لك هَيئَةً وموضعاً، وإني لأريدك لأمرٍ أنا به معنيّ، قال: أرجو أن أُصدِّقَ ظنَّ أميرِ المؤمنين، قال: فأخفِ شخصَك، وائتِني في يوم كذا وكذا، فأتيتُه، فقال: إن بَنِي عَمّنا هؤلاء قد أَبَوْا إلا كَيْداً بمُلكِنا، ولهم شِيعَةٌ بخراسانَ بقرْيةِ كذا وكذا، يُكاتبونهم، ويرسلون إليهم بصدقات وألْطاف، فاذهب[٣] حتى تأتيَهم مُتنكِّراً بكتاب تكتُبه عن أهل تلك القرية، ثم تسير ناحيتهم، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك، وكنت على حذر منهم حتى تلقى عبدالله بن الحسن متخشعاً، وإن جَبَهَك ـ وهو فاعل ـ فاصبر وعاوده أبداً حتى يأنسَ بك، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إليّ، ففعَل ذلك، وفُعِل به حتى أَنِس عبدالله بناحيته، فقاله له عقبة: الجواب، فقال له: أمّا الكتاب فإني لا أكتُب إلى أحد، ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام، وأخبرهم أنّ ابني خارج لوقت كذا وكذا، فشخص عُقبَةُ حتى قدِم على أبي جعفر، فأخبَره الخَبَر.

أخبرني العتكيّ عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق، قال:

سأل أبو جعفر عبدَالله بن الحسن عن ابنيه لما حَجّ، فقال: لا أعلم بهما حتى تغالظا، فأَمضّه[٤]، أبو جعفر، فقال له: يا أبا جعفر، بأيّ أمهاتي تُمِضُّني؟ أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ، أم بفاطمة بنت الحسين ـ عليهم السلام ـ أم بأم إسحاق بنت طلحة؟ قال: لا ولا بواحدة منهنّ، ولكن بالجرباء بنت قسامة / فوثب [١٢٣/٢١] المُسيَّب بنُ زهير، فقال: يا أمير المؤمنين، دعني أضرب عنقَ ابن الفاعلة، فقام زيادُ بن عبدالله، فألقى عليه رداءه، وقال: يا أمير المؤمنين، هبه لي، فأنا المستخرج لك ابنيه، فتخلّصَه منه.

قال ابنُ شَبّة: وحدثني بكر بنُ عبدالله مولى أبي بكر، عن علي بن رباح أخي إبراهيم بن رباح، عن صاحب المَصلّى: قال:

إني لواقفٌ على رأس أبي جعفر وهو يتَغَدَّى بأوطاس[٥]، وهو مُتوجّه إلى مكة، ومعه على مائدته عبدالله بن الحسن وأبو الكرام الجَعْفَرِيّ وجماعة من بني العباس، فأقبل على عبدالله بن الحسن، فقال: يا أبا محمد؛ محمدٌ وإبراهيمُ أراهما قد استوحَشا من ناحِيتي، وإني لأُحِب أن يأنسا بي ويأتِياني فأَصِلَهُما وأُزوّجَهما، وأخلطهما بنفسي، قال: وعبدالله يطرق طويلاً، ثم يرفع رأسه ويقول: وحَقّك يا أمير المؤمنين مالي بهما ولا بموضعهما من البلاد عِلم، ولقد خرجا عن يَدِي، فيقول: لا تفعل يا أبا محمد، اكتب إليهما وإلى من يُوصّل كتابك إليهما، قال: وامتنع أبو جعفر عن عامة غدائه ذلك اليوم إقبالاً على عبدالله، وعَبدُالله يحلف أنه لا يعرف موضِعَهما، وأبو جَعْفر يكرر عليه: لا تَفعل يا أبا محمد.

(١) أمر من الفعل «رأى»، وفي ب: «فما رأيك فيه».
(٢) فأيقظ من لا ينام، أي سلط عليه الخليفة العيون والأرصاد.
(٣) ف: «فأخرج بكساً والطاف».
(٤) أمضه: أحزنه وأحفظه.
(٥) أوطاس: اسم واد.

قال ابن شَّبة: فحدَّثني محمد بن عباد عن السّندي بن شاهك:

أن أبا جعفر قال لعقبة بن سَلْم: إذا فرغنا من الطّعام فلحَظْتُك فامثُل بَيْن يدي عبدالله، فإنه سيَصْرِف بَصَره عنك، فَدُرْ حتى تغمز /ظهرَه بإبهام رجلك، حتى يملأ عَيْنَيه منك، ثم حسبُك وإياك أن يراك ما دام يأكل، ففعل ذلك عُقبُة، فلما رآه عبدُالله وثَب حتى جثا بين يَدَي أبي جعفر، وقال: يا أمير المؤمنين أقِلْني أقالك الله، قال: لا أقالني الله إن أقَلْتُك، ثم أمر بحَبسه. ٢٠٨/١٨

قال ابنُ شبة، فحدَّثني أيوبُ بنُ عمر، عن مُحمَّد بن خلف المَخْزوميّ قال: أخبرني العباسُ بنُ محمد بن علي بن عَبْدالله بن عباس قال:

[٢١/١٢٤] / لمّا حَجَّ أبو جَعْفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبدالله وحسن ابنا حَسَن، فإنهما وإياي لعِنْده، وهو مَشغولٌ بكتاب ينظر فيه إذ تكلَّم المهديُّ فلَحَن، فقال عبدُالله: يا أمير المؤمنين، ألا تأمر بهذا من يُعدِّل لِسانَه، فإنه يفعل فِعْل الأمة، فلم يَفْهم، وغمزْتُ عبدالله فلم يَنْتَبه، وعاد لأبي جعفر فأُحْفِظ من ذلك، وقال له: أين ابنك؟ قال: لا أدري، قال: لتأتيني به، قال: لو كان تحت قدميّ ما رَفعْتُهما عنه، قال: يا رَبيعُ فمُرْ به إلى الحبس.

زوجته هند بنت أبي عبيدة:

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن قال:

توفي عبدالله في مَحْبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسَبْعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهند التي عناها عبدُاللَّه في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عُبَيْدة بن عَبْدالله بن زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبدِ العُزّى بن قُصيّ، وأمها قرينة بنتُ يزيد بن عَبداللّه بن وَهب بن زَمْعة بن الأسود بن المُطَّلب.

وكان أبو عبيدة جواداً ومُمَدَّحاً، وكانت هندُ قبلَ عبدالله بن الحسن تَحْت عَبدِالله بن عَبْد الملك بن مروان، فمات عنها.

فأخبرني الحرميّ عن الزبير عن سليمان بن عيّاش السعديّ قال:

لما توفي أبو عبيدة وَجِدَتْ ابنَتُه هِنْد وَجْداً شديداً، فَكَلَّم عبدُالله بن الحسن مُحَمد بن بشير الخارجي أن يدخل على هندَ بِنْتِ أَبي عُبَيدة، فيُعَزِّيَها ويُؤَسِّيَها عن أبيها، فدخل معه عليها، فلما نظر إليها صاح بأَبْعد صوته.

قومي اضربي عينيك يا هندُ لن تَرَيْ ... أباً مثلَه تسمُو إليه المَفاخِرُ[1]

وكنتِ إذا أسبَلْتِ فوقَك والدا ... تَزيني[2] كما زان اليدين الأساورُ

[٢١/١٢٥] / فصَكَّت وجهَها، وصاحت بحَرَبها وجهدها، فقال له عبدالله بن الحسن: ألهذا دخلت؟ فقال الخارجيّ: وكيف أُعَزّي عن أبي عُبَيْدة وأنا أُعَزَّى به!.

أخبرني العَتَكيّ، عن شَبّة: قال: حدثني عبدُ الرحمن بن جعفر بن سليمان، عن عليّ بن صالح، قال:

زوّج عبد الملك بنُ مروان ابنه عبدالله هِندَ بنتَ أبي عُبيدة وريطةَ بنت عبدالله بن عبد المدان لِمَا كان يقال إنه

(١) البيت من الطويل، ودخله الخرم.

(٢) كان الأوفق أن يقال: تُزانى بدل تزيني، فلعل الشاعر أراد تزيني نفسك: وحذف المفعول.

كائِن في أولادهما، فمات عنهما عبدالله أو طلقهما، فتزوج هنداً عبدُالله بن الحسن، وتزوج ريطة محمدُ بن عليّ، فجاءت بأبي العباس السفاح.

أخبرني العتكيّ عن عمر بن شبة عن ابنِ داجة[1] عن أبيه قال:

لما مات عبدالله بن عبد الملك رجعت هِند بميراثها منه، فقال عبدالله بن حسن لأمه فاطمة: اخطُبي عليّ هنداً، فقالت: إذاً تَرُدَّك، أتطمع في هند وقد وَرِثت ما وَرِثته، وأنت تَرِبٌ لا مالَ لك؟ فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند، فخطبها إليه، فقال: في الرُّحْب والسَّعَة، أمَّا مِنّي فقد زوّجتك، مكانك لا تَبْرَحْ، ودخل على هند، فقال: يا بنية، هذا عبدالله بن حسن، أتاك خاطباً، قالت: فما قلت له؟ قال: / زوجته. قالت: أحسنت. قد أُجزتُ ما ٢٠٩/١٨ صنعْتَ، وأرسلت إلى عبدالله: لا تبرح حتى تدخلَ على أهلك. قال: فتزَيَّنَتْ له فبات بها مُعَرّساً من ليلته، ولا تشعر أمّه، فأقام سبعاً، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أُمّه وعليه رَدْع[2] الطيب، وفي غير ثيابه التي تَعرِف، فقالت له: يا بنيّ، من أين لك هذا؟ قال: من عند التي زَعمْتِ أنها لا تريدني.

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلّبيّ وَعمّي عبدُ العزيز بنُ أحمد بن بكّار: قالا: حدثنا الزبير: قال: حدثتني ظبية مولاة فاطمة: قالت:

كان جدّك عبدُالله بنُ مَصْعَبِ يستنشدني كثيراً أبيات عَبْدِالله بن حسن ويُعْجَب بها:

إنّ عينــي تعــودّت كُحْــل هِنْــدٍ جَمَعَــتْ كَفُّهــا مــع الــرِّفــق لِينــا

[١٢٦/٢١]

/ صـوت

يــا عِيــدُ مــالــكَ مــن شــوقٍ وإيـراقِ ومــرُّ طَيْــفٍ علــى الأهــوال طَــرّاقِ[3]

يَسْــرِي علــى الأيْــنِ والحيّــاتِ مُحْتفيــاً نفســي فِــداؤُك مــن ســارٍ علــى ســاقِ

عروضه من البسيط: العيد: ما اعتاد الإنسانَ من هَمّ أو شوق أو مرض أو ذِكْر. والأين والأيم: ضرب من الحيات. والأين: الإعياء أيضاً، وروى أبو عَمْرو:

* يــا عيــد قلبُــك مــن شــوق وإيــراق *

الشعر لتأبط شرًّا، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى من رواية يحيى المكي وحبش وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز.

---

(١) ف: عن أبي داحة.
(٢) الردع: أثر الطيب في الجسد.
(٣) هد: «براق» بدل «طراق».

[١٢٧/٢١]

/ أخبار تأبط شرا ونسبه

نسبه ولقبه:

هو ثابت بن جابر بن سُفيان بن عُمَيْثل[١] بن عدي بن كعب بن حزن. وقيل: حرب بن تميم[٢] بن سعد بن فَهْم بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار.

وأمّه امرأة يقال لها: أميمة، يقال: إنها من بني القَيْن بَطْن من، فَهْم ولدت خمسةَ نَفَر: تأبط شراً، ورِيش بِلَغْب[٣]، وريش نسر، وكعب جُدِر، ولا بَوَاكِي له[٤]، وقيل: إنها ولدت سادساً اسمه عمرو.

وتأبط شراً لقب لُقّب به، ذكر الرواة أنه كان رأى كبشاً في الصحراء، فاحتمله تحت إبطه، فجعل يَبول عليه طُولَ طريقه، فلما قَرُب من الحَيّ ثَقُل عليه الكَبْش، فلم يُقِلّه فرمى به فإذا هو الغول، فقال له قومه: ما تأبطت يا ثابت؟ قال: الغول، قالوا: لقد تأبطت شرّاً فسمّي بذلك.

وقيل: بل قالت له أمه: كل إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرَك، فقال لها: سآتيك الليلة بشيء، ومضى فصاد أفاعيَ كثيرة من أكبر ما قدر عليه، فلما راح أتى بهن في جراب متأبّطاً له، فألقاه بين يديها، ففتحته، فتساعَيْن في بيتها، فوثبت، وخرجت، فقال لها نساء الحي: ماذا أتاك به ثابت؟ فقالت: أتاني بأفاعٍ في جراب، قُلن: وكيف حَمَلها؟ قالت: تأبّطها، قلن: لقد تأبط شراً، فلزمه تأبط شراً.

[١٢٨/٢١] / حدثني عمّي قال حدثني علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن أبي مُحلِّم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها:

أنّ أُمّه قالت له في زمن الكمأة: ألا تَرَى غِلمانَ الحي يجتنون لأهليهم الكمأة، فيروحون بها؟ فقال أعطيني جرابَك، حتى أجتني لك فيه، فأعطته، فملأه لها أفاعيَ، وذكر باقي الخبر مثلَ ما تقدم.

$\frac{٢١٠}{١٨}$ ومَن ذكر أنه إنما جاءها بالغول يحتج بكثرة أشعاره في هذا المعنى، / فإنه يصف لقاءه إيّاها في شعره كثيراً، فمن ذلك قوله:

فـأصبحـت الغُـولُ لـي جـارةً	فيـا جـارتـا لـك مـا أهـولا[٥]
فطـالبتُهـا بُضْعَهـا فـالتـوت	علـيَّ وحـاولـتُ أن أفعـلا[٦]
فمـن كـان يسـأل عـن جـارتـي	فـإنّ لهـا بـاللِّـوى مَنْـزِلاَ

(١) ف، هد: «عسل».
(٢) ف، هد: «تيم».
(٣) ب: «ريش لقب» تحريف. والمثبت من ف، مو. وقد ورد في «القاموس»: ريش بلغب، لقب كتأبط شراً وحرك عينه الكميت، ووهم الجوهري في قوله: «ريش لقب» وقد وردت رواية الجوهري في هامش مو، وأردفها بقوله: وهو الفاسد أخو تأبط شراً.
(٤) ولا بواكي له، هو الاسم الخامس لأولاد أم تأبط شراً، وهو من قبيل التسمية بالمركب الإسنادي، كتأبط شراً، وبرق نحره.
(٥) مو: «ما أغولا». ولعل لك متعلق بجار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره، يقال لك.
(٦) ف، مو: «وحاولت أن تفعلا». والمثبت من ب: هد، والبضع: الفرج.

كان أحد العدائين المعدودين:

أخبرني عمّي عن الحَزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال: نزلت على حي من فهم إخوة بني عَدْوان من قيس، فسألتهم عن خبر تأبط شراً، فقال لي بعضهم: وما سُؤَالك عنه، أتريد أن تكون لصاً؟ قلت: لا، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدّائين، فأتحدَّثَ بها، فقالوا: نحدثك بخبره: إن تأبط شراً كان أعدَى ذِي رِجْلَيْن[١] وذي ساقَيْن وذى عَيْنَيْن، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظِّباء فينْتَقِي على نظره أسمَنها، ثم يجري خلفه فلا يَفُوته، حتى يأخذه، فيذبَحَه بسَيْفه، ثم يَشْويه فيأكُلَه.

يصف غولاً افترسها:

وَإنما سُمّي تأبط شراً لأنه ـ فيما حُكِيَ لنا ـ لَقِيَ الغُولَ في ليلة ظلماء في موضع يقال له رَحَى بَطْسان[٢] في بلاد هُذَيل، فأَخذتْ عليه الطّريق فلم يَزل بها، حتى / قَتَلَها، وبات عليها فلمّا أصبَح حَمَلها تحت إبطِه وجاء بها [٢١/٢٩] إلى أصحابه، فقالوا له: لقد تأبّطت شرًّا، فقال في ذلك:

تـأبَّـط شـرّاً ثـم راح أو اغْتَـدى ... يُـوائـم غُنْمـاً أو يَشِيـف علـى ذَحْـل

ـ يوائم: يوافق، ويشيف: يقتدر. وقال أيضاً في ذلك:

ألا مَـنْ مُبلـغٌ فِتيـانَ فَهـم ... بمـا لاقيـتُ عنـد رَحَـى بطـانِ[٣]

وأنّـي قـد لقيـتُ الغـولَ تهـوي ... بسَهْـب كـالصحيفـة صحصحـانِ[٤]

فقلـت لهـا: كـلانـا نِضْـوأيْـنٍ[٥] ... أخـو سفـر فخلّـي لـي مكـانـي

فشـدَّت شـدَّةً نحـوي فـأهْـوَى ... لهـا كفّـي بمصقـولٍ يَمـانـي

فـأضـربهـا بـلا دَهَـشٍ فَخَـرّت ... صـريعـاً لِلْيَـدَيْـن وللجِـرانِ[٦]

فقالت: عُد، فقلت لها: رُوَيْداً ... مكانَك إنني ثَبْت الجنانِ

فلم أنفكّ مُتّكِئاً عليها ... لأنظر مُصبِحاً ماذا أتاني[٧]

إذا عينـان فـي رأسٍ قبيـح ... كـرأس الهِـرِّ مَشْقـوق اللّسـان

وسـاقـا مُخْـدجٍ وشـواةُ كلْـب ... وثـوب مـن عَبـاءٍ أو شِنـان[٨]

لم لا تنهشه الحيات؟

أخبرنا الحسين بن يحيى: قال: قرأت على حمّاد: وحدثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللّهبي: قال:

/ قيل لتأبط شرًّا: هذه الرجال غلبتَها، فكيف لا تنهشك الحيّات في سُراك؟ فقال: إني لأسرى البَرْدَين. يَعْني [٢١/٣٠] أولَ اللّيل، لأنها تمور خارجة من حُجْرتها، وآخرَ الليل تمُورُ مُقبِلة إليها.

(١) ف، هد: «ذى كعبين».
(٢) ف، هد: «رحى بطان».
(٣) فهم: قبيلة الشاعر، وحي بطان: اسم موضع. وفي «المختار»: «... فتيان قومي».
(٤) السهب: الفلاة. والصحصحان: ما استوى من الأرض.
(٥) «المختار»: «نضورهن».
(٦) ف: «بلا جزع». والدهش: التحير. والجران: مقدم العنق.
(٧) مو: «ماذا دهاني».
(٨) أخدجت الناقة: ألقت ولدها لغير تمام، والشواء: قحف الرأس، والشنان. جمع شن، وهو القربة البالية.

يبيع ثقفياً أحمق اسمه بطيلسانة:

قال حمزةُ: ولقي تأبّط شرًا ذات يوم رَجُلاً من ثَقيف يقال له أبو وَهْب، كان جَباناً[1] أهوجَ، وعليه حُلّة جَيّدة، فقال أبو وَهْب لتأبّطَ شرًا: بِمَ تغلب الرجال يا ثابت، وأنت كما أرى دَمِيمٌ ضَئِيل؟ قال: باسمي، إنما أقول ساعة ما ألقى الرَّجُل: أنا تأبط شرًا، فينخلع قَلْبُه حتى أنال منه ما أردت، فقال له الثقفي: أقط[2] قال: قَطْ، قال: فهل لك أن تبيعني اسمَك؟ قال: نعم، فبم تبتاعُه؟ قال: بهذه / الحُلّة وبكنيتك قال له: أفعل، ففعل، وقال له تأبط شرًا: لك اسمي ولي كنيتك[3]؟، وأخذ حُلّته وأعطاه طِمْرية، ثم انصرف، وقال في ذلك يخاطب زوجة الثّقفيّ:

٢١١/١٨

ألا هــل أتــى الحسنــاءَ أنّ حَليلَهــا ... تــأبّــط شــرًا واكتنيــتُ أبــا وَهْــب

فهبــه تَسّمــى اسْمــي وسُمِّيــتُ بــاسمِــه[4] ... فــأيــن لــه صبــري علــى مُعْظَــمِ الخطــب؟

وأيــن لــه بــأس كَبَــأْســي وسَــوْرتــي ... وأيــن لــه فــي كــل فــادحــةٍ قَلْبِــي؟

يخونه نشاطه أمام الحسان:

قال حمزة: وأحبّ تأبّط شرًا جارية من قومه، فطَلَبها زماناً لا يقدر عليها، ثم لقِيَتْه ذاتَ ليلة فأجابته وأرادها، فعجز عنها، فلما رأت جَزَعه من ذلك تناومت عليه فآنسته وهدأ، ثم جعل يقول:

[٢١/١٣١]

/ مــا لــكَ مــن أيْــرٍ سُلِبْــتَ الخلّــه ... عجَــزْت عــن جــاريــة رِفَلّــه[5]

تمشــي إليــك مشيــةَ خــوزلّــه[6] ... كمشيــة الأرخِ تــريــد العلّــة

الأرخ: الأنثى من البقر التي لم تُنتَج. العلة تريد أن تُعل بعد النهل، أي أنها قد رويت فمِشْيتُها ثَقِيلة. والعل: الشّرب الثاني.

لــو أنهــا راعِيــةٌ فــي ثُلّــه ... تحمــلُ قِلْعَيــن لهــا قَبَلّــه

* لصــرتُ كــالهــراوة العُتُلّــه[7] *

قصته مع بجيلة:

أخبرني الحسن بن علي عن عبدالله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعي قال:

أغار تأبط شرًا ـ وهو ثابت بن العميثل الفهمي، ومعه ابن براق الفهميّ على بَجيلة ـ فأطرَدا لهم نَعَماً، ونَذِرت بهما بَجيلة، فخرجت في آثارهما ومضيا هاربَين في جبال السّراة، وركبا الحزن، وعارضتهما بَجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوَهط ـ وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف ـ فدخلوا لهما في قصبة العين، وجاءا، وقد بلغ العَطَش

(١) ف، هد: «كان حُسّاناً أهوج» وهو تحريف.
(٢) أقط: أتغلب بهذا فقط، وقط هنا بمعنى فحسب.
(٣) ف، هد، مو: «لك اسمي ولي اسمك».
(٤) ف، هد، مو: «وسماني اسمه» بدل «وسميت باسمه» وكذا في «المختار» أيضاً.
(٥) جارية رفلة: سمينة، وفي «المختار»: «... سلبت الحُلّة».
(٦) ف، هد، مو: «والمختار»: «هرولة». والخيزلي والهرولة: نوعان من المشي.
(٧) الثلة: جماعة الغنم، وقبله، كذا في الأصول، وهي مأخوذة من القبل بمعنى الحول، وفي «القاموس»: اقبالّت المرأة، أي أصيبت بالقبل، والعتل: الجافي الغليظ، والرمح الغليظ، وفي ب، ف: «العبلة» ولعلها مأخوذة من العبل، بمعنى السِّمن وامتلاء الجسم.

منهما، إلى العَيْن، فلما وقفا عليها قال تأبط شرًّا لابن برّاق: أقِلّ من الشّراب فإنها ليلة طرد، قال: وما يدريك؟ قال: والذي أعدو بطيره، إنّي لأسمع وجيبَ قلوب الرجال تحت قدميّ. وكان من أسمَع العرب وأكيدِهم. فقال له ابنُ برّاق: ذلك وجيب قَلْبك. فقال له تأبط شراً: والله ما وَجَب قَطّ، ولا كَان وَجّابا، وضرب بيده عليه، وأصاخ نحو الأرض يستمع / فقال: والذي أعدو بطيره، إني لأسمع وَجِيبَ قلوبِ الرّجال، فقال له ابنُ برّاق: فأنا أنزل [٢١/١٣٢] قبلك، فنزل فبرك وشرب وكان أكَلّ القومِ عند بجيلة شوكة[1]، فتركوه وهم في الظّلمة، ونزل ثابت، فلما توسط الماء وثبوا عليه، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً، وابنُ برّاق قريب منهم لا يطمعون فيهِ لمَا يَعْلمون من عَدْوه، فقال لهم ثابت: إنه من أصْلَف الناس وأشدّهم عُجْباً بعدوه، وسأقول له: استأسرْ معي، فسيدعوه عُجبه بعَدْوه إلى أن يَعْدُو من بين أيْدِيكم، وله ثلاثة أطلاق: أولها كالرّيح الهابّة، والثاني كالفرس الجواد، والثالث يكبو فيه ويعثر، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإني أُحِب أن يصير في أيديكم كما صِرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونصحي له، قالوا: فافعل، فصاح به تأبط شرًّا: أنت أخي في الشدّة والرّخاء، وقد وعدني القومُ أن يَمُنّوا عليك وعليّ، فاستأسِرْ، وَوَاسني بنفسك في الشدة، كما كنتَ أخي في الرخاء، فضحك ابنُ برّاق، وعلم أنه قد كادهم، وقال: مهلاً يا ثابت، أيستأسر مَنْ عنده / هذا العَدْو؟ ثم عدا فعدا أول طَلَق مثل الريح الهابة كما وصف لهم، والثاني كالفرس [٢١٢/١٨] الجواد، والثالث جعل يكبو ويَعْثُر ويقع على وجهه. فقال ثابت: خذوه، فعدوا بأجمعهم، فلما أن نَفّسهم عنه شيئاً عدا تأبط شرًّا في كتافه، وعارضه ابنُ برّاق، فقطع كتافه، وأفلتا جميعاً[2]، فقال تأبط شرًّا قصيدَته القافية في ذلك[2]:

يـا عيـدُ مـالـك مـن شـوقٍ وإيـراقِ ... ومَـرِّ طيـفٍ علـى الأهـوال طـرّاقِ

يسـري علـى الأيْـنِ والحيّـاتِ محتفيـاً ... نفسـي فـداؤك مـن سـارٍ علـى سـاقِ[3]

طيـف ابنـة الحُـرِّ إذ كنّـا نـواصلُهـا ... ثـم اجْتُنِبْـتُ بهـا مـن بعـد تَفـراقِ[4]

/ لتَقْـرعِـنَّ علـيّ السِّـنَّ مـن نَـدَمٍ ... إذا تـذكّـرتِ يـومـاً بعـضَ أخـلاقـي[5] [٢١/١٣٣]

تـالله آمَـنُ أنثـى بعـدمـا حَلَفَـتْ ... أسمـاءُ بـالله مـن عهـدٍ وميثـاقِ[6]

ممـزوجَـةَ الـودُّ بينـا واصلَـتْ صَـرَمَـتْ ... الأوّلُ اللّـذْ مَضَـى والآخِـر البـاقِـي

فـالأوّلُ اللّـذْ مضـى قـالٍ مـودّتَهـا ... واللّـذُ منهـا هُـذاءٌ غيـر إحقـاقِ[7]

تُعْطِيـك وعـدَ أمـانـيٍّ تَغُـرُّ بـه ... كـالقَطْـرِ مَـرَّ علـى صَخْبـآنَ بـرّاقِ[8]

إنّـي إذا خُلّـةٌ ضَنَّـتْ بنـائلهـا ... وأمْسَكَـتْ بضعيـف الحَبْـلِ أحـذاقِ[9]

---

(١) أكل القوم عند بجيلة شوكة، يريد صغر شأنه عند بجيلة، لذلك تركته واتجهت إلى تأبط شراً وفي «المختار»: «وكان ألد القوم». . .

(٢ ـ ٢) تكملة من «المختار».

(٣) الأين: الحية أو الذكر من الحيات، والأين أيضاً: التعب والإعياء. ومحتفياً: حافياً.

(٤) هذا البيت ليس في «الأغاني» وهو في «المختار».

(٥) جاء هذا البيت في «المفضليات» آخر القصيدة.

(٦) لم يرد هذا البيت في «الأغاني» أو «المفضليات» وجاء في «المختار».

(٧) اللذ: بمعنى الذي، والهذاء: الهذيان، ولم يرد هذا البيت أيضاً في «المفضليات» أو «الأغاني» ولكنه في «مختار الأغاني».

(٨) الصخبان: الشديد الصخب، ولم يرد البيت في «الأغاني» أو «المفضليات» ولكنه في «مختار الأغاني».

(٩) حبل أحذاق: قطع، وجاء البيت في قصيدة «المفضليات» الثالث في الترتيب.

نجوتُ منها نجائي في بجيلةَ إذْ ... ألقيتُ للقوم يوم الرّوع أرواقي[1]

وذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إلى آخرها.

وأما المفضّل الضّبيّ فذكر أن تأبط شرًّا وعمرو بن بَرّاق والشّنْفَرَي ـ وغيره يجعل مكان الشنفري السُّليك بن السّلكَة ـ غَزَوا بَجيلة فلم يظفروا منهم بغرّة، وثاروا إليهم فأسروا عمراً، وكتّفوه، وأفلَتهم الآخران عَدْواً، فلم يقدروا عليهما، فلما علما أنّ ابنَ برّاقِ قد أُسِر قال تأبط شراً لصاحبه: امضِ فكن قريباً من عَمْرو، فإني سأتراءى لهم وأطمعهم في نفسي حتى يَتباعَدُوا عنه، فإذا فعلوا ذلك فحُلّ كِتافَه، وانْجُوَا، ففعل ما أمره به، وأقبل تأبط شرًّا، حتى تراءى لبَجيلة، فلما رأوْه طمعوا فيه، فطلبوه، وجعل يُطمِعهم في نفسه، ويعدو عدواً خفيفاً يُقَرِّبُ فيه، ويسألهم تخفيف الفِدْية وإعطاءَه الأمانَ، حتى يستأسر لهم، وهم يُجيبونه إلى ذلك، ويطلبونه وهو يُحضِر إحضاراً خفيفاً، ولا يتباعد، حتى علا ثَلْعَة / أشرف منها على صاحبَيْه، فإذا هما قد نَجَوَا، ففَطِنت لهما بَجيلة، فألحقتهما طلباً ففاتاهم، فقال: يا معشر بَجيلة أأعجبكم عَدوُ ابن برّاق اليوم، والله لأعدونّ لكم عَدْواً أُنسيكم به عَدْوَه، ثم عدا عدواً شديداً، ومضى وذلك قوله: [٢١/١٣٤]

* يا عِيدُ ما لكَ من شَوقٍ وإيراقِ *

وأمّا الأصمعيّ فإنه ذكر فيما أخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عمه:

أنّ بَجيلة أمهلتْهُم حتى وَرَدُوا الماء وشَرِبوا وناموا، ثم شَدُّوا عليهم، فأخذوا تأبّط شرًّا، فقال لهم: إن ابن بَرّاق دَلّأني في هذا، وإنه لا يقدر على العَدْو لعقْرٍ في رجليه، فإن تبعتموه أخذتموه، فكتّفوا تأبّط شرًّا، ومضوا في أثر ابن براق، فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم، ورجعوا.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا أبو سَعيد السكريّ قال: حدثنا ابنُ الأثرم، عن أبيه. وحدثنا محمدُ بن حَبيب، عن أبي عمرو، قالا:

كان تأبّط شرًّا يَعدُو على رجليه، وكان فاتِكاً شَدِيداً، فبات ليلة ذات ظلمة وَبرْق ورعد في قاع يقال له رحَى بِطّان، فلقيَتْه الغُولُ فما زال يُقاتلها ليلته إلى أن أصبح وهي تَطْلُبه، قال: والغول: سَبُعٌ من سِباع الجِنّ، وجعل يراوغها، وهي تَطلبه، وتلتمس غِرّة منه، فلا تقدِر عليه، إلى أن أصبح، فقال تأبط شرًّا:

ألا مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ فَهمٍ ... بما لاقيتُ عند رَحَى بِطانِ

بأنّي قد لقيت الغولَ تَهوِي ... بسهْبٍ كالصحيفة صَحصحانِ

فقلت لها: كِلانا نِضْوُ أينٍ ... أخوه سَفَرٍ فخَلّي لي مكاني

فشدّت شدّةً نحوي فأهوى ... لها كفّي بمصقولٍ يمانِي

فأضربها بلا دَهَشٍ فخَرّت ... صريعاً لليدين وللجِرانِ

/ فقالت عُدْ، فقلتُ لها: رويداً ... مكانَكِ إنني ثَبْتُ الجَنانِ [٢١/١٣٥]

فلم أنفكَّ متكئاً عليها ... لأنظُرَ مُصبِحاً ماذا أتاني

(١) ألقى أرواقه: أسرع في عدوه، وجاء البيت في قصيدة «المفضليات» الرابع في الترتيب.

٢١٣/١٨

/ إذا عينان في رأسٍ قبيحٍ ... كرأس الهرِّ مشقوق اللّسان
وساقا مُخْدِجٍ وشواةُ كلبٍ ... وثوبٌ من عَباءٍ أو شِنانِ[1]

يفر ويدع من معه:

قالوا: وكان من حديثه أنه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه، وهو يريد أن يغتَرّهم، فيصيب حاجتَه، فأتى ناحية منهم، فقتل رجلاً، ثم استاق غنماً كثيرة، فنَذروا به، فتبِعه بعضُهم على خيل، وبعضُهم رَجّالة، وهم كثير، فلما رآهم، وكان من أبْصَر الناس عرف وجوههم، فقال لصاحبه: هؤلاء قوم قد عرفتهم، ولن يُفارِقونا اليوم حتى يُقاتِلونا أو يظْفَروا بحاجتهم، فجعل صاحبُه ينظر، فيقول: ما أتبيّن أحداً، حتى إذا دهموهما قال لصاحبه: اشتدّ فإني سأمنعك ما دام في يدي سَهْم، فاشتد الرجل، ولقيهم تأبّط شرّاً، وجعل يَرْميهم حتى نَفِدتْ نبلُه، ثم إنه اشتدّ فمرّ بصاحبه فلم يطق شَدَّه، فقَتَل صاحِبَه، وهو ابن عمٍّ لزَوْجَته، فلما رجع تأبّط شرًا وليس صاحبُه معه عرفوا أنه قد قُتل، فقالت له امرأته: تركتَ صاحِبَكَ وجئت مُتباطِناً، فقال تأبط شراً في ذلك:

ألا تِلكما عِرسي منيعةُ ضُمِّنت ... من اللّهِ إثماً مُستِسرًّا وعالِنا[2]
تقول: تركتَ صاحباً لك ضائعاً ... وجئتَ إلينا فارِقاً مُتبِاطِنا[3]
إذا ما تركتُ صاحبي لثلاثةٍ ... أو اثْنَيْن مِثْلَينا فلا أُبْتُ آمِنا[4]
/ وما كنت أبّاء على الخِلّ إذ دعا ... ولا المرءِ يدعوني مُمِرّاً مُداهِنا[5]
وكَرّي إذا أُكْرِهتُ رهطاً وأهلَه ... وأرضاً يكون العَوْصُ فيها عُجاهِنَا[6]
ولمّا سمعت العَوصَ تدعو تنفّرت ... عصافيرُ رأسي من غُواةٍ فَراتِنا[7]
ولم أنتظر أن يَدهموني كأنهم ... ورائيَ نَحْلٌ في الخليّة واكِنا[8]

[١٣٦/٢١]

(١) آثرنا إثبات هذه الأبيات مع سبق إيرادها تمشياً مع النسخ: ب، ف، مو، أما هد فقد اجتزأت بذكر المصراع الأول من البيت الأول، وأردفته بقولها: «وقد تقدمت».
(٢) عرسه: زوجته، يريد أنه ألحق بها إثماً أسرّه في نفسه فظهر، وذلك بقتل ابن عمها.
(٣) في هد، ف تقول: «تركت صاحبي بمضيعة». وفارقا متباطنا: فارقته وجئت متخفياً، وقد يكونان من الفرقة والبطنة بمعنى جئتنا خائفاً ممتلىء البطن.
(٤) يدعو على نفسه إن كان ترك صاحبه لعدد قليل، وإنما هو جمع لا قبل لهما به، وفي بعض النسخ: «إذا ما تركت صاحبي خوف واحد أو اثنين»... إلخ.
(٥) الممر من إمرار الحبل بمعنى إحكام فتله، أو من المرارة، والمداهن: من دهنه بمعنى ضربه، يريد أنه لا يتخلى عن خله إذا كان ذا بأس وقوة، وفي مو «وما كنت أبّاء على الخيل... ضيراً مداهناً» ولعل المعنى عليه أنني ما كنت أضن بالنجدة حتى على من لا يخلص لي، متى كان فيه غناء.
(٦) كري معطوف على الخل في البيت السابق أي ما كنت أبّاء على الكر، ورهط: اسم موضع؛ وهو مفعول كر، والعوص: اسم قبيلة، والعجاهن: من معانيه القنفذ، والمعنى ـ فيما يبدو لنا ـ ما كنت أمتنع عندما أكره عن غزو رهط وأهله وأرض العوص، وهم فيها مسلحون شائكون كالقنافذ والعوص بفتح فسكون كما في ف، وفي هد، مو: بضم فسكون.
(٧) تدعو أي إلى الحرب، تنفرت عصافير رأسي: كناية عن الغضب والثورة، والعصافير: جمع عصفور، والمراد به هنا قطعة من الدماغ تفصلها عنه جليدة رقيقة، والفراتن: جمع فرتنى، وهي المرأة الزانية، أو الأمة.
(٨) واكنا: حال من نحل، وسوغ مجيء الحال من النكرة هنا وصفها بشبه الجملة بعدها، ويقال: وكن الطائر: دخل عشه. ومعنى البيت وما قبله: لما همت بي رجال العوص لم أتقاعس، بل حملت عليهم، ولم أنتظر أن يحيطوا بي إحاطة النحل بالخلية.

ولا أن تُصيب النافذاتُ مقاتلي ولم أكُ بالشدِّ الذليق مُداينا(١)

فأرسلتُ مثنيًا عن الشدِّ واهناً وقلتُ تزحزحْ لا تكونَنّ حائنا(٢)

وحثحثتُ مشعوفَ النَّجاء كأنه هجفٌ رأى قصراً سمالاً وداجنا(٣)

[١٣٧/٢١] / من الحُصِّ هِزروفٌ يطير عِفاؤه إذا استدرج الفَيْفا ومدَّ المغابنا(٤)

أزج زَلوجٌ هزرفيٌّ زفازفٌ هِزَفٌّ يبذُّ الناجيات الصَّوافنا(٥)

فزحزحت عنهم أو تجئني مَنِيَّتي بغبراءَ أو عرفاءَ تَفْري الدَّفائنا(٦)

كأنّي أراها الموتَ لا درَ دَرُّها إذا أمكنَتْ أنيابَها والبراثنا(٧)

وقالت لأخرى خلفها وبناتها حتوف تُنَقِّي مخَّ مَنْ كان واهنا(٨)

أخاليجُ ورَّادٍ على ذي محافل إذا نزعوا مدّوا الدِّلا والشّواطنا(٩)

وقال غيره: بل خرج تأبّط شراً هو وصاحبان له، حتى أغاروا على العوص من بجيلة، فأخذوا نعماً لهم، واتبعتهم العَوْص، فأدركوهم، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة، فلما رأى تأبّط شرًا ألّا طاقة لهم بهم شَمَّر وتركهما، فقُتِل صاحباه، وأُخِذت النعم، وأفلَتَ، حتى أتى بني القَيْنَ من فَهْم، فبات عند امرأة منهم يتحدث إليها، فلما أراد أن / يأتي قومه دَهنتْه ورَجَّلته، /فجاء إليهم وهم يبكون، فقالت له امرأتُه: لعنك الله تركت صاحبيك وجئت مُدّهناً، وإنه إنما قال هذه القصيدة في هذا الشأن، وقال تأبّط شرًا يرثيهما وكان اسمُ أحدهما عَمراً: [١٣٨/٢١] [٢١٤/١٨]

أبعد قتيل العَوْص آسَى على فتىً وصاحبه أو يأمُلُ الزّادَ طارقُ؟

أأطْرُدُ فَهماً آخرَ الليل أبتغي علالة يوم أن تَعُوقَ العوائق(١٠)

(١) الشد الذليق: الحديد الماضي أي لم أكن مسوقاً للهجوم.

(٢) حائن: هالك، وفي بعض الأصول «منبت» بمعنى متقطع بدل «مثني» يريد أنه نحى صاحبه حين أنس منه الضعف وعدم القدرة على الشد.

(٣) حثحث: حث وحض، والمشعوف: المجنون أو المذعور، والنجاء: السير السريع، والهجف: الظليم، وقصرا هنا: وقت اختلاط النهار بالظلمة، والسمال: الماء في الحوض، وداجناً: غيثاً ممطراً. يريد: أنني انبريت وحثثت جوادي على الحرب فحمل وهو مجنون السرعة كأنه ذكر نعام ظمآن رأى عند الغروب حوض ماء أو ماء مطر فعدا إليه ليشرب.

(٤) الحص: جمع أحص، وطائر أحص: قليل الريش. هزروف: سريع. العفاء: الشعر والوبر. المغابن: بواطن الأفخاذ: يشبه جواده بطائر قليل الريش، ويقول: إنه سريع العدو يطير شعره إذا استدرج الفلوات ومد أفخاذه في عدوه.

(٥) أزج: بعيد الخطو. زلوج: سريع العدو. هزرفي: كثير الحركة. زفازف: جمع زفزف بمعنى الريح. الهزف: السريع أو النافر. الناجيات: الجياد السريعة. الصوافن: جمع صافن وهو الحصان يقف على ثلاث قوائم. يصف فرسه بما تقدم من الأوصاف، ويردفها بأنه يفوق غيره من الخيول الصافنات.

(٦) فزحزحت: تزحزحت: تجئني: مضارع مجزوم للضرورة، ولعله محرف عن «تجيء». غبراء: اسم أنثى الذئب، وعرفاء: اسم الضبع. يقول: فأفلت منهم، ولو لم أفعل للاقيت منيتي بناب ذئبة أو ضبع تنبش القبور.

(٧) لا در درها: يدعو على الضبع. والبراثن: المخالب.

(٨) مقول القول محذوف تقديره هلُم ونحوه. يريد أنه إن مات تمكنت الضبع منه، وأنشبت مخالبها في جسمه، ولم تكتف بنفسها، بل دعت صواحبها وبناتها، وهن مسعورات ينقين المخ من عظام الجسم الواهن الذي لا حراك به.

(٩) أخاليج: جمع أخلج وهو الحبل. ويراد بذي المحافل البئر، والشواطن: الحبال. يقول: إن الضباع تتوافد عليه إذا مات كما تتوافد الحبال على البئر مرة بعد أخرى. وقد اختلفت الأصول في رواية هذا البيت اختلافاً بيناً، وأغلب الروايات لا يستقيم معه المعنى.

(١٠) طرد القوم: أتاهم، يريد: أأتعجل العودة إلى فهم آخر الليل خشية أن تعوقني العوائق، وقد خلفت صاحبي صريعين؟ وقد اختلفت =

لَعَمْــرُ فتًــى نِلتــم كــأنّ رداءه على سرحةٍ من سرح دومة سامق[١]

لأطــرُد نَهْبــاً أو نــرود بفتيــةٍ بـأيمانهم سُمْر القَنا والعقائق[٢]

مَسـاعَـرةٌ شُعْـثٌ كـأنّ عيـونهـم حريقُ الغضا تُلْقى عليها الشّقائق[٣]

فعُدُّوا شهـورَ الحُـرْمِ ثـم تعـرّفـوا قتيـل أنـاسٍ أو فتـاةً تعـانـقُ[٤]

محاولة قتله هو وأصحابه بالسم:

قال الأثرم: قال أبو عمرو في هذه الرواية: وخرج تأبط شرًا يريد أن يغزو هذيلاً في رهط، فنزل على الأحلّ بن قنصل ـ رَجُلٍ من بجيلة ـ وكان بينهما حِلْف، فأنزلهم ورحّب بهم، ثم إنه ابتغى لهم الذّراريح[٥] ليسقيهم فيستريح منهم، ففطن له تأبط شراً، / فقام إلى أصحابه، فقال: إني أحب ألا يعلم أنا قد فطنا له، ولكن سابُّوه حتى [١٣٩/٢١] نحلِف ألا نأكل من طعامه، ثم أغترُّه فأقتله لأنه إن علم حَذِرني ـ وقد كان مالأ ابنَ قنصل رجلٌ منهم يقال له لُكَيْز قتلت فَهْمٌ أخاه ـ فاعتلّ[٦] عليه وعلى أصحابه فسَبُّوه وحلفوا ألا يَذُوقُوا من طعامه ولا من شرابه، ثم خرج في وَجهه، وأخذ في بَطْن وادٍ فيه النّمور، وهي لا يكاد يسلم منها أحد، والعرب تسمي النمر ذا اللونين، وبعضهم يسميه السّبنتَى، فنزل في بطنه وقال لأصحابه: انطلقوا جميعاً فتصيّدوا، فهذا الوادي كثير الأرْوى، فخرجوا وصادوا، وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمراً وحده، وغزا هُذَيْلا فغَنِم وأصاب، فقال تأبّط شرًّا في ذلك:

أقسمتُ لا أنسى وإن طال عيشُنا صنيعَ لُكَيْزٍ والأحلّ بن قنصل[٧]

نـزلنـا بـه يـومـاً فساء صَبَاحُنا فـإنك عَمْري قـد تـرى أيّ منـزل[٨]

بَكَـى إذ رآنـا نـازليـن ببـابـه وكيـف بُكـاءُ ذى القليـل المُعَيَّـل[٩]

فـلا وأبيـك مـا نـزَلنـا بعـامـرٍ ولا عـامـر ولا الـرئيـس ابـن قـوقـل[١٠]

= الأصول في رواية البيت، وكلها مما لا يستقيم معه المعنى، والمثبت من ف.

(١) السرحة: الشجرة، دومة: مكان، سامق: طويل: صفة لفتى.

(٢) العقائق: جمع عقيقه بمعنى السيف الشبيه بالبرق، يقسم بصاحبه الذي قتلوه بعد أن وصفه بالطول حتى كأن ثيابه على شجرة عالية يغزو قاتليه بفتية يحملون القنا والسيوف الماضية. وفي رواية «شانق» بدل «سامق» بمعنى عظيم الرأس. وفي رواية: «الفتائق» بدل العقائق بمعنى السيوف الحديدة الشفرتين.

(٣) مساعرة: جمع مسعر بمعنى موقد لنار الحرب، وشعث: جمع أشعث بمعنى أغبر، والغضا: شجر يتخذ منه الوقود، والشقائق: نبات أحمر. يصف هؤلاء الفتية بالمران على الحرب، وبأن حدق عيونهم تحمر احمرار الجمر في ميادين القتال.

(٤) يتهددهم بالحرب بعد انقضاء الأشهر الحرم، فيقول: إذا انقضت هذه الأشهر فعدوا تلاكم، وعدوا فتياتكم السبايا.

(٥) الذراريح: جمع ذراح كزنار وسكين وقدوس: دويبة حمراء منقطة بسواد تطير، وهي من السموم.

(٦) فاعل اعتل ضمير تأبط شراً، عليه أي على ابن قنصل، وما بين الشرطتين اعتراض.

(٧) البيت من الطويل دخله الخرم.

(٨) في هد: فشاب صبوحنا، والصبوح: شراب الصباح. والمصراع الثاني تعجب من هذا المنزل.

(٩) المعيل: ذو العيال، والمراد أن من نزلوا به كان فقيراً معيلاً، فكان بكاؤه حاراً.

(١٠) في مو: «ما نزلنا بحاتم»، والمثبت من ب، ف، هد. وقوقل: أبو بطن من الأنصار، كان إذ أتاه مستجيراً قال له: توقل في هذا الجبل ـ أي اصعد ـ فقد أمنت.

ـ عامر بن مالك أبو براء مُلاعِب الأسِنَّة، وعامر بن الطُّفَيْل، وابن قوقل: مالك بن ثَعْلَبة أحد بني عوف بن الخزرج ـ.

ولا بالشَّليل[1] ربّ مروان قاعداً ... بأحسن عَيْش والنُّفاثيّ نوفَل

[٢١/١٤٠] / ـ ربّ مروان: جرير بن عبدالله البَجلي. ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أحد بني الدِّيْل بن بكر ـ.

ولا ابن وَهيب كاسبِ الحمد والعُلاَ ... ولا ابن ضُبَيْعٍ وسط آل المُخبَّل

ولا ابنِ حُلَيْسٍ قاعداً في لِقاحِه[2] ... ولا ابن جُرَيٍّ وسط آل المغفّل

ولا ابنِ رياحٍ بالزُّلَيْفات دارُه ... رياح بن سعد لا رياح بن مَعْقِل

أولئك أعطى للوَلائد خِلْفَةً ... وأدْعَى إلى شحم السَّديف المُرَعْبَل[3]

يتخذ من العسل مزلقاً على الجبل فينجو من موت محقق:

٢١٥/١٨٠ / وقال أيضاً في هذه الرواية: كان تأبّط شرًّا يَشْتار عَسَلاً في غار من بلاد هذيل، يأتيه كل عام، وأنّ هذيلاً ذكرته، فرصدوه لإبّانِ ذلك، حتى إذا جاء هو وأصحابُه تَدَلَّى، فدخل الغار، وقد أغاروا عليهم فأنفروهم، فسبقوهم ووقَفوا على الغار، فحركوا الحبل، فأَطْلع تأبّط شراً رأسه، فقالوا: أصعد، فقال: ألا أراكم، قالوا: بلى قد رأيتنا. فقال: فعلام أصعد، أعلى الطَّلاقة أم الفداء؟ قالوا: لا شرط لك، قال: فأراكم قاتليّ وآكلي جَناي، لا والله لا أفعل، قال: وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً أعدّه للهرب، فجعل يُسِيل العسل من الغار ويُهريقه، ثم عمد إلى الزّق فشده على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح يتزلق عليه حتى خرج سَلِيماً وفاتهم، وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث، فقال تأبط شرًّا في ذلك:

أقول للحيانَ وقد صَفِرت لهم ... وِطابي ويَومي ضَيِّق الحَجْر مُعْوِرُ[4]

هما خُطّتا إما إسارٌ ومِنَّةٌ ... وإما دَمٌ والقتلُ بالحُرّ أجدَرُ[5]

[٢١/١٤١] / وأخرى أصادِي النّفسَ عنها وإنها ... لَمَوردُ حَزْم إن ظَفِرت ومَصدَرُ[6]

فرَشْتُ لها صدري فزَلّ عن الصّفا ... به جُؤجُؤٌ صَلْبٌ ومتنٌ مُخصَّرُ[7]

---

(١) ف، هد: ولا «بالسليك». وفي مو: «بالسليل».

(٢) اللقاح: النوق الحوامل، يكنى بذلك عن غناه وميسرته.

(٣) أعطى، أدعى: أفعلا تفضيل. والسديف: لحم السنام. والمرعبل: المقطع.

(٤) صفرت: خلت. والوطاب جمع وطب؛ وهو سقاء يتخذ من الجلد. ومعور أي بين العور والمراد أنه يوم عصيب. والحجر: الناحية، ولعلها تصحيف الجحر.

(٥) خطتا مضاف والجملة بعده مضاف إليه، وقد اختلفت الأصول في رواية هذا البيت وأنسبها ما أثبتناه نقلاً عن هد، مو. وفي «المختار» «إما إسار وفدية».

(٦) «أصادي النفس عنها» أي أحدثها بها، والمراد بالخطة الأخرى، خطة الانزلاق التي نجا بها، وفي «المختار»: «إن فعلت» بدل «إن ظفرت».

(٧) ف، هد: «عبل» بدل «صلب»، وزل: انزلق، والصفا: الصخر، والجؤجؤ: عظام الصدر. ومتن مخصر: ظهر نحيل الخصر. وفي «المختار»: «به جؤجؤ عبل».

فخالطَ سهلَ الأرض لم يكدح الصَّفَا *** به كَدْحَةً والموتُ خَزيانُ يَنْظُرُ
فأُبْتُ إلى فَهمٍ وما كُنتُ آئباً *** وكم مثلها فارقتُها وهي تَصْفِرُ[1]
إذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جَدّ جِدّه *** أضاع وقاسَى أمرَه وهو مُدبِرُ
ولكن أخُو الحَزْمِ الذي ليس نازلاً *** به الأمرُ إلا وهو للحزم مُبْصِرُ[2]
فذاك قَريعُ الدَّهر ما كان حوّلاً *** إذا سُدّ منه مَنخِرٌ جاش مَنْخِرُ
فإنّك لو قَايَسْت باللِّصب حِيلَتي *** بلُقْمان لم يُقصِر بي الدهرَ مُقْصِرُ[3]

غارة ينتصر فيها على العوص:

وقال أيضاً في حديث تأبّط شراً: إنه خرج من عِدّة من فَهْم، فيهم عامر بن الأخنس، والشَّنْفَرَي، والمُسيَّب، وعمرُو بن برّاق، ومُرَّة بن خليف، حتى بيتوا العوص وهم حيٌّ من بجيلة، فقتلوا منهم نفراً، وأخذوا لهم إبلاً، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة، فاعترضت لهم خَثْعَم وفيهم ابنُ حاجز، وهو رئيس القوم، وهم يومئذ نحو من أربعين رجلاً، فلما نظرت إليهم صعاليك فَهْم قالوا لعامر بن الأخنس: ماذا ترى؟ قال: لا أرى لكم إلاّ صِدق الضِّراب، فإن ظفرتم فذاك، وإن قُتِلْتُم كنتم / قد أخذتم ثأركم، قال تأبط شرًّا: بأبي أنت وأمّي، فنعم [١٤٢/٢١] رئيسُ القوم أنت إذا جَدّ الجِدّ، وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حَمْلَةً واحدة فإنكم قليل والقوم كثير، ومتى افترقتم كثَركم القومُ، فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم، فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت، وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز، فقال تأبط شرًّا في ذلك:

جَزَى اللّهِ فتياناً على العوص أمطرت *** سَماؤُهم تحت العَجاجة بالدّم
وقد لاح ضَوءُ الفجر عَرْضاً كأنه *** بَلمحته إقراب أبْلَق أدْهَم[4]
فإنّ شِفاءَ الداء إدراك ذَحْلة *** صباحاً على آثار حوم عَرَمْرَم[5]
/ وضاربْتُهم بالسفح إذ عارَضَتْهُم *** قبائلُ من أبناء قسرٍ وخثعم[6]
ضِراباً غَدَا منه ابنُ حاجز هارباً *** ذُرا الصَّخر في جوف الوجين المُديَّم[7]

٢١٦
١٨

وقال الشَّنفري في ذلك:

دَعيني وقُولي بَعدُ ما شئتِ إنّني *** سَيُغْدَى بنَعْشي مرةً فأُغيّب

(١) الضمير في مثلها يعود إلى الورطة المفهومة من المقام، وقوله: وهي تصفر كناية عن الندم.
(٢) ف: «به الخطب إلا وهو للقصد مبصر».
(٣) اللصب: الشعب في الجبل، ولقمان: صاحب قصة النسور المشهورة في إطالة العمر. يريد أن هذه الحيلة لو قيست بحيلة لقمان، ما قصر عمره مقصر. وفي ب «قاسيت» بدل «قايست»، «الحيان» بدل «لقمان».
(٤) أقرب المهر: دنا، والأبلق: ما فيه بياض وسواد، والأدهم: الأسود، يريد أن ضوء الفجر دنا في الليل دنو فرس اختلط سواده ببياضه.
(٥) الحوم: الجماعة، والعرمرم: الكثير، والذحلة: الثأر.
(٦) قسر أو نسر ـ كما في بعض الأصول ـ وخثعم: قبيلتان.
(٧) الوجين: شط الوادي، المديم: الممطور، وابن حاجز: اسم رجل، ومنعه من الصرف للضرورة.

خرجنَا فلم نعهد وقَلَّت وصاتنا ثمانيةٌ ما بعدها مُتَعَتَّبُ[(١)]

سراحِينُ فتيانٍ كأن وُجوهَهم مصابيحُ أو لونٌ من الماء مذهبُ[(٢)]

[١٤٣/٢١] / نَمُرّ برَهْو الماء صَفْحاً وقد طَوَتْ ثمائلَنا والزّادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ[(٣)]

ثلاثاً على الأقدام حتى سما بنا على العَوْص شَعْشاعٌ من القوم مِحْربُ[(٤)]

فثاروا إلينا في السواد فَهجْهَجُوا وصَوَّت فينا بالصبّاح المُثوّبُ[(٥)]

فشنَّ عليهم هِزَّةَ السيف ثابتٌ وصَمَّم فيهم بالحُسام المُسيَّبُ

وظَلْتُ بفتيانٍ معسي أتقيهمُ بهنّ قليلاً ساعة ثم جنبوا[(٦)]

وقد خَرّ منهم راجلان وفارسٌ كميّ صرعناه وحَوْم مسلّبُ[(٧)]

يَشُقُّ إليه كلّ رَبْعٍ وقَلْعَةٍ ثمانيةٌ والقوم رَجْلٌ ومِقْنبُ[(٨)]

فلما رآنا قومنا قيل أفلَحُوا فقلنا: اسألوا عن قائلٍ لا يُكَذَّبُ

وقال تأبط شرًا في ذلك:

أرى قَدَمَيَّ وقعهُما خَفيفٌ كتحليل الظَّليم حَدَا رِئالَه[(٩)]

أرى بهما عذاباً كلّ يومٍ بخَثْعَمَ أو بَجِيلَةَ أو ثُمالَه[(١٠)]

[١٤٤/٢١] / [(١١)] فَفَرّق تأبّط شرًا أصحابَه، ولم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم، وساق تأبط شراً وأصحابُه الإبلَ حتى قدم بها عُلْيَا مكة [(١١)].

عود إلى سبب تسميته:

وقال غيره: إنما سمي تأبط شرًا ببيت قاله: وهو:

تأبط شرًّا ثم راح أو اغتدَى يُوائِم غُنْماً أو يَشِيفُ على ذَحْلِ[(١٢)]

(١) يريد لم نعهد إلى أحد بمن يخلفنا من قومنا، وقلت وصايانا، وكنا قلة، لا يعتب عاتب علينا إذا ظفر بنا، وكل هذا كناية عن الاستماتة.

(٢) السراحين: جمع سرحان: وهو الذئب، ومذهب: في لون الذهب.

(٣) رهواً: يسير سيراً هيناً، والثمائل: جمع ثميلة، وهي الحب أو السويق أو التمر، يريد أننا خرجنا ولم نهتم بإدخار الماء، وقد نفذ زادنا، ولا أمل لنا في زاد جديد، وهذا كله كناية عن المغامرة.

(٤) الشعشاع: الطويل، والمحرب: المدرب على الحرب. يصف قائد الركب الذي هو فيه.

(٥) الهجهجة: صياح الجيش عند القتال، وثوب ـ بالتشديد ـ: رجع. أي ثاروا عليهم في الليل، وأعادوا الكرة عليهم في الصباح.

(٦) بهن أي بالسيوف المفهومة من سياق البيت السابق، وجنبوا: انكشفوا ومالوا: يريد الأعداء.

(٧) الكمي: الشجاع، وحوم: جمع، وفي رواية «وقرم» بمعنى بطل، ومسلب: عليه سلب كثير أي مدجج بالسلاح.

(٨) رجل: جمع راجل، والمقنب: الخيل يبلغ عددها أربعين. وضمير إليه يعود إلى الحوم المسلب في البيت السابق، وثمانية فاعل يشق، ويريد بالقوم الأعداء.

(٩) التحليل: ضرب من المشي، ومن المحلّل: ثالث الجياد في السباق، والظليم: ذكر النعام، والرأل: ولد النعامة، وجمعه رئال.

(١٠) خثعم: وبجيلة، وثمالة: قبائل.

(١١ ـ ١١) تكملة من هج، هد.

(١٢) يريد بالشر الذي تأبطه سلاحه ونحوه. الذحل: الثأر.

غارته على مراد:

قال: وخرج تأبط شرًّا يوماً يريد الغارةَ، فلقيَ سَرْحاً لمراد فأطرده، ونذرت به مراد، فخرجوا في طلبه، فسبقهم إلى قومه، وقال في ذلك:

إذا لاقيتَ يومَ الصّدق فارْبَع ... عليه ولا يَهمّك يومُ سَوِّ
على أنّي بسَرح بني مرادٍ ... شجوتُهم سِباقاً أيَّ شجوِ
وآخر مثله لا عيبَ فيه ... بَصَرتُ به ليوم غيرِ زوِّ[1]
خَفَضْتُ بساحةٍ تجري علينا ... أباريق الكرامة يومَ لَهْوِ[2]

مع غلام من خثعم:

أغار تأبط شرًّا وحده على خثعم، فبينا هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيّد الأرانبَ، معه قوسُه ونبلُه، فلما رآه تأبط شرًّا أهوى ليأخذه، فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى، وضربه تأبط شرًّا فقتله، وقال[3] في ذلك:

وكادت وبيتِ الله أطنابُ ثابتٍ ... تقوّضُ عن لَيْلَى وتبكي النّوائح
تمنّى فتى منّا يلاقي ولم يَكد ... غلامٌ نَمَتْه المُحْصنات الصّرائح[4]
/ غلام نَمَى فوق الخماسيِّ قدره ... ودون الذي قد تَرْتَجيه النّواكح[5] [١٤٥/٢١]
فإن تك نالته خطاطيف كفّه ... بأبيض قصّال نمى وهو فادح[6]
فقد شدّ في إحدى يديه كِنانةً ... يُداوى لها في أسود القلب قادح[7]

ـ هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبط شرًّا ـ.

قالوا لها لا تنكحيه:

/ قال: وخطب تأبط شرًّا امرأة من هذيل من بني سَهْم فقال لها قائل: لا تنكحيه، فإنه لأول نصل غداً يُفْقَد[8] ٢١٧/١٨

فقال تأبط شرًّا:

وقالوا لها: لا تَنْكِحيه فإنّه ... لأول نَصْل أن يُلاقي مَجمعَا[9]

---

(١) الزو: القرينان، يريد أنه يوم لا مثيل له.

(٢) ف، هد: «خفضت بجأشه»، وخفض: من الخفض بمعنى الدعة، وضمير ساحة يعود على السرح الآخر في البيت قبله. والكرامة: غطاء رأس الحب، وكأنه استعار الحب لدنّ الخمر ونحوه.

(٣) عقب في بعض الأصول على هذه الأبيات بأنها لشاعر من قوم الغلام، وهو الصواب.

(٤) ف: «تمنى فتى منا فلاقى ولم يكد غلاماً... إلخ». والصرائح: الخالصات النسب.

(٥) الخماسي: الغلام طوله خمسة أشبار، ودون الذي قد ترتجيه النواكح: لم يبلغ مبلغ الزواج.

(٦) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو الحديدة الحجناء، وضمير كفه يعود على تأبط شراً، والقصال، السيف القاطع، وهذا البيت من هد، وهج.

(٧) ف، هد: «فقد شد في إحدى يديه حرابه» بدل «كنانة» وفي هد: «يداوى لها» بدل «تداوي». والكنانة: جعبة السهام، وقادح: صفة جرح محذوف، يريد أن أسهم الغلام تحدث جراحاً عميقة في سويداء القلوب.

(٨) لأول نصل غداً يفقد: معرض للموت في كل لحظة.

(٩) لأول نصل، أي يموت لأول ضربة سيف، والمصدر المؤول بدل من نصل أي يموت لأول لقائه جمعاً من المغيرين.

فلـم تَـرَ مَـنْ رأيٍ فتيـلاً وحـاذرت ... تـأيُّمهـا مـن لابـس الليـلِ أَرْوَعـا[١]

قليـلِ غِـرارِ النـوم أكبـرُ هَمِّـه ... دَمُ الثـأر أو يلقـى كَميـاً مُقَنَّعـا[٢]

قليـلِ ادِّخـارِ الـزادِ إلاَّ تَعِلَّـةً ... وقـد نَشَـزَ الشُّـرسُـوفُ والتصـق المِعَـى[٣]

[١٤٦/٢١] / تُنـاضِلـه كـلُّ يشجِّـع نفسَـه ... ومـا طبُّـه فـي طـرْقـه أن يُشجَّعـا[٤]

يبيت بمغنـى الـوحـش حتـى ألِفْنـه ... ويصبـح لا يحمـي لهـا الـدهـرَ مـرتعـا[٥]

رأيـن فتًـى لا صَيْـدُ وحـش يَهمّـه ... فَلَـوْ صـافحـت إنسـاً لصـافَحْنَـه معـا[٦]

ولكـنّ أربـابَ المخـاض يشقّهـم ... إذا افتقـدوه أو رأوه مُشيِّعـا[٧]

وإنـي ـ ولا عِلـمٌ ـ لأعلَـمُ أننـي ... سـألقـى سِنـانَ المـوت يـرشُـقَ أضلعـا[٨]

علـى غِـرّةٍ أو جَهْـرةٍ مـن مُكـاثِـرٍ ... أطـال نِـزالَ المـوت حتـى تَسَعْسَعـا[٩]

ـ تسعسع: فني وذهب. يقال: قد تسعسع الشَّهر، ومنه حديثُ عُمَر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال: «إن هذا الشهر قد تَسَعْسَع» ـ

وكنـتُ أظـن المـوت فـي الحـي أو أرى ... أَلَـذَّ وأكـرَى أو أمُـوتَ مُقَنَّعـا[١٠]

ولسـتُ أبيـتُ الـدَّهـرَ إلا علـى فتـى ... أسلُبُـه أو أذعِـرُ السِـرْبَ أجمَعـا[١١]

ومـن يَضـربُ الأبطـالَ لا بـدَّ أنـه ... سيَلْقى بهـم من مَصْرع الموت مَصْرعا[١٢]

(١) الفتيل: الخيط في شق النواة، ولابس الليل: كثير الغارات ليلاً، وأروع: ذكي الفؤاد، أو يعجب بشجاعته، يريد أنها لم تعر عرض الزواج منها التفاتاً خشية أن تصبح أيما منه.

(٢) غرار النوم: النوم الخفيف، وكميا مقنعاً: شجاعاً ملثماً.

(٣) الشرسوف: الطرف اللين من الضلع مما يلي البطن، والمعي: واحد الأمعاء، يريد أنه دائم الطوى، حتى لتبرز أضلاعه، وتلتصق أمعاؤه بعضها ببعض، لخلوها من الطعام.

(٤) ف: «تنازله» بدل «تناضله»، ولعل المراد: تناضله نفسه، وطرق: جمع طريق أي أنه لا يحتاج إلى مشجع حين يسلك الطرق المخوفة، بخلاف الناس.

(٥) المغنى: المقام: يريد أنه ألف الوحوش وألفته، فهو يبيت معها آمناً، فإذا أصبح أغار عليها.

(٦) ضمير «رأين» للوحوش، أي أنها تحبسه لا يهمه صيد الوحوش، فتكاد تصافحه.

(٧) ف: «مسمعا» بدل «مشيعا». ويشقهم: يؤرقهم، يريد أن الوحوش تأنس به، ولكن أرباب الإبل يخشونه على إبلهم، فهم يفزعون حين يفتقدونه فلا يجدونه، أو حين يرونه مشيعاً إلى رحلة.

(٨) ولا علم أي لي، والجملة اعتراضية، يرشق أضلعاً يرى أضلعه، كناية عن الموت. وفي هد «يبرق أضلعاً» وفي ف: «وإني إن عمرت».

(٩) غرة: غفلة، مكاثر: كثير الغارات: يعني نفسه.

(١٠) كنت أظن الموت في الحي: كنت أعدني ميتاً ما لبثت في الحي. أكرى: أزيد. المقنع: من يلبس البيضة على رأسه. يقول: إنني في عداد الأموات ما أقمت في موطن، حتى أخرج للغزو. فأتلذذ به، وأزيد متعة، أو أموت وعلى رأسي بيضة.

(١١) يقول: لا يقر قراري إلا إذا أصبت فرداً أفوز بسلبه، أو أغرت على سرب من الحيوان لأصيده فيذعر عند رؤيتي، أي أنني أقضي حياتي بين صيد وقنص.

(١٢) من في البيت: موصولة لا شرطية.

[١٤٧/٢١]

/ **عود إلى فراره وترك صاحبيه:**

قال: وخرج تأبط شرًّا ومعه صاحبان له: عمرو بن كلاب أخو المسيّب، وسعد بن الأشرس وهم يريدون الغارة على بجيلة فنذِروا بهم، وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطّريق، فقاتلوهم فقُتِل صاحبا تأبَّطَ شراً ونجا، ولم يكد حتى أتى قومه. فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح: هَرَبْتَ عن أخي وتركتَه وغررته، أما والله لو كنت كريماً لما أسلمته، فقال تأبَّط شرًّا في ذلك:

ألا تِلكمــا عِــرْسـي مَنيعــة ضُمِّنَـت ... مــن الله خِـزْيــاً مُنتشــراً وعــاهنــا[1]

وذكر باقي الأبيات.

وإنما دعا امرأتَه إلى أن عَيَّرَتْه أنه لمّا رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها، وهي من بني القَيْن بن فهم، فبات عندها، فلما أصبح غدا إلى امرأته وهو مُدَّهن مُتَرجِّل، فلما رأته في تلك الحال علمت أين بات، فغارت عليه فعيّرته.

يغير على خثعم:

وذكروا أن تأبط شرًّا أغار على خثعم، فقال كاهن لهم: أروني أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه، فكفئوا على أثره جَفْنة، ثم أرسلوا إلى الكاهن فلما رأى أثره قال: هذا ما لا يجوز في صاحبه الأخذ، فقال تأبط شراً:

ألا أبلــغ بنــي فَهْــم بــن عمــرو ... علــى طــولِ التّنــائـي والمقَــالَــة[2]

مقَــال الكــاهــن الجــامِــيّ لمّــا ... رأى أثــري وقــد أُنهِبــتُ مــالَــة[3]

/ رأى قــدمَــيّ وقْعُهمــا حثيــثٌ ... كتحليــلِ الظليــم دعــا رئــالــة[4]

أرى بهمــا عــذابــاً كــلَّ عــام ... لخثعــمَ أو بجيلــةَ أو ثُمــالــة[5]

/ وشــرٌّ كان صُــبَّ على هذيــل ... إذا علِقــت حِبالهــمُ حِبالَــه[6]

ويَــومُ الأزد منهــم شــرّ يــوم ... إذا بَعُــدوا فقــد صَــدَقــتُ قــالــه[7]

٢١٨/١٨ — [١٤٨/٢١]

فزعموا أن ناساً من الأزد ربئوا لتأبط شراً ربيئة[8] وقالوا: هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره، فأقيموا فيه حتى يأتيكم، فلما دنا من القوم توجس، ثم انصرف، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز، ومر قريباً فطمعوا فيه، وفيهم رجل يقال له حاجز؛ ليث من ليوثهم سريع، فأغروه به فلم يلحقه، فقال تأبط شرًّا في ذلك:

(١) تقدم شرح هذا البيت.
(٢) يريد على طول التنائي وطول طريق الرسالة التي يريد إبلاغها إليهم.
(٣) أنهبت «بالبناء للمجهول»، وما له مفعول ثان.
(٤ ـ ٥) تقدم هذان البيتان وشرحهما.
(٦) ضمير حباله يعود على الكاهن، يريد أن هذيلاً لو استعانت بالكاهن أيضاً ما أجداها ذلك.
(٧) القال هنا بمعنى القول، والضمير في قاله يعود على الكاهن.
(٨) ربئوا له ربيئة: أقاموا عليه جاسوساً.

تَتعتعتُ حِضْنَيْ حاجزٍ وصحابِه ... وقد نبذوا خُلقانَهم وتشنَّعوا[١]

أظن وإن صادفتُ وعثاً وأنْ جرى ... بِيَ السَّهلُ أو متنٌ من الأرض مَهْيَع[٢]

أُجاري ظلالَ الطير لو فات واحدٌ ... ولو صدقوا قالوا له هو أسرع[٣]

فلو كان من فتيان قيسٍ وخندفٍ ... أَطاف به القُنَّاصُ من حيث أُفزِعوا[٤]

وجاب بلاداً نصفَ يوم وليلة ... لآبَ إليهم وهو أشوسُ أرْوَع[٥]

فلو كان منكم واحدٌ لكُفيتُه ... وما ارتجعوا لو كان في القوم مطمع[٦]

[١٤٩/٢١] / فأجابه حاجز:

فإن تك جاريْتَ الظلالَ فربما ... سُبِقْتَ ويومُ القِرْن عُريان أسْنَع[٧]

وخلَّيْتَ إخوان الصفاء كأنهم ... ذبائحُ عَنزٍ أو فَحِيلٌ مُصرَّع[٨]

تبكِّيهمُ شجوَ الحمامة بعدما ... أرحْتَ ولم ترفع لهم منك إصْبَع[٩]

فهذي ثلاثٌ قد حويت نجاتَها ... وإن تنجُ أخرى فهي عندك أربع

خير أيامه:

أخبرني[١٠] عمّي قال: حَدَّثنا عَبدُالله بنُ أبي سَعْد قال ذكر عليُّ بن محمد المدائِنيُّ، عن ابن دَأْب قال:

سُئِل تأبط شرًّا: أيّ يَوْم مَرَّ بك خَيْر؟ قال: خرجت حتى كنت في بلاد بَجيلة، أَضاءَت لي النارُ رجلاً جَالِساً إلى امرأة. فعَمَدتُ إلى سيفي فدَفَنْتُه قَرِيباً، ثم أقبلتُ حتى استأنَسْت، فَنَبَحَنِي الكَلبُ، فقال: ما هذا؟ فقُلْتُ: بَائِس. فقال: ادنُه، فدنَوْتُ، فإذا رَجُلٌ جِلْحاب آدم[١١]، وإذا أَضوَى[١٢] الناس إلى جانبه، فشكوتُ إليه الجوعَ

(١) الحضن: ما دون الإبط إلى الكشح، يريد أنه كد أحضان حاجز ورفاقه من الجري خلفه، والخلقان: ما بلي من الثياب، وشنع الخرقة: شعثها، أي أنهم تخففوا من بعض ثيابهم، وشعثوا ما بقي لها من طول الجري.

(٢) الوعثاء: الطريق يصعب سلوكه، والمهيع عكسه، يصف نفسه بسرعة العدو، فيقول: إنه حين يعدو يظن أن الأرض تجري به، وإن كانت طرقها ملتوية على السالك.

(٣) في ف «ولو صدقوا قالوا بلى أنت أسرع» يريد أنه يسبق الطير.

(٤ ـ ٥) ضمير كان يعود على حاجز، وأفزعوا «بالبناء للمجهول»، وجملة أطاف... إلخ حال من اسم كان، لآب جواب لو، أشوس هنا بمعنى ينظر بمؤخر عينه غيظاً، وأروع هنا من الروع بمعنى الفزع أي لو كان حاجز من بجيلة، وخندف، ومعه لفيف من القناصة الفزعين، وجروا وراءه مدة طويلة لآب إلى قبيلته بالفشل.

(٦) يريد لو كان من يطلبني واحدا لظفرت به، ولو كان لمن تبعوه مطمع فيه ما رجعوا بالخيبة.

(٧) القرن: القرين المنافس، عريان: صحو لا غيم فيه، أسنع: أفضل، يقول: إن تك عداء تسبق الظلال فربما سبقك القرن في يوم جميل موات.

(٨) الفحيل: فحل الإبل إذا كان كريماً.

(٩) شجو مفعول مطلق لفعل محذوف، أي وأنت تشججو شجو الحمامة، أرحت: عدت إلى حيك، ولم ترفع لهم منك إصبع: لم تحاول الدفاع عنهم.

(١٠) من أول هذا الخبر إلى آخر الترجمة ساقط من نسخة ب ولكنه مثبت في ف وبعض الأصول.

(١١) جلحاب: ضخم، آدم: أسمر.

(١٢) أضوى: من الضوى، بمعنى دقة العظم وقلة اللحم، كأنه يصفها بالرشاقة وعدم الترهل. وربما كانت محرفة عن أضوا من الضوء.

والحاجةَ، فقال: اكْشِف تلك القَصْعة، فأتيت قَصْعَة إلى جَنْب إبله، فإذا فيها تَمْر ولبن، فأكلتُ منه حتى شَبِعتُ، ثم خَررتُ مُتناوماً، فوالله ما شئت أن أَضْطَجِع حتى اضْطَجَع هو ورفع رِجْله على رِجْله، ثم اندفع يُغَنّي وهو يقول:

/ خَيْـرُ اللَّيـالـي إن سـألـت بليلـة ... لَيـل بخيمـة بيـن بِيـشَ وعَثَّـرِ[1] [٢١/١٥٠]

لِضَجيـع آنسـةٍ كـأنَّ حَـديثَهـا ... شَهـدٌ يُشـاب بمـزجـةٍ مـن عَنْبَـر

وضجيـع لاهيـةٍ ألاعِـب مِثلَهـا ... بيضـاءَ واضحـةٍ كَظِيـظ المِئْـزَر[2]

ولأَنْـت مثلُهمـا وخَيـرٌ منهمـا ... بعـد الـرُّقـاد وقبـل أن لـم تُسْحِـري[3]

قال: ثم انْحَرَف فنَام، ومَالَت فنَامَت: فقلتُ: ما رأيتُ كاللَّيلة في الغِرَّة، فإذا عَشْر عُشَراوات[4] بين أَثْلاث[5] فيها عبد واحد وأَمَة، فَوثبتُ فانْتَضَيت سَيْفي، وانتحَيْت للعَبْد فقَتَلْته وهو نائم، ثم انحرَفْت إلى الرجل فوضَعْت سَيفِي على كَبِده حتى أخرجتُه من صُلْبه، ثم ضَربْت فَخِذ المرأة فَجَلست، فلما رأتْه مَقْتُولاً جَزِعَت، فقلت: لا تَخافِي، أنا خير لك منه. قال: وقُمْت إلى جُلّ متاعها فرحلته على بعض الإبل أنّا والأَمَة فما حللتُ عَقْده حتى نزلت بِصَعْدة بَنِي عَوْف بن فِهْر. وأعرستُ بالمرأة هناك وحين اضطجعت فتحت عقيرتي وغنَّيت:

بِحَليلـة البجلـيّ بِـتّ مـن ليلهـا ... بيـن الإزار وكَشْحِهـا ثـم الصَّـقِ[6]

بـأنيسـةٍ طُـويـت علـى مَطْـويّهـا ... طـيَّ الحمـالـةِ أو كطـي المِنْطَـقِ[7]

/ فـإذا تقـوم فصَعـدةٌ فـي رَمْلَـة ... لَبَـدَت بِـرَيِّـق ديمـة لـم تُغـدِقِ[8] [٢١/١٥١]

وإذا تجـيءُ تجـيء شحـب خلفهـا ... كـالأيـم أصْعَـد فـي كَثِيـبٍ يَـرْتَقـي[9]

كَـذَب الكَـواهِـنُ والسَّـواحِـرُ والهُنـا ... أن لا وفـاء لعـاجِـزٍ لا يَتَّقِـي[10]

قال: فهذا خَيرُ يوم لَقِيتُه.

---

(١) خيمة، بيش، عثر: أماكن، وفي «المختار»: «... أن أبيت بليلة» بدل «أن سألت بليلة».

(٢) كظيظ: من الكظة، وهي امتلاء البطن، يصفها بضخامة العجز، وهي غير صاحبته الضاوية.

(٣) الإسحار: الدخول في السحر، يفضل صاحبته الضاوية على من ذكرهما في البيتين السابقين. عند المضاجعة بعد الرقاد، وقبل السحر.

(٤) عشراوات: جمع عشراء، وهي من مضى على حملها عشرة أشهر من النوق.

(٥) الأثلاث: جمع أثلة: شجر معروف.

(٦) في «المختار»: «... بت بليلة» بدل «بت من ليلها».

(٧) الحمالة: حمالة السيف التي تتصل بجرابه، والمنطق: ما يتمنطق به، يريد أنها مجدولة جدل هاتين. وفي «المختار»: «طويت على أقرابها» بدل «على مطويها».

(٨) الصعدة: القناة المستوية، كناية عن حسن القوام. لبدت: تلبدت.
الديمة: السحابة لم تغدق: لم يكن مطرها غزيراً، يصفها بالترنح في مشيتها، كأنها تمشي على أرض تلبدت بمطر خفيف.

(٩) الشحب: العمود، كأنه يريد خيالها. وفي هج: «وإذا تجيء أتت بنجد خلفها» كأنه يصفها بضخامة العجز، والأيم: الحية الأبيض اللطيف النظر، وفي «المختار»: «... تجي بجيد خلفها».

(١٠) كذا في معظم الأصول. وفي هج: «أن لا وقاء» بدل «أن لا وفاء». ونرجح أن «الهنا» محرف «النهي» والمعنى على ذلك أن العاجز الذي لا يحتاط قد تكتب له السلامة... والمقصود بالبيت تحبيذ المغامرات التي يخوضها. وفي «المختار»: «زعم الكواهن والسواحر والرقا».

شر أيامه:

وشَرُّ يوم لَقيت أنّي خَرجتُ، حتى إذا كنتُ في بلاد ثُمالَة أطوف، حتى إذا كُنتُ من القفير [١] عَشيًّا إذا أنا بسبع خلِفات [٢] فيهن عَبْد، فأقبلت نحوَه، وكأنّي لا أُريدُه وحذرني فجعَل يَلُوذُ بنَاقة فيها حَمْراء، فَقلتُ في نَفسِي: والله إنه ليَثِق بها. فأُفوّق له، وَوَضَع رِجلَه في أرْجُلِها وجَعَل يَدُور معها، فإذا هو على عَجُزها. وأرميه حين أشْرف فوضعتُ سَهْمِي في قَلْبه فَخرَّ، وندّت الناقةُ شَيْئاً وأتبعتُها فرجَعَت فسُقْتُهنَّ شيئاً ثم قلت: واللهِ لو رَكِبْت الناقةَ وَطَرَدْتُهنَّ، وأخذت بعُثْنُون [٣] الحَمْراء فوثبت، فساعَة استويت عليها كَرَّت نحو الحَيّ تريع وتَبِعَتها الخَلِفات، وجَعلتُ أُسَكِّنها وذهبت، فلمّا خَشِيت أن تَطْرحَني في أيدِي القَوْم رَميتُ بنَفْسي عنها، فانكَسَرت رِجْلي، وانطَلَقتْ والذَّودُ [٤] معها. فخرجْتُ أعرَج، حتى انخَنَسْتُ [٥] في طرف كثيب وَجازني الطَّلب، / فَمَكثْت مكاني حتى أظْلمت، وشَبَّت لي ثلاثةُ أنوار فإذا نار عَظِيمة ظَننْت أن لها أهلاً كثيراً، ونَارٌ دُونَها، ونُوَيْرة صغيرة، فهوَيت للصُّغْرى، وأنا أجمِر [٦]، فلما نَبَحَنِي الكلبُ نادى رَجُل فقال: مَنْ هذا؟ فقلت: بائِس، فقال: ادنُهْ، فدَنَوتُ وجلست وَجَعل يُسائِلُني، إلى أنْ قال: والله إني لأجد منك ريح دم. فَقلت: لا واللّه، ما بِي دَمٌ. فوَثَب إليَّ فَنَفَضَنِي، ثم نَظَر في جَعْبَتِي فإذا السهم، فَقُلت: رمَيت العشيَّةَ أرنباً فقال كذبت، هذا رِيحُ دَم إنسان، ثم وَثَب إليَّ ولا أدفَعُ الشَّرَّ عن نَفسي فأوثقني كِتافاً، ثم علَّق جَعبتي وقَوسِي، وطرحَنِي في كِسْر البَيْتِ ونام، فلما أسحرتُ حَرَّكْت رِجلِي، فإذا هي صالحة وانفَتَل الرِّباط فحَلَلْته، ثم وَثبت إلى قوسي وَجعْبتي فأخذتُهما ثم هَممْت بقتْله فَقلت: أنا [٧] ضَمِنُ الرَّجل، وأنا أخشى أن أُطلَب فأُدرَك ولم أقتُلْ أحداً أحب إلي، فولَّيت وَمَضيْت. فوالله إني لَفِي الصَّحراء أحدّثُ نَفسِي إذا أنا به على نَاقَةٍ يَتْبَعُني، فلمَّا رأيتُه قد دَنَا مني جلست على قوسي وَجعْبتي وأمنته، وأقبل فأناخ راحِلَتَه ثم عَقَلَها، ثم أقبل إليّ، وعَهدهُ بي عَهدُه، فقلت له: وَيْلَكَ، ما تُرِيد مِنّي؟ فأقبل يَشتُمُني، حتى إذا أمكنَنِي، وَثَبْتُ عليه فما ألبَثْته أن ضَربتُ به الأرض، وَبَركت عليه أربطه، فجعل يصيح: يا لثمالة، لم أرَ كاليوم. فَجَنبْتُه إلى ناقته وَركبْتُها، فما نزعت حَتَّى أحللتُه في الحَيّ، وقلت:

أغَـرّكَ منّـي يـا بـنَ فَعْلـةَ عِلّتـي ... عَشِيَّـةَ أن رابـت علـيَّ روائِبـي [٨]

وَمُـوقَـد نيـران ثَـلاثٍ فشَـرُّهَا ... والأَمُهـا إذ قُـدْتُهـا غيـر عـازِبِ [٩]

سلبـتَ سِـلاحِـي بَـائِسـاً وشَتَمْتَنِـي ... فيـا خَيْـرَ مَسْلُـوب ويا شَرَّ سَالِب [١٠]

(١) القفير: علم على الماء.
(٢) الخلفات: جمع خلفة، وهي الناقة الحامل.
(٣) العثنون: شعيرات طوال تحت حنك الناقة أو البعير.
(٤) الذود: جماعة الإبل.
(٥) انخنس: تأخر، أي التجأ إلى طرف الكثيب.
(٦) يجمر: يثب كالجواد في القيد لأنه كان مصاباً في رجله.
(٧) ضمن الرجل، يقال: جواد ضمن: متلكىء لا يسير إلا بالضرب.
(٨) فعلة: كناية عن اسم أم من يسبه. الروائب: جمع رائبة أي الحادثة المؤذية.
(٩) غير عازب: غير منصرف عنها، وفي «المختار»: «وألأمها أو قدتها غير عازب». بدل «إذ قدتها...».
(١٠) في «المختار»: «سلبت سلاحي...» بدل «سلبت....».

/ فإن أكُ لم أخضِبك فيها فإنَّها نَيوبُ أساوِيدٍ وشَوْلِ عَقارِبِ[١] [١٥٣/٢١]

ويا رَكْبةَ الحَمْراءِ شَرَّة رَكْبةٍ وكادَتْ تكونُ شَرَّ ركبةِ راكِبِ[٢]

مخاتلة يظفر فيها:

قال: وخرج تأبّط غازياً يُريد الغارةَ على الأَزْد في بعضِ ما كان يُغِير عليهم وَحْدَه، فَنَذَرت به الأَزْد، فأَهْمَلُوا له إبلاً، وأمرُوا ثَلاثةً من ذَوِي بَأْسِهم: حاجزَ بنَ أُبَيّ، وسَوادَ بنَ عَمْرو بنِ مَالِك، وعَوْفَ بنَ عَبْدالله، أن يتبعوه حتّى يَنام فيأخذُوه أَخْذاً، فَكَمنوا له مَكْمَناً، وأقبل تأبّط شرًّا فبصُرَ بالإبل، فطَرَدَها بَعضَ يَومِه. ثم تركها ونَهَض في شِعْب لِيَنْظُر: هل يَطْلُبه أحدٌ؟ فكَمَنَ القَومُ حين رَأوْه ولم يَرَهُم، فلمّا لم يَرَ أحداً في أثره عاود الإبل فشلَّها[٣] يومه ولَيْلَتَه والغد حتى أمسَى، ثم عَقَلَها، وصَنَع طَعاماً فأكَلَه، والقَومُ يَنْظُرون إليه في ظله، ثم هيّأ مُضْطَجعاً على النّار، ثم أَخْمَدها وَزحفَ على بَطْنِه ومعه قَوسُه، حتى دَخَل بين الإبل، وخَشِي أن يَكونَ رآه أحد وهو لا يَعْلَم، ويأبى إلا الحذَر والأَخْذ بالحَزْم، فَمكَث ساعة وقد هَيّأ سَهْماً على كَبِد قَوسِه، فلما أحَسُّوا نومَه أقبلوا ثَلاثَتُهم يَؤُمّون المِهادَ الذي رَأوه هيّأه، فإذا هو يرمي أحدَهم فَيَقْتُلُه، وجال الآخران، ورَمَى آخرَ فَقتَله، وأفْلَت حاجزٌ هارِباً، وأخذ سَلَب الرَّجُلَين، وأطلق عقل الإبل وشلَّها حتى جاء بها قومه، وقال تأبّط في ذلك:

تُرَجِّي نِساءُ الأَزْدِ طلعةَ ثابِتٍ أسِيراً ولم يَدْرِين كيف حَوِيلي[٤]

/ فإنّ الأُلى أوصَيْتُم بَيْنَ هارِبٍ طَرِيدٍ ومَنْفُوحِ الدِّماءِ قَتِيلِ[٥] [١٥٤/٢١]

وخِدتُ بهم حتى إذا طال وَخْدُهم وراب عليهم مَضجَعي وَمَقِيلي[٦]

مَهدتُ لهم حتى إذا طاب رَوعُهم إلى المَهْدِ خاتلْتُ الضُّيا بِخَتِيلِ[٧]

فلما أحسُّوا النَّوم جاءُوا كأنَّهم سِباعٌ أصابت هجمةً بِسَلِيلِ[٨]

فقَلّدتُ سَوّارَ بنَ عَمرو بنِ مالِكٍ بأسمرَ جَسْرِ القُذَّتَين طَمِيلِ[٩]

فخَرَّ كأنَّ الفِيلَ ألقى جِرانَه عليه بِرَيّانِ القِواءِ أسِيلِ[١٠]

---

(١) فيها: الضمير يعود على السلاح، وهو يذكر ويؤنث. والأساويد: الحيات. وشول العقارب: العقارب رافعة أذنابها.

(٢) يريد بالحمراء، الناقة التي كانت سبباً في إصابة رجله. وفي «المختار»: «لقد كدت ألقي بعدها غير راكب».

(٣) شل الإبل: طردها.

(٤) الحويل: الاحتيال والمهارة.

(٥) في «المختار»: «فإن الألى أوصيتهم بين هارب».

(٦) الوخد: ضرب من السير، وراب عليهم: التبس عليهم. ومقيلي: موضع راحتي عند القيلولة. وفي «المختار»: «وطال عليهم مضجعي ومقيلي». بدل «وراب عليهم».

(٧) في بعض النسخ: «طال روعهم» ونرجح أنها «طاب» لا «طال». والروع: القلب، كناية عن الاطمئنان، وخاتلت: خادعت، وفي بعض بعض النسخ أيضاً: «الصبا» بدل «الضيا» ولعل المراد: أنه خدعهم نهاراً، والمعنى الإجمالي للبيت غير خاف.

(٨) السليل: وسط الوادي، أو جرى الماء فيه.

(٩) الأسمر: يريد السهم، والجسر: الضخم، والقذة: ريش السهم، والطميل: العريض النصل، يريد أنه أضحى سواراً بسهم هذه صفته، وفي «المختار»: «... جسر القذتين طويل».

(١٠) الجران: مقدم العنق، والقواء: الأرض القفر، والأسيل: المستوى الأملس أي خر لا حراك به كأن الفيل أنحى عليه بعنقه فوق أرض قفراء ملساء مخضلة بالماء، وكل هذه الصفات مما يزيد التصاقه بالأرض، بل غوصه فيها، وفي «المختار»: «عليه بثرثار=

وظـل رعـاع المَتْـن مـن وقـع حـاجـز يخـرُّ ولـو نَهْنَهْـتَ غَيْـر قَلِيـل[١]

لأبـتَ كمـا آبـا ولـو كُنـتَ قـارنـاً لجئـتَ ومـا مـالكـتَ طـول ذَميلِـي[٢]

[٢١/١٥٥] / فَسـرَّكَ نَـدْمـانَـاك لمَّـا تَتَـابعَـا وأنَّـك لـم تَـرْجِـع بعَـوَص قَتِيـل[٣]

سَتـأتـي إلـى فَهْـم غَنِيمَـةُ خلْسَـة وفـي الأزد نَـوْحُ وَيْلَـةٍ بِعَـوِيـلِ

فقال حاجِزُ بنُ أبيّ الأزدي يُجيبُه:

* سـألـتُ فلـم تُكلِّمنـي الـرُّسـوم *

وهي في أشعار الأزد.

فأجابه تأبَّط شَرًّا:

لقـد قـال الخِلـيُّ وقـال خَلْسـاً بظهـر الليـل شُـدَّ بـه العُكـومُ[٤]

لِطَيـفِ مـن سُعـادَ عَنـاك منهـا مُـراعـاةُ النُّجـوم ومَـنْ يَهِيـمُ[٥]

وتلـك لئـن عُنِيـتَ بهـا رَداحٌ مـن النّسـوان مَنْطِقُهـا رَخِيـمُ[٦]

نِيـاقُ القُـرطِ غَـرّاءُ الثّنـايـا ورَيْـداءُ الشَّبـاب ونِعْـم خِيـمُ[٧]

ولكـن فـاتَ صـاحـبُ بَطْـن رَهْـوٍ وصـاحبـه فـأنـتَ بـه زَعِيـمُ[٨]

أُوَاخِـذُ خُطَّـة فيهـا سـواءٌ أُبِيـتُ وَلَيـلُ واتـرِهـا نَـؤُومُ[٩]

[٢١/١٥٦] / ثـأرتُ بـه ومـا اقْتَـرفَـتْ يَـداه فَظَـلَّ لهـا بنـا يـومٌ غَشُـومُ[١٠]

نَحُـزُّ رقـابَهـم حتـى نَـزَعْنـا وأنـفُ المَـوْت مَنْخِـرُه رَمِيـمُ[١١]

= القواء... إلخ». وفي هد، هج: «عليه بريان الفؤاد أسيل».

(١ ـ ٢) الرعاع: من لا فؤاد له، وحاجز اسم رجل: نهنهت: زجرت نفسك عن الفرار.
القارن: حامل النبل أو السيف، والذميل: نوع من السير: يقول: وظل الجبان بعد أن خر حاجز يقع من الخوف، ولو أنك نهنهت نفسك عن الفرار للحقت بزميلك، ولو كنت ذا سيف أو نبل لثبت، ولم تلجأ إلى الجري. وفي «المختار»: «ولو نهنهت سوق قليل» وكذا في هج.

(٣) العوص: الشدة أو الداهية ونحوها. يقول: سرك صاحباك حينما صرعا، ولم تصرع مثلهما. وفي «المختار»: «وأنك لم ترجع بعرض قتيل».

(٤ ـ ٥) خلسا: خلسة وخفية، العكوم: ما تشد به الرحال، أي قال الخلي خفية لطيف سعاد في ليل شدت به الرحال: قال عنك: إنك من هواها تراقب النجوم سهراً وتتفكر في العشق والعاشقين.

(٦) الرداح: الممتلئة الجسم، المنطق الرخيم: اللين.

(٧) النياق: جمع ناقة، والمراد هنا بها كواكب مصطفة على هيئة الناقة؛ يشبه قرطها بالكواكب، غراء الثنايا: بيضاء الأسنان، وريداء الشباب: كذا في الأصول، وهو مصغر ورداء، ولم نجد ورداء في اللغة، فلعلها رويداء من قولهم: رويداء، بمعنى ترفق، أي رقيقة الشباب، الخيم: الصفات، أي نعمت صفاتها، وفاعل نعم هنا غير جار على الأصول النحوية المعروفة.

(٨) انتقال من الغزل إلى الملاحاة، ولعله يريد بصاحبي بطن رهط من صرعهما، ويقول لمن يلاحيه: أنت بهما زعيم أي كفيل.

(٩) يريد أنه يأخذ بخطة مستوية في الأخذ بالثأر، يبيت من أجلها يقظان، ويبيت الواتر عنها نائماً.

(١٠) ضمير به يعود على قتيل يقصده، وما اقترفت يداه أي لم يدفع عن نفسه، وضمير لها يعود على الخطة، واليوم الغشوم: الظلوم لكثرة من مات فيه.

(١١) رميم: بال، وهو كناية عن أن الموت كان طوع أيديهم، لا يستعصى عليهم.

وإن تَقَعِ النُّسُورُ عليَّ يوماً ... فلَحْمُ المُعْتَفِي لَحْمٌ كَرِيمُ[١]

وَذِي رَحِمٍ أحالَ الدَّهْرُ عنه ... فلَيْسَ له لذي رَحِمٍ حَرِيمُ[٢]

أصابَ الدَّهْرُ آمِنَ مَرْوَتَيْه ... فألقاهُ المُصاحِبُ والحَمِيمُ[٣]

مَدَدْتُ له يَميناً من جَناحِي ... لها وَفْرٌ وكافِيَةٌ رَحُومُ[٤]

أُواسِيهِ على الأيَّامِ إنِّي ... إذا قَعَدَتْ به اللُّؤَما ألُومُ[٥]

موت أخيه عمرو:

ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المُسْتَغَلِّ[٦] ؛ وهي سوق كانت العرب تجتمع بها، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبط شرًا لمن حضر من قومه: لا واللات والعُزّى لا أرجع حتى أغير على بني عُتَيْرٍ من هذيل، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما، فأطردوا إبلاً لبني عُتَيْر فأتبعهم أرباب الإبل، فقال عمرو: أنا كَارٌّ على القوم ومُنْهِنهم[٧] عنكما، فامْضِيا بالإبل. فكرّ عليهم فنهنهم طويلاً، فجَرَح في القوم رئيساً، ورماه رجل من بني عُتَيْر بسهم فقتله، فقالت بنو عُتَير: هذا عمرو بن جابر، ما تَصْنَعُون / أن[٨] تلحقوا بأصحابه؟ أبعدها اللّهُ من إبل، فإنا [٢١/١٥٧] نخشى أن نَلحقهم فيقتل القومُ منا، فيكونوا قد أخذوا الثّار، فرجعوا ولم يُجاوِزوه. وكانوا يَظُنُّون أن معه أناساً كثيراً، فقال تأبّط لمّا بلغه قَتلُ أخيه:

وحَرَّمْتُ النِّساءَ وإن أُحِلَّتْ ... بشَوْرٍ أو بمَزْجٍ أو لِصابِ[٩]

حياتي أو أزور بني عُتَيْرٍ ... وكاهِلَها بَجَمْعٍ ذي ضَبابِ[١٠]

إذا وَقَعَتْ لكَعْبٍ أو خُثَيْمٍ ... وسَيَّارٍ يَسُوغُ لها شَرابِي[١١]

أظُنُّنِي مَيِّتاً كَمَداً ولَمّا ... أُطالِعْ طلعةً أهلَ الكِرابِ[١٢]

ودُمْتُ مُسَيَّراً أهْدِي رعيلا ... أؤمّ سَوادَ طَوْدٍ ذي نِقابِ[١٣]

(١) المعتفي: الرائد، أو طالب الفضل.
(٢) أحال الدهر عنه: تحول عنه، أي أحنى عليه، فليس له لذي رحم حريم، أي لم تعد له حرمة عند أقاربه.
(٣) المروة: جبل بمكة. يريد بآمن مروتين آمن حصنية.
(٤) رحوم: كثير الرحمة، مثل رحيم، يريد أنه لم يقصر في مواساته.
(٥) يريد: إذا تنكر له اللؤما ـ مقصور اللؤماء ـ وفي هج «اللؤمي».
(٦) هج: «المسقل» بدل «المستغل».
(٧) نهنهم: زجرهم وردهم.
(٨) ما تصنعون أن تلحقوا: بأن تلحقوا، يريد، لا فائدة باللحاق بهم.
(٩) الشور: العسل، والمزج: نوع منه أيضاً. والصاب: شجر مر، ولعل المعنى: حرمت على نفسي النساء الحلال، سواء كانت عسلاً أو صاباً.
(١٠) الكاهل: مقدم الظهر مما يلي العنق، يريد: أبذل حياتي، أو أغزو عتيراً التي قتلت أخاه، ويتوغل في غزوها حتى يقف على كاهلها بجمع كثيف كأنه الغبار الذي يكتنفه ضباب.
(١١) فاعل وقعت محذوف، تقديره المنية، أي إذا أوقعت بهؤلاء يحل لها شرابي، وضمير لها يعود على حياتي.
(١٢) الكراب: مجاري الماء في الوادي.
(١٣) رعيلاً، أي جماعة من الفرسان، يقول: أظنني ميتاً إن لم أغزهم، وأظل أسوق إليهم الفرسان تخترق كل جبل تغطيه السحب.

فأجابه أنسُ بنُ حذيفةَ الهُذَليُّ:

لعلّكَ أن تَجيءَ بكَ المَنايَا ... تُساقُ لِفتْيةٍ منّا غضابِ
فتنزلَ في مَكَرِّهمُ صريعاً ... وتنزلَ طُرْقةَ الضَّبُعِ السّغابِ[1]
تأبَّطَ سَوْأةً وحملتَ شَرًّا ... لعلكَ أن تكونَ منَ المُصابِ[2]

[٢١/١٥٨] / **أخوه السمع يثأر لأخيه عمرو:**

ثم أن السَّمع بن جابر أخا تأبّط شرًّا خَرَج في صَعاليكَ من قومه يريد الغارة على بني عُتير ليثأر بأخيه عَمْرو بن جابر، حتى إذا كان بِبلاد هذيل لَقِي راعياً لهم، فسأله عنهم، فأخبره بأهل بَيْت من عُتَير كثيرٍ مالُهم، فبيّتهم، فلم يُفلِت منهم مُخبِر، واستاقوا أموالَهم، فقال في ذلك السَّمع بنُ جَابِر:

بأعلى ذي جماجمَ أهلُ دارٍ ... إذا ظَعَنَت عشيرتُهم أقاموا[3]
طرقْتُهمُ بفتيانٍ كِرامٍ ... مَساعِيرٍ إذا حَمِيَ المُقامُ
متى ما أدعُ من فَهْمٍ تُجِبْني ... وعدوانِ الحماةِ لهم نِظامُ[4]

إصابته في غارة على الأزد:

ذكروا أن تأبّط شَرًّا خرج ومعه مُرّة بن خُلَيف يريدان الغارة على الأزد، وقد جَعَلا الهِدايَةَ بينهما، فلما كانت هداية مُرّة نعس، فجار عن الطريق، ومضيا حتى وَقَعَا بين جبال ليس فيها جبل متقارب، وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها؛ وإذا البيض والفراخ بظهور الأكَم، فقال تأبّط شرا: هلكنا واللّاتِ يا مرّة، ما وَطِىء هذا المكان إنسٌ قبلنا، ولو وَطِئتَه إنسٌ ما باضتْ الطَّيرُ بالأرض، فاختر أيّة هاتين القُنّتين شئت، وهما أطول شيء يُرِيَان من الجبال، فأصعدُ إحداهما وتصعد أنت الأخرى، فإن رأيت الحياة فألِحْ بالثوب، وإن رأيت والموت فألح بالسيف،فإني فاعل مِثلَ ذلك، فأقاما يومين. ثم إن تأبط شرًّا ألاح بالثَّوب، وانحدرا حتى التقيا في سَفْح الجبل، فقال مُرّة: ما رأيتَ يا ثابت؟ قال: دخاناً أو جراداً. قال مُرّة: إنك إن جَزِعت منه هلكنا، فقال تأبّط شرًّا: أما أنا فإنّي سأخْرُم بك من حيث تَهْتدي الريح، فمكثا بذلك يومين وليلتين، ثم تَبِعَا الصَّوت، فقال تأبط شرًّا: النَّعَمُ والنّاس. أما والله لئن عُرِفنا لنُقتَلنّ، ولئن أغرنا / لنُدْرَكَنَّ، فأتِ الحَيّ من طرَف وأنا من الآخر، ثم كُنْ ضيفاً ثلاثا، فإن لم يرجع إليك قلبُك فلا [٢١/١٥٩] رَجَع، ثم أَغِر على ما قِبَلك إذا تَدلّت الشمس فكانت قدرَ قامة، ومَوْعِدُك الطريق. ففعلا، حتى إذا كان اليوم الثالث[5] أغار كل واحد منهما على ما يليه، فاستاقا النعم والغنم، وطردا يوماً وليلة طرداً عنيفاً حتى أمسيا الليلة الثانية[5] دَخلا شِعْباً، فنَحرا قَلُوصاً، فبينا هما يَشْويان إذا سمعا حِسًّا على باب الشِّعب، فقال تأبط: الطَّلَبُ يا مُرّة،

(١) مكرهم: موضع الكر، أي الميدان. السغاب: الجياع.

(٢) السوأة: العورة، وفي البيت التفاف من الغيبة إلى الخطاب، وقوله من المصاب أي من النفر المصاب، وقد وردت كذلك في الأصول، ولعلها مع المصاب، ويعني بالمصاب أخاه، أي لعلك تلحق به.

(٣) بأعلى ذي جماجم: يريد الجبل الذي ينزلون به.

(٤) متى ما أدع: متى ما أدعهم، وعدوان الحماة لهم نظام: جملة حالية، أي عداوة الأبطال نظامهم، ونرجح أن الحماة تحريف الحياة، أي يجيبونني وهم يكرهون الحياة ويحبون الموت. وفي «المختار»: متى ما أدع في فهم بدل «من فهم» وفيه: «وعدوان الكرام لهم نظام» بدل «وعدوان الحماة».

(٥ ـ ٥) ساقط من نسخ «الأغاني» والزيادة عن «المختار».

إن ثَبَتَ فلم يدخل فهم مُجيزون، وإن دخل فهو الطلب، فلم يلبث أن سَمع الحِسَّ يدخل، فقال مُرّة: هلكنا، ووضع تأبط شرًّا يده على عضد مُرّة، فإذا هي تُرْعد، فقال: ما أُرْعِدت عضدك إلا من قِبَل أُمك الوابشية[1] من هذيل، خذ بظَهْري، فإن نجوتُ نجوتَ، وإن قُتِلتُ وقيتُك. فلما دنا القوم أخذ مُرّة بظهر تأبط، وحمل تأبط فَقَتَل رجلاً، ورموه بسهم فأعلقوه فيه، وأفلتا جميعاً بأنفسهما، فلما أَمِنا وكان من آخر الليل، قال مُرّة: ما رأيت كاليوم غنيمة أُخِذت على حين أشرفنا على أهلنا، وعض[2] مُرّةُ عضده، وكان الحي الذين أغاروا عليهم بجيلة، وأتى تأبّط امرأتَه، فلما رأيت جراحَتَه وَلْوَلَت، فقال تأبّط في ذلك:

وبالشِّعْب إذ سَدّت بجيلةُ فَجَّهُ ... ومن خَلفه هَضْبٌ صغار وجامل[3]

شَدَدْتُ لنفس المرءِ مُرّةَ حَزْمَه ... وقد نُصِبت دون النَّجاء الحبائلُ[4]

وقلت له: كن خلفَ ظهري فإنني ... سأفديك وانظر بعدُ ما أنتَ فاعِل[5]

/ فعاذ بَحدّ السيف صاحبُ أمرهم ... وَخلّوْا عن الشيء الذي لم يحاولوا[6] [٢١/ ١٦٠]

وأخطأهم قَتلي ورفّعتُ صاحبي ... على الليل لم تُؤخذ عليه المخاتلُ[7]

واخطأ غُنْم الحَيّ مُرّةَ بعدما ... حوته إليه كفُّه والأناملُ

يعض على أطرافه كيف زَوْلُه ... ودون الملا سهلٌ من الأرض مائل[8]

فقلت له: هذي بتلك وقد يَرَى ... لها ثَمَناً من نفسه ما يُزاول[9]

تُوَلْوِل سُعدى أن أتيتُ مُجرَّحاً ... إليها وقد مَنّت عليّ المَقاتلُ[10]

وكائِنْ أتاها هارِباً قبل هذه ... ومن غانم فأين مِنكِ الوَلاوِل[11]

يثبث مع قلة من أصحابه فيظفرون:

فلما انقضت الأشهرُ الحُرمُ خرج تأبط والمُسَيَّب بنُ كلاب في ستة نفر يريدون الغارةَ على بَجيلةَ، والأخذ بِثأر صاحبَيْهم عَمْرو بنِ كِلاب وسَعْدِ بن الأشرس. فخرج تأبط والمُسيَّب بن كلاب وعامرُ بن الأخنس وعمرو بن برّاق

(١) في هج: «الوالبية» بدل «الوابشية»، وفي هد «الوانسية». وفي «المختار»: «الوائلية».
(٢) في هد: «وعصر عضده».
(٣) الجامل: الجمال، وفي «المختار» «هضب طوال وجامل».
(٤) في «المختار»: «شددت لأنجي المرء مرة عزمة...».
(٥) في «المختار»: «ما أنا فاعل».
(٦) يريد أنهم استنقذوا السلب، وجرحوه، واكتفوا بذلك، ولم يطلبوا ما لا سبيل إليه.
(٧) المخاتل: المخادعات، يعني لم يحيطوا بصاحبه، ولم يؤذوه، وفي بعض الأصول: على بدل عليه. وفي «المختار»: «... ونجيت صاحبي» بدل «ورفعت صاحبي».
(٨) الزول: مصدر زال بمعنى ذهب، والملا: السير الشديد، أي كيف يذهب الغنم منه، وقد كان هناك مجال للفرار؟ والضمير في زوله يعود على الغنم. وفي «المختار»: «كيف فاته».
(٩) هذي بتلك: نجاتك بخسران الغنيمة، فاعل يرى ضمير صاحبه، والضمير في لها يعود على الغنيمة أي وقد يرى صاحبي للغنيمة من نفسه غناً، لا يزاول بمعنى لا يحاول، ولا يقدر.
(١٠) منت على المقاتل: أخطأتني المقاتل، ومنت علي بالحياة.
(١١) يريد: كم عاد إليها قبل اليوم هارباً من الموت، أو ظافراً فأبعدي عنك الولولة والنواح.

ومُرَّةُ بن خليف والشَّنْفَرَي بنُ مالك، والسَّمع وكَعْبُ حِدا رابنا جابر أَخوا تأبَّط. فَمضَوْا حتى أغاروا على العَوْص، فقتَلوا منهم ثلاثةَ نفر: فارِسَيْن ورَاجِلا، وأطردوا لهم إبلاً، وأخذوا منهم[1] امرأتين، فمضوا بما غَنِموا، حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثْعَمَ في نحو من أربعين رجلاً، فيهم أبيُّ بنُ جابر الخثعميّ، وهو [٢١/١٦١] رئيس / القوم، فقال تأبَّط: يا قَوْم، لا تُسلِموا لهم ما في أيديكم حتى تُبلُوا عُذْراً، وقال عامر بن الأَخْنَس: عليكم بصدق الضِّراب وقد أدركتم بثَأْركم، وقال المُسَيَّب: اصدُقُوا القَومَ الحَملةَ، وإيّاكم والفَشَل، وقال عَمرُو بنُ بَرّاق: ابْذُلوا مُهَجَكم ساعة، فإن النّصر عند الصّبر. وقال الشَّنفَرَي:

نحن الصَّعاليكُ الحُماةُ البُزَّلُ إذا لَقِينا لا نُرَى نُهَّلُ[2]

وقال مُرَّةُ بن خُلَيف:

يا ثابتَ الخَيْر ويا بنَ الأخنسِ ويا بنَ بَرّاق الكَريم الأشْوس[3]

والشَّنفَري عند حُيودِ الأنفسِ أنا ابن حَامي السِّربِ في المغمَّس[4]

* نحن مساعِيرُ الحُروبِ الضُّرَّس[5] *

وقال كعب حِدار أخو تَأبَّط:

يا قوم أمَّا إذ لَقِيتم فاصْبِرُوا ولا تَخِيمُوا جزَعاً فتُدْبِروا[6]

وقال السِمْعُ أخُو تَأبَّط:

يا قوم كونوا عندها أحْرارا لا تُسلِموا العُونَ ولا البِكارا[7]

ولا القَناعيسَ ولا العِشَارا لخَثْعم وقد دَعَوْا غِرَارَا[8]

ساقوهُم المَوْت معاً أحرارا وافتخِرُوا الدَّهْر بها افْتِخاراً

[٢١/١٦٢] / فلما سَمع تأبط مَقالَتهم قال: بأبي أنتم وأمي، نِعْم الحماة إذا جَدّ الجِدّ، أما إذا أجمع رأيُكم على قتال القوم فاحملوا ولا تَتفرّقوا، فإن القوم أكثر منكم، فحَمَلُوا عليهم فقتَلوا منهم، ثم كَرُّوا الثانيةَ فقتلوا، ثم كَرّوا الثالثة فقتلوا فانهزمت خَثْعم وتفرقت في رُؤُوس الجبال، ومضى تأبّط وأصحابُه بما غَنِموا وأسلابِ مَنْ قتلوا، فقال تَأبَّط من ذلك:

جَزَى اللّهُ فِتْياناً على العَوْصِ أشرقت سيوفهم تحت العَجاجَة بالدَّمِ

(١) في س: «وأخذوا منهم أفراساً».
(٢) البزل: جمع بازل، وهو البعير طلع نابه، وذلك بعد ثمان سنين أو تسع. وفي هج، هد، ف «البسل».
(٣) منع براق من الصرف للضرورة، والأشوس: من ينظر بمؤخر عينه تكبراً.
(٤) المغمس: الأمر الشديد البالغ الشدة، ولعلها تحريف المخمس بمعنى الجيش الخميس.
(٥) الحروب الضرس: التي تطحن الأبطال بضرسها، وفي هد، ف: «نحن مساعير الزبون المضرس».
(٦) خام يخيم: نكص وجبن.
(٧) العون: جمع عوان، وهي من البقر والخيل التي نتجت بعد بطنها البكر.
(٨) القنعاس من الإبل: العظيم وجمعه قناعيس، والعشار جمع عشراء وهي الناقة الحامل في نحو ثمانية أو عشرة أشهر، وقد دعوا غراراً أي دعوا شغار سيوفهم.

الأبيات . . .

وقال الشَّنفَري في ذلك:

دَعِيني وقُولي بعد ما شئتِ إنني ... سيُغدى بنفسي مَرَّةً فأُغيَّبُ

الأبيات . . .

وقال الشَّنفَري أيضاً:

ألا هل أتى عَنَّا سُعادَ ودُونَها ... مهامِهُ بِيدٍ تَغْتَلي بالصَّعالِكِ[١]

بأنَّا صَبَحْنا القوم في حُرِّ دارِهم ... حِمامَ المنايا بالسُّيوف البَواتِك[٢]

قَتَلْنا بعمرو منهمُ خيرَ فارس ... يزيدَ وسعدا، وابنَ عوفٍ بمالك[٣]

ظَلَلْنا نُفَرّي بالسّيوف رُؤوسَهم ... ونَرشُقهم بالنَّبْل بين الدَّكادِك[٤]

/ **ينهزم أمام النساء:** [١٦٣/٢١]

قال: وخرج تأبط في سَرِيَّة من قومه، فيهم عَمرُو بن برّاق، ومُرَّة بن خُليف، والمُسَيّب بن كلاب، وعامر بن الأخنس، وهو رَأسُ القوم، وكعب حِدار، وريش كعب، والسَّمع وشريس بَنو جابر إخوةُ تأبط شرًا، وسعد ومالك ابنا الأقرع، حتى مروا ببني نفاثة بنِ الدِّيل وهم يريدون الغارة عليهم، فباتوا في جبل مُطِلٍّ عليهم، فلما كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسَه، فوجد وتَرَها مُسْتَرخياً، فجعل يوترها ويقول له تأبط: بعض حطيط وَتَرِك[٥] يا عامر، وسَمِعه شَيخٌ من بَنِي نُفاثة، فقال لبنات له: أنصِتْن فهذه والله غارة لبني ليث ـ وكان الذي بينهم يومئذ متفاقماً في قتل حُمَيْصة بن قيس أخي بلعاء، وكانوا أصابوه خطأً ـ وكانت بنو نُفاثة في غزوة والحيّ خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغلمان لا طُبَاخ[٦] بهم، فقالت امرأة منهم: اجهروا الكلام، والبَسُوا السّلاح، فإن لنا عِدّةً، فواللاتِ ما هُم إلا تأبّط وأصحابه. فبرزن مع نوفل وأصحابه، فلما بصُرَ بهم قال: انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم، فأبوا عليه إلا الغارة فَسلَّ تأبّط سيفه وقال: لئن أغرتم عليهم لأتّكِئن على سيفي حتى أنفذه من ظهري، فانْصَرَفُوا ولا يحسبون إلا أن النساء رجال، حتى مروا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها، فلَحِقهم غلام من بني جُنْدع بن ليث؟ فقال: يا عامر بن الأخنس، أتهاب نِساءَ بني نُفاثَة وتُغير على رجال بَنِي لَيْث؟ هذه والله إبِلٌ لبلعاءَ بن قيس. فقال له عامر: أو كان رجالهم خلوفاً؟ قال: نعم، قال: أقرِىء بَلْعاء منّي السّلام، وأخبره بَرَدّي إبله، وأعْلِمه أني قد حبست منها بَكراً لأصحابي، فإنا قد أرملنا[٧]، فقال الغلام: لئن حبست منها هُلبة[٨] لأعلمنّه، ولا أطرد منها بعيراً أبداً. فحمل عليه تأبّط فقتله، ومَضوا بالإبل إلى قومهم؛ فقال في ذلك تأبط:

(١) مهامه: جمع مهمة، وهو المفازة البعيدة، أو البلد القفر.
(٢) في هد: «في وسط دارهم»، وفي ف: «في عقر دارهم»، والبواتك: القواطع.
(٣) أي قتلوا يزيد بعمرو وسعدا وابن عوف بمالك.
(٤) الدكادك: جمع دكدك، وهو ما غلظ من الأرض.
(٥) بعض حطيط وترك: خفض من صوت إيتار القوس خشية أن يسمعوه.
(٦) الطباخ: الإحكام والقوة.
(٧) أرمل القوم: نفد زادهم.
(٨) الهلبة: شعرة من شعر الذنب.

[٢١/١٦٤] / ألا عَجِبَ الفِتيانُ من أمّ مالك تقول: أراك اليوم أشعثَ أغبرا
تَبوعاً لآثار السَّريّة بعد ما رأيتُك بَرَّاق المَفارق أيْسرا[1]
فقلتُ لها: يَومان يَومُ إقامة أهزّ به غُصْناً من البانِ أخضرا
ويومٌ أهزّ السَّيفَ في جيد أغيد له نِسوةٌ لم تلق مثلي أنكرا[2]
يخفن عليه وهو ينزع نفسَه لقد كنت أبّاء الظلامة قَسْورا[3]
وقد صِحْت في آثار حَوْم كأنها عَذَارَى عُقيلٍ أو بَكارةُ حِمْيرا[4]
أبعد النّفاثيّين آمل طرقةً وآسى على شيء إذا هو أدْبَرا[5]
أُكفكف عنهم صُحْبَتي وإخالهم من الذل يَعْرًا بالتلاعة أعْفَرَا[6]
فلو نالت الكَفّان أصحابَ نوفل بمهمهةٍ من بطن ظَرْء فَعَرْعَرَا[7]
ولمّا أبى الليثيُّ إلا تَهَكُّماً بعِرضي وكان العِرضُ عِرضي أو فرا[8]
فقلت له: حقّ الثناءُ فإنني سأذهب حتى لم أجد متأخَّرَا[9]
ولما رأيتُ الجَهْلَ زاد لَجاجةً يقول فلا يألوك أن تَتَشَوَّرَا[10]
[٢١/١٦٥] / دنوت له حتى كأنّ قميصَه تَشرَّب من نضح الأخادع عُصْفُرا[11]
فمن مُبلغٌ ليثَ بنَ بكرٍ بأننا تركنا أخاهم يوم قَرْنٍ مُعَفَّرا[12]

قال: غزا تأبط بني نفاثة بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خُلوفٌ، ليس في دارهم رَجُل، وكان الخَبَر قد أتى تأبّط، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحَيّ وهم أسْفلَ منه، فَرأتْه امرأة فطرح نَفْسه، فعلمت المرأة أنه تأبّط، وكانت عاقلةً، فأمرت النّساء فلبسْنَ لِبْسَة الرجال، ثم خرجن كأنهن يَطْلُبْن الضَّالّة، وكان أصحابه يتفلتون ويقولون: أغزُ، وإنما كان في سَرِية من بين السّتّة إلى السبعة، فأبى أن يدعهم، وخرج يُريد هذيلاً، وانصرف عن النّفاثيّين، فبينا هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حُلِيفاً له مِنْ هذيل، فقال له: العجبُ لك يا تأبط، قال: وما هو؟

(١) الأيسر: اللين السهل.
(٢) في ف: «في جيد شادن».
(٣) القسور: الليث.
(٤) الحوم: القطيع من الإبل، يشبهه بالعذارى والأبكار لجمال إبله.
(٥) آمل طرقة: اتجه إلى طريق، يقرع نفسه على خوفه من نساء النفاثيين.
(٦) اليعر: الجدي، والتلاعة: ماء لبني كنانة، والأعفر: ما خالط بياضه حمرة، يقول: خفتهم، ولا أخالهم بعد معرفة خديعتهم إلا في ذلة الجدي الأعفر.
(٧) لو للتمني. وظرء، وعرعر: مكانان.
(٨) الليثي، يريد به الغلام الليثي الذي منعه شعرة من الإبل.
(٩) حق الثناء: لعل ذلك من باب التهكم بالغلام، أو المراد بالثناء الذم، لأن الثناء يطلق على الذم كما يطلق على المدح.
(١٠) تشور الرجل: فعل فعلاً قبيحاً أي أن الغلام لم يقصر في فعل القبيح.
(١١) الأخدع: عرق متصل بالوريد، والعصفر: نبت أحمر، كناية عن سيلان دمه على قميصه.
(١٢) قرن: مكان.

قال: إن رجال بني نفاثة كانوا خُلوفاً فمَكَرت بكِ امرأة، وأنهم قد رجعوا.

ففي ذلك يقول:

ألا عَجِــب الفِتيــان مــن أمّ مــالــك ... تقــول: لقــد أصبحــت أشعــث أغبــرا

وذكر بَاقِي الأبيات المُتَقَدِّمَة.

وقال غيره: لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهميّ، وكان من حديث عامر بن الأخنَس أنه غزا في نَفَر، بضعةِ وعِشْرين رجلاً، فيهم عامِرُ بن الأخنس، وكان سَيِّداً فيهم، وكان إذا خرج في غزو رَأَسَهُم، وكان يقال له سَيِّدُ الصعاليك، فخرج بهم حتى باتوا على بَني نُفَاثة بنِ عَدِي بن الدِّيل مُمْسِين، ينتظرون أن ينام الحَيُّ، حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راعٍ من الحي قد أَغْدر، فمعه غديرته[1] يسوقها / فَبَصُر بهم وبمكانهم، فخلى [٢١/١٦٦] الغَدِيرة وتَبِع الضَّرَاء ضَراء[2] الوادي، حتى جاء الحي فأخبرَهم بمكان القوم وحَيْث رآهم، فقاموا فاختاروا: فتيانَ الحي فسلحوهم، وأقبلوا نحوهم، حتى إذا دنَوْا منهم قال رجل من النّفاثِيِّين: والله ما قوسي بمُوتَرة[3]. فقالوا: فأوتِرْ قَوسَك، فوضع قَوْسَهُ فأوتَرها، فقال تأبط لأصحابه:

اسكُتُوا، واستَمَع فقال: أُتِيتم والله، قالوا: وما ذلك؟ قال: أنا والله أسمع حَطِيط وتَرقَوْس. قالوا: والله ما نسمع شيئاً، قال: بلى والله إني لأسمعه، يا قوم النَّجاءَ، قالوا: لا والله ما سَمِعْت شيئاً، فوثب فانطلق وتركهم، ووثب معه نفر، وبيَّتهم[4] بَنُو نفاثة فلم يُفلِت منهم إنسان، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه، وقُتِل تلك اللّيلَة عامِرُ بنُ الأخنس.

قال ابنُ عُمَير: وسألت أهلَ الحجاز عن عامرِ بن الأخنس، فزعموا أنه مات على فِراشه.

فلما رجع تأبّط قالت له امرأته: تركتَ أصحابَك، فقال حينئذ:

ألا عَجِــب الفِتيــان مــن أُمّ مــالِــك ... تقــول: لقــد أصبحْــتَ أشعــثَ أغْبَــرا

مصرعه على يد غلام دون المحتلم:

فلما رجع تأبّط وبلغه ما لَقِي أصحابُه قال: والله ما يَمَسُّ رأسي غُسْل ولادُهْن حتى أثأر بهم. فخرج في نَفَر من قَومه، حتى عَرَض لهم بَيْتٌ من هذيل بَيْن صُوى[5] جبل، فقال: اغنَموا هذا البيت أولاً، قالوا: لا والله، ما لنا فيه أرَب، ولئن كانت / فيه غَنيمة ما نستطيع أن نَسُوقَها. فقال: إني أتفاءل أن أنزل، ووقف، وأتت [٢١/١٦٧] به ضَبُع من يساره، فكرهها، وعَاف[6] على غَيْر الذي رأى، فقال: أبشري أُشْبِعك من القوم غداً. فقال له أصحابه: ويحك، انطلق، فوالله ما نرى أن نقيم عليها. قال: لا والله لا أريم حتى أصبح. وأتت به ضَبُع عن يساره فقال: أُشبِعك من القوم غَداً. فقال أحدُ القوم: والله إني أرى هاتين[7] غداً بك، فقال: لا والله

(١) الغديرة: الناقة يتركها الراعي.
(٢) الضراء: الشجر الملتف في الوادي، أو أرض مستوية تأويها السباع، وبها نبذ من الشجر.
(٣) أي يسمع صوت وضع الوتر في القوس.
(٤) بيتوهم: دهموهم ليلا.
(٥) الصوى: جمع صوة، وهي علامة يهتدي بها في الطريق، أو ما غلظ وارتفع من الأرض.
(٦) يقال: عاف الطير: زجرها بمعنى اعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فسعد أو تشاءم، والمراد أنه تطير من مرور الضبع عن يساره.
(٧) لعل المراد: إني أرى هاتين ذاهبتين غداً بك، أو تكون كلمة «غداً» تحريف «غدرتا».

لا أريم[1] حتى أصبح. فبات، حتى إذا كان في وجه الصبح، وقد رأى أهل البيت وَعَدَّهم على النار، وأبصر سواد غلام من القوم دون المُحْتَلم، وَغَدَوْا على القوم، فقتلُوا شيخاً وعجوزاً، وحازوا جارِيَتَيْن وإبلاً. ثم قال تأبّط: إني قد رأيت معهم غلاماً؛ فأين الغلامُ الذي كان معهم؟ فأبصر أثره فاتّبعه، فقال له أصحابه: ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئاً، فاتّبعه، واستتر الغلام بقتادة[2] إلى جنب صخرة، وأقبل تأبّط يَقُصّه[3] وفَوَّق الغلامُ سهماً حين رأى أنه لا يُنْجيه شيء، وأمهله حتى إذا دنا منه قَفَزَ قفزة، فوَثَب على الصَّخرة، وأرسل السهم، فلم يسمَع تأبّط إلا الحبْضة[4] فرفع رأسه، فانتظَمَ السهمُ قَلْبَه، وأقبل نحوه وهو يقول: لا بأس، فقال الغلام: لا بأسَ، والله لقد وضعتُه حيث تكره، وغشية تأبّط بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقَتادة، ويضربها تأبط بحُشاشَته[5]، فيأخذ ما أصابت الضَّربةُ منها، حتى خلص إليه، فقتلَه، ثم نزل إلى / أصحابه يَجرُّ رجله، فلما رأوه وَثَبوا، ولم يدروا ما أصابه، فقالوا: مالك؟ فلم يَنْطق، ومات في أيْدِيهم، فانطلقوا وتركوه، فجعل لا يأْكل منه سَبُع ولا طائر إلا مات، فاحتَمَلَته هُذَيل، فألقته في غَارٍ يقال له غَارُ رَخْمان، فقالت رِيطَة أخته وهي يومئذ متزوجة في بَني الدِّيل: [٢١/١٦٨]

نِعْـمَ الفَتَـى غـادَرتُـم بـرُخمـانْ ثـابـتُ بـنُ جـابـرِ بـنِ سُفْيـانْ[6]

وقال مُرَّة بن خُلَيْف يَرْثيه:

إن العَـزِيمـةَ والعَـزَّاءَ قـد ثَـوَيـا أكفـانَ ميـت غـداً فـي غـار رُخمـانِ[7]

إلّا يكُـن كُـرسـفٌ كُفِّنـتَ جَيِّـدَه ولا يكـن كَفَـنٌ مـن ثَـوْبِ كَتَّـانِ[8]

فـإن حُـرًّا مـن الأنسـاب ألبسـه ريـشَ النـدى، والنَّـدَى مـن خير أكفـان[9]

وليلـةٍ رأسُ أفعـاهـا إلـى حَجـرٍ ويـومِ أورٍ مـن الجـوزاءِ رنَّـان[10]

أمضيـتَ أولَ رهـطٍ عنـد آخـره فـي إثـر عـاديـةٍ أو إثـر فتيـان[11]

وقالت أم تأبط تَرْثيه:

* وابنـاهُ وابـنَ اللَّيْـل[12] *

---

(١) لا أريم: لا أنتقل.
(٢) القتاد: شجر معروف.
(٣) يقصه: يقتفي أثره.
(٤) الحبضة: نبضة السهم عند انطلاقه.
(٥) الحشاشة: بقية الروح في الجريح أو المريض.
(٦) رخمان، بضم الراء كما في «القاموس»، فقد ذكرها، وأشار إلى أن تأبط شراً قتل فيها، وفي ف: «رجمان». والبيت من السريع، وثابت بدل من الفتى، ونوّن للضرورة.
(٧) العزاء: السنة الشديدة، ولا مكان لها هنا، فلعله يعني الغراء مؤنث الأغر، أي إن العزيمة والنفس الغراء قد ثويا... إلخ.
(٨ ـ ٩) الكرسف: القطن: يقول: إن لم تكفن في قطن أو كتان فقد كفنت في ثياب المجد والكرم.
(١٠) رأس أفعاها إلى حجر: لعله كناية عن عدم انزوائها في حجرها، فهي متهيئة للدغ، وأور: جمع أوار بمعنى الحر الشديد، والجوزاء: برج في السماء، ولعلها كانت رمزاً لاشتداد الحرارة عند العرب.
(١١) الرهط: يراد به هنا اللقم أي تناول الطعام: يقول: رب ليلة لا تنام أفاعيها، ويوم شديد الحرارة قضيته قانصاً في إثر وحوش عادية أو غازياً في إثر فتيان، وأنت طاوي البطن.
(١٢) انظر تعليقنا على هذا الكلام عندما يكرره المؤلف بعد قليل ص ١٧١.

[٢١/١٦٩]

/ مقته:

قال أبو عمر الشَّيباني: لا بل كان من شأن تأبط وهو ثَابتُ بنُ جابر بنِ سُفْيان، وكان جريئاً شاعراً فاتِكاً أنه خَرَج من أهله بغارة من قَوْمه، يُريدون بَني صاهلة بـنِ كاهل بن الحَارث بن سَعيد بن هُذَيل، وذلك في عقب شَهْر حرام مِمَّا كان يُحرِّم أهلُ الجاهلية، حتى هَبَطَ صدر أَدَم[١]، وخفض عن جماعة بني صاهلة، فاستَقْبل التَّلاعة، فوجد بها داراً من بني نُفَاثة بن عدي، ليس فيها إلا النساء، غير رجل واحد، فبصُر الرجل بتأبط وخَشِيَه، وذلك في الضُّحى، فقام الرجل إلى النساء، فأمرهنّ فجَعَلْن رؤوسهن جُمَماً وجعلن دروعهن أرديَة، وأخذن من بيوتهن عُمُداً كهيئة السيوف فَجَعلن لها حَمائل، ثم تأبطنها ثم نَهَض ونَهَضْنَ معه يغريهن كما يُغْري القوم، وأمرهن أن لا يُبْرزن خَدًّا، وجعل هو يَبرزُ للقوم لَيروه، وطفق يُغري ويَصِيح على القوم، حتى أفزع تأبّط شرًّا وأصحابَه وهو على ذلك يُغري[٢]. في بقية لَيْلة أو لَيْلَتين من الشَهر الحرام، فنَهضوا في شِعب يقال له شِعْب وَشَل[٣]، وتأبط يَنْهض في الشَّعب مع أصحابه، ثم يقف في آخرهم، ثم يقول: يا قوم لكأنما يطردكم النساء، فيصيح عليه أصحابه فيقولون: انجُ أدركك القوم، وتأبى نفسه، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبّط في ذلك:

أبعـد النَّفـاثيين أزجـر طـائـراً ... وآسَـى علـى شـيء إذا هـو أدبـرا[٤]

أُنهنِـه رِجلِـي عنهـم وإخـالهـم ... مـن الـذلّ يعـراً بـالتَّـلاعـة أعفـرا

ولـو نـالـت الكَفّـان أصحـابَ نـوفـل ... بمَهْمَهَـة مـن بيـن ظَـرْء وعـرعـرا

/ قال: ثم طلعوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذ من بني قُرَيْم ذنب نمار[٥] فظل يراقبهم حتى [٢١/١٧٠] أمسوْا، وذلك البيت لساعدةَ بنِ سفيانَ أحدِ بني حارثةَ بـنِ قُرَيم، فحصرهم تأبط وأصحابُه حتى أمسَوْا. قال: وقد كانت قالت وليدةٌ لساعدةَ: إني قد رأيت اليومَ القَومَ أو النفر بهذا الجبل، فبات الشيخ حَذِراً قائماً بسيفه بساحة أهله. وانتظر تأبط وأصحابُه أن يغفلَ الشيخ، وَذلِك آخرَ ليلة من الشهر الحرام فلما خشُوا أن يَفْضَحَهم الصبحُ، ولم يقدِرُوا على غِرّة مشَوْا إليه وغَرُّوه ببقية الشهر الحرام، وأعطَوْه من مواثيقهم ما أقنعه، وشَكَوْا إليه الجوع، فلما اطمأنّ إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيراً حين مشى. قال: ومضى تأبط شراً إلى ابن له ذِي ذؤابةٍ، كان أبوه قد أمره فارتَبَأ[٦] من وراء ماله، يقال له: سُفيانُ بنُ ساعدةَ. فأقبل إليه تأبط شرًّا مستتراً بِمَجنّة، فلما خَشِي الغلام أن يناله تأبّط بسيفه وليس مع الغلام سَيْف، وهو مُفَوِّق سهماً، رمى مجنَّ تأبط بحَجَر، فظن تأبط أنه قد أرسل سهمه، فرمى مِجَنَّه عن يده، ومشى إليه فأرسل الغلامُ سهمَه فلم يُخْطِ لَبَّتَه حتى خرج منه السهم، ووقع في البطحاء حَذْوَ القوم، وأبوه ممسك، فقال أبو الغلام[٧] حين وقع السهم: أخاطئهُ سفيانُ؟

(١) أدم: اسم موضع.

(٢) أي وهو مع توجسه يغري أصحابه بالاقتحام.

(٣) وشل: اسم جبل، واسم أيضاً لموضعين.

(٤) تقدمت أيضاً هذه الأبيات في الترجمة نفسها.

(٥) نمار ككتاب: اسم جبل، وكغراب: اسم واد، وذنب ظرف مكان بمعنى أسفل، أو لعلها محرفة عن جنب.

(٦) ارتبأ: اختبأ وراء ربيئة؛ هضبة مرتفعة.

(٧) تقدم أن أبا الغلام قد قتل، فلعل المراد أنه قال وهو يحتضر، أخاطئة سفيان؟: استفهام عن الرمية.

فَحَرَدَ[1] القوم، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير، ومات تأبط.

فقالت أمّه ـ وكانت امرأةً من بني القَيْن بن جَسْرِ بن قُضاعةَ ـ ترثيه:

[٢١/١٧١] / قتيلٌ ما قتيلُ بني قُرَيْمٍ ... إذا ضَنَّتْ جُمادى بالقِطارِ[2]

فتى فَهْمٍ جميعاً غادَرُوه ... مقيماً بالحُرَيْضَةِ من نُمارِ[3]

وقالت أمّه ترثيه [أيضاً]:

ويلُ أمّ طِرفٍ غادروا برُخْمانْ ... بثابت بن جابر بن سفيانْ[4]

يجدِّل القِرنَ ويُروِي النَّدمانْ ... ذو مأقِطٍ يحمي وراء الإخوانْ[5]

وقالت ترثيه أيضاً:

وابناه وابنَ اللَّيلْ، ليس بزُمَّيْلْ، شَرُوبٍ للقَيْلْ، رقودٍ بالّليْلْ، وَوادٍ[6] ذي هَوْلْ، أجزتَ بالّليلْ، تضرب بالذَّيْلْ، برَجْلٍ[7] كالثَّوْلْ.

قال: وكان تأبط شراً يقول قبل ذلك:

ولقد علمتُ لتعْدُوَنْ ... نَ عليَّ شتْمٌ كالحساكلْ[8]

[٢١/١٧٢] / يأكلْنَ أوصالاً ولحـ ... ـماً كالشَّكاعي غيرَ جاذِلْ[9]

يا طيرُ كُلْنَ فإنني ... سُمٌّ لَكُنَّ وذو دَغاوِلْ[10]

وقال قبل موته:

لعلّي ميِّتٌ كمداً ولمّا ... أُطالعْ أهلَ ضيمٍ فالكرابِ[11]

وإنْ لم آتِ جمعَ بني خُثيمٍ ... وكاهلَها برَجْلٍ كالضّبابِ

(١) حرد القوم: اعتزلوا.

(٢) قتيل ما: هذا قتيل عظيم، كريم حين تضنّ جمادى بالمطر، ويبدو أن شهر جمادى في ذلك الوقت كان شهر محل.

(٣) الحريضة: موضع في بلاد هذيل، نمار ككتاب: اسم جبل، وكغراب: اسم واد.

(٤) تقدم هذا البيت برواية أخرى، وويل أم فلان: عبارة يقصد بها التعجب أو الترحم.

(٥) المأقط: مكان الحرب، تريد أنه فارس ميدان، ومفعول يحمي محذوف، أي يحمي الظهور، وهذه رواية هد، وهج، وفي بعض الأصول «الأضوان».

(٦) اختلفت الأصول في رواية هذه الفقرات كل الاختلاف، وقد حاولنا إخضاعها لبعض ضروب الرجز فلم يمكن، فلنعتبرها مجرد كلام مسجوع، الزميل: الجبان، القيل: شراب اللبن في القيلولة، تريد أنه لا يهدأ نهاراً أو ليلاً.

(٧) الرجل: جمع راجل، والثول: جماعة النّحل: تقول له: كم واد مخوف، جزته ليلاً، تضرب بذيلك، كما يضرب الجواد، ومعك أصحابك في عدد النحل.

(٨) تضاربت الأصول كل تضارب في اللفظين الأخيرين من هذا البيت، والذي نختاره «شتم كالحساكل». الشتم: جمع شتيم، وهو الأسد الكريه المنظر، والحساكل: جمع حسكل كزبرج؛ وهو ما تطاير من شرر الحديد المحمى.

(٩) الشكاعي: جمع شكاعة كثمامة: شوكة تملأ فم البعير، غير جاذل، من الجذل، وهو ما عظم من أصول الشجر، كناية عن عدم السمن.

(١٠) الدغاول: الدواهي، وهذا البيت وما قبله كناية عن أن لحمه مر.

(١١) تقدم هذا البيت وما بعده في الترجمة نفسها.

إذا وقعتْ بكعبٍ أو قُرَيْمٍ ... وسيّارٍ فيَاسَوْغ الشرابُ(١)

فأجابه شاعر من بني قريم:

تأبَّطَ سَوْأةً وحملتَ شرًّا ... لعلك أن تكونَ من المُصابِ(٢)

لعلك أن تجيءَ بك المنايا ... تُساقُ لفتيةٍ منا غِضابِ

فتُصبِحَ في مَكَرِّهمُ صريعاً ... وتصبحَ طرفةَ الضَّبُعِ السَّغابِ

فزلتم تهربون لو كرهتم ... تسوقون الحَرائمَ بالنقابِ(٣)

/ وزال بأرضكم منّا غلامٌ ... طليعةُ فتيةٍ غُلْبِ الرقابِ(٤) [١٧٣/٢١]

ونَذْكُر ها هنا بعد أخبار تأبط شرًّا أخبار صاحِبيه عَمرو بن بَرّاق والشَّنْفَرَي ونبدأ بما يُغَنَّى فيه من شعريهما، ونُتبِعهُ بالأخبار.

فأما عمرو بنُ برّاقٍ فممّا يغنّى فيه من شعره قَولُه:



[١٧٤/٢١]

/ صوت

متى تجمع القلبَ الذكيَّ وصارما ... وأنفا حَمِيًّا تجتنبْك المَظالِمُ(٥)

وكنتُ إذا قومٌ غَزَوني غَزَوتهم ... فهل أنا في ذا يا لَهَمْدَانَ ظالِمُ!

كذبتُم وبيتِ الله لا تأخذونها ... مراغمةً ما دام للسيف قائِمُ(٦)

ولا صُلْحَ حتى تعثُرَ الخيلُ بالقَنا ... وتُضْرَبَ بالبيضِ الرِّقاقِ الجَماجِمُ

عروضه من الطويل، الشعر لابن بَرّاق وقيل ابن بَرّاقة. والغِناء لمحمدِ بنِ إسحاقَ بنِ عمرِو بنِ بَزِيعَ ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهِشامي.

---

(١) فاعل وقعت محذوف تقديره الواقعة ونحوها، أي إذا ثأر من هذين الحيين ساغ له الشراب الذي حرمه على نفسه.
(٢) تقدمت الأبيات الثلاثة الأولى في الترجمة نفسها.
(٣) وزلتم: من زال التامة بمعنى ذهبتم، وفي س «الجرائم»، وهو تصحيف والمثبت من ف وهج، أي ذهبتم مجدين في الهرب تسوقون حريمكم متنقباً.
(٤) زال: نهض، من زالت الخيل بركبانها بمعنى نهضت، وغلب الرقاب: غلاظ الأعناق جمع أغلب.
(٥) القلب الذكي: المتوقد حماسة، والأنف الحمي: كناية عن الأنفة وإباء الضيم.
(٦) ضمير تأخذونها يعود على الإبل ونحوها.

[٢١/١٧٥]

/[١] عمرو بن براق

يسلبه حريم ماله فيسترده منه:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفش قال: حدَّثنا السّكريُّ عن ابنِ حبيبَ قال: وأخبرنا الهَمدانِيّ ثعلب، عن ابن الأعرابي، عن المُفَضَّل، قالا:

أغار رجل من هَمْدان[٢] يقال له حُرَيم على إبل لعمرو بن برّاقٍ وخيل، فذهب بها، فأتى عمرو امرأة[٣] كان يتحدّث إليها ويزورها فأخبرها أن حُرَيْما أغار على إبله وخَيْلِهِ فذهب بها، وأنه يريد الغارة عليه، فقالت له المرأة: ويحك لا تَعْرِضْ لتَلَفَات حُرَيم فإني أخافُه عليك، قال: فخالفَها، وأغار عليه، فاستاق كلَّ شيء كان له، فأتاه حُرَيم بعد ذلك يطلب إليه أن يردَّ عليه ما أخذه منه، فقال: لا أفعل، وأبى عليه، فانصرف، فقال عمرو في ذلك:

تقـــول سُلَيمـــى لا تعَـــرَّضْ لتَلفــةٍ ... وليلُـك عــن ليـل الصعـاليك نـائـمُ[٤]

وكيـف ينـامُ الليـلَ مـن جُـلّ مـالِـهِ ... حُسـامٌ كلـون المِلـح أبيـضُ صـارمُ

صَمُـوتٌ إذا عـضَّ الكـريهـةَ لـم يَـدَعْ ... لهـا طمعـاً طـوعُ اليميـنِ مـلازمُ[٥]

[٢١/١٧٦]

/ نَقَـدْتُ بـه ألفـاً وسـامحتُ دونـه ... علـى النقـدِ إذ لا تُستطـاع الـدراهـمُ[٦]

ألـم تَعلمـي أنّ الصعـاليـكَ نـومُهـم ... قليـلٌ إذا نـام الـدَّثُـور المُسـالِـمُ[٧]

إذا الليـل أدجـى واكفهـرّت نجـومـه ... وصـاح مـن الإفـراطِ هـامٌ جـوائـمُ[٨]

ومـال بـأصحـاب الكـرى غـالبـاتُـه ... فـإنـي علـى أمـر الغَـوايـة حـازم[٩].

كـذبتـم وبيـتِ الله لا تـأخـذونهـا ... مُـراغمـةً مـا دام للسيـف قـائـمُ

---

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

(٢) في «الأمالي» ٢/ ١٢١: من مراد.

(٣) عبارة «الأمالي»: «فأتى عمرو امرأة، اسمها سلمى، وكانت بنت سيدهم، وعن رأيها كانوا يصدرون.

(٤) جملة: «وليلك... إلخ» حالية، أي واقض ليلك نائماً، وخلّ الصعاليك ساهرين. وإسناد النوم إلى الليل مجاز.

(٥) صموت ـ كما في ف، هج ـ صفة للسيف المتقدم في البيت السابق، أي كثير الصمت، وفي س «وصوت» بدل صموت، وهو تحريف، وقوله: «إذا عض الكريهة... إلخ» يعني أنه إذا خاض الحرب لم يدع لها طمعاً في صاحبه، وهو طيع، لا يفارق يمينه، وفي س «مكارم» بدل «ملازم» والمثبت من «الأمالي».

(٦) ألفا: ألف درهم، يريد أنه دفع فيه ألف درهم عن سماحة نفس في وقت قلت فيه الدراهم.

(٧) الدثور: الرجل البطن الخامل النئوم، وفي ف: «الخلي» بدل «الدثور».

(٨ ـ ٩) أدجت نجومه: غابت، أو غطاها السحاب، والإفراط: من معانيه تباشير الصباح، وقد يكون المراد الإفراط في الطعام، وصاحت هام جوائم: غطت ـ من الغطيط ـ رؤوس نائمة، وجواب الشرط «فإني على أمر الغواية حازم» أي حازم أمري، وفي هج: «غالباً لهم» بدل «غالباته»، وعليه يكون فاعل «مال» ضمير الليل.

تَحـالـفَ أقـوامٌ علـيّ ليسمَنُـوا … وجـروا علـيَّ الحَـرْبَ إذا أنَـا سَـالِـمُ[١]

أَفَـالآن أُدعـى للهَـوادة بعـدمـا … أُجِيـلَ علَـى الحـيّ المَـذاكِـي الصَّـلادمُ[٢]

كـأنّ حُـريمـاً إذ رجـا أن يَضُمَّهـا … ويُـذْهِـبَ مـالـي يـا بنَـةَ القـوم خـالِـمُ[٣]

متـى تجمـعِ القلـبَ الـذَّكِـيَّ وصـارِمـاً … وأنفـاً حَمِيًّـا تَجْتَنِبْـكَ المظـالِـمُ

ومَـن يَطلـبِ المـالَ المُمَنَّـع بـالقَنَـا … يَعِـشْ ذا غِنـىً أو تَخْتَـرِمْـه المَخـارِمُ[٤]

/ وكنـتُ إذا قـومٌ غَـزونـي غـزَوْتُهـم … فهـل أنـا فـي ذا يـالَهَمْـدان ظـالـم [٢١/١٧٧]

فـلا صُلْـحَ حتـى تعثـر الخيـل بـالقنـا … وتُضْـرب بـالبيـض الـرِّقـاقِ الجَمـاجِـمُ

وأما الشنفري فإنه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد[٥]. ومما يُغَنّى فيه من شِعره قَولُه:

[٢١/١٧٨]

/ صـوت

ألا أمُّ عَمْـرو أزمعـت فـاستقلَّـت … ومـا ودَّعـت جيـرانهـا إذ تـولّـت[٦]

فـوانَـدَمـا بـانَـت أُمـامـةُ بعـدمـا … طَمِعـتُ فهَبْهـا نِعمَـةً قـد تـولّـتِ[٧]

وقـد أعجَبَتْنـي لا سَقُـوطـاً خِمـارُهـا … إذا مـا مشَـت ولا بـذاتِ تَلَفُّـتِ[٨]

غَنّى في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقيل بالبِنصر عن عَمْرو بن بَانَة.

---

(١) في ف: «ليسلموا» بدل «ليسمنوا» وسالم: بمعنى مسالم.
(٢) الفاء عاطفة على معطوف محذوف، أي أأسالم فأدعى، ونحو ذلك، والهوادة: الملاينة والمسالمة، المذاكي الصلادم: الجياد الشديدة الصلبة، وذلك كناية عن الحروب التي انتصر فيها، يريد أنهم جاءوه مسالمين طالبين مهادنته بعد أن رجحت كفته في حربهم.
(٣) الضمير في يضمها عائد على الإبل ونحوها.
(٤) تخترمه المخارم: تهلكه المهالك، وفي ف «طلب» بدل «يطلب» و «ماجداً» بدل «ذا غنىً» والمعنى: لا يتغير.
(٥) في هد، هج: «الأوس بن حجر بن الهن».
(٦) أزمعت: عزمت على الرحيل.
(٧) يلاحظ تكرار كلمة «تولت» في بيتين متتالين، وهو من عيوب القافية.
(٨) لا سقوطاً خمارها: يصفها بالتصون والتحشم، أي لا تتعمد إسقاط خمارها، كي يرى الناس جمالها، ويبدو أن هذه العادة كانت مألوفة في النساء، ولذلك ينفي النابغة عن المتجردة تعمد إسقاط النصيف في قوله:

سقـط النصيـف ولـم تـرد إسقـاطـه … فتنـاولتـه واتقتنـا بـاليـد

[٢١/١٧٩]

/ أخبار الشنفري ونسبه[١]

نسبه ونشأته في غير قومه:

وأخبرني بخبره الحَرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا أبو يحيى المُؤدب وأحمد بن أبي المنهال المُهلبي، عن مُؤرّج عن أبي هشام محمدِ بنِ هشامِ النُّمَيْرِيّ:

أن الشنفري كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد[٢] بن الغوث، أسرته بنو شبابة بن فهم بنِ عمرو بن قيس بن عَيْلانَ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سَلامانَ بنِ مفرِّج بن عوفِ بن ميدعانَ بنِ مالكِ بن الأزدِ رجلاً من فهم، أحدَ بني شبابة فَفَدَته بنو شبابة بالشَّنْفَرَي قال: فكان الشنفري في بني سلامانَ بنِ مفرّج لا تحسبه إلا أحدَهم حتى نازعتْه بنتُ الرجل الذي كان في حِجْره، وكان السُّلامي اتخذه ولدا وأحسن إليه وأعطاه، فقال لها الشنفري: اغسِلي رأسي يا أُخيّةُ وهو لا يشك في أنها أخته، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له الشنفري: اصدقني ممن أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر، فقال: أمَا إنّي لن أدعكم حتى أقتل منكم مائةً بما استعبدتموني، ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً، وقال الشنفري للجارية السّلامية التي لطمته وقالت: لست بأخي:

ألا ليتَ شِعْري والتَّلَهُّفُ ضَلّةٌ ... بما ضَربتْ كَفُّ الفتاةِ هَجينَها؟[٣]

[٢١/١٨٠]

/ ولو علمتْ قُعسوسُ أنسابَ والدي ... ووالدِها ظَلّتْ تقاصَرُ دونها[٤]

أنا ابنُ خيارِ الحُجْرِ بيتاً ومَنْصِباً ... وأمي ابنةُ الأحرارِ لوْ تعْرِفينها

غارته على من نشأ فيهم:

قال: ثم لزم الشَّنْفَري دار فَهْم فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تَبِعه من فَهْم، وكان يغير وحده أكثر من ذلك، وقال الشنفري لبني سلامان:

وإني لأهوَى أن ألُفَّ عجاجتي ... على ذي كساءٍ من سَلامانَ أو بُرد[٥]

وأصبحَ بالعضْداءِ أبغي سَراتَهم ... وأسلكَ خَلاً بين أرباعِ والسَّرد[٦]

فكان يقتل بني سلامان بنِ مُفرّج حتى قعد له رَهْط من الغامديين من بني الرّمداء فأعجزهم

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

(٢) في ف «الأسد» بدل «الأزد».

(٣) «والتلهف ضلة»: جملة معترضة، أي والتلهف على الشيء ضلال، وما من بما ضربت استفهامية، وإنما مدت لضرورة الشعر، والهجين: اللئيم، أو العربي الذي أمه أمة، يقول: ليتني أعلم لم تضرب هذه الفتاة الفتى الحقير في نظرها؟.

(٤) قعسوس: اسم الفتاة، كما يبدو من السياق، أي لو علمت حسبي وحسب أبيها لتقاصر عنقها أمامي.

(٥) يعني على كل لابس كساء أو برد، وذلك كناية عن الشمول، ولف العجاجة: كناية عن الغارة، والعجاجة: غبار الحرب ونحوها.

(٦) سراتهم: أشرافهم، والخل: الطريق ينفذ في الرمل، والعضداء وأرباع والسرد: أسماء أماكن، وفي ف، هج، هد: «أمسى» بدل «أصبح».

فأشلَوْا[١] عليه كلباً لهم يقال له حُبَيْش ولم يضعوا له شيئاً، ومرَّ وهُو هارب بقرية يقال لها دَحِيس برجُلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشي الطلب فقال:

قتيلَـــيْ فِجـــارٍ أنتُمـــا إن قُتِلتُمـــا ... بجـوف دَحِيـس أو تبـالـةَ يـا اسمعـا[٢]

يريد: يا هذان اسمعا، وقال فيما كان يُطالب به بني سلامان:

فـإلّا تـزرنـي حَتْفتـي أو تُـلاقنـي ... أُمـشِّ بـدَهْـرَ أو عـذافَ فنـوَّرا[٣]

/ أمشـي بـأطـراف الحمـاطِ وتـارة ... تنفُّـضُ رجلـي بَسْبُطـاً فعَصَنْصَـرا[٤] [٢١/١٨١]

وأبغـى بنـي صَعـب بـن مُـرٍّ بـلادَهـم ... وسـوف أُلاقيهـم إنِ اللّـهُ يسّـرا[٥]

ويـومـاً بـذاتِ الـرَّأس أو بطـن مِنجَـلِ ... هنـالـك تَلْقـى القـاصِـيَ المُتَغَـوِّرا[٦]

يقتلونه بعد أن يسملوا عينه:

قال: ثم قعد له بعد ذلك أُسَيْدُ بن جابر السلاماني وخازم الفهميّ بالناصف من أَبِيدةَ ومع أُسَيْد ابن أخيه، فمر عليهم الشنفري، فأبصر السواد بالليل فرماه، وكان لا يرى سواداً إلا رماه كائناً ما كان، فشك[٧] ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده، فلم يتكلم، فقال الشنفري: إن كنتَ شيئاً فقد أصبتُك وإن لم تكن شيئاً فقد أمِنْتُك، وكان خازمٌ باطحاً: يعني مُنْبَطحاً بالطريق يرصده، فنادى أُسيد: يا خازم أصلِت، يعني اسْلُلْ سيفَك. فقال الشنفري: لكلٍّ أصلت[٨]، فأصلت الشنفري. فقطع إصبعين من أصابع خازمٍ الخِنصَر والبِنصَر، وضبطه[٩] خازمٌ حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجدة، فأخذ أسيد سلاح الشنفري وقد صرع الشنفري خازماً وابنَ أخِي أسيدٍ، فضبطاه وهما تحته، وأخذ أسيدٌ برجل ابن أخيه، فقال أسيد: رِجْل مَنْ هَذِه؟ فقال الشنفري: رِجْلي، فقال ابن أخي أسيد: بل هي رجلي يا عم فأسروا الشَّنْفَري، وأدّوه إلى أهلهم، وقالوا له: أنشدنا، / فقال: إنما النشيد على المسَرَّة، فذهبت مَثَلاً، ثم ضربوا [٢١/١٨٢] يدَه فتعرضت، أي اضطربت فقال الشَّنفري في ذلك:

لا تَبْعَـدِي إمّـا ذَهَبْـتِ شـامَـةْ ... فـرُبَّ وادٍ نَفَّـرَتْ حَمـامَـه[١٠]

(١) أشلوا عليه كلباً: أغروه به، من أشلى الدابة: أراها المخلاة لتأتيه، وقوله: ولم يضعوا له شيئاً، لعله يريد أنهم لم يضعوا للكلب طعاماً مبالغة في الإغراء.

(٢) دحيس، وتبالة: مكانان، وخبر أنتما ناقص، فلعله في أبيات تالية.

(٣) حتفتي: موتتي، تلاقني: معطوف على تزرني، أمش: جواب الشرط، من مشى المضعف، ودهر، وعذاف ونور: أماكن، يريد أنه إن مد في أجله فسيزور هذه الأماكن ليغزو بني صعب.

(٤) الحماط: جمع حمطة، وهي بقية الماء في الحوض. وبسبط، وعصنصر: مكانان.

(٥) بلادهم: بدل من بني صعب، أي أطلب بلاد بني صعب ويحتمل أن تكون بلادهم مفعولاً ثانياً لأبغى، فهو متعد لاثنين، ومنه قوله تعالى: ﴿يبغونكم الفتنة﴾ والمعنى لا يتغير.

(٦) ذات الرأس ومنجل: مكانان، القاصي: البعيد، المتغور: الموغل في الأرض، أو الموغل في الغارة، ويعني بالقاصي المتغور نفسه.

(٧) في ف: «فشل» بدل «فشك».

(٨) قوله: «لكل أصلت» أي، إنك لا تقول كلمة «أصلت» لصاحبك فقط، بل تقولها لكل منّا، يريد أنك نبهتني إلى الاستعداد.

(٩) ضبطه: سيطر عليه ومنعه الحركة.

(١٠) يريد بالشامة شامة سوداء كانت في يده، كما سيأتي بعد، يخاطب يده، ويحدث عنها قائلاً: كم نفرت من حمام الأودية، كناية عن الصيد.

* ورُبَّ قِـرْنٍ فَصَلْـتُ عِظَـامَـهْ *

ثم قال له السُّلامي: أَأَطْرِفُكَ[(١)] ؟ ثم رماه في عينه فقال الشنفري له: كأنّ كُنَّا نفعل أي كذلك كُنَّا نَفْعل، وكان الشنفري إذا رمى رجلاً منهم قال له: أَأَطْرِفُكَ؟ ثم يرمي عينه. ثم قالوا له حين أرادوا قتله: أين نَقبُرك؟ فقال:

لا تَقبُرونــي إنّ قَبْـرِي مُحـرَّمٌ ... عليكـم ولكـن أبشـري أُمَّ عـامـر[(٢)]

إذا احْتَمَلَتْ رأسي وفي الرأس أكثري ... وغُودِر عند المُلْتَقَى ثَمّ سائِري[(٣)]

هنالك لا أرجو حياةً تَسُرُّني ... سَمِيرَ الليالي مُبْسَلاً بالجَرائِرِ[(٤)]

تأبط شراً يرثيه:

وقال تأبّط شرًّا يرثي الشَّنْفَرَي:

علـى الشَّنْفَرَى سـاري الغمـام ورائـحٌ ... غـزيـرُ الكُلـى، وَصَيّبُ المـاءِ بـاكـرُ[(٥)]

/ عليـك جـزاءٌ مثـلُ يـومـك بـالجَبَـا ... وقـد أُرعِفـتْ منـك السُّيـوفُ البـواتـر[(٥)]

[٢١/١٨٣]

ويـومـكَ يـومِ العَيْكَتَيْـن وعطفـةٍ ... عطفـتَ وقـد مَـسَّ القُلـوبَ الحنـاجـرُ[(٦)]

تجـول ببـزّ المـوت فيهـم كـأنهـم ... بشـوكتـك الحُـدّى ضَئِيـنٌ نـوافـرُ[(٧)]

فـإنـك لـو لاقيتنـي بعـد مـا تـرى ـ ... وهـل يُلقَيَـنْ مَـنْ غَيَّبَتـه المقـابـر ـ[(٨)]

لألفيتنـي فـي غـارة أنتمـي بهـا ... إليـك وإمّـا راجعـاً أنـا ثـائـرُ[(٩)]

وإن تـكُ مـأسـوراً وظلـت مُخَيِّمـاً ... وأبْلَيـت حتـى مـا يكيـدك واتِـرُ[(١٠)]

وحتـى رمـاك الشَّيبُ فـي الـرأس عـانسـاً ... وخيـرُك مبسـوطٌ وزادك حـاضـر[(١١)]

(١) طرف عينه: أدخل فيها ما جعلها تدمع.

(٢) البيت من الطويل دخله الخرم، أم عامر: كنية الضبع، يريد ألا يقبروه، بل يتركوه للضبع تأكل لحمه.

(٣ ـ ٤) سائري: ما بقي مني، سمير الليالي: طول الليالي، مبسلاً بالجرائر: مرهوناً بآثامي وجرائمي، يقول: إذا قتلت، فقطع رأسي، وغودر جسمي فما حاجتي إلى قبر أحيا فيه حياة أخرى مثقلاً بجرائمي إلى الأبد؟ وقوله: وفي الرأس أكثري، يريد به أن الرأس وحده يرجح باقي جسمه لكبره، أو لما يحتويه من الحواس، وفاعل احتملت ضمير أم عامر، أو القبيلة التي قتلته، وقد ضبط هذا الفعل مبنياً للمجهول في بعض الأصول، ويلزم عليه تأنيث الرأس، مع أنه مذكر.

(٤) الكلى: جمع كلوة، وتطلق على أسفل السحاب، يدعو له بأن يسقي قبره ساري الغمام والسحاب الغزير الماء.

(٥) الجبا: مكان كانت فيه ـ على ما يبدو ـ موقعة للشنفري، أرعفت منك السيوف البواتر: قطرت دماً منك السيوف القواطع، يقول: عليك جزاء من الغيث بمقدار ما أسالته سيوفك من الدم في هذا اليوم.

(٦) العيكتين: جبلين، ويومك: معطوف على يومك في البيت قبله، وعطفة: معطوف أيضاً، بعدد أيامه التي أبلى فيها، وقوله: «وقد مس القلوب الحناجر»، يريد به أن الأصوات في الحرب كانت تمس شغاف القلوب من وقع تأثيرها.

(٧) البز ـ بفتح الباء وكسرها ـ: السلاح، والحدى: مؤنث الأحد بمعنى المرهف الحد، والضئين: جمع ضائن، وهو ما عدا الماعز من الغنم، يقول: كأن الأعداء ينفرون من سلاحك نفور النعاج والخراف.

(٨ ـ ٩) جملة: «وهل يلقين من غيبته المقابر؟» اعتراض بين الشرط وجوابه، أنتمي: أنتسب، ثائر: آخذ بالثأر، يقول: إنني بعد موتك إما مقدم على غارة، أو راجع من ثأر، كما كنت تفعل في حياتك.

(١٠ ـ ١١) هذان البيتان متعلقان بما قبلهما، أي أنا أفعل كذا وكذا وإن كنت أنت أسير قبرك، مخيماً فيه، بعد أن أبليت في الحروب، حتى لم يكن ينال منك واتر، وحتى رماك الشيب، وأنت عانس ـ والعانس: الجمل السمين ـ وكان خيرك فياضاً، وزادك مبذولاً للضيفان، وقد يكون المراد بقوله: «عانساً» لم تتزوج، فإن هذا الوصف يطلق على الذكر والأنثى على السواء.

وأجمـلُ مـوتِ المـرء إذ كـان ميتـاً ـ ولا بـد يومـاً ـ مَـوتُـه وهـو صـابـر
فـلا يَبْعَـدَنّ الشَّنْفَـري وسِـلاحُـه الْـ ـحـديـدُ وَشَـدٌّ خَطْـوُه متـواتـر[1]
إذا راع رَوْعُ المـوت راع وإن حَمَـى حَمَـى معـه حُـرٌّ كـريـم مُصـابِـرُ[2]

/ رواية أخرى في مقتله: [٢١/ ١٨٤]

قال: وقال غيره: لا بل كان من أمر الشنفري وسَببِ أسره ومقتله أنّ الأزد قتلت الحارثَ بن السّائب الفَهْميّ، فأبَوا أن يبوءُوا[3] بقتله، فباء بقتله رَجُلٌ منهم يقال له حزام بن جابرٌ قَبلَ ذلك، فمات أخو الشنفري، فأنشأت أمه تبكيه، فقال الشنفري، وكان أوّل ما قاله من الشعر:

لـيـس لـوالـدة هـوءُهـا ولا قـولُهـا لابنهـا دَعْـدَعِ[4]
تُطيـف وتُحـدِث أحـوالَـه وغيـرُكِ أملـكُ بـالمَصْـرَعِ[5]

قال: فلما ترعرع الشنفري جعل يُغِير على الأزد مع فَهْم: فيقتل مَنْ أدرك منهم، ثم قدم مِنًى وبها حزامُ بن جابر، فقيل له: هذا قاتل أبيك[6]، فشَدَّ عليه فقتله، ثم سبق النّاسَ على رجليه فقال:

قتلـتُ حـزامـاً مُهْـدِيـاً بمُلَبِّـدِ ببطـن مِنًـى وسْـط الحجيـج المُصَـوّتِ[7]

قال: ثم إن رجلاً من الأزد أتى أُسيدَ بن جابر، وهو أخو حزام المقتول فقال: تركتُ الشنفري بسوق[8] حُباشة، فقال أسيد بنُ جابر: والله لئن كنت صادقاً لا نرجع / حتى نأكلَ من جَنى أليفِ أبيدة[9]، فقعد له على [٢١/ ١٨٥] الطريق هو وابنا حزَام، فأحسّوه في جوف الليل وقد نزع نعلَا ولبس نعلاً ليخفَى وطأه، فلما سمع الغلامان وطأه قالا: هذه الضَّبُع، فقال أسيد: ليست الضَّبُعَ، ولكنه الشنفري، ليَضَع كل واحد منكما نعلَه على مَقْتله، حتى إذا رأى سوادهم نكص مليًّا لينظر هل يتبعه أحد، ثم رجع حتى دنا منهم، فقال الغلامان: أَبْصَرَنَا، فقال عمهما: لا والله ما أبصركما، ولكنه أطرد؛ لكيما تتبعاه، فليضَعْ كلُّ واحد منكما نعلَه على مقتله. فرماهم الشنفري فخسق[10] في النعل ولم يتحرك المَرْميّ، ثم رمى فانتظم ساقَيْ أُسيد، فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم، فوثبوا عليه، فأخذوه

(١) وشد معطوف على سلاحه، والمراد بالشد الحملة على الأعداء، متواتر: يتلو بعضه بعضاً.
(٢) فاعل «راع» الثانية يعود على الشد أو السلاح، والمعنى إذا أفزع فزع الموت الناس أفزعهم سلاحك أو شدك، وإن حمى هذا أو ذاك حريماً حمى معه كريم صابر، يعني الشنفري نفسه.
(٣) يقال: باء بقتله: أقربه.
(٤) البيت من المتقارب دخله الخرم، والهوء: الهمة والرأي، دعدع: أمر من دعدع بمعنى جرى، أي، ليس للأم أن تفكر في ثأر ابنها، أو أن تأمر أخاه بالسعي في ذلك.
(٥) «تطيف وتحدث أحواله»: لعل المراد أنها لا تفتأ تطيف بابنها، وتجدد أحوال إثارته على قتل أخيه، وقوله: «وغيرك أملك بالمصرع» التفات، أي، كفي عن هذا، فغيرك أدرى بمصارع الرجال.
(٦) تقدم أن الميت أخوه لا أبوه، وقد يكون المراد بهذا الأب الحارث بن السائب الفهمي، وعلى كل فالعبارة لا تخلو من التواء.
(٧) مهدياً: مقدماً الهدي في الحج، الملبد: مكان التلبيد، وكان من عاداتهم في الحج أن يدهنوا شعورهم بشيء من الصمغ لتتلبد، المصوت: الذي يجهر بالدعاء ونحوه، وفي ف، هد: «المحصب»، والمحصب: الذي يرمي الجمار، وبالفتح: مكان رميها.
(٨) سوق حباشة: سوق كانت معروفة عند العرب.
(٩) أبيدة: اسم مكان كان قريباً ـ على ما يبدو ـ من سوق حباشة، وفي هامش هد: «من صعارير أبيدة». والصعارير: حمل شجرة يكون مثل الأبهل والفلفل وغيره مما فيه صلابة.
(١٠) خسق في النعل: أصاب السهم النعل، وأخطأ الهدف.

فشدُّوه وَثاقا، ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم، فطرحوه وسطهم، فتمارَوْا بينهم في قتله، فبعضهم يقول: أخوكم وابنكم، فلما رأى ذلك أحدُ بني حزَام ضربه ضربةً فقطع يده من الكوع، وكانت بها شامةٌ سوداء، فقال الشنفري حين قُطِعتْ يده:

لا تَبعَدي إمّا هلكتِ شامَهْ فربَّ خَرقٍ قَطَعتْ قتامَهْ[1]

* وربَّ قِرْنٍ فصَلتْ عظامَه *

وقال تأبط شَرًّا يرثيه:

لا يبعَدنَّ الشَّنفري وسلاحُه الـ حديدُ وشَدُّ خَطْوُه مُتواتر

إذا راع رَوْعَ المَوتِ راعَ وإن حَمَى حَمَى معه حُرٌّ كريمٌ مُصابِرُ[2]

[١٨٦/٢١] قال: وذُرِع[3] خَطوُ الشنفري ليلة قتل فوُجِد أول نزوة نزاها إحدى وعشرين / خطوةً، ثم الثانية سبعَ عشرةَ خطوةً.

قال: وقال ظالم العامريّ في الشّنفري وغاراتِه على الأزد وعَجْزهم عنه، ويَحْمَدُ أُسَيْدَ بن جابرٍ في قتله الشنفري:

فما لَكُم لم تدركوا رِجْلَ شنفري وأنتم خِفافٌ مثلُ أجنحةِ الغُرْبِ[4]

تعاديتُم حتى إذا ما لحقتُم تباطأ عنكم طالبٌ وأبو سَقْبِ[5]

لعمرُكَ لَلسّاعي أُسَيدُ بنُ جابرٍ أحقُّ بهامِكم بَني عقبِ الكلبِ[6]

قال: ولما قُتِل الشّنفري وطُرِح رأسُه مرّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفري بقدمه، فعُقِرت قدمُه فمات منها، فتَمَّت به المائةُ.

من شعر الشنفري:

وكان مما قاله الشنفري فيهم من الشعر وفي لطمه المرأة التي أنكرته الذي[7] ذكرتُه واستغنى عن إعادته مما تقدم ذكره من شعر الشنفري، وقال الشنفري في قتله حزاماً قاتل أبيه:

أرى أمَّ عمرو أجمعت فاستقلَّتِ وما ودَّعت جِيرانَها إذْ تولَّتِ[8]

فقد سبقتنا أُمُّ عمرو بأمرِها وقد كان أعناقُ المَطيِّ أظلَّتِ[9]

---

(١) سبقت هذه الأبيات برواية أخرى.
(٢) تقدم هذان البيتان.
(٣) ذرع: قيس بالذراع.
(٤) الغرب: جمع غراب.
(٥) طالب وأبو سقب: رجلان ـ كما يبدو ـ كانا يعارضان في قتل الشنفري.
(٦) اللام من للساعي لام الابتداء، بني عقب الكلب: منادى.
(٧) الذي اسم كان من قوله: «وكان مما قاله الشنفري».
(٨) تقدم هذا البيت، وفي هد: «أزمعت» بدل «أجمعت» والمعنى لا يتغير.
(٩) أظلت: إظلال أعناق المطي كناية عن الرحيل.

فـوائـد مَـا علـى أميمـةَ بعـد مـا ... طمعـتُ فَهِبْهـا نِعمـةَ العيـش ولَّـت[1]

أميمـةُ لا يُخـزِي نَثـاهـا حليلَهـا ... إذا ذُكِـر النسـوان عَفَّـت وجلّـت[2]

/ يَحُـلّ بمنجـاةٍ مـن اللّـوم بيتُهـا ... إذا مـا بُيـوتٌ بـالمَـلامـة حُلّـت [١٨٧/٢١]

فقـد أعجبتنـي، لا سَقُـوطٌ قِنـاعُهـا ... إذا مـا مَشَـت ولا بـذات تَلَفُّـت[3]

كـأنّ لهـا فـي الأرض نِسْيـاً تَقُصُّـه ... إذا مـا مشـت وإن تُحـدِّثـك تَبْلِـت[4]

ـ النَّسيُ: الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو؛ يصفها بالحياء، وأنها لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ولا تبرج. ويروى:

* تقصـه علـى أمهـا وإن تكلمـك *

فـدَقَّـت وجلّـت واسْبَكَـرّت وأُكملَـتْ ... فلـو جُـنَّ إنسـانٌ مـن الحُسْـن جُنَّـتِ[5]

تبيـتُ بُعَيْـدَ النـوم تُهـدِي غَبُـوبَهـا ... لجـاراتِهـا إذا الهـديّـة قَلَّـت

ـ الغبوب: ما غبّ عندها من الطعام أي بات ويروى: غبوقها ـ

فبِتنـا كـأنَّ البيـت حُجِّـر حـولنـا ... بـريحـانـة راحـت عِشـاءً وطُلَّـتِ[6]

بـريحـانـةٍ مـن بطـن حليـةَ أُمْـرِعـت ... لهـا أرجٌ مِـنْ حَـولِهـا غيـرُ مُسْنِـت[7]

غـدوتُ مـن الـوادي الـذي بيـن مَشْعَـل ... وبيـن الجَبَـاهيـهـات أنشـأتُ سُـربتـي[8]

أمشّـي علـى الأرض التـي لـن تضيـرَنـي ... لأكسِـبَ مـالاً أو ألاقِـيَ حُمَّتِـي[9]

إذا مـا أتتنـي حَتفتـي لـم أُبـالهـا ... ولـم تُـذْرِ خـالاتـي الـدمـوع وعَمَّتِـي

/ وهُنِّـىءَ بـي قـومٌ ومـا إن هنـأتُهـم ... وأصبحـت فـي قـوم وليسـوا بمنْبِتِـي[10] [١٨٨/٢١]

وأُمِّ عيـالٍ قـد شهـدتُ تَقُـوتُهـم ... إذا أطْعَمَتْهـم أوْ تَحَـتْ وأقلَّـت[11]

تخـاف علينـا الجـوعَ إن هـيَ أكثـرت ... ونحـن جيـاعٌ، أيَّ ألْـيٍ تـألَّـت[12]

---

(١) تقدم هذا البيت برواية أخرى، وهما متقاربتا المعنى.

(٢) النثا: الحديث، يريد أن حديثها عن زوجها دائماً ذكر بالخير، وفي س «ثناها» بدل «نثاها».

(٣) تقدم ذكر هذا البيت في الترجمة نفسها.

(٤) أي تبلت الكلام وتقطعه بما يعتريها من البهر، وانظر «اللسان» (بلت).

(٥) اسبكرت الجارية: اعتدلت واستقامت.

(٦) حجر البيت ونحوه: وضع حوله حجارة وسوره. طلت: أصابها الطل، فهي مخضلة.

(٧) حلية: مكان، أمرعت: خصبت، أرج: عبير، غير مسنت: غير مجدب.

(٨) مشعل والجبا: مكانان، أنشأت سربتي: أبعدت سربتي أي ما أبعد الموضع الذي منه ابتدأت مسيري وانظر «اللسان» (سرب).

(٩) الحمة: المنية.

(١٠) وفي ف: «وليسوا قبيلتي» والمعنى لا يتغير.

(١١) الواو من «وأم عيال» واو رب، أو تحت: «قللت طعامهم، يصفها بالتدبير.

(١٢) الألتة: المجاعة، فلعله يعني أية مجاعة أجاعتنا: أجاعتنا مجاعة عظيمة.

عُفاهِيَةٌ لا يقصرُ السّترُ دونها ولا تُرتَجى للبَيْت إن لم تُبَيَّت[(١)]
لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثون سَلْجَماً إذَا ما رأت أُولى العَدِيِّ اقْشَعَرَّت[(٢)]
وتأتي العَدِيَّ بارزاً نصفُ ساقِها كَعَدْوِ حِمار العانةِ المتفَلِّت[(٣)]
إذا فُزِّعت طارت بأبيضَ صارمٍ وراحت بما في جُفرها ثم سَلَّت[(٤)]
حُسامٍ كلون الملح صافٍ حديدُهُ جُرَازٍ من أقطار الحديد المنعَّت[(٥)]
تراها كأذناب المَطِيّ صوادراً وقد نهِلتْ مِنَ الدّماء وعلّت[(٦)]
[١٨٩/٢١] / سنجزي سَلامانَ بنَ مُفْرجَ قرضَهم بما قدّمت أيديهمُ وأزَلَّت[(٧)]
شفَيْنا بعبدالله بعضَ غليلنا وعوفٍ لدى المَعْدَى أوانَ استهلَّت[(٨)]
قتلنا حزاماً مُهدِيا بمُلَبّدٍ محلّهما بين الحجيج المصوِّت[(٩)]
فإن تُقبلوا تُقبِل بمَنْ نِيلَ منهمُ وإن تُدبِروا فأُمَّ مَنْ نِيلَ فُتَّت[(١٠)]
ألا لا تزرني إن تشكيت خُلّتي كفاني بأعلى ذي الحُمَيرة عَدْوَتي[(١١)]
وإني لحُلوٌ إن أُريدت حلاوتي ومُرٌّ إذا النفس الصَّدوفُ استمَرَّت[(١٢)]
أبِيٌّ لما آبى وشيكٌ مَفِيئَتي إلى كُلّ نفس تَنْتَحي بمودّتي[(١٣)]

(١) عفاهية: ضخمة. لا يقصر الستر دونها: كناية عن أنها مقصورة بمعنى محجبة، البيت من معانيه: فرش البيت، والمراد أنها مخدومة لا تقوم بإعداد فرش البيت، بل يقوم به خدمها.
(٢) الوفضة: الجعبة توضع فيها السهام ونحوها، السلجم: النصل، اقشعرت: اضطربت وارتعدت، والمراد بأولى العدي أولى سرايا العادين عليها، أو أولى خطواتهم أو نحو ذلك، يصفها بأنها مستعدة متنبهة لمن يسطو عليها
(٣) العدي: جماعة العادين، والمراد بالحمار الحمار الوحشي، والعانة: القطيع منه، يريد أنها تسرع إلى «العدو» شبه منكشفة كالحمار الوحشي الذي أفلت من القطيع، وفي ف: «العدو» بدل «العدى».
(٤) الجفر: تخفيف جفر ـ بضم الفاء ـ: جمع جفير بمعنى جعبة السهام والبيت كله كناية عن خوضها المعركة وفي س: «وراقت بما في جوفها» وهو تحريف، والمثبت عن هد، هج.
(٥) الجراز: القاطع، أقطار: جمع قطر ـ بكسر القاف ـ وهو ذوب الحديد، المنعت: الموصوف، يصف السيف بأنه من ذوب الحديد الصلب، وفي ف «حزاز» بدل «جراز».
(٦) لعله يعني أن شعرها بعد المعركة تخضب بالدم، فأشبه أذناب المطي حين تصدر عن الحروب، وقد نهلت وعلت من الدماء، أي شربت مرة بعد أخرى منهما.
(٧) سلامان بن مفرج: قبيلة تقدم ذكرها، أزلت: من الزلل وهو الخطأ يهدد هذه القبيلة بقوله: سترد إليهم دينهم، أي العدوان الذي اعتدوه علينا، وخفف «مفرج» للضرورة.
(٨) عبدالله وعوف: قبيلتان، المعدي: مكان، استهلت: برزت للقتال.
(٩) تقدم هذا البيت في الترجمة نفسها.
(١٠) بمن نيل منهم: بدماء من نيل منهم، وأم من نيل، يعني أم رأسهم، يقول: إن تحاربوا نحاربكم ونحن حاملون دماء من قتلناه منكم، وإن نكصتم فقد فتتنا رؤوس من أصبنا منكم بلا قود.
(١١) الخلة: الحاجة والفقر، ذو الحميرة: مكان، العدوة ـ بضم العين وكسرها: المكان المرتفع، يقول لصاحبه: لا تزرني إذا احتجت، فإني عند الحاجة أكتفي بالاعتكاف في عدوتي، وكني بالزيارة عن المساعدة.
(١٢) الصدوف: من صدف بمعنى مال وانصرف، يعني أنه نافع لمن يبغي نفعه، ضار لمن ينحرف عنه.
(١٣) مفيئتي: من فاء يفيء بمعنى رجع.

وقال الشَّنفري أيضاً:

ومـرقبـةٍ عَنقـاء يَقصُـرُ دونهـا ... أخو الضَّرْوة الـرّجْل الخفيُّ المخَفَّف(١)

نَميتُ إلى أعلى ذراها وقد دنا ... من الليل ملتَفُّ الحـديقـةِ أسـدَف(٢)

/ فبِتُّ على حَدّ الذّراعين أحدبـاً ... كمـا يَتَطَـوَّى الأرقـم المُتَعَطِّـفُ(٣) [٢١/١٩٠]

قليلٌ جَهازِي غيرُ نعلين أسحقَت ... صُدورُهما مخصورةً لا تُخصَّفُ(٤)

ومِلْحَفَـةٍ دَرْسٍ وَجَـرْدٍ مُـلاَءةٍ ... إذا أنهجت من جانب لا تكفّفُ(٥)

وأبيض من ماء الحديد مهنّدٌ ... مجدٌّ لأطراف السّواعد مقطفُ(٦)

وصفـراءُ من نبـعٍ أبيٍّ ظَهيـرةٌ ... تُرِنّ كإرنان الشّجيّ وَتَهْتِفُ(٧)

إذا طال فيها النـزعُ تـأتي بعَجْسها ... وترمي بـذَرْوَيْهَا بهنّ فتَقْذِفُ(٨)

كأنّ حفيفَ النَّبـل من فوق عَجْسها ... عوازبُ نحلٍ أخطأ الغارَ مُطنِفُ(٩)

نأت أمُّ قيسٍ المرْبَعَين كليهما ... وتحـذَر أن يَنأى بها المتصيَّفُ(١٠)

/ وإنك لو تدرين أنْ رُبَّ مشربٍ ... مخوفٍ كداء البطن أو هو أخوفُ(١١) [٢١/١٩١]

وردتُ بمأثورٍ ونبلٍ وضالةٍ ... تخيَّرتها مما أُريش وأرصُفُ(١٢)

(١ ـ ٢) مرقبة: مرتفع من الهضاب ونحوها، عنقاء: طويلة العنق، الضروة: من ضرا يضرو بمعنى استخفى، الرجل: الساعي على رجليه، الحديقة: الشجر الكثيف، يقول: رب هضبة مرتفعة محدودبة لا يستطيع أن يتسلقها برجليه الخفيف الحركة الذي يريد الاختفاء عن العيون ـ رب هضبة شأنها هذا تسلقت أنا أعلى ذراها، وقد أقبل الليل بظلمته كأنه أشجار ملتفة كثيفة لا تنفذ أشعة الشمس من خلالها، وقد يكون مراده بأخي الضروة. . . إلخ الكلب ونحوه.

(٣) يتطوى: ينطوي، الأرقم: الثعبان، المتعطف: الملتف بعضه حول بعض، يقول: فبت على حد ذراعي هذه الهضبة محدودب الظهر منطوياً بعضي على بعض انطواء الثعبان.

(٤) أسحقت: بليت، مخصورة: دقيقة الوسط، لا تخصف: لا تقبل الخرز، يقول: إنه خفيف الحمل عند السفر لا يلبس إلا نعلين باليتين، لا تقبلان الإصلاح.

(٥) درس: دارسة بالية، الجرد: البالي. أنهجت: بليت، البيت متعلق بما قبله، يقول: لا ألبس سوى ملحفة بالية، فوقها ملاءة بالية أيضاً، تستعصي على الإصلاح حين تفتق، وفي س: «وصيبة جرد وأخلاق ريطة»، والمثبت من هد، والمعنى لا يتغير.

(٦) وأبيض من ماء الحديد، يعني سيفه، ورفعه على تقدير «ومعي أبيض» مجذ: قطاع، مقطف: قطاع أيضاً، يصف سيفه بأنه قطاع للأطراف.

(٧) صفراء: قوس صفراء، النبع: شجر صلب تتخذ منه القسي، ظهيرة: معينة، ترن: تصوت عند إطلاقها صوتاً كأنين العاشق المهجور.

(٨) العجس ـ بتثليث العين ـ مقبض القوس، ذروا القوس: طرفاها، والضمير من بهن يعود على السهام المفهومة من المقام.

(٩) عوازب نحل: ذواهب نحل، مطنف: من الطنف، وهو رأس الجبل، يشبه حفيف النبل بسرب النحل، وفي مطنف إقواء إن جعلناها صفة لنحل، وقد تكون خبراً ثانياً لكأن، فيسلم البيت من الإقواء.

(١٠) يعني بالمربعين الشتاء والربيع من باب التغليب، المتصيف: اسم زمان من تصيف، ومنع قيس الصرف للضرورة.

(١١ ـ ١٢) جواب لو محذوف تقديره «الرأيت شيئاً عجباً» ونحو ذلك، المأثور: السيف المؤثر، الضالة: السلاح عامة، أو السهام خاصة، راش السهم: وضع عليه ريشاً، رصف السهم: شد على مدخل سنخ نصله العقبة، يقول لأم قيس: آه لو تعرفين كم مشرب مخوف الورد وردته أنا ومعي سيفي وقوسي. . . إلخ.

أُركِّبها في كل أحمر عاتِرٍ وأقذف منهن الذي هو مقرف[1]

وتابعتُ فيه البَرْيَ حتى تركتُه يَزِفُّ إذا أنفذتُه ويزفزفُ[2]

بكفَّيَ منها للبغيض عُراضَةٌ إذا بعتُ خلاًّ ما له مُتَخَوَّفُ[3]

ووادٍ بعيدِ العُمقِ ضنكٍ جِماعُه بواطنُه للجنِّ والأُسْدِ مألَفُ[4]

تعسَّفتُ منه بعد ما سقط الندى غماليلَ يخشى غِيلَها المُتعسِّفُ[5]

وإني إذا خامَ الجبانُ عن الردى فلِي حيث يُخشى أن يُجاوزَ مخسَفُ[6]

وإن امرأً أجار سعدَ بنَ مالكٍ عليَّ وأثوابِ الأُقَيصِرِ يَعْنُفُ[7]

[٢١/١٩٢] / وقال الشنفري أيضاً:

ومُستبسِلٍ ضافي القميصِ ضَغَنْتُه بأزرقَ لا نِكسٍ ولا مُتَعَوِّجِ[8]

عليه نُساريٌّ على خُوطِ نَبْعةٍ وفُوقٌ كعرقوب القطاة مُحَدْرَجِ[9]

وقاربتُ من كفَّيَّ ثم فَرَجْتُها بنزعٍ إذا ما استُكرِه النزعُ مُخْلِجِ[10]

فصاحت بكفِّي صيحةً ثم رجَّعت أنينَ الأميمِ ذي الجراح المُشَجَّجِ[11]

وقد روى: فناحت بكفي نوحة.

رواية ثالثة في مقتله:

وقال غيره: لا بل كان من أمر الشنفري أنه سَبَت بنو سَلامان بنُ مُفَرِّج بنِ مالكِ بنِ هَوازن[12] بن كعب بن عبدِالله بنِ مالكِ بن نصرِ بنِ الأزد الشنفري[13] ـ وهو أحدُ بني ربيعةَ بنِ الحِجْرِ بن عمرانَ بنِ عمرو بن حارثةَ بن

(١) العاتر: الشديد، المقرف: غير الحسن، يريد أنه لا يستعمل في قوسه إلا السهام الصلبة، ولو قال: «أركب فيها كل أحمر عاتر» لكان أوضح.

(٢) يزف: يفعل فعل الطائر إذا رمى بنفسه، وبسط جناحيه، والزفزفة: شدة الجري، أو تحريك الريح للحشيش وصوتها فيه.

(٣) العراضة: الهدية، والمراد هنا التهكم، والمراد بقوله: «ماله متخوف» تفاهة الخل وحقارة شأنه.

(٤ ـ ٥) جماع الشيء: مجتمع أصله، تعسف: مشى على غير هدى، الغماليل: الدوابي، الغيل: الأشجار الكثيفة. يقول: رب واد ضيق الأصل تألفه الآساد والجن صمدت عند سقوط الندى روابيه التي لا يجرؤ على صعودها إنسان.

(٦) خام: جبن وضعف ، مخسف: من خسف الطريق بمعنى ذلله وقطعه.

(٧) سعد بن مالك ـ على ما يبدو ـ من أعداء الشاعر، الواو من وأثواب للقسم، الأقيصر: صنم مقدس عندهم، وفي هد، وهج، ف: «وأبواب» بدل «وأثواب».

(٨) الواو واو رب، ضافي القميص: كناية عن طوله، ضغت الشيء: لاكه بالأنياب والنّواجذ، ويريد بالأزرق... إلخ السهم، يقول: رب شجاع باسل فارع الجسم أصميته بسهم نافذ جرىء معتدل.

(٩) ضمير عليه يعود على «أزرق» في البيت السابق، نساري: ريش نسر الخوط، النبعة: شجرة صلبة تتخذ منها السهام، الفوق من السهم: حيث يثبت الوتر منه، والمحدرج: الأملس.

(١٠) مخلج: من أخلج الشيء بمعنى انتزعه.

(١١) الأميم: المضروب على أم رأسه، المشجج: من شج رأسه.
الأبيات الثلاثة في وصف السهم وكيف يرميه، وكيف يئن عند الرمي أنين من ضرب على أم رأسه.

(١٢) في ف، هج، هد: «زهران» بدل «هوازن».

(١٣) مفعول سبت في السطر السابق.

ثعلبةَ بنِ امرىءِ القيس بنِ مازنِ بنِ الأزدِ ـ وهو غلام ، فجعله الذي سَبَاه في بَهْمة يرعاها مع ابنة له ، فلما خلا بها الشنفري أهوى لِيَقبّلها ، فصكَّت وَجْهَهَ ، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته ، فخرج إليه ليقتلَه ، فوجده وهو يقول:

/ ألا هل أتى فِتيانَ قومي جَماعةً بما لطمت كفُّ الفتاة هجينَها؟[١] [٢١/١٩٣]

ولو علمتْ تلك الفتاةُ مَناسبي ونسبتُها ظلَّت تقاصَرُ دونها

أليس أبي خيرَ الأواسِ وغيرِها وأُمّي ابنةُ الخَيْرِينَ لو تَعلمينها[٢]

إذا ما أرُومُ الودَّ بيني وبينها يؤمُّ بياضُ الوجه منّي يمينَها[٣]

قال: فلما سمع قوله سأله: مِمَّن هو، فقال: أنا الشنفري، أخو بني الحارثِ بنِ ربيعةَ، وكان من أقبح الناس وجهاً، فقال له: لولا أني أخاف أن يقتلني بنو سَلامان لأنكحتُك ابنتي. فقال: عليَّ إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم، فأنكحه ابنته، وخَلّى سبيله، فسار بها إلى قومه، فشدت بنو سلامان خلافه[٤] على الرجل فقتلوه، فلما بلغه ذلك سكت ولم يُظهر جزعاً عليه، وطفق يصنع النبل، ويجعل أفواقها من القُرُون والعظام، ثم إن امرأتَه بنتَ السلامانيّ قالت له ذات يوم: لقد خِسْتَ[٥] بميثاق أبي عليك، فقال:

كأنْ قدْ ـ فلا يغرُرْكِ مني تَمكُّثي ـ سلكتُ طريقاً بين يَرْبَغ فالسَّردِ[٦]

وإنّي زعيمٌ أن تثور عَجاجتي على ذي كِساءٍ من سَلامان أو بُرد

همُ عرفوني ناشئاً ذا مَخِيلة أُمشّي خلال الدار كالفرس الوَرْدِ[٧]

كأنّي إذا لم يُمسِ في الحي مالك بتيهاءَ لا أهدَى السَّبيلَ ولا أَهدِي[٨]

/ قال: ثم غزاهم فجعل يقتُلهم، ويعرفون نَبلَه بأفواقها في قَتْلاهم، حتى قتلَ منهم تسعة وتسعين رجلاً، ثم [٢١/١٩٤] غزاهم غزوة، فنذَرُوا به، فخرج هارباً، وخرجوا في إثره، فمر بامرأة منهم يلتمس الماءَ فعرفَتْه، فأطعمته أقطاً ليزيد عَطَشاً، ثم استسْقَى فسقته رائباً، ثم غيّبت عنه الماء، ثم خرج من عندها، وجاءها القوم فأخبرتهم خبرَه، ووصفت صفته وصِفةَ نبله، فعرفوه، فرصدوه على رَكِيٍّ لهم، وهو ركيّ ليس لهم ماء غيره، فلما جنّ عليه الليل أقبل إلى الماء، فلما دنا منه قال: إني أراكم، وليس يرى أحداً إنما يريدبذلك أن يخْرِج رَصَداً إن كان ثَمّ، فأصاخ القوم وسكتوا. ورأى سواداً، وقد كانوا أجمعوا قبلُ إن قُتِلَ منهم قتيل أن يُمسكَه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركةٌ، قال: فرمى لَمّا أبصر السواد، فأصاب رجلاً فقتله، فلم يتحرك أحد، فلما رأى ذلك أَمِن في نفسه وأقبل إلى الرَّكيّ،

(١) تقدم هذا البيت وما بعده في الترجمة نفسها برواية تختلف قليلاً عن هذه والمعنى لا يتغير.
(٢) الخيرين: جمع خير بعد تخفيف الياء.
(٣) يريد أنه حين يريد تقبيلها لا يضع وجهه إلا على يدها التي تتلقى بها القبلة، ثم تصفعه بها، وقد ضبطت بعض الأصول يمينها بالرفع على أنه إقواء.
(٤) خلافه: بعده، أي بعد رحيل الشنفري.
(٥) خست بالميثاق: لم تف به.
(٦) جملة «فلا يغررك مني تمكثي» معترضة أي، كأنني قد سلكت... إلخ، ويربغ والسرد: مكانان يمر بهما عندما يؤم بني سلامان.
(٧) مخيلة: خيلاء، الفرس الورد: الأحمر.
(٨) لعل مالكاً هذا صهره الذي يثأر له، التيهاء: الصحراء يضل فيها السالك ويروى: «بتيماء».

فوضع سلاحه، ثم انحدر فيه، فلم يَرُعْه[١] إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج. فضرب بعضهم شِماله فسقطت، فأخذها فرمى بها كبد الرجل، فخر عنده في القليب[٢]، فوطىء على رقبته فدقها. وقال في قطع شِماله:

لا تبعَدِي إمَّا ذهبتِ شامة ... فرُبَّ وادٍ نَفَّرتْ حَمَامَة[٣]

وربَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عظامَة ... وربَّ حيٍّ فرَّقت سَوامَة

قال: ثم خرج إليهم، فقتلوه وصلبوه، فلبث علماً أو عامين مصلوباً وعليه من نذره رجل، قال: فجاء رجل منهم كان غائباً، فمر به وقد سقط فركض رأسَه برجله، فدخل فيها عظم من رأسه فعَلَّت عليه فمات منها، فكان ذلك الرجلُ هو تمام المائة[٤].

[٢١/١٩٥]

/ صوت

أَلا طرقتْ في الدّجى زينبُ ... وأحبِبْ بزينبَ إذ تَطْرُقُ

عجبتُ لزينبَ أنَّى سَرَت ... وزينبُ من ظلّها تَفْرَق[٥]

عروضه من المتقارب، الشعر لابن رُهَيْمَة، والغناء لخليل المعلم رمل بالبنصر، عن الهشامي وأبي أيوبَ المدنيّ.



(١) المراد: فلم يرعه إلا بصره بهم.
(٢) القليب: البئر.
(٣) تقدمت هذه الأبيات.
(٤) لا شك أن حكاية المائة من ـ وكيف تمت ـ بادية الافتعال.
(٥) تفرق: تخاف، يعجب كيف زارته ليلاً، ولم تعبأ بظلام الليل، أو تخف أهلها، مع أنها تخاف خيالها.

/ أخبار الخليل ونسبه[١]

[٢١/١٩٦]

نسبه:

هو الخليلُ بنُ عمرو، مكيٌّ، مولى بني عامرِ بنِ لؤيٍّ، مُقِلٌّ لا تُعرَف له صنعة غيرُ هذا الصوت.

يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنُ مَهْرُويه قال: حدثنا عبدُالله بن أبي سعدٍ قال: حدثني القَطرانيّ المغني، عن محمد بنِ حسين[٢]، قال:

كان خَلِيل المعلم يلقب خُلَيْلانَ، وكان يؤدبّ الصِّبْيان ويلقنهم القرآن والخط، ويعلّم الجواريَ الغِناء في موضع واحد، فحدثني مَنْ حضره قال: كنت يوماً عنده وهو يردّد على صبي يقرأ بين يديه ﴿ومن النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عن سَبِيل الله بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٣] ثم يلتفت إلى صَبِية بين يديه فيردّد عليها:

اعتـــادَ هـــذا القلـــبَ بلبـــالُـــهُ أنْ قُـــرِّبَـــتْ للبَيْـــنِ أجمـــالُـــهُ[٤]

فضحِكتُ ضحكاً مفرِطاً لِمَا فعلَه، فالتفت إليّ فقال: ويلك مالك؟ فقلت: أتنكر ضَحِكي مما تَفعَل؟ والله ما سَبَقك إلى هذا أحد! ثم قلت: انظر أيَّ شيء أخذت على الصبيّ من القرآن، وأيَّ شيء هوذا تُلقِي على الصبية، والله إني لأظنك مِمّن يشتري لهو الحديث لِيُضِلّ عن سبيل الله، فقال: أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله.

يسيء الأزدي فهم غنائه:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرِّدُ قال: حدثني عبد الصمد بن المعذَّل قال:

كان خُلَيلانُ المعلم أحسَن الناس غناءً، وأفتاهم وأفصحهم، فدخل يوماً على عُقبةَ / بـنِ سَلْمٍ الأزديِّ الهنائيِّ [٢١/١٩٧] فاحتبسه عنده، فأكل معه ثم شرب، وحانت منه التفاتةٌ، فرأى عوداً معلّقاً، فعلم أنه عَرَّضَ له به، فدعا به وأخذه فغناهم:

يـــا بنـــةَ الأزديّ قلبـــي كَئِيـــبُ مُستَهـــام عنـــدهـــا مـــا يُنِيـــبُ[٥]

وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبةَ بنِ سلمٍ متغيراً[٦]، وقد ظن أنه عرّض به، ففطن لما أراد فغنّى:

ألا هَـــزِئَـــت بنـــا قُـــرَشِـ ـيَّـــة يهتـــزُّ مـــوكِبُهـــا[٧]

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.
(٢) في هد، هج «حبر» بدل «حسين».
(٣) سورة لقمان، آية: ٦.
(٤) البيت من السريع.
(٥) ما ينيب: ما يرجع.
(٦) يبدو أن تغير وجه عقبة سببه أنه ظن خليلان يشبب بابنته.
(٧) في ف: «منكبها» بدل «موكبها».

فسُرِّي عن عقبةَ وشرب، فلما فرغ وضع العود من حجره، وحلف بالطلاق ثلاثاً أنه لا يغني بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمُه عليه.

نسبة هذين الصوتين

يـا بنـةَ الأزديِّ قلبـي كئيـبُ ... مستهـام عنـدهـا مـا يُنِيـبُ

ولقـد لامـوا فقلـتُ: دعـونـي ... إنَّ مَـنْ تَنهَـوْنَ عنـه حَبيـبُ

إنمـا أَبلَـى عِظـامِـي وجِسْمِـي ... حُبُّهـا والحُـبُّ شـيءٌ عَجِيـبُ

أيهـا العـائِـبُ عنـدي هَـواهَـا ... أنـتَ تَفـدي مَـن أراك تَعِيـبُ[1]

عروضه من المديد[2]، والشعر لعبد الرحمنِ بنِ أبي بكرٍ الصديق ـ رضي الله عنه ـ والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاقَ، وفيه لمالكٍ خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عنه، وفيه خفيف [١٩٨/٢١] رمل بالسبابة في مجرى الوسطى / لم ينسُبْه إسحاقُ إلى أحد، ووجدتُه في روايات لا أثِق بها منسوباً إلى حُنَين، وقد ذكر يُونُس أن فيه لَحْنَيْن ولمالكٍ كلاهما، ولعل هذا أحدهما، وذكر حَبَش أن خفيف الرمل لابن سُرَيج، وذكر الهِشاميّ وعليّ بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثاني ثقيل، وذكر الهشامي أن فيه لطُويسٍ هزجاً مطلقاً في مجرى البنصر، وذكر عمرو بن بانة أنّ لمالك فيه ثقيلاً أول وخفيفه، ولمعبد خفيف ثقيل آخر:

صوت

ألا هـزِئـت بنـا قُـرَشِـيَّـةٌ م يـهـتـزُّ مـوكبُهـا

رأت بـي شَيْبَـةً فـي الـرأ ... س منـي مـا أُغَيِّبُهـا

فقـالـت لـي: ابـنُ قَيْـسٍ ذا؟ ... وبعـضُ الشيـب يُعجِبهـا

لهـا بعـلٌ خَبيـثُ النَّفْـس ... يحصُـرُهـا ويحْجُبُهـا

يـرانـي هكـذا أمشـي ... فيُـوعِـدُهـا ويَضـرِبُهـا

عروضه من الوافر[3]، الشعرُ لابن قَيْس الرقيات، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، وفيه ليونُس ثقيل أول عن إسحاق بن إبراهيم والهشاميّ.

[١٩٩/٢١]

/ صوت

هـل مـا علمـتَ ومـا استُـودِعـتَ مكتـومُ ... أم حَبلُهـا إذ نـأتـك اليـومَ مَصـرومُ

أم هـل كئيـبٌ بكـى لـم يقـضِ عبـرتَـهُ ... إثْـرَ الأحِبَّـة يـوم البيـن مَشْكـومُ[4]

---

(١) يريد: «جعلت فداها» فجملة «أنت تفدي من أراك تعيب» دعائية.

(٢) في ف، هد: عروضه من الرمل، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٣) صوابه مجزوء الوافر.

(٤) مشكوم: من شكم الفرس بمعنى وضع الشكيمة في فمه، كناية عن أنه لا يستطيع اللحاق بالأحبة.

يَحملــن أُتــرُجَــةً، نَضْــخُ العبيــر بهــا ... كـأنَّ تَطيـابَهـا فـي الأنـف مَشْمـوم[١]

كــأنّ فَــأرةَ مســكٍ فــي مفــارقهــا ... للبـاسـط المتُعـاطـي وَهْـو مـزكـومُ[٢]

كــأنَّ إبــريقَهــم ظبــيٌ علــى شــرف ... مُفَــدَّمٌ بِسَبَــا الكَتّــان ملثُــومُ[٣]

قـد أشْهـدُ الشَّـربَ فيهـم مِـزْهـرٌ صَـدِحٌ ... والقـومُ تصـرعهـم صهبـاءُ خُـرطـومُ[٤]

الشعر لعلقمة بنِ عَبَدَةَ، والغناء لابن سُريج، وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخرُ رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات، وذكر عمرو بن بانةَ أن في الأربعة الأبيات الأُول المتوالية لمالك خفيفَ ثقيل بالوسطى، وفيها ثقيل أول نسبه الهِشاميّ إلى الغَرِيض، وذكر حَبَش أن لحن الغَرِيض ثاني ثِقيل بالبنصر، وذكر حبش أن في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج.



(١) الأترجة: يكنى بها عن محبوبته، نضخ: بلل: يريد أن رحالها تنفح ريحاً طيبة.

(٢) فأرة المسك: وعاؤه، للباسط المتعاطي: لمن يبسط يده يطلب العطاء، ولعلها للناشق.

(٣) يعني إبريق الخمر، يشبهه بالظبي الواقف على مكان مرتفع، مفدم: مسدود بالفدام، وهو الخرق ونحوها، وسبا الكتان: خرقه، ملثوم: لابس اللثام: وذلك كله كناية عن أن خمرهم مهيأة للشراب، ويبدو أن بين هذا البيت وما قبله أبيات لم تذكر.

(٤) الشرب: جماعة الشاربين، المزهر: آلة من آلات الغناء، صدح: صيغة مبالغة من صدح الصهباء: الخمر، الخرطوم: السريعة الإسكار.

[٢٠٠/٢١]

/ أخبار علقمة ونسبه[١]

هو علقمة بن عَبَدَةَ بنِ النّعمانِ بنِ ناشرةَ بن قيس بن عُبَيد بن ربيعةَ بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياسَ بن مضرَ بن نزار.

واش يلقى جزاءه:

وكان زيدُ مناةَ بن تميم وَفَد هو وبكر بن وائل ـ وكانا لِدَةً عصر واحد ـ على بعض الملوك، وكان زيدُ مناة حسوداً شرهاً طَعّاناً[٢]، وكان بكر بن وائل خبيثاً منكراً داهياً فخاف زيدُ مناة أن يحظى[٣] من الملك بفائدة، ويقلّ معها حظُّه، فقال له: يا بكر لا تلقَ الملكَ بثياب سفرك، ولكن تأهَّبْ للقائه وادخل عليه في أحسن زينة، ففعل بكر ذلك، وسبقه زيد مناة إلى الملك، فسأله عن بكر، فقال: ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدّي لهن، وقد حدّث نفسه بالتعرض لبنت الملك، فغاظه ذلك، وأمسك عنه، ونَمَى الخبرُ إلى بكر بن وائل، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة، وصَدَقه عن، واعتذر إليه مما قاله فيه عذراً قبله، فلما كان من غد اجتمعا عند الملك، فقال الملك لزيد مناة: ما تحب أن أفعل بك، فقال: لا تفعل ببكر شيئاً إلا فعلتَ بي مِثْلَيْه، وكان بكر أعورَ العين اليمني، قد أصابها ماء فذهب بها، فكان لا يعلم من رآه أنه أعور، فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له: ما تحب أنّ أفعل بك يا بكر، قال: تفقأ عيني اليمنى، وتُضعَّفُ لزيد مناة، فأمر بعينه العوراء ففُقِئت، وأمر بعينَيْ زيدِ مناة ففقئتا، فخرج بكر وهو أعور بحاله، وخرج زيد مناة وهو أعمى.

سبب تسميته بعلقمة الفحل:

وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة.

[٢٠١/٢١] ويقال لعلقمة بنِ عَبَدة عَلْقَمَةُ الفَحل، سُمّي بذلك لأنه خلف على امرأة امرىء / القيس لما حكمت له على امرىء القيس بأنه أشعَر منه في صفة فرسة، فطلّقها، فخالفه عليها، وما زالت العرب تسمية بذلك، وقال الفرزدق:

والفحــلُ عَلقمــةُ الــذي كــانــت لــه حُلَــلُ الملــوك كــلامُــه يُتَنَحّــل[٤]

قصيدتاه سمطا الدهر:

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثني النَّضْر بن عمرو قال: حدثني أبو السَّوّار، عن أبي عبيدالله مولى إسحاق بن عيسى، عن حَمَّادِ الروايةِ قال:

كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردوه منها كان مردوداً، فَقَدِم

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.
(٢) في ف، هج، هد: «طعاماً» بدل «طعانا».
(٣) فاعل يحظى ضمير بكر.
(٤) يتنحل: يدعيه الشعراء لأنفسهم من بلاغته.

عليهم علقمةُ بن عَبَدة، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

هـل مـا علمـتَ ومـا استُـودعـتَ مكتـوم أم حَبْلُهـا أنْ نـأتـكَ اليـومَ مصـروم

فقالوا: هذه سِمطُ[1] الدهر، ثم عاد إليهم العامَ المقبلَ فأنشدهم:

طحـابـك قلـب فـي الحِسَـان طـروبُ بُعَيْـد الشَّبـاب عَصْـرَ حـان مَشِيـبُ

فقالوا: هاتانِ سِمْطا الدهر.

يسرقون شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، عن حماد بن إسحاق قال: سمعت أبي يقول:

سرق ذو الرُّمة قوله:

* يطفـو إذا مـا تلقَّتـه الجـراثيـمُ[2] *

من قول العجّاج:

* إذا تلقَّتـه العقـاقيـلُ طفـا[3] *

/ وسرقه العجّاج من علقَمَةَ بن عَبَده في قوله:

* يطفـو إذا مـا تلقتـه العقـاقِيـل *

أيهما أوصف للفرس هو أم امرىء القيس:

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكُرانيُّ قال: حدثنا العُمَريّ عن لَقِيط، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عُمَر بنُ شَبَّة قال: حدثني أبو عُبَيْدَة قال:

كانت تحت امرىء القيس امرأةٌ من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمةُ الفَحل بن عَبَدة التَّميميّ، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله:

* خليلـيَّ مُـرّا بـي علـى أمّ جُنْـدُبِ *

حتى مرّ بقوله:

فللسَّـوط ألْهـوبٌ وللسَّـاق دِرَّةٌ وللـزَّجـر منـه وَقْـعُ أخـرجَ مُهـذِب[4]

ـ ويروى: «أهوجَ مِنْعَبِ[5]» ـ

(١) السمط: القلادة.

(٢) الجراثيم: جمع جرثومة، وهي التراب المتجمع في أصول الشجر تسفيه الريح، ويبدو أن هذا شطر بيت في وصف غزال أو فرس، يريد أنه يشتد عدوه عندما تسفي الريح عليه التراب.

(٣) العقاقيل: جمع عقال، وهو داء يصيب رجل الدابة، يريد أن الداء لا يعطل عدوه، بل يسرع به.

(٤) الألهوب: اجتهاد الفرس في عدوه حتى يثير الغبار، الدرة: حث الفرس على العدو، الأخرج من الخيل: ما خالط بياضه سواد، مهذب: مسرع. يريد أن يستحث جواده تارة بسوط، وأخرى بساقة، ومرة ثالثة بالزّجر. وفي «المختار»: «وللسوط منه وقع...» بدل «وللزجر...».

(٥) المنعب كمنبر: الجواد يمد عنقه عند عدوه كالغراب.

فأنشدها علقمة قوله:

* ذَهَبْتَ من الهِجران في غير مَذْهَبِ *

حتى انتهى إلى قوله:

فأدركه حتى ثنى من عِنانه   يمُرُّ كغيثٍ رائحٍ مُتَحَلِّبِ[1]

[٢٠٣/٢١] فقالت له: علقمةُ أشعرُ منك، قال: وكيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسك، / وحرّكته بساقك، وضربته بسوطك. وأنه جاء هذا الصيد، ثم أدركه ثانياً من عِنانه، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلتِ، ولكنك هَوِيتِه، فطلّقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك، وبهذا لُقِّبَ علقمةَ الفَحْل.

ربيعة بن حذار يحكم له:

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدثنا العُمَري، عن لقيط قال:

تحاكم علقمةُ بن عبدة التميمي. والزبرقانُ بن بَدْر السعدي، والمُخَبَّل، وعمرو بن الأهتم، إلى ربيعة بن حُذار الأسدي، فقال: أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أُنضِج فيُؤكَلَ، ولا تُرِك نَيّاً فيُنتفعَ به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبُرْد حبَرة يتلألأ في البصر، فكلما أعدْته[2] فيه نقص، وأما أنت يا مُخبّل فإنك قصّرت عن الجاهلية ولم تدرك الإسلام، وأما أنت يا علقمة فإن شعرك كمزادة[3] قد أُحكِم خَرَزُها فليس يَقطر منها شيء.

بيت من أبياته يضرب المتمثل به عشرين سوطاً:

أخبرني محمدُ بن الحسنِ بن دُريد قال: حدثني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه قال:

مرَّ رجل من مُزينَة على باب رجل من الأنصار، وكان يُتَّهم بامرأته، فلما حاذى بابَه تنفّس ثم تمثّل:

هل ما علمتَ وما اسْتُوْدِعْتَ مكتومُ   أم حبلُها إذ نأتك اليوم مصرومُ؟

قال: فتعلّق به الرجل: فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه، فاستعداه عليه، فقال له المُتَمَثِّل: وما عليّ في أن أنشدتُ بيتَ شعر، فقال له عمر رضي الله عنه: مالك لم تُنْشِدْه قبل أن تبلغ بابه؟ ولكنك عَرَّضت به مع ما تعلم من القالَة فيه، ثم أمر به فضُرِب عِشرين سَوْطاً.

[٢٠٤/٢١] / **صوت**

فوالله لا أنسى قتيلاً رُزِيتُه   بجانب قَوسَى ما حييتُ على الأرض[4]

---

(١) الهاء من أدركه تعود على غزال أو نحوه، وفي «المختار»:

فأدرك منه ثانياً من عنانه   يمر كمرّ الرائح المتحلب

(٢) الهاء من أعدته تعود على البصر.

(٣) المزادة: إناء صغير من الجلد يحمل فيه الماء.

(٤) قوسى ـ كسكري ـ بلدة بالسراة وبها قتل عروة أخو أبي خراش.

بلى إنها تَعْفُو الكلُومُ وإنما نُوكَّلُ بالأدنى وإنْ جَلَّ ما يَمضِي[(١)]

ولم أدرِ مَن أَلْقَى عليه رداءَه ولكنه قد بُزَّ عن مَاجِدٍ محضِ[(٢)]

الشعر لأبي خراش الهذلي، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكي أنه لابن مُسجِح وذكر الهشامي أنه ليحيى المكي، نحله بن مسجح، وفي أخبار معبد أن له فيه لحناً.



(١) تعفو الكلوم: تندمل الجراح، يريد أن المصائب ينسي بعضها بعضاً، وأن الأثر الشديد يكون للمصيبة القريبة، وإن كانت القديمة فادحة.

(٢) الهاء من عليه تعود علي ابنه خراش، وألقى عليه رداءه: كناية عن إجارته وإنقاذه من الموت، المحض: الخالص من كل شيء، يقول: لا أدري من الذي أجار ابني بإلقاء ردائه عليه، على أن هذا الرداء ما خلعه إلا ذو مجد صميم، وعبارة «الحماسة» و «الديوان»: «قد سل» بدل «قد بز».

[٢٠٥/٢١]

/ ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره[1]

أبو خراش اسمه خُوَيْلد بن مُرَّة، أحدُ بني قِرْد، واسمُ قرد عمرو بن معاوية بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر فحل من شعراء المذكورين الفصحاء، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلامَ فأسْلَمَ وعاش بعد النبي ﷺ مدة، ومات في خلافةِ عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه، نَهَشَتْه أفعى فمات، وكان ممن يَعْدو فيسبِقُ الخيل في غارات قومه وحروبهم.

يتربصون به فيفلت منهم:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمِّي والحسن بن عليٍّ قالوا:

حدّثنا عبدُالله بن أبي سعد قال: حدثنا أحمدُ بنُ عُمَير بن إسماعيل بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف قال: حدثني أبو بركة الأشجعيُّ من أنفُسهم قال:

خرج أبو خِراش الهُذليّ من أرض هُذَيل يريد مَكّة، فقال لزوجته أُمّ خِراش: ويحك إني أُريدُ مَكَّةَ لبعض الحاجة، وإنك من أَفَك[2] النساء، وإنّ بني الدِّيل يطلبونني بتراثٍ فإيّاكِ وأنْ تذكُريني لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها! قالت: معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب.

قال: فخرج بأم خراش وكَمَنَ لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتريَ عِطْراً أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن، فجلستْ إلى عطّار فمر بها فتيانٌ من بني الدِّيل، فقال أحدُهما لصاحبه: أمّ خِراش وربِّ الكعبة وإنَّها لمن أفكّ النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلّنا عليه، قال: فوقفا عليها فسلما وأَحْفيا[3] المسألة والسلام، فقالت: مَن أنتما / بأبي أنتما؟ فقالا: رجلان من أهلِكِ من هذيل، قالت: بأبي أنتما. فإن أبا خراش معي ولا [٢٠٦/٢١] تذكراه لأحد، ونحن رائحون العشيَّة، فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتيانهم وأخذوا مولًى لهم يقال له مَخْلَدٌ وكان من أجود الرجال عَدْواً، فكمنوا في عَقَبة على طريقه، فلما رآهم قد لاقوْه في عين الشمس قال لها: قَتَلْتِني وربِّ الكعبة لِمَنْ ذكرتني؟ فقالت: والله ما ذكرتك لأحد إلا لِفَتَيَيْنِ من هذيل، فقال لها: والله ما هما من هذيل ولكنهما من بني الدِّيل وقد جلسا لي وجمعاً عليَّ جماعة من قومهم فاذهبي أنت فإذا جُزتِ عليهم فإنهم لن يعرضوا لكِ لئلا أسْتَوْحِشَ فأفوتَهم، فاركُضِي بعيرَكِ، وضعِي عليه العَصَا، والنجاءَ النجاءَ.

قال: [فانطلقَت][4] وهي على قَعُودٍ عُقَيْلي يسابق الريح، فلما دنا منهم وقد تلثّموا ووضعوا تَمْراً على طريقه

---

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

(٢) أفك النسا: أكذبهن.

(٣) أحفيا: أبديا الحفاوة والتلطف.

(٤) زيادة يقتضيها المقام.

على كساء، فوقف قليلاً كأنه يُصلِحُ شيئاً، وجازت بهم أم خِراش فلم يَعرِضُوا لها لئلا ينفِرَ منهم، ووضعت العصا على قعودها، وتواثبوا إليه ووثب يعدُو.

قال: فزاحمه على المحجَّةِ[1] التي يَسْلُكُ فيها على العقبة ظَبْيٌ، فسبقه أبو خراش، وتصايح القومُ: يا مخلد أخذاً أخذاً.

قال: ففات الأخذ. فقالوا: ضربا ضرباً، فسبق الضرب، فصاحوا: رَمْياً رَمْياً فسبق الرمي، وسَبَقَت أُمُّ خراش إلى الحيِّ فنادت: ألا إنَّ أبا خراش قد قُتِل، فقام أهلُ الحيِّ إليها، وقام أبوه وقال: ويحك ما كانت قصَّتُه، فقالت: إن بني الدِّيل عرضوا له الساعة في العقبة، قال: فما رأيتِ، أو ما سمعتِ،؟ قالت: سمعتهم يقولون: يا مخلد أخذاً أخذاً، قال: ثم سمعتِ ماذا؟ قالت: ثم سمعتُهم يقولون: ضرباً ضرباً، قال: ثم سمعتِ ماذا؟ قالت: سمعتهم يقولون: رمياً رمياً، قال: فإن كنتِ سمعتِ رمياً رمياً / فقد أفلت، وهو منا قريب، ثم صاح: يا أبا خراش، فقال [٢٠٧/٢١] أبو خراش: يا لبَّيْكَ، وإذا هو قد وافاهم على أثرها. وقال أبو خراش في ذلك:

رَفَوْنِي وقالوا يا خُوَيْلِدُ لم تُرَعْ ... فقلت وأنكرتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ

رَفَوْنِي بالفاء: سكّنوني وقالوا: لا بأس عليك.

فغارَرْتُ شيئاً والدَّرِيسُ كأنما ... يزعزعُه وعْكٌ من المُومِ مُرْدِمُ[2]

غاررت: تلبثت. والدّريس: الخَلَقَ من الثياب، ومثلهُ الجَرْدُ والسَّحق والحَشِيف. ومُرْدِم: لازم.

تذكرتُ ما أينَ المفرُّ وإنني ... بحبل الذي يُنْجِي من الموت مُعْصِمِ[3]

فواللَّهِ ما ربداءُ أو عِلْجُ عانةٍ ... أقبُّ وما إنْ تَيْسُ رَمْلٍ مُصَمِّمُ[4]

بأسرعَ مني إذ عرفت عَدِيَّهُم ... كأني لأولاهُمْ من القُرْبِ تَوْأمُ[5]

وأجودَ مِنّي حينَ وافيتُ ساعياً ... وأخطأني خَلْفَ الثَّنِيَّةِ أسهُمُ[6]

أُوَائِلُ بالشَّدِّ الذَّلِيقِ وحَثَّنِي ... لدى المتن مشبوحَ الذراعين خَلْجَمُ[7]

/ تَذَكَّرَ ذَحْلاً عندنا وهو فاتكٌ ... من القوم يَعرُوه اجتراءٌ ومَأْثَمُ[8] [٢٠٨/٢١]

---

(١) المحجة: الطريق.

(٢) غاررت شيئاً: تلبثت قليلاً ـ والوعك: أذى الحمى، والموم: الحمى الشديدة، كأنه يقول: تلبثت قليلاً وجسمي ينتفض، فتنتفض معه ثيابي الخلقة، كأن بجسمي حمى ملازمة.

(٣) «ما» زائدة، معصم: من أعصم به، أي استمسك، يريد أنه معتمد على الله.

(٤ ـ ٥) ربداء: صفة موصوف محذوف، أي غزالة ربداء، والربداء: المغبرة اللون، والعلج: حمار الوحش، العانة: القطيع من حمر الوحش، أقب: دقيق الخصر ضامر البطن، مصمم: جاد في سيره، العدى: جماعة القوم يعدون، لأولاهم: لأولى سراياهم. يقول: أقسم أنني حين أبصرتهم يعدون خلفي كنت أسرع من الغزالة وحمار الوحش الضامر والتيس المصمم، وقد كادوا يدركونني، فقد كنت لأولى سراياهم من القرب كأنني توءم لها.

(٦) الثنية: الطريق في الجبل، وقوله: «أجود» معطوف على «أسرع» أي ما كانت هذه الحيوانات أسرع مني، ولا أجود جرياً حين وصلت سالماً، وأخطأني أسهمهم.

(٧) وائل: طلب النجاة، الشد الذليق: الجري السريع. وفي س «السيف الذليق» ولا معنى له، والمثبت من هد: هج. حثني لدى المتن: أسرع بي على الجري، والمتن، الذهاب في الأرض، ومشبوح الذراعين: عظيمهما، الخلجم ـ كجعفر: الجسم العظيم، أو الطويل المنجذب الخلق. يقول: طلبت النجاة بسرعة الجري، وساعدني على ذلك جسمي القوي البنيان.

(٨) تذكر ذحلاً . . . إلخ: يتحدث عن خصمه، ويصفه بالفتك والجرأة وارتكاب المآثم.

تقول ابنتي لما رأتني عشيَّةً: سلمتَ وما إن كِدتَ بالأمسِ تَسلمُ
فقلتُ وقد جاوزت صَارَى عشيةً: أجاوزتُ أولَى القوم أم أنا أحلمُ[1]
فلولا دِرَاكُ الشدِّ آضتْ حليلَتِي تخيَّرُ في خُطَّابِها وَهْيَ أيِّمُ[2]
فتسخَطُ أو ترضَى مكانِي خليفةً وكادَ خِراشٌ عند ذلك يَيْتَمُ[3]

يسابق الخيل فيسبقها:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن الحسين الكنديّ خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالا: حدثنا الرياشيّ قال: حدثنا الأصمَعِيّ قال: حدثني رجل من هذيل قال:

دخل أبو خراش الهُذَلِيُّ مكّةَ وللوليد بن المغيرة المخزوميّ فرسانِ يريد أن يُرسِلَهما في الحلْبة، فقال للوليد: ما تجعلُ لي إنْ سبقتُهُمَا؟ قال: إن فعلت، فهمَا لك، فأُرسِلاَ، وعَدَا بينهما فسبقهما فأخذهما.

قال الأصمَعيّ: إذا فاتك الهُذَليُّ أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه.

وأخبرني بما أذكره من مجموع أخبار أبي خراش عليُّ بنُ سُلَيْمان الأخفش، عن أبي سعيد السكريّ، وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سَعيد، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، وعن ابن حبيبَ عن أبي عمرو.

يمدح دبية حياً ويرثيه ميتاً:

[٢٠٩/٢١] وأخبرني ببعضه محمدُ بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا الرياشيّ، عن الأصمعيّ، / وقد ذكرتُ ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كل واحد منهم عن أصحابه في مواضعه، قال السكريّ: فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال:

نزل أبو خِراش الهذلي على دُبَيَّة السُّلميّ ـ وكان صاحبَ العُزَّىٰ التي في غطفان وكان يَسْدُنها، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول الله ﷺ إليها فهدَمَهَا وكسرها وقتل دُبَيَّةَ السُّلمِيَّ ـ قال: فلما نزل عليه أبو خراش أَحْسَنَ ضيافَتَهُ. ورأى في رجله نَعليْن قد أخلقتا، فأعطاه نعلين من حذاء السِّبْت[4] فقال أبو خراش يمدحه:

حذَانِيَ بعد ما خَذِمَتْ نِعالي دُبَيَّةُ إنَّه نِعمَ الخليلُ[5]
مُقابَلَتَينِ من صَلَوَيْ مُشِبٍّ من الثيران وصلُهما جميلُ[6]
بمثلِهما يروح المرءُ لَهْواً ويقْضِي الهمَّ ذو الأربِ الرَّجيلُ[7]

(١) صارى: جبل قبلي المدينة: وأولى القوم: أولى سراياه، يعني أنه نجا، ولم يصدق بالنجاة.
(٢) آضت: رجعت، يعني لولا سرعة جريه لرجعت حليلته ـ وهي أيم ـ تتخير خطيباً لها لها بعد موته، وفي بعض الأصول «آظت»، وفي بعضها «قاظت»، وفي «المختار»: «أمست».
(٣) خليفة مفعول لتسخط وترضى، وخراش هو ابنه، والبيت كله: كناية عن هلاكه.
(٤) السبت: الجلد المدبوغ.
(٥) خذم الحذاء ـ كسمع ـ: انقطع.
(٦) صلوى: تثنية صلا، والصلا: الظهر، يريد أنه أعطاه نعلاً من جلد ظهر فتيّ من الثيران، وقوله: مقابلتين، يعني نعلين إحداهما تقابل الأخرى، ما أجمل وصلهما.
(٧) الرجيل: الراجل، أو المشاء، أي يمثل هاتين النعلين بلهو المرء، ويقضي ما هم به من المآرب إذا كان راجلاً أو كثير المشي.

فنعم مُعرَّسُ الأضياف تُذْجي ... رحالَهُم شآميةٌ بَليلُ(١)

يُقاتِلُ جوعَهم بمكلَّلاتٍ ... من الفُرْنيِّ يَرْعَبُها الجميلُ(٢)

قال أبو عمرو: الجَميل: إلا هَالَةٌ، ولا يقال لها جميل حتى تُذاب إهَالَةٌ كانت أو شَحماً، / وقال أبو عمرو: [٢١/ ٢١٠]
ولما بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم عُزّى غطفان، وكانت ببطن نَخْلَة، نَصَبَها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة وقتل دُبَيَّة فقال أبو خراش الهذلي يرثيه:

ما لِدُبَيَّةَ منذُ اليوم لم أرَهُ ... وسْطَ الشُّروبِ ولم يُلْمِمْ ولم يطفِ(٣)

لو كان حيّاً لغاداهم بمُترعةٍ ... فيها الرّواويق من شِيزَى بني الهَطِفِ(٤)

بنو الهَطِف: قوم من بني أسد يَعْملون الجِفَان.

كابي الرماد عظيمُ القِدْرِ جَفْنَتُه ... حين الشتاء كحَوْضِ المُنْهَلِ اللَّقِفِ(٥)

ـ المنُهل: الذي إبله عطاش. واللقِفُ: الذي يضربُ الماءُ أسفلَه فيتساقط وهو ملآن ـ

أمسى سَقامُ خَلاءً لا أنيسَ به ... إلا السِّباعُ ومَرُّ الريح بالغَرَفِ(٦)

يرثي زهير بن العجوة:

وقال الأصمَعيّ وأبو عمرو في روايتهما جميعاً:

أُخِذ أصحابُ رسول الله ﷺ في يوم حُنَين أُسَارى، وكان فيهم زهيرُ بن العَجْوَة أخو بني عمرو بن الحارث، فمرَّ به جميلُ بنُ مَعْمَرِ بنِ حبيبِ بنِ وهبِ بن حُذَافَةَ بن جُمَحٍ، وهو مربوطٌ في الأسرى، وكانت بينهما إحنةٌ في الجاهلية، فضرب عُنقَه، فقال أبو خراش يرثيه:

فَجَّع أصحابي جميلُ بن معمرٍ ... بذي فَجَرٍ تأوي إليه الأراملُ(٧)

/ طويلُ نِجادِ السيفِ ليس بحيدَرٍ ... إذا قام واستَنَّتْ عليه الحمائلُ(٨) [٢١/ ٢١١]

إلى بَيْتِهِ يأوي الغريبُ إذا شتا ... ومُهتَلِكٌ بالي الدّرِيسَيْن عائلُ(٩)

تروَّحَ مقروراً وراحت عشيّةً ... لها حَدَبٌ تحتثُّه فيُوائلُ(١٠)

(١) المعرس: اسم مكان من عرس بالتشديد بمعنى نزل، والشآمية البليل: الريح التي تهب من جهة الشام رطبة لينة. ويريد بالمعرس منزل دبية وتذجي: تسوق وتطرد، وانظر «اللسان» (ذجا).
(٢) بمكللات: بجفان مملوءات، الفرني: نوع مخصوص من الخبز، يرعبها: يملؤها، الجميل: الإهالة، وهي الشحم، أو كل ما يؤتدم به، يقول: إن مضيفه كريم يقابل الجوع بجفان مكللة بالخبز المأدوم بالشحم أو اللحم وغيره من أنواع الإدام.
(٣) الشروب: القوم يشربون.
(٤) مترعة: مملوءة، الرواويق: جمع راووق: الخمر، وإناؤها، وما تروق به، والشيزي: الجفنة.
(٥) كابي الرماد: عظيمة، كناية عن الكرم.
(٦) سقام ـ بفتح السين ـ اسم واد بالحجاز يبدو أن المرثي كان ينزل به.
(٧) فجع... إلخ: بيت من الطويل دخله الخرم، والفجر ـ بفتح الفاء والجيم ـ: العطاء والكرم.
(٨) طويل نجاد السيف: كناية عن طول قامته، الحيدر: الغليظ السمين، استنت: اضطربت، يعني أنه طويل القامة، حين تهتز حمائل سيفه على جانبه لا تجد غلظاً ولا سمناً. وفي ف: «تسترخي» بدل: و «إستنت».
(٩) المهتلك: الذي لا هم له إلا أن يتضيفه الناس، الدريسين: مثنى دريس، وهو الثوب الخلق.
(١٠) الحدب: شدة البرد، تحته: تسرع به، يوائل: يطلب النجاة، البيت وصف لمهتلك في البيت السابق، يريد أنه راح يشكو القر=

تكـــاد يـــداه تُسْلِمَـــان رداءَه مـن القُــرِّ لمّـا استقبلتْـه الشمـائـلُ[(١)]

فمـا بـالُ أهـلِ الـدّار لـم يتصـدَّعـوا وقـد خـفّ منهـا المَـوذعـيُّ الحُـلاَحـلُ[(٢)]

فـأُقسِـمُ لـو لاقيْتَـه غيـرَ مـوثَـقٍ لآبـك بـالجِـزْع الضِّبـاعُ النّـواهـلُ[(٣)]

لظـلَّ جميـلٌ أسـوأَ القـوم تَلَّـةً ولكـنَّ ظَهْـرَ القِـرْنِ للمَـرْء شـاغـلُ[(٤)]

فليـس كعهـدِ الـدار يـا أمَّ مـالـكٍ ولكـنْ أحـاطـت بـالـرقـاب السـلاسـلُ[(٥)]

[٢١/٢١٢] / وعـاد الفتـى كـالكهـل ليـس بقـائـلٍ سـوى الحـقِّ شيئـاً فـاستـراح العـواذلُ[(٦)]

ولـم أنْـسَ أيـامـاً لنـا وليـاليـاً بِحَلْيَـةَ إذ نلقَـى بهـا مـا نحـاول[(٧)]

وقال أيضاً يرثيه:

أفِـي كـلِّ ممْسَـى ليلـةٍ أنـا قـائـلُ مـن الـدهـر لا يبعَـدْ قتيـلُ جميـلِ[(٨)]

فمـا كنـتُ أخشـى أن تصيـبَ دمـاءَنـا قـريـشٌ ولمـا يُقتلـوا بقتيـلِ[(٩)]

فـأبـرحُ مـا أُمِّـرْتُـمُ وعَمَـرْتُـمُ مـدَى الـدهـر حتـى تُقْتَلُـوا بِغَلِيـلِ

يستنقذ أسرى بني ليث:

وقال أبو عمرو في خبره خاصة: أقبل أبو خراش وأخوه عروة وصهيب القِرْدِيّ في بضعةَ عشر رجلاً من بني قِرْد يطلبون الصيد فبينا هم بالمَجْمَعَةِ من نخلة لم يَرُعْهُم إلا قومٌ قريبٌ من عدتهم فظنهم القِرْدِيُّون قوماً من بني ذُؤَيبة أحدِ بني سعدِ بن بكرِ بن هوازنَ أو من بني حَبيب أحَدِ بني نصرٍ، فعدا الهذليُّون إليهم يطلبونَهم وطَمِعُوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعاً، وإذا هم قومٌ من بني لَيْثِ بنِ بكرٍ، فيهم ابنا شَعوب أسرهما صُهَيْبٌ القِردي، فهمَّ بقتلِهما، وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعاً من أصحابه وأطلقَهمْ، فقال أبو خراش في ذلك يمُنُّ على ابنيْ شَعُوبَ أحد بني شِجْعِ بنِ عامرِ بنِ ليثٍ فعلَه بهما:

= وراحت عليه عشية باردة تجعله يغذ السير طلباً للنجاة.

(١) هذا البيت كسابقة في وصف مهتلك، أي تكاد الرياح الباردة تمزق ثوبه، فتنبذه يداه لما خلق منه، وفي «ديوان الهذليين» «من الجود» بدل من «القر» كأنه جعل البيت وصفاً للمرثي، والسياق يؤيد ما أثبتناه.

(٢) اللوذعي: الخفيف الذكي، أو الحديد الفؤاد والنفس، أو اللسن الفصيح، الحلاحل: السيد في قومه، أو الكريم الجواد، يعجب من أهلِ داره كيف لم تتصدع أكبادهم بعد فراقهم إياه.

(٣) «لآبك بالجزع الضباع النواهل»: لوردت دمك الضباع العطاش، كناية عن قتل زهير لجميل لو لم يكن موثقاً، والجزع ـ بفتح الجيم وكسرها ـ: منعطف الوادي ووسطه.

(٤) تلة: صَرْعَةً، الظهر: إصابة الظهر، القرن: القرين في الشجاعة وما إليها، والمعنى أن جميلاً أسوأ الناس إصابة، لأنه أهلك سيداً شجاعاً موثقاً لا يستطيع الدفاع عن نفسه، ولكن القرن ينشغل دائماً بإصابة ظهر قرنه، ليتخلص منه، وفي س «ولكن قرن المرء للظهر شاغل» ولم نجد لها معنى، والمثبت من ف.

(٥) اسم ليس ضمير الشأن، ولعله يعني بإحاطة السلاسل بالرقاب، فتح خالد لتلك النواحي.

(٦) لعله يعني بهذا البيت دخول القوم في الإسلام، وأن الجميع دانوا بالحق، وانثنوا عن اللهو والباطل، فلم يبق مكان للعواذل.

(٧) حلية: اسم مكان.

(٨) لا يبعد: لا يهلك، وهو دعاء يقال في مقام الرثاء كثيراً، ويجوز أن يكون من البعد ضد القرب.

(٩) «ولما يقتلوا» جملة معترضة، أي ما كنت أخاف أن تقتل قريش منا قتيلاً دون أن ننال منهم.

/ عدونا عدوة لا شك فيها ... وخلناهم ذؤيبة أو حبيبا[1] [٢١/٢١٣]

فنغري الثائرين بهم وقلنا ... شفاء النفس أن بعثوا الحروبا[2]

منعنا من عدي بني حنيف ... صحاب مضرس وابنى شعوبا[3]

فأثنوا يا بني شجع علينا ... وحق ابني شعوب أن يثيبا

وسائل سبرة الشجعي عنا ... غداة نخالهم نجوا جنيبا[4]

بأن السابق القرذي ألقى ... عليه الثوب إذ ولى دبيبا[5]

ولولا ذاك أرهقه صهيب ... حسام الحد مطروراً خشيبا[6]

يزهد زهد الهنود:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا الرياشي: قال: حدثنا الأصمعيّ قال: أقفر أبو خراش الهذليّ من الزّادِ أياماً، ثم مرّ بامرأةٍ من هذيل جزلةٍ شريفةٍ، فأمرت له بشاة فذُبحت وشُويت، فلما وَجَدَ بطنُهُ ريحَ الطعام قرقر[7]، فضرب بيده على بطنه وقال: إنكَ لتقرقر لرائحة الطعام، والله لأطعِمتَ منه شيئاً ثم قال: يا ربّةَ البيت، هل عندك شيء من صَبِرٍ أو مُرٍّ؟ قالت: تصنع به ماذا؟ قال: أريده، فأتته منه بشيء فاقتمحه، ثم أهوَى إلى بعيرِه فركبَه، فناشدته المرأةُ فأبَى، فقالتْ له: يا هذا، هل رأيتَ بأساً أو أنكرتَ شيئاً؟ قال: لا والله، ثم مضى وأنشأ يقول:

/ وإني لأثوي الجوعَ حتى يملّني ... فأحيا ولم تدنس ثيابي ولا جِرمي[8] [٢١/٢١٤]

وأصْطَبِحُ الماءَ القَراحَ فأكتفي ... إذا الزادُ أضحَى للمزلَّجِ ذا طَعْمِ[9]

أردُّ شجاعَ البطن قد تعلمينه ... وأوثر غيري من عيالك بالطُّعْمِ[10]

مخافةَ أن أحيا برَغْمٍ وذلّةٍ ... فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ على رَغْمِ

يفتدي أخاه عروة فيلطمه:

وأخبرني عمّي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني بنحو مما رواه الأصمَعِيُّ.

(١) خلناهم: خلنا من أغرنا عليهم، ذؤيبة وحبيب: قبيلتان.
(٢) نغري الثائرين بهم: نسلطهم عليهم ونمكنهم منهم.
(٣) عدي بني حنيف: جماعة العادين منهم، ومضرس: اسم رجل من بني ليث المعدو عليهم، وشعوب: اسم رجل، ولكنه منع الصرف، لأنه في الأصل علم على المنية.
(٤) ضمير نخالهم يعود على المأسورين، النجو: ما أهمل من قطع الخشب، أو ما خرج من البطن، والجنيب: المبعد المنحى: يقول: سائل الشجعي عنا غداة أسرنا قومه، وظنناهم ممن لا وزن لهم.
(٥) لعل المراد بإلقاء الثوب عليه التعرف عليه، وأنه من ليث بن بكر، لا من ذؤيبة أو حبيب.
(٦) حسام الحد: سيفاً قاطع الحد، مطروراً: مسنوناً، خشيباً: مسلولاً، أي لولا التعرف عليه لفتك به صهيب.
(٧) قرقر بطنه: أحدث من الجوع صوتاً يشبه القرقرة.
(٨) أثوي الجوع ـ من أثوى ـ: أسكنه بطني، والجرم: الجسد.
(٩) الماء القراح: الخالص، واصطبحه: شربه صباحاً، المزلج: الرجل الذي لا قوة له على احتمال المكروه. يقول: أكتفي بالماء القراح إذا حمل الجشع الرجل الدنيء على الزاد اللذيذ الطعم.
(١٠) الشجاع: الثعبان: شبه أمعاءه بالثعابين لما ترمى إليه من المهالك، والطعم: الطعام، والخطاب المرأة التي استضافته.

وقال أبو عمرو:

أَسَرَتْ فَهْمٌ عروةَ بنَ مرة أخا أبيّ خراش ـ وقال غيره: بل بنو كنانة أسرتْه ـ فلما دخلت الأشهرُ الحرمُ، مضى أبو خِراش إليهم ومعه ابْنُهُ خراش، فَنزل بسيّد من ساداتهم ولم يُعَرِّفْهُ نَفْسَه ولكنه استضافه فأنزله وأحسن قِرَاه، فلما تحرَّم به انتسب له، وأخبره خبرَ أخيه، وسأله معاونتَه حتى يشتريَهُ منهم، فوعَدَهُ بذلك، وغدا على القوم مع ذلك الرجل، فسألَهُمْ في الأسير أن يهبُوه له، فما فعلوا، فقال لهم: فبيعُونِيه، فقالوا: أما هذا فنعم، فلم يزل يساومُهُم حتى رضُوا بما بذله لهم، فدفع أبو خراش إليهم ابنَه خِراشاً رهينَةً، وأطلق أخاه عُروةَ ومضيا، حتى أخذ أبو خراش فِكَاك أخيه، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إيّاه وأخذ ابنه. فبينما أبو خراش ذات يوم في بيتِه إذ جاءه عبدٌ له فقال: إن أخاك عروةَ جاءني وأخذ شاة من غنَمِك، فذبحها، ولطمني لمّا منعتُه منها، فقال له: دعْه، فلما كان بعد أيام عاد، فقال له: قد أخذ أخرى، فذبحها، فقال: دعه، فلما أمسى قال له: إن أخاك اجتمع مع شَرْب من قومه، فلما انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبِلِك، لينحرّها لهم فعاجِلْه، فوثب أبو خراش إليه، فوجده قد أخذ الناقة، لينحرها، فطردها أبو خِراش، فوثب أخوه عروةُ إليه / فلَطَم وجهه، وأخذ الناقةَ، فعقرها، وانصرف أبو خِراش، فلما كان من غد لامه قومُه، وقالوا له: بئست لعمرُ الله المكافأة، كانت منك لأخيك؛ رهَنَ ابنَه فيك، وفداك بماله، ففعلتَ به ما فعلتَ، فجاء عروة يَعْتذر إليه، فقال أبو خِراش: [٢١/٢١٥]

لَعلَّــكَ نــافعــي يــا عُــروَ يــومــاً | إذا جــاورْتُ مَــنْ تحــتَ القبــور
أخــذتَ خُفَــارَتِــي ولطمــتَ عَبْــدِي | وكيــف تُثِيــبُ بــالمــنّ الكبيــرِ[١]
ويــومِ قــد صبــرْتُ عليــكَ نفســي | لــدى الأشهَــاد مُــرْتَــدِيَ الحــرورِ[٢]
إذا مــا كــان كَــسُّ القــوم رَوْقــاً | وجــالــت مقلتــا الــرجــل البصيــر[٣]
بمــا يممتُــه وتــركْــتُ بِكْــري | ومــا أُطعِمْــتَ مــن لحــم الجَــزُور[٤]

قال معنى قوله بِكري أي بِكْرُ ولدي أي أولُهم.

خبر أخويه الأسود وأبي جندب:

وقال الأصمعيُّ وأبو عبيدة وأبو عمرو وابنُ الأعرابي:

كان بنو مرة عَشَرة: أبو خراش[٥]، وأبو جُندَب، وعروة، والأَبحّ، والأسوَد، وأبو الأسود، وعمرو، وزهير، وجنّاد، وسفيان، وكانوا جميعاً شعراءَ دهاة سِراعا لا يُدْرَكُونَ عَدْواً، فأما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من دَاءَةَ[٦] وهو غلام شاب، فوردت عليه إبلٌ / رِئاب بن ناضِرَةَ بن المؤمَّل من بني لَحِيَان، ورئابٌ شيخ كبير، فرمى [٢١/٢١٦]

(١) خفارتي: يعني مالي الذي أحرسه، المن: العطاء.
(٢) ويوم ـ بالكسر ـ معطوف على المن في البيت قبله، أي كيف تثيب على هذا وذاك؟ الأشهاد: جمع شهد، وشهد: جمع شاهد، ومرتدي الحرور: لابساً الحر.
(٣) الكس: الدق الشديد، روقاً: زائداً، لعله يريد أن يقول: إنني صبرت نفسي عليك إذ كان دق القوم بمعنى ضربهم شديداً زائداً، وجالت العيون في الملقى، وذلك كناية عن أنه خاض الحرب من أجله.
(٤) بما يممته: بما قصدته من إحساني إليك، ويتعلق الجار والمجرور «كيف تثيب» في البيت الثاني أي كيف تثيبني بإحساني إليك ورهن ولدي من أجلك، وما أكلته من لحم جزوري بلطمك وجهي؟.
(٥) كان القياس أن يقول: أبا خراش بالنصب على البدلية من عشرة، ولكن هكذا ورد في الأصول على تقدير «هم فلان وفلان».
(٦) داءة ـ كما في «القاموس» ـ موضع لهذيل وفي «المختار»: «فإنه كان ـ على ما مَرَّ ـ داهية».

الأسودُ ضَرْعَ ناقة من الأبل فعقرها، فغَضب رئابٌ، فضربه بالسيف، فقتله، وكان أشدَّهم أبُو جندب، فعرف خبر أخيه، فغضب غضباً شديداً، وأسف، فاجتمعت رجالُ هذيل إليه يكلمونه وقالوا: خذ عَقْلَ[١] أخيك، واستبقِ ابنَ عمك، فلم يزالوا به حتى قال: نعم، اجْمَعُوا العقل، فجاءُوه به في مَّرة واحدةٍ، فلما أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا لَهُ: أرِحنا: اقبضْه منا، فقال: إني أريد أن أعتمِر فاحبسُوه حتى أرجع، فإن هلكت[٢] فَلإمٍّ مَا أنتم ـ هذه لغة هذيل يقولون: إمّ بالكسر، ولا يستعلمون الضم ـ وإن عشتُ فسوف ترون أمْرِي، وولّى ذاهباً نحو الحَرَم، فدعا عليه رجال من هذيل، وقالوا: اللهم لا تَرُدَّه، فخرج فقدم مكة فواعَدَ كلَّ خَلِيع وفاتِك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا، فيصيبَ بهم قومه، فخرج صادراً، حتى أخذتْهُ الذُّبحة في جانب الحرم، فمات قبل أن يرجع، فكان ذلك خبره.

خبر أخيه زهير:

قالوا: وأما زهيرٌ بن مرة فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لحاء[٣] الحَرَمَ، حتى ورد ذاتَ الأُقَيْر[٤] من نعمان، فبينا هو يسقِي إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثُمَالة، فقتلوه، فله يقول أبو خراش، وقد انبعث يغزو ثُمَالَةَ ويُغِير عليهم، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارين، أي حِلَّتين من ثُمالة.

خـذوا ذلكـم بـالصّلْـحِ إنـي رأيتكُـمْ ... قتلتـم زُهيـراً وهـو مهْـدٍ ومُهْمِـل

/ مهدٍ أي أهدَى هديا للكعبة. ومهمَلٌ: قد أهمَل إبلَه في مراعيها. [٢١/٢١٧]

قتلتـم فتـى لا يفجُـرُ اللهَ عـامـداً ... ولا يجتـويـه جـارُه عـامَ يُمْحِـل[٥]

ولهم يقول أبو خِراش:

إنّـي امـرؤٌ أسـألُ كيمـا أعلَمـا ... مَـنْ شَـرُّ رهْـطٍ يَشْهَـدُون الموسِمَـا؟

* وجـدتُهـم ثُمـالـةَ بـنَ أسلَمَـا *

وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول:

إليـك أمَّ ذِبّـان ... مـا ذاكِ مـن حلْـبِ الضّـانْ[٦]

لكـن مِصـاعُ الفِتيـانْ ... بكـل لِيِّـنٍ حَـرّانْ[٧]

(١) عقل أخيه: ديته.

(٢) فلأم ما أنتم: فأنتم تنتمون إلى أصل عظيم، وأم كل شيء: أصله وعماده، والمراد بالعبارة: إن هلكنا فافعلوا ما ترون، فأنتم لا تجتمعون على ضلال.

(٣) اللحاء: قشر الشجر.

(٤) ذات الأقير: جبل بنعمان «معجم ياقوت».

(٥) لا يفجر الله: لا يفجر بالله، على حذف الخافض، لا يجتويه، لا يكرهه. عام يمحل: سنة القحط، يصف أخاه بالاستقامة والعطف على الجار.

(٦) الأبيات من منهوك المنسرح «مستفعلن مفعولات»، أم ذبان: من الذبنة ـ بضم الذال ـ بمعنى ذبول الشفتين من العطش، كأنه يكنى بأم ذبان عن شفتيه العطشيين، يقول لشفته: إليك عن الري، لا تطلبيه في الحرب، فليس لبن الضأن يسقى فيها.

(٧) مصاع: من صاع الأقران: أتاهم من نواحيهم، بكل لين «بتخفيف الياء» حران: لعله يقصد بكل سنان لدن عطشان إلى الدماء، والمعنى ـ على ما يبدو لنا ـ ليس في الحرب ري بماء أو لبن، ولكنها مصارع الفتيان بكل سنان ظامىء إلى الدماء.

خبر أخيه عروة وابنه خراش:

قال: وأما عروةُ بنُ مرةَ وخراشُ بنُ أبي خراشٍ فأخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رِزام وبنو بلال، وكانوا متجاورين، فخرج عروةُ بنُ مرة وابنُ أبي خراش أخيه مغيرَيْنِ عليهم طمعاً في أن يظفروا من أموالهم بشيءٍ، فظفرَ بهما الثماليون، فأما بنو رِزام فنهوْا عن قتلهما وأبت بنو بلال إلا قتلَهما، حتى كاد يكون بينهم شر، فألقى رجل من القوم ثوبَه على خِراش حين شُغِل القوم بقتل عروة، ثم قال له: انجُ، وانحرَفَ القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل، وكانوا أسلموه إليه، فقالوا: أَيْنَ خِراش؟ فقال: أَفْلَتَ مني، فذهب، فسعى القوم في أثره، فأعجزهم، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عُروةَ، ويذكر خَلاصَ ابنه:

[٢١/٢١٨] / حمدتُ إلَهِي بعد عُروةَ إذ نجا ... خراشٌ وبعضُ الشر أهونُ من بعض

فواللّهِ لا أنسَى قتيلاً رُزِيتَه ... بجانب قَوْسَى ما حييتُ على الأرض[١]

بلى إنها تَعفو الكلومُ وإنما ... نُوكَّلُ بالأدنى وإن جلَّ ما يَمضي

ولم أدر مَن أَلْقَى عليه رداءَهُ ... سوى أنه قد سُلَّ عن ماجد محضِ

ولم يك مثلوجَ الفؤاد مهبَّلاً ... أضاع الشبابَ في الرّبِيلَةِ والخفض[٢]

ولكنهُ قد نازعته مَجَاوِعٌ ... على أنه ذو مرة صادق النهض[٣]

قال: ثم إن أبا خراش وأخاه عروة[٤] استنفرا حيًّا من هذيل يقال لهم بنو زُلَيْفَة بن صَبيح ليغزوا ثُمالةَ بهم طالبَين بثأر أخيهما، فلما دَنَوا من ثمالة أصاب عروةَ وِرْدُ حُمَّى، وكانت به حُمىً[٥] الرِّبْع فجعل عروة يقول:

أصبحتُ موروداً فقرِّبوني ... إلى سواد الحيّ يَدفِنوني

إنّ زهيراً وسطَهم يَدعوني ... رَبَّ المخاض واللِّقاحِ الجُون[٦]

[٢١/٢١٩] / فلبِثوا إلى أن سكنتْ الحمّى، ثم بيَّتوا ثُمالَةَ، فوجدوهم خُلُوفاً ليس فيهم رجال، فقتلوا من وجدوا من الرجال، وساقوا النساء والذراريّ والأموال، وجاء الصائح إلى ثُمالَةَ عشاء، فلحقوهم، وانهزم أبو خراش وأصحابُه، وانقطعت بنو زُلَيفة، فنظر الأكنَعُ الثُّمَاليّ - وكان مقطوعَ الأصبع - إلى عروة فقال: يا قوم، ذلك والله عروة، وأنا والله رامٍ بنفسي عليه، حتى يموت أحدنا، وخرج يمعج[٧] نحو عروةَ، فصاح عروة بأبي خراش أخيه: أي أبا خراش، هذا والله الأكنعُ وهو قاتِلِي، فقال أبو خراش: أَمْضِهْ[٨]، وقعد له على طريقه، ومر به الأكنع

(١) تقدم هذا البيت والبيتان اللذان بعده في الترجمة نفسها.

(٢) مثلوج الفؤاد: كناية عن الدعة والخور، والمهبل: من يقال له: هبلتك أمك، بمعنى ثكلتك، يعني أنه لم يكن يجرؤ أحد على سبه. الربيلة والخفض: معناهما واحد، هو الدعة والنعمة يصف المرثي بأنه كمن يركب الأهوال.

(٣) ف: مخامص، ذو مرة: ذو قوة، صادق النهض: شجاع إذا نهض إلى الحرب وُلي.

(٤) هنا اضطراب بين في سياق الحديث، ففيما سبق أن عروة قد قتل، وهنا ما يفيد أنه ما زال حياً، فلعل هذا الكلام رواية أخرى تتعلق به، أو لعل ثمة تحريفاً بوضع عروة موضع عمرو، والعجيب أن تتفق الأصول التي بين أيدينا على هذه الرواية.

(٥) حمى الربع: هي التي تصيب المريض دوماً وتدعه يومين، ثم تعود إليه في اليوم الرابع.

(٦) الجون: يريد رب الإبل التي في لونها دهمة أي سواد.

(٧) يمعج: يسرع.

(٨) أمضه: اجعله يمضي خلفك.

مصمّماً على عروة، وهو لا يَعْلَم بموضع أبي خراش، فوثب عليه أبو خراش، فضربه على حبْلِ عاتقِهِ حتى بَلَغَت الضَّرْبة سَحَرَه[1]، وانهزمت ثُمالةُ، ونجا أبو خراش وعروة. وقال أبو خراش يرثي أخاه ومَن قتلته ثمالةُ وكنانةُ من أهله، وكان الأصمعيّ يفضّلها:

فَقَـدْتُ بنـي لُبْنَـى فلمـا فقـدتُهـم ... صبَـرتُ فلـم أقطـعْ عليهـم أَبَـاجِلـي[2]

الأَبْجَلُ: عرق في الرّجل.

رمـاحٌ مـن الخطّـيّ زُرْقٌ نِصـالُهـا ... حِـدادٌ أعـاليهـا شِـدادُ الأسـافـل

فلَهفـي علـى عمـرو بـن مُـرَّة لهفـةً ... ولهفِي على ميْتٍ بقَوسَى المعاقـل[3]

حِسـانُ الـوجـوه طيّـبٌ حُجُـزَاتُهـم ... كـريـمٌ نَثـاهـم غيـرُ لُـفٍّ مَعـازلِ[4]

/ قتلـتَ قتيـلاً لا يُحَـالِـفُ غَـدْرَةً ... ولا سُبَّـةً لا زِلـتَ أسفـلَ سـافـل[5] [٢٢٠/٢١]

وقـد أمِنُـونـي واطمـأنّـت نفـوسُهـم ... ولـم يعلمـوا كـلّ الـذي هـو داخلـي

فمـن كـان يـرجـو الصلْـحَ مِنـيّ فـإنـه ... كـأحمـرِ عـاد أو كُلَيْـب بـن وائـل[6]

أُصيبـتْ هُـذيـلٌ بـابـن لُبْنَـى وجُـدّعـت ... أنـوفُهُـمُ بـاللَّـوْذعـيّ الحُـلاَحِـل[7]

رأيـتُ بنـي العَـلاَّتِ لمـا تضـافـروا ... يَحـوزون سَهْمـي دونَهـمْ بـالشَّمـائـل[8]

أخبار أخوته:

قالوا: وأما أبو الأسود فقتلته فَهْمٌ بَياتاً تحت الليل، وأما الأبَحُّ فكان شاعراً، فأمسى بدار بعَرْعَرَ من ضِيم، فذكر لسارية بن زُنَيْم العبديّ أحدِ بني عبد بن عَدِيّ بن الدِّيل، فخرج بقوم من عشيرته يريده ومن معه، فوجدوهم قد ظعنوا. وكان بينَ بني عبدِ بن عدي بن الدِّيل وبينهم حرب، فقال الأبَحُّ في ذلك:

لعمـرُكَ سـارِيَ بـنَ أبـي زُنَيْـم ... لأنـتَ بعَـرْعَـرَ الثـأرُ المنيـمُ[9]

تـركـتَ بنـي معـاويـةَ بـنِ صخـرٍ ... وأنـت بمـربَـعٍ وهُـمُ بضِيـمِ[10]

---

(١) السحر: ما اتصل بالحلقوم من رئة وغيرها.

(٢) بني لبنى، يريد إخوته لأن اسم أمهم جميعاً لبنى ما عدا سفيان.

(٣) يعني بقتيل قوسى أخاه عروة، كما مر.

(٤) حجزا جمع حجزة ـ بضم الحاء ـ وهي موضع التكة من السراويل، وذلك كناية عن العفاف، والنثا: الحديث، لف: جمع ألف، وهو الثقيل البطيء، أو ألفه العيي، المعازل: المجردون من السلاح.

(٥) قتلت قتيلا: الخطاب لقاتل أحد إخوته، وقوله: «لا زلت أسفل سافل» دعاء عليه.

(٦) يكنى بقوله: «كأحمر عاد أو كليب بن وائل» عن استبعاد الصلح واستحالة السلام.

(٧) اللوذعي: الخفيف الذكي، الحلاحل: السيد الشجاع، وجدعت أنوفهم كناية عن ذلهم واستكانتهم بعد موته.

(٨) بنو العلات: من أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفة، ولعله يقصد بهم القبائل التي تضافرت عليه، وتقلت إخوته، يقول: إنهم حين تألبوا عليه لم تؤثر سهامه فيهم، بل تلقوها بأيديهم. الشمائل: كناية عن عدم الإصابة.

(٩) ساري: ترخيم سارية، عرعر: مكان، وقوله: «الثأر المنيم» يريد الثأر الذي إذا أدركه أهله ناموا واستراحوا، وفي ف «لأنت بعرعر الثاوي المقيم» ويبدو من السياق أن بني معاوية المشار إليهم في البيت التالي كانوا وتروا سارية، فخشيهم، ونام عن طلب الثأر.

(١٠) في هد «معاوية بن بكر» بدل «معاوية بن صخر»، ومربع، وضيم: مكانان متقاربان، يقول: تركتهم دون أن تثأر منهم، وهم عن كثب منك.

تُساقيهمْ على رَصَفٍ وظُرٍّ كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ[١]

[٢١/٢٢١] / رَصَفٌ وظُرٌّ: ماءان، ومربع وضِيم: موضعان.

فلم نتركهُمُ قصداً ولكن فرِقْتَ من المصالِتِ كالنّجومِ[٢]

رأيتَهمُ فوارسَ غيرَ عُزْلٍ إذا شَرِقَ المُقاتِلُ بالكُلومِ[٣]

فأجابه سارية، فقال:

لعلك يا أُبَيْخُ حسِبْتَ أنّي قتلتُ الأسودَ الحسَنَ الكريمَا

أخذتُمْ عقلَه وتركتُموه يسوقُ الظُّمْيَ وَسْطَ بني تميمَا[٤]

عيَّرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم، وأنهم لم يدركوا بثأره، وبنو تميم من هذيل.

قالوا: وأما جُنَادة وسفيان فماتا، وقتل عمرو، ولم يُسَمَّ قاتِلُه. قالوا: وأمهم جميعاً لُبْنَى إلا سُفَيان بن مرة، فإن أمه أم عمرو القِرْدِيَّة، وكان أَيْسَرَ القوم وأكثرَهم مالاً.

وقال أبو عمرو: وغزا أبو خراش فهماً[٥]، فأصاب منهم عجوزاً، وأتى بها منزل قومه، فدفعها إلى شيخ منهم، وقال: احتفظ بها حتى آتِيَك، وانطلق لحاجته، فأدخلتْهُ بيتاً صغيراً، وأغلقت عليه، وانطلقت، فجاء أبو خراش، وقد ذهبت، فقال:

سَدَّتْ عليه دَوْلَجاً يَمَّمَتْ بني فالجٍ بالليث أهلَ الخزائمِ[٦]

[٢١/٢٢٢] / الدولج: بيت صغير يكون للبُهْم، والليث: ماء لهم، والخزائم البقر واحدتها خَزُومَة.

وقالت له: دَنِّخ مكانَكَ إنني سألقاك إن وافيتَ أهلَ المواسمِ

يقال: دَنَّخَ الرجلُ ودمَّخَ إذا أكبَّ على وجهه ويديه.

وقال أبو عَمْرو: دخلت أُميمةُ امرأةُ عروَة بن مرة على أبي خِراش وهو يلاعب ابنه فقالت له: يا أبا خراش تناسَيْتَ عُروةَ، وتركت الطلبَ بثأرة، ولهوتَ مع ابنك، أما والله لو كنت المقتول ما غَفَل عنك، ولطلب قاتلكَ حتى يقتلَه، فبكى أبو خِراش، وأنشأ يقول:

لعمري لقد راعتْ أُميمةَ طلعتِي وإنّ ثَوائي عندها لقليلُ[٧]

---

(١) المراد بالمساقاة، المسالمة والمصافاة، الأديم: الجلد، وحلم: أصابته الحلمة، وَهي دودة تأكله، فإذا دبغ وَهيَ موضع الأكل، والمراد أنك تصافيهم وتساقيهم على غش خشية بأسهم والبيت في «اللسان» (رصف).

(٢) فرقت: خفت، المصالت: الشجعان.

(٣) عزل: جمع أعزل، الكلوم: الجراح، يريد أنك خشيت بأسهم، لأنهم يجيدون استعمال السلاح في الحروب التي يشرق فيها المحارب بالدم.

(٤) عقله: ديته، الظمي: جمع ظمياء، وهي الناقة القليلة لحم الفخذين، كناية عن الهزال، يقول له على سبيل التهكم: لست أنا قاتل أخيك الأسود ذي الحسب والنسب، ولكن ابحث عن قاتله في بني تميم الذين تركتم لهم دمه، واكتفيتم منهم بديته من الإبل العجاف.

(٥) في ف «تميما» بدل «فهما».

(٦) ضمير عليه يعود على الرجل الذي استودع العجوز، وفاعل سدت ضمير العجوز.

(٧) طلعتي فاعل راعت، وأميمة مفعول، وجملة المصراع الثاني حالية، يقول: ظنت أنني نائم عن ثأر أخي، ولم تعلم أنني أضمر ذلك، ولن يطول مقامي معها.

وقــالــت: أراه بعــد غــزوة لاهيــاً ... وذلــك رُزْءٌ لــو علمْــت جليــلُ
فــلا تحسبــي أنــي تنــاسيْــتُ فقْــدَهُ ... ولكــنَّ صبــرِي يــا أُميْــمَ جميــلُ[١]
ألــم تعلمِــي أن قَــدْ تفــرّق قبلَنَــا ... نــديمــا صفــاءٍ مــالــكٌ وعَقيــلُ[٢]
أبــى الصبــرَ أنّــي لا يــزال يَهِيجُنــي ... مبيــتٌ لنــا فيمــا خــلا ومَقيــلُ[٣]
وأنــي إذا مــا الصّبــحُ آنَسْــتُ ضــوءَه ... يعــاودنــي قُطــعٌ علــيّ ثقيــلُ[٤]

/ قال أبو عمرو: فأما أبو جُندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نُفَاثَةَ بن عديّ بن الدِّيل حيناً من الدهر، [٢١/٢٢٣] ثم إنهم هموا بأن يغدروا به، وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة، وإذا به كُلُومٌ، فقال له أبو جندب: مالك؟ فقال: ضربني رجل من جيرانك، فأقبل أبو جندب، حتى أتى جيرانَه من بني نفاثة، فقال لهم: يا قوم، ما هذا الجوار؟ لقد كنت أرجو من جواركم خيراً من هذا، أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا؟.

فقالوا: أو لم يكن بنو لحيان[٥]، يقتلوننا، فواللّه ما قَرّتْ دماؤنا، وما زالت تَغلي، والله إنك للثّارُ المُنيم[٦]، فقال: أما إنه لم يُصِبْ أخي إلّا خَيْر، ولكنما هذه معاتبة لكم، وفَطِن للذي يريد القومُ من الغدر به، وكان بأسفلِ دُفاق[٧]، فأصبحوا ظاعنين، وتواعَدُوا ماء[٨] ظَرٌ، فَتَقَدَ الرجالُ إلى الماء، وَأَخّروا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا، واتخذوا الحِياضَ للإبل، فأمر أبو جندب أخاه جُنادةَ وقال له: اسْرَح مع نَعَم القوم.

ثم توقّفْ، وتأخّرْ، حتى تمرّ عليك النَّعَم كلُّها، وأنت في آخرها سارحٌ بإبلك، واتركها متفرقة في المرعى، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك، واطرُدها نحو أرضنا، ومَوعدُك نجد الْوَدْنِيَّة[٩]، في طريق بلاده، وقال لامرأته أُمّ زِنباع وهي من بني كلب بن عوف: اظعَنِي وتمكَّثِي، حتى تخرج آخر ظعينة من النساء.

ثم توَجّهِي، فموعدُك ثَنِيّة يَدعانَ من جانب النخلة، وأخذ أبو جندب دَلوه، / وَورد مع الرجال، فاتّخذ القومُ [٢١/٢٢٤] الحياض، واتخذ أبو جندب حوضاً، فملأه ماء، ثم قعد عنده، فمرّت به إبل ثمّ إبل، فكلّما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون: قد بلغتْ، تركناها بالضَّجْن[١٠].

ثم قدمت النساء كلما قدمت ظعينة سألها عن أهله، فيقولون: بَلَغَتْكَ، تركناها تظعن، حتى إذا وَرد آخرُ النَّعم

---

(١) في «المختار»: «تحسبي أني تناسيت عهده».

(٢) مالك وعقيل هما نديما جذيمة الأبرش، وبهما يضرب المثل في التلازم وطول الألفة، وإليهما يشير متمم بن نويرة بقوله بعد أن قتل خالد بن الوليد أخاه مالك بن نويرة.

وكنــا كنــدمــانــي جــذيمــة حقبــة ... مــن الــدهــر حتــى قيــل لــن يتصــدعــا
فلمــا تفــرقنــا كــأنــي ومــالكــاً ... لطــول اجتمــاع لــم نبــت ليلــة معــا

(٣) الصبر مفعول، والمصدر المؤول فاعل، المبيت: موضع البيت، المقيل: موضع القيلولة، يقول: نفى الصبر عني تذكر عشرته القديمة وطول مدتها، وفي «المختار»: «أبى الصبر أني لا أزال بمهجتي».

(٤) القطع: انقطاع النفس وضيقه.

(٥) يشيرون إلى حادثة سيأتي ذكرها.

(٦) الثأر المنيم: الذي إذا أدرك استراح صاحبه، ونام.

(٧) دفاق: مكان.

(٨) ظر: في «القاموس»: ماء، وفي «معجم البلدان»: ماء ظراء «بالفتح والمد».

(٩) في هد «الودنية» وفي هج «الوثنية»، والمثبت من ف.

(١٠) ف «الصحن» تحريف. والضجن: واد في بلاد هذيل بتهامة.

وآخرُ الظّعن قال: وَالله لقد حَبَس أهلي حابسٌ، أَبْصِرْ يا فلان، حتى أستأنِس أهلي وإبلي، وطرح دلوه على الحوض. ثم ولّى، حتى أدرك القوم بحيث وعدهم، فقال أبو جندب في ذلك:

أقــول لأُمّ زِنْبَــاع أقيمــي ... صُـدورَ العِيـسِ شطـرَ بنـي تميـم[1]

وغَـرَّبْـتُ الـدّعَـاءَ وأيْـنَ مِنِّـي ... أُنـاسٌ بيـن مـرٍّ وذي يَـدوم[2]

غربت الدُّعَاء: دعوت من بعيد.

وَحَـيٌ بـالمنـاقـب قـد حَمَـوْهـا ... لـدى قُـرّانَ حتـى بطـنِ ضِيـم[3]

وأحيـاءٍ لـدى سعْـدِ بـن بكـر ... بـأمـلاحٍ فظـاهـرةِ الأديـم[4]

أُولِئـكَ معشـري وهُـمُ أرومـي ... وبعـض القـوم ليـس بـذي أروم[5]

هنـالِـكَ لـو دَعَـوْت أتـاك منهـم ... رجـالٌ مثـل أرميـةِ الحميـم

الأرْمِيَةُ: السحاب الشديد الوقع، واحدها رَمِيّ، والحميم: مطر القيظ.

أقـلَّ الله خَيْـرَهُـم ألَمّـا ... يَـدَعْهُـم بعـضُ شـرّهُـم القـديـم[6]

[٢١/٢٢٥] / ألَمّـا يَسلـم الجيـرانُ منهـم ... وقـد سـال الفِجـاج مـن الغميـم[7]

غـداةَ كـأنّ جنّـادَ بـن لُبنـى ... بـه نضـحُ العبيـرِ مـن الكُلـوم[8]

دعـا حَـوْلـي نفـاثـةُ ثـم قـالـوا: ... لعلـك لسـتَ بـالثّـأرِ المنيـم

المنيم: الذي إذا أُدْرِكَ استراح أهله وناموا.

نعـوْا مَـنْ قَتَلَـتْ لِحيَـانُ منهـم ... ومـن يغتـرُّ بـالحـرب القـروم[9]

قالوا جميعاً: وكَان أبو جندب ذا شرٍّ وبأس، وكان قومه يسمونه المشئوم، فاشتكى شكوى شديدة، وكان له جار من خزاعة يقالُ له حاطِم، فوقعت به بنو لحيان، فقتلُوه قبلَ أنْ يَسْتَبِلَّ[10] أبو جندب من مرضه، واستاقوا أموالَه، وقتلوا امرأته، وقد كَانَ أبو جُنْدب كلّم قومَه، فجمعوا لجاره غنماً، فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من أهله، حتى قدم مكة، ثم جاء يمشي، حتى استلم الركن، وقد شق ثوبَه عن استه، فعرف الناس أنه يريد شراً، فجعلَ يصيح ويقول:

(١) العيس: الإبل، يريد التوجه إلى بني تميم.

(٢) «مر» وذو يدوم: مكانان بهما آله وأنصاره.

(٣ ـ ٤) المناقب، قران، بطن ضيم، وأملاح، وظاهرة الأديم: أمكنة أيضاً بها آله وأنصاره.

(٥) الأروم: أصل الشجرة، واستعير لأصل الإنسان وحسبه.

(٦) أقل الله... الخ: دعاء عليهم.

(٧) الغميم: نوع مخصوص من اللبن، أو من النبات، ولعل المراد ألى الآن يسيؤون جيرانهم وقد كثر خيرهم، وامتلأت فجاجهم بالنبات، أو باللبن.

(٨) العبير: الكثير، يقول: يسلم الجيران منهم غداة اعتدوا على أخيه جنادة، فجاء والدم يسيل من جراحه الكثيرة.

(٩) نعوا... الخ. يشير الى حادثة ستأتي، القروم: من القرم، وهو شدة شهوة أكل اللحم، يصف الحرب بالسعار، ويحذرهم من ويلاتها وفي ف: «العدوم» بدل «القروم».

(١٠) يستبل: يتم شفاؤه.

إنــي امــرؤ أبكــي علــى جــارِيَّــةْ … أبكــي علــى الكعبــيِّ وَالكعبيَّــهْ(١)

ولــــو هَلكــــتُ بَكيَــا عليَّــهْ … كَــانَــا مكَــان الثــوب مــن حَقْــوِيَّــه(٢)

/ فلما فرغ من طوافه، وقضى حاجتَه من مكة خرج في الخُلَعَاء من بكر وخزاعة، فاستجاشهم على بني [٢٢٦/٢١] لحيانَ، فقتل منهم قتلى، وسبى من نسائهم وذراريهم سَبَايا، وَقال في ذلك:

لقــد أمسَــى بنــو لِحْيــان منّــي … بحمــد الله فــي خِــزْيٍ مُبيــن

تــركتهــمُ علــى الــرّكَبــاتِ صُعْــراً … يُشِيبُــون الــذَّوائــب بــالأنِيــن(٣)

يشكو إلى عمر فراق ابنه:

أخبرني هاشِم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ قال: حدثني عمي قال: هاجر خِراشُ بن أبي خراش الهذليّ في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغزا مع المسلمين، فأوغل في أرض العدو، فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر، وشكا إليه شوقَه إلى ابنه، وأنه رجل قد انقرضَ أهلُه، وقُتِل إخوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خِراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقول:

ألا مَــن مُبلــغٌ عنــي خِــراشــاً … وقــد يــأتيــك بــالنّبــأ البعيــدُ

وقــد يــأتيــكَ بــالأخبــار مَــنْ لا … تُجَهّــزُ بــالحِــذاء ولا تُــزِيــدُ

ـ تُزيد وتُزوِّد واحد، من الزاد ـ

يُنــــاديــــه ليَغْبِقَــــه كَلِيــــبٌ … ولا يــأتــي، لقــد سَفُــه الــوليــدُ(٤)

/ فــــردَّ إنــــاءَه لا شــــيءَ فيــــه … كــأنّ دمــوعَ عينيــه الفَــريــدُ(٥) [٢٢٧/٢١]

وأصبــحَ دون غــابِقِــه وأمســى … جبــالٌ مــن حِــرارِ الشــام سُــودُ(٦)

ألا فــاعلــم خِــراشُ بــأنّ خيــرَ الــمــهــاجــر بعــد هجــرتــه زهيــدُ(٧)

رأيتــكَ وابتغــاءَ البِــرِّ دونــي … كمحصــور اللّبــان ولا يصيــدُ(٨)

قال: فكتب عمر رضي الله عنه بأن يُقْبِل خراش إلى أبيه، وألا يغزوَ من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذَنَ له.

---

(١) الهاء من جارية. هاء السكت، ولعله يعني بالكعبي والكعبية جاره حاطما وامرأته. وتلك هي الحادثة التي أشار إليها في شعره سابقاً.

(٢) الحقو: الخصر، والهاء من «عليه» و «حقويه» هاء السكت.

(٣) صعرا: جمع أصعر، والصعر: داء يصيب الإبل تلوي أعناقها منه استعاره للإنسان، أو هو ميل في أحد شقي الجسم، والمراد أنني أوقعت بهم على الركبات ـ اسم مكان ـ فأنوا أنيناً يشيب الذوائب.

(٤) الكليب: من الكلب بمعنى الظمأ، يغبقه: يسقيه مساء، فاعل يناديه كليب، والهاء من يناديه ضمير خراش، أي ينادي أبو خراش الظامىء خراشاً ليسقيه اللبن مساء، فلا مجيب، وهذا سفه وعقوق منه.

(٥) فاعل «ردّ» ضمير كليب، والفريد: اللؤلؤ، شبه الدمع باللؤلؤ في الصفاء.

(٦) الهاء من «غابقة» تعود على كليب: أبي خراش. حرار: جمع حرة، الأرض فيها حجارة سوداء، أي أصبح بين أبي خراش وساقيه ـ يعني خراشا ـ جبال. . .

(٧) يقول له: إن جهادك في سبيل الله مع تركي زهيد الأجر.

(٨) اللبان: موضع اللبب من الصدر، والمحصور: المشدود، يقول: إنك حين تبتغي الأجر بجهادك تاركاً أباك كمن يريد الصيد، وهو مكتوف. ويروى: «كمخضوب اللبان».

مصرعه:

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبةَ: قال: حدثنا الأصمعيّ. وأخبرني حبيبُ بن نصر، قال: حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال: حدثنا عليّ بن الصبّاح، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه.

وأخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدثنا أبو غسّانَ دماذُ: قال أبو عبيدة:

وأخبرني أيضاً هاشم، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، وذكره أبو سعيد السكري في رواية الأخفش عنه عن أصحابه، قالوا جميعاً:

أسلم أبو خراش فحسُن إسلامه، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدِمُوا حُجّاجاً، فنزلوا بأبي خراش والماء منهم غير بعيد، فقال: يا بني عمي، ما أُمْسَى عندنا ماء، ولكن هذه شاة وبُرمة وقِربة، فرِدُوا الماء، وكلوا شاتكم، ثم دَعُوا بُرْمَتَنا وقِربتنا على الماء، حتى نأخذها، قالوا: والله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه، وما نحن ببارحين حيث أمسينا، [٢٢٨/٢١] فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قِربته، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى اسْتَقَى، ثم أقبل / صادراً، فنهشَتْه حية قبل أن يصل إليهم، فأقبلَ مُسْرِعاً حتى أعطاهم الماء، وقال: اطْبخوا شاتكم وكلوا ولم يُعلِمهم بما أصابه، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا، وأصبح أبو خراش في الموت، فلم يبرحوا حتى دفنوه، وقال وهو يعالج الموت:

لعمـرُكَ والمنـايـا غـالبـاتٌ ... علـى الإنسـان تطلُـع كـلَّ نجـدِ
لقـد أهلكـتِ حيّـةَ بطـنِ أنـفٍ ... علـى الأصحـاب سـاقـاً ذاتَ فقـدِ[١]

وقال أيضاً:

لقـد أهلكـتِ حيـةَ بطـنِ أنـفٍ ... علـى الأصحـاب سـاقـاً ذاتَ فضـلِ
فمـا تـركـتْ عـدوًا بيـن بُصْـرَى ... إلـى صنعـاءَ يطلبُـهُ بـذَحْـلِ[٢]

قال: فبلغ عُمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه خَبرُه، فغضب غضباً شديداً، وقال: لولا أن تكون سُبّة لأمَرْتُ ألّا يُضافَ يمانٍ أبداً، ولكتبت بذلك إلى الآفاق. إن الرجل ليَضيف أحدَهم، فيبذل مجهودَه فيسخطُهُ[٣] ولا يقبله منه، ويطالبُه بما لا يقدر عليه، كأنه يطالبه بدين، أو يَتَعَنَّتُه ليفضَحَه، فهو يكلفه التكاليف، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً، وقتله، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيُغَرِّمَهم دِيَتَه، ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة تمسهم جزاءً لأعمالهم.

[٢٢٩/٢١] / صوت

تهيـمُ بهـا لا الـدهـرُ فـانٍ ولا المنـى ... سـواهـا ولا يُنسيـك نَـأيٌ ولا شُغُـلُ[٤]
كبيضـةِ أُدحـيٍّ بِميـثِ خميلـةٍ ... يحفُّهـا جَـوْنٌ بجـؤجـؤةٍ صَعْـلُ[٥]

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى، عن ابن المكي.

---

(١) أنف: مكان، وحية منادىً محذوف منه حرف النداء، ويريد بقوله: «ذات فقد» أن ساقه عداءة يترك فقدُها فراغاً لا يسد.

(٢) الذحل: الثأر، وليس المراد أنه لم يتر أحداً بين بصرى وصنعاء، فيطالبه بالترة، بل المراد أنه قضى على الموتور والواتر معاً، حتى لم يعد هناك من يطالبه بثأر، أو المراد أنه أخذ كل ثأر، فلم يبق من يطالبه أبو خراش بثأر.

(٣) يسخطه من سخط الثلاثي: سخط عليه.

(٤) ولا المنى سواها: لا متمنى لك إلّا هي.

(٥) الأدحي: مبيض النعام. وميث خميلة: خميلة ممطورة، والجون: الأسود أو الأبيض (ضد). والجؤجؤ: عظم الصدر، والصعل: الطويل. يشبه حبيبته ببيضة نعامة تحضنها أمها في خميلة مخضلة.

/ أخبار ابن دارة ونسبه[١] [٢١/٢٣٠]

نسبه:

هو عبد الرحمن بن مُسافع بن دارة، وقيل: بل هو عبد الرحمن بن رِبْعِيّ بن مسافع بن دارة، وأخوه مسافع بن دارة، وكلاهما شاعر، وفي شعريهما جيعاً غناء يُذكر ها هنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضاً وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين. فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام. وأما هذان فمن شعراء الإسلام، ودارة لقب غلب على جدّهم، ومسافع أبوهم، وهو ابن شُرَيْح بن يربوع الملقب بدارةَ بنِ كعب بن عديّ بن جُشَمَ بن عوف بن بُهْثَةَ بن عبدالله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر. وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السّمهريّ العكليّ اللص وقتلِه وكان نديماً له وأخاً.

يستعدي قومه عكلا على بني أسد:

أخبرني بخبره هاشمُ بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا أبو غسان دماذٌ، عن أبي عبيدة قال:

[٢] لما أُخِذ السمهريّ العكليّ وحُبِس وقُتِل، ـ وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، فقتِل بعد طول حبس ـ فقال[٢] عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويُحرّض عليهم عُكْلاً.

صـوت

إن يُمْسِ بالعينين سُقْمٌ فقد أتى ... لعينيكَ من طول البكاء على جُمْلِ[٣]

تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى ... سواها ولا تُسْلَى بنأيٍ ولا شُغلِ[٤]

/ كبيضة أدحيٍّ بميثِ خميلةٍ ... يُحَفِّفُها جَوْن بجؤجؤة الصَّعلِ[٥] [٢١/٢٣١]

وما الشمسُ تبدو يومَ غيم فأشرقَتْ ... على الشّامة العنقاء فالنِّير فالذبلِ[٦]

بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجب ... بأحسن منها يوم زالت على الحمْلِ[٧]

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.
(٢ ـ ٢) كذا بالأصول، ولعل من الخبر حذف لما، أو حذف الفاء من قوله: فقال عبد الرحمن.
(٣) البيت من الطويل دخله الخرم، وفاعل أتى ضمير سقم.
(٤) تقدم هذا البيت في «صوت» والعجيب أنه ورد هو وما بعده مرفوعين، ووردا هنا مجرورين كسائر أبيات القصيدة.
(٥) انظر شرحه في «صوت».
(٦ ـ ٧) الشامة: أرض بها علامة سوداء، عنقاء: طويلة العنق، أي مرتفعة، النير والذُّبْل: من جبال ضريّة، وخبر ما قوله: بأحسن منها، زالت: رحلت، يقول: ما الشمس تطلع يوم غيم بحاجب، وتختفي بحاجب بأجمل من محبوبته جمل، وقد حملت على محمل ناقتها.

يقولون: إزْلْ حُبَّ جُمْلٍ وقُرْبُها وقد كذبوا ما في المودة من إزلِ[١]

إذا شحطتْ عنّي وجدتُ حرارة على كبدي كادت بها كمَداً تغلي[٢]

ولم أرَ محزونَين أجملَ لوعةً على نائبات الدهر منّي ومن جُمل

كلانا يذود النفسَ وهْي حزينة ويُضمِرُ وجداً كالنوافذ بالنبل[٣]

وإني لمُبلِي اليأسِ من حُبّ غيرها فأمّا على جُمْلٍ فإنّيَ لا أُبلي[٤]

وإنّ شفاء النفس لو تُسْعِفُ المنى ذواتُ الثنايا الغُرّ والحدَقِ النُّجلِ

أولئك إن يَمْنَعْنَ فالمنعُ شِيمةٌ لهنَّ وإنْ يُعْطِينَ يُحْمَدن بالبذلِ

سأمسِك بالوصل الذي كان بيننا وهل تركَ الواشون والنأيُ من وصلِ[٥]

ألا سَقِّيَانِي قهوةً فارسيةً من الأوّل المختوم ليست من الفضلِ[٦]

/ تُنسّي ذوي الأحلام واللبُّ حلمَهم إذا أزبدت في دَنّها زَبَدَ الفحلِ[٧] [٢/٢٣٢]

ويا راكباً إمّا عرضت فبلّغَنْ عَلَى نأيهم مني القبائلَ من عُكلِ

بأنّ الذي أمست تجمجم فقعَسٌ إسارٌ بلا أَسْرٍ وَقتلٌ بلا قتلِ[٨]

وكيف تنام الليلَ عُكلٌ ولم تَنَلْ رِضَى قَوَدٍ بالسمهريّ ولا عقلِ؟[٩]

فلا صلحَ حتى تَنحِط الخيلُ في القنا وتوقدَ نارُ الحرب بالحطب الجزلِ[١٠]

وَجُرْدٍ تَعادَى بالكماة كأنها تُلاحِظ من غيظٍ بأعينَها القُبْلِ[١١]

عليها رجالٌ جالدوا يوم مَنعِجٍ ذوي التاج ضرّابو الملوكِ على الوَهلِ[١٢]

بضربٍ يُزيل الهامَ عن مستقرّه وطعنٍ كأفواه المفرَّجة الهُدْلِ[١٣]

(١) ف: «يقولون إزل حب جمل وتربها».

(٢) ف، هد: «كادت بها كبدي تغلي».

(٣) كالنوافذ: كالسهام النوافذ.

(٤) إبلاء اليأس من الحب معناه الرجاء، فكأنه يقول: لا أمل في وصل جمل، أما وصل غيرها فمدرك سهل المنال.

(٥) سأمسك بالوصل: سأذكر أيام الوصل، وأعيش على ذكراها، وإن كان الواشون والنأي عفيا على هذه الأيام.

(٦) من الأول المختوم: يعني الدن الأول المعتق.

(٧) زبد الفحل: يريد ما يخرج من فم الفحل من الإبل من اللغام.

(٨) الجمجمة: إخفاء ما في النفس، أو الإهلاك، يريد أن نعل قبيلة نقعس بالسمهري حليفه إسار بلا موجب للإسار، وقتل بلا موجب للقتل، أي اعتداء صارخ.

(٩) عكل: قبيلته التي يستصرخها، والعقل: الدية.

(١٠) نحطت الخيل: زفرت وصاتت من الإعياء.

(١١) وجرد: وخيل جرد بالعطف على حطب، والحصان الأجرد: القصير الشعر، تعادى: أصله تتعادى بمعنى تعدو، بأعينها القبل: التي فيها قبل، والقبل ـ بفتح القاف والباء ـ هو الحول.

(١٢) يوم منعج: يوم من أيامهم، وفي ف: «يوم شفج». الوهل. الفزع، يريد أن ركاب هذه الخيل مجربون خاضوا حرب منعج ضد الملوك فأفزعوهم.

(١٣) المفرجة الهدل: القرب المخرقة التي تهدلت شفاهها، أي استرخت، وذلك كناية عن سعة مواضع الطعن.

عــلامَ تُمشّــى فقعــسٌ بــدمــائكــم وما هـي بـالفَـرع المُنيـفِ ولا الأصـلِ؟[١]

وكنّــا حسِبنــا فقعسـاً قبــل هــذه أذلّ علــى وقــع الهــوان مــن النَّعْــل

فقــد نظــرتْ نحــو السمــاء وسلّمَــت على الناس واعتاضت بخِصْبٍ من المحلِ

/ رمـى الله فـي أكبـادكـم أن نجـت بهـا شِعـابُ القِنـان مـن ضعيـفٍ ومـع وَغْـل[٢] [٢٣٣/٢١]

وإن أنتــمُ لــم تثــأروا بــأخيكــم فكــونــوا نِســاءً للخَلــوق وللكُحْـلِ[٣]

وبيعـوا الـرّدينيـاتِ بـالحَلْـي واقْعـدُوا على الـذلّ وابتـاعـوا المغـازل بـالنَّبـل[٤]

ألا حبّــذا مــن عنــدَهُ القلــبُ فــي كَبْــلِ ومَــنْ حُبّــهُ داءٌ وخبْــلٌ مــن الخبــل[٥]

ومَــن هــو لا يُنسَــى ومَــنْ كــلُّ قــولــه لــدينـا كطعــم الـراح أو كجَنَـى النّحـل

ومــن إن نــأى لــم يحــدث النــأيُ بُغضَــه ومـن إن دنـا فـي الـدار أُرْصِـدَ بـالبَـذْلِ[٦]

خبر السمهري مع نديمه ومصرعه:

وأمّا خبر السمهريّ ومقتلُه فإن عليَّ بنَ سليمانَ الأخفشَ أخبرني به قال: حدثنا أبو سعيد السّكّريُّ قال: حدثنا محمدُ بن حبيبٍ، عن أبي عمْرِو الشيبانيِّ قال:

لقِي السّمهريُّ بن بشر بن أُقَيْش[٧] بن مالك بن الحارث بن أقيشَ العكلي ويكنى أبا الديل هو وبهدلٌ ومَرْوَانُ بن قرفة الطائيان عونَ بن جعدَة بن هبيرة بن أبي وَهْبِ بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ومعه خالُه: أحدُ بني حارثة بن لأم من طيء بالثعلبية، وهو يريد الحج من الكوفة، أو يريد المدينة، وزعم آخرون أنهم لقُوه بين نخل والمدينة، فقالوا له: العُراضة، أي مر لنا بشيء فقال: يا غلامُ[٨]، جَفِّنْ لهم، فقالوا: لا والله مـا الطعام / نريـد، فقال: عرِّضْهم[٩]، فقالوا: ولا ذلك نريد، فارتاب بهم، فأخذ [٢٣٤/٢١] السيف فشدّ عليهم، وهو صائم، وكان بَهْدَل لا يسقط له سهم، فرمى عوناً فأقصده، فلما قتلوه ندموا، فهربوا، ولم يأخذوا إبِلَه، فتفرقت إبلُهُ، ونجا خالُه الطائِي، إما عرفوه فكفوا عن قتله، وإما هرب ولم يعرف القَتَلَة، فوجد بعضَ إبله في يدي شافع بن واتر الأسديّ.

وبلغ عبدَ الملك بن مروَان الخبرُ فكتب إلى الحجاج بن يوسف، وهو عاملُه على العراق، وإلى هشام بن

(١) تمشى بدمائكم: تذهب بها بلا قود، المنيف: العالي المرتفع.

(٢) القِنَان: جمع قنة، وهي ما ارتفع من الجبل ونحوه، والوغل: النذل الساقط، يدعو على قومه بأن يصابوا في أكبادهم إن تركوا هؤلاء القوم الضعاف الساقطين يتحصنون منهم في شعاب الجبال.

(٣) الخلوق: نوع من الطيب.

(٤) الردينات: الرماح المنسوبة إلى ردينة، وهي امرأة كانت صناعاً في إعدادها.

(٥) البيت مصرع، ولذلك جاء بعروضة غير مقبوضة، والكبل: الأسر، وهنا يعود الشاعر إلى الغزل بحبيبته، فيختم به قصيدته، كما بدأها به.

(٦) أرصد بالبذل: كوفيء ببذل الود ونحوه.

(٧) في ف، هد: بشر بن أويس».

(٨) جفن لهم: املأ الجفنة لهم طعاماً.

(٩) عرضهم: من العراضة بمعنى الهدية.

إسماعيل، وهو عامله على المدينة، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عَوْن، ويبالغوا في ذلك؛ وأن يأخذوا السُّعاة به أشد أخذ، ويجعلوا لمن دَلّ عليهم جُعلَه[١]، وانشّام[٢] السمهريّ في بلاد غطفان ما شاء الله.

ثم مرّ بنخلٍ، فقالت عجوز من بني فزارة: أظن والله هذا العكليَّ الذي قتل عوناً، فوثبوا عليه، فأخذوه، ومر أيوب بن سلمة المخزوميّ بهم، فقالت له بنو فزارة: هذا العُكليّ قاتل عون ابن عمك، فأخذه منهم، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عاملَ عبد الملك على المدينة، فجحد وَأبى أن يقرّ، فرفعه إلى السجن فحبسه.

وزعم آخرون أن بني عُذرة أخذوه فلما عُرِفت إبلُ عون في يدي شافع بن وَاتِر اتهموه بقتله، فأخذوه، وقالوا: أنت قِرفتُنا[٣]، قتلتَ عوناً، وحبسوه بصلّ: ماء لبني أسد، وجَحَد، وقد كان عرف مَنْ قتله، إما أن يكون كان معهم، فورّي عنهم، وبرأ نفسه، وإما أن يكون أودعوها إياه، أو باعوها منه، فقال شافعٌ:

[٢١/٢٣٥] / فإن سرَّكم أن تعلموا أين ثأرُكم فسلمَى معانٌ وابن قرفة ظالمُ[٤]

وفي السجن عُكليٌّ شريك لبهدل فولّوا ذُبابَ السَّيف من هو حازم[٥]

فوالله ما كنا جُناةً ولا بنا تأوّب عوناً حتفُه وهو صائم[٦]

فعرفوا مَن قتلَه، فألَحُّوا على بهدل في الطلب، وضيقوا على السمهري في القيود والسجن، وجَحَد، فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهريّ أيقنت نفسُه أنه غير ناج، فجعل يلتمس الخروج من السجن، فلما كان يوم الجمعة والإمام يخطب، وقد شُغِل الناس بالصلاة فكّ إحدى حلقتَيْ قيده، ورمى بنفسه من فوق السجن، والناس في صلاتهم، فقصد نحو الحرة، فولج غاراً من الحرة، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه، وغلقوا أبوابهم، وقال لهم الأمير: اتّبعوه فقالوا: وكيف نتبعه وَحْدَنا، فقال لهم: أنتم ألفا رجل، فكيف تكونون وحدكم؟ فقالوا: أرسل معنا الأبُلّيين؛ وهم حرس وأعوان من أهل الأُبُلّة، فأعجزهم الطلبُ، فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى، ثم همَسَ[٧] ليلته طَلقا، فأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة، فبينا هو يمضي إذ نعَب غراب عن شماله، فتطيَّر، فإذا الغراب على شجرة بانٍ يُنَشنِش[٨] ريشَه، ويلقيه، فاعتاف[٩] شيئاً في نفسه، فمضى، وفيها ما فيها، فإذا هو قد لقِي راعياً في وجهه ذلك، فسأله: من أنت؟ قال: رجل من لِهْب من أزْد شنوءة أنتجع أهلي، فقال له: هلْ عندكَ شيءٌ من زَجْر قومك؟ فقال: إني لآنس من ذلك شيئاً أي / لأبصر، فقص عليه حالَه غير أنه وَرَّى[١٠] [٢١/٢٣٦] الذَّنْب على غيره والعيافة، وخَبَرَّهُ عن الغراب والشجرة، فقال اللّهبيّ: هذا الذي فعل ما فعل، ورأى الغراب على

(١) الجعل: المكافأة ونحوها.
(٢) انشام في بلاع غطفان: دخل فيها.
(٣) القرفة: من تتهمه بشيء.
(٤) في ف، هد: «فسامي معاد».
(٥) «حازم» كذا في س، وفي ف «حارم» والذي نرجحه أن هذا وذاك من قبيل التصحيف، والصواب «جارم» بمعنى مذنب.
(٦) تأويه حتفه: أصابته منيته.
(٧) همس: سار بالليل بلا فتور.
(٨) نشنش الطائر ريشه: نتفه نتفاً خفيفاً بمنقاره، وطيره في الهواء.
(٩) اعتاف: من الاعتياف، وهو زجر الطير للتفاؤل أو التطير، والمراد هنا التطير.
(١٠) ورّى: يعني أنه كان ينسب أفعاله إلى غيره بقصد التعمية عن المخاطب.

البانة يَطرحُ ريشه سَيُصْلَب، فقال السمهريّ: بفيك[١] الحجر، فقال اللهبي: بل بفيك الحجر، استخبرتني فأخبرتك ثم تغضب. ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاعة، وترك بلاد غطفان [٢] وذكر بعض الرواة أنه توقف يومه وليلته فيما يعمله؛ وهل يعود من حيث جاء ثم سار[٢]. حتى أتى أرض عُذرة بن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً، ويستحلِب الرعيان اللبنَ، فيحلبونَ له، ولَقِيَهُ عبدُالله الأحدب السعديّ: أحدُ بني مخزوم من بني عبد شمس، وكان أشدَّ منه وألصَّ، فجنى جناية، فَطُلِبَ، فترك بلادَ تميم، ولحق ببلاد قضاعة، وهو على نجيبة لا تُسايَرُ، فبينا السمهري يماشي راعياً لبني عذرة، ويحدثه عن خيار إبلهم، ويسأله السمهريُّ عن ذلك ـ وإنما يسأله عن أنْجَاهُنَّ ليركبها. فيهربَ بها، لئلا يفارق الأحدب ـ أشار له إلى ناقة، فقال السمهري: هذه[٣] خير من التي تفضلها، هذه لا تجاري، فتحَيّن الغفلة، فلما غفل وثب عليها، ثم صاح بها فخرجت تَطير به، وذلك في آخر الليل، فلما أصبحوا فقدُوها، وفقدوه، فطلبوه في الأثر. وخرجا[٤] حتى إذا كان حَجْرٌ عن يسارهما، وهو واد في جبل، أو شِبه الثقب فيه استقبلتهما سَمَةٌ هي أوسع من الطريق، فظنا أن الطريق فيها، فسارا ملياً فيها، ولا نجم يأتمان به، فلما عرفا أنهما حائدان، والتفت عليهما الجبال أمامهما، وجدّ الطَلَبُ إثر بعيريهما، ورواه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أنه سيرجع، فقعدوا له[٥] بفم الثقب ثم كرا راجعين، / وجاءت الناقة، وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامِها، فلما أبصر القومَ همَّ أنْ يعقر ناقتهم، [٢١/٢٣٧] فقال له الأحدب: ما هذا جزاؤها. فنزل، نزل الأحدب، فقاتلهما القومُ، حتى كادوا[٦] يغشَوْن السّمهريَّ فهتف بالأحدب، فطرد عنه القوم، حتى توقلا في الجبل، وفي ذلك يقول السّمهريّ يعتذر من ضلاله:

وما كنتُ ـ مِحْيَاراً ولا فزِعَ السُّرَى ... ولكنْ حذا حجْرٍ بغيرِ دليلِ[٧]

وقال الأحدب في ذلك:

لمّا دعاني السمهريُّ أجبْتُه ... بأبيضَ من ماءِ الحديدِ صقيلِ

وما كنتُ ما اشتدّتْ على السيفِ قبضتي ... لأُسْلِمَ من حُبِّ الحياةِ زميلي

وقال السّمهريّ أيضاً:

نجوتُ ونفسي عند ليلى رهينةٌ ... وقد غمّني داجٍ من الليلِ دامسُ[٨]

وغامستُ عن نفسي بأخلَقَ مِقصلٍ ... ولا خيرَ في نفسِ امرىءٍ لا تُغامِسُ[٩]

ولو أنّ ليلَى أبصرتْنِي غدوةً ... ومَطْوايَ والصفُّ الذين أُمارسُ[١٠]

---

(١) بفيك الحجر: جملة دعائية يسب بها مخاطبه.
(٢ ـ ٢) تكملة من هد، هج.
(٣) هذه: إشارة إلى ناقة أخرى غير التي اختارها الراعي.
(٤) ضمير «خرجا» يعود على السمهري والأحدب.
(٥) له: للسمهري، وإنما أفرد الضمير هنا مع أن الحديث عن اثنين ـ السمهري والأحدب ـ لأن الأول هو المطلوب للقوم.
(٦) يغشونه: يريد يغشونه بسيوفهم، أي يضربونه بها.
(٧) ولكن حذا حجر: ولكن حذوت حذا حجر بغير دليل، أي مشيت بحذائه، فأضلني، وحجر: الوادي الذي لم يستطيعا النفاذ منه، وإسناد الفزع إلى السري مجاز.
(٨) غمني: غطى علي، دامس: مظلم.
(٩) غامست: خضت الحرب، بأخلق مقصل: بسيف قاطع.
(١٠) مطواي: اسم مكان من طوي، يعني المكان الذي أطعمه، والصف: الجمع، الذين أمارس: الذين أعاني حربهم.

إذاً لبكت ليلى عليّ وأعولت ... وما نالت الثوبَ الذي أنا لابس[(١)]

فرجع إلى صحراءِ مَنعج، وهي إلى جنب أُضاخَ، والحلّة قريب منها، وفيها منازل عُكل، فكان يتردد ولا [٢٣٨/٢١] يقرب الحلة، وقد كان أُكْثِر الجُعْلُ فيه، فمرّ بابني فائد / ابن حبيب من بني أسد، ثم من بني فَقعس فقال: أجيرا متنكراً، فَحلبَا له، فشرب ومضى لا يعرفانه، وذهبا، ثم لبث السمهري ساعة، وكرَّ راجعاً فتحدث إلى أخت ابني فائد، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدَّحة[(٢)]، وإذا كدوحٌ طريَّةٌ، فأخبر أخاه بذلك، فنظر، فرأى ما أخبره أخوه، فارتابا به، فقال أحدهما: هذا والله السمهريّ الذي جُعِل فيه ما جعل، فاتفقا على مضابرته[(٣)]، فوثبا عليه، فقعد أحدهما على ظهره، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهري، فألقى الذى على ظهره، وقال: أتلعبان؟ وقد ضبطَ رأسَ الذي كان على ظهره تحت إبطه، وعالجه الآخر، فجعل[(٤)] رأسَه تحت إبطه أيضاً، وجعلا يعالجانه، فناديا أُختَهما أن تعينهما، فقالت: أَلِيَ الشُّرْك في جُعْلكما؟ قالا: نعم، فجاءت بجرير[(٥)] فجعلته في عنقه بأُنشوطه ثم جذبته، وهو مشغول بالرَّجُلين يمنعهما، فلما استحكمت العقدة، وراحت من عَلاَبِيِّهِ[(٦)] خلى عنهما، وشد أحدُهما، فجاء بِصِرارٍ[(٧)]، فألقاه في رجله، وهو يداور الآخر، والأخرى تخنقه؛ فخرَّ لوجهه، فربطاه، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المُرِّيّ، وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذِه، فكتب فيه إلى الخليفة، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخي عون: عدي، فدُفِعَ إليه، فقال السمهريّ: أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا؟ ادنُ أُخبرْك، فأراد الدّنوَّ منه، فنودي: إياكَ والكلبَ، وإنما أراد أن يقطع أنفه، فقتله بعمه. ولما حبسه ابن حيّان في السجن تذكر زَجْر اللِّهْبِيّ وصدقَه، فقال:

ألا أيها البيتُ الذي أنا هاجِرُهُ ... فلا البيتُ منسيٌّ ولا أنا زائرُهْ

[٢٣٩/٢١] / ألا طرقت ليلى وساقي رهينةٌ ... بأشهبَ مشدودٍ عليّ مَسامرُه[(٨)]

فإن أنجُ يا ليلى فربّ فتًى نجا ... وإن تكنِ الأخرى فشيءٌ أحاذره

وما أصْدَقَ الطيْرَ التي بَرِحت لنا ... وما أعيفَ اللِّهبيّ لا عزَّ ناصرُه[(٩)]

رأيتُ غُراباً ساقطاً فوق بانة ... ينشنشُ أعلى ريشه ويُطايِره[(١٠)]

فقال غرابٌ باغترابٍ من النوى ... وبانٌ بِبَيْنٍ من حبيبٍ تُحاذره[(١١)]

(١) هذا البيت جواب «لو» في البيت السابق.
(٢) مكدحة: ذات خدوش وسحجات.
(٣) مضابرته: من ضبر الشيء ضبراً بمعنى جمعه وشده، أي اتفقا على شد وثاقه.
(٤) فاعل جعل ضمير السمهري، والهاء من رأسه تعود على ابن فائد الثاني.
(٥) بجرير: بحبل.
(٦) العلابي: أعصاب العنق.
(٧) الصرار: ما يشد به خلف الناقة.
(٨) بأشهب... إلخ: يعني القيد، ومسامره نائب فاعل مشدود، والمراد بليلى هنا طيفها.
(٩) برحت: مرت شمالاً، ما أعيف اللهبي: ما أمهره في زجر الطير، لا عز ناصره: جملة دعائية.
(١٠) ينشنش أعلى ريشه: ينتفه بمنقاره نتفاً خفيفاً.
(١١) يريد أن الغراب الذي رآه نذير الغربة، وأن البان نذير البين.

فكـــان اغتـــرابٌ بـــالغـــراب ونيـــةٌ ... وبـــالبـــان بَيْـــنٌ بَيِّـــنٌ لـــك طـــائِـــرُه[(١)]

وقال السّمهري في الحبس يُحرض أخاه مالكاً على ابني فائد:

فمـــن مُبلـــغٌ عنّـــي خليلـــيَ مـــالكـــاً ... رســـالـــة مشـــدود الـــوَثـــاق غـــريـــبِ

ومـــن مبلـــغٌ حَـــزمـــاً وتَيْمـــاً ومـــالكـــاً ... وأربـــابَ حـــامِـــي الحفـــر رهـــطِ شبيـــبِ

لِيُبْكـــوا التـــي قـــالـــت بصحـــراءِ مَنْعِـــجٍ ... لِـيَ الشّـــركُ يـــا بنـي فـــائـــدِ بـــن حبيـــب[(٢)]

أتضـــرب فـــي لحمـــي بسهـــم ولـــم يكـــن ... لهـــا فـــي سهـــام المسلميـــن نَصِيـــبُ[(٣)]

/ وقال السمهريّ يرقّق بني أسد: [٢٤٠/٢١]

تمنّـــتْ سُليمَـــى أن أقِيـــلَ بـــأرضهـــا ... وأنّـــي لسَلْمَـــى ويْبَهَـــا مـــا تَمَنَّـــتِ[(٤)]

ألا ليـــتَ شعـــري هـــل أزورَنّ ســـاجـــراً ... وقـــد رَوِيَـــت مـــاءَ الغـــوادي وعلّـــت[(٥)]

بنـــي أســـد هـــل فيكـــمُ مـــن هَـــوادةٍ ... فتَغْفِـــرَ إن كـــانـــتْ بـــي النعـــل زَلَّـــتِ[(٦)]

وبنو تميم تزعم أنْ البيت لمرة بن مَحْكان السعديّ.

وقال السمهريّ في الحبس يذم قومه:

لقـــد جمـــع الحـــدّادُ بيـــن عِصـــابـــة ... تسـائـــل فـــي الأقيـــاد مـــاذا ذُنـــوبُهـــا[(٧)]

بمنـــزلـــة أمّـــا اللئيـــمُ فشَـــامِـــتٌ ... بهـــا وكِـــرامُ القـــوم بـــادٍ شحـــوبُهـــا[(٨)]

إذا حَـــرَسِـــيٌّ قَعقـــعَ البـــابَ أُرْعِـــدَتْ ... فـــرائـــصُ أقـــوامٍ وطـــارت قلـــوبُهـــا[(٩)]

ألا ليتنـــي مـــن غيـــر عُكْـــلٍ قبيلتـــي ... ولـــم أدرِ مـــا شُبَّـــانُ عُكـــلٍ وشِيبُهـــا؟

قبيلـــة «مَـــنْ» لا يقـــرع البـــابَ وفـــدُهـــا ... لخيـــر ولا يَهْـــدِي الصـــوابَ خطيبُهـــا[(١٠)]

/ نـــرى البـــاب لا نَستطيـــع شيئـــاً وراءه ... كـــأنّـــا قُنِـــيٌّ أسلَمتْهـــا كُعـــوبُهـــا[(١١)] [٢٤١/٢١]

(١) نية: من نوى بمعنى بعد وانتقل.
(٢) ليبكوا: من أبكى الرباعي، يريد من أشياعه أن يثكلوا هذه المرأة التي شدت وثاقه، وشاركت أخويها في جعله.
(٣) يقصد التعجب من أن تسهم هذه المرأة في جعله، مع أن المرأة ليست بذات نصيب في الجهاد وغيره من الحروب.
(٤) ويبها: ويحها.
(٥) ساجر: مكان باليمامة يحن إليه.
(٦) فاعل تغفر ضمير الهوادة، أو ضمير القبيلة ـ بني أسد ـ على أن في الكلام التفاتاً.
(٧) جمع الحداد... إلخ: يعني القيود التي صنعها لهؤلاء المساجين.
(٨) كنى بالشحوب البادي عن الشفقة والرثاء لهؤلاء المساجين.
(٩) الحرسي: من يطلق عليه الآن رجل الشرطة، الفرائص: جمع فريصة، وهي عضلة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع، والبيت في وصف حال السجين.
(١٠) «قبيلة لا يقرع لها الباب... إلخ» كذا بالأصول، وقد زدنا كلمة من بعد قبيلة، وهي زيادة لازمة لإقامة الوزن والمعنى معاً، وربما كانت «قبيلتنا» وعلى تصويبنا يكون المعنى: قبيلة رجال لا يأتي وفدها بخير، ولا يهدي خطيبها إلى صواب.
(١١) نرى الباب... إلخ: نحن سجناء لا نستطيع تجاوز باب السجن، وفي هد: «كأنا قنا قد أسلمتها كعوبها، والوزن والمعنى على كلا الروايتين سليمان، وقنى: جمع قناة، وقناة الرمح: أعلاه، وكعبه: أسفله.

وإن تَكُ عُكلٌ سرَّها ما أصابني ... فقد كنتُ مصبوباً على ما يَريبها[1]

وقال السمهريُّ أيضاً في الحبس:

ألا حيِّ ليلى إذ ألَمَّ لِمامُها ... وكان مع القوم الأعادي كلامُها[2]

تعلَّلْ بليلَى إنما أنتَ هامَةٌ ... من الغد يدنو كلَّ يوم حِمامُها[3]

وبادِرْ بليلَى أوجهَ الركب إنهم ... متى يرجعوا يَحْرُمْ عليك كلامها[4]

وكيف ترجّيها وقد حِيلَ دونها ... وأقسم أقوامٌ مَخوفٌ قِسامُها[5]

لأجْتنِبَنْهَا أو لَيَبْتَدِرُنَّني ... ببيضٍ عليها الأُثْرُ فَعْمٌ كِلامُها[6]

لقد طرقتْ ليلَى ورجْلِي رهينةٌ ... فما راعني في السجن إلا لِمامها[7]

فلَمَّا انتبهتُ للخيال الذي سرى ... إذا الأرضُ قَفْرٌ قد علاها قَتامُها

[٢١/٢٤٢] / فإلّا تكن ليلَى طَوتك فإنه ... شبيهةٌ بليلَى حُسنها وقوامُها[8]

ألا ليتنا نَحيا جميعاً بِغِبْطَةٍ ... وتَبلَى عظامي حين تبلَى عِظامُها

وقال أيضاً:

ألا طرقتْ ليلَى وساقِي رَهينةٌ ... بأسمرَ مشدودٍ عليَّ ثقيلُ[9]

فما البينُ يا سلْمى بأن تَشْحَطَ النَّوى ... ولكنّ بيناً ما يُريد عقيلُ[10]

فإن أنجُ منها أنْجُ من ذي عظيمةٍ ... وإن تكن الأخرى فتلك سبيلُ[11]

وقال أيضاً وهو طريد:

فلا تيأسَا من رحمةِ الله وانظُرا ... بوادي جَبُونَا أن تَهُبَّ شَمالُ[12]

---

(١) يريبها: يؤذيها، يريد أنها جزته على حمايته لها جزاء سنمّار.

(٢) لعله يريد أن طيف محبوبته حين ألم شفع له عند آسريه.

(٣) يقال: فلان هامة الغد بمعنى قصير العمر.

(٤) يقول: استقبلها الاستقبال الأخير، وودعها الوداع الأخير، واستقبالها ووداعها كلاهما في عالم الخيال بدليل البيت التالي.

(٥) قسامها: مصدر قاسمه قساماً، والمراد أن هؤلاء الأقوام قاسم بعضهم بعضاً على هلاكه.

(٦) لأجتنبنها: جواب القسم في البيت السابق، ليبتدرنني: مضارع ابتدر اتصل بواو الجماعة، وأكد بنون التوكيد الثقيلة، البيض: السيوف، الأثر: بريق السيف ورونقه، فعم: ممتلىء، يقال: فعم الأناء، فهو فعم: امتلأ، الكلام ـ بكسر الكاف ـ الجراح، يقول: وكيف أرجي قرب ليلى، ودونها أقوام حلفوا أن يبادروني بسيوف تفيض جراحها دماً غزيرا؟.

(٧) ف، هد: «سلاتها» بدل «لمامها».

(٨) طوتك: يريد طوت الأرض إليك، وضمير إنه يعود على طيف ليلى، حسنها مبتدأ محذوف الخبر، أي له حسنها وقوامها، أو هو بدل من شبيه، لا فاعل له، يقول: إن لم تكن ليلى زارتك بشخصها فإن خيالها شبيه بها في الحسن والقوام وهذا التخريج خير من أن نجعل حسنها بدلاً من ليلى، فيجر، ويدخل القافية الإقواء.

(٩) يريد بالأسمر، القيد.

(١٠) تشحط: تبعد، عقيل: لعله أحد آسرية، يقول: ليس البين ما بيني وبينك من بعد، ولكن البين هو هلاكي الذي يريده عقيل.

(١١) من ذي عظيمة: من حادثة ذي مغبة عظيمة، وإن تكن الأخرى: يريد الموت، فتلك سبيل: مسلوكة يسلكها الجميع.

(١٢) بوادي جبونا: مكان، تهب شمال: تهب ريح شمالية مؤذنة بالفرج.

ولا تيـأسـا أن تُـرزَقـا أريحيَّـةً كعيـنِ المهـا أعنـاقُهـنّ طِـوال(١)
مـن الحـارثيِّيـنَ الـذيـن دِمـاؤهـم حَـرامٌ وأمـا مـالُـهـم فحـلال

وقال أيضاً:

ألـم تـرَ أنّـي وابـنَ أبيـضَ قـد جفـت بنـا الأرضُ إلا أنْ نَـؤمَّ الفَيـافيـا(٢)
/ طَـريـديْـن مـن حيَّيْـنِ شتـى أشَـدَّنـا مخـافَتُنـا حتـى نخلْنـا التّصـافيـا(٣) [٢٤٣/٢١]
ومـا لُمْتُـه فـي أمـرِ حَـزمٍ ونجـدةٍ ولا لامنـي فـي مِـرَّتـي واحتيـاليـا
وقلـتُ لـه إذْ حـلّ يسقـي ويَسْتَقـي وقـد كـان ضـوءُ الصبـح لِلّيـلِ حـاديـا:
لعمـري لقـد لاقـت ركـابُـك مَشْـرَبـاً لئـنْ هـيَ لـم تَصْبَـحْ عليهـنَّ عـاليـا(٤)

بعض أخباره:

وأُخِذت طَيِّىء ببهدلٍ ومروانَ أخيه أشدَّ الأخذ، وحُبِسوا، فقالوا: إن حُبِسنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون، ولكن خلُّوا عنا، حتى نتجسَّسَ عنهما، فنأتِيَكمْ بهما، وكانا تأبدا مع الوحش يَرْمِيان الصَّيْدَ فهو رزقهما. ولما طال ذلك على مروانَ هبط إلى راعٍ، فتحدث إليه فسقاه، وبسطه، حتى اطمأن إليه، ولم يُشْعِرهُ أنه يعرفه، فجعل يأتيه بين الأيام، فلا ينكره، فانطلق الراعي، فأخبره باختلافه إليه، فجاءَ معه الطلب، وأكمَنَهُم، حتى إذا جاء مروان إلى الراعي كما كان يفعل سقاه، وحدثه فلم يشعُر حتى أطافوا به، فأخذوه، وأتَوْا به عثمانَ بنَ حيان أيضاً عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة، فأعْطَى الذي دلَّ عليه جُعْلَه، وقتله.

نهاية بهدل:

وأما بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى، فبلغَ ذلك سَيِّداً من سلمَى(٥)، من طيء، فقال: قد أُخيفت طيِّءٌ، وشُرِّدَتْ من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب، فجاء حتى حَلَّ بأهله أسفل تلك الهضبة ومعه أهْلاَتٌ(٦) من قَومه، فقال لهم: إنكم بعَيني الخبيث، فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت، / وليُخلوا النساء، فإنه إذا رأى [٢٤٤/٢١] ذلك انحدرَ إلى القِبَاب، وطلب الحاجة والعَلّ(٧) فكانوا يخلون الرجال نهاراً فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أياماً، فظَنَّ بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم، فانحدر إلى قُبة السَّيِّد، وقد أمر النساء: إن انحدَرَ إليكن رجل فإنه ابنُ عمكن، فأطعمنه وادهنَّ رَأسَه.

وفي قبة السيد ابنتان له فسألهما: من أنتما؟ فأخبرتاه، وأطعمتاه، ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتاه، فقال:

(١) أريحية: خيلاً أريحية، أي كريمة الخلق، كعين المها: كبقر الوحش ذوات الأعين النجلاء، يريد أن هذه الخيل ربما جاءت لنجدته.
(٢) ابن أبيض: كناية عن زميل له في التشرد.
(٣) شتى: جمع شتيت بمعنى متفرقة، وأراد بالجمع ما فوق الواحد، نخلنا التصافيا: من نخل الشيء بمعنى خلصه من كل ما يشوبه، أي: أخلص كلانا لأخيه، والمعنى أنني أنا وابن أبيض من حيين مختلفين شتتنا الخوف، وألف بيننا ألفة وثيقة.
(٤) البيت مقول القول في البيت السابق، عليهن: على الآبار المفهومة من المقام، والمعنى: لاقت ركابك مشرباً سائغاً، إذا لم تضبح، أي تصهل، فيسمع الأعداء صهيلها عالياً.
(٥) في ف: «فبلغ ذلك سند بن سلمى».
(٦) أهلات: جمع أهل، وفي بعض المخطوطات: أهلاب ـ بالباء ـ وهو تصحيف.
(٧) العل: الشراب، وفي بعض النسخ «النقل» بدل «العل»، وربما كان ذلك تحريف «الحل» بكسر الحاء.

أحسنتما إلى ابن عمكما، فجعل ينحدرُ إليهما، حتى اطمأنَّ، وغسلتا رأسه، وفَلَّتَاهُ ودهنتاه، فقال الشيخ لابنتيه: أفلياه، ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة، واعقدا خُصَلَ لِمَّتِهِ إذا نَعِس رويداً بخمْل القطيفة.

ثم إذا شدَدْنا عليه فأقلبا القطيفة على وجهه، وخذا أنتما بشَعره من ورائه فَمُدَّا به إليكما، ففعلتا، واجتمع له أصحابه، فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها، وَشدّوا عليه، فربطوه، فدفعوه إلى عثمان بن حيّان، فقتله، فقالت بنت بَهْدَل ترثيه:

فيَــا ضَيْعــةَ الفِتيــانِ إذ يَعتِلــونــه ... ببطــن الشَّــرى مثــل الفنيــق المســدَّمِ[(١)]

دعَــا دعــوة لمــا أتــى أرضَ مــالــك ... ومــن لا يُجَــبْ عنــد الحفيظــة يُسلِــمِ[(٢)]

[٢٤٥/٢١] / أمــا كــان فــي قيــس مــن ابــن حفيظــةٍ ... مــن القــوم طَــلَّابِ التِّــرات غَشمْشــمِ[(٣)]

فيقتُــل جَبــراً بــامــرىءٍ لــم يكــن بــه ... بــواءً ولكِــنْ لا تكَــايُــلَ بــالــدمِ[(٤)]

وكان دعَا: بالَمالك لِيَنْتَزِعُوه، فلم يجبه أَحد.

مساجلة بينه وبين الكميت:

قال: ولما قال عبدُ الرحمن بنُ دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة[(٥)] يَحُضُّ عُكلاً على بني فَقْعَس اعترض الكميت بن معروف الفقعسيّ، فعيره بقتل سالم حين قتله زُميل الفزاريّ، فقال قوله:

فــلا تُكثِــروا فيــه الضّجــاج فــإنــه ... محــا السيــفُ مــا قــال ابــنُ دارة أجمعــا

فقال عبد الرحمن بن دارة:

فيــا راكبــاً إمّــا عــرضــتَ فبلّغــنْ ... مُغَلْغَلــةً عنّــي القبَــائــلَ مــن عُكــلِ

جلَــت حممــاً عنهــا القِصَــافُ ومــا جلــت ... قُشَيرٌ وفــي الشّدّاتِ والحــرب مــا يُجلــي[(٦)]

فــإن يــك بــاع الفَقعســيُّ دمــاءَهــم ... بــوَكــس فقــد كــانــت دمــاؤكــم تَغلِــي[(٧)]

[٢٤٦/٢١] / وكيــف تنــام الليــلَ عُكــلٌ ولــم يكــن ... لهــا قَــوَدٌ بــالسّمْهــريّ ولا عَقْــلُ[(٨)]

---

(١) يعتلونه: من عتله يعتله ـ بمعنى قاده بعنف وغلظة، الفنيق: فحل الإبل، المسدم: الهائج الممتنع ركوبه.

(٢) الحفيظة: الحرب، ويسلم ـ بالبناء المجهول ـ بمعنى يسلم نفسه لأعدائه.

(٣) الغشمشم: المقدام الذي يقتحم الحروب غير هياب، وفي ف «كريمة» بدل «حفيظة».

(٤) جبر المشار إليه في البيت هو جبر بن عبيد الذي دفع بهدلا إلى السلطان فقتله، بواء: كفء، لا تكايل في الدم: لا تقدر الدماء بالكيل، والمعنى: أما كان في قيس رجل شجاع يقتل جبرا قاتل أبي، وإن لم يكن كفئاً له، ولو كانت الدماء تكال ما أجزأت دماء جبر في دماء أبي، والمراد بتقدير الدم الكيف لا الكم.

(٥) يعني القصيدة اللامية التي تقدم ذكرها في أول الترجمة، ويلاحظ أنه هنا يقول: «يحض بها عكلا على بني فقعس، وهناك قال: «يحض بها عكلا على بني أسد».

(٦) في البيت اضطراب وخلاف كبير في رواية ألفاظه، والذي نرجحه في معناه هو ما يلي: القصاف: فرس مشهورة لبني قشير، الحمم: ما خمد من النيران، يقول: إن القصاف أوقدت النيران بأرضكم، وما جلا قومها قشير عنكم، ولو أنكم شددتم في الحرب عليهم لأجليتموهم، والكلام على سبيل التمثيل، فهو لا يريد «قشيرا» ولكن يريد «فقعسا» أو «أسدا» على الخلاف الذي تقدم ذكره.

(٧) يقول: إن يكن الفقعسي الذي أسلم ندمائي باع دماءهم رخيصة فقد كانت دماؤكم تغلي حمية لأخذ الثأر، فما بالكم لا تفعلون!.

(٨) ورد هذا البيت هنا وفيه إقواء، مع أنه تقدم سالماً من هذا الإقواء، فارجع إليه وإلى بقية الأبيات في القصيدة اللامية التي تقدمت في مبدأ الترجمة.

رمى اللّهُ في أكبادِهم إن نجتْ بها ... حروفُ القِنانِ من ذليلٍ ومن وغلِ
وكنا حسِبْنَا فَقعساً قبل هذه ... أذلّ على طول الهوان من النَّعل
فإن أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ ... فكونوا بَغايا للخَلُوق وللكُحل
وبيعوا الردينيّاتِ بالحلْيِ واقعدوا ... على الوِتْرِ وابتاعوا المغازلَ بالنَّبل
فإنّ الذي كانت تُجمجمُ فقعَسٌ ... قتيلٌ بلا قَتْلى وَنَبْلٌ بلا نَبْلِ
فلا سِلْمَ حتى تنحَطَ الخيلُ بالقنا ... وتُوقَدَ نارُ الحَرْب بالحَطَب الجَزْلِ

يقتلون ابن سعدة وأمه:

فلما بلغ قَولُه مالكاً أخا السمهريّ بخراسان، انحطَّ من خراسان، حتى قدم بلاد عُكل فاستجاش نفراً من قومه، فعلِقوا[1] في أرض بني أسد يطلبون الغِرّة فوجدوا بثادقٍ[2] رجلاً معه امرأة من فقْعَس، فقتلوه، وحزُّوا رأسه، وذهبوا بالرأس، وتركوا جسده، كما قتلوها أيضاً، وذُكِرَ لي: أن الرجلَ ابنُ سِعْدَة والمرأة التي كانت معه هي سعدة أمُّه، فقال عبد الرحمن في ذلك:

ما لقتيلِ فَقْعَسٍ لا رأسَ لَهْ ... هلاّ سألتَ فقعساً من جَدَّلَهْ[3]
لا يتْبَعَنَّ فَقْعَسيٌّ جملَهْ ... فرداً إذا ما الفقعسيُّ أعملَهْ[4]
لا يلقَيَنَّ قاتلاً فيقتلَهْ ... بسيفه قد سَمَّهُ وصقلَهْ[5]

[٢٤٧/٢١] وقال عبد الرحمن أيضاً:

لمّا تَمالَى القومُ في رَأدِ الضُّحى ... نَظراً وقد لَمَعَ السَّرابُ فجالا[6]
نظر ابنُ سِعْدةَ نظرةً ويلاً لها ... كانت لصحبك والمطيّ خَبالا[7]
لَمْحاً رأى من فوقِ طودٍ يافعٍ ... بعضَ العُداة وجُنّةً وظِلالا[8]
عيَّرتَني طَلَبَ الحُمُولِ وقد أرى ... لم آتِهنَّ مكفْفاً بطّالا[9]
فانظرْ لنفسكَ يا بنَ سَعْدَةَ هل ترى ... ضبُعاً تجرُّ بثادقٍ أوْصالا

(١) علقوا: طفقوا، أي أخذوا يطلبون الغرة.
(٢) ثادق: اسم واد في ديار عقيل.
(٣) يقصد بقتيل فقعس ابن سعدة، جدّله: صرعه، وفي ف، هج، هد: «هلا سألت بارقاً من جدله».
(٤) أعمل جمله: جعله يعمل، أي سرح به، يريد أن يقول: لا يأمن فقعسي على نفسه منا.
(٥) في ف، هج: «بصارم» بدل «بسيفه».
(٦) تمالى القوم، من ملا يملو بمعنى سار سيراً حثيثاً. نظراً: مفعول مطلق لفعل محذوف، أي وهم ينظرون نظراً.
(٧) البيت جواب لما في البيت السابق، وابن سعدة هو القتيل الذي قتلوه، وفي ف، هد «وتلابها» وفي ب «وبلابها» ونرجح أن كليهما تحريف «ويلاً لها» أي كانت هذه النظرة ويلاً على صاحبها، والخطاب ـ فيما نرجح ـ للكميت الذي كانت بينه وبينه ملاحاة.
(٨) فاعل رأى ابن سعدة، الجنة: السلاح ونحوه.
(٩) الخطاب للكميت، الحمول: الديات، مكففاً: من كف بمعنى ترك، بطالاً: من بطل الدم بمعنى ذهب هدراً، والمعنى: عيرتني بطلب ديات سالم وعدم الأخذ بثأره، مع أنني لم أطلب هذه الديات متناسياً دمه مبطلاً له كافاً عن الأخذ بثأره، وقد كثر اضطراب الأصول في رواية ألفاظ هذا البيت، والمثبت بعضه من ف وهج.

أوصـــالَ سَعْـــدةَ والكميـــتِ وإنمـــا كـان الكُميـتُ علـى الكُميـتِ عِيـالا[١]

وقال عبد الرحمن في ذلك:

أصبحتُـم ثَكْلَـى لِئـامـا وأصبحـتْ شيـاطيـنُ عُكْـلٍ قـد عَـراهُـنَّ فقْعَـسُ[٢]

[٢٤٨/٢١] / قَضَـى مـالـكٌ مـا قـد قَضَـى ثـم قلّصـت بـه فـي سـواد الليـل وجنـاءُ عِـرْمُـسُ[٣]

فـأضحـتْ بـأعلـى ثـادقٍ وكـأنهـا مَحَـالَـةُ غَـرْبٍ تستَمِـرُّ وتمْـرُس[٤]

مصرعه:

وحدثني علي بن سليمان الأخفش أنّ بني أسد ظفِرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبِّهم وهجائهم وتآمروا في قتله، فقال بعضهم: لا تقتلوه، ولتأخذوا عليه أن يمدَحنا ونُحْسِنَ إليه فيمحو بمدحه ما سلَف من هجائه، فعزموا على ذلك، ثم إن رجلاً منهم كان قد عضَّه بهجائه، اغتفله فَضَرَبَهُ بسيفه، فقتله وقال في ذلك:

قُتِـلَ ابـنُ دارةَ بـالجـزيـرةِ سَبَّنَـا وزعمـتَ أن سِبَـابَنَـا لا يَقْتُـلُ

قال علي بن سليمان: وقد رُوي أن البيت المتقدم:

فـلا تكثـروا فيـه الضّجَـاجَ فـإنـه محـا السيـفُ مـا قـال ابـنُ دارة أجمعـا

لهذا الشاعر الذي قَتَلَ ابنَ دارة، وهو من بني أسد، وهكذا ذكر السكّريّ.

[٢٤٩/٢١] / **صـوت**

[٥] كـلانـا يـرى الجـوزاءَ يـا جُمـلُ إذا بـدت ونَجْـمَ الثـريـا والمـزارُ بعيـدُ

فكيـف بكـم يـا جمـلُ أهـلاً ودونكـم بحـورٌ يُقمِّصْـن السّفيـنَ وبيـدُ

إذ قلـتُ: قـد حـان القفـول يَصُـدُّنـا سليمـانُ عـن أهـوائنـا وسعيـدُ

الشعر لمسعود بن خَرَشة المازنيّ، والغناء لبحر، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي[٥].

(١) سعدة هي أم الكميت التي تقلوها مع ابنها، الكميت: يعني من عيره ـ كما سبق ـ ولم يرد ذكر لموته، حتى تجر الضبع أوصاله، كما يشير البيت، فلعله يريد الإنذار بذلك، يعني أنه سيحصل غداً، وقوله: «كان الكميت على الكميت عيالاً»، يقصد أن الكميت جبان لا شأن له بالحرب، فهو عالة على الكميت الذي يركبه، والكميت لقب من ألقاب الفرس.

(٢) الخطاب لغرمائه من فقعس، عراهن: بدت لهن، أي هؤلاء شياطين فنكلوا بهم.

(٣) مالك: فقعسى هرب ـ على مايبدو ـ من المعركة، الوجناء: الناقة البارزة الوجنتين، العرمس: الصلبة، وقلصت به: نجت به.

(٤) المحالة: البكرة تعلق على البئر يتصل بها الدلو، والغرب: الكبيرة من الدلاء، وتمرس: من أمرس الحبل: أعاده إلى مكانه، والمراد أن ناقة مالك حين هرب كانت تروح وتجيء على غير هدى في أعلى ثادق، كأنها دلو معلقة في حبل تصعد وتهبط.

(٥ ـ ٥) هذا الصوت مما سقط من مطبعة بولاق وموضعه هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

/ أخبار مسعود بن خرشة(١)

[٢١/ ٢٥٠]

يهوى جارية من قومه:

مسعودُ بنُ خَرَشَة(٢) أحدُ بني حُرْقُوصِ بن مازن بنِ مالك بن عمرِو بنِ تميم، شاعرٌ إسلامي بدويٌّ من لصوص بني تَميم، قال أبو عمرو: وكان مسعودُ بن خرشة يهوَى امرأة من قَومه من بني مازن يقال لها: جُمْلُ بنتُ شَراحيل، أختُ تَمَام بنِ شراحيلَ المازنيّ الشاعر، فانتجع قَومُها ونأوْا عن بِلادِهم، فقال مسعود:

كـلانـا يـرى الجـوزاءَ يـا جُمْـلُ إذ بـدتْ ... ونَجْـمَ الثـريّـا والمَـزَارُ بعيـدُ(٣)

فكيـف بكـم يـا جُمْـلُ أهـلاً ودونكـم ... بُحـورٌ يُقَمِّصْـن السَّفيـنَ وبِيـدُ(٤)

إذا قلـت: قـد حـان القُفـولُ يصـدُّنـا ... سليمـانُ عـن أهـوائنـا وسعيـدُ(٥)

قال أبو عمرو: ثم خطبها رجل من قومها، وبلغ ذلك مسعوداً فقال:

أيـا جمـلُ لا تشقَـيْ بـأقْعَسَ حَنكـلٍ ... قليـلِ النَّـدى يسعـى بكِيـرٍ ومِحلَـبِ(٦)

لـه أعنـزٌ حُـوٌّ ثمـانٍ كـأنمـا ... يـراهـنّ غُـرَّ الخيـل أوهُـنَّ أنجـب(٧)

يسرق إبلاً:

وقال أبو عمرو: وسرق مسعودُ بن خرشَة إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسيّ، هو ورفقاءُ له، وكان معه رجلان من قومه، فأتوْا بها اليمامة ليبيعوها، / فاعترض عليهم أميرٌ كان بها من بني أسد، ثم عُزِلَ ووُلّي مكانَه [٢١/ ٢٥١] رجلٌ من بني عُقَيْل فقال مسعود في ذلك:

يقـول المـرجفـون: أجـاءَ عهـدٌ ... كفـى عهـداً بتنفيـذ القِـلاصِ(٨)

أتـى عهـدُ الأمـارة مـن عُقيـلٍ ... أغـرُّ الـوجـه رُكّـب فـي النـواصـي(٩)

---

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

(٢) خرشة: ورد هذا الاسم في «المعاجم» بفتح الخاء والراء والشين.

(٣) يريد أن يقول: كيف تقع عيني وعينك على مرئيات واحدة، وكلانا بعيد عن صاحبه.

(٤) قمص البحر السفينة: جعلها تضطرب في أمواجه، بيد: جمع بيداء.

(٥) القفول: الرجوع، سليمان وسعيد: واليان.

(٦) الأقعس: من برز صدره ودخل ظهره في جسمه، الحنكل: القصير القامة، أو اللئيم النذل.

(٧) حو: جمع حواء، وهي ما اختلطت خضرة لونها بسواد، أو حمرته بسواد. غر الخيل: مبتدأ بعد استفهام محذوف الأداة، يقول: إنه مغرور بأعنزة يعدها في نجابة الخيول الفارهة.

(٨) يستبشر بالعهد الجديد لأنه سينقذ نوقة التي سرقها، وفي ف، هد «بتقييد» بدل تنفيذ.

(٩) أغر، حال من عقيل لا نعت، ويريد بقوله: «ركب في النواصي» أنه من علية القوم.

حُصـونٌ بنـي عُقيـلٍ كـلُّ عَضْـبٍ إذا فَـزِعـوا وسـابغـةٍ دِلاصِ[١]

ومـا الجـارات عنـد المَحْـل فيهـم ولـو كثـر الـروازحُ بـالخِمـاصِ[٢]

قال: وقال مسعود «وقد»[٣] طلبه والي اليمامة، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب:

ألا ليـت شعـري هـل أبيتـنّ ليلـةً بـوعثـاءَ فيهـا للظبـاءِ مكـانـسُ[٤]

وهـل أنجُـوَنْ مـن ذي لَبيـدِ بـن جـابـرٍ كـأنَّ بنـاتِ المـاء فيـه المُجـالـس[٥]

وهـل أسمعَـنْ صـوتَ القَطَـا تـندب القطـا إلـى المـاء منـه رابـع وخـوامـس[٦]



(١) العضب: السيف القاطع. والسابغة الدلاص: الدرع الصافية اللينة، يريد أنهم لا يتحصنون بحصون من أحجار، بل تحميهم سيوفهم ودروعهم.

(٢) الروازح: جمع رازحة، وهي الناقة الهزيلة ونحوها. الخماص: الجياع يريد أن خيرهم يفيض على جاراتهم أيام المحل.

(٣) زيادة يقتضيها المقام.

(٤) الوعثاء: الأرض ذات الصخور. المكانس: مأوى الظباء.

(٥) لعله يعني بذي لبيد ماء لبيد الذي تجالسه فيه بنات الماء، أي الضفادع ونحوها.

(٦) منه رابع وخوامس، لعله يقصد مجرد التعدد.

/ أخبار بحر ونسبه(١)

[٢١/ ٢٥٢]

هو بحرُ بن العلاء، مولى بني أُمَيَّة، حجازيٌّ، أدركَ دولةَ بني هاشم(٢)، وعُمِّرَ إلى أيام الرشيد، وقد هرِمَ، وكان له أخٌ يقال له عباس، وأخوه بحر أصغر منه، مات في أيام المعتصم، وكان يلقَّب حامضَ الرأس، وله صنعة، وأقدمَهُ الرشيدُ عليه، ثم كرهه، فصرفه.

حدثني جحظةُ قال: حدثني ميمونُ بن هارونَ قال: حدثني أحمد بن أبي خالد الأحول، عن علي بن صالح صاحب المصلَّى:

أن الرشيد سمع من عَلُّويةَ ومخارقٍ وهما يومئذ مِنْ صِغار المغنِّينَ في الطبقة الثالثة(٣) أصواتاً استحسنها، ولم يكن سمعها، فقال لهما: ممنّ أخذتما هذه الأصواتَ، فقالا: من بَحْرٍ، فاستعادها، وشرب عليها، ثم غناه مخارق بعد أيام صوتاً لبَحْر، فأمر بإحضاره، وأمره أن يغني ذلك الصوت، فغناه، فسمع الرشيدُ صوتاً حائلاً مرتعشاً فلم يعْجِبه، واستثقله لولائِه لبني أمية، فوصله، وصرفه، ولم يصل إليه بعد ذلك.

/ صـوت(٤)

[٢١/ ٢٥٣]

ألا يـا لَقـومـي لِلنـوائـب والـدَّهـر	ولِلمـرء يُـردِي نفسـه وَهْـو لا يَـدري
ولـلأرض كـم مـن صـالـح قـد تـودّأت	عليـه فـوارتْـهُ بلمّـاعـةٍ قَفـر

عروضه من الطويل، قال الأصمعي: يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم: يالَ كذا «بفتح اللام» وإذا دعوت للشيء. قلت بالكسرة، تقول: يا لَلرجال ويا للقوم. وتقول: يا لِلغنيمة ويا لِلمحادثة، أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة، فكأنه قال: يا قوم اعجلوا للغنيمة. وروى الأصمعي وغيره مكان قد تودّأت: قد تلمّأت عليه، وتلاءمت، أي وارته، ويروى: تأكمت أي صارت أكمة.

الشعر لهدبة بن خشرم، والغناء لمعبد ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.
(٢) في هد: «أدرك دولة بني أمية» بدل «أدرك دولة بني هاشم».
(٣) ف: «الثانية».
(٤) هذاالصوت مما سقط من طبعة بولاق، وموضعه هنا.

[٢١/٢٥٤] / أخبار هدبة بن خشرم ونسبه[١]

وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله

نسبه وأدبه:

هو هُدْبَةُ بنُ خَشْرَمٍ[٢] بن كُرْزِ بن أبي حيّة بن الكاهن ـ وهو سلمة ـ بن أسحمَ[٣] بن عامرٍ بن ثعلبةَ بن عبدالله بن ذبيان بنِ الحارثِ بن سعد بن هُذَيم؛ وسعد بن هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاعة؛ ويقال: بل هو سعد بن أسلم، وهذيم عبدٌ لأبيه رباه، فقيل: سعد بن هذيم، يعني سعداً هذا.

وهدبة شاعر فَصِيح متقدم من بادية الحجاز، وكان شاعراً راوية، كان يروي للحُطيئة، والحطيئة يروي لكعب بن زهير، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير، وكان جميل راوية هدبة، وكثّير راوية جميل، فلذلك قيل: إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير.

وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر: حَوطٌ وَسَيْحَانُ والواسع، أُمهم حيَّةُ بنتُ أبي بكر بن أبي حيّة من رهطهم الأذَيْنِ، وكانت شاعرة أيضاً.

وهذا الشعر يقوله هُدْبة في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرّةَ بن حنش بن عمرو بن عبدالله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم.

أخبرني بالخبر في ذلك جماعةٌ من شيوخنا، فجمعتُ بعضَ روايتهم إلى بعض، واقتصرتُ على ما لا بدّ منه من الأشعار، وأتيتُ بخبرهما على شرح، وألحقتُ ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان.

[٢١/٢٥٥] / الحرب بين رهطه ورهط زيادة بن زيد:

فممّن حدثني به محمد بن العباس اليَزيديّ قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكيّ: تِينَةُ قال: حدثنا خلف بن المثنى الحُدانيّ[٤]، عن أبي عمر والمدينيّ.

وأخبرني الحسن بن يحيى، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البُوشَنْجِيّ، عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه.

وأخبرني إبراهيم بن أيوبَ الصائغ، عن ابن قتيبة.

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن علي بن محمد بن سليمان النوفليّ، عن أبيه عن عمه. وقد نسبتُ

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.
(٢) خشرم ـ بفتح الخاء والراء وسكون الشين ـ في الأصل: جماعة النحل والزنابير.
(٣) في ف، هد: «ابن إسحاق» بدل «ابن أسحم».
(٤) في هج «الحذاني»، وفي ف «الجداني».

إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية، وجمعت ما اتفقوا عليه، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصة:

كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبدالله بن ذبيان وبين بني رَقاش، وهم بنو قُرَّة بن حفش[1] بن عمرو بن عبدالله بن ثعلبة بن ذبيان، وهم رهط زيادة بن زيد، وبنو عامر رهط هدبة، أن حَوْطَ بن خشرم أخا هدبةَ راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما، وكان مُطْلَقَهُما[2] من الغاية عَلَى يوم وليلة، وذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الروايا والقِرَب، وكانت أختُ حوطٍ سلمى بنتُ خشرم تحت زيادة بن زيد، فمالت مع أخيها على زوجها، فوهَّنت أوعية زيادة، ففني ماؤه قبل ماء صاحبه، فقال زيادة:

قَــدْ جعلــتْ نَفْسِــيَ فــي أديــمِ ... مُحَــرَّمِ الــدِّبــاغِ ذِي هُــزُومِ

ثُــمَّ رَمَــتْ بِــي عُــرُضَ الــدَّيْمُــومِ ... فــي بــارحٍ مــن وَهَــجِ السَّمُــومِ[3]

* عنــد اطِّــلاعِ وعــرةِ النجــومِ *[4]

ـ / قال اليزيديّ في خبره: المُحَرَّم: الذي لم يُدبغ، والهُزوم: الشقوق. [٢١/٢٥٦]

ـ قال: ـ

وَقال زِيادَةُ أيضاً:

قَــدْ عَلِمَــتْ سلمــةُ بــالعَمِيــسِ ... ليلَــةَ مَــرْمَــارٍ وَمَــرْمَــرِيــسِ[5]

أنّ أَبَــا المِسْــوَرِ ذو شَــرِيــسِ ... يَشفــي صُــداعَ الأبلَــجِ الــدَّلْعِيــسِ[6]

العَمِيسُ: موضع، والمرمار والمرمريس: الشدّة والاختلاط، وأبا المسور يعني زيادة نفسه، وكانت كنيته أبا المسور.

هدبة وزيادة كل منهما يشبب بأخت الآخر:

قال: فكان ذلك أولَ ما أثبت الضغائن بينهما، ثم إن هدبة بن خَشْرَم وزيادة بن زيد اصطحبا، وهمَا مقبلان من الشام، في رَكْبٍ من قومهما، فكانا يتعاقبان السَّوْق بالإبل، وكان مع هدبة أخته فاطمة، فنزل زيادة فارتجز فقال:

عُــوجــي علينــا واربَعِــي يــا فــاطِمَــا ... مــا دون أن يُــرَى البَعيــرُ قــائِمــاً

ـ أي ما بين مُناخ البعير إلى قيامه ـ.

ألا تَــرِيــنَ الــدمــعَ منّــي ســاجمــاً ... حِــذارَ دارٍ منــكِ لــن تُــلائمَــا[7]

فَعَــرَّجَــتْ مطّــرداً عُــراهِمَــا ... فَعْمَــاً يبــذُّ القُطُــفَ الــرَّوَاسِمــا[8]

---

(١) في ف «ابن حوم» بدل «ابن حفش».
(٢) مطلقهما: موضع إطلاقهما.
(٣) العرض: الجانب، الديموم: الصحراء المترامية الأطراف، البارح: الريح الحارة صيفاً، السموم: الحر الشديد.
(٤) النجوم: جمع نجم، وهو ما لا ساق له من النبات، فلعله يريد عند طلوع الأرض الوعرة ذات النبات الذي لا ساق له.
(٥) في رواية: بالحميس.
(٦) الشريس: الشراسة، وهي سوء الخلق، الدلعيس: الضخمة المترهلة من الإبل، فلعله يريد أنه في زمان الشدّة والاختلاط عندما تظلم الليالي يشفي صداع الأبيض الضخم من النوق بنحره، وذلك كناية عن كرمه.
(٧) يريد: حذار أن تنزلي داراً بعيدة غير ملائمة.
(٨) في «المختار»: «فأطردت مطرداً».

ـ مُطَّرد: متتابع السير، وعُراهم: شديد، وفَعْم: ضخم، والرسيم: سير فوق العَنَق، والرّواسم: الإبل التي تسير هذا السيْرَ الذي ذكرناه ـ.

[٢٥٧/٢١] / كــأنَّ فــي المثْنــاة منــه عــائمَــا إنّـــــكَ واللهِ لأنْ تُبَـــــاغِمَـــــا[1]

ـ المثناة: الزمام، وعائم: سائح، تباغم: تكلّم ـ.

خَــوْداً كــأنّ البُــوْصَ والمــآكمــا منهــا نقــا مُخــالــطٌ صَــرائمــا[2]

ـ البُوْص: العجز، والمأكمتان: ما عن يمين العجز وشماله، والنقَا: ما عظم من الرمل. والصرائم: دونه ـ.

خيــرٌ مــن استقبــالــك السَّمــائمَــا ومــن مُنــادٍ يبتغــي مُعَــاكِمــا[3]

ويروى: ومن نداء، أي رجل[4] تناديه تبتغي أن يعينك على عَكمك حتى تشده.

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته، فنزل فرجز بأُخت زيادة، وكانت تُدعَى ـ فيما روى اليزيديّ ـ أمّ حازم، وقال الآخرون: أمّ القاسم، فقال هُدْبَة:

لقــد أرانــي والغُــلامَ الحــازمَــا نُــزجــي المَطــيَّ ضُمَّــراً سَــواهِمــا[5]

متــى تَظُــنّ القُلُــصَ الــرّوَاسمــا والجِلّــةَ النّــاجيــةَ العَيَــاهِمــا[6]

العَياهم: الشّداد.

[٢٥٨/٢١] / يُبلِغْــن أمّ حــازم وحــازمــا إذا هَبَطــن مُسْتَحيــرا قــاتِمَــا[7]

ورجّــع الحــادي لهــا الهَمَــاهِمَــا ألا تَــريــنَ الحُــزنَ منــي دائمَــا[8]

حِــذارَ دارٍ منــك لــن تُــلائمــا واللهِ لا يَشفــي الفُــؤادَ الهــائمَــا[9]

تَمســاحُــكَ اللَّبّــاتِ والمــآكمَــا ولا اللِّمَــامُ دون أن تُــلازِمَــا[10]

ولا اللِّثَــامُ دون أن تُفَــاقمــا ولا الفِقَــامُ دون أن تفَــاغمَــا[10]

(١) تباغم: من بغمت الغزالة إذا نادت ولدها بصوت لين.
(٢) البوص بفتح الباء وسكون الواو، أو بضم الباء.
(٣) السمائم: جمع سموم، الحر الشديد، وقوله: «خير» في صدر البيت خبر المصدر المؤول «أن تباغم» في البيت الأول، يقول: إن مناجاتك للحسناء الثقيلة الردفين خير من الشد والترحال في الهواجر، ومن مناد يستعينك على شد رحاله.
(٤) في ب «رجلاً تنادينه» بدل «رجل تناديه»، وهو تحريف، فلا وجه لنصب «رجلاً» كما أن الخطاب لمذكر.
(٥) ضمر السواهم: النياق الصلبة لا ترهل في أجسامها.
(٦) القلص: جمع قلوص: الفتية من الإبل، الرواسم: التي تمشي الرسيم، وهو نوع خفيف من السير، الجلة: جمع جليل وهي الناجية: السريعة، العياهم: جمع عيهم، وهي الناقة السريعة أيضاً.
(٧) يبلغن... إلخ مفعول تظن الثاني، ضمير هبطن للنياق، المستحير: الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي.
(٨) في «المختار»: «ورفع الهادي». والهمهمة: الصوت تنوم المرأة به طفلها استعاره هنا لحداء الإبل، والخطاب في «ألا ترين» لأم حازم.
(٩) يريد بعدم ملاءمة الدار أن تصد عنه.
(١٠ ـ ١١) تمساحك فاعل يشفي، والمآكم: رؤوس الأفخاذ، وهي معطوفة على اللبات الواقعة مفعولاً للمصدر، اللثام: اللثم، الفقام: المباضعة، الفغام: التقبيل، يقول: ليس يشفي فؤادي أن أمسح باللبات والمآكم، أو أن تلمي دون أن تلازمي، وليس يشفيه التقبيل دون الجماع، ولا الجماع دون التقبيل، وأن تقع السيقان على السيقان.

* وَتَغْلُـوَ القـوائـمُ القـوائمـا *

قال: فشتمه زيادة، وشتمه هُدبة، وتسابّا طويلاً، فصاح بهما القوم: اركبا، لا حملكما الله. فإنا قوم حُجّاج، وخَشُوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما، حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه، وهدبة أشدهما حنقاً، لأنه رأى أن زيادة قد ضامَه، إذ رجز بأُخته وهي تسمع قولَه، ورجز هو بأُخته، وهي غائبة لا تسمع قوله، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة، حتى قضيا حجّهما، ورجعا إلى عشيرتيهما.

يرتجزون بعمه زفر:

قال اليزيديّ خاصة في خبره:

ثم التقى نفر من بني عامر، من رهط هدبة، فيهم أبو جَبْر، وهو رئيسهم الذي لا يعصونه، وخَشْرَمٌ أبو هدبة، وزُفَر عم هدبة، وهو الذي بعث الشّر، وحجّاج بن / سلامة، وهو أبو ناشِب، ونفر من بني رَقاش رهط زيادة، [٢١/٢٥٩] وفيهم زيادة بن زيد، وإخوته: عبد الرحمن ونفّاع وأدرَعُ بواد من أودية حرَّتهم، فكان بينهم كلام، فغضب ابن الغَسّانية، وهو أدرع، وكان زفر عم هدبة يُعزَى إلى رجل من بني رقاش، فقام له أدرع فرجز به فقال:

أَدُّوا إلينـا زُفَـرَا ... نعـرفُ منـه النَّظَـرَا

* وعينَـه والأَثَـرَا[١] *

قال: فغضب رَهْط هُدبة، وادَّعوا حَدّاً على بني رقاش، فتداعَوْا إلى السلطان، ثم اصطلحوا على أن يُدْفَع إليهم أدرعُ، فيخلو به نفرٌ منهم، فما رأوه عليه أمضَوْه، فلما خلَوا به ضربوه الحَدَّ ضرباً مبرِّحاً، فراح بنو رَقاش وقد أضمروا الحرب وغضِبوا، فقال عبد الرحمن بن زيد:

ألا أبلـغ أبـا جَبْـرٍ رسـولاً ... فمـا بينـي وبينكُـم عِتـابُ

ألـم تعلـم بـأن القـوم راحـوا ... عشيـةَ فـارقـوك وهـم غِضـابُ

فأجابه الحجاج بن سلامة فقال:

إن كـان مـا لاقـى ابـنُ كنعـاء مُـرغِمـاً ... رقـاشَ فـزاد اللّـهُ رَغْمـا سِبـالَهـا[٢]

منعنـا أخـانـا إذا ضـربنـا أخـاكـمُ ... وتلـك مـن الأعـداء لا مِثْـلَ مـالهـا[٣]

هو وزيادة يتهاديان الأشعار:

قال اليزيدي في خبره: وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأشعار، ويتفاخران، ويطلب / كُلّ واحد منهما العُلُوَّ على [٢١/ ٢٦٠] صاحبه في شعره، وذكر أشعاراً كثيرة، فذكرتُ بعضها، وأتيتُ بمختار ما فيه، فمن ذلك قولُ زيادة في قصيدة أولها:

أراك خليـلا قـد عـزمـت التّجنبـا ... وقطّعـتَ حـاجـاتِ الفـؤاد فـأصحبـا[٤]

(١) الشعر من مجزوء الرجز، وهو من قبيل التعريض.

(٢) البيت من الطويل دخله الخرم، وابن كنعاء هو أدرع، السبال: طرف الشارب، أو مقدم اللحية، يقول: إذا كان ما لاقاه أدرع أذل رقاش فزادها الله ذلاً.

(٣) لا مثل مالها: لا مثل الذل الذي تنطوي عليه.

(٤) أصحب الفؤاد: أصابه خبل.

اخترت منها قوله:

وأنــك للنــاس الخليــلُ إذا دنــت بـه الـدارُ، والبـاكـي إذا مـا تغيبّـا[١]
وقـد أعـذَرَتْ صـرفُ الليـالـي بـأهلهـا وشَحْـطُ النَّـوَى بينـي وبينـك مَطلبـا[٢]
فـلا هـي تـألـو مـا نـأَتْ وتبـاعـدَتْ ولا هـو يـألـو مـا دنـا وتقـرَّبـا[٣]
أطعـتُ بهـا قـول الـوشـاة فـلا أرى الـ وشـاةَ انتهـوا عنـه ولا الـدهـرَ أعتبـا[٤]
فهـلاّ صَـرمْـتِ والحبـالُ متينـةٌ أميمـةُ إن واشٍ وشـى وتكـذّبـا[٥]
إذا خفـتَ شـكَّ الأمـرِ فـارمِ بعـزمـه غَيَـابَتَـه يـركـب بـك الـدهـرُ مـركبـا
وإن وِجهـةٌ سُـدَّتْ عليـك فُـرُوجُهـا فـإنّـك لاقٍ لا محـالـة مـذهبـا
يُـلامُ رجـالٌ قبـل تجـريـبِ غَيْبِهـم وكيـف يُـلام المـرءُ حتـى يُجـرَّبـا
وإنّـي لِمعـراضٌ قليـلٌ تعـرُّضـي لـوجـه امـرىء يـومـاً إذا مـا تجنَّبـا[٦]
قليـلُ عِثَـارى حيـن أُذعَـرُ، سـاكـنٌ جَنـانـي إذا مـا الحـرب هـرَّت لتَكلَبـا[٧]
[٢١/٢٦١]
/ بحسبـك مـا يـأتيـك فـاجمـع لنـازل قِـراهُ ونَـوْبَـه إذا مـا تنـوّبـا[٨]
ولا تَنتجِـع شَـرًّا إذا حيـل دونـه بِسِتْـرٍ وهَـبْ أسبـابَـه مـا تهيّبـا
أنـا ابـن رَقـاشٍ وابـنُ ثعلبـةَ الـذي بنـي هـاديـاً يعلـو الهـواديَ أغلبـا[٩]
بنَـى العِـزُّ بنيـانـاً لقـومـي فمـا صَعُـوا بـأسيـافهـم عنـه فـأصبـح مُصعَبـا[١٠]
فمـا إنْ تـرى فـي النـاس أمـاً كـأُمِّنـا ولا كـأبينـا حيـن نسبـتُـهُ أبـا
أتـمَّ وأنمـى بـالبنيـن إلـى العـلا وأكـرمَ منـا فـي المنـاصـب مَنصِبـا[١١]
مَلَكنـا ولـم نُملَـكْ وقُـدْنـا ولـم نُقَـدْ كـأَنَّ لنـا حقـاً علـى النـاس تُـرتَبـا

ـ قال اليزيديّ: تُرتَب: ثابت لازم ـ.

(١) في ب كالناس، وهو تحريف، يريد أنه لا ينسى الخليل إذا نسيه، يذكره قريباً، ويبكيه بعيداً.
(٢) أنث صرف الليالي لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه، يقول: إن صروف الليالي توجب التماس العذر للناس، وإن بعد الشقة بيني وبينك عذرني في طلابك.
(٣) يريد أنها لا تقصرني حفظ عهد إن بعدت، كما أنه يزيد حباً لها إن قربت.
(٤) يريد أنه تظاهر بطاعة الوشاة ليكفوا عنهما فلم يكفوا، ولا الدهر أعتبه، أي قبل عتابه.
(٥) يقول: هلا تظاهرت يا أميمة أنت أيضاً بصرم حبال الود، وإن كانت في الباطن متينة وثيقة العرى لتقطع ألسنة الوشاة.
(٦) معراض: كثير الإعراض عن الشيء الذي لا يهمني.
(٧) هرت: كشرت عن أنيابها، لتكلب: لتشتد.
(٨) نوبة: احفظ حقه في النوبة عند الركوب ونحوه، وربما كانت محرفة عن «ثوبه» بمعنى كافئه، وأحسن إليه.
(٩) الهادي: العنق، الأغلب: الغليظ العنق.
(١٠) ماصع: جالد. وفي «المختار»: «فأصبحوا» بدل «فما صعوا».
(١١) في «المختار»: «. . . باليمين إلى العلا».

بـآيـةِ أنّـا لا نـرى مُتَتَـوِّجـاً | مـن النـاسِ يعلـونـا إذا مـا تعصّبـا[١]
ولا مِلكـاً إلا اتقـانـا بمُلكـه | ولا سُـوقـةً إلا علـى الخَـرْج أُتعِبـا[٢]
ملكنـا ملـوكـاً واستبحنـا حِمـاهـمُ | وكنّـا لهـم فـي الجـاهليـة مـوكِبـا[٣]
نَـدَامَـى وأردافـاً فلـم تَـرَ سُـوقـةً | تـوازننـا فـاسـأل إيـاداً وتَغلِبـا[٤]

[٢١/٢٦٢] / فأجابه هدبة، وهذا مختار ما فيها فقال:

تَـذَكَّـرَ شَجـواً مـن أُميمـةَ مُنصِبـا | تليـداً ومُنتـابـاً مـن الشـوق مُجْلِبـا[٥]
تَـذَكَّـر حبّـاً كـان فـي مَيْعـة الصِّبـا | ووجـداً بهـا بعـد المشيـب مُعتِّبـا[٦]
إذا كـادَ ينسـاهـا الفـؤادُ ذكـرتُهـا | فيـا لـكِ مـا عَنّـى الفـؤادَ وعـذَّبـا[٧]
غَـدَا فـي هـواهـا مستكينـا كـأنـه | خليـعُ قِـداحٍ لـم يجـد مُتنشَّبـا[٨]
وقـد طـال مـا عُلِّقـتَ ليلـى مُغَمَّـراً | وليـداً إلـى أن صـار رأسُـكَ أشيَبـا

ـ المغمّر: للغمر أي غير حدث ـ.

رأيتـك فـي لَيلَـى كـذي الـدَّاءِ لـم يجـد | طبيبـاً يـداوي مـا بـه فتَطَبَّبـا
فلمـا اشتفـى ممـا بـه كَـرَّطِبُّـه | على نفسه من طول ما كان جرَّبا[٩]

يقتل زيادة فيسجن:

فلم يزل هدبة يطلبُ غِرّةَ زيادة حتى أصابها فبيّته فقتله، وتنحّى مخافة السلطان، وعلى المدينة يومئذ سعيدُ بن العاص، فأرسل إلى عم هدبة وأهلِه فحبسهم بالمدينة، فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نَفْسه وتخلّص عَمَّه وأهلَه، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يُقيد منه إذا قامت البينة، فأقامها، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن، فسألوه قبول الدية فامتنع، وقال:

[٢١/٢٦٣] / **صوت**

أنختُـم علينـا كَلْكَـلَ الحـرب مـرَّةً | فنحـن مُنيخـوهـا عليكـم بكلكَـلِ
فـلا يـدْعُنـي قـومـي لـزيـدِ بـن مـالـك | لئـن لـم أعجِّـل ضـربـةً أو أعجَّـلِ[١٠]

(١) الآية: الدليل، تعصب: لبس العصابة: عصابة الملك.
(٢) السوقة: من عدا الملك، الخرج: الضريبة ونحوها، يعني أن الناس كانوا يتعبون في تأدية الخراج، وهو معفون.
(٣) موكبا: يريد كنا جنودهم عند الحرب.
(٤) أرداف: جمع ردف، وهو خليفة الملك في الجاهلية، يجلس عن يمينه، ويشرب بعده، وينوب عنه في الحكم إذا غزا.
(٥) منصب: متعب، مجلب: من أجلب الجرح: علته القشرة.
(٦) معتب: مستوجب للعتاب واللوم.
(٧) مفعول عني وعذب محذوف، أي ما عناني الفؤاد وعذبني.
(٨) الخليع: من غلب في القمار، المتنشب: من النشب، وهو النبل.
(٩) يريد أنه كما شفي من داء الحب عاوده الحنين إلى الداء والدواء من جديد.
(١٠) لا يدعني قومي... إلخ: لا ينسبني قومي إلى أبي إن لم أعجل بثأر أخي أو يعاجلني الموت.

أبعد الذي بالنَّعف نعفِ كُوَيْكِبٍ رهينةِ رمسٍ ذي تراب وجندلِ[١]
كريمٌ أصابته ديـاتٌ كثيرة فلم يدر حتى حين من كل مدخل[٢]
أُذكَّر بالبُقيا على من أصابني وبُقيايَ أني جاهدٌ غيرُ مؤتلي[٣]

غناه ابن سُرَيْج رملا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وقيل: إنه لمالك بن أبي المسح وله فيه لحن آخر.

رجع الخبر إلى سياقته

وأما علي بن محمد النوفليّ، فذكر عن أبيه: أنّ سعيدَ بن العاص كره الحكم بينهما، فحملهما إلى معاويةَ، فنظر في القصة، ثم ردها إلى سعيد. وأما غيره فذكر أن سعيداً هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية.

قال علي بن محمد عن أبيه:

[٢٦٤/٢١] فلما صاروا بين يدَيْ معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له: يا أمير المؤمنين أشكو / إليك مظلمتي[٤] وما دُفِعْتُ إليه، وجرى عليّ وعلى أهلي وقُرْبايَ[٤] وقتلَ أخي زيادة، وترويعَ نسوتي، فقال له[٥] معاوية: يا هُدبة قل. فقال: إن هذا رجل سَجَّاعة[٦]، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلتُ، قال: لا بل شعراً، فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالاً:

ألا يا لَقومي للنّوائب والدّهرِ وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري[٧]
ولِلأرض كم من صالحٍ قد تأكَّمَت عليه فوارتْهُ بلمّاعةٍ قَفْرِ
فلا تتقي ذا هَيْبةٍ لجلالِه ولا ذا ضياعٍ هنّ يَتْرُكْنَ للفقرِ[٨]

حتى قال:

رُمِينا فَرامَينا فصادف رَمْيُنا مَنايا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ
وأنتَ أميرُ المؤمنين فما لنا وراءك من مَعْدًى ولا عنك من قَصْرِ
فإن تك في أموالنا لم نَضِق بها ذِراعاً، وإن صبرٌ فنصبِرُ للصّبرِ

(١) النعف: المكان المرتفع فيه صعود وهبوط وكويكب: موضع في دبار سعد بن هذيم.
(٢) أصابته ديات كثيرة، يريد أنه كان يدفع الديات نيابة عن القاتلين كرماً منه، أو أنه كان مطالباً بكثير من الديات لكثرة من قتل، وقوله: «حتى حين» لم نجد لها تخريجاً، فلعلها «خين» بالخاء المعجمة من الخيانة، أو لعلها «خان» بمعنى هلك والبيت ساقط من س.
(٣) أذكر: متعلق الجار والمجرور بالبيت الثالث، يعني الأذكر بالبقيا على من أصابني بفقد أخي بعد الذي بالنعف، غير مؤتلي: غير مقصر في طلب الوتر، وفي هج، هد: «على ما أصابني» بدل «من أصابني».
(٤ ـ ٤) تكملة من ف.
(٥) كلمة «له» هنا نرجح أنها زائدة فإن ضميرها يجب أن يعود على هدبة، ولم يتقدم له مرجع في الكلام.
(٦) سجاعة: صيغة مبالغة من سجع في كلامه.
(٧) أرجع إلى هذا البيت وما بعده في أول الترجمة.
(٨) فاعل تتقي ضمير الأيام، وذا مفعول مقدم ليتركن.

فقال له معاوية: أراك قد أقررت[١] بقتل صاحبهم، ثم قال لعبد الرحمن: هل لزيادة ولَدٌ؟ قال: نعم، المسوَر، وهو غلام صغير لم يبلغ، وأنا عمه ووليُّ دم أبيه، فقال: إنك لا تؤمَن على أخذ الدية أو قتلِ الرجل بغير حق، والمِسور أحق بدم أبيه فَرَدَّه إلى المدينة فحُبس ثلاث سنين حتى بلغ المسوَر.

/ بينه وبين جميل بن معمر: [٢١/٢٦٥]

أخبرني الحَرَميّ بن العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: نسخت من كتاب عامر بـن صالح قال:

دخل جميلُ بن مَعْمَرِ العُذْريُّ على هدبة بن خَشْرمِ السّجنَ وهو محبوس بدم زيادةَ بـن زيد، وأهدى له بُردين من ثياب كساه إياها سعيدُ بن العاص، وجاءه بنفقة، فلما دخل إليه عرض ذلك عليه، وسأله أن يقبله منه، فقال له هدبة: أأنت يا بن مَعْمرِ الذي تقول:

بنـي عـامـرٍ أنّـى انتجعتُـم وكنتُـمُ ... إذا عُـدِّد الأقـوامُ كـالخُصْيـة الفـرد؟

أما والله لئن خلّص الله لي ساقي لأمدنّ لك مضمارك[٢]، خذ بُرديك ونفقتَك، فخرج جميلٌ، فلما بلغ باب السجن خارجاً قال: اللهم أغنِ[٣] عنّي أجدعَ بني عامر، قال: وكانت بنو عامر قد قلّت، فحَالَفت لإياد.

من شعر أمه فيه:

قال أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني:

فقالت أم هُدبة فيه لما شَخَص إلى المدينة فَحُبس بها:

أيـا إخـوتـي أهـلَ المـدينـة أكـرمـوا ... أسيـركُـمُ إن الأسيـرَ كـريـمُ
فَـرُبَّ كـريـمٍ قـد قَـرَاه وضـافَـه ... ورُبَّ أمـورٍ كلُّهـن عظيـمُ
عَصَـى جلُّهـا يـومًـا عليـه فـراضَـه ... مـن القـوم عَيَّـافٌ أشـمُّ حليـمُ[٤]

يتوسطون له فترفض وساطتهم:

فأرسل هدبةُ العشيرةَ[٥] إلى عبد الرحمن في أول سنة فكلموه، فاستمع منهم ثم قال:

/ أبَعْـدَ الـذي بـالنَّعـفِ نعـفِ كُـوَيكِـبِ ... رهينـةِ رمـسٍ ذي تُـرابٍ وجنـدَلِ[٦] [٢١/٢٦٦]
أُذكَّـرُ بـالبُقْيـا علـى مَـنْ أصـابنـي ... وبُقْيـايَ أنـي جـاهـدٌ غيـرُ مُـؤْتلـي

فرجعوا إلى هدبةَ بالأبيات فقال: لم يُوئِسْني بعدُ، فلما كانت السنة الثالثة بلغ المِسور، فأرسل هدبةُ إلى عبد الرحمن مَنْ كلَّمه فأنصت حتى فرغوا، ثم قام عنه مغضباً وأنشأ يقول:

---

(١) الإقرار يتضمنه البيت: رمينا فرمينا... إلخ.
(٢) لأمدن لك مضمارك: «لأوسعن الميدان الذي الاقيك فيه، وربما كانت لأعدن لك مضمارك» وعلى كل فهي تهديد.
(٣) أغنه عني: اكفني شره، ويعني بأجدع بني عامر هدبة نفسه.
(٤) عصى جلها... إلخ، خبر أمور في البيت السابق، والهاء من راضه يعود على جل، والمراد «بعياف أشم حليم» هدبة نفسه.
(٥) يريد عشيرته من بني عامر.
(٦) تقدم هذا البيت وما قبله، وهما رفض لطلب العشيرة وإباء لعرض الدية.

سأُكْذِب أقواماً يقولون: إنّني سآخذُ مالاً من دم أنا ثائرُه[١]

فباسْتِ امرئٍ واسْتِ التي زَحَرت به يسوق سَواماً من أخٍ هو واتِرُهْ[٢]

ونهض، فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال: الآن أيستُ منه، وذهب عبد الرحمن بالمِسور، وقد بلغ إلى والي المدينة، وهو سعيد بن العاص، وقيل مروان بن الحكم، فأخرج هدبة.

لقاؤه الأخير بزوجته:

قالوا: فلما كان في الليلة التي قُتل في صباحها أرسلَ إلى امرأته، وكان يحبها: إيتيني الليل أستَمتع بك وأودِّعك، فأتته في اللِّبَاس والطيّب، فصارت إلى رجل[٣]، قد طال حبسُهُ، وأنتنت في الحديد رائحته، فحادثها، وبكى، وبكت، ثم راودها عن نفسها، وطاوعته، فلما عَلاهَا سمعَتْ قَعقعةَ الحديد فاضطربت تحته، فتنحّى عنها وأنشأ يقول:

[٢١/٢٦٧] / وأدْنَيْتِني حتى إذا ما جعلتِني لَدَى الخصْر أو أدنَى استقلّك راجفُ[٤]

فإن شئتُ والله انتهيتُ وَإنّني لئلا ترَيْني آخرَ الدهر خائفُ

رأت ساعدَيْ غُولٍ وتحت ثيابه جآجِىء يدْمَى حدُّها وَالحراقفُ[٥]

ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويلٌ جداً وفيه يقول:



صوت

فلم ترَ عيني مثلَ سربٍ رأيتُه خرجْنَ علينا من زقاق ابنِ وَاقفِ[٦]

تضمَّخْن في الجاديّ حتى كأنّما الأ نوفُ إذا استعْرَضْتَهُنّ رَوَاعِفُ[٧]

خرجن بأعناق الظباء وأعيُن الـ جآذرِ وَارتجّت لهن السّوالفُ[٨]

فلو أنّ شيئاً صاد شيئاً بطَرفه لصِدْن ظباء فوقهنّ المطارفُ[٩]

غنى فيه الغريض رملاً بالبنصر من رواية حَبَش، وفيه لحن خفيف ثقيل، وذكر إسحاق أن فيه لحنًا ليونس، ولم يذكر طريقته في مجرده.

(١) أنا ثائرة: أنا طالب ثأره.
(٢) يريد بقول: «واست الذي زحرت به»: ولدته.
(٣) الرجل المقصود هنا هو هدبة نفسه.
(٤) استقلك راجف: أصابك ما أفزعك.
(٥) جآجيء: جمع جؤجؤ، وهو عظم الصدر، الحراقف: جمع حرقفة، وهي أعلى الورك.
(٦) في البيت إقواء، وفي بعض النسخ: «خرجن علينا حين إذ أنا واقف» وعليه فلا إقواء، ويرجح الرواية الأولى حديث السمكات الذي سيأتي بعد، ويرجح الرواية الثانية قول المؤلف فيما يلي: ليس هناك زقاق يحمل هذا الاسم.
(٧) الجادي: الزعفران.
(٨) السوالف: جمع سالفة، وهي جانب العنق.
(٩) ظباء: فاعل صدن ـ على لغة أكلوني البراغث ـ المطارف: جمع مطرف، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام، والمعنى: لو أن اللحظ يصيد لصادت هذه الظباء التي تلبس المطارف ـ يقصد الغواني ـ بألحاظها الرجال، وفي رواية: «لصدن بألحاظ ذوات المطارف» وعليه ففي البيت إقواء، والمعنى لا يتغير.

[٢٦٨/٢١]

/ **أيهما أحسن: سربه أم السمكات الثلاث؟:**

أخبرنا الحرميّ قال: حدثنا الزبير عن عمه قال:

مَرّ أبُو الحارث جُمَّيْن يوماً بسوق المدينة، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاثُ سمكات قد شقّ أجوافَها: وقد خرج شحمُها، فبكى أبو الحارث، ثم قال: تَعِس الذي يقول:

فلم تَرَ عيني مثلَ سِربٍ رأيته ... خرجن علينا من زُقاقِ بنِ وَاقفِ

وَانتكس وَلا انجبر، والله لهذه السمكات الثلاث أحسَنُ من السرب الذي وصف.

وَأحسب أن هذا الخبر مصنوع لأنه ليس بالمدينة زُقاقٌ يعرف بزقاق ابن واقف، ولا بها سَمَك، ولكن رويت ما رُوِي.

حبيّ ترثي لحاله:

وقال حماد بن إسحاق عن أبيه أنّ ابن كُناسةَ قال:

مُرَّ بهُدْبَة على حُبيّ[1]؛ فقالت: في سبيل الله شبابُك وجلَدُك وَشِعْرُك وكرمُك؛ فقال هدبة:

تَعَجّبُ حُبيّ من أسيرٍ مُكبّلٍ ... صَليبِ العَصَا باقٍ على الرّسَفَانِ[2]

فلا تَعْجَبي مِنّي حَليلَةَ مالكٍ ... كذلك يأتي الدهرُ بالحدَثانِ

يبين لزوجته أوصاف من يخلفه عليها:

وقال النّوفليُّ عن أبيه:

فلما مُضِيَ بِهِ من السجن للقتل، التفَت فرأى امرأته؛ وكانت من أجمل النساء فقال:

[٢٦٩/٢١]

/ أَقِلّي عليّ اللَّومَ يا أمّ بَوزعَا ... ولا تَجْزَعي ممّا أصابَ فأَوجعا

ولا تنكحي إن فرّق الدهرُ بيننا ... أغَمّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا[3]

كَليلاً سوى ما كان من حَدّ ضِرْسه ... أُكَيْبِدَ مِبطانَ العَشيّاتِ أرْوَعا[4]

ضَروباً بلَحييْه على عَظمِ زَوْره ... إذا الناس هَشّوا للفَعال تقَنَّعا[5]

وحُلّي بذي أُكرومةٍ وحَميّةٍ ... وَصبرٍ إذا ما الدهر عَضّ فأسْرعا

زوجته تشوه جمالها بسكين:

وقال حَمّاد عن أبيه عن مُصْعب بن عبدالله قال:

---

(١) حبي: اسم امرأة كانت تحت رجل اسمه مالك.

(٢) الرسفان: المشي الوئيد يمشيه المقيد في قيده.

(٣) الأنزع: من انحسر شعره عن جبينه وقفاه.

(٤) يريد بالمصراع الأول أنه كليل العزم والسيف غير كليل الناب والضرس. الأكيبد: تصغير أكبد بمعنى مصاب في كبده، مبطان العشيات: كثير الأكل ليلاً، أروع: من الروع، وهو الخوف، أي جبان.

(٥) اللحيان: العظمان اللذان ركبت فيهما الأسنان العلوية والسفلية، والمصراع الأول كناية أيضاً عن البطنة، هشوا: سروا وانشرحت صدورهم، الفعال ـ بفتح الفاء ـ الكرم والفعل الحميد، تقنع: أخفى وجهه وغطاه بغشاء.

لما أُخرج هُدبةُ من السجن ليُقتل، جعل الناسُ يتعرَّضون له ويَخْبرُون صَبْره، ويَسْتَنْشِدُونه، فأدرَكَه عبدُ الرحمن بنُ حسّانَ[١]، فقال له: يا هدبةُ، أتأمُرني أن أتزوج هذه بَعْدَك، يَعْنِي زوجتَه، وهي تمشي خلفَه فقال: نعم، إن كنتَ من شَرْطها، قال: وما شَرْطُها؟ قال: قد قُلْتُ في ذلك:

فَــلاَ تنكَحِــي إنْ فَــرَّق الــدهــرُ بيننــا أغــمَّ القفــا والــوجـهِ ليس بـأنـزعــا[٢]

وكُــونــي حَبيســاً أو لأروعَ مــاجــدٍ إذا ضَــنَّ أعشــاشُ الــرّجــال تَبــرَّعــا[٣]

[٢٧٠/٢١] فمالت زوجتُه إلى جَزَّار وأخذت شَفْرته، فجَدَعت بها أنفَها، وجاءته تَدْمَى / مجدوعة فقالت: أتخاف أن يكون بَعد هذا نِكاح؟ قال: فرسَف في قُيُوده وقال: الآن طَابَ الموت.

وقال النوفليّ عن أبيه:

إنها فعلت ذلك بحَضْرة مَرْوان وقالت له: إن لهُدْبة عندي وَدِيعة، فأمهِلْه حتى آتِيَة بها، قال: أسرِعي، فإن الناس قد كَثُروا، وكان جلس لهم بارِزاً عن دَاره[٤]، فمضت إلى السُّوق، فانتهَت إلى قصّاب وقالت: أعطني شَفْرتَك، وخُذ هذين الدرهمين وأنا أرُدُّها عليك، فَفَعل، فَقَرَبت من حَائط، وأرسلت مِلْحَفتَها على وَجهها، ثم جدعت أنفها من أصْله، وقطعت شَفَتَيْها، ثم رَدَّت الشفرَة، وأقبلت حتى دَخَلت بين الناس وقالت: يا هُدْبة، أتُراني متزوجةً بعدما تَرَى؟ قال: لا، الآن طابت نَفْسي بَعْد بالمُوت، ثم خَرَج يرسُف في قيودِه، فإذا هو بأبَوَيْه يتوقعان الثكل، فهما بسُوء حال، فأقبل عليهما وقال:

أبلِيَــانــي اليــومَ صبــراً منكمــا إنّ حُــزْنــاً إن بــدا بــادِىءُ شــرّ

لا أرانـــي اليـــومَ إلا ميِّتــاً إنَّ بعـــدَ المـــوت دارَ المستقَــرّ[٥]

اصبِــرَا اليــوم فــإنــي صــابــرٌ كــلُّ حــيٍّ لقضــاءٍ وقَــدرْ

زوجته تنكث بعهدها:

قال النوفليّ: فحدثني أبي قال:

حدثني رجلٌ من عُذرةَ عن أبيه قال: إني لبلادنا يوماً في بعض المِياه، فإذا أنا بامرأة تَمشِي أمامي وهي مدبرة، ولها خَلْق عجيب من عَجُز وهَيْئة، وتمام جسم، وكمال قامَه، فإذا صَبِيَّان قد اكتَنَفاها يَمْشِيان، قد تَرَعْرعا، فتقدّمتُها، والتفتُّ إليها، فإذا هي أقبحُ مَنْظر، وإذا هي مجدوعةُ الأنف، مقطوعةُ الشفتين، فسألتُ عنها فقيل لي: هذه امرأة هُدْبة، تزوّجت[٦] بعده رَجُلاً، فأولدَها هذين الصَّبِيَّيْن.

[٢٧١/٢١] / أخو زيادة يرفض كل شفاعة ودية:

(١) ضبطنا حسان بالفتح على أنه مأخوذ من الحسن، فهو ممنوع من الصرف.
(٢) في هد «أغم القفا والرأس».
(٣) أعشاش الرجال: من عش معروفة بمعنى قلله، يقول لها: كوني حبيس خدرك أو تزوجي ماجداً.
(٤) ب: «بإزاء داره».
(٥) في «المختار»: «لا أرى ذا اليوم إلا هينا».
(٦) وهكذا صدق الشاعر حين يقول:

وإن حلفــت لا تنقــض الــدهــر عهــدهــا فليـــس لمخضـــوب البنـــان يميـــن

قال ابنُ قُتيبة في حديثه:

فسأل سعيدُ بن العاص أخَا زيادَة أن يَقْبَل الدّية عنه، قال: أُعطيك ما لم يُعطِه أحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جَدّاءُ[1] ولا ذاتُ داء، فقال له: والله لو نَقَبْت لي قُبّتك هذه، ثم ملأتَهَا لي ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع، فلم يزل سعيد يسألهُ، ويعرض عليه فيأبى، ثم قال له: والله لو أَرَدتُ قبول الدية لمنعني قوله:

لَنجــدَعَــنّ بــأيــدينــا أُنــوفكــم ويــذهــبُ القتــلُ فيمــا بيننــا هَــدَرا

فدفعه حينئذ ليقتله بأخيه.

يعرض بحبَّى وهو في طريقه إلى الموت:

قال حَمّاد: وقرأتُ على أبي عن مصعب بن عبدالله الزبيريّ قال:

ومَرّ هُدبةُ بحُبّى، فقالت له: كنتُ أعدّك في الفتيان، وقد زَهِدتُ فيك اليوم، لأني لا أنكر أن يَصْبِر الرّجال على الموت، لكن كيف تَصْبر عن هذه[2]؟ فقال: أما والله إنّ حُبّي لها لشديد، وإن شِئتِ لأصفَنّ لك ذلك، ووقف الناس معه، فقال:

وَجَــدت بهــا مــا لــم تَجِــد أمّ واحــدٍ ولا وجــدُ حُبّــى بــابــن أُمّ كِــلابِ[3]

رأتــه طــويــل السّــاعــديــن شمَــرْدَلا كمــا تَشْتَهــي مــن قــوة وشبــاب[4]

فانقمعت[5] داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه. قالوا: فدُفع إلى أخي زيادة ليقْتُلَه، قال: فاستأذن في أن يُصَلّي ركعتين، فأذِن له، فصلاهما وخَفّف، ثم التفتَ إلى مَنْ حضر فقال: لولا أن يُظَنّ بي الجزعُ لأطَلْتُهما، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما، ثم قال / لأهْله: إنه بلغني أنّ القَتِيل يَعقِل ساعة بعد سُقوط رأسه، فإن عَقَلتُ فإني [٢١/٢٧٢] قابضٌ رجلي وباسطُها ثلاثاً، ففعل ذلك حين قُتِل، وقال قبل أن يُقتَل:

إن تقتُلــونــي فــي الحــديــد فــإنّنــي قتلــتُ أخــاكــم مُطْلقــا لــم يُقَيّــدِ[6]

فقال عبد الرحمن أخو زيادة: والله لاقتُلَنّه إلا مُطلقا من وَثاقه، فأُطلق له، فقام إليه وهز السيف ثم قال:

قــد عِلمــتْ نفســي وأنــتَ تعلمُــهْ لأقتلَــنّ اليــومَ مــن لا أرحمُــهْ

ثم قتله.

فقال حمّاد في روايته:

ويقال: إن الذي تولّى قتلَه ابنُه المِسْور، دفع إليه عَمُّه السيفَ وقال له: قم فاقتل قاتل أبيك، فقام، فَضَرَبه ضربتين قتله فيهما.

(١) الجداء: القليلة اللبن من مرض أصابها.
(٢) هذه: إشارة إلى زوجته.
(٣) يعرض بحبي ويحبها لرجل افتتنت به.
(٤) الشمردل: الجميل الخلق، وفي ف، هج: «كما اشترطت» بدل «كما تشتهي».
(٥) فانقمعت: ولت هاربة.
(٦) البيت من الطويل دخله الخرم.

كاهنة تتنبأ بقتله صبراً:

أخبرني الحُسَين بن يحيى قال: قال حَمّاد: قرأت على أبي قال:

بلغني أنّ هدبة أول من أُقِيد منه في الإسلام.

قال أحمد بن الحارث الخرّاز[1]: قال المدائني:

مرّت كاهنة بأمّ هُدْبة وهو وأخوتُه نِيامٌ بين يديها، فقالت: يا هذه، إن الذي معي[2] يُخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر. قالت: وما هو؟ قالت: أمّا هُدبة وحَوْطٌ فيُقتلان صَبْرا[3]، وأمّا الواسع وسَيْحان فيموتان كَمَداً، فكان كذلك.

٢/٢٧٣ / أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حَمّاد: قرأتُ على أبي: أخبرك مروان بن أبي حفصة قال:

كان هدبةُ أشْعَرَ الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أُقِيد منه، قال الخرّاز عن المدائنيّ: قال واسعُ بنُ خَشْرم يرثي هُدْبَةَ لمّا قُتِل:

يـا هُـدْبَ يـا خيـرَ فتيـان العشيـرةِ مَـنْ ... يُفجَـعْ بمثلـك فـي الـدّنيـا فقـد فُجِعَـا

الله يعلـــم أنّـــي لـــو خشيتهـــمُ ... أو أوجسَ القلبُ من خوفٍ لهم فزعا[4]

لـم يقتلـوه ولـم أُسلِـم أخـي لهـمُ ... حتـى نَعيـش جَميعـاً أو نَمُـوت معـا[5]

وهذه الأبيات تمثّل بها إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رضي عنهم، لما بلغه قَتلُ أخِيه محمد.

أخباره هو وزياد حديث العلية:

أخبرني محمد بنُ العباس اليزيديُّ قال: حَدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَة قال:

حدثني مصعبٌ الزبيريُّ قال:

كُنّا بالمدينة أهلَ البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبرُ هدبة وزيادة وأشعارهما ازدَريناه، وكنّا نرفع من قدر أخبارها وأشعارهما ونعجب بها.

صاحب بثينة راوية له:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: أخبرني محمد بن الحسن الأحول، عن رواية من الكوفيين قالوا:

كان جميلُ بن معمر العُذْريّ راويةَ هُدْبة، وكان هُدْبة راويةَ الحطيئة، وكان الحطيئةُ راوية كعب بن زهير وأبيه.

حدثني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلّبيّ قال: حدّثنا عبدُالله بن أبي سعد قال:

(١) وفي بعض النسخ الخزاز، وفي آخر الحراز.
(٢) تقصد الذي معها من علم التنجيم، أو الجن الذي تزعم مؤاخاته.
(٣) يقتل صبرا: يحبس حتى يموت.
(٤) في ف، هد، «المختار»: «جزعا» بدل «فزعا».
(٥) يريد أنهم لو خافوهم ما وتروهم في زيادة، وحينئذ يسلم أخوه.

/ عائشة أم المؤمنين تدعو له بعد موته: [٢١/ ٢٧٤]

حدثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال: حدثني أبو مُصْعَب الزّبيريّ قال: حَدّثني المُنْكَدِرُ بنُ محمد بن المُنْكَدِر، عن أبيه قال:

بعث هُدبةُ بنَ خَشْرم إلى عائشةَ زوج النبي ﷺ يقول لها: استغفري لي، فقالت: إن قُتِلْتَ استغفَرْتُ لك.

/ صـوت [٢١/ ٢٧٥]

ألـم تَـرَ أنّـي يـومَ جـوِّ سُوَيْقَـةٍ ... بكيـتُ فنادتنـي هُنيـدةُ ماليَـا؟

فقلـتُ لهـا: إنّ البكـاء لـراحـةٌ ... بـه يشتفـي مَـنْ ظـنّ أن لا تـلاقيـا

قِفـي ودّعينـا يـا هُنَيْـدَ فـإنّنـي ... أرى القـوم قـد شـامـوا العَقِيـقَ اليمـانيـا[١]

- ويروى: أرى الركبَ قد شاموا -.

إذا اغـرورقـت عَينـاي أسبَـلَ منهمـا ... إلـى أن تغيـب الشِّعْـريـان بكـائيـا[٢]

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً، وهي فيما قيل أولُ قصيدة هجاه بها، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي، قال الهشامي: وفيه لمالك ثقيل أول، وابتداء اللحنين جميعاً.

* ألـم تـر أنـي يـوم جـوِّ سُـوَيْقَـة *

ولعلوية فيه لحن من الرمل المطلق ابتداؤه:

* قفـي ودعينـا يـا هنيـد فـإنـنـي: *

(١) شام السحاب والبرق ونحوهما: نظر إليه ليتحقق أفيه مطر أم لا، والمراد هنا النجعة والرحيل.

(٢) الشعريان: نجمان معروفان، فلعله يريد أن يقول: إنه يبكي طول الليل، أو طول الصيف، لأن الشعريين كانا رمز الصيف عند العرب، واسم إحداهما العبور، واسم الأخرى الغميصاء.

[٢٧٦/٢١ ٢/١٩]

/ نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته

نسبه:

الفرزدق لقب غَلَب عليه، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجفِّفه النساءُ للفَتوت، وقيل: بل هو القطعة من العجين التي تبسط، فيُخبَز منها الرغيف، شُبِّه وجهه بذلك؛ لأنه كان غليظاً جهماً. واسمه همّام بن غالبِ بنِ صَعصعةَ بنِ ناجيةَ بن عقال بن محمد بن سفيان بـن مُجاشِع بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناةَ بن تميم.

قال أبو عبيدة: اسم دارم بحر، واسم أبيه مالكِ عُوف ويقال عرف. وسُمّى دارمٌ دارماً لأن قوماً أتوا أباه مالكاً في حَمالة[1] فقال له: قم يا بحر فأْتني بالخريطة - يعني خريطة كان له فيها مال - فحملها يدرِم عنها ثِقلا، والدّرمان: تقارب الخطو، فقال لهم: جاءكم يَدْرِم بها، فسمي دارماً، وسُمي أبوه مالِكٌ عُرفا لجوده.

وأم غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيانَ بن مجاشع.

وكان للفرزدق أخ يقال له هُمَيم، ويلقب الأخطل، ليست له نباهة، فأعقب ابنا يقال له محمد، فمات والفرزدق حيّ فرثاه، وخبرهُ يأتي بعد. وكان للفرزدق من الولد خَبطةٌ ولَبطةٌ وسَبطة، هؤلاء المعروفون، وكان له غيرهم فماتوا، ولم يُعرفوا. وكان له بنات خمس أو ست.

وأُم الفرزدق - فيما ذكر أبو عبيدة - لينة بنت قرظة الضبية.

جده محيي الموءودات:

وكان يقال لصعصعة محي الموءودات؛ وذلك أنه كان مر برجل من قومه، وهو يحفِر بئراً، وامرأته تبكي، فقال لها صعصعة: ما يبكليك؟ قالت: يريد أن يئد ابنتي هذه، فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: الفقر. قال: فإني اشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما، تعيشون بألبانهما، ولا تئد الصبية، قال: قد فعلت، فأعطاه الناقتين وجملاً كان تحته فحلاً، وقال/ في نفسه: إن هذه لمكرُمةٌ ما سبقني إليها أحد من العرب، فجعل على / نفسه ألاّ يسمع مموءُودة إلا فداها، فجاء الإسلام وقد فدى ثلثمائة موءودة، وقيل: أربعمائة. [٢٧٧/٢١ ٣/١٩]

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي، عن دَماذ، عن أبي عبيدة.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ وعليّ بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال: قال صعصعة:

خرجت باغيا ناقتين لي فارقتين - والفارق: التي تفرق إذا ضربها المخاض فتندّ على وجهها، حتى تُنتَج - فرُفعت لي نار فسرت نحوها، وهممت بالنزول، فجعلت النار تضيء مرة، وتخبو أخرى، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت: اللهمّ لك عليّ إن بلّغتني هذه النار ألاّ أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد من الناس أن يفرّجها إلا

(١) الحمالة: الغرامة يحملها قوم عن قوم أو الدية.

فرّجتها عنهم، قال: فلم أسر إلا قليلاً حتى أتيتها، فإذا حيٌّ من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم، وإذا أنا بشيخ حادر أشعر[١] يوقدها في مقدم بيته، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض[٢]، قد حبستهنّ ثلاث ليال. فسلّمت فقال الشيخ: من أنت؟ فقلت: أنا صعصعة بن ناجية بن عقال، قال: مرحباً بسيدنا، ففيم أنت يا بن أخي؟ فقلت: في بغاء ناقتين لي فارقتين عُمّيَ عليّ أثرهُما، فقال: قد وجدتَهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك، وقد نتجناهما، وعطفت إحداهما على الأخرى، وهما تانك في أدنى الإبل. قال: قلت: ففيم توقد نارك منذ الليلة؟ قال: أوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال، وتكلّمت النساء فقلن: قد جاء الولد، فقال الشيخ: إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به، وإن كانت جارية فلا أسمعنّ صوتها ـ أي اقتلْهَا ـ فقلت: يا هذا ذرها فإنها ابنتك، ورزقها على الله، فقال: اقتُلْنها، فقلت: أنْشُدك الله، فقال: إني أراك بها حفيًّا، فاشترها مني، فقلت: إني أشتريها منك، فقال: ما تعطيني؟ قلت: أعطيك إحدى ناقتيّ قال: لا، قلت: فأزيدك الأخرى، فنظر إلى جملي الذي تحتي، فقال: لا، إلا أن تزيدني / جملَك هذا، فإني أراه حسن اللون شاب [٢١/٢٧٨] السّن، فقلت: هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه، قال: قد فعلت، فابتعتها منه بلقوحين[٣] وجمل، وأخذت عليه عهدَ الله وميثاقَهُ ليُحسننَّ برّها وصلتَها ما عاشت، حتى تبين منه، أو يدركها الموت، فلما برزتُ من عنده حدثتني نفسي وقلت: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فآليت ألاَّ يئدِ أحد بنتاً له إلا اشتريتها منه بلَقوحين وجمل، فبعث الله عزّ وجل محمداً عليه السلام، وقد أحييتُ مائة موءودة إلا أربعاً، ولم يشاركني في ذلك أحد، حتى أنزل الله تحريمَه في القرآن، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدّة قصائد من شعره، ومنها قصيدتُه التي أوّلُها:

أبِي أحدُ الغَيْثين صعصعةُ الذي ... متى تُخْلفِ الجوزاء والدّلْوُ يُمْطِرِ[٤]

أجارَ بناتِ الوائدِينَ ومن يُجِرْ ... على الفقر يُعْلَمْ أنه غيرُ مُخْفِرِ[٥]

على حينَ لا تحيا البناتُ وإذ هُمُ ... عكوف على الأصنام حول المدَوَّرِ[٦]

ـ[٧] المُدَوّر: يعني الدّوّار الذي حول الصنم، وهو طوافهم[٧] ـ.

أنا ابن الذي ردّ المنيةَ فضلُهُ ... فما حسبٌ دافعتُ عنه بمُعْوِرِ[٨]

/ وفارقِ ليلٍ من نساء أتت أبي ... تُمارس ريحاً ليلُها غير مُقْمِرِ[٩]

(١) حادر: سمين الجسم غليظ.
(٢) ماخض: أدركها المخاض.
(٣) بلقوحين: بناقتين حاملتين.
(٤) يقصد أن هناك غيثاً في السماء وغيثاً في الأرض، فغيث السماء المطر، وغيث الأرض أبوه، وأن أباه خير الغيثين، فإنه لا يخلف إذا أخلفت بروج السماء.
(٥) غير مخفر: غير ناقض للعهد.
(٦) حين بفتح النون وكسرها، وهم: القوم لا البنات.
(٧ ـ ٧) التكملة من هد، هج.
(٨) معور: معيب.
(٩) وفارق: «الواو واو رب»، والفارق: الناقة أخذها المخاض فندت في الأرض، والمراد هنا المرأة لا الناقة، تمارس ريحاً... إلخ: تعاني ليلة مظلمة عاصفة الرياح.

فقالت: أجِرْ لي ما ولدتُ فإنني ... أتيتك من هزلَى الحَمولةِ مُقْتِر[1]

[٢١/٢٧٩] / هِجفٌ من العُثْوِ الرؤوس إذا بدت ... له ابنةُ عامٍ يحطم العظم منكر[2]

رأس الأرضَ منها راحةً فرمى بها ... إلى خُدَدٍ منها إلى شرّ مخفر[3]

فقال لها: فِيئي فإني بذمتي ... لبنتك جارٌ من أبيها القَنَوَّر[4]

إسلام أبيه على يد الرسول:

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبي ﷺ[5] فأسلم وقد كان وَفَدهُ أبوه صعصعةُ إلى النبي ﷺ [5] فأخبره بفعله في الموءودات، فاستحسنه وسأله: هل له في ذلك من أجر؟ قال: نعم فأسلم وعمِّر غالبٌ، حتى لحق أمير المؤمنين عليًّا صلوات الله عليه بالبصرة، وأدخل إليه الفرزدق، وأظنه مات في إمارة زياد ومُلك معاوية.

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ وهاشم بن محمد الخزاعيّ، وعبد العزيز بن أحمد عم أبي قالوا: حدثنا الرّياشيّ قال: حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية، قال: حدثني عقال بن كسيب أبو الخنساء العنبريّ، قال: حدثني الطفيل بن عمرو الربعيّ، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة، عن صعصعة بن ناجيةَ المجاشعيِّ جدِّ الفرزدق قال:

قدمت على النبي ﷺ، فعرض عليّ الإسلام، فأسلمت، وعلّمني آيات من القرآن، فقلت: يا رسول الله إني عملت أعمالاً في الجاهلية هل لي فيها من أجر؟ فقال: وما عمِلت؟ فقلت: إني أضللتُ ناقتين لي عُشَرَاوين، فخرجت أبغيهما على جمل، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً، فقلت له: هل أحسست من ناقتين عُشراوين؟ قال: وما نارهما؟ ـ يعني السِّمة ـ فقلت: ميسم بني دارم، [٢١/٢٨٠] فقال: قد أُصبت ناقتيك ونتجناهما، وظأرتا[6] على أولادهما / ونَعش الله بهما أهلَ بيت من قومك من العرب من مضر، فبينا هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر: قد ولدت، فقال: وما ولدتِ؟ إن كان غلاماً فقد شرِكنا في قُوتنا، وإن كانت جارية فادفنوها، فقالت: هي جارية: فقلت: أفأئدها؟ فقلت: وما هذا المولود؟ قالت: بنت لي، فقلت: إني أشتريها منك، فقال: يا أخا بني تميم، أتقول لي: أتبيعني ابنتك وقد أخبرتك أني من العرب من مضر؟ فقلت: إني لا أشتري منك رقبتها، إنما أشتري دَمَها لئلا تقتلها، فقال: وبم تشتريها؟ فقلت: بناقَتيَّ هاتين وولديهما. قال: لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه: قلت: نعم، على أن ترسل معي رسولاً فإذا بلغتُ أهلي ردَدْتُ إليك البعير[7] ففعل، فلما بلغت أهلي رددتُ إليه البعير[7]، فلما كان في بعض الليل فكرت في نفسي فقلت: إن هذه مكرمة ما سبقني إليها أحدٌ من العرب، فظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائةٍ وستين موءودة، أشتري كُلَّ واحدة منهن

(١) هزلى الحمولة: من هزل الرجل إذا ماتت ماشيته، مقتر: فقير مقل.

(٢) هذا البيت من هج، هد، ساقط من ب، الهجف: الجافي الغليظ، العثو: جمع أعثى، وهو الأشعر، منكر: صفة لهجف.

(٣) منها: من الطفلة، خدد: شقوق.

(٤) فيئي: ارجعي واطمئني: القنور: الشرس الخلق، وفي هج:

فقال لها فيئي إليك فإنني ... لبنتك جار من أبيها القنور

(٥ ـ ٥) التكملة من هد.

(٦) ظأرتا: عطفتا.

(٧ ـ ٧) التكملة من هد، هج.

بناقتين عُشراوين وجمل، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: هذا باب من البر، ولك أجره إذ مَنَّ الله عليك بالإسلام، قال عباد: ومِصداقُ ذلك قولُ الفرزدق:

وجـدِّي الـذي منـع الـوائـداتِ وأحيـا الـوئيـد فلـم يُـوأدِ[1]

أخبرني محمد بن يحيى، عن الغِلاّبيّ، عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الهذليّ قال:

وفد صعصعة بن ناجية جَدّ الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد من تميم، وكان صعصعةُ قد منع الوَئيد في الجاهلية، فلم يدع تميماً تَئِد، وهو يقدر على ذلك، فجاء الإسلام وقد / فدى أربعمائة جارية، فقال للنبي ﷺ: أوصِني، فقال: أُوصيك بأمك وأبيك وأخيك وأختك وإمائك، قال: زدني، قال: احفظ ما بين لحييك[2]، وما بين رجليك. [٥/١٩]

/ ثم قال له عليه السلام: ما شيءٌ بلغني عنك فعلتَه؟ قال: يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه، ولم أدرِ أين الوجه، غير أني علمت أنهم ليسوا عليه، ورأيتهم يئدون بناتهم، فعلمتُ أنّ ربّهم لم يأمرهم بذلك، فلم أتركهم يئدون، وفديت من قدرت عليه. [٢١/ ٨١]

وروى أبو عبيدة أنه قال للنّبيّ ﷺ: إني حملتُ حَمّالات في الجاهلية والإسلام، وعليّ منها ألفُ بعير، فأديتُ من ذلك سبعمائة، فقال له: إن الإسلام أمر بالوفاء، ونهى عن الغدر، فقال: حسبي حسبي، ووفّى بها.

ورُوِي أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطاب، وقد وفد إليه في خلافته.

وكان صعصعةُ شاعراً وهو الذي يقول: أنشدنيه محمد بن يحيى له:

إذا المـرء عـادى مـن يـودُّك صـدرُه وكـان لمـن عـاداك خِـدْنـاً مُصـافيـا
فـلا تسـألَـنْ عمـا لـديـه فـإنّـه هـو الـداءُ لا يخفـى بـذلـك خـافيـا[3]

أبوه يعطي دون أن يسأل:

أخبرني محمد بن يحيى، عن محمد بن زكريا؛ عن عبدالله بن الضحاك، عن الهيثم بن عديّ، عن عوانة قال:

تَراهَن نَفرٌ من كلب ثلاثةٌ على أن يختاروا من تميم وبكر نَفَراً ليسائلوهم، فأيّهم أعطى، ولم يسألهم عن نسبهم من هم؟ فهو أفضلهم، فاختار كل رجل منهم رجلاً؛ والذين اختيروا عميرُ بنُ السليك[4]، بن قيس بن مسعود الشيبانيّ، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ، وغالب بن صعصعة المجاشعيّ أبو الفرزدق، فأتوا ابن السُّليك فسألوه مائة ناقة، فقال: من أنتم؟ فانصرفوا عنه.

ثم أتوا طلبة بن قيس، فقال لهم مثل قول الشيبانيّ، فأتوا غالباً، فسألوه، / فأعطاهم مائةَ ناقة وراعيها، ولم يسألهم من هم فساروا بها ليلة، ثم ردّوها، وأخذ صاحبُ غالب الرّهنَ، وفي ذلك يقول الفرزدق: [٢١/ ٨٢]

---

(١) في هج، والمختار: «الوائدين» بدل الوائدات والمعنى والوزن لا يتغير.
(٢) يعني لسانك.
(٣) يريد أن يقول: إن صديق عدوك وعدو صديقك عدو لك.
(٤) في هج: «عمر بن السلوك» وفي هد: عمر بن السليل.

وإذا نـاحبـتْ[١] كلْبٌ على النـاس أيُّهـم أحـقُّ بتـاج المـاجـد المتكـرِّم[١]
علـى نفـرٍ هُـم مـن نـزار ذوي العـلا وأهـل الجـراثيـم التـي لـم تهـدَّم[٢]
فلـم يُجْـزِ عـن أحسـابهـم غيـرُ غـالـبٍ جـرَى بعنـان كـلِ أبيـضَ خِضـرم[٣]

سحيم يعجز عن مباراة أبيه في كرمه:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن جهم السليطيّ، عن إياس بن شبة، عن عقال بن صَعصعة، قال:

أجدبت بلاد تميم، وأصابت بني حنظلة سنةٌ[٤] في خلافة عثمان، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة، فانتجعتها بنو حنظلة، فنزلوا أقصى الوادي، وتسرّع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك[٥ بن حنظلة، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب ٥]، فنَحر ناقته فأطعمهم إيّاها، فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرِّياحيّ حبس منها ناقة، فنحرها من غد، فقيل لغالب: إنما نحر سُحيم مواءمةً لك ـ أي مساواة لك ـ فضحك غالب، وقال: كلا، ولكنه امرؤ كريم، وسوف أنظر في ذلك، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين، فنحرهما، فأطعمهما بني يربوع، فعقر سُحَيم ناقتين، فقال غالب: الآن علمت أنه يوائمني، فعقر غالب عشراً، فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشراً، فلما بلغ غالباً فعلُه ضحك. وكانت إبله ترد لخمس، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها،/ فالمكثر يقول: كانت أربعمائة، والمُقِلّ يقول: كانت مائة، فأمسك سحيم حينئذ؛ ثم إنه عقر في خلافة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بكُناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير، فخرج الناس بالزنابيل / والأطباق والحبال لأخذ اللحم، ورآهم عليٌّ عليه السلام، فقال: أيّها الناس لا يحل لكم، إنّما أُهِلّ[٦] بها لغير الله عزّ وجلّ. قال: فحدثني من حضر ذلك قال: كان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام، فجعل غالب يقول: يا بنيّ، اردُدْ عليّ، والفرزدق يردُّها عليه، ويقول له: يا أبت اعقِر، قال جهم: فلم يُغنِ عن سحيم فعله، ولم يجعل كغالب إذا لم يُطِق فعلَه.

٦/١٩ [٢١/٢٨٣]

يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن:

حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم ـ يعني أبا العيناء ـ عن أبي زيد النحويّ، عن أبي عمرو قال:

جاء غالب أبو الفرزدق إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة، فقال: إن ابني هذا من شعراء مضر[٧] فاسمع منه، قال: علمه القرآن، فكان ذلك في نفس الفرزدق، فقيّد نفسَه في وقت، وآلى: لا يحُلُّ قيدَه حتى يحفظ القرآن.

(١) في ب «ناديت» بدل «ناحبت» وناحبت: راهنت.
(٢) الجراثيم: جمع جرثومة، وهي الأصل.
(٣) الخضرِم: الكريم المعطاء.
(٤) سنة: جدب.
(٥ ـ ٥) التكملة من هد، هج.
(٦) يقال: أهل الذابح: رفع صوته عند ذبح الضحية باسم من قدمها قرباناً له.
(٧) في هج، هد: «أن ابني هذا من أشعر مضر، أو شاعر مضر».

عريق في قرض الشعر:

قال محمد بن يحيى: فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعا وسبعين سنة، وندع ما قبل ذلك، لأن مجيئَه به بعد الجمل ـ على الاستظهار ـ كان في سنة ست وثلاثين، وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام هو وجرير والحسن البصريّ وابن سيرين في ستة أشهر، وحُكي ذلك عن جماعة، منهم الغِلابيّ عن ابن عائشة عن أبيه.

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ عن الغِلابي، عن ابن عائشة أيضاً، عن أبيه قال: قال الفرزدق أيضاً:

كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان، قال: ومات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه:

لقــد ضمّــت الأكفــانُ مــن آل دارمٍ فتًى فـائِضَ الكفّيـن محضَ الضّـرائب[1]

[٢١/ ٢٨٤]

/ أيهما أشعر، هو أو جرير؟:

أخبرني حبيب المهلبيّ قال: حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عمران الضبيّ، قال: حدثني جعفر بن محمد العنبريّ، عن خالد بن أم كلثوم، قال:

قيل للمفضل الضبي: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال الفرزدق: قال: قلت: ولم؟ قال: لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين [٢] وأحسن في ذلك [٢] فقال:

عجبــتُ لِعجــلٍ إذ تُهــاجِــي عَبِيــدَهــا كمــا آلَ يَــربــوع هَجَــوْا آلَ دَارِمِ[3]

فقيل له: قد قال جرير:

إنّ الفــرزدقَ والبَعِيــثَ وأمّــه وأَبــا البَعِيــث لشــرّ مــا إستــارِ[4]

فقال: وأيّ شيء أهون من أن يقول إنسان: فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة!.

أخبرني عبدالله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة مَعمرُ بنُ المثنّى:

كان الشعراء في الجاهلية من قيس، وليس في الإسلام مثلُ حظِّ تميم في الشعر، وأشعر تميم جريرٌ والفرزدق[٥]، ومن بني تغلِب الأخطلُ [٥].

قال يونس بن حبيب: ما ذُكِر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتّفَق المجلسُ على أحدهما، قال: وكان يونس فرزدقيًّا.

(١) محض: خالص، الضرائب: جمع ضريبة بمعنى الطبيعة والسجية، يقول: إن سجايا أبيه وطبائعه خالصة مما يشينها.
(٢ ـ ٢) التكملة من هد، هج.
(٣) القبيلتان الممدوحتان: عجل ودارم، والقبيلتان المهجوتان: يربوع والقبيلة التي عبر عنها بقوله: عبيدها.
(٤) إستار: لفظ معرب بمعنى أربعة.
(٥ ـ ٥) التكملة من هد.

يغتصب بيتين لابن ميادة:

أخبرني عمي، عن محمد بن رستم الطبريّ، عن أبي عثمان المازنيّ قال:

٧/١٩ مر الفرزدق / بابن مَيّادة(١ الرمّاح والناسُ حوله ١) وهو ينشد:

[٢٨٥/٢١] / لو أنّ جميعَ الناس كانوا بربوة وجئتُ بَجدّي ظالمٍ وابنِ ظالم

لظلّت رقابُ الناس خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامنا بالجماجم

فسمعه الفرزدق، فقال: أما والله يا بنَ الفارسية لَتدعنّه لي أو لأنبِشَنّ أُمّك من قبرها، فقال له ابن ميادة: خذه لا بارك الله لك فيه، فقال الفرزدق:

لو أنّ جميعَ النّاس كانوا بربوة وجئت بجدّي دارمٍ وابنِ دارم

لظلّت رقاب الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

عود إليه هو وجرير:

أخبرني عمي، عن الكرانيّ، عن أبي فراس الهيثم بن فراس، قال: حدثني ورقة بن معروف، عن حماد الرواية قال:

دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بُنَيّةٌ له يَشمّها فقال جرير: ما هذه يا أمير المؤمنين عندك؟ قال: بُنَيّة لي، قال: بارك الله لأمير المؤمنين فيها. فقال الفرزدق: إن يكن دارم يضرب(٢) فيها فهي أكرم العرب، ثم أقبل يزيد على جرير فقال: مالك والفرزدق؟ قال: إنه يظلمني ويبغي عليّ، فقال الفرزدق: وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرتُ فيه بسيرتهم، قال جرير: وأما والله(٣) لتَردّنّ الكبائرُ على أسافلها سائر اليوم، فقال الفرزدق: أمّا بك يا حمار بني كليب فلا، ولكن إن شاء صاحب السرير، فلا والله ما لي كفء غيرهُ، فجعل يزيد يضحك.

أخبرنا عبدالله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، عن حماد الراوية قال:

أنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال لي: أتيتَ الكلبَ ـ يعني جريراً ـ قلت: نعم، قال: أفأنا أشعر أم هو؟ [٢٨٦/٢١] قلت: أنتَ في بعض وهو في بعض، قال: لم تناصحني، / قال: قلت: هو أشعر منك إذا أُرخِيَ من خناقة(٤)، وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت، قال(٥ : قضيت لي والله عليه ٥) وهل الشعر إلا في الخبر والشّر.

قال: وروى عن أبي الزناد عن أبيه قال:

قال لي جرير: يا أبا عبد الرحمن: أنا شعر أم هذا الخبيث ـ يعني الفرزدق ـ وناشدني لأخبرنّه، فقلت: لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك في النسيب قال: أَوْهِ(٦) قضيت والله له عليّ، أنا والله أخبرك: ما دهاني، إلاّ أنّي

(١ ـ ١) التكملة من هد، هج.
(٢) يريد أنها أكرم العرب إن كان ثمة نسب يصلها بدارم.
(٣) في هج: «أما والله لئن شئت لترون. إلخ». ولعل المعنى: لو أردت رددت كبائر أسلافك على أسافلها، أي عليك. وفي العبارة غموض.
(٤) لعله يريد بقوله: «إذا أرخى من خناقه» أنه أشعر إذا أمن، أو انطلق، والعبارة أيضاً يكتنفها غموض.
(٥ ـ ٥) التكملة من هد، هج.
(٦) أوه ـ بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الهاء ـ: كلمة توجع.

هاجيتُ كذا وكذا شاعراً، فسمَّى عدداً كثيراً، وأنه تفرّد لي وحدي[1].

خبره مع النوار:

أخبرني عبدالله قال: قال المازنيّ: قال أبو علي الحرمازيّ:

كان من خبر الفرزدق والنَّوار ابنة أعيَن بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعيّ ـ وكانت ابنة عمه ـ أنه خطبها رجل من بني عبدالله بن دارم فرضِيتْه، وكان الفرزدق وليّها، فأرسلت إليه أن زَوِّجْني من هذا الرجل، فقال: لا أفعل أو تُشهدِيني أنك قد رضيت بمن زوّجتك، ففعلت، فلما توثّق منها، قال: أرسلي إلى القوم فليأتوا، فجاءت بنو عبدالله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أن النوار قد وَلّتني أمرها، وأشهدكم أني قد زَوجتُها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة. فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزبير حين أعياها أهلُ البصرة[2] ألاَّ يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود، وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتّقاء الفرزدق، وابنُ الزبير يومئذ أمير[3] الحجاز والعراق يدعي له بالخلافة / ـ فلم تجد من [٢١/٢٨٧] يحملها،/ وأتت فتيةً من بني عديّ بن عبد مناة بن أُدّ، يقال لهم بنو أُمّ النُّسَيْر، فسألتهم برحم تجمعهم وإياها ـ $\frac{٨}{١٩}$ وكانت بينها وبينهم قرابة ـ فأقسمت عليهم أمها: ليحملنها، فحملوها، فبلغ ذلك الفرزدق، فاستنهض عدّة من أهل البصرة فأنهضوه، وأوقروا له عدة من الإبل، وأُعِين بنفقة، فتبع النّوار، وقال:

أطاعت بني أم النُّسَيْر فأصبحت ... على شارفٍ ورقاءَ صعبٍ ذلولُها[4]

وإنّ الذي أمسى يخبّب زوجتي ... كماشٍ إلى أُسْد الشَّرى يَستبيلها[5]

فأدركها وقد قدمت مكة، فاستجارت بخولَةَ بنتِ منظورِ بن زبّان بن سيار الفزاري، وكانت عند عبدالله بن الزبير، فلما قدم الفرزدق مكة اشرأبّ الناس إليه، ونزل على بني عبدالله بن الزبير، فاستنشدوه، واستحدثوه ثم شفعوا له إلى أبيهم، فجعل يشفّعهم في الظاهر، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه، فمال إلى النّوار، فقال الفرزدق في ذلك:

صوت

أمّا بنوه فلم تُقبلْ شفاعتُهم ... وشُفّعت بنتُ منظورِ بن زِبّانَا[6]

ليس الشّفيع الذي يأتيك مُؤْتَزِراً ... مثلَ الشفيع الذي يأتيكَ عُريانَا

لِعَريب في هذا البيت خفيف رمل.

قال: وسَفَر بينهما رجالٌ من بني تميم كانوا بمكة، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة، ولا يجمعهما ظل ولاكِنٌّ حتى يَجْمَعَا في أمرهما ذلك بني تميم، ويصيرا على حكمهم. ففعلا، فلما صارا إلى البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها.

---

(١) في ب: «وحده» والصواب «وحدي» كما في هج.
(٢) في هج وهد: «حين أعياها أمراء البصرة».
(٣) في هج: «وابن الزبير يومئذ أمير المؤمنين بالحجاز والعراق».
(٤) الشارف: الناقة المسنة، والورقاء: ما في لونها بياض إلى سواد.
(٥) يخبب زوجتي: يخدعها ويفسدها، يستبيلها: يطلب بولها، وفي هد: «يستنبلها» أن يطلب نوالها.
(٦) ضمير «بنوه» يعود على عبدالله بن الزبير.

[٢١/٢٨٨] / قال: وقال غير الحرمازيّ: إن ابن الزبير قال للفرزدق: جئني بصداقها وإلا فرّقت بينكما، فقال الفرزدق: أنا في بلاد غربة فكيف أصنع؟ قالوا له: عليك بسلم بن زياد، فإنه محبوس في السجن يطالبه ابن الزبير بمال، فأتاه فقصّ عليه قصته قال: كم صداقها؟ قال: أربعة آلاف درهم، فأمر له بها وبألفين للنفقة، فقال الفرزدق:

دعِي مُغلِقي الأبواب دون فَعالهم ... ولكن تمشَّيْ بي - هُبِلْتِ - إلى سَلْم[١]

إلى مَن يرى المعروف سهلاً سَبيلُه ... ويفعُل أفعال الرجال التي تَنمي[٢]

قال: فدفعها إليه ابن الزبير، فقال الفرزدق:

هلمّي لابن عمك لا تكوني ... كمختارٍ على الفرس الحمارا

قال: فجاء بها إلى البصرة - وقد أحبلها - فقال جرير في ذلك:

ألا تِلكمُ عِرسُ الفرزدق جامحاً ... ولو رضِيَتْ رُمح استِهِ لاستقرَّتِ[٣]

فأجابه الفرزدق، وقال:

وأمُّك لو لاقيتُها بِطِمِرَّةٍ ... وجاءت بها جوف استِها لاستقرّتِ[٤]

وقال الفرزدق وهو يخاصم النوار:

٩/١٩ / تُخاصمني وقد أولجتُ فيها ... كرأس الضَّبّ يلتمس الجرادا[٥]

[٢١/٢٨٩] / قال الحِرمازيّ: ومكثت النَوار عنده زماناً، ترضى عنه أحياناً، وتخاصمه أحياناً، وكانت النَّوار إمرأة صالحة، فلم تزل تشمئزُّ منه، وتقول له: ويحك! أنت تعلم أنك إنما تزوجت بي ضُغطة[٦] وعلى خُدعة، ثم لا تزال في كلِّ ذلك، حتى حلفت بيمين مُوثَّقة، ثم حنثتَ، وتجنَّبَتْ فراشَه، فتزوج عليها امرأة يقال لها جُهيمة[٧] من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة[٨] وأمُّها الخميصة من بني الحارث بن عباد، فنافرته الخميصة، واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق، وقال: إنها مني بريء طالق وطلق ابنتها، وقال:

إن الخميصةَ كانت لي ولابنتها ... مثل الهَراسةِ بين النّعل والقَدَم[٩]

إذا أتت أهلَها مني مُطَلّقة ... فلن أردَّ عليها زَفرةَ النَّدم[١٠] [٨]

(١) الخطاب لناقته ونحوها، مغلقي الأبواب: يجوز فيها فتح لام مغلق وكسرها، وعلى الأول، تكون من قبيل إضافة اسم المفعول إلى نائب فاعله، وعلى الثاني تكون من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله والفعال: الكرم وحسن الصنيع، هبلت: جملة معترضة بمعنى ثكلتك أمك أن لم تطعني.

(٢) تنمي: من نما الشيء الشيء بمعنى رفع قدره، والمفعول محذوف، أي تنمي أحسابها بمعنى تزيدها شرفاً.

(٣) إضافة الرمح إلى الأست من باب التهكم والسخرية، ومن أسماء الذكر «رميح» كزبير.

(٤) الطمرة: الفرس السريعة العدو. يقول: لو ألقينا بالفرس في جوف است أمك لا تسع لها.

(٥) رأس الضب، يضرب بها المثل في الصلابة، يقال: حر يذيب دماغ الضب، لأن الضب لا يعيش إلا في الصحاري، ومن أمثالهم: «حتى يؤلف بين الضب والنوق».

(٦) ضغطة: اضطرار.

(٧) في هج: «رهيمة».

(٨ - ٨) تكملة من «**المختار**».

(٩) الهراسة: نوع من الشوك، يقول النابغة:

فبت كأن العائدات فرشن لي ... هراساً به يعلى فراشي ويقشب

(١٠) في «**النقائض**»: أورد البيت على هذا النحو وهو أنسب:

=

جعل يأتي النوارَ وبه رَدْع الخَلوق[1] وعليه الأثر فقالت له النّوار: هل تزوجتها إلا هُدادِيَّةً ـ تعني حيًا من أزد عُمان ـ فقال الفرزدق في ذلك:

تُــريــك نجــومَ الليــل والشَّمــسُ حَيَّــةٌ ... كــرامُ بنــات الحــارث بــن عُبــادِ[2]

أبــوهــا الــذي قــاد النَّعــامــة بعــد مــا ... أبــت وائــلٌ فــي الحــرب غيــر تمــادِ[3]

/ نســاءٌ أبــوهــنّ الأعــزُّ ولــم تكــن ... مــن الأزد فــي جــاراتهــا وهَــدادِ [٢١/ ٢٩٠]

ولــم يــكُ فــي الحــيّ الغمــوضِ محلُّهــا ... ولا فــي العُمــانيّيــن رهــطِ زيــادِ[4]

عَــدلــتُ بهــا مَيــلَ النّــوار فــأصبحــت ... وقــد رَضيــت بــالنّصــف بعــد بعــادِ[5]

قال: فلم تزل النوار ترققه، وتستعطفه، حتى أجابها إلى طلاقها، وأخذ عليها ألّا تفارقَه ولا تبرح من منزله، ولا تتزوجَ رجلًا بعده، ولا تمنعَه من مالها ما كانت تبذله له، وأخذت عليه أن يُشهد الحسنَ البصريَّ على طلاقها، ففعل ذلك.

قال المازنيّ: وحدثني محمد بن روح العدوي عن أبي شَفْقَلٍ راوية الفرزدق قال:

ما استصحبَ الفرزدقُ أحداً غيري وغير راوية آخر، وقد صحِب النّوارَ رجالٌ كثيرة، إلا أنهم كانوا يلوذون بالسّواري خوفاً من أن يراهم الفرزدق، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق: يا أبا سعيد، قال له الحسن: ما تشاء؟ قال: أشهد أن النّوار طالق ثلاثاً، فقال الحسن: قد شهدنا، فلما انصرفنا قال: يا أبا شفقل، قد ندمتُ، فقلت له: والله إني لأظن أن دمك يترقرق، أتدري مَنْ أشهدت؟ والله لئن رجعت لترجمن بأحجارك، فمضى وهو يقول:

نــدمــتُ نــدامــةَ الكُسَعِــيّ لمّــا ... غــدت منّــي مُطلَّقــةً نــوارُ[6]

ولــو أنّــي ملكــتُ يــدي وقلبــي ... لكــان علــيّ للقــدَر الخيــارُ

وكــانــت جَنّتــي فخــرجــتُ منهــا ... كــآدم حيــن أخــرجــه الضِّــرارُ[7]

وكنــتُ كفــاقــيءٍ عينيــه عمــداً ... فــأصبــح مــا يضــيء لــه النهــارُ

/ **يخاصم كل من يمد يده لمساعدة النوار:** [٢١/ ٢٩١]

وأخبرني بخبره مع النّوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى، عن

= إن تــأت بنتــك مــن بيتــي مطلقــة ... فلــن تــردي عليهــا زفــرة النــدم

(١) ردع الخلوق: ريح الطيب.
(٢) كرام: فاعل تريك. يقول: إنهن كالنجوم يبدون مع الشمس مع أن النجوم لا تظهر معها.
(٣) الحارث بن عباد: فارس النعامة «فرسه» من بني بكر. ارجع إلى خبره في «الأغاني» عند الكلام عن حرب تغلب وبكر ابني وائل.
(٤) الحي الغموض: القبيلة التي تخفي مكانتها.
(٥) يريد أنه أدب نوار بزواجه هذا. فرضيت بالنصف (بفتح النون) أي الإنصاف، أو رضيت بالنصف (بكسر النون)، أي بالقسمة بينها وبين الزوجة الجديدة.
(٦) الكسعي: رجل يضرب به المثل في الندامة على كسره قوسه، وكان جربها في عدة ظباء، فظن أنها لم تصبهن، ثم اتضح أنها أقصدتهن جميعا.
(٧) الضرار، من ضاره، يريد أن مخالفة آدم لأمر ربه أخرجته من الجنة.

أبيه يحيى بن علي بن حميد:

أنَّ النّوار لمّا كرهت الفرزدق حين زَوَّجها نفسَه لجأت إلى بني قيس بن عاصم [١] المنقري ليمنعوها [١] فقال الفرزدق فيهم:

بني عاصم لا تجنبوها فإنكم ... ملاجِىءُ للسوآت دُسْم العَمائِم[٢]

بَني عاصمٍ لو كان حَيّا أبوكم ... للام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ[٣]

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا: والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة، [٤] وخَلّوه والنوار[٤] وأرادت ١٠/١٩ منافرتَه[٥] إلى ابن الزبير، فلم يقدر أحدٌ على أن يُكرِيَهَا[٦] [٧] خوفاً منه[٧]. ثم إن قوماً من بني عديّ يقال لهم بنو أم النُّسَير أكروها، فقال الفرزدق:

ولولا أن يقول بنو عَديٍّ ... ألم تَكُ أمَّ حَنظلةَ النّوارُ

أتتكم يا بني مِلْكان عنّي ... قوافٍ لا تُقسّمها التِّجارُ

وقال فيهم أيضاً:

لعمري لقد أردى النّوارَ وساقها ... إلى البور أحلامٌ خِفافٌ عقولُها[٨]

[٢٩٢/٢١] / أطاعت بني أمّ النُّسَير فأصبحت ... على قَتَبٍ يعلو الفلاة دليلُها[٩]

وقد سَخِطَت مِنّي النّوارُ الذي ارتضى ... به قبلَها الأزواجُ خاب رحيلُها[١٠]

وإن امرأ أمسى يُخَبِّب زوجتي ... كساعٍ إلى أُسْدِ الشرى يستبيلها[١١]

ومن دون أبواب الأسود بَسالةٌ ... وبَسْطَةُ أيدٍ يمنع الضّيمَ طُولُها[١٢]

وإنّ أميرَ المؤمنين لعالِمٌ ... بتأويل ما وَصّى العِبادَ رَسولُها[١٣]

(١ ـ ١) التكملة من هد، هج.

(٢) في هد، هج: لا تلجئوها، دسم العمائم: من الدسم بمعنى الدنس، أو من دسم البعير: طلاه بالقار، جمع أدسم.

(٣) قيس بن عاصم المشار إليه كان مضرب المثل في الحلم، ومنه تعلم الحلم أحنف بن قيس، وفي قيس بن عاصم يقول الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

(٤ ـ ٤) الزيادة من هد.

(٥) منافرته: مخاصمته.

(٦) يكريها: يعطيها دابة بالكراء.

(٧ ـ ٧) التكملة من هد.

(٨) في هد «إلى الغور» بدل «إلى البور».

(٩) القتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير.

(١٠) في ب «شحطت» وهو تصحيف.

(١١) مضى هذا البيت.

(١٢) في «المختار»: «ومن دون أبوال الأسود».

(١٣) يشير بذلك إلى وجوب طاعة الزوجة لبعلها كما ورد في الشريعة الإسلامية.

فَـدُونَكَهـا يـا بـنَ الـزبيـر فـإنهـا مُـوَلَّعَـةٌ يُـوهِـي الحجـارةَ قِيلُهـا[١]

ومـا جـادل الأقـوامَ مـن ذي خصـومـة كـورهـاء مَشْنـوء إليهـا حليلُهـا[٢]

فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنتِ منظور بن زَبّان زوجة عبدالله بن الزبير، ونزل الفرزدق بحمزة بن عبدالله بن الزبير، ومدحه بقوله:

أمسيتُ قـد نـزلـتْ بحمـزة حـاجَتِـي إن المنـوَّه بـاسمِـه المـوثـوقُ

بـأبـي عمـارةَ خيـرِ مـن وَطِـيء الحصـا وجـرت لـه فـي الصـالحيـن عُـروقُ

بيـن الحـواريِّ الأعـزّ وهـاشـمٍ ثـم الخليفـةُ بعـدُ والصِّـدِّيـقِ[٣]

/ غنَّى في هذه الأبيات ابنُ سريج رملاً بالبنصر. [٢٩٣/٢١]

قال: فجعل أمرُ النَّوار يقوَى، وأمرُ الفرزدق يضعفُ، فقال:

أمّـا بنـوه فلـم تُقبـل شفـاعتُهـم وَشُفِّعَـتْ بنـتُ منظـورِ بـنِ زبّـانـا

ملاحاة بينه وبين ابن الزبير:

وقال ابن الزبير للنّوار: إن شئت فرّقت بينكما، وقتلته، فلا يهجُونا أبداً، وإن شئت سيَّرته إلى بلاد العدو، فقالت: ما أريد واحدة منهما، فقال لها: فإنه ابن عمك وهو فيك راغب، فأزوِّجُك إياه، قالت: نعم، فزوجها منه، فكان الفرزدق يقول: خرجنا ونحن متباغضان، فعدنا متحابين.

قال: وكان الفرزدق قال لعبدالله بن الزبير - وقد توجه الحكم عليه - إنما تريد أن أفارقها فتَثِب عليها، وكان ابن الزبير حديداً[٤]، فقال له: هل أنت وقومك إلا جالية[٥] العرب؟.

ثم أمر به فأقيم، وأقبل على مَن حضر، فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة، فاستلبوه، فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط، فأجلتها من أرض تِهامة، قال: فلقي الفرزدق بعضَ الناس، فقال: إيه يعيرنا ابن الزبير بالجلاء! اسمع، ثم قال:

فـإن تغضَـبْ قـريـشٌ أو تَغَضَّـبْ فـإنّ الأرضَ تُـوعِبُهـا تميـمُ[٦]

/ هُـم عَـددُ النجـوم وكـلُّ حـيٍّ سـواهـمْ لا تُعَـدُّ لـه نجـومُ ١١/١٩

ولـولا بيـت مكـةَ مـا ثـويتـم بهـا صـحَّ المنـابتُ والأرومُ[٧]

(١) فدونكها: فخذها، والضمير يعود إلى الأبيات، قيلها: قولها.

(٢) الورهاء: الحمقاء، مشنوء: مبغض، يقول: إنها تخاصمني إليك، وماذا عسى أن تسمع من حمقاء تكره بعلها؟.

(٣) يقصد أن حمزة سبط الزبير بن العوام حواري الرسول، وأنه حفيد هاشم بن عبد مناف، لأن جدته أم الزبير بنت عبد المطلب بن هاشم، وأن جدته زوجة الزبير ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأن أباه الخليفة وفي البيت إقواء.

(٤) حديد: سريع الغضب.

(٥) الجالية: الذين أجلوا، أي أبعدوا عن أوطانهم.

(٦) تغضب الثانية مضارع محذوف إحدى التائين، معناه تتظاهر بالغضب، توعبها: تأخذها أجمع، ولا تترك منها شيئاً.

(٧) ثويتم: أقمتم. الأروم: جمع أرومة وهي الأصل.

[٢١/٢٩٤] / بهـا كثُـر العـديـدُ وطـاب منكـم ... وغيـرُكـم أخِيـذُ الـريـش هِيـم[1]

فمهـلاً عـن تعلّـل مَـن غَـدَرْتـم ... بخـونتـه وعـذّبـه الحَميـم[2]

أعبـدَ اللّـهِ مهـلاً عـن أذاتـي ... فـإنـي لا الضعيـفُ ولا السئـوم

ولكنّـي صفـاةٌ لـم تُـدَنَّـس ... تـزِلُّ الطيـرُ عنهـا والعُصـوم[3]

أنـا ابـن العـاقِـر الخُـورَ الصَّفـايـا ... بضـوّي حيـن فُتِّحـت العُكـوم[4]

قال : فبلغ هذا الشّعرُ ابنَ الزبير ، وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه ، فغمز عنقَه، فكاد يدقها، ثم قال:

لقـد أصبحـت عِـرسُ الفـرزدق نـاشـزاً ... ولـو رَضِيـت رُمـحَ استِـه لاستقـرّت

وقال: هذا الشعر لجعفر بن الزبير.

[5] وقيل: إن الذي كان تقرّر عليه عشرةُ آلاف درهم، وإنّ سَلْمَ بنَ زيادٍ أمر له بعشرين ألف درهم مهْراً [٢١/٢٩٥] ونفقة، فقبضها، فقالت له زوجته أمّ عثمان بنتُ عبدالله / بـن عمرو بن أبي العاص الثقفيّة: أتعطي عشرين ألف درهم وأنت محبوس[6] ؟ فقال:

ألا بَكَـرَتْ عِـرسِـي تلـومُ سفـاهـةً ... علـى مـا مضـى منـي وتـأمـرُ بـالبُخـلِ

فقلـتُ لهـا ـ والجـودُ مِنّـي سجيّـةٌ ـ: ... وهـل يمنـع المعـروفَ سُـؤّالَـه مِثلـي؟[7]

ذَرِينـي فـإنّـي غيـرُ تـاركِ شِيمتـي ... ولا مُقصـرٍ طـول الحيـاة عـن البـذْلِ

ولا طـاردٍ ضيفـي إذا جـاء طـارقـاً ... وقـد طـرق الأضيـافُ شيخـيَ مـن قبلـي[8]

أأبخَـلُ؟ إن البُخْـل ليـس بمُخْلِـدي ... ولا الجـودُ يـدنيني إلـى المـوت والقتـل

أبيـعُ بنـي حـرب بـآلِ خـويلـدِ! ... ومـا ذاك عنـد الله فـي البيـع بـالعـدل؟[9]

(١) أخيذ الريش: مهيض الجناح، الهيم: النوق العطاش.

(٢) تعلل: من تعلل، بمعنى: أبدى الحجة وتمسك بها، كأنه يقول: كفوا يا بني قريش عن ادعائكم الشرف على بني تميم الذين غدرتموهم بخيانتكم إياهم، وكان عذابهم على أيدي محالفيهم وأصدقائهم وفي بعض النسخ:

فمهـلاً عـن تـذلـل مـن عـززتـم ... بجـولتـه وعـزّبـه الحميـم

والمعنى: كفوا عن إذلال من كان سبباً في عزتكم، ولعل هذه الرواية أنسب.

(٣) الصفاة: الصخرة، والعصوم: الأوساخ، يقول: أنا صفاة عالية نقية لا يعف عليها طير، ولا تعلق بها الأوساخ.

(٤) الخور: النوق الغزر، جمع خوارة، الصفايا: المتنقاة، جمع صفية، العكوم: مجمع عكم ـ بكسر العين ـ وهو ما يحمله الرجل على ظهره من طعام، كأنه يقول: أنا ابن من عقر النوق بضوي حين حطت الرحال وحان وقت الطعام ولعله يشير إلى ما نحره أبوه من إبل في خلافة عثمان لبني حنظلة على نحو ما سبق.

(٥) (من هنا إلى رقم ٦ في الصفحة التالية) تكملة من «المختار».

(٦) يبدو أنه كان في حبس ابن الزبير كما هو واضح من الأبيات التالية.

(٧) المعروف: مفعول ثان مقدم ليمنع، وسواله: مفعول أول مؤخر.

(٨) لعله يعني بشيخه أباه، أو أحد أجداده.

(٩) خويلد: أبو العوام جد عبدالله بن الزبير.

وليس ابنُ مروان الخليفةُ مشبهاً لفحل بَني العوَّام، قُبِّح من فحل
فإن تُظهرُوا لِيَ البخلَ آلَ خُوَيْلد فما دأبكم دأبي ولا شكلُكم شكلِي
وإن تَقهروني حين غابت عشيرتي فمن عجبِ الأيام أن تقهروا مِثلي

فلما اصطلحا، ورضيت به[1]، ساق إليها مهرها، ودخل بها، وأحبلها قبل أن يخرج من مكة.

ثم خرجا وهما عديلان في محمل.

يستصرخ حمزة بن عبدالله بن الزبير:

وأخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سَلام، عن إبراهيمَ بن حبيب بن الشّهيد بنحو من هذه القصة.

/ قال عُمر بنُ شبّة: قال الفرزدق في خبره: [٢١/٢٩٦]

يا حمزَ هل لك في ذي حاجة عَرضت أنضاؤه بمكان غيرِ ممطور[2]
فأنت أحرى قريش أن تكون لها وأنت بين أبي بكرٍ ومنظورِ[3]
بين الحواريّ والصدّيق في شُعَبٍ نَبَتْنَ في طُنُب الإسلام والخيرِ[4]

يتقون لسانه:

أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلاّم قال: حدثنا عبد القاهر بن السّريّ السلمي، قال:

كان فتى من بني حرام[5] شويعر هجا الفرزدق، قال: فأخذناهُ، فأتينا به الفرزدق وقلنا: هذا بين يديك فإن شئت فاضرب، وإن شئت فاحلق، فلا عَدْوى عليك ولا قصاص، قد برئنا إليك منه، فخلّى سبيله وقال:

فمن يك خائفاً لأذاة شعري فقد أمِنَ الهجاءَ بَنُو حرامِ
هم قادوا سَفيهَهم وخافوا قلائدَ مثل أطواق الحمامِ

ليس طريقه إلى جهنم:

قال ابن سلاّم: وحدثني عبد القاهر قال:

مرّ الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام ومعنا عنبسة مولى عثمان بن عفان، فقال: يا أبا فِراس، متى تذهب إلى الآخرة؟ قال: وما حاجتك إلى ذاك يا أخي؟ قال: أكتب معك إلى أبي، قال: أنا لا أذهب إلى حيث أبوك، أبوك في النار، أكتب إليه مع ريالويه واصطقانوس.

يغضب على ابن الكلبي لعدم روايته شعره:

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه قال: أخبرني مخبر، عن خالد بن كلثوم الكلبيّ، قال:

(١) ضمير رضيت: يعود على النوار.
(٢) أنضاء: جمع نضو، وهو المهزول من الإبل، وذلك كناية عن الجدب والحاجة، وفي بعض النسخ: «أنضاره» بدل «أنضاؤه».
(٣) يعني منظور بن زبّان جده لأمه.
(٤) الخير ـ بكسر الخاء ـ: الكرم والشرف، وفي «المختار»: «نبتن في طيب الإسلام».
(٥) في هد: «حزام» بدل «حرام».

مررتُ بالفرزدق، وقد كنت دوّنت شيئاً من شعره وشعر جرير، وبلّغه ذلك، فاستجلسني، فجلست إليه، [٢٩٧/٢١] وعذت بالله من شره، وجعلت أحدثه / حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه، ثم قلت له: إني لأذكر يوم لَقّبَك بالفرزدق، قال: وأي يوم؟ قلت: مررت به وأنت صبيّ، فقال له بعضُ من كان يجالسه: كأنّ ابنك هذا الفرزدقُ دهقان الحيرة في تيهه وأُبّهته، فسمّاك بذلك، فأعجبه هذا القول، وجعل يستعيد، ثم قال: أنشدني بعضَ أشعار ابن المراغة فيّ، فجعلت أنشده، حتى انتهيت، ثم قال: فأنشد نقائضها التي أجبته بها، فقلت: / ما أحفظها، فقال: يا خالد، أتحفظ ما قاله فيّ ولا تحفظ نقائضه؟ والله لأهجونّ كلباً هجاء يتصل عارُه بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدنيها، فقلت: أفعل فلزمته شهراً، حتى حفظت نقائضها، وأنشدته إياها خوفاً من شره.

يكايد النوار بحدراء فتستعدي عليه جريرا:

أخبرني عبدالله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي قال:

تزوج الفرزدق حَدْراء بنت زِيقِ بنِ بِسْطامِ بن قيس الشيباني، وخاصمته النّوار وأخذت بلحيته، فجاذبها وخرج عنها مُغضَباً وهو يقول:

قـامَـتْ نـوارُ إلـيَّ تَنتِـفُ لِحيتـي ... تَنْتـافَ جعـدةَ لحيـةَ الخشخـاشِ

كلتـاهمـا أسـدٌ إذا مـا أُغضِبـت ... وإذا رَضِيـنَ فهـنّ خيـر معـاشِ

قال: والخشخاش رجل من عَنَزة، وجعدةُ امرأته، فجاءت جعدةُ إلى النّوار، فقالت: ما يريد مني الفرزدق؟ أما وجد لامرأته أسوة غيري.

وقال الفرزدق للنوار يفضّل عليها حدراءَ.

لعمـري لأعـرابيَّـةٌ فـي مظَلَّـةٍ ... تظـلُّ بـرَوقَـيْ بيتِهـا الـريـحُ تخْفُـق[١]

أحـبُّ إلينـا مـن ضِنَـاكٍ ضِفَنَّـةٍ ... إذا وُضعـت عنهـا المـراويـحُ تَعْـرَقُ[٢]

كـريـمِ غـزالٍ أو كُـدرّةِ غـائـصٍ ... تكـاد ـ إذا مـرت ـ لهـا الأرض تُشـرِقُ

[٢٩٨/٢١] / فلما سمعت النوار ذلك أرسلت إلى جرير، وقالت للفرزدق: والله لأخزينّك يا فاسق فجاء جرير، فقالت له: أما ترى ما قال الفاسق، وشكته إليه، وأنشدته شعرَه، فقال جرير: أنا أكفيك، وأنشأ يقول:

ولَسْـتَ بمعطـي الحكـمِ عـن شَـفٍّ منصِـبٍ ... ولا عـن بنـات الحنظليّيـن راغـبُ[٣]

وهـنّ كمـاءِ المـزنِ يُشْفَـى بـه الصَّـدى ... وكـانـت مِـلاحـاً غيـرَهُـنَّ المشـارِبُ[٤]

(١) روقي: تثنية روق، ومن معانيه رواق البيت.

(٢) الضناك: الموثق الخلق الشديد (يستوي فيه المذكر والمؤنث). الضفنة: الحمقاء الكثيرة اللحم، يقول: إن أعرابية ـ يقصد حدراء ـ تخفق في بيتها الريح أحب من النوار الشديدة الخلق الحمقاء المترهلة التي يفصد جسمها عرقاً إذا لم تسعفها المراوح.

(٣) الشف: الفضل، يقول: إنك لم تعط الحكم على النساء والمفاضلة بينهن، فليس لك منصب فاضل يؤهلك لذلك، وليس ثمة من يرغب عن بنات الحنظليين اللاتي منهن نوار.

(٤) ملاحاً: من الملوحة لا الملاحة، يقول: إن بنات الحنظليين يروين غلة الظمآن كما ترويه مياه المطر، وغيرهن يروون الظمآن ظمأ لملوحة مائهن.

لقد كنتَ أهلاً أن يسوق دياتكم إلى آل زيق أن يعيبَك عائب[١]

وما عدلتْ ذاتُ الصليب ظعينةً عُتَيْبةُ والرّدفان منها وحاجبُ[٢]

أألهديتَ يا زيقُ بن بَسطامَ طَيبةً إلى شرٍّ من تُهْدى إليه القرائب[٣]

ألا رُبَّما لم نُعْطِ زيقاً بحُكمِه وأدّى إلينا الحكمَ والغُلُّ لازبُ[٤]

/ حَوَينا أبا زيقٍ وزيقاً وعمَّه وجَدَّةُ زيقٍ قد حَوتْها المقانِبُ[٥] [٢٩٩/٢١]

فأجابه الفرزدق فقال:

تقول كليبٌ حين مَشَّت سِبالُها وأعشَبَ من مَرُوتِها كلُّ جانب[٦]

لسوّاقِ أغنامٍ رعتهنّ أمُّه إلى أن علاها الشيبُ فوق الذوائب[٧]

ألستَ إذا القعساءُ مرت براكب إلى آل بِسطامِ بن قيس بخاطب[٨]

وقالوا: سمعنا أنّ حدراءَ زُوِّجتْ على مائةٍ شُمِّ الذُّرى والغوارب[٩]

فلو كنتَ من أكفاء حدْراء لم تلُمْ على دارميٍّ بين ليلى وغالبِ

فنل مثلَها من مثلهم ثُمّ أمّهم بملكك من مال مُراح وعازب[١٠]

وإني لأخشى إن خطبتَ إليهمُ عليك الذي لاقى يسارُ الكَواعبِ[١١]

---

(١) عائب فاعل يسوق ويعيب (تنازع) يقول: قد كنت حرياً أن يسوق ديتك إلى آل زيق عائب على زواجك منهم بدل أن تسوق إليهم أنت المهر، أن يعيبك: خشية أن يعيبك، وفي الأصل «الثرى» بدل «القد» وهو تحريف فليس في الكلام جواب لشرط أو قسم.

(٢) ذات الصليب: حدراء، فإنها كانت نصرانية، الظعينة: الزوجة، وجملة المصراع الثاني صفة ظعينة. عتيبة: هو ابن الحارث بن شهاب، الردفان هما عتاب بن هرمي، وعوف بن عتاب بن هرمي: وحاجب: هو ابن زرارة، والردف هو خليفة الملك يشرب بعده وينوب عنه إذا غاب، وإنما أراد بتعداد هؤلاء بيان فضل النوار.

(٣) الاستفهام في البيت إنكاري، يريد أنه لا يؤمن على القرائب من النساء، فما بالك بغيرهن، ومنع بسطاما من الصرف للضرورة، وفي بعض النسخ:

أأهديت يا زيق بن زيق غريبة إلى شر من تهدى إليه الغرائب؟

(٤) زيق: أبو حدراء، ضرة النوار، والغلّ: القيد، ولازب: لازم، يريد أن زيقاً ـ وقد كان نصرانياً ـ شرب كأس المهانة والذل من أيدينا والبيت من «المختار» وساقط من نسخ «الأغاني».

(٥) المقانب: جمع مقنب، وهو جماعة الخيل والبيت من «المختار» ساقط من «الأغاني».

(٦) مشت: أخصبت، سبالها: سنابل زرعها، مروت: جمع مرت، وهو القفز لا نبات به، وقد تضاربت الأصول في ألفاظ هذا البيت كل تضارب، وهذا ما اخترناه منها.

(٧) هذا البيت من هد ويقصد بسائق الأغنام جريراً نفسه.

(٨) القعساء: من قعس الفرس إذا اطمأنت صهوته، وارتفعت قطاته، والأبيات الثلاثة مسوقة سياق التهكم، يقول: تقول كليب قبيلة جرير الراعي ابن الراعية إذا رأته سائقاً فرسه: هل تريد أن تخطب من آل بسطام؟.

(٩) شم الذرى والغوارب: عالية الأسنمة والظهور.

(١٠) تكملة من «المختار»، هد.

(١١) يشير بقوله: يسار الكواعب إلى قصة رجل يحمل هذا الاسم، كان عبداً لسيدة من بني غدانة، فطمع فيها، وطلب يدها، فردته مراراً، فجعل يلح عليها، فتظاهرت بالقبول، وقالت: حتى أجمرك، ثم استحضرت مجمرة وأخفت في ثيابها مدية حادة، وجعلت تجمره، ثم مدت يدها إلى قضيبه، فظن أنها تداعبه، ولكنها أخرجت المدية من ثيابها، واستأصلته فجعل يصيح: «مرحباً بمجامر الكرام» فذهبت مثلاً.

ولو تنكِحُ الشّمسُ النجومَ بناتِها ... نكحنا بناتِ الشمس قبلَ الكواكبِ

[٣٠٠/٢١] / [١] وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجرير حول زواج بنت زيق، قال جرير أبياته التي أولها:

يا زيقُ أنكحتَ قَيناً في استه حَمَمٌ ... يا زيقُ ويْحَك من أنكحتَ يا زيق[٢]

أين الألى أنزلوا النعمان ضاحيةً ... أم أين أبناءُ شيبانَ الغرانيقِ؟[٣]

يا رُبّ قائلةٍ بعد البناء بها: ... لا الصهرُ راضٍ ولا ابنُ القينِ معشوقُ

غاب المثنّى فلم يشهد نَجيَّكُما ... والحوفزَانُ ولم يشهدْكَ مفروقُ[٤]

والفرزدق يقول لجرير:

إن كان أنفُك قد أعياك مَحمِلُه ... فاركب أتانك ثم اخطُب إلى زِيق [١]

خبران عن ولديه:

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن زكريا بن ثباة الثقفي[٥] قال:

أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه، فلما انتهى إلى قوله:

بِفِي الشّامِتِين الصَّخرُ إن كان مسّني ... رزيّةُ شِبْلِ مُخْدِرٍ في الضّراغمِ[٦]

[٣٠١/٢١] [/ فلما فرغ][٧] / قال: يا أبا يحيى، أرأيت ابني؟ قلت: لا، قال: والله ما كان يساوي عباءته.

١٣/١٩

بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة:

قال إسحاق: حدثني أبو محمد العبديّ، عن اليربوعيّ، عن أبي نصر قال: قدم لبطةُ بن الفرزدق الحيرة، فمر بقوم من بني تغلب فاستَقْراهم فَقَرَوْه، ثم قالوا له: من أنت؟ قال: ابن شاعركم ومَادِحكم، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم:

أضحى لتغلبَ من تميمٍ شاعِرٌ ... يرمي الأعاديَ بالقريض الأثقل

(١ ـ ١) ساقط من «الأغاني» وأثبتناه من «المختار».

(٢) القين: الحداد، ويطلق على كل صانع، وكانت العرب تعتبر ذلك مهانة، والحمم: الفحم وكل ما بقي من آثار الاحتراق، كأنه يرمي الفرزدق بسواد استه، ورواية ابن سلام تفيد أن البيت ملفق من بيتين هما:

يا زيق قد كنت من شيبان في حسب ... يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق!

أنكحت ويحك قينا باسته حمم ... يا زيق ويحك هل بارت بك السوق!

(٣) يريد أن قومه من شيبان قهروا النعمان بن المنذر، والغرانيق جمع غرنوق: الشاب الممتلىء الناعم وفي رواية: «استنزلوا النعمان مقتسراً» بدل «أنزلوا النعمان ضاحية»، ويلاحظ أن الفرزدق هنا يشيد بزيق وقومه، بعد ما هبط بهم إلى الحضيض في قوله: «حوينا أبا زيق وزيقا وأمه . . . إلخ ما تقدم».

(٤) يعدد في هذا البيت أقطاب شيبان ـ والمثنى: هو المثنى بن حارثة بطل الحروب الفارسية في عهد أبي بكر، والحوفزان، هو الحارث بن شريك بن الصلب، ومفروق: هو النعمان بن عمرو الأصم.

(٥) في هد: «زكريا بن هشام الثقفي».

(٦) بفي: بفم، وهو خبر مقدم عن الصخر، والجملة دعائية، مخدر: ملازم خدره، والخدر من معانيه مقر الأسد، يعني أنه لم يتأثر بموت ابنه هذا، ففيم يشمت الشامتون، ملأت الصخور أفواههم.

(٧) زيادة من الطبعة البولاقية.

إن غـاب كعـبُ بنـي جُعَيـلٍ عنهـم وتَنَمَّـر الشعـراء بعـد الأخطـل[١]

يتبـاشـرون بمـوتـه ووراءهـم مِنّـي لهـم قِطَـعُ العـذاب الْمُـرْسَـلِ

فقالوا له: فأنت ابن الفرزدق إذاً، قال: أنا هو، فتنادَوا: يا آل تغلب، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه، فجعلوا له مائة ناقة، وساقوها إليه، فانصرف بها.

عمرو بن عفراء يتحداه:

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلّام قال: أتى الفرزدق عبدَالله بن مُسلِم الباهِليّ فسأله فثَقُل عليه الكثير، وخَشِية في القليل، وعنده عمرو بن عِفراء الضَّبيُّ راوية الفرزدق وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله:

ونُبِّئـتُ جـوَّابـاً وسَلْمـاً يسبّنـي وعمرو بن عِفري. لا سلامٌ على عمرو[٢]

فقال ابنُ عفراءَ للباهِلِيّ: لا يهولنّك أمره، أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان هَمّ له به، فأعطاه ثلثمائة درهم، فقبلها الفرزدق ورضي عنه، فبلغه بعد ذلك صنيعُ عمرو فقال:

[٢١/٣٠٢] / ستعلـم يـا عمـرو بـن عفـري مَـن الـذي يُـلام إذا مـا الأمـر غَبَّـتْ عـواقبُـه[٣]

نهيـتُ ابـنَ عِفـرى أن يعفّـر أُمَّـه كعفْـر السَّـلا إذ جـرَّرَتْـه ثعـالبُـه[٤]

فلـو كنـت ضَبِّيـا صفحـتُ ولـو سَـرتْ علـى قَـدَمِـي حيّـاتُـه وعقـاربُـه[٥]

ولكـنْ دِيـافِـيٌّ أبـوه وأُمّـه بحـوْران يعصِـرْن السليـط أقـاربُـه[٦]

ولمـا رأى الـدّهنـا رمتـه جبـالُهـا وقـالـت دِيـافـيٌّ مـع الشـام جـانبـه[٧]

فـإن تغضـب الـدهنـا عليـك فمـا بهـا طـريـقٌ لمـرتـاد تُقـاد رَكـائبُـه[٨]

تضِـنُّ بمـال البـاهلـيّ كـأنمـا تضِـنُّ علـى المـال الـذي أنـت كـاسِبُـه

وإنّ امـرأً يَغْتـابُنـي لـم أطـأْ لَـه حَـرِيمـا ولا يَنهـاه عنِّـي أقـارِبُـه[٩]

كمحتَطِـبٍ يـومـا أسـاودَ هَضْبـة أتـاه بهـا فـي ظلمـة الليـل حـاطبُـه[١٠]

أحيـنَ التقـى نـابـاي وابيـضّ مِسْحَلـي وأطـرق إطـراق الكـرى مـن يُجـانِبـه[١١]

(١) كعب بني جميل والأخطل: شاعران تغلبيان، يقصد أنه المنافح عنهم بعد موت هذين الشاعرين.
(٢) في «الديوان»: «وسكنا يسبني» وفي «المختار» «وشيكاً يسبني».
(٣) غبت عواقبه: بلغ مداه.
(٤) تكملة من هد، والسلا: غشاء يحيط بالجنين عند ولادته.
(٥) يريد أنه لو كان ضبيًا لاغتفر له الإساءة مهما تعظم.
(٦) دياف: بلد بالشام، السليط: ما يستخرج من الحبوب من الزيوت، وقد جرى في قوله «يعصرن» على لغة أكلوني البراغيث.
(٧) الدهنا: مقصور الدهناء: موضع لبني تميم.
(٨) في هد، هج «الزيات» بدل «المرتاد».
(٩) في «المختار» «يعتابني» أي يعيبني. وفي ف: «تجاربه» بدل: «أقاربه».
(١٠) الأساود: جمع أسود، وهو الحية العظيمة.
(١١) المسحل: جانب اللحية، يقول: أيسبني حين التقى ناباي، وشابت لحيتي، ونام عدوي بعد أن كان يجفوه النوم، وفي هد، هج: «من أحاربه» بدل من «يجانبه».

فقال ابن عفراء، وأتاه في نادي قومه: أجهَد جهدك، هل هو إلا أن تسبني، والله لا أدع لك مساءة إلا أتيتُها، ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبتُه ولا تنهاني عن شيء إلا ركبتُه، قال: فاشهدوا أني أنهاه أن ينيك أُمه، فضحك القوم وخجل ابن عِفْري.

يتطفل فيجاز:

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا شعيب بن صخر قال:

[٢١/٣٠٣] / تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العَدَوي من بَلْعَدَوية، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابن أبي شيخ الفُقَيميّ، فألقى الفرزدق عنده، فقال له: يا أبا فراس، انهض، قال: إنه لم يدعني، قال: إن ابن ذبيان يُؤْتَى وإن لم يَدْعُ، ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتياه، فقال الفرزدق حين دخل:

كم قال لي ابنُ أبي شيخ وقلت له: كيف السَّبيلُ إلى معروف ذُبيان

١٤/١٩ / إنّ القلوصَ إذا ألقت جآجئها قُدامَ بابك لم نرحل بحِرمان[١]

قال: أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده، وأعطاه ثلثمائة دِرْهم.

يريد أن يتحدى الناس الموت:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: حدثني أبو بكر المدنيّ قال:

دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موتَ طلحةَ بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهريّ ـ وكان سيداً سَخِيًا شريفاً ـ فقال: يا أهل المدينة، أنتم أذل قوم لله، قالوا: وما ذاك يا أبا فراس؟ قال: غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه[٢] منكم.

يعطي عروضاًبدل النقد:

وأتى مكة، فأتى عمرو بن عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحيّ ـ وهو سيد أهل مكة يومئذ ـ وليس عنده نقد حاضر، وهو يتوقع أعطيته وأعطية ولده وأهله، فقال: والله يا أبا فراس، ما وافقت عندنا نقداً، ولكن عُروضاً[٣] إن شئت، فعندنا رقيق فُرْهَةٌ[٤]، فإن شئت أخذتهم، قال: نعم، فأرسل له بوُصَفاء من بنيه وبني أخيه، فقال: هم لك عندنا حتى تشخص، وجاءَه العطاء، فأخبره الخبر وفداهم، فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبختر:

[٢١/٣٠٤] / تمشي تَبَخْتُر حولَ البيتِ منتخَباً لو كنتَ عمرَو بنَ عبدالله لم تَزِدِ[٥]

يحتج بشعره:

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا عامر بن أبي عامر ـ وهو صَالح بن رستم الخراز ـ قال: أخبرني أبو بكر الهذلي قال:

---

(١) الجاجىء: جمع جؤجؤ، وهو عظام الصدر، وإلقاء جآجىء الناقة كناية عن بروكها.
(٢) كأنه كان يريد من أهل المدينة أن يقاوموا الموت، وهذا من أبلغ الرثاء لطلحة بن عبد الرحمن.
(٣) العروض: جمع عرض ـ بفتح وسكون ـ وهو ما سوى النقد من المتاع.
(٤) يريد عبيداً وجواري حساناً.
(٥) تبختر: مضارع محذوف أحد التائين، والمقصود بالبيت أن عمرا هذا هو وحده الجدير بالتيه والخيلاء.

إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه، فجاء رجل، فقال: يا أبا سعيد: الرجل يقول: لا والله، بلى والله في كلامه، قال: لا يريد اليمين، فقال الفرزدق: أو ما سمعتَ ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كُلّ ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت:

ولســـتَ بمـــأخـــوذٍ بلغـــوٍ تقـــولـــه إذا لـــم تعمَّـــدْ عـــاقـــداتِ العـــزائـــم[1]

قال: فلم ينشب أن جاء رجل آخر، فقال: يا أبا سعيد. نكون في هذه المغازي فنُصبُ المرأة لها زوج، أفيحِلّ غِشيانُها وإن لَمْ يُطَلِّقها زوجها؟ فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلتُ في ذلك؟ قال الحسن: ما كُلّ ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت:

وذات حَليـــلٍ أنكحَتنـــا رِمـــاحُنـــا حـــلالاً لمـــن يَبْنـــي بهـــا لـــم تُطَلَّـــق[2]

يهجو إبليس:

قال أبو خليفة: أخبرني محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن جعفر قالا:

أتى الفرزدقُ الحسنَ[3]، فقال: إني هجوتُ إبليس فاسمع؟ قال لا حاجة لنا بما تقول، قال: لَتسمعنّ أو لأخرجنّ، فأقول للناس: إن الحسن يَنْهَى عن هجاء إبليس، قال: اسكت فإنك بلسانه تنطق.

/ الحسن يتمثل بالشعر: [٢١/٣٠٥]

قال محمد بن سلام: أخبرني سلام أبو المنذر، عن علي بن زيد قال: ما سمعت الحسن متمثلاً شعراً قط إلا بيْتاً واحداً وهو قوله:

المـــوتُ بـــابٌ وكُـــلُّ النـــاسِ داخلُـــه فليـــتَ شعـــريَ بعـــد البـــاب مـــا الـــدّار؟

قال: وقال لي يوماً: ما تقول في قول الشاعر:

لـــولا جـــريـــرٌ هلكـــتْ بَجيلـــةْ نِعْـــمَ الفتـــى وبِئْســـتِ القبيلـــةْ

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه وهجا قومه، قال: ما مُدِحَ مَنْ هُجِيَ قومُه.

وقال جرير بن حازم: / ولم أسمعه ذكر شِعراً قط إلا: ١٥/١٩

ليـــس مَـــنْ مـــات فـــاستـــراح بِمَيْـــتٍ إنمـــا الميْـــتُ ميِّـــتُ الأحيـــاء

هل ينقض الشعر الوضوء:

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبِّر: أيُتَوَضَّأُ[4] من الشعر؟ فانصرف بوجهه إليه فقال:

ألا أَصبحـــتْ عِـــرسُ الفـــرزدق نـــاشِـــزاً ولـــو رضِيـــتْ رُمـــحَ استـــه لاستَقَـــرَّت

---

(١) يريد أن بيته يتطابق مع قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾.
(٢) ذات: مفعول مقدم لأنكحتنا، ويريد أن سبايا الحرب إماء يحل الاستمتاع بهن.
(٣) يريد الحسن البصري.
(٤) يقصد: هل يعتبر الشعر من نواقض الوضوء؟ وقد أجابه ابن سيرين عملاً لا قولاً، إذ نطق ببيت الفرزدق الفاحش، ثم كبر.

ثم كبر.

من أبياته السيارة:

قال ابنُ سلّام: وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مُقلَّداً ـ والمُقَلَّدُ: المُغْنِي[1] المشهورُ الذي يضرب به المثل ـ من ذلك قوله:

فيـا عجبـاً حتـى كليـبٌ تسبنـي ... كـأنّ أبـاهـا نَهْشَـلٌ أو مُجـاشِـعُ[2]

وقولـه: [3] ليس الكرام بناحِليك أباهمُ ... حتـى يُـردَّ إلـى عطيـة نَهْشَـل[3]

[٢١/٣٠٦] / وقـولـه: وكنّـا إذا الجبّـار صَعَّـر خَـدّه ... ضـربنـاه حتـى تستقيـم الأخـادع[4]

وقولـه: وكنتَ كذئب السوء لما رأى دَمَا ... بصـاحبـه يـومـاً أحـال علـى الـدَّم[5]

وقـولـه: تُـرجِّي رُبيعٌ أن تجيء صغارُها ... بخيـر وقـد أعيـا رُبيعـاً كبـارُهـا

وقـولـه: أكلـتْ دوابـرهـا الإكـامُ فمشيهـا ... ممـا وَجِنَّ كمشيـة الإعيـاء[6]

وقـولـه: قـوارص تـأتيني وتحتقـرونهـا ... وقـد يمـلأُ القطـرُ الإنـاءَ فَيفعَـمُ

وقـولـه: أحـلاَمُنـا تـزن الجبـالَ رَزانـةً ... وتخـالنـا جِنـاً إذا مـا نجهـل[7].

وقـولـه[8] وإنـك إذ تسعـى لتـدرك دارمـا ... لأنـت المُعَنَّـى يـا جـريـر المُكَلَّـف[8]

وقـولـه: فـإن تنْجُ مني تنج من ذي عَظيمةٍ ... وإلا فـإنّـي لا إخـالـك نـاجيـا

وقـولـه: تـرى كـل مظلـوم إلينـا فِـرارُه ... ويهـرُبُ منـا جهـدَه كُـلُّ ظـالـم

وقوله:

تـرى النـاس مـاسِرْنـا يسيـرون حـولَنـا ... وإن نحـن أومـأنـا إلـى النّـاس وقّفـوا

وقـولـه: فسَيف بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نَبـا بيَـدَيْ وَرْقـاءَ عـن رأس خـالـد[9]

كـذاك سيـوف الهنـد تنبـو ظبـاتهـا ... ويقطعـن أحيـانـاً مَنـاط القَـلائـد

---

(١) في هد، هج؛ والمقلد: «البيت المستغني» بدل «المغني».

(٢) كليب: قبيلة جرير، نهشل ومجاشع: من أجداد الفرزدق.

(٣ ـ٣) تكملة من هد، هج. وعطية: أبو جرير، يقول: لن تعد من الكرام إلا إذا ثبت أن جدي نهشلا من صلب عطية أبيك، وفي بعض النسخ «تعتل» بمعنى تجر جراً عنيفاً بدل «نهشل» وهو تحريف.

(٤) صعر خده: أماله تكبراً، الأخادع: جمع أخدع، وهو أحد عرقين في جانب العنق.

(٥) أحال على الدم: أقبل عليه، ويضرب هذا البيت مثلاً لمن إن نزلت بصاحبه مصيبة استغلها لمصلحته بدل أن يفرجها عنه.

(٦) دوابر: جمع دابرة، وهي العرقوب، والآكام: جمع أكمة، وجنن، من الوجا، وهو رقة الحافر أو الخف من كثرة المشي، والبيت وصف للناقة يضمرها السير وفي هد، هج، «كمشية الأطفال».

(٧) في هج «والمختار» بدل المصراع الثاني: «ويزيد جاهلنا على الجهال» والمثبت في «الديوان» ٧١٧ وما جاء في هج «والمختار» من قصيدة أخرى في «الديوان»: ٧٣٠.

(٨ ـ٨) التكملة من هج، هد. ف.

(٩) يشير إلى مقتل زهير بن جذيمة حين أمسك به خالد غريمه فحاول ورقة بن زهير إنقاذ أبيه، فضرب خالداً، فنبا سيفه، وضرب أحد أنصار خالد زهيراً ففلق رأسه.

/ وكان يُداخل الكلام، وكان ذلك يُعجب[1] أصحابَ النحو، من ذلك قَولُه يمدح هِشامَ بنَ إسماعيل [٣٠٧/٢١] المخزوميّ خالَ هشام بن عبد الملك:

وأصبحَ ما في الناس إلا مُمَلَّكاً ... أبو أمه حَيٌّ أبوه يُقاربه[2]

وقوله: تاللهِ قد سَفِهَتْ أُميّةُ رأيَها ... فاستجهلت سُفهاؤها حلماءَها[3]

وقوله: ألستم عائجين بنا لعنّا ... نرى العَرصاتِ أو أثَرَ الخيامِ[4]

فقالوا: إن فعلتَ فأغنِ عنا ... دُموعاً غيرَ راقئةِ السِّجامِ[5].

وقوله: فهل أنتَ إن ماتت أتانُكَ راحِلٌ ... إلى آلِ بِسطامِ بنِ قيسٍ فخاطبُ[6]

وقوله: فَنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم دُلَّهم ... على دارميّ بين ليلى وغالبِ[7]

وقوله: تعالَ فإن عاهدتني لا تخونُني ... نكنْ مثلَ مَنْ ـ يا ذئبُ ـ يَصْطحبانِ[8]

/ وقوله: إنا وإياكَ إن بلّغنَ أرحُلَنا ... كمَنْ بِواديه بعد المَحْلِ مَمْطورُ[9] [٣٠٨/٢١]

وقوله: بني الفارقِ أمّك وابنِ أروى ... به عثمانَ مروانَ المصابا[10].

/ وقوله: إلى مَلِكٍ ما أمُّه من مُحاربٍ ... أبوه ولا كانت كليبٍ تصاهِرُه[11] ١٦/١٩

وقوله: إليكَ أميرَ المؤمنين رمَتْ بنا ... همومُ المنى والهَوْجَلُ المتعسِّفُ[12]

وعضّ زمانٌ يا بنَ مروانَ لم يدعْ ... من المالِ إلا مُسحتاً أو مُجلَّفُ[13]

---

(١) لا نعتقد أن هذا التداخل كان يعجب النحاة وإنما كانوا يستشهدون به، أما علماء البلاغة فيستشهدون بهذا التداخل على التعقيد اللفظي الذي ينافي الفصاحة.

(٢) أصل تركيب البيت «وأصبح ما في الناس حي يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه» هاء يقاربه تعود على خال هشام بن عبد الملك وهاء أمه تعود على هشام بن عبد الملك، وهاء «أبوه» تعود على خال هشام، أي لا حي يشابه خال الملك إلا الملك الذي جده أبو خاله. وفي رواية: «وما مثله» بدل «وأصبح» والبيت على تعقيده تافه المعنى، ولو قال:

وأصبح ما في الناس إلا مملكاً ... أبو أمه أبوه حي يقاربه

لكان أقل تعقيداً مع استقامة الوزن.

(٣) سفه رأيه: حمله على السفه.

(٤) لعنا، أصلها «لعلنا» وهذا هو موضع الشاهد.

(٥) غير راقئة السجام: «دائمة الهملان».

(٦) وفي رواية «فاتت» بدل «ماتت» والبيت متعلق بالمساجلة التي دارت بينه وبين جرير بشأن حدراء، وقد تقدم ذكرها، وإن لم يرد فيها هذا البيت.

(٧) تقدم هذا البيت في المساجلة المشار إليها برواية أخرى، والأولى أصح.

(٨) الخطاب للذئب، والمداخلة هنا هي فصله بين الموصول «من» وصلته «يصطحبان» بالنداء.

(٩) ضمير «إياك» للممدوح، «ونون بلغن» للرواحل، ممطور: خبر مبتدأ محذوف، تقديره هو، يعني إذا بلغناك كنا كمن أمطر واديه بعد الجدب.

(١٠) في بعض النسخ «نما» بدل «بني» وفي بعضها «فما» والذي نختاره على ما فيه من معاظلة هو رواية «الديوان»:

هو السيف الذي نصر ابن أروى ... به عثمان مروان المصابا

على أن يكون «مروان» بدلاً من ابن أروى، و «عثمان» مفعولاً به، و «المصابا» صفته.

(١١) لعل تركيب البيت السليم إلى ملك أبوه محارب، ما أمه من كليب ولا كانت تصاهره، وليس بعد ذلك تعسف.

(١٢ ـ ١٣) الهوجل المتعسف: الدليل المتعسف، المسحت: الكسب الخبيث، المجلف: الموقع صاحبه في الجدب، وفي البيتين إقواء.

وقوله: ولقد دنت لك بالتخلّف إذْ دنَت ... منها بـلا بَخَـل ولا مبـذولِ[1]

وكأنّ لـونَ رُضابِ فيها إذ بـدا ... بَـرَدٌ بفـرع بَشـامـةٍ مصْقـولُ[2]

وقوله فيها لمالك بن المنذر:

إنّ ابـن ضبّـاري ربيعـةَ مـالِكـاً ... للّـه سيـف صنيعـةٍ مَسْلـولُ[3]

مـا نـال مـن آل المُعلّـى قبلَـه ... سيـفٌ لكـل خليفـة ورسُـولُ[4]

[٣٠٩/٢١] / مـا مـن يـدي رَجُـلٍ أحـقُّ بمـا أتـى ... مـن مكـرمـات عطـايـة الأخطارِ[5]

مـن راحتيـن يـزيـدُ يقـدح زنـدَه ... كفّـاهمـا ويشـدّ عقـد جـوار[6]

وقوله: إذا جئتَه أعطاك عفواً ولم يكن ... على مالـه حـال النـدى منـك سـائلـه[7]

لـدى ملـك لا تنصـف النعـلُ سـاقَـه ... أجـل لا، وإن كـانـت طُـوالا حمـائلـه[8]

وقوله: والشيب يَنْهَضُ في الشباب كأنه ... ليـل يسيـر بجـانبيـه نهـار

لا يكذب في مدحه:

قال أبو خليفة: أخبرنا محمد بن سلام قال: حدثني شعيب بن صخر، عن محمد بن زياد، وأخبرني به الجوهري وجَحْظة عن ابن شَبّة، عن محمد بن سلام، وكان محمد في زمام الحجاج زماناً قال:

انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالرَّدَم [9]. وهو قائم والناس حوله [9] ينشد مديح سليمان بن عبد الملك:

وكـم أطلقـتْ كفـاك مـن غـلّ بـائـس ... ومـن عُقـدةٍ مـا كـان يُـرجَـى انحـلالُهـا

كثيـراً مـن الأيـدي التـي قـد تكتّفَـتْ ... فَكَكْـتَ وأعنـاقـاً عليهـا غِـلالهـا[10]

قال: قلت: أنا والله أحدُهم، فأخذ بيدي وقال: أيها الناس سلوه عما أقول والله ما كذبت قط.

[٣١٠/٢١] / يأبى حين يريد:

أخبرني جحظة قال: حدثني ابن شبة، عن محمد بن سلاّم فذكر مثلَه وقال فيه: والله ما كذبت قط ولا أكذب أبداً.

(١ ـ ٢) دنت، أي حبيبته، البشام: نوع من الشجر، والبيتان شاهد أيضاً على الإقواء.

(٣ ـ ٤) في هج «جباري» وفي أخرى «حباري»، وفي هد، هج، «ما زال» بدل «ما نال» «مالكاً» بدل من ابن، رسول في البيت الثاني عطف على سيف، فإن عطف على خليفة كان في البيت إقواء.

(٥ ـ ٦) يمدح رجلاً فيقول: لا يدين أحق بالمكرمات من يديه اللتين يستعين بهما يزيد ويشد بهما عقد جواره.

(٧) ف: «الردى» تحريف لكلمة «الندى» والمعنى إذا جئته أعطاك عفواً، ولم يكن منك سائل له عند العطاء.

(٨) لا تنصف النعل ساقه: لا تبلغ نصفها، كناية عن قصر النعل، وإن كانت طوالاً حمائله: كناية عن طول القامة، يريد أنه قصير النعل، لكيلا تعوقه عن الحركة، وإن كان طويل القامة، وقوله «أجل» تأكيد لمضمون الجملة، وقوله: «لا» تأكيد «للا» في المصراع الأول، وهذان البيتان وما قبلهما تكملة من هج، هد.

(٩ ـ ٩) التكملة من هد.

(١٠) كثيراً مفعول مقدم لفككت، والغلال: جمع غل، وهو الطوق وجاء في «اللسان»: جمع الغل أغلال لا يكسر على غير ذلك.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول:

كتب يزيدُ بن المهلب لما فتح جُرْجَان إلى أخيه مدركَة أو مروان: أحمل إليّ الفرزدق، فإذا شخص فأعط أهلَه كَذَا وكذا؛ ذكر عشرة آلاف درهم، فقال له الفرزدق: ادفعها إليّ، قال: اشخص وأدْفَعُها إلى أهلِك، فأبَى، وخرج وهو يقول:

دعــانـي إلـى جُـرجـانَ والـرّيُّ دونـه ... لآتِيَـــهُ إنّـــي إذاً لـــزءورُ[1]

لآتـــيَ مـــن آل المهَلـــب ثـــائـــراً ... بـأعـراضِهـم والـدّائـرات تـدُورُ[2]

سَـآبَـى وتَـأبـى لـي تميمٌ وربمـا ... أبَيْـتُ فلـم يقـدر علـيّ أميـر

لم يستطع أهله منعه:

قال أبو خليفة: قال ابن سلاّم:

وسمعت سلمة بنَ عَيّاش قال: حُبِسْت في السجن، فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالِكُ بن المنذر بن الجارود، فكان يريد أنْ يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية، ويجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر، فقال لي: مِمّن أنت؟ قلت: من قريش قال: كُلُّ أيْرِ حِمارٍ من قريش، من أيّهم أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام والله أذلة، جاورتُهم فكانوا شَرّ جيران، قلت: ألا أخبرك بأذَلّ منهم وألأم؟ قال: من؟ قلت: بنو مُجاشع، قال: ولم ويلك! قلت: أنت سيدهم وشاعرهم وابن سيدهم، جاءك شرطي مالك، حتى أدخلك السجن، لم يمنعوك. قال: قاتلك الله.

قال أبو خليفة: قال ابن سلاّم:

يهجو عمر بن هبيرة:

وكان مسلمة بن/ عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب فلبث بها غيرَ كثير، ثم عزله يزيد بن عبد الملك، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساءَ عَزْلَ مسلمة، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس: ١٧/١٩

/ ولـت بمسلمـةَ الـركـابُ مُـوَدِّعـاً ... فـارعَـيْ فـزارةُ لا هنَـاكِ المَـرْتَـعُ[3] [٢١/٣١١]

فسـد الـزمـانُ وبُـدِّلـت أعـلامُـه ... حتـى أميّـةُ عـن فـزارةَ تَنْـزِعُ[4]

ولقـد علمـتُ إذا فـزارةُ أُمِّـرت ... أن سـوف تطمـع فـي الإمـارة أشجـعُ[5]

وبحـقّ ربـك مـا لهـم ولمثلهـم ... فـي مثـل مـا نـالـت فَـزارةُ مطمـعُ[6]

عُـزِل ابـنُ بشـر وابـنُ عَمْـرو قبلَـه ... وأخـو هَـراةَ لمثلهـا يتـوقّـع

ابن بشر: عبد الملك بن بشر بن مروان، كان على البصرة، أمَّرَه عليها مسلمة. وابن عمرو: سعيد بن

---

(١) فاعل دعاني ضمير يزيد بن المهلب، الري: بلد معروف، ويكنى بذلك عن بعد الشقة، زءور: مبالغة من الزيارة.
(٢) في بعض النسخ «زائراً»، والمعنى دعوني لأمدحهم وأثأر لأعراضهم، وقد يعرضني ذلك للخطر مستقبلاً.
(٣) يشير إلى أن عمر بن هبيرة، من بني فزارة.
(٤) تنزع: تكف أذاها عنها وتجاملها.
(٥) أشجع: قبيلة خاملة لا شأن لها يقول: ما دامت فزارة وليت الإمارة فسوف تليها أحقر القبائل.
(٦) يعني أنه ما كان لأشجع ومثلها مطمع في الإمارة فأصبحوا الآن يطمعون فيها، وفي بعض النسخ «ولخلق مثلك».

حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط، وأخو هراة: عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص.

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة:

أمِيرَ المؤمنينَ وأنتَ عَفٌّ ... كريمٌ لستَ بالطَّبِعِ الحريصِ[١]

أوَلَّيْتَ العِراقَ ورافِدَيْهِ ... فزاريًّا أحَذَّ يدِ القَميصِ[٢]

ولم يكُ قبلها راعي مخاضٍ ... لتأمَنَه على وَرِكَيْ قَلُوصِ[٣]

تفنَّن بالعراق أبو المثنَّى ... وعَلَّم أهلَه أكْلَ الخَبِيصِ[٤]

[٣١٢/٢١] / وأنشدني له يُونُس:

جَهِّز فإنك ممتارٌ ومُبتعِثٌ ... إلى فزارة عِيْراً تحمل الكَمَرا[٥]

إنَّ الفزاريَّ لو يعمى فأطعَمَه ... أيرَ الحمارِ طبيبٌ أبرأ البَصَرَا

إن الفزاريّ لا يشفيه من قَرَمٍ ... أطايبُ العَيْرِ حتى ينهش الذَّكرا

يقول لمّا رأى ما في إنائهم: ... لله ضيفُ الفزاريين ما انْتَظَرَا[٦]

فلما قدم خالد بن عبدالله القسريّ والياً على ابن هبيرة حبسه في السجن، فنُقِب له سَرَبٌ، فخرج منه، فهرب إلى الشام، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه:

ولما رأيتَ الأرض قد سُدَّ ظهرُها ... ولم تَرَ إلا بطنَها لك مخرجا

دعوتَ الذي ناداه يونُسُ بعد ما ... ثوى في ثلاث مظلمات ففرّجا[٧]

فأصبحت تحت الأرض قد سِرْتَ ليلةً ... وما سارَ سَارٍ مثلها حين أدلجا

خرجتَ ولم تمنُنْ عليك شفاعةٌ ... سوى رَبِذِ التقريب من آل أعوجا[٨]

أغرّ من الحُوِّ اللهاميم إذ جرى ... جرى بكَ محبوكُ القرى غير أفحجا[٩]

جرى بك عُريان الحماتين ليلةً ... به عنك أرخى الله ما كان أشرجا[١٠]

---

(١) الطبع كحذر: «الدنيء اللئيم».

(٢) أحذ: مقطوع، يد القميص: كمه، يكنى بقطع الكم عن قطع اليد أو قصرها.

(٣) يريد أنه لم يكن يملك إبلاً، فكيف يؤتمن الآن على ورك ناقة.

(٤) أبو المثنى هو عمر بن هبيرة وفي رواية «تعتق» بدل «تفنن»، والمعنى ترفه وتنعم بعد جوع وشظف.

(٥) ممتار: طالب ميرة، عيراً: مفعول جهز، الكمر: جمع كمرة، وهي رأس القضيب.

(٦) فاعل يقول ضمير الطبيب، وقد يكون ضمير العير.

(٧) يشير إلى دعاء يونس ربه وهو في بطن الحوت.

(٨) ربذ التقريب: خفيف الجري، أعوج: حصان عتيق تنسب العرب إليه جياد الخيل، يقول له خرجت بلا شفاعة، ولم ينجدك إلا جواد كريم.

(٩) من الحو: من الجياد السمر الألوان، اللهاميم: جمع لهموم، وهو السريع العدو، القرى: الظهر، أفحج، من الفحج، وهو تداني صدور قدمي الفرس وتباعد عقبيه.

(١٠) الحماتان: لحمتان في ساقي الفرس، أشرج، من أشرج العيبة: أحكم شدها.

ومـا احتـال مُحتـالٌ كحيلتـه التـي بهـا نفسـه تحـت الصّـريمـة أولجـا[١]

/ وظَلماء تحت الأرض قد خُضت هولَها وليـلِ كلـون الطيْلَسـانـيّ أدْعجـا[٢] [٢١/٣١٣]

همـا ظُلْمتـا ليـل وأرض تـلاقتـا علـى جـامـع مـن هَمّـه مـا تعـوّجـا[٣]

يهجو خالد بن عبدالله القسري أيضاً:

/ فحدثني جابر بن جندل قال: فقيل لابن هبيرة: من سيد العراق؟ قال: الفرزدق هجاني أميراً ومدحني سوقة. ١٨/١٩

وقال الفرزدق لخالد القسري حين قدم العراق أميراً لهشام:

ألا قطـع الـرحمـن ظهـرَ مطِيَّـةٍ أتتنـا تمَطّـى مـن دمشـق بخـالـد[٤]

وكيـف يـؤمّ المسلميـن وأمُّـه تـديـن بـأنّ الله ليـس بـواحـد

بَنَـى بِيْعَـةً فيهـا الصَّليـبُ لأمّـه وهـدّم مـن كُفـرٍ مَنـارَ المسـاجـدِ

وقال أيضاً:

نـزلـت بجيلَـةُ واسطـاً فتمكّنـت ونفـتْ فـزارةَ عـن قـرار المنـزل[٥]

وقال أيضاً:

لعمـري لئـن كـانـت بجيلـةُ زانهـا جَـريـرٌ لقـد أخـزى بجيلَـةَ خـالـدُ

فلما قدم العِراقَ خالدٌ أميراً أمّر على شرطة البصرة مالكَ بن المنذر بن الجارود، وكان عبد الأعلى بن عبدالله بنُ عامر يَدّعِي على مالك قَرْية[٦]، فأبطلها خالد، وحفر النهر الذي سماه المباركَ، فاعترض عليه الفرزدق، فقال:

أهلكـتَ مـالَ الله فـي غيـر حقّـه علـى النَّهـر المشـؤوم غيـرِ المبـاركِ

وتَضـربُ أقـوامـا صِحـاحـاً ظهـورهـم وتتـركُ حـقَّ الله فـي ظَهْـرِ مـالـك[٧]

/ إنفـاقَ مـالِ الله فـي غيـر كُنهـه ومَنْعـاً لحَـقّ المـرمـلات الضـرائـك؟[٨] [٢١/٣١٤]

مهر حدراء ومصرعها:

أخبرني عبدالله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعيّ قال: قال أعْيَن بن لبطة:

دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستميحه مهرها، فقال له: تزوّجتُ أعرابيةً على مائة بعير، فقال

(١) الصريمة: القطعة من الليل أو القطعة من الرمل، يريد أنه أدخل نفسه في الليل، أو في منفذ رملي نقب له.
(٢) الطيلساني: فيه طلسة، وهي السواد، أدعج: شديد الظلمة.
(٣) يقول: إنه برغم ظلمتي السجن والليل عرف طريق الهرب، ولم يتعوج أو يضل. وفي ب: «تعرُّجاً» بالراء.
(٤) تمطى أصله تتمطى. وفي «المختار»: «أتتنا تخطى».
(٥) بجيلة: قبيلة خالد، وفي الأصل «فزار» وهو تصحيف «قرار».
(٦) قرية: اسم يطلق على عدة أماكن في العراق، والمراد أحدها.
(٧) يريد أنك تحدّ قوماً براء، وتترك مالكاً الذي وليته أميراً للشرطة، وهو أحق بأن يُحَدّ.
(٨) الاستفهام في البيت إنكاري. المرملات: من أرملت المرأة إذا فقدت زوجها، الضرائك: جمع ضريكة، وهي الفقيرة.

له عنبسة بن سعيد: إنما هي فرائض قيمتُها ألفا درهم، ـ الفريضة عشرون درهماً ـ فقال له الحجاج: ليس غيرَها، يا كعب، أعط الفرزدق ألفي درهم.

قال: وقدم الفُضيل العَنَزِيّ بصدقات بكر بن وائل، (١ فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان، قال الفرزدق: فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلّم، خرجت فوقفت في الدار فرآني، فقال مَهْيَمْ(٢)، فقلت: إن الفضيل العنزي قدم بصدقات بكر بن وائل١) ، وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم، ونسي ما كان أمر له به(٣)، قال: فلما جاءَ الفرزدق بالإبل قالت له النوار: خسرت صفقتك، أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة حمشاء(٤) الساقين على مائة من الإبل؟ فقال يُعرِّض بالنّوار وكانت أمها وليدة:

لَجَاريةٌ بين السّليلِ عروقُها ... وبين أبي الصّهباء من آل خالدِ(٥)

أحقُّ بإغلاءِ المهور من التي ... رَبَتْ تتردّى في حجور الولائدِ

[٢١/٣١٥] / فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها، فحبس بعضَها، وامتار(٦) عليه ما يحتاج إليه أهلُ البادية، ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير، قال أعين: فلما كان في أدنى الحي رأوا كبشاً مذبوحاً، فقال الفرزدق: يا أوفى، هلكت والله حدراء، قال: وما عِلمُك بذلك؟ قال: ويقال: إن أوفى قال للفرزدق: يا أبا فراس لن ترى حدراء، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق، وهو جالس، فرحب به، وقال له: انزل فإن حدراءَ قد ماتت، وكان زيق نصرانياً فقال: قد عرفنا أن نصيبك / من ميراثها في دينكم النصف، وهو لك عندنا، فقال له الفرزدق: والله لا أرززك منه قطميراً، فقال زيق: يا بني دارم، ما صاهرنا أكرمَ منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات، فقال الفرزدق: ١٩/١٩

عَجِبت لحادينا المقحِّم سيرَه ... بنا مُوجعاتٍ من كَلالٍ وظُلَّعا(٧)

لِيُدنِيَنا ممن إلينا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أردنا لتجمعا

ولو نعلمُ الغيبَ الذي من أمامنا ... لكرّبنا الحادي المطيّ فأسرعا(٨)

يقولون: زُرْ حدراءَ والتُّربُ دونها ... وكيف بشيءٍ وصلُه قد تقطّعا

(١ ـ١) التكملة من هج.

(٢) مهيم: كلمة استفهام بمعنى ما شأنك؟.

(٣) يعني الدراهم الألفين التي أمر عنبسة بإعطائه إياها.

(٤) خمشاء الساقين: مجرحتهما مشوهتهما.

(٥) السليل وأبو الصهباء: من أجداد حدراء.

(٦) أمتار: طلب الميرة، وهي الطعام يجمع للسفر ونحوه.

(٧) المقحم من قحم ـ بالتشديد ـ الفرس الراكب، دخل به في أرض مخوفة، موجعات: مفعول مقحم، ظلعاً: معطوف على موجعات، جمع ظالع بمعنى أعرج، والمعنى عجبت لحادينا الذي يسوق إبلنا الكليلة في أرض مخوفة وفي بعض النسخ «المقسم سيره» بدل «المقحم سيره» وفي بعضها «والمختار»: «مزحفات» بدل «موجعات» من أزحف البعير: أعيا وكل.

(٨) يريد لو نعلم بوفاة حدراء لعدنا أدراجنا مسرعين.

(١ يقول ابن خِنزير: بكيت ولم تكن ... على امرأة عيني إخال لتدمعا
وأهونُ رزء لامرىءٍ غير جازعٍ ... رزيئةُ مرتجِ الروادف أفرعا(١)
ولستُ ـ وإن عزَّت ـ عليّ بزائرٍ ... تُرابا على مرموسةٍ قد تضعضعا(٢)

/ (٣ وقيل إن النَّوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتُماضر، وأم هاشم أخت تُماضرَ؛ لأن تُماضرَ ماتت عند [٣١٦/٢١] عبدالله بعد أن ولدت له خُبَيْباً وثابتاً ابنى عبدالله بن الزبير، وتزوّج بعدها أختها أم هاشم، فولدت له هاشماً وحمزة وعبّادا، وفي أم هاشم يقول الفرزدق:

تروّحتِ الرّكبانُ يا أمَّ هاشمٍ ... وهُنَّ مُناخاتٌ لهن حنينُ
وحُبِّسْنَ حتّى ليس فيهن نافقٌ ... لبيعٍ ولا مركوبُهُنّ سمينُ(٣)

زوجة أخرى تنشز منه:

أخبرنا عبدالله قال: حدثنا محمد بن حبيب قال: حدثني الأصمعيّ قال:

نشزت رُهَيمة بنت غنيّ بن درهم النَّمريّة بالفرزدق فطلّقها، وقال يهجوها بقوله:

لا ينكحنْ بعدي فتًى نَمرِيّةً ... مُرَمَّلةً من بعلها لبِعادِ(٤)
وبيضاءَ زَعراءِ المفارق شَخْتَةً ... مُولّعةً في خُضرة وسوادِ(٥)
لها بَشَرٌ شَثْنٌ كأنَّ مَضَمَّه ... إذا عانقت بَعْلاً مَضَمُّ قتادِ(٦)
قرنتُ بنفسي الشؤمَ في وِرد حوضها ... فجُرِّعتُه مِلحا بماء رمادِ
وما زلتُ ـ حتى فرّق الله بيننا ـ ... له الحمدُ ـ منها في أذىً وجهادِ
تُجدِّد لي ذكرى عذابِ جهنّمٍ ... ثلاثا تُمسِّيني بها وتغادي(٧)

/ **يبكي ولداً له من سفاح:** [٣١٧/٢١]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني الحسين(٨) بن موسى قال: قال المدائني: لقي الفرزدق جارية لبني نهشل، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً، فقالت له: مالك تنظر؟ فوالله لو كان لي ألف حِرٍ ما طمعتَ في واحد منها، قال: ولم يا لخناء(٩)؟ قالت: لأنك قبيح المنظر سيء المخبر فيما أرى، فقال: أمَا والله لو جربتني لعَفّى خُبري

(١ ـ ١) تكملة من «المختار».
(٢) مرموسة: ساكنة الرمس تضعضع: قل، يريد أن الريح سفت ما فوق قبرها من التراب فقل.
(٣ ـ٣) تكملة من «المختار». وضمير «هن» في البيت الأول يعود على الإبل المفهوم من المقام. والبيتان في شكوى الزمان وسوء الحال.
(٤) فتى: فاعل ينكحن، مرملة لبعاد: لم يمت عنها زوجها، ولكنه فارقها.
(٥) بيضاء: يريد بياض البرص لا بياض الجمال، زعراء المفارق: قليلة الشعر، شختة، نحيفة، وفي الأصل «شجنه» وهو تصحيف، مولعة في خضرة وسواد: تعالج برصها بمختلف الألوان.
(٦) لها بشر شثن: لها جلد خشن غليظ.
(٧) ثلاثا: لعله يعني ثلاث سنوات.
(٨) في هد، ف: «محمد بن موسى» بدل الحسين بن موسى.
(٩) اللخناء: القبيحة الكلام.

على منظري، قال: ثم كشف لها عن مثل ذراع البِكر، فتضبّعت[١] له عن مثل سنام البكر[٢] فعالجها، فقالت: أنكاح بنسيئة؟ هذا شر القضية، قال: ويحك، ما معي إلا جبتي، أفتسلبينني إياها ثم تسنّمها، فقال:

أولجـتُ فيهـا كـذِراع البَكـرِ ... مُـدملَـكَ الـرأس شـديـدَ الأسْـرِ[٣]

زاد علـى شِبْـرٍ ونصـفِ شِبْـرِ ... كـأنّنـي أولجتُـه فـي جَمـرِ

يُطيـرُ عنـه نَفَيـانَ الشَّعْـرِ ... نفـيَ شُعـورِ النـاسِ يَـوْمَ النحـرِ[٤]

قال: فحملتْ منه، ثم ماتت، فبكاها وبكى ولده منها.

وغمـدِ سـلاحٍ قـد رزئـتُ فلـم أنُـح ... عليـه ولـم أبعـث عليـه البـواكيـا

وفـي جَـوفـه مـن دارمٍ ذو حفيظـةٍ ... لـو أنّ المنـايـا أنسـأتـه لياليـا

ولكـنَّ ريـبَ الـدهـر يعْثُـر بـالفتـى ... فلـم يستطـع رَدًّا لمـا كـان جـائيـا[٥]

وكـم مثلـه فـي مثلِهـا قـد وضعتـه ... ومـا زلـت وثّـابـاً أجـرُّ المخـازيـا[٦]

[٢١/٣١٨] / فقال جرير يعيره:

و / كم لكَ يـا بـنَ القيْـنِ إنْ جـاء سـائـلٌ ... مـن ابـنِ قصيـر البـاع مثلُـك حـاملُـه[٧]

وآخـر لـم تشعُـر بـه قـد أضعتَـه ... وأوردتـه رِحمـاً كثيـراً غـوائلُـه[٨]

يتزوج ظبية فيعجز عن إتيانها:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثني محمد بن سليمان الكوفي[٩] عن أبيه قال:

تزوج الفرزدقُ ظبية ابنة حالم من بني مُجاشِع بعد أن أسنّ، فضعف، وتركها عند أُمها بالبادية سنة، ولم يكن صداقها عنده، فكتب إلى أبان بن الوليد البَجَليّ ـ وهو على فارس عامل لخالد بن عبدالله القسْريّ ـ فأعطاه ما سأل وأرضاه، فقال يمدحه:

فلـو جمعـوا مـن الخِـلّانِ ألفـا ... فقـالـوا: أعطِنـا بهـمُ أبـانـا

لقلـتُ لهـم: إذاً لغبنتمـونـي ... وكيـف أبيـع مـن شـرَط الـزمـانـا[١٠]

(١) تضبعت: تكشفت.
(٢) في هد: عن مثل سنام «الناب» بدل «البكر».
(٣) مدملك الرأس: رأسه كالثدي الناهد، شديد الأسر: قوي محكم.
(٤) نفيان الشعر: ما طار منه: يريد أنه يطير شعر العانة كما يطير الشعر من رؤوس الحجاج، أو من جلود الأضاحي.
(٥) في هد «والمختار» «ولا يستطيع رد ما كان جائياً».
(٦) ضمير مثله يعود على ولده، وضمير مثلها يعود على جارية بني نهشل.
(٧) إن جاء سائل: إن جاء من يسأل عن ذريتك، حاملة: كذا بالأصل، وترجح أنها خاملة: من الخمول، أي خامل الباع وعليه يكون لفظ خامله صفة لابن تبعاً، للأصل لا لحركة حرف الجر الزائد.
(٨) في الأصل «جما» والصواب «رحما» وهو موضع تكون الجنين.
(٩) في هد: «علي بن سليمان المكيّ».
(١٠) في بعض النسخ: «ما تغبنوني» بدل «لغبنتموني» وفي بعضها «الضمانا» بدل «الزمانا»، وشرط الضمان: التزم به، والمراد المهر.

خليلٌ لا يرى المائةَ الصَّفايا ولا الخيلَ الجيادَ ولا القِيانا
عَطاءً دون أضعافٍ عليها ويُطعِمُ ضَيفَه العُبُطَ السِّمانا

العُبُط: الإبل التي لا وجع بها.

فما أرجو لظبيةَ غيرَ ربِّي وغيرَ أبي الوليد بما أعانا[1]
/ أعان بهجمةٍ أرضَتْ أباها وكانت عنده غَلَقاً رِهانا[2] [٢١/٣١٩]

وقال أيضاً في ذلك:

لقد طال ما استودعتُ ظبيةَ أمَّها وهذا زمانٌ رُدَّ فيه الودائعُ

وقال حين أراد أن يبني بها:

أبادر سُؤَّالا بظبيةَ أنني أتتني بها الأهوالُ من كل جانب[3]
بمائلةِ الحِجْلَين لو أنَّ ميِّتاً ولو كان في الأموات تحت النصائب[4]
دعته لألقى التُّربَ عند انتفاضه ـ ولو كان تحت الراسيات الرواسب ـ[5]

فلما ابتنى منها عجز عنها فقال:

يا لهفَ نفسي على نَعْظٍ فُجِعْتُ به حين التقى الرَّكَبُ المحلوقُ والرَّكَبُ[6]

وقال جرير:

وتقول ظبيةُ إذ رأتك محوقِلاً ـ حَوْقَ الحمار ـ من الخبال الخابلِ[7]
إنَّ البليَّة وهي كلُّ بليةٍ شيخٌ يُعَلِّل عِرسَه بالباطلِ
لو قد عَلِقتِ من المهاجر سُلَّماً لنجوتِ منه بالقضاء الفاصلِ[8]

/ قال: فنشزت فيه، ونافرته إلى المهاجر، وبلغه قولُ جرير فقال المهاجر: لو أتتني بالملائكة معها لقضيتُ [٢١/٣٢٠] للفرزدق عليها.

يشيد بابنته مكية وأمها الزنجية:

قال: وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية، وكانت زنجية، وكان إذا حَمِي الوطيسُ، وبلغ منه الهجاء يكتنى بها، ويقول:

---

(١) أبو الوليد كنية أبان وفي «المختار»: «وغير ابن الوليد».
(٢) الهجمة: عدد كبير من الإبل، يقال: غلق الرهن: استحق لمن هو عند- بعد مضي ميعاده، وهذا هو المراد بقوله: «وكانت عنده غلقاً رهاناً» يعني أنها كادت تكون من حق أبيها لا من حقه لعجزه عن مهرها.
(٣) لعله يريد بالأهوال ما كان فيه من العسر والعجز عن سداد المهر.
(٤) الحجل: الخلخال، ومائلة الحجلين: كناية عن امتلاء الساقين، النصائب: الأحجار تنصب حول الحوض.
(٥) المراد بالراسيات الرواسب الجبال.
(٦) الركب: العانة أو منبتها، أو أصل الفرج.
(٧) محوقلاً: من حوقل بمعنى ضعف وأعيا، حوق الحمار: منادى، وهو لقب للفرزدق.
(٨) المهاجر كان إذ ذاك ـ على ما يبدو ـ قاضياً أو والياً.

ذا كـــمْ إذاً مـــا كنـــتُ ذا محميَّـــةْ بـــدارمـــيٍّ أمُّـــه ضَبِّيَّـــةْ[١]

* صمحمـــح يُكْنَـــى أبـــا مكِّيـــة *

وقال في أمها:

٢١/١٩ / يا ربَّ خـــوْدٍ مـــن بنـــات الـــزّنـــج تحمـــل تنُّـــورًا شـــديـــدَ الـــوهْـــجِ[٢]

أقعـــبَ مثـــلَ القـــدَحِ الخَلَنـــج يـــزداد طيبـــاً عنـــد طـــول الهـــرجِ[٣]

* مَخْجْتُهـــا بـــالأيـــر أيَّ مخـــجِ[٤] *

فقالت له النوار: ريحُها مثل ريحك.

وقال في أم مكية يخاطب النّوارَ:

فـــإن يـــكُ خـــالهـــا مـــن آل كســـرى فكِســـرى كـــان خيـــراً مـــن عِقـــالِ

وأكثـــرَ جـــزيـــةً تُهـــدَى إليـــه وأصبـــرَ عنـــد مختلِـــف العـــوالـــي

[٢١/٣٢١] / قال: وكانت أم النّوار[٥] خراسانية، فقال لها في أم مكية:

أغـــزك منهـــا أُدْمَـــةٌ عـــربيّـــةٌ علـــت لـــونَهـــا إن البِجَـــادِيَّ أحمـــرُ[٦]

يمدح سعيداً فيغضب مروان:

حدثني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي قال: دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده:

تـــرى الغـــرّ الجحـــاجـــحَ مـــن قـــريـــش إذا مـــا الخطـــب فـــي الحـــدثـــان غـــالا[٧]

وُقُـــوفـــاً ينظـــرون إلـــى سعيـــد كـــأنهـــمُ يـــرون بـــه هـــلالا

وعنده كعب بن جُعيل، فلما فرغ من إنشاده قال كعب: هذه والله رؤياي البارحة، رأيت كأنّ ابن مُرَّة في نواحي المدينة وأنا أضم ذلاذلي[٨] خوفاً منه، فلما خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال: لم ترض أن تكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك:

(١) الأبيات من مشطور الرجز، وربما كان في البيت الأول منها لحن أو تحريف، والذي نراه فيها على وضعها هذا هو ما يلي، ذاكم: أذاك يحدث لي، إذا ما كنت ذا أعراض محمية بدارمي... إلخ، والصمحمح: القوي الشديد المجتمع الألواح، ويعني بالدرامي الذي أمه ضبيه نفسه.

(٢) الخود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق، تنوراً شديد الوهج، كناية عن حرها.

(٣) أقعب: شبيه بالقعب، وهو القدح الكبير، الخلنج: نوع من الشجر، الهرج: كثرة النكاح.

(٤) مخجتها: أتيتها.

(٥) لعل الصواب أن يقول: وكانت أم مكية خراسانية، حتى يستقيم الكلام مع البيتين السابقين، إلا إذا كان يعني أن كلتيهما من أم فارسية، أو أن أم النوار عربية من خراسان.

(٦) الأدمة: من الأديم، وهو الجلد الأحمر، البجادي: نوع مخطط من الأكسية العربية.

(٧) الجحاجح: جمع جحجاح، وهو السيد الكريم.

(٨) الذلاذل: أسافل القميص الطويل. وفي ب، ف: كأن ابن قترة.

قِيـامـاً ينظـرون إلـى سعيـد ... كـأنهـمُ يـرون بـه هِـلالا

فقال له: يا أبا عبد الملك إنك من بينهم صافن[1]، فحقد عليه مروان ذلك، ولم تطل الأيام حتى عُزِل سعيد، ووُلِّي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدّماً[2] حتى قال قصيدته التي قال فيها:

/ همـا دَلّتـانـي مـن ثمـانيـن قـامـةً ... كمـا انقـضَّ بـاز أقتمُ الـريش كـاسـرُهْ [٢١/٣٢٢]

فلمـا استـوت رجـلاي فـي الأرض قـالتـا ... أحَـيٌّ يُـرجَّـى أم قتيـلٌ نُحـاذره

فقلـت: ارفعـا الأمـراسَ لا يشعـروا بنـا ... وأقبلـتُ فـي أعقـاب ليـل أبـادره[3]

أبـادر بـوّابيـن لـم يشعـروا بنـا ... وأحمـرَ مـن سـاجٍ تلُـوح مسـامـره[4]

فقال له مروان: أتقول هذا بين أزواج رسول الله ﷺ، أخرج عن المدينة فذلك قول جرير:

تـدلَّيـتَ تـزنـي مـن ثمـانيـنَ قـامـةً ... وقَصَّـرت عـن بـاع النـدى والمكـارم[5]

أخبرنا[6] ابن دُرَيد، قال: أخبرنا الرياشي، عن محمد بن سلّام، قال:

رواية أخرى للخبر السابق:

دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد، وعليها سعيدُ بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميراً من قبل معاوية، فدخل على سعيد، ومَثَلَ بين يديه، وهو معتم[7]، وفي مجلس سعيد الحُطيئةُ وكعب بن جُعَيل التغلبي، وصاح الفرزدق: أصلح الله الأمير، أنا عائذ بالله وبك، أنا رجل من تميم، ثم أحَد بني دارم، أنا الفرزدق بن غالب، قال: فأطرق سعيدٌ مليّاً، فلم يجبه، فقال الفرزدق: رجل لم يصب دماً حراماً، ولا مالاً حراماً، فقال سعيد: إن كنت كذلك فقد أمنت، فأنشده:

/ إليـك فـررتُ مِنـك ومـن زيـادٍ ... ولـم أحسـب دمـي لكمـا حَـلالا[8] [٢١/٣٢٣]

ولكنّـي هجـوتُ وقـد هجـانـي ... معـاشـرُ قـد رضخْـتُ لهـم سِجـالا[9]

فـإن يكـن الهجـاء أحـلَّ قتلـي ... فقـد قلنـا لشـاعـرهـم وقـالا

---

(١) صفن الرجل: صف قدميه، كأنه يريد أن يقول له: إنك من بينهم لست واقفاً فحسب، بل حسن الوقوف منتصب القامة، بدليل غضبه عليه.

(٢) لم يجد على الفرزدق متقدماً، أي سبباً يستقدم من أجله ليحاكم، وفي بعض الأصول «مقدماً» بدل «متقدماً».

(٣) الأمراس: الحبال، وقد جاء في ب بدل هذا البيت وما بعده.

فقلـت ارفعـوا الأسبـاب لا يشعـروا بنـا ... وأحمـر مـن سـاج تلـوح مسـامـره

والتصويب من هد «والمختار».

(٤) وأحمر من ساج: يريد الباب.

(٥) في هد: «وقصرت عن باع العلا والمكارم».

(٦) هذا الخبر ـ على طوله ـ ساقط من الأصول، ولكنه مثبت عند ابن سلام، «والمختار» حـ ٨ ص ١١٥ وما بعدها.

(٧) كذا في «المختار»، وعند ابن سلام: «وهو معهم».

(٨) كذا في «المختار»، وفي الأصول: ضلالاً.

(٩) رضخت لهم، من قولهم: رضخت التيوس إذا أخذت في النطاح، أي أخذت أساجلهم النطاح.

أرِقْـتُ فلـم أنـم ليـلاً طـويـلا أراقـب هـل أرى النَّسـريـنِ زالا[١]

عليـك بنـي أميـة فـاستجـرهـم وخـذ منهـم لمـا تخشـى حِبـالا

فـإنّ بنـي أميـة فـي قـريـش بَنَـوْا لبيـوتهـم عَمَـداً طـوالا

تـرى الغـرَّ الجحـاجـح مـن قـريـش إذا مـا الأمـر فـي الحـدثـان غـالا

قيـامـا ينظـرون إلـى سعيـد كـأنهـمُ يـرون بـه هـلالا

قال: فلما قال هذا البيت، قال الحطيئة لسعيد: هذا والله الشعر، لا ما كنت تَعَلَّلُ به منذ اليوم، فقال كعب بن جعيل: فضلته على نفسك[٢]، فلا تفضله على غيرك، قال: بلى والله إنه ليفضلني وغيري، يا غلام، أدركت مَنْ قَبلك، وسبقت مَنْ بعدك، ولئن طال عمرك لتبرُزَنَّ.

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق، فقال: يا غلام، أَنْجَدَتْ أُمُّك؟ قال: لا بل أبي، أراد الحطيئة: إن كانت أمك أنجدت فقد أصبتُها فولدتك إذ شابهتني في الشعر، فقال الفرزدق: لا بل أبي[٣]، فوجده لَقِنا.

بينه وبين مخنث:

أخبرني ابن دريد قال: قال لنا أبو حاتم: قال الأصمعي:

[٢١/٣٢٤] / ومن عبثات الفرزدق أنه لقي مُخَنَّثا فقال له: من أين راحت عمتنا؟ فقال له المخنث: نفاها الأغر بن عبد العزيز يريد قول جرير:

نفـاك الأغـرّ ابـن عبـد العـزيـز وحقُّـك تُنْفَـى مـن المسجِـدِ

جرير يعترف له بالغلبة:

أخبرنا ابن دريد عن الرياشيّ، عن النضر بن شميل قال: قال جرير:

ما قال لي ابن القين بيتاً إلا وقد اكتفأته، أي قلبته إلا قوله:

ليـس الكِـرامُ بنـاحليـك أبـاهـم حتـى يـرد إلـى عطيـة تعتـل[٤]

٢٢/١٩ / فإني لا أدري كيف أقول فيها.

جرير يلقبه بالعزيز:

وأخبرني ابن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبيّ، عن عَوانة بن الحكم، قال:

بينما جرير واقف في المِربد وقد ركبه الناس وعمر بن لجأ مواقفه[٥] فأنشده عمر جواب قوله:

(١) النسرين: كوكبان.
(٢) إنما فضله الحطيئة على نفسه لقوله لسعيد: هذا هو الشعر، لا ما كنت تعلل به منذ اليوم، أي لا ما كنت تتساقاه في هذا اليوم، وكان بين ما روى في هذا اليوم من الشعر شعر الحطيئة نفسه، ومن هنا جاء التفضيل.
(٣) يريد الفرزدق أن أباه هو الذي أنجد، فوقع على أم الحطيئة فجاء به شبيهاً له في الشعر.
(٤) وهذا البيت في خبر سابق في الترجمة نفسها.
(٥) ب: «مواقفه».

يــا تَيْـمُ تَيْـمَ عـديٍّ لا أبـا لكـم لا يقـذفنّكـم فـي سَـوأةٍ عمـرُ
أحيـن صـرْتُ سِمـامـاً يـا بنـي لجـأٍ وخـاطـرَتْ بـيَ عـن أحسـابهـا مُضـرُ[1]

فقال عمر جواب هذا:

لقـد كـذبـتَ وشـرُّ القـولِ أكـذبُـهُ مـا خـاطـرَتْ بـك عـن أحسـابهـا مُضَـر
ألَسْـتَ نَـزْوَةَ خـوّارٍ علـى أمـةٍ؟ لا يسبـق الحلبـاتِ اللـؤمُ والخـورُ[2]

/ وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة، فقال جرير لما سمعها: قبحاً لك يا بن لجأ، أهذا [٢١/٣٢٥] شعرك، كذبت والله ولو مِتَّ[3]، هذا شعر حنظلي، هذا شعر العزيز[4] يعني الفرزدق فأبلس عمر فما ردّ جواباً.

يلقب جريراً بالقرم:

وخرج غنيم بن أبي الرّقراق حتى أتى الفرزدقَ، فضحك، وقال: إيه يا بن أبي الرقراق، وإن عندك لخبراً، قلت: خُزيَ أخوك ابن قتب، فحدثته، فضحك، حتى فحص برجليه، ثم قال في ساعته:

ومـا أنـت إن قَـرْمـا تَميـم تسـاميـا أخـا التّيـم إلا كـالـوشِيظـة فـي العَظْـم[5]
فلـو كنـت مـولـى الظلـم أو فـي ثيـابـه ظلمـتَ ولكـن لا يَـدَيْ لـك بـالظُّلْـم[6]

فلما بلغ هذان البيتان جريراً قال: ما أنصفني في شعر قط قبل هذا يعني قوله:

* . . . إنْ قـرْمَـا تميـم تسـاميـا *

يغتصب شعر الشعراء:

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا الرياشيّ قال:

كان الفرزدق مَهيباً تخافه الشعراء، فمر يوماً بالشمردل، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله:

ومـا بيـن مَـنْ لـم يُعـطِ سمعاً وطـاعـةً وبيـن تميـمٍ غيـرُ حـزّ الغَـلاصـم[7]

/ قال: والله لَتَتركنّ هذاالبيت أو لتتركنّ عرضَك، قال: خذه على كرهٍ مني، فهو في قصيدة الفرزدق التي [٢١/٣٢٦] أولُها قوله:

* تحـنّ بـزوراءِ المـدينـة نـاقَتِـي *

---

(١) خاطرت: راقعت، ولعل متعلق الظرف «حين» في أبيات تالية لم تذكر.

(٢) الحلبات جمع حلبة بمعنى الميدان، وفي هج:

ألسـت نـزوة خـوار علـى أمـة لا تسبـق الخلتـان اللـؤم والخـور؟

وكأنه يعني بالخوار أباه وبالأمة أمه.

(٣) «ولومت» كذا بالأصل، ونرجح أنها تحريف «ولؤمت» من اللؤم.

(٤) في رواية أخرى «هذا شعر الفريد» بالفاء، وفي رواية ثالثة: «هذا شعر القريد» بالقاف، وكأنه تصغير قرد.

(٥) في الأصل «الحزم» بدل «العظم» ولا معنى له، والتصويب من هد، هج، الوشيظة: شظية زائدة في أصل العظم.

(٦) لا يدي لك بالظلم: لا قدرة لك عليه، وإنما حذف النون من يدين لتقدير إضافتها إلى كاف لك، كما قالوا في «لا أبالك» وفي «يا أخا من لا أخاً له».

(٧) الغلاصم: جمع غلصمة، وهي رأس الحلقوم، أو اللحم بين الرأس والعنق.

قال: وكان الفرزدق يقول: خير السرقة ما لا يجب فيه القطع يعني سرقة الشعر.

أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن الضحاك بن بهلول الفُقَيْمِيّ قال:

بينما أنا بكاظمة وذو الرُّمة ينشد قصيدته التي يقول فيها:

أحِينَ أعاذت بي تميمٌ نساءَها وجُرِّدْت تجريدَ اليَماني من الغِمد

إذا راكبان قد تدلّيا من نَعْفِ كاظمة متقنعان، فوقفا، فلما وفرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه، وقال: يا عُبَيد، اضممها إليك ـ يعني راويته ـ وهو عبيد أخو بني ربيعة ابن حنظلة، فقال ذو الرمة: نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت، قال: دع ذا عنك، فانتحلها في قصيدته وهي أربعة أبيات:

أحِين أعاذت بي تميمٌ نساءَها وجُرِّدت تجريدَ اليماني من الغِمدِ

ومدت بضَبْعيّ الرِّبابُ ومالكٌ وعمرٌو، وشالت من ورائي بنو سعد[1]

/ ومن آل يربوعٍ زُهَاءٌ كأنه دُجَى الليل محمود النِّكاية والوِرْد[2]

وكنّا إذا الجبّارُ صَعَّرَ خده ضربناه فوق الأُنثَيَيْن على الكَرْدِ[3]

٢٣/١٩

يحوز السبق في الفخر:

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال:

[٣٢٧/٢١] / اجتمع الفرزدق، وجرير وكثير وابن الرِّقاع عند سليمان بن عبد الملك، فقال: أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً، فبدرهم الفرزدق، فقال:

وما قوم إذا العلماء عَدّت عروقَ الأكرمين إلى التراب[4]

بمختلفين إن فضَّلتمونا عليهم في القديم ولا غِضاب

ولو رَفع السحابُ إليه قوماً عَلَونا في السماء إلى السحاب

فقال سليمان: لا تنطقوا، فوالله ما ترك لكم مقالاً.

يتعصب لابنته مكية:

أخبرنا عبدالله بن مالك قال: حدثنا محمد بن عمرانَ الضبي، عن سليمانَ بنِ أبي سليمانَ الجوزجاني قال:

غاب الفرزدق فكتبت النوار تشكو إليه مكية[5] وكتب إليه أهله يشكون سوء خُلُقها وتبذِّيها عليهم فكتب إليهم:

(١) بضبعي: تثنية ضبع، وهو ما بين الإبط إلى منتصف العضد من أعلاها، ومدت بضبعي: أعانتني، والرباب ومالك وعمرو وبنو سعد: قبائل.

(٢) الزهاء: العدد الكثير، والمراد بالورد ورد دم الحروب.

(٣) الأنثيان: الأذنان، الكرد: العنق، أو أصل العنق، صعر خده: أماله صلفاً وتكبراً. وفي «المختار»: «ضربناه حتى يستقيم على الكرد».

(٤) يريد بقوله: إلى التراب الكرام السالفين الذين أصبحوا عظماً رميما.

(٥) مكية: هي ابنة الفرزدق، كما تقدم.

كتبتـم عليهـا أنهـا ظلمتكـم ... كـذبتـم وبيـتِ الله بـل تظلمـونهـا
فـإلاّ تعـدُّوا أنهـا مـن نسـائكـم ... فـإنّ ابـنَ ليلـى والـدٌ لا يشينهـا[١]
وإنّ لهـا أعمـامَ صـدق وأخـوة ... وشيخـاً إذا شـاءت تَنَمّـر دونهـا[٢]

يعقه ابنه:

قال: وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منه لبَطة، والآخر حَبَطَة، والثالث، سبطة، وكان لبطة من العققة فقال له الفرزدق:

أإن أُرعِشـتْ كفّـا أبيـك وأصبحـتْ ... يـداك يَـدَيْ ليـثٍ فـإنـك جـاذِبُـه
إذا غـالَـبَ ابـنٌ بـالشبـاب أبـاً لـه ... كبيـراً فـإن الله لا بـدّ غـالبُـه
/ رأيـتُ تبـاشيـرَ العقـوق هـي التـي ... مـن ابـن امـرىء مـا إن يـزال يُعـاتبُـه[٣] [٣٢٨/٢١]
ولمـا رآنـي قـد كبـرتُ وأنّنـي ... أخو الحي واستغنى عن المسح شاربُه[٤]
أصـاخ لغـربـان النّجـيّ وإنّـه ... لأزورُ عـن بعـض المقـالـة جـانبُـه[٥]

قال[٦] أبو عبيدة في «كتاب النقائض»: قال رؤبة بن العجاج: حج سليمان بن عبدالملك، وحجت معه الشعراء، فمر بالمدينة منصرفاً، فأُتِيَ بأسرى من الروم نحو أربعمائة، فقعد سليمان، وعنده عبدالله بن حسن بن حسن ـ عليهم السلام ـ وعليه ثوبان مُمَصّران[٧]، وهو أقربهم منه مجلساً، فأدنوا إليه بِطريقَهم، وهو في جامعة[٨]، فقال لعبدالله بن حسن: قم، فاضرب عنقه فقام، فما أعطاه أحد سيفاً، حتى دفع إليه حَرَسيٌّ سيفاً كليلاً، فضربه، فأبان عنقه وذراعه، وأطنّ[٩] ساعده وبعض الغلّ، فقال له سليمان: والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك، وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه، فيقتلونهم، حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم، فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض، فضربه، فأبان رأسه، ودُفع إلى الفرزدق أسير، فدست إليه القيسيّة سيفاً كليلاً، فضرب به الأسير ضربات، فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان وضحك الناس معه. وقيل: إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً، وقال: اقتله به، فقال: لا، بل أقتله / بسيف مجاشع[١٠]، واخترط سيفه، فضربه، فلم يُغن شيئاً، فقال سليمان: أما والله [٣٢٩/٢١] لقد بقي عليك عارُها وشَنارها، فقال جرير قصيدته التي يهجوه فيها، وأولها:

---

(١) في البيت أقواء.
(٢) يريد بالشيخ نفسه.
(٣) يقول: إن تباشير العقوق بدأت من ابنه له بكثرة العتاب أولاً.
(٤) أخو الحي: لعله يقصد أنه هرم فأصبح ملازماً للحي، ويريد بقوله: استغنى عن المسح شاربه أنه استوى وبلغ أشده، كأن الطفل يحتاج إلى من يمسح له شاربه من أثر الطعام وشرب اللبن ونحو ذلك.
(٥) غربان النجي: قرناء السوء، وفي بعض النسخ: «عريان» بالياء المثناة، وقد آثرنا ما أثبتناه على تشبيه قرناء السوء بالغربان، أزور: معرض، يريد أنه يصغي لقرناء السوء، ولا يعير نصائحه هو التفاتاً.
(٦) ورد في «المختار» من أول هذا الخبر إلى صفحة ٣٣٠ ولم تشر إليه الأصول التي بأيدينا.
(٧) ممصران: مصبوغان بصبغ أصفر.
(٨) جامعة: قيد يجمع اليدين إلى الرجلين.
(٩) أطن: قطع.
(١٠) مجاشع: أحد أجداد الفرزدق.

ألا حـيِّ ربـعَ المنـزل المُتقـادِمِ ... ومـا حَـلَّ مُـذ حَلَّـت بـه أمُّ سـالـمِ

منها:

ألـم تشهـد الجَـوْنَيْن والشِّعب ذا الغَضَى ... وكَـرَّاتِ قيـسٍ يـومِ دَيْـر الجمـاجـم؟[1]

تُحـرِّضُ يـا بـنَ القَيْـن قيسـاً ليجعلـوا ... لقـومـك يـومـاً مثـلَ يـومَ الأراقـم[2]

بسيـفِ أبـي رَغْـوَانَ سيـفِ مُجـاشـعٍ ... ضربتَ ولم تضربْ بسيف ابن ظالم[3]

ضـربـتَ بـه عنـد الإمـام فـأُرْعِشـتْ ... يـداك وقـالـوا: مُحـدَثٌ غيـرُ صـارمِ

فقال الفرزدق يجيب جريراً عن قوله:

وهـل ضـربـةُ الـرُّومـيِّ جـاعـلـةٌ لكـم ... أبـاً عـن كُلَيْـبٍ أو أبـاً مثـلَ دارمِ[4]

كـذاك سيـوفُ الهنـدِ تنبـو ظُبـاتُهـا ... وتقطـعُ أحيـانـاً مَنـاطَ التمـائـمِ[5]

ولا نقتـلُ الأسـرَى ولكـن نفكُّهُـم ... إذا أثقـلَ الأعنـاقَ حمـلُ المغـارم

وقال يعرِّض بسليمانَ، ويعيّره نُبُوَّ سيف ورقاء بنِ زهير العبسي عن خالد بـن جعفر، وبنو عبس هم أخوال سليمان:

[٢١/٣٣٠] / فـإن يـكُ سيـفٌ خـان أو قَـدَرٌ أبَـى ... بتعجيـلِ نفـسٍ حتفُهـا غيـرُ شـاهـدِ[6]

فسيـفُ بنـي عبـسٍ وقـد ضـربـوا بـه ... نبـا بيـدَيْ ورقـاءَ عـن رأسِ خـالـدِ[7]

كـذاك سيـوفُ الهنـدِ تنبـو ظُبـاتُهـا ... وتقطـعُ أحيـانـاً مَنـاطَ القـلائـدِ

وأولها:

تبـاشَـرُ يـربـوعٌ بنبـوةِ ضـربـةٍ ... ضـربـتُ بهـا بيـنَ الطُّلا والمحـارِدِ[8]

ولـو شئـتُ قـدَّ السيـفُ مـا بيـن عُنقـه ... إلـى عَلَـقٍ بيـن الحِجَـابَيْـن جـامـدِ[9]

وقيل: إن الفرزدق قال لسليمان: يا أمير المؤمنين، هب لي هذا الأسير، فوهبه له، فأعتقه، وقال الأبيات التي منها:

(١) الجونان: عمرو ومعاوية ابنا الجون، ويوم دير الجماجم يوم مشهور كان بين محمد بن الأسقف الخارج على بني أمية وجيوش بني أمية.
(٢) يوم الأراقم كان بين قيس وبني تغلب.
(٣) أبو رغوان: كنية مجاشع جد الفرزدق، وابن ظالم: الحارث بن ظالم من فتاك العرب المشهورين، وكان له سيف ماض يسمى ذا الحيات.
(٤) كليب: جد جرير، ودارم: جد الفرزدق.
(٥) ظباتها: جمع ظبة: حد السيف، مناط التمائم: كناية عن الأعناق.
(٦) حتفها غير شاهد: لم يحن ميعاد أجلها بعد.
(٧) يشير إلى مقتل زهير بن جذيمة حينما اعتنقه خالد بن جعفر، فحاول ورقاء قتل خالد، فنبا سيفه.
(٨) تباشر: أصله تتباشر، ويربوع: قبيلة جرير، الطلا: الأعناق، والمحارد: مفاصل الأعناق.
(٩) العلق: ما تجمد من الدم.

ولا نقتُل الأسرى ولكن نفكُّهم إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارم

ثم أقبل على راويته، فقال: كأني بابن المراغة، وقد بلغه خبري، فقال:

بسيفِ أبي رَغْوانَ سيفِ مجاشعٍ ضربتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربتَ به عند الإمام فأُرعِشت يداك وقالوا مُحدَثٌ غير صارم

فما لبثنا إلا أياماً يسيرة، حتى جاءتنا القصيدة، وفيها البيتان، فعجبنا من فطنة الفرزدق:

وقال أيضاً في ذلك:

أيعجبُ النَّاسُ أن أضحكتُ خيرَهُم خليفةَ الله يُستسقَى به المطرُ

/ فما نبا السيفُ عن جُبْنٍ وعن دَهَشٍ عند الإمامِ ولكن أُخِّرَ القدرُ [٢١/ ٣٣١]

ولو ضربتُ به عمداً مُقلَّدَهُ لخرَّ جثمانُه ما فوقه شَعَرُ[١]

وما يُقدِّم نفساً قبل مِيتَتِها جمعُ اليدين ولا الصَّمْصَامةُ الذكرُ[٢]

من شعره في سجنه:

وأخبرني عبدالله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة، قال:

هجا الفرزدق خالدا القَسري وذكرَ المباركَ: النهرَ الذي حفره بواسط، فبَلَغَه ذلك، وكتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احْبس الفرزدقَ فإنه هجا نهرَ أمير المؤمنين بقوله:

وأهلكتَ مالَ اللَّهِ في غير حقِّه على نهرك المشؤوم غير المُبَارك

الأبيات، فأرسل مالك إلى أيوبَ بنِ عيسى الضَّبيّ، فقال: ائتني بالفرزدق، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه، فطلب إليهم أن يمروا به على بني حنيفة، فقال الفرزدق: ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة، فلما قيل لمالك: هذا الفرزدق انتفخ وريدُ مالك غضباً، فلما أُدخِل عليه قال:

أقول لنفسي حين غصَّت بريقها ألا ليتَ شعري مالها عند مالك؟

لها عنده أن يَرجِعَ اللَّهُ رُوحَها إليها وتنجو من جميع المهالك[٣]

وأنت ابنُ جَبَّارَيْ ربيعةَ أدركت بك الشمس والخضراءَ ذاتَ الحبائك[٤]

/ فسكن مالك، وأمر به إلى السجن، فقال يهجو أيوبَ بنَ عيسى الضَّبِّي: [٢١/ ٣٣٢]

فلو كنتَ قَيْسِيًّا إذا ما حبستني ولكنَّ زنجيًّا غليظاً مشافِرُه[٥]

٢٤ / ١٩

(١) ما فوقه شعر: كناية عن انفصال الرأس الذي هو موضع الشعر عن الجسد.

(٢) الصمصامة: السيف الذي لا ينثنيه الضراب، وهو أيضاً اسم سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي البطل المعروف، وإلى هنا ينتهي ما في «المختار».

(٣) في هد، هج: «عظيم المهالك» بدل «جميع المهالك» وسكن واو «تنجو» للضرورة.

(٤) الذي نرجحه أن «حباري» تصحيف «جباري» بالجيم لا بالحاء، وأنه يشير إلى جدين بارزين من أجداده، وفي هد، هج «أدركا» بدل «أدركت» والخضراء: السماء، والحبائك: جمع حبيكة، وهي مسير النجم، ومنه قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الحبك﴾.

(٥) في هد وهج: «ضبيا» بدل «قيسيا» وخبر لكن محذوف تقديره أنت، أو الأصل: ولكنك كنت زنجياً... إلخ.

مَتَتُّ له بالرَّحْمِ بيْني وبينه ... فألفيتُه مني بعيداً أواصِرُه[(١)]

وقلت: امرؤ من آل ضَبَّةَ فاعتزى ... لغيرهم لونُ استِه ومَحاجِرُه[(٢)]

فسوف يرى النوبيّ ما اجترحت له ... يَدَاه إذا ما الشِّعر عَيَّتْ نَوَافِره[(٣)]

ستُلقِي عليك الخنفساء إذا فست ... عليك من الشعر الذي أنت حاذِرُه[(٤)]

وتأتي ابنَ زُبِّ الخنفساء قصيدةٌ ... تكون له مني عَذاباً يُباشِره

تعذرتَ يا بن الخنفساء ولم تكن ... لُتقْبَلَ لابنِ الخنفساء معاذِرُه

فإنكما يا بني يسار نزوْتما ... على ثُفرها ما حنّ للزيت عاصِره[(٥)]

لِزنجِّيةٍ بظراءَ شقّقَ بظرَها ... زحيرٌ بأيوبٍ شديدٌ زوافِره[(٦)]

ثم مدح خالدَ بنَ عبدالله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحاً كثيراً، فأنشدني يُونُس في كلمة له طويلة.

[٢١/٣٣٣]

/ يا مالِ هل هو مُهلكي ما لم أقل ... وليُعلَمَنَّ من القصائد قيلي[(٧)]

يا مالِ هل لك في كبير قد أتَتْ ... تسعون فوق يديه غير قليل

فتجيرَ ناصِيَتي وتُفرجَ كُربتي ... عني وتطلقَ لي يداك كُبُولي

ولقد بنى لكم المُعَلَّى ذِروةً ... رَفعتْ بناءك في أشَمَّ طويل

والخيلُ تعلم في جَذِيمة أنها ... تَرْدَى بكل سَميدَعٍ بُهلُول[(٨)]

فاسقُوا فقد ملأ المعلّى حوضكم ... بذَنوبِ مُلتَهِم الرَّباب سجيل[(٩)]

وقال يمدح مالكاً وكانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع[(١٠)]:

وقِرْمٍ بين أولاد المُعلّى ... وأولاد المَسامَعة الكرام

تخمَّط في ربيعة بين بكر ... وعبد القيس في الحسب اللُّهام[(١٠)]

فلما لم تنفعه مديحة مالك، قال يمدح هشام بن عبد الملك، ويعتذر إليه:

ألِكْني إلى رَاعِي البرِيَّةِ والذي ... له العَدلُ في الأرض العريضة نورا[(١١)]

(١) مت إليه: انتسب، الرحم: الصلة والقرابة، يجوز فيه إسكان الحاء مع تشديد الراء وكسرها أو فتحها.
(٢) يقول: ظننته ضبياً فإذا عيناه ولون بشرته تنم على أنه نوبي لا ضبي.
(٣) إذا ما الشعر عيت نوافره: إذا استعصى على غيري فإنه لا يستعصي علي.
(٤) في هد، هج: «التي فست» بدل «إذا فست» ويريد بالخنفساء أمه.
(٥) الثفر: مسلك القضيب في المرأة، يقول: من ثفرها خرجتما وعليه نزوتما، كما يشرب الزيت من يعصره.
(٦) الزنجية خبر ثان لأنكما في البيت السابق، بظراء: طويلة البظر، الزحير: أنين المرأة عند المخاض، وأيوب هو ابن عيسى الذي يهجوه.
(٧) مال: مرخم مالك، وهو ضمير الشأن، أو عائد على «ما» الموصولة بعده، قيلي: بمعنى قولي نائب فاعل «يعلمن».
(٨) تردى: تضرب الأرض بحوافرها، السميدع: السيد الكريم، البهلول: السيد الجامع لكل خير.
(٩) الذنوب: الدلو، والرباب: السحاب الأبيض، السجيل: العظيم من الدلاء، بذنوب: متعلق بقوله: فاسقوا، لا بقوله: ملأ.
(١٠ ـ ١٠) من «المختار» وتخمط، أصله تتخمط بمعنى تتكبر وتتعالى، الحسب اللهام: الذي يلتهم كل حسب غيره، ويغطي عليه.
(١١)ألكني: أحمل عني ألوكة؛ رسالة.

فإن تُنكروا شعري إذاً خرجت له ... بوادرُ لو يُرمى بها لتَفَقَّرا(١)

ثبير ولو مست حِراءً لحركت ... به الراسيات الصُّمَّ حتى تكوّرا(٢)

/ إذا قال غاوٍ من مَعَدٍّ قصيدةً ... بها حَرَبٌ كانت وبالاً مُدَمَّرا(٣) [٢١/ ٣٣٤]

أينطقُها غيري وأرمى بجُرمها ... فكيف ألوم الدهرَ أن يتغيّرا

لئن صَبَرتْ نفسي لقد أُمرت به ... وخيرُ عباد الله من كان أصبرا

وكنت ابنَ أحْذارٍ ولو كنتُ خائفاً ... لكنت من العصماء في الطود أحذرا(٤)

ولكنْ أتوني آمناً لا أخافهم ... نهاراً وكان اللَّهُ ما شاء قدَّراً

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: حدثني أبو يحيى قال:

قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس اشخص إلى هشام، وأمدحه بقصيدة، وقال: استعن بالقيسية، ولا يمنعك قولي فيهم فإنهم سيغضبون لك وقال:

بكت عينُ محزونٍ ففاض سجامُها ... وطالت ليالي ساهر لا ينامُها

فإن تبك لا تبك المصيبات إذ أتى ... بها الدهر والأيام جَمٌّ خِصامُها(٥)

ولكنما تبكي تَهَتّكَ خالد ... محارمَ مِنّا لا يحل حَرامُها

فقُل لبني مروان: ما بال ذمَّة ... وحرمةِ حَقٍّ ليس يُرعى ذمامُها

أنُقْتَل فيكم أن قَتلْنا عدوَّكم ... على دينكم والحرب باقٍ قتامُها(٦)

أتاك بقتل ابن المُهَلَّب خالِدٌ ... وفينا بَقيّاتُ الهدى وإمامها(٧)

فغيِّر ـ أمير المؤمنين ـ فإنها ... يمانيةٌ حَمقاءُ وأنت هشامُها(٨)

أرى مُضَرَ المِضْرين قد ذَلَّ نصرُها ... ولكنْ عسى أن لا يَذلّ شآمُها(٩)

/ فمَن مُبلغ بالشام قيساً وخِندِفاً ... أحاديثَ ما يُشفَى ببرءٍ سَقامُها [٢١/ ٣٣٥]

أحاديثَ منا نشتكيها إليهمُ ... ومظلمةً يغشى الوجوهَ قتامُها

فإن مَنْ بها لم يُنكِرِ الضَّيمَ منهمُ ... فيغضبَ منها كهلُها وغلامُها(١٠)

(١) جواب الشرط إذا خرجت له، نائب فاعل يرمي «ثبير» في البيت التالي، تفقر، تقسم فقرا.
(٢) تكور: تهدم، وصار كالكرة، ثبير وحراء: جبلان معروفان.
(٣) الحرب: الويل والهلاك، ويريد بقوله: كانت وبالاً أنها وبال عليه هو بدليل البيت التالي.
(٤) وكُنت ابن أحذار: ابن حزم وتحرز، العصماء: التي في جسمها بياض، يقصد الطيور العصماء، يريد أنه خدع، وأخذ على غرة.
(٥) جواب الشرط «لا تبك» وتتمة معنى البيت فيما يليه، ومحارم في البيت التالي مفعول لتتهك.
(٦) على دينكم متعلق بقتلنا، والمعنى أنقتل إن قتلنا عدوكم سائرين على مذهبكم؟.
(٧) أتاك. في س: «أثار» وكأنه تخفيف «أثار» بمعنى اطلب الثأر.
(٨) يحض الخليفة على عزل خالد القسري، ويشير إلى أنها حركة يمانية ضد المضرية.
(٩) لعله يريد بالمضرين الحجاز والعراق، ويستعدي المضريين في الشام. وفيهم الخلافة ـ على اليمانيين.
(١٠)«من» فاعل لفعل محذوف تقديره «فإن لم ينكر من بها الضيم، وضمير بها يعود على الشام».

نَمتْ مثلُها من مثلِهم وتُنكّلُوا ... فيعلمَ أهلُ الجَوْر كيف انتقامُها[(١)]

بغلباءَ من جُمهورنا مضريّةٍ ... يُزايلُ فيها أذرعَ القوم هامُها[(٢)]

وبِيضٍ على هام الرجال كأنّها ... كواكب يحولها لسارٍ ظلامُها

غضِبنا لكم يا آل مروان فاغضبوا ... عسى أنّ أرواحاً يسوغُ طعامُها

ولا تقطعوا الأرحامَ منا فإنها ... ذُنوبٌ من الأعمال يُخشى أثامُها[(٣)]

ألم تكُ في الأرحام منّا ومنكمُ ... حواجزُ أيام عزيزٍ مَرامُها

فترعى قريشٌ من تميمٍ قرابةً ... ونَجْزي بأيامٍ كريمٍ مَقامُها

لقد علمَتْ أبناءُ خِندِفَ أننا ... ذُراها وأنا عِزُّها وسَنامُها

وقد علم الأحياء من كل موطنٍ ... إذا عُدّت الأحياء أنا كرامُها

وأنّا إذا الحربُ العَوانُ تضرّمت ... نَلِيها إذا ما الحرب شُبَّ ضِرامُها

قِوامُ قُوَى الإسلام والأمرِ كلِّه ... وهل طاعةٌ إلا تميمٌ قوامُها

[٣٣٦/٢١] / تميمُ التي تخشى معدٌّ وغيرُها ... إذا ما أبى أن يستقيم همامُها[(٤)]

إلى الله تشكو عزَّنا الأرضُ فوقَها ... وتعلمُ أنا ثِقْلُها وغَرامُها

شكتنا إلى الله العزيزِ فأسمعَتْ ... قريباً، وأعيا مَنْ سِواه كلامُها

نَصولُ بحول الله في الأمرِ كلِّه ... إذا خِيفَ من مصدوعةٍ ما التآمُها[(٥)]

فأعانته القيسية وقالوا: كلما كان ناب من مُضَر أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد.

وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها إلى سيد بن الوليد الأبرش وكلم له هشاماً:

إلى الأبرشِ الكلبيّ أسندتُ حاجةً ... تواكلَها حَيّا تميمٍ ووائلِ[(٦)]

على حين أن زلّت بي النعلُ زَلّةً ... فأخلَفَ ظنّي كُلُّ حافٍ وناعلِ

فدونكها يا بن الوليد فإنها ... مفضّلةٌ أصحابُها في المحافلِ[(٧)]

---

(١) نمت مثلها من مثلهم: «تفاقمت ثورة أخرى منهم»، وفي رواية: «تعد مثلها من مثلهم» وعلى كل فالفعل جواب الشرط في البيت المتقدم، وتنكلوا: عطف على الشرط في البيت السابق «لم ينكر الضيم» والمعنى: إن لم تنكروا الضيم، وتنكلوا بهم شبت لهم ثورة أخرى، والضمير في انتقامها يعود على المضرية المفهومة من المقام، والمراد بأهل الجود: اليمانية، وفي البيتين التواء ظاهر.

(٢) بغلباء: بكتيبة غلباء، أو بحرب غلباء: كثيرة العدد، متعلق بقوله: «تنكلوا» في البيت السابق، أي إن لم تؤدبوهم بكتيبة غلباء... إلخ.

(٣) الأثام: جزاء الإثم، وضمير إنها يعود على القطيعة المفهومة من قوله: «ولا تقطعوا الأرحام».

(٤) في ألفاظ هذا البيت خلط واضطراب بين مختلف النسخ وقد آثرنا ما أثبتناه منها، وهو الذي يستقيم معه المعنى، وعائد الموصول «التي» محذوف تقديره «تميم التي تخشاها معد وغيرها».

(٥) ما صفة مصدوعة، التئام: نائب فاعل «خيف» وفي الكلام قلب، وكان القياس «إذا خيف من ملتئمة تصدعها» فينبغي أن يكون في العبارة مضاف محذوف والتقدير: إذا خيف من مصدوعة ما عدم التئامها حتى يستقيم المعنى.

(٦) حيا: تثنية حي محذوف النون للإضافة.

(٧) هذه رواية هج «فدونكها» وهي أصح أي فخذها وقم بها، والضمير للحاجة ويريد بقوله: «مفضلة أصحابها في المحافل» أن=

ودونكها يا بن الوليد فقم بها فقام امرىء في قومه غير خامل

فكلم هشاماً وأمر بتخليته فقال يمدح الأبرش:

/ لقد وثب الكلبيُّ وَثبةَ حازمٍ إلى خير خلقِ الله نفساً وعُنصرا ٢٥/١٩

إلى خير أبناء الخليفة لم يجد لحاجته من دونها مُتَأخَّرا

أبَى حِلْفُ كلبٍ في تميمٍ وعقدُها كما سنَّت الآباء أن يتغيَّرا

/ وكان هذا الحلفُ حلفاً قديماً بين تميم وكلب في الجاهلية، وذلك قولُ جرير بن الخَطَفَى في الحِلف: [٣٣٧/٢١]

تميمٌ إلى كلبٍ وكلبٌ إليهمُ أحقُّ وأدنى من صُداءَ وحِميرَا

وقال الفرزدق:

أشدُّ حبالٍ بين حيَّين مِرَّةً حبالٌ أُمِرَّت من تميمٍ ومن كلبِ[١]

وليس قُضاعيٌّ لدينا بخائفٍ ولو أصبحتْ تغلي القدورُ من الحربِ

وقال أيضاً:

ألم تَرَ قيساً قَيسَ عَيلانَ شمَّرتْ لنصري وحاطتني هناك قُرومُها

فقد حالفتْ قيسٌ على النأي كلُّهم تميماً فهم منها ومنها تَميمُها[٢]

وعادتْ عَدوّي إن قيساً لأسرتي وقومي إذا ما الناس عُدَّ صميمُها

شرطيان يعبثان به:

أخبرني ابن دريد: قال حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة، قال:

بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد في سِكَّةٍ ليس لها منفذ إذ مرّ به رجلان من قومه كانا في الشرطة وهما راكبان، فقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن أفزّعه - وكان جباناً - فحَرَّكا دابَّتَيهما نحوه فأدبر مُولِّيا فعثر من طرف برده فشقه، وانقطع شِسعُ نعلِه، وانصرفا عنه، وعرف أنهما هَزِئا منه فقال:

لقد خار إذ يُجري عليَّ حِمَارَه ضِرارُ الخنا والعنبريُّ بن أخوقا[٣]

وما كنتُ لو خوَّفتماني كلاكما بأُمَّيكُما عُرْيانَتَين لأفرَقا

/ ولكنما خوَّفتُماني بخادرٍ شَتيمٍ إذا ما صادف القِرن مزَّقا[٤] [٣٣٨/٢١]

حديثه مع توبة وليلى الأخيلية:

أخبرني عبدالله بنُ مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا القحذمي عن بعض ولد قتيبة بنِ مسلم

= أصحاب هذه الحاجة قوم كرام، يعني نفسه.

(١) المرة: إحكام الفتل.

(٢) المصراع الثاني منقول عن هد، وفي ب «الأسرى لقومي قيسها وتميمها» ولا معنى له.

(٣) لا موضع للخور هنا، ونرجح أن «خار» تحريف «خاب» وضرار وابن أخوق: الشرطيان اللذان سخرا به.

(٤) الخادر الشتيم: الأسد، وأراد به حمارهما على سبيل التهكم، وفي بعض النسخ بدل «مزقا» «فرقا» وفي بعضها: «مرقا».

عن ابن زالانَ المازنيّ، قال: حدثني الفرزدق، قال:

لما طردني زيادٌ أتيت المدينةَ وعليها مرْوانُ بن الحكم، فبلغه أني خرجت من دار ابن صياد، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدّجال، فليس يكلمه أحد، ولا يجالسه أحد، ولم أكن عرفتُ خبرَه، فأرسل إلَيّ مروانُ فقال: أتدري ما مَثَلُك؟ حديث تحدث به العرب: أن ضَبُعاً مرت بحي قوم، وقد رحلوا، فوجدتْ مرآة، فنظرت وجهَهَا فيها، فلما نظرت قُبْح وجهها ألقتها، وقالت: من شرّ ما أطّرحك أهلك، ولكن من شر ما اطّرحك أميرُك[١]، فلا تقيمنّ بالمدينة بعد ثلاثة أيام، قال: فخرجت أريد اليمن، حتى إذا صرتُ بأعلى ذي قَسِيّ ـ وهو طريق اليمن من البصرة ـ فإذا رجل مقبل، فقلت: من أين أوضع الراكب[٢]؟ قال: من البصرة، قلت: فما الخبر وراءك؟ قال: أتانا أن زياداً مات بالكوفة، قال: فنزلتُ عن راحلتي، فسجدت، وقلت: لو رجعت، فمدحت عُبيدَ الله بن زياد، وهجوت مروان بن الحكم، فقلت:

وقفتُ بأعلى ذي قَسِيٍّ مطيّتي ... أمثّلُ في مروانَ وابنِ زيادِ

/ فقلت: عُبَيْدُ الله خَيرُهما لنا ... وأدناهما من رأفةٍ وَسَدادِ[٣]

٢٦ / ١٩

ومضيت لوجهي، حتى وطئتُ بلاد بني عُقَيْل فوردت ما بين مياههم[٤] فإذا بيتٌ عظيم وإذا فيه امرأة سافرة لم أر كحسنها وهيئتها قط، فدنوت، فقلت: أتأذنين / في الظل؟ قالت: أنزل فلك الظِّل والقِرَى، فأنختُ، وجلست إليها، قال: فدعت جاريةً لها سوداءَ كالراعية، فقالت: ألطِفيه[٥] شيئاً واسعَى إلى الرّاعي، فرُدّي عليّ شاة، فاذبيحها له، وأخرجت إليّ تمراً وزبداً، قال: وحادثتُها فوالله ما رأيت مثلَها قطّ، ما أنشدتها شعراً إلا أنشدتني أحسَن منه، قال: فأعجبني المجلس والحديث إذ أقبل رجل بين بُردين، فلما رأته رمت ببرقعها على وجهها، وجلس[٦] وأقبلت عليه بوجهها وحديثها، فدخلني من ذلك غيظ، فقلت للهجين: هل لكَ في الصراع؟ فقال: سوأة لك[٧]، إنّ الرجل لا يصارع ضيفَه، قال: فألححت عليه، فقالت له: ما عليك لو لاعَبْتَ ابنَ عمك؟ فقام، وقمت، فلما رمى ببرده، إذا خلْقٌ عجيب، فقلت: هكلتُ وربِّ الكعبة، فقبض على يدي، ثم اختلجني[٨] إليه، فصرت في صدره، ثم حملني، قال: فوالله ما اتّقيت الأرض إلا بظهر كبدي وجلس على صدري، فما ملكت نفسي أن ضرطتُ ضَرْطة منكرة، قال: وثُرت إلى جملي فقال: أنشدك الله[٩]، فقالت المرأة: عافاك الله الظلّ[١٠] والقِرى، فقلت: أخزى الله ظلّكم وقِراكم، ومضيت، فبينا أسير إذ لحقني الفتى على نَجيب يجنب بُخْتِيًا[١١] برحله

[٢١/٣٣٩]

(١) «ولكن من شر ما اطرحك أميرك»: كلام جديد ليس من تتمة المثل، ولعل مروان يعني أن الفرزدق كالمرآة التي ترى القبيح قبحه، وذلك لكثرة أحاجيه وذكره معايب الناس.

(٢) يقال: أوضع الراكب الدابة: حملها على المسير.

(٣) في هد: «خيرهمو أباً وأدناهمو» بدل «خيرهما لنا وأدناهما».

(٤) في هد، هج: «فوردت ماء من مياههم».

(٥) ألطف فلان فلاناً: أتحفه وبره.

(٦) في بعض النسخ: «وجلست».

(٧) سوأة لك: أتيت عملاً شائناً.

(٨) اختلجه: جذبه، وانتزعه.

(٩) يقسم عليه ألا يرحل.

(١٠) تريد انتظر ما طلبته لك من الظل والقرى.

(١١) في هج: يجنب نجيباً. البختي: واحد البخت، وهي الإبل الخراسانية، والمعنى على كلا الحالين أنه لحقه بجمل فاره إلى جانبه.

وزمامه، وكان رحله من أحسن الرحال، فقال: يا هذا، والله ما سرني ما كان، وقد أراك أبدعت أي كلّت ركابُك، فخذ هذا النجيب، وإيّاك أن تُخدَع عنه، فقد والله أُعطِيتُ به مائتي دينار قلت: نعم آخذه، ولكن أخبرني مَن أنتَ؟ ومَن هذه المرأة؟ قال: أنا توبةُ بنُ الْحُميِّر، وتلك ليلى الأخيليّة، / وقد أخبرني بهذا الخبر عمي. [٢١/ ٣٤٠]

رواية أخرى في الخبر السابق:

قال: حدثني القاسم بن محمد الأنباريّ، قال: حدثني أحمد بن عبيد، عن الأصمعيّ، قال:

كانت امرأةٌ من عُقَيل يقال لها ليلى، يتحدث إليها الشباب، فدخل الفرزدق إليها، فجعل يحادثها، وأقبل فتى من قومها، كانت تألفه، ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها، وتركت الفرزدق، فغاظه ذلك، فقال للرَّجل: أتصارعني؟ قال: ذلك إليك، فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه، وجلس على صدره، فضرَط الفرزدقُ، فوثب عنه الرجل خجلاً، وقال له الرجل: يا أبا فِراس، هذا مقام العائذ بك، والله ما أردت بك ما جرى، فقال: ويحك، ما بي أن صرعتني، ولكن كأني بابن الأتان جرير، وقد بلغه خبري هذا، فقال يهجوني:

جلستَ إلى ليلى لتحظَى بقُربها ... فخانكَ دُبْرٌ لا يزال يَخونُ

فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وكاءَها ... كما شدَّ خَرْتاً للدِّلاص قُيونُ[1]

قالوا: فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريراً الخبر، فقال فيه هذين البيتين.

يقضي يوماً كيوم دارة جلجل:

أخبرنا عبدالله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذميّ، قال: حدثني بعض أصحابنا، عن عبدالله بن زالان التميميّ راوية الفرزدق، أن الفرزدق قال: أصابنا بالبصرة مطر[2] جَوْدٌ ليلاً، فإذا أنا بأثر دوابّ قد خرجت ناحية البرّيّة، فظننت قوماً قد خرجوا لنزهة، فقلت: خليقٌ أن تكون معهم سُفرةٌ وشراب. فقصصت أثرَهم، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل / موقوفة على غدير، فأغذذت[3] السير نحو الغدير، فإذا نسوة $\frac{27}{19}$ مستنقعَات في الماء، فقلت: لم أر كاليوم قط، / ولا يوم دارة جُلْجُل[4]، وانصرفتُ مستحيياً منهن، فنادَيْنني: [٢١/ ٣٤١] بالله يا صاحب البغلة، ارجع نسألك عن شيء، فانصرَفتُ إليهن، وهن في الماء إلى حلوقهن، فقلن: بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل، فقلت: إن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عُنيزة، فطلبها زماناً، فلم يصل إليها، وكان في طلب غِرَّة من أهلها؛ ليزورها، فلم يُقض له، حتى كان يوم الغدير، وهو يوم دارة جلجل، وذلك أن الحي احتملوا[5]، فتقدم الرجال، وتخلف النساء والخدم والثَّقَل[6]، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع قومه غَلوة، فكمن في غَيابَةٍ من الأرض، حتى مر به النساء فإذا فتيات، وفيهن عُنيزة، فلما وردن الغدير قلنَ: لو نزلنا فذهب عنا بعضُ الكَلال، فنزلن إليه، ونحيّنَ العبيدَ عنهن، ثم تجردن فاغتمسن في الغدير، كهيئتكن

(١) الوكاء: الخيط الذي تربط به الصرة أو الكيس ونحوهما، الخرت: الثقب. الدلاص: الدرع اللينة، قيون: جمع قين، وهو الحداد.
(٢) المطر الجود: المطر الغزير.
(٣) أغذ السير: أسرع.
(٤) دارة جلجل: مكان، وهو المشار إليه في معلقة امرىء القيس بقوله:

ألا ربّ يوم لك منهن صالح ... ولا سيما يوم بدارة جلجل

(٥) احتملوا: رحلوا.
(٦) الثقل ـ بفتح القاف ـ: المتاع.

الساعة، فأتاهن امرؤ القيس محتالاً كنحو ما أتيتكن، وهن غوافل، فأخذ ثيابَهن، فجمعها ـ ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعضَ أثوابهن، فجمعها، ووضعها على صدره ـ وقال[١] لهن كما أقول لكن: والله لا أعطي جارية منكن ثوبها، ولو أقامت في الغدير يومَها، حتى تخرج مجردةً، قال الفرزدق: فقالت إحداهن، وكانت أمجنَهن: ذلك كان عاشقاً لابنة عمه، أفعاشق أنت لبعضنا؟ قال: لا والله، ما أعشق منكن واحدة، ولكن أشتهيكن، قال: فنعرن[٢]، وصفّقن بأيديهن، وقلن: خذ في حديثك، فلست منصرفاً إلا بما تحب، قال الفرزدق في حديث امرىء القيس: فتأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار، ثم خشين أن يُقصِّرنَ دون المنزل الذي أردنه، فخرجت إحداهن، فوضع لها ثوبها ناحيه! فأخذته فلبسته، ثم تتابعن / على ذلك حتى بقيَتْ عُنيزةُ، فناشدته الله أن يَطرح إليها ثَوبَها، [٢١/٣٤٢] فقال: دعينا منك؛ فأنا حرام[٣] إن أخذتِ ثوبَك إلا بيدك، فخرجت فنظر إليها مقبلةً ومدبرة، فوضع لها ثوبها، فأخذته، وأقبلن عليه يلمْنه، ويعذِّلنه، ويقلن: عرَّيْتَنا، وحبستنا، وجَوَّعتنا، قال: فإن نحرتُ لكنّ مطيتي أتأكلن منها؟ قلن: نعم، فاخترط[٤] سيفه، فعقرها، ونحرها، وكشطها، وصاح بالخدم، فجمعوا له حطباً، فأجّج ناراً عظيمة، ثم جعل يقطّع لهنّ من سَنامها وأطايبها وكبدها، فيُلقيها على الجمر، فيأكلن، ويأكل معهن، ويشرب من رَكوة[٥] كانت معه ويغنيهن، وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب، حتى شبعن، وطربن، فلما أراد الرّحيل قالت إحداهن: أنا أحمل طنفسته[٦]، وقالت الأخرى: أنا أحمل رحله، وقالت الأخرى: أنا أحمل حَشِيَّتَه وأنساعه[٧]، فتقسّمن متاع راحلته بينهن، وبقيت عُنيزة لم يُحَمِّلْها شيئاً، فقال لها امرؤ القيس: يا بنة الكرام، لا بد لك أن تحمليني معك؛ فإني لا أطيق المشي، وليس من عادتي، فحملته على غارب بعيرِها، فكان يُدخلُ رأسَه في خِدرها، فيقبّلها، فإذا امتنعت مال حِدْجُهَا[٨]، فتقول: يا مرأ القيس، عقرت بعيري، فانزل، فذلك قوله:

تقول وقد مال الغَبيطُ بنا معاً: عقرتَ بعيري يا مرأ القيس فانزلِ

فلما فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة: قاتلك الله، ما أحسنَ حديثَك يا فتى / وأظرفك، فَمنْ أنت؟ ٢٨/١٩ قال: قلتُ: من مُضَر، قالت: ومن أيها؟ فقلت: من / تميم، قالت: ومن أيها؟ قلت: إلى ههنا انتهى الكلام، [٢١/٣٤٣] قالت: إخالُك والله الفرزدق قلت: الفرزدق شاعر وأنا راوية، قالت: دعنا من توريتك على نسبك[٩]، أسألك بالله، أنت هو؟ قال: أنا هو والله، قالت: فإن كنت أنت هو[١٠] فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلا عن رِضاً، قلت: أجل، قالت: فاصرف وجهك عنا ساعة وهمست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه، فغطَطْنَ في الماء، فتوارين، وأبدين رؤوسهن، وخرجن، ومع كل واحدة منهن ملء كفيها طيناً، وجعلن يتعادين نحوي، فضربن بذلك الطين

(١) فاعل «قال» ضمير امرىء القيس.
(٢) نعرن: صوتن بخياشيمهن أصواتاً فيها غنة.
(٣) العبارة في معنى القسم، أو المراد: أنا مرتكب حرام.
(٤) اخترط سيفه: سله من غمده.
(٥) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، أو الدلو الصغيرة.
(٦) الطنفسة ـ بضم الطاء والفاء، أو فتح الطاء مع كسر الفاء وفتحها، أو كسر الطاء مع فتح الفاء وكسرها ـ الوسادة الصغيرة تجعل تحت الرحل.
(٧) الأنساع: سيور طويلة عريضة تشد بها الحقائب والرحال.
(٨) الحدج: مركب من مراكب النساء، كالهودج والمحفة.
(٩) في هج: «عن نفسك» بدل «على نسبك».
(١٠) أنت هنا ليست تأكيداً للتاء، وإلا لوجب أن يقول: فإن كنت إياه. وإنما جملة «أنت هو» خبر كان.

والحمأة[١] وجهي، وملأن عيني وثيابي، فوقعت على وجهي، فصرت مشغولاً بعيني وما فيها، وشددن على ثيابهن، فأخذنها، وركبت الماجنة بغلتي، وتركتني منبطحاً بأسوأ حال وأخزاها وهي تقول: زعم الفتى أنه لا بد أن ينيكَنا، فما زلت[٢] من ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي، وجففتها، وانصرفت عند مجيءِ الظلام إلى منزلي على قدمي، وبغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسول لهن، وقلن: قل له تقول لك أخواتك: طلبتَ منّا ما لم يمكننا، وقد وجهنا إليك بزوجتك، فنِكها سائرَ ليلتك وهذا كِسْر[٣] درهم لحمّامك إذا أصبحت، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول: ما مُنِيت بمثلهن.

يهجو من يرثي زياداً:

أخبرني عبدالله بنُ مالك، قال: حدثنا أبو مسلم الحرّانيّ، قال: حدثني الأصمعيّ، قال: حدثنا العَلاء بنُ أسلم، قال:

/ لما مات زياد رثاه مسكين الدّراميّ، فقال الفرزدق:

[٢١/٣٤٤]

أمسكيـنُ أبكـى اللّـهُ عينيـك إنمـا ... جـرى فـي ضـلال دمعُهـا إذ تحـدَّرا

بكيـتَ امـرأ مـن آل مَيْسـانَ كـافـراً ... ككِسـرى علـى عِـدّانِـه أو كقيصـرا[٤]

أقـول لـه لمّـا أتـانِـي نَعِيُّـه ... بـه لا بطبـيٍ بـالصَّـريمـة أعفـرا[٥]

يهجو ويمدح آل المهلب:

أخبرنا عبدالله بن مالك، عن أبي مسلم الحرّاني، قال: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا العلاء بن أسلم، قال:

لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة[٦] لقي الفرزدقُ جريراً، فقال له: يا أبا فراس، هل لك أن تكلم المهلب، حتى يضع عني البحث، وأعطيك ألف درهم، فكلم المهلب، فأجابه فلامه جُذَيع، رجل من عشيرته، وشكا ذلك إلى خيرةَ امرأةِ المهلب وقال لها: لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه، فلامته خيرة بنت ضَمرةَ القُشَيرية، فقال المهلب: إنما اشتريتُ عِرضي منه، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال يهجو جُذَيعاً.

إن تَبْـسِ دَارُكَ يـا جُـذَيـع فمـا بنـى ... لـك يـا جـذيـع أبـوك مـن بُنيـانِ

وأبـوك ملتـزم السفينـة عـاقـدٌ ... حُضْنَيْـه فـوق بنـائـق التُّبـان[٧]

ويظـلّ يـدفـع بـاستِـه متقـاعِسـاً ... فـي البحـر معتمـداً علـى السُّكـان[٨]

(١) الحمأة: الطين الأسود الكريه الرائحة.

(٢) ما زلت هنا تامة لا خبر لها بمعنى ما انتقلت.

(٣) الكسر: القليل.

(٤) ميسان: كورة بين البصرة وواسط، العدان: العهد والزمان، وانظر «اللسان» (عدد).

(٥) الصريمة: القطعة المنعزلة من الرمل، الأعفر من الظباء: ما يعلو بياضه حمرة، والمعنى: به الهلاك لا بظبي أعفر، كأن الظبي خير منه.

(٦) الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق من الخوارج.

(٧) بنائق: جمع بنيقة، وهي الزيق يخاط في جيب القميص تثبت فيه الأزرار، التبان: سراويل يلبسها الملاحون والفلاحون ونحوهم، يعيره بأن أباه ملاح في سفينة.

(٨) التقاعس: بروز الصدر ودخول الظهر في الجسم.

لا تحسبنّ دارهما جمّعتَها ... تمحو مَخازِيَك التي بِعُمان

[٣٤٥/٢١] / وقال يهجو خيرة.

ألاَ قشَر الإلهُ بني قُشَيرٍ ... كقَشْر عصا المنقَّح من مُعَال(١)

أرى رهطاً لخيرة لم يَؤوبوا ... بسهم في اليمين ولا الشمال(٢)

٢٩/١٩ / إذا زُهِرَت رأيت بني قُشَيرٍ ... من الخُيَلاء مُنتفِشي السِّبالِ

فغضب بنو المهلب لما هجا جُذَيعا وخَيرة، فنالوا منه، فهجاهم، فقال:

وكائِن للمهلّب من نَسِيبٍ ... يُرى بلَبانة أثرُ الزِّيار(٣)

بِخارَكَ لم يقُد فرساً ولكن ... يقود السّاج بالمَسَد المغار(٤)

عميٌّ بالتَّنائف حين يُضحي ... دَليلَ اللّيل في اللجج الغِمار(٥)

وما لِلّه يسجُد إذ يصلّي ... ولكن يسجدون لكل نارِ

فلما ولي يزيدُ بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه ـ ولاّه سليمان بن عبد الملك ـ خافَ الفرزدقُ من بني المُهلّب، فقال يَمدحُهم:

فلأمدحنّ بني المهلّب مِدحةً ... غرّاءَ قاهرة على الأشعارِ

[٣٤٦/٢١] / مثل النجوم أمامها قَمَراؤها ... تجلو العمَى وتضيء ليلَ السّاري(٦)

ورِثوا الطّعان عن المهلّب والقِرى ... وخلائقاً كتدفُّقِ الأنهار

كان المهلّب للعراق وقاية ... وحَيَا الرّبيعِ ومَعقِل الفُرّار

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتَهم ... خضُعَ الرِّقاب نواكسَ الأبصار

ما زال مُذ شَدّ الإزار بكفه ... ودنا فأدرك خمسة الأشبار(٧)

أيزيدُ إنك للمهلب أدركت ... كفّاك خيرَ خَلائِق الأخيار

---

(١) يقال: نقح العود: قشره، معال: أعلى، يقول: قشر الله بني قشير كقشر عصا العود المقشور من أعلاه.

(٢) في هد، هج: «فلولا رهز خيرة لم يتوبوا» ونرجح أن رهز تحريف «رعز» والرعز: الجماع، يقول: إن بني قشير يستمدون مجدهم من مصاهرتهم للمهلب ومواقعته خيرة ابنتهم.

(٣) نسيب: قريب ينتسب إليه، اللبان: الصدر، الزيار: ما يشد به الرحل إلى صدر البعير، يعيره بأن أهله فلاحون. يرى أثر جر حبال المراكب في صدورهم.

(٤) في الأصل «نجارك» وهو تصحيف بخارك، وخارك: جزيرة فارسية كان أبو المهلب منها، الساج: شجر تتخذ منه المراكب، المغار: المحكم الفتل يقول: إن للمهلب في خارك أقارب لا يقودون خيلاً، بل يجرون السفن بالحبال، وفي بعض النسخ «تخاذل» بدل «بخارك» وهو تصحيف أيضاً.

(٥) التنائف: جمع تنوفة، وهي الفلاة: يقول: إن أهله لا عهد لهم بالصحارى فلا يعرفونها في النهار، ويعرفون شواطىء المياه ليلاً، وفي الأصول «ذليل» وهي تصحيف «دليل».

(٦) القمراء: ضوء القمر.

(٧) خبر «ما زال» مفهوم من المقام، أي ما زال كريماً مهيباً ونحو ذلك.

يخشى بأس يزيد بن المهلب:

أخبرنا عبدالله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي، قال:

لما قدم يزيدُ بن المهلب واسطاً قال لأميةَ بنِ الجعد ـ وكان صديقَ الفرزدق ـ: إنّي لأحِب أن تأتيَني بالفرزدق، فقال للفرزدق: ماذا فاتك من يزيدَ أعظم الناس عفواً، وأسخى الناس كفًّا، قال: صدقت، ولكن أخشى أن آتيَه فأجَد العمانيّةَ ببابه فيقومَ إليّ رجل منهم فيقولَ: هذا الفرزدق الذي هجانا، فيضرِب عنقي، فيبعث إليه يزيد، فيضربَ عنقه، ويبعث إلى أهلي ديتي، فإذا يزيدُ قد صار أوفى العرب، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب، قال[1]: لا والله لا أفعل، فأخْبَر يزيدَ بما قال، فقال: أمّا إذ قد وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله.

ماجن يريد أن ينزو عليه:

قال ابن حبيب: وحدثنا يعقوبُ بن محمد الزهريّ عن أبيه عن جده قال:

دخل الفرزدق مع فتيانٍ من آل المهلب في بركة يتبرّدون فيها، ومعهم ابنُ أبي علقمة الماجن، فجعل يتفلّت إلى الفرزدق، فيقولُ: دعوني أنكحه، حتى لا يهجُوَنا / أبداً، وكانَ الفرزدقُ من أجبن الناس، فجعل يستغيث، [٢١/٣٤٧] ويقول: ويلكم! لا يمسَّ جلدهُ جلدِي، فيبلغَ ذلك جريراً، فيوجِبَ عليّ أنه قد كان منه الذي يقول، فلم يزل يناشدهم حتى كَفّوه عنه.

يفخر بالمضرية أمام حاكم يماني:

أخبرني عبيد الله قال: حدثني محمد بن حبيب قال: حدثني موسى بن طلحة قال: لمّا ولي خالدُ بن عبدالله العراق، فقدِمها وكان من أشد خلق الله عَصَبيّة على نزار فقال[2] لَبطةُ بن الفرزدق: فلبس أبي من صالح ثيابه؛ وخرج يريد السلام عليه، فقلت له: يا أبت، إن هذا الرجلَ يمانيٌّ، وفيه من العصبية ما قد علمت، فلو[3] دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهلَ اليمن لعل اللّهَ أن يأتيَك منه بخير، فإنك قد كبرت على الرحلة، فجعل / لا يردُّ عليّ شيئاً؛ ٣٠/١٩ حتى دُفعْنا إلى البواب؛ فأذِن له؛ فدخل؛ وسلم؛ فاستجلسه[4]؛ ثم قال: إيهٍ يا أبا فراس، أنشدنا مما أحدثت، فأنشدتُه:

يختلــف النــاسُ مــا لــم نجتمــعْ لهــمُ ... ولا خـــلاف إذا مـــا أجمعـــت مُضــرُ

فينـــا الكـــواهــلُ والأعنـــاقُ تقـــدُمهـــا ... فيهـا الـرؤوسُ وفيهـا السَّمـعُ والبصـر[5]

ولا نحـــالـــف غيـــرَ الله مـــن أحـــد ... إلا السيــوفَ إذا مــا اغـرَوْرَق النظـر[6]

ومـــن يَمـــلْ يُمـــلِ المـــأثــورُ قُلّتَـــه ... بحيـث يَلقـى حِفـافَـيْ رأسـه الشعـر[7]

---

(١) فاعل «قال» ضمير الفرزدق، وفي بعض النسخ «ثم قال».

(٢) كذا في الأصول، ونرى حذف الفاء من «فقال» أو حذف لما من أول الجملة.

(٣) «لو» هنا ليست شرطية، بل هي للترجي.

(٤) فاعل «فاستجلسه» ضمير خالد بن عبدالله.

(٥) ضمير فيها يعود على الأعناق، والكلام على تشبيه علية القوم بالكواهل والأعناق.

(٦) في الأصول ولا «يخالف» وهو تصحيف، والصواب «نحالف» من المحالفة لا من المخالفة، اغرورق النظر: امتلأت العين بالدموع، يكنى بذلك عن احتدام الحرب في لفحة الحر.

(٧) المأثور: السيف، قلته: رأسه، حفافا الشيء: جانباه، والمصراع الثاني، كناية عن الموت، كأنه شعر الحي تتجه أعاليه للهواء، فإذا صرع التف بجانبي الرأس.

أمــا الملــوكُ فــإنــا لا نليــن لهــم ... حتــى يليــنَ لضــرس الماضِــغ الحجــرُ

[٣٤٨/٢١] / ثم قام، فخرجنا، قلت: أهكذا أوصيتك[1] ؟ قال: اسكت، لا أُمَّ لك فما كنتُ قطُّ أملأً لقلبه مني الساعة.

يفحم المنذر بن الجارود:

أخبرني عبدالله: قال حدثني محمد بن حبيب، عن موسى بن طلحة قال:

كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع، وفيها المنذرُ بنُ الجارود العبديّ، فقال المنذر: من الذي يقول:

وجــدنــا فــي كتــاب بنــي تميــم ... أحــقُّ الخيــلِ بــالــركــضِ المعــارُ[2]

فقال الفرزدق: يا أبا الحكم هو الذي يقول:

أشــاربُ قهــوةٍ وخــديــنُ زيــرٍ ... وعَبْــديٌّ لفَسْــوَتــه بُخــارُ[3]

وجَــدنــا الخيــلَ فــي أبنــاء بكــرٍ ... وأفضــلُ خيلهــم خشــبٌ وقــارُ[4]

قال: فخجل المنذر، حتى ما قدرَ على الكلام.

خليفة أموي يفضله ويصله:

أخبرني عبدالله بن مالك: قال: حدثني محمد بن موسى قال: حدثنا الأصمعيّ قال:

دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول:

مــا حملَــتْ نــاقــةٌ مــن معشــرٍ رجــلاً ... مثلــي إذا الــريــح لفَّتْنِــي علــى الكُــورِ[5]

أعــزَّ قــومًــا وأوفــى عنــد مكــرمــةٍ ... لمَعْظَــمٍ مــن دمــاء القــوم مهجــورِ[6]

[٣٤٩/٢١] / فقال له: إيه، فقال:

إلاّ قُــريشــاً فــإنّ الله فضّلهــا ... علــى البَــريّــةِ بــالإســلام والخيــرِ[7]

تلقــى وجــوهَ بنــي مــروانَ تحسبُهــا ... عنــد اللقــاء مشُــوفــاتِ الــدّنــانيــرِ[8]

فَفَضَّله عليهم، ووصله.

عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد:

قال ابن حبيب: وكان الفرزدق يهاجي الأشهبَ بن رميلةَ النهشليَّ وبني فُقَيْم، فأرفث[9] بهم، فاستعدوا عليه

(١) ينكر لبطة على أبيه فخره بالمضرية، مع أنه أوصاه بمدح اليمانية.
(٢) يريد أن التميميين يحافظون على خيولهم، ولا يبقون على خيول غيرهم إذا استعاروها.
(٣) الزير: أحد أوتار العود، ويريد بالمصراع الأول أنه رجل خمر ولهو وطرب، أما المصراع الثاني فقد اختلفت الأصول فيه اختلافاً كبيراً، والذي أثبتناه هو ما رجحناه. ففي بعض الأصول «لنسوته بخار» بدل «لفسوته بخار» وفي بعضها «وصراء» بدل «وعبدي».
(٤) يكنى بالخشب والقار عن السفن، كأنه يعيرهم بالملاحة.
(٥) الكور: الرحل.
(٦) يريد بقوله: «من دماء القوم مهجور» أنه لا يطالب بترة، كما يقول المتنبي: «وكل دم أراقته جبار»، وفي هد: «مبهور» وفي هج: «مشهور».
(٧) الخير ـ بكسر الخاء ـ الكرم والشرف.
(٨) مشوفات الدنانير: الدنانير المجلوة اللامعة.
(٩) أرفث: أفحش.

زياداً، فحدثني جابر بن جندل: قال: فأتى عيسى بن حُصَيْلَة بنِ مغيث بن نصر بن خالد السُّلمي ثم من بني بَهْزٍ، فقال: يا أبا حُصَيلة، إن هذا الرجل قد أخافني؛ وقد لَفَظَني جميع من كنت أرجو، قال: فمرحباً بك يا أبا فِراس، فكان عنده ليالي، ثم قال: إني أريد أن ألحقَ بالشام، قال: إن أقمت ففي الرَّحب والسَّعة، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبيّة[1] أُمتِّعك بها، وألف درهم، فركب الناقة، وخرج من عنده ليلاً، فأرسل عيسى معه مَنْ أجازه من البيوت؛ فأصبح وقد جاوز مسيرةَ ثلاث، فقال يمدحه:

كفـانـي بهـا البَهْـزِيُّ حُمـلانَ مَـنْ أبـى ... مـن النـاس، والجـانـي تُخـاف جرائمُـهُ[2]

فتـى الجـودِ عيسـى والمكـارمِ والعُـلا ... إذا المـال لـم ينفـع بخيـلاً كـرائمـه

/ ومن كـان يـا عيسـى يُـؤنِّـب ضَيْفَـه ... فَضَيْفُـك يـا عيسـى هنـيءٌ مطـاعمُـه[3]

/ وقـال: تَعلَّـمْ أنهـا أرحبيَّـةٌ ... وأنَّ لـك الليـلَ الـذي أنـت جـاشِمُـه[4]

فـأَصْبَحْـتُ والمُلْقَـى ورائـي وحنبَـلٌ ... ومـا صَـدَرَتْ حتى عـلا النجمَ عـاتمـه[5]

تَـزاوَرَ فـي آل الحقيـق كـأنهـا ... ظليـمٌ تبـارى جُنـح ليـل نعـائمـه[6]

رأت دون عينيهـا ثـويَّـة فـانجلـى ... لهـا الصبـح عـن صَعْـلٍ أسيـلٍ مخـاطمـه[7]

٣١/١٩ [٢١/٣٥٠]

وقال:

تـداركَنـي أسبـابُ عيسـى مـن الـرَّدَى ... ومـن يَـكُ مـولاه فليـس بـواحـدِ

نمتْـه النـواصـي مـن سُلَيْـمٍ إلـى العـلا ... وأعـراقُ صـدق بيـن نَصْـر وخـالـد

سـأُثنِـي بمـا أوليْتَنـي وأَرُبُّـه ... إذا القـوم عـدُّوا فضلَهـم فـي المشـاهـد

فلما بلغ زياداً شخوصُه أتْبَعَه عليَّ بن زهدمٍ الفقيميَّ: أحدَ بني مؤلة[8] فلم يلحقه فقال الفرزدق:

فـإنـك لـو لاقيتَنـي يـا بـنَ زهـدمٍ ... لأبـت شعـاعيًّـا علـى غيـر تمثـال[9]

يلجأ إلى بكر بن وائل:

فأتى بكر بن وائل، فجاورهم، فأمن، فقال:

---

(١) أرحبية: نسبة إلى أرحب، وهو فحل أو مكان أو قبيلة تنسب إليها الإبل الممتازة.

(٢) ضمير بها يعود على الناقة المهداة إليه، البهزي: لقب عيسى بن حصيلة، الحملان ـ بضم الحاء ـ الدواب تحمل عليها الهدايا، يقول: كفاني بهذه الناقة أن أستهدي من يأبى إهدائي ناقة تحملني، ومن كان جانباً مثله تحاشاه الناس.

(٣) هنيئاً: مفعول مطلق لفعل محذوف، وفي هد، هج: «فضيفك محبور هنيء مطاعمه».

(٤) أرحبية: انظر هامش ٤ ص ٣٤٩، جاشمة: متكلف السير فيه، يريد أن هذه الناقة تعينه على السير ليلاً.

(٥) الملقى وحنبل: مكانان، عاتمه: مظلمه، وفي بعض النسخ: «تلا الليل» بدل «علا النجم».

(٦) تزاور: أصله تتزاور بمعنى تميل، والحقيق: مكان، وفي بعض النسخ: «الحفير» وهو مكان أيضاً. الظليم: ذكر النعام، تبارى: أصله تتبارى، ولا مانع من اعتباره فعلاً ماضياً، والمراد التباري في العدو.

(٧) ثوية: مكان، وفي بعض النسخ «روية»، الصعل: ما دق رأسه من النعام، أسيل: ناعم، مخاطم: جمع مخطم، وهومقدم الأنف. وفي ف: «تخاطمه».

(٨) في بعض النسخ: «أحد بني سوأة» وفي بعضها «موألة» وفي بعضها: «سواءة».

(٩) شعاعياً: نسبة إلى الشعاع بمعنى التفرق، يريد: لتطايرت جوارحك أو نفسك، فلم يكن لك تمثال، وفي بعض النسخ «على شر تمثال» وفي بعضها: «على قبر تمثال»

[٢١/٣٥١] / وقد مثلَتْ أينَ المسيرُ فلم تجد لعَودَتها كالحيِّ بكر بن وائل[1]

وسارت إلى الأجفان خمساً فأصبحت مكان الثريا من يد المتناول[2]

وما ضرها إذ جاورت في بلادها بني الحصن ما كان اختلاف القَبائل

الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

يأمن زياداً في حمى سعيد بن العاص:

وهرب الفرزدق من زياد، فأتى سعيدَ بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فأمنه سعيد، فبلغ الفرزدق أن زياداً قال: لو أتاني أمَّنته، وأعطيته، فقال في كلمة له:

دعاني زياد للعطاءِ ولم أكُنْ لآتِيَهُ ما ساق ذو حسبٍ وَفْرا[3]

وعند زيادٍ لو أراد عطاءَهم رجالٌ كثيرٌ قد يرى بهم فقرا[4]

قعودٌ لدى الأبواب طلَّابُ حاجة عوانٍ من الحاجات أو حاجةً بكرا[5]

فلما خشيتِ أن يكون عطاؤه أداهمَ سوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمرا[6]

نميتُ إلى حرفٍ أضرَّ بنيَّها سُرَى الليل واستعراضُها البلد القفْرا[7]

[٢١/٣٥٢] / فلما اطمأنْ عند سعيد بن العاصي بالمدينة قال:

ألا مَنْ مبلغٌ عنّي زياداً مُغلغلةً يخُبُّ بها البريدُ[8]

بأنّي قد فررتُ إلى سعيدٍ ولا يُسْطَاعُ ما يَحْمي سعيد

فررتُ إليه من ليثٍ هِزَبْرٍ تفادى عن فريسته الأُسُود[9]

فإن شئتُ انتميتُ إلى النصارى وَنَاسبني وَناسبتِ اليهودُ

وإن شئتُ انتسبتُ إلى فُقَيْمٍ وَنَاسبني وَناسبتِ القرود

وأبغضُهم إليَّ بنو فُقيمٍ ولكن سوف آتي ما تُريد[10]

---

(١) مثلت: زالت عن موضعها، وفاعل مثلت ضمير الناقة، أين المسير: استفهام، وهو مقول قول محذوف، أي، تتقلت الناقة قائلة: أين المسير؟ فلم تجد من يعيذها كهذا الحي.

(٢) الأجفان: جمع جفن، ومن معانيه أصل الكرم، أو قضبانه، أو نوع من العنب، أو شجر طيب الرائحة، وكل هذه المعاني محتملة.

(٣) الوقر: الحمل، والمراد أنه لن يذهب إليه البتة.

(٤) ضمير «عطاءهم» يعود على رجال، وهو متأخر لفظاً لا رتبة، وذلك جائز.

(٥) العوان: من سبق لها الزواج من النساء، وأراد هنا الحاجة المتكررة، وكان القياس «عواناً» بالنصب على التبعية لحاجة باعتبار المعنى، حتى لا يكون في البيت إقواء.

(٦) أداهم: جمع أدهم، يريد القيد، المحدوجة: السياط.

(٧) نميت إلى حرف: من نمى الصيد إذا غاب وتباعد، والحرف: الناقة، والني: الشحم، يقول: لما خفت قيود زياد وسياطه لجأت إلى ناقة أكل السير والسري شحمها.

(٨) مغلغلة، أي رسالة مغلغلة: محمولة من بلد إلى بلد.

(٩) من هنا بيانية، فالمشبه بالأسد سعيد لا زياد الذي فر منه.

(١٠) في هج: «ولكن سوف آتي ما يكيد» ولعل هذه الرواية أنسب.

فأقام الفرزدق بالمدينة؛ فكان يدخل بها على القيان. فقال:

إذا شئتُ غنّاني من العاج قاصفٌ على معصمٍ رَيّان لم يتخدَّدِ[١]

/ لبيضاءَ من أهل المدينة لم تَعِش ببؤس ولم تتبعْ حُمولة مُجْحِدِ[٢]

وقامت تُخشِّيني زياداً وأجفلت حواليَّ في بُردَيْ يمانٍ وَمُجسَدِ[٣]

فقلتُ: دعيني من زياد فإنّني أرى الموت وَقّاعاً على كل مَرْصَدِ

٣٢ / ١٩

بينه وبين مسكين الدارمي:

فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدي بن عدس بن عبدالله بن دارم، فقال:

/ رأيت زيادة الإسلام وَلّت جهاراً حين فارقها زِيادُ

[٢١/٣٥٣]

فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

أمسكينُ أبكى الله عينيك إنّما جرى في ضلالٍ دَمعُها فتحدّرا[٤]

أتبكي امرأً من آل مَيْسان كافراً ككِسرى على عِدّاته أو كقيصرا

أقول له لما أتاني نَعِيُّه: بِه لا بظبيٍ بالصّريمة أعفرا

فقال مسكين:

ألا أيها المرءُ الذي لَسْتُ قائماً ولا قاعداً في القوم إلاّ انبرى لِيَا

فجئني بعَمٍّ مثل عَمّي أو أبٍ كمثلِ أبي أو خالِ صدقٍ كخاليا

بعَمرو بن عمرو أوزارةَ ذي الندى سموتُ به حتى فَرعتُ الرّوابيا

فأمسك الفرزدق عنه، وكان يقول: نجوتُ من أن يهجوني مسكين، فإن أجبته ذهبتُ بشطر فخري، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدهر.

عائذة بقبر أبيه:

أخبرني[٥] أبو خليفة، فقال: أخبرنا ابن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد المازني، قال: كان تميم بن زيد القضاعي، ثُمّ أحد بني القين بن جسر غزا الهند في جيش، فجمّرهم[٦]؛ وفي جيشه رجل يقال له حُبَيْش، فلما طالت غيبتُه على أمه اشتاقته، فسألت عمن يكلم لها تَميمَ بن زيد أن يُقْفِلَ ابنها، فقيل لها: عليك بالفرزدق، فاستجيري بقبر أبيه، فأتت قبر غالب بكاظمةَ، حتى علم الفرزدق مكانها.

(١) قاصف من العاج: مزهر أو نحوه من آلات الغناء متخذ من العاج، وهو من القصف بمعنى اللهو، على معصم ريان لم يتخدد: على معصم ممتلىء أملس لا تشقق فيه.
(٢) المجحد: القليل الخير، يريد أنها جارية ناشئة في نعمة.
(٣) مجسد: مطلي بالجساد، وهو الزعفران أو العصفر ونحوهما مما كانوا يطلون به الثياب، تخشيني زياداً: تخوفني إياه.
(٤) تقدمت هذه الأبيات في الترجمة نفسها، فارجع إليها.
(٥) هذا الخبر والخبران اللذان بعده ساقطة من الأصل، وقد نقلناها من هد، هج.
(٦) جمرهم: أطال مدة غزوهم.

[٢١/٣٥٤] / ثمَّ أتته، وطلبت إليه حاجتها، فكتب إلى تَمِيم بن زيد هذه الأبيات:

هَبْ لي حُبَيْشاً واتخذ فيه مِنَّةً ... لغُصَّةِ أمٍّ ما يَسوغُ شرابُها
أتتني فعَادت يا تميمُ بغالبٍ ... وبالحفرة السافي عليها تُرابُها
تَميمُ بن زَيدٍ لا تكونَنَّ حاجتي ... بظَهرٍ فلا يخفى عليَّ جَوابها

فلما أتاه كتابُه لم يدر ما اسمه حُبَيْشٌ أو حُنَيْشٌ، فأخرج «ديوانه»، وأقفل كل حبيْش وحُنيْش في جَيْشه، وهم عدّة، وأنفذهم إلى الفرزدق.

عائذ بقبر أبيه:

قال أبو خليفة: قال ابن سَلّام، وَحدَّثني أبو يحيى الضبي، قال:

ضرب مكاتب لبنى مِنْقر بساطاً على قبر غالب أبي الفرزدق؛ فقدم الناس على الفرزدق، فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه.

ثم قدم عليه فقال:

بقبر ابن لَيْلى غالب عُذْتُ بعدما ... خَشِيت الرَّدَى أو أن أُرَدَّ عَلَى قَسْر
فأخبرني قبرُ ابنِ لَيْلىٰ فقال لِيْ: ... فِكاكُكَ أن تأتي الفرزدقَ بالمِصْرِ[١]

فقال الفرزدق: صدق أبي؛ أنخْ؛ ثمَّ طاف له في النَّاس؛ حتى جمع له مكاتبتَه وفضلاً.

عائذة أخرى بقبر أبيه:

وكان نُفَيْع ذو الأهدام: أحد بني جعفر بن كلاب يتعصب لجرير بمدحه قيساً؛ فهجاه الفرزدق، فاستجارت أمه بقبر غالب؛ وعاذت من هجاء الفرزدق؛ فقال:

[٢١/٣٥٥] / ونُبِّئْتُ ذا الأهدام يعوي ودونه ... من الشَّام زُرّاعَاتُها وَقُصُورُها
على حينَ لم أترك عَلَى الأرض حيَّةً ... ولا نابحاً إلا استقرّ عقورُها
كلابٌ نَبَحن الحيّ من كل جانبٍ ... فعاد عُواءً بعد نَبْحٍ هريرُها[٢]
عجوزٌ تصلي الخمس عاذت بغالبٍ ... فلا والذي عاذت به لا أضيرُها
لئن نافعٌ لم يرعَ أرحامَ أُمِّهِ ... وَكانت كدَلْوٍ لا يزال يعيرُها[٣]
لبئس دمُ المولود بلَّ ثيابها ... عشيَّةَ نادى بالغلام بشيرُها
وَإنِّي على إشفاقها من مخافتي ... وَإن عَقّهَا بي نافعٌ لمجيرها
وَلو أنَّ أمَّ الناس حوّاءَ جاوَرت ... تميمَ بن مُرٍّ لم تجد من يجيرها[٤]

(١) سكن ياء تأتي للضرورة.
(٢) يريد بقوله «عاد عواء بعد نبح» أنها عادت تئن بعد أن كانت تصول.
(٣) عار يعير: عاب أو أتلف، يريد أنه يسبب لأمه المتاعب.
(٤) يريد أن حواء لو استجارت ببني تميم منه لم تجد من يجيرها.

وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة[١] .

جرير يبز:

أخبرني عبدالله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا أحمد بن حاتم المعروفُ بابن نصر، عن الأصمعيّ، قال:

كان عبدالله بنُ عطيةَ راوية الفرزدق وجرير، قال: فدعاني الفرزدق يوماً، فقال: إني قلت بيت شعر والنَّوار طالق إن نقضَه ابن المراغة[٢] ، قلت: ما هو؟ قال: قلت:

فــإنــي أنــا المــوتُ الــذي هــو نــازلٌ ... بنفسـك فـانظـر كيـف أنـت تُحـاولـه[٣]

ارحل إليه بالبيت، قال: فرحلت إلى اليمامة، قال: ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث بالرمل، فقلت: إن الفرزدق قال بيتاً، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه، قال: هيه، قال: / أظَنَّ واللّهِ ذلك؟ ما هو؟ ويلك، فأنشدته إياه، فجعل [٢١/٣٥٦] يتمرغ في الرمل، ويحثوه على رأسه وصدره، حتى كادت الشمس تغرب، ثم قال: أنا أبو حزرة، طَلَقَت امرأةُ الفاسق، وقال:

أنـا الـدهـرُ يفنـي المـوتُ والـدهـر خـالـدٌ ... فجئنـي بمثـل الـدهـرِ شيئـاً يطـاولـه

ارحل إلى الفاسق، قال: فقدمت على الفرزدق، فأنشدته إياه، وأعلمته بما قال، فقال: أقسمت عليك لَمَا سترتَ هذا الحديث.

هناك من هو أجفى منه:

أخبرني عبدالله، قال: أخبرني محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأصمعي وأبو عبيدة، قال:

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة، فضحكوا فقال: يا أبا فِراس أتدري مِمَّ ضحكوا؟ قال: لا، قال: من جفائك، قال: أصلح الله الأمير، حججت، فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبي، وعلى عاتقه الأيسر صبي؛ وإذا امرأة آخذة بمئزرهِ؛ وهو يقول:

أنــت وهبــت زائــداً ومــزَيّــدا ... وكهلــةً أُولــجُ فيهــا الأجــردا[٤]

/ والمرأة تقول من خلفه: إذا شئت، فسألت: ممن هو؟ فقيل: من الأشعريين، أفأنا أجفى أم ذلك؟ فقال ٣٢/١٩ بلال: لا حيّاك الله، قد علمت أنهم لن يفلتوا منك.

تهزمه امرأة:

أخبرني عبدالله بن مالك، قال: حدثني محمد بن حبيب، قال: حدثنا موسى بن طلحة، عن أبي زيد الأنصاريّ، قال:

---

(١) آخر التكملة من هد وهج.
(٢) المراغة: الأتان.
(٣) في بعض النسخ يروى هذا البيت هكذا:
وإنــي أنــا المــوت الــذي هــو لاحــق ... بنفسـك فـانظـر كيـف أنـت محـاولـه
(٤) الخطاب في قوله: «أنت» لله جل جلاله، وزائد ومزيد: ولداه ويريد بالكهلة أمهما.

ركب الفرزدق بغلته، فمر بنسوة؛ فلما حاذاهنّ لم تتمالك البغلة أن ضرَطت، فضحكن منه، فالتفت إليهنّ، [٢١/٣٥٧] فقال: لا تضحكن، فما حملتني أنثى إلا ضرطت، فقالت له / إحداهن: ماحملتك أنثى أكثر من أمك، فأُراها قاست منك ضُراطاً كثيراً، فحرك بغلته، وهرب منهن، وبهذا الإسناد قال:

يهجو إبليس:

أتى الفرزدق الحسنَ البَصري؛ فقال: إني قد هجوتُ إبليس، فقال: كيف تهجوه وعن لسانه تنطق؟.

يسأل الفرزدق فيفحمه:

وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق: يا أبا فراس، أسألك عن مسألة، قال: سل عما أحببت، قال: أيما أحبُّ إليك؟ أتسبق الخير أم يَسْبِقُك؟ قال: إن سبقني فاتني، وإن سبقتُه فتُّه، ولكن نكونُ معاً، لا يسبِقني، ولا أسبقه، ولكن أسألك عن مسألة. قال ابن بيض: سل، قال: أيما أحبُّ إليك؟ أن تنصرف إلى منزلك، فتجدَ امرأتَك قابضة على أير رجل، أم تراه قابضاً على هَنِها، قال: فتحير، وكان قد نُهِي عنه، فلم يَقْبَل.

لا صلح بينه وبين جرير:

أخبرني عبدالله قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني الأصمعي، قال: اجتمع الفرزدقُ وجريرُ عند بشر بن مروانَ فرجا أن يُصْلح بينهما حتى يتكافَّا، فقال لهما: ويحكما! قد بلغتما من السن ما قد بلغتما، وقربت آجالُكما؛ فلو اصطلحتما ووهب كلُّ واحد منكما لصاحبه ذنبَه، فقال جرير: (١ أصلح الله الأمير، إنه يظلمني، ويتعدى عليّ، فقال الفرزدق: ١) أصلح الله الأمير إني وجدت آبائي يظلمون آباءه. فسلكتُ طريقَهم في ظلمه، فقال بشرٌ: عليكما لعنة الله، لا تصطلحان والله أبداً.

يهزأ به وبهجائه:

وأخبرني عبدالله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن عمران الضبيّ، قال: حدثنا الأصمعيّ: قال الفرزدق:

ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرة قال لي: أنت الفرزدق الشاعر؟ قلت: نعم؛ قال: أفاموت [٢١/٣٥٨] إن هجوتني؟ قلت: لا، قال: / أفتموت عَيْشُونةُ ابنتي؟ قلت: لا، قال: فرجلي إلى عنقي في حِرِ أُمِّكَ، قال[٢]: قلتُ: ويلك! لم تركت رأسك؟ قال: حتى أنظر أي شيء تصنع؟.

يأمره مجنون فيطيع:

أخبرني عبدالله، قال: حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي، قال:

مرَّ الفرزدقُ بمأجل[٣] فيه ماء، فأشْرَعَ بغلته فيه، فقال له مجنون بالبصرة: يقال له حربيش: نحِّ بغلتك، جذ الله رجليك، قال: ولم؟ ويلك، قال: لأنك كذوب الحنجرة، زاني الكَمَرة، فقال الفرزدق لبغلته: عَدَسْ ومضى، وكره أن يسمع قولَه الناسُ.

هو وغيره يؤثرون القصار:

(١ ـ١) تكملة من هد، هج.
(٢) فاعل «قال» ضمير الأصمعي.
(٣) المأجل: كل ماء في أصل جبل أو واد.

أخبرنا عبدالله بن مالك، عن ابن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل للفرزدق: ما اختيارك في شعرك للقصار؟ قال: لأني رأيتها أثبتَ في الصدور، وفي المحافل أجْوَلَ؛ قال: وقيل للحُطيئة: ما بالُ قِصارك أكثرَ من طِوالك؟ قال: لأنها في الآذان أوْلَجُ، وفي أفواه الناس أعْلَقُ.

أخبرني عبدالله بن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل لعقيل بن عُلَّفة: مالك تُقَصِّر في هجائك؟ قال: حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة.

يتندر باسمه فيلقمه حجراً:

أخبرني عبدالله، عن محمد بن علي بن سعيد الترمذي، عن أحمد بن حاتم: أبي نصر، قال:

قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرمي للفرزدق: أمَا وجدت أمُّك اسماً لك إلا الفرزدق الذي تكسره النساءُ في سُويقِهَا[١]؟ قال: والعرب تسمى خبْزَ الفَتُوت الفرزدق فأقبل/ الفرزدق على قوم معه في المجلس. فقال: ما اسمه؟ فلم يخبروه باسْمِه، فقال: والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلكم، قال: الجهمُ بنُ سويد بنُ المنذر، فقال الفرزدق: / أحقُّ الناس الا يتكلَّمَ في هذا أنت؛ لأن اسمك اسمُ متاعِ المرأة، واسم أبيك اسمُ الحمار واسمُ جدك اسم الكلب[٢]. ٣٤/١٩ [٢١/٣٥٩]

بيتان يثيرانه:

أخبرنا عبدالله بن مالك، عن الزبير عن عمه عن بعض القرويين، قال:

قدم علينا الفرزدق، فقلنا له: قدم علينا جرير، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم، ومضى يريدهم، فقال: أنشدونيها، فأنشدناه قصيدة كثيِّر التي يقول فيها[٣].

وما زالت رُقاك تسُلُّ ضِغْني ... وتخرج من مكامنها ضِبابي[٤]

ويَرقيني لك الحاوون حتى ... أجابك حيةٌ تحت الحِجاب[٥]

قال: فجعل وجهه يتغير، وعندنا كانون، ونحن في الشتاء، فلما رأينا ما به قلنا: هوِّنْ عليك يا أبا فراس، فإنما هي لابن أبي جمعة[٦]، فانثنى سريعاً ليسجد، فأصاب ناحية الكانون وجْهه فأدماه.

هو والحسين بن علي:

أخبرني عبدالله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: أخبرني القحذميّ، قال:

(١) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير.

(٢) ليس فيما بين أيدينا من المعجمات ما ورد فيه إطلاق هذه الأسماء على تلك المسميات فإن صح ذلك فما أحراها أن تضاف إليها، لأن اللغة من أمثال هؤلاء استمدت.

(٣) يبدو أنهم أرادوا أن يثيروا الفرزدق بنسبة هذين البيتين إلى جرير وقد أثاروه فعلاً ولم يفرخ روعه إلا حينما علم أنهما ليسا لجرير ولا مقولين فيه أما سر ثورة الفرزدق فهو ما تضمناه من فحش في أسلوب بارع، وانظر التعليق عليهما.

(٤) رقاك: جمع رقية وهي ما يرقى به المريض ونحوه. الضباب: جمع ضب وهو الحقد الكامن في الصدر.

(٥) يريد بالحية تحت الحجاب ذكره، والمعنى: كنت غاضباً عليك لا آتيك فما زلت تتودد إلي، ويسعى الساعون في سل بغضي لك من صدري، حتى نشطت إليك، وعاودت إتيانك.

(٦) يبدو أن ابن أبي جمعة هو كثير نفسه.

لقي الفرزدق الحسين بن علي عليهما السلام متوجهاً إلى الكوفة خارجاً من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين ـ صلوات الله عليه وآله ـ: ما وراءك؟ قال: يا بنَ رسول الله، أنفُس الناس معك، [٢١/٣٦٠] / وأيديهم عليك؛ قال: ويحك، معي وِقْر بعير من كتبهم يدعونني، ويناشدونني الله، قال: فلما قتِل الحسين ـ صلوات الله عليه ـ قال الفرزدق: انظروا فإن غضبت العرب لابن سَيّدها وخيْرِها فاعلموا أنه سيدوم عزُّها، وتبقى هيبتها، وإن صبرت عليه، ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذُلاًّ إلى آخر الدهر، وأنشد في ذلك:

فـإن أنتُــم لــم تثــأروا لابــن خيــركــم فـألقــوا الســلاح واغــزِلــوا بــالمغــازِل

حافظة الفرزدق:

أخبرنا عبدالله بن مالك: قال: أخبرني أبو مسلم؛ قال: حدثني الأصمعي، قال: أنشد الراعي الفرزدق أربع قصائد، فقال له الفرزدق: أعيدُها عليك، لقد أتى علي زمان، ولو سمعت ببيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عني[١].

يشرب الخمر ممزوجة باللبن:

أخبرني عبدالله بن مالك قال حدثني أبو مسلم الحرانيّ عن الأصمعيّ، قال:

تَغَدّى الفرزدق عند صديق له. ثم انصرف فمر ببني أسد، فحدثهم ساعة ثم استَسْقَى ماء، فقال فتى منهم: أو لبناً، فقال: لبناً، فقام إلى عُسٍّ[٢]، فصب فيه رطلاً من خمر، ثم حلب، وناوله إياه، فلما كرع فيه انتفخت أوداجه[٣]، واحمر وجهه ثم رد العُسّ، وقال: جزاك الله خيراً، فإني ما علمتك تحب أن تُحفِي[٤] صديقك، وتُخْفِي معروفك ثم مضى.

يزني بامرأته:

وأخبرنا عبدالله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن القحذميّ، قال:

كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها، فامتنعت عليه، وتهددها بالهجاء والفضيحة، فاستغاثت بالنّوار [٢١/٣٦١] امرأته، وقصّت عليها القصة، فقالت لها: واعديه ليلة، ثم أعلميني، ففعلت، / وجاءت النوار، فدخلت الحجلة مع المرأة، فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية، فأطفأت السراج، وغادرت[٥] المرأة الحجلة، واتبعها[٦] الفرزدق، فصار إلى الحجلة، وقد انسلّت المرأةُ خلف الحجلة، وبقيت النوار فيها، فوقع بالنّوار وهو لا يشك أنها ٣٥/١٩ صاحبته، فلما فرغ قالت له: يا عدو الله، يا فاسق، فعرف نغمتها، وأنه خدع، فقال / لها: وأنت هي يا سبحان الله! ما أطيبك حَراماً، وأردأك[٧] حلالاً.

(١) في هد، هج: «وأنا أهوي في بئر لحفظته وذلك أن الإنسان إذا هوي في بئر ذهب عقله».
(٢) العس: القدح الكبير.
(٣) الأوداج: جمع ودج، وهو عرق في العنق يقطعه الذابح، فيذهب بالحياة.
(٤) في الأصول «تخفي» وهو تصحيف «تحفي» يريد أنه يحتفى بضيفه، ويذهب بلبه، فلا يعرف قيمة ما أسدى إليه من معروف.
(٥) في النسخ «بادرت» ونرجح أنها تحريف «غادرت».
(٦) واتبعها: اتبع الحجلة، لا المرأة.
(٧) في هد: «وأرذلك» بدل «وأردأك».

يضن عليه ابن سبرة بجارية فيهجوه:

أخبرني عبدالله بن مالك. قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذمي قال:

استعمل الحجاج الخيارَ بن سبرة المجاشعي على عمان، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية فكتب إليه الخيار:

كتبتَ إليّ تستهدي الجواري ... لقد أنعظتَ من بلدٍ بعيد

فأجابه الفرزدق:

ألا قال الخيارُ وكان جهلاً ... قد استهدى الفرزدقُ من بعيد[١]

فلولا أن أمك كان عمّي ... أباها كنت أخرس بالنشيد[٢]

وأنّ أبي لَعَمُّ أبيك لحّا ... وأنك حين أغضبُ من أسودي[٣]

إذاً لشددتُ شدّةَ أعوجيٍّ ... يدقّ شكيمَ مجدول الحديد[٤]

/ **لا يستسيغ خطأ في القرآن:**

[٢١/٣٦٢]

أخبرنا عبدالله بن مالك عن الأصمعي قال:

سمع الفرزدق رجلاً يقرأ: ﴿والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله غفورٌ رحيمٌ﴾ فقال[٥]: لا ينبغي أن يكون هذا هكذا، قال: فقيل له: إنما هو ﴿عزيز حكيم﴾ قال: هكذا ينبغي أن يكون.

يمدح أسماء بن خارجة:

أخبرنا عبدالله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: حدثنا الأصمعي، قال:

مرَّ أسماءُ بن خارجة الفزاريّ على الفرزدق، وهو يهنأ[٦] بعيراً له بنفسه، فقال له أسماء: يا فرزدق كسد شعرك، واطرحتك الملوك، فصرت إلى مهنة إبلك، فقد أمرت لك بمائة بعير، فقال الفرزدق فيه يمدحه:

إنّ السّماحَ الذي في الناس كلهمُ ... قد حازه اللّهُ للمفضَال أسماء

يُعطي الجزيلَ بلا مَنٍّ يكدّره ... عفواً ويُتْبِعُ آلاءً بنعماءِ[٧]

ما ضَرَّ قوماً إذا أمسى يجاورهم ... ألّا يكونوا ذوي إبلٍ ولا شَاءِ

هل شاخ شعره بشيخوخته:

أخبرني عبدالله بن مالك[٨] عن محمد بن موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة:

---

(١) اسم كان ضمير القول المفهوم من المقام.

(٢) يريد: لولا أن أمك ابنة عمي لأخرستك عن قول الشعر بهجائي لك، أو كنت أنت أخرس بالنشيد، أي لأخرستك عن قول الشعر.

(٣) لحا: من لحت القرابة إذا دنت، والتصقت، ولعله يريد بقوله: «من أسودي» أنه من أنصاره الشجعان حين يغضب.

(٤) الأعوجي: الجواد المنسوب إلى أعوج، وهو جواد أصيل ينسب إليه الخيول الجيدة، ولعله يريد بتلك الشاة أنه يهجوه.

(٥) في هج، هد: فقال الفرزدق: ﴿فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم﴾ ولا ينبغي... إلخ والعبارة ساقطة من ب.

(٦) يهنأ بعيراً: يطليه بالهناءة، وهي القار.

(٧) جر نعماء بالكسرة للضرورة، ولو قال: «آلاء بآلاء» لسلم منها.

(٨) في هد، هج: «أخبرني عبدالله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم عن محمد... إلخ، وفي رواية أخرى نسبة هذا الخبر إلى الأصمعي.

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها:

فـإن أبـا مـوسـى خليـلُ محمـدٍ وكفّـاه يُمْنَـى للهـدى وشِمـالُهـا

[٢١/٣٦٣] فقال ابن أبي بردة: هلكت وَاللّهِ يا أبا فراس، فارتاع الشيخ، وقال: كيف / ذاك؟ قال ذهب شعرك، أين مثلُ شعرك في سعيد، وفي العباس بن الوليد، وسمّى قوماً فقال: جئني بحَسبٍ مثل أحسابهم، حتى أقول فيك كقولي فيهم، فغضب بلال حتى [١] دَرّت أوداجُه[١] ودُعِي له بطست[٢] فيه ماء بارد، فوضع يده فيها، حتى سكن، فكلمه فيه جلساؤه وقالوا: قد كفاك الشيخ نفسه وقلّ ما يبقى حتى يموت، فلم يَحُل عليه الحول حتى مات.

قواد له من أصحابه:

أخبرنا عبدالله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن سعيد بن همام اليماميّ، قال:

شرب الفرزدق شراباً باليمامة وهو يريد العراق، فقال لصاحب له: إنَّ الغُلمة قد آذتني[٣] فأكسِبني بَغِيًّا، قال: من أين أصيب لك ها هنا بغياً؟ قال: فلا بد لك من أن تحتال، قال: فمضى الرجل إلى القرية، وترك الفرزدق ناحية؛ فقال: هل من امرأة تُقبِّل[٤]، فإن معي امرأتي وقد أخذها الطّلق فبعثوا معه امرأة، فأدخلها الفرزدق، وقد غَطّاه، فلما دنت منه واثبها. ثمّ ارتحل مبادراً، وقال: كأني بابنِ الخبيثة[٥] يعني جريراً لو قد بلغه الخبر قد قال:

٣٦/١٩ / وكنـتَ إذا حللـتَ بـدار قـومٍ رحلـتَ بخـزيـةٍ وتـركـتَ عـارا

قال: فبلغ جريراً الخبر، فهجاه بهذا الشعر.

[٢١/٣٦٤] / **يغتصب بيتاً:**

وأخبرنا عبدالله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: قال أبو نهشل: حدثنا بعض أصحابنا: قال:

وقف الفرزدق على الشمردل، وهو ينشد قصيدة له، فمر هذا البيت في بعض قوله:

ومـا بيـن مَـن لـم يعـطِ سمعـاً وطـاعـة وبيـن جـريـر غيـر حـزِّ الحـلاقـم[٦]

فقال الفرزدق: يا شمردل، لتتركن هذا البيت لي أو لتتركن عرضك؛ قال: خذه، لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم، وهي التي أولها قوله:

تحـنُّ إلـى زورا اليمـامـة نـاقتـي حنيـنَ عجـولٍ تبتغـي البـوّرائـم[٧]

(١ ـ١) التكملة من هد، هج، در العرق: امتلأ دماً، الأوداج: جمع ودج، وهو عرق يقطعه الذابح في العنق، فيذهب بالحياة.
(٢) في الأصل: «بطشت» بالشين، وهي لغة والشائع «طست» بالسين، معرب عن «تشت» يؤنث ويذكر.
(٣) في هد: «قتلتني» بدل «آذتني».
(٤) تقبل: تشتغل قابلة، أي مولدة.
(٥) في هد: «كأني بالخبيث».
(٦) مر هذا الخبر برواية «الغلاصم» بدل «الحلاقم».
(٧) في هد، هج «تحن بزوراء اليمامة... إلخ» البو: جلد يحشى تبناً على هيئة الحوار يتخذ لتدر الناقة اللبن حين تراه، رائم: عطوف.

تستعيذ بقبر أبيه:

أخبرنا عبدالله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيبَ، عن الأصمعيّ، قال:

جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق؛ فضربت عليه فسطاطاً. فأتاها فسألها عن أمرها. فقالت: إني عائذة بقبر غالب من أمرٍ نزل بي، قال لها: وما هو، قد ضَمِنت خلاصك منه، قالت: إن ابناً لي أغزى إلى السِّند مع تميم بن زيد[1]؛ وهو واحدي قال: انصرفي، فعليّ انصرافُه إليك إن شاء الله، قال: وكتب من وقته إلى تَميم[2] بقوله:

تَميمُ بنَ زيدٍ لا تكونَنَّ حاجتي ... بظَهرٍ فلا يخفى عليَّ جَوابُها

/ وهب لي خُنَيْساً واتَّخذ فيه مِنَّةً ... لحَزمة أمٍّ ما يسوغُ شَرَابُهَا [٢١/٣٦٥]

أتتني فعاذت يا تَميمُ بغالبٍ ... وبالحفرة السّافي عليها ترابُهَا

قال: فعرض تميم جميع من معه من الجند، فلم يدع أحداً اسمه خُنَيْس، ولا حُنَيْش إلا وصله، وأذن له في الانصراف إلى أهله.

ماذا يشتهي:

أخبرنا عبدالله بن مالك، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال:

مرَّ الفرزدق بصديق له، فقال له: ما تشتهي يا أبا فراس؟ قال: أشتهي شواءً رَشْرَاشاً، وَنبيذاً سعيراً، وغناء يفتق السمع.

الرشراش: الرَّطْب، والسّعير: الكثير.

يتبرم بعشاق شعره:

أخبرنا عبدالله بن مالك. قال: حدثنا محمد بن حبيب: قال: حدثني السعديّ، عن أبي مالك الزيدي[3]. قال:

أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئاً، فجلسنا ببابه ننتظر، إذ خرج علينا في مِلْحَفة. فقال لنا: يا أعداء الله، ما اجتماعُكم ببابي؟ والله لو أردت أن أزني ما قدَرت.

يعاني في قرض الشعر:

أخبرني عبدالله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال حدثنا الأصمعي عن هشام بن القاسم، قال:

قال الفرزدق: قد علم الناس أني فحل الشعراء، وربما أتت عليّ الساعة لَقَلْع ضرسٍ من أضراسي أهونُ عَلَيّ من قولِ بيت شعر.

يهجو راويته فلا ينقض كلامه:

حدثنا عبدالله بن مالك عن أبي مسلم، عن الأصمعي، قال:

---

(١) مر هذا الخبر، وآثرنا أن نثبته، كما في الأصول لقصره.

(٢) في هد: تميم بن زائدة.

(٣) في هد، هج: «عن أبي مالك النهري».

كان الفرزدق وأبو شَفْقَل راويته في المسجد؛ فدخلت امرأة، فسألت عن مسألة، وتوسّمت؛ فرأت هيئة أبي شَفْقَل، فسألته عن مسألتها، فقال الفرزدق:

أبو شَفْقَل شيخ عن الحق جائرٌ ... بباب الهدى والرّشد غيرُ بصير

[٣٦٦/٢١] / فقالت المرأة: سبحان الله؟ أتقول هذا لمثل هذا الشيخ؟ فقال أبو شقفل: دعيه فهو أعلم بي.

سكينة بنت الحسين تجرحه وتأسوه:

أخبرنا عبدالله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائنيّ، قال:

٣٧/١٩ خرج الفرزدق حاجاً، فمر بالمدينة، فأتى سُكَينةَ بنت الحسين صلوات الله عليه وآله، فقالت: يا فرزدق. / مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت؛ أشعر منك الذي يقول:

بنفسي مَنْ تجنُّبُه عزيزٌ ... عليَّ وَمَنْ زيارتُه لِمَامُ

وَمَن أُمسي وَأُصبِح لا أراه ... وَيطرقُني إذا هجعَ النيامُ[1]

فقال: وَالله لو أذنتِ لي لأسمعتك أحسن منه. فقالت: أقيموه: فأُخرِج. ثم عاد إليها في اليوم الثاني. فقالت له: يا فرزدق. من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت: أشعرُ منك الذي يقول:

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ... وَلزُرتُ قبرَكِ والحبيبُ يزارُ

لا يلبثُ القُرَناءُ أن يتفرّقوا ... ليلٌ يكرّ عليهمُ ونهارُ

كانت إذا هجر الضجيعُ فراشَها ... كُتِمَ الحديثُ وعَفّت الأسرار[2]

قال: أفأُسْمعكِ[3] أحسن منه؟ قالت: اخرج.

ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جاريةٌ كأنها ظبيةٌ، فاشتد عجبه بها. فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول:

[٣٦٧/٢١] / إنّ العيونَ التي في طَرفِها مَرَضٌ ... قتَلْنَنا ثم لم يُحيِين قتلانا[4]

يَصرعنَ ذا اللُّبّ حتى لا حَراكَ له ... وهُنّ أضعفُ خلقِ الله أركانا[5]

ثم قالت: قم فاخرج. فقال لها: يا بنت رسول الله، إن لي عليك لحقًّا. إذ كنتُ إنما جئتُ مسلّماً عليك، فكان من تكذيبك إيّاي وصنيعك[6] بي حين أردتُ أن أسمعك شيئاً من شعري ما ضاق به صدري. والمنايا تغدو وتروح، ولا أدري، لعلي لا أفارق المدينةَ حتى أموت. فإن مِتُّ فمري مَنْ يدفِنني في حِرِ هذه الجارية التي على رأسك، فضحكت سُكَيْنةُ، حتى كادت تخرج من ثيابها، وأمرت له بالجارية، وقالت: أحسِن صحبَتها؛ فقد آثرتك

(١) هذان البيتان لجرير.
(٢) وهذه الأبيات لجرير أيضاً، من قصيدة يرثي فيها زوجته.
(٣) أفأسمعك: الفاء هنا عاطفة على معطوف محذوف، أي أنشدك، فأسمعك أو نحو ذلك.
(٤) وهذان البيتان لجرير أيضاً، ويعدهما مؤرخو الأدب أبرع ما قيل في الغزل، وكثير من الروايات «حور» بدل «مرض».
(٥) في كثير من الروايات «إنساناً» بدل «أركاناً».
(٦) في هد «ومنعك أن أسمعك شيئاً من شعري».

بها على نفسي، قال: فخرج وهو آخذ بِرَيْطتها[١].

يطالب معاوية بتراث عمه:

أخبرنا عبدالله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني قال:

وفد الحُتَاتُ عمُّ الفرزدق على معاوية، فخرجت جوائزهم، فانصرفوا، ومرض الحتات، فأقام عند معاوية حتى مات، فأمر معاوية بماله، فأُدخِلَ بيتَ المال، فخرج الفرزدق إلى معاوية، وهو غلام، فلما أُذِنَ للناس دخل بين السماطين[٢]، ومَثَل بين يدي معاوية، فقال:

أبـوك وعمّـي يـا معـاويَ ورِّثـا ... تـراثـاً فيحتـازُ التـراثَ أقـاربـهُ[٣]

/ فمـا بـال ميـراثِ الحتـات أكلتَـهُ ... وميـراثُ حـرب جـامـدٌ لـيَ ذائبـه؟[٤] [٢١/٣٦٨]

فلـو كـان هـذا الأمـرُ فـي جـاهليَّـةٍ ... علمـتَ مَـنِ المـولـى القليـلُ حـلائبـهُ[٥]

ولـو كـان هـذا الأمـر فـي مِلـك غيـركـم ... لأدّاه لـي أو غـصّ بـالمـاء شـاربـه[٦]

فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا الفرزدق قال: ادفعوا إليه ميراث عمه الحتات، وكان ألف دينار، فدفع إليه.

امرأة تهجوه فتوجعه:

أخبرنا عبدالله بن مالك، عن أبي حمزة الأنصاري، قال: أخبرنا أبو زيد، قال: قال أبو عبيدة.

انصرف الفرزدق من عند بعض الأمراء في غداة باردة، وأمر بجزور، فنُحِرت ثمَّ قُسِّمَت، فأغفل امرأة من بني فُقيم، نسيها، فرجزت به، فقالت:

/ فَيْشلـةٌ هـدْلاءُ ذات شِقْشـقِ ... مشـرفـةُ اليـافـوخ والمحـوَّقِ[٧] ٣٨/١٩

مُـدمَجـةٌ ذاتُ حِفـافِ أخلـقِ ... نِيطـت بحَقْـوَيْ قَطِـمٍ عشَنَّـقِ[٨]

* أولجتهـا فـي سَبّـة الفـرزدق[٩] *

(١) الريطة: الملاءة كلها نسيج واحد وقطعة واحدة، أو كل ثوب لين رقيق.
(٢) السماطين: الصفين.
(٣) يحتاز: يحوز، أقاربه: أقارب التراث، أو أقارب الميت المفهوم من المقام.
(٤) كأنه يريد أن يقول له: ما دمت أكلت عمي فدعني آكل تراث أبيك حرب بن أمية..
(٥) المولى: القريب، حلائب: جمع حلوبة، يريد أن عمه لومات في الجاهلية لآل ميراثه إليه، ولا سيما أنه محتاج إلى قليل من النوق.
(٦) يريد بقوله: «أوغص بالماء شاربه» تهديد من يأكل ميراثه.
(٧) هدلاء: طويلة، من قولهم: هدل الجمل: طالت مشافره، الشقشق: شيء كالرئة يخرجه الجمل من فيه إذا هدر. مشرفة اليافوخ: طويل أعلاها، المحوق: من الحوق، وهو ما أحاط بالكمرة من حوافيها..
(٨) الحفاف: ما أحاط بالشيء، أخلق: صلب مصمت لا يؤثر فيه شيء، الحقو: الخصر، قطم: مجيد للنكاح مشته له، عشنق: طويل.
(٩) السبة: الاست وجملة أولجتها في سبة الفرزدق «خبر فيشله» في صدر الأبيات، . . . وما بينهما صفات لها..

قال أبو عبيدة: فبلغني أنه هرب منها، فدخل في بَيت حمّاد بن الهيثم[1]، ثُمّ إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك:

[٢١/٣٦٩] / قتلتُ قتيلاً لم يرَ الناسُ مثلَه ... أُقلّبه ذا تَوْمَتين مُسَوَّرا[2]

حملتُ عليه حملتين بطعنةٍ ... فغادرتُهُ فوق الحشايا مكوّرا[3]

ترى جرحَه من بعد ما قد طعنته ... يفوح كمثل المسك خالطَ عنبرا[4]

وما هو يوم الزحف بارزَ قِرنَه ... ولا هو ولّى يوم لاقى فأدبرا

بني دارم ما تأمرون بشاعرٍ ... برود الثنايا ما يزال مزعفرا[5]

إذا ما هو استلقى رأيت جهَازه ... كمقطع عُنق الناب أسود أحمرا[6]

وكيف أُهَاجي شاعراً رمحُهُ استُه ... أعدّ ليوم الروع دِرْعاً وَمَجْمرا[7]

فقالت المرأة: ألا لا أرى الرجال يذكرون منّي هذا، وعاهدت الله ألا تقول شعراً.

كأنه يريد أن يؤتي:

أخبرنا عبدالله بن مالك بن مسلم، عن الأصمعيّ قال:

[٢١/٣٧٠] مرّ الفرزدق يوماً في الأزد، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه، وأعانه على ذلك سفهاؤهم، / فجاءت مشايخ الأزد وأولو النُّهى منهم، فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء، فقال لهم ابن أبي علقمة: ويلكم! أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر؛ هذا شاعرُ مضر ولسانها، قد شتم أعراضكم، وهجا ساداتِكم، والله لا تنالون من مضر مثلها أبداً، فحالوا بينه وبينه، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك: قاتله الله. إي والله، لقد كان أشار عليهم بالرأي.

أنصاري يتحداه بشعر حسان بن ثابت:

أخبرني عبدالله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال الكلبي: قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص. وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ والأخفش جميعاً، عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن أبي عبيدة والكلبيّ: قال: وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قالوا جميعاً:

قدِم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أبان بن عثمان، فأتى الفرزدق وكثيِّر عَزة، فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع

(١) في هد: «حماد بن القسم».
(٢) التومة: لؤلؤة تتحلى بها المرأة، مسوراً: لابساً أساور، يريد أنه صرع بهجائه محارباً من النساء.
(٣) في هد:

حملت عليه حملة فطعنته ... فغادرته فوق الفراش مكورا

وفي هج:

حملت إليه طعنتي فطعنته ... فغادرته بين الحشايا مكورا

والمعاني متقاربة.
(٤) يريد أن المطعون جميل، يتضوع دمه مسكاً وعنبراً.
(٥) في الأصول «يرود» بالياء المثناة، وهو تصحيف «برود» بالباء الموحدة، يصف غريمه بأنه عذب الرضاب بارده.
(٦) يريد بالجهاز بضع المرأة، والناب: الناقة المسنة.
(٧) اختلفت الأصول في رواية هذا البيت اختلافاً كثيراً، وقد اخترنا رواية هد، هج، غير أننا نرى أن «درعا» تحريف «ردعاً» بمعنى زعفران، والمعنى: كيف أهاجي امرأة سلاحها ما بين أفخاذها، تعد للحرب طيباً وبخوراً؟.

عليهما غلام شخت[١] رقيق الأدمة، في ثوبين ممصرين، فقصد نحونا، فلم يسلم، وقال: أيكم الفرزدق؟ فقلت[٢] مخافة أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها؟ فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا، فقال له الفرزدق: من أنت لا أمَّ لك، قال: رجل من الأنصار، ثم من بني النجار، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب، وتزعمه مضر، وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً، فأردتُ أن أعرضه عليك، وأؤجلك سنة، فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب، كما قيل، وإلا فأنت منتحِلٌ كذّاب، ثم أنشده:

* ألم تسألِ الرّبعَ الجديدَ التكلُّما *

حتى بلغ إلى قوله:

وأبقى لنا مَرُّ الحروب ورزؤُها ... سيوفاً وأدراعاً وجمًّا عرمرما[٣]

/ متى ما تَرِدْنا من مَعدٍّ عِصابةٌ ... وغسانَ نمنعْ حوضنا أن يُهدَّما [٣٧١/٢١]

/ لنا حاضرٌ فعمٌ وبادٍ كأنه ... شماريخُ رَضْوَى عِزةً وتكرُّما[٤] ٣٩/١٩

أبى فِعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنا ... وقائلُنا بالعُرف إلا تكلُّما[٥]

بكل فتًى عاري الأشاجع لاحَه ... قِراعُ الكماة يرشح المِسكَ والدّما[٦]

ولدنا بني العنقاء وابنَيْ محرِّقٍ ... فأكرم بذا خالاً وأكرم بذا ابْنَما[٧]

يُسَوَّدُ ذا المالِ القليلِ إذا بدت ... مروءتُه فينا وإن كان مُعدِما[٨]

وإنا لنَقْري الضيفَ إن جاء طارقاً ... من الشحم ما أمسى صحيحاً مُسلَّما[٩]

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعن بالضّحى ... وأسيافُنا يقطُرن من نجدةٍ دمَا[١٠]

فأنشده القصيدة، وهي نيّف وثلاثون بيتاً، وقال له: قد أجّلتك في جوابها حولاً، فانصرف الفرزدق مغضباً، يسحَب رداءه، وما يدري أيّة طرقه[١١] حتى خرج من المسجد، فأقبل على كثير، فقال له: قاتل الله الأنصار[١٢] ما أفصحَ لهجتهم، وأوضحَ حُجّتهم، وأجودَ شعرهم، فلم نزل في حديث الأنصار والفرزدق بقية يومنا، حتى إذا كان / من الغد خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنتُ فيه بالأمس، فأتى كثيِّر، فجلس معي، وإنَّا لنتذاكر الفرزدق، [٣٧٢/٢١]

(١) الشخت: الضامر النحيف خلقة، وفي بعض النسخ: «شخت اللون» وكان الأنسب أن يقال: «شخت الجسم».
(٢) التاء من قلت: ضمير راوي الخبر، وفي هذا الخبر بعض الالتواء، ولكنه هكذا في الأصول.
(٣) جماً عرمرماً: جيشاً كثير العدد. وفي ف: «جمعاً عرمرماً».
(٤) فعم: ممتلىء، والمراد مفاخر.
(٥) هذا البيت تكملة من «المختار».
(٦) الأشاجع: أصول الأصابع، أو عروق ظاهر الكف، ويكنى بعريها عن كثرة قبضها على السلاح، لاحه: أهزله وأضمره، ويكنى بقوله: «يرشح المسك والدم» عن أنه مترف وقت السلم، شجاع وقت الحرب.
(٧) ولدنا: ولدت أوائلنا، أبنما - بفتح النون - تمييز، وهو أحد أسمين يتبع ما قبل آخره في الأعراب آخره، وهما «امرؤ وأبنم».
(٨) في ب: «منا» بدل: «فينا».
(٩) يريد أنه إذا قرى لا يعمد إلى الهزيل أو السقيم من نوقه فيذبحه.
(١٠) البيت مشهور، وله قصة طويلة بين الخنساء وحسان والنابغة، ارجع إليها في كتب الأدب.
(١١) كذا في النسخ والمقام يستدعي زيادة كلمة «يسلك» بعد «أية طرقه» وفي «المختار»: «يذهب».
(١٢) في بعض النسخ: «قاتل الله الأنصاري، ما أفصح لهجته... إلخ، بضمير الواحد».

ونقول: ليت شعري ما صنع؟ إذ طلع علينا في حُلّة أفوافٍ[1]، قد أرخى غديرته، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاري؟ فنلنا منه، وشتمناه، فقال: قاتله الله: ما مُنيت بمثله، ولا سمعت بمثل شعره، فارقته، وأتيت منزلي، فأقبلت أصعّدُ وأصوِّب في كل فن من الشعر، فكأني مفحَم لم أقل شعراً قط، حتى إذا نادى المنادى بالفجر رحَلتُ ناقتي، وأخذت بزمامها حتى أتيت رَيَّانا[2]، وهو جبل بالمدينة، ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أخاكم، يعني شيطانه، فجاش صدري كما يجيش المرجل، فعقلت ناقتي وتوسدت ذراعها، فما عتمت[3] حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً، فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصاري، حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا، ثم قال: إني لم آتِك لأعجلَك عن الأجل الذي وقّتُه لك، ولكني أحببت ألا أراك إلا سألتك: إيش[4] صنعت؟ فقال: اجلس، وأنشده قوله:

عــزفــتَ بــأعشــاشٍ ومــا كنــت تعــزفُ ... وأنكــرتَ مــن حــدراءَ مــا كنــت تعــرف

ولـــجّ بـــك الهجــرانُ حتــى كــأنمــا ... تـرى المـوت فـي البيـت الـذي كنـت تـألـف

في رواية ابن حبيب: تَيْلُف[5] حتى بلغ إلى قوله:

تَـرى النـاسَ مـا سِـرنـا يسيـرون خلفنـا ... وإن نحــن أومـأنــا إلــى النّــاس وقَّفــوا

[٢١/٣٧٣] / وأنشدها الفرزدق، حتى بلغ إلى آخرها، فقام الأنصاري كئيباً، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن حزم في مشيخة من الأنصار، فسلموا عليه، وقالوا: يا أبا فراس، قد عرفتَ حالنا ومكاننا من رسول الله ﷺ، وقد بَلَغَنا أن سفيهاً من سفهائنا ربما تعرض لك، فنسألُك بحق الله وحق رسوله لما حفِظت فينا وصيةَ رسول الله ﷺ، ووهبتنا له، ولم تفضحنا.

قال محمد بن إبراهيم: فأقبلتُ عليه أكلمه، فلما أكثرنا عليه، قال: اذهبوا، فقد وهبتكم لهذا القرشي.

[قـال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشِدني أجود شعر عملته، فأنشده:

* عـزفـتَ بـأعشـاش ومـا كـدت تعـزف[6] *

فقال: زدني: فأنشده:

ثـــلاثٌ واثنتـــان فتلـــك خمـــس ... وواحـــدة تميـــل إلـــى الشُّمـــام[7]

فبِتْـــنَ بجـــانبـــيّ مصـــرَّعـــاتٍ ... وبـــتُّ أفـــضُّ أغـــلاق الخِتَـــام[8]

(١) أفواف: ثياب رقاق موشاة مخططة.

(٢) هكذا في ب «ريانا» والصواب «ريان» بالمنع من الصرف، لأنه من الري وربما كان من الرين، فتكون نونه أصلية، وحينئذ فلا مانع من صرفه، وفي «المختار»: «ذبابا» بدل «ريانا».

(٣) ما عتمت: ما أبطأت.

(٤) إيش: لفظ منحوت من «أي شيء» وهو عربي فصيح.

(٥) وكذا في «الديوان»: ٥٥١ و «النقائض» وهي لهجة تميمية في تألف.

(٦) تقدمت الأبيات التي تبتدىء بهذا المصراع.

(٧) يريد بهذا العدد: من عبث بهن من النساء، والشمام: القبل والترشف وما إليهما.

(٨) كنى بفض أغلاق الختام عن المضاجعة والمواقعة...

فقال له سليمان: ما أراك إلا قد أحللتَ نفسك للعقوبة، أقررتَ بالزنى عندي، وأنا إمام، ولا تريد مني إقامة الحد عليك، فقال: إن أخذت فيّ بقول الله عزّ وجلّ لم تفعل. قال: وما قال؟. قال: قال الله تبارك وتعالى: **﴿والشّعراء يتّبعُهم الغاوون، ألم ترَ أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾**، فضحك سليمان وقال: تلافيتها ودرأت عنك الحدّ وخلع عليه وأجازه][1].

/ يجتمع هو وجرير بالشام: [٢١/٣٧٤]

أخبرنا عبدالله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال:

قدم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطفي، فقال له جرير: ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه، فقال له / الفرزدق: إني طالما أخلفتُ ظن العاجز. [٤٠/١٩]

أخبرنا عبدالله بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن طلحة: قال: قال أبو مِخْنف:

الفرزدق لعنة وجرير شهاب:

كان الفـرزدق[2] لُعَنَةً، أي يتلعّن به كأنه لُعَنَة على قوم، وكان جرير شهاباً من شهب النار.

يتندر بمحمد بـن وكيع:

أخبرنا عبدالله بن مالك، قال: حدثنا الأزديّ: قال: حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال: قال أبو عمرو ابن العلاء[2]:

مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سُود، وهو على ناقة فقال له: غدّني، قال: ما يحضرني غَداء، قال: فاسقني سَوِيقاً، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبيذاً، قال: أوصاحبَ نَبيذٍ عهدتَني، قال: فما يُقعدك في الظل؟ قال: فما أصنع؟ قال أطْلِ وجهك بدِبْس[3]، ثم تحوّل إلى الشمس، واقعد فيها، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه، قال أبو عمرو: فما زال ولد محمد يُسبُّون بذلك من قول الفرزدق انتهى.

هاشم بن القاسم يتجاهله:

أخبرنا عبدالله بن مالك، عن ابن حبيب، عن موسى بن طلحة، عن أبي عبيدة، عن أبي العلاء: قال: أخبرني هاشم بن القاسم العنزي أنه قال:

جمعني والفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه، فقلت له: من أنت؟ قال: أما تعرفني؟ قلت: لا، قال: فأنا أبو فراس، قلت: ومن أبو فراس، قال: أنا الفرزدق، قلت: ومَنِ الفرزدق؟ قال: أو ما تَعْرف الفرزدق؟ قلت: أعرف الفرزدقَ / أنه شيء يتّخذه النساء عندنا، يتَسمّنَّ به وهو الفَتوت، فضحك وقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم. [٢١/٣٧٥]

الكلبيون يعبثون به:

أخبرني عبدالله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن النضر بن حديد، قال:

---

(١) تكملة من «المختار».

(٢ ـ ٢) تكملة من هج ولعل المراد أن الأول لعنة على من يهجوه، والثاني يرجم من يهجوه كما يرجم الشهاب.

(٣) الدبس: الأسود من كل شيء.

مر الفرزدق بماء لبني كليب مجتازاً، فأخذوه، وكان جباناً، فقالوا: والله لتلقَيَنَّ منا ما تكره، أو لتنكحنَّ هذه الأتان، وأتوه بأتان، فقال: ويلكم! اتقوا الله، فإنه شيء ما فعلتُه قط، فقالوا: إنه لا ينجيك والله إلا الفعل قال: أمّا إذا أبيتم فأتوني بالصخرة التي يقوم عليها[1] عطية، فضحكوا، وقالوا: اذهب لأصحبك الله.

أسود يستخف به:

أخبرنا عبدالله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن العتبي قال:

دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة، وفي صدر مجلسهم فتى أسودُ، وعلى رأسه إكليل؛ فلم يحفَل بالفرزدق، ولم يَخْفَ به تهاوناً، فغضب الفرزدق من ذلك وقال:

جلوسُك في صدر الفراش مَذَلّةٌ ... ورأسك في الإكليل إحدى الكبائرِ

وما نَطَفَتْ كأسٌ ولا لَذَّ طعمُها ... ضربتَ على حافاتها بالمشافرِ[2]

يرثي وكيعاً، فينسى مشيعيه الاستغفار له:

أخبرني عبدالله بن مالك عن محمد بن موسى، عن العتبي قال:

لما مات وكيعُ بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أُخرج، وعليه قميص أسود، وقد شقه إلى سرته وهو يقول:

فمات ولم يوتر وما من قبيلة ... من الناس إلا قد أباءت على وتر[3]

وإنّ الذي لاقى وكيعاً ونالَه ... تناول صِدّيق النبيّ أبا بكر[4]

[٢١/٣٧٦] / قال: فَعَلِق الناسُ الشعر، فجعلوا ينشدونه، حتى دُفِنَ، وتركوا الاستغفار له.

ميميته المأثورة في علي بن الحسين:

أخبرنا عبدالله بن علي بن الحسن الهاشمي، عن حيان بن علي العنزي، عن مجالد، عن الشعبي قال:

حج الفرزدق بعد ما كبر، وقد أتت له سبعون سنة، وكان هشامُ بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى عليَّ بنَ الحسين في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تَبرُق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهَها؟ فقالوا: هذا عليُّ بنُ الحسين بن عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرِف البطحاءُ وطأتَه ... والبَيتُ يَعْرِفه والحِلُّ والحرمُ

٤١/١٩ / هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهم ... هذا التقيُّ النَّقيُّ الطاهرُ العلَمُ

هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَه ... بجدِّه أنبياءُ اللّهِ قد خُتِموا[5]

وليس قولُك: مَن هذا بضائرِه ... العُرْبُ تعرِف مَنْ أنكرتَ والعجمُ

إذا رأتْه قريشٌ قال قائلها: ... إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ

---

(١) يريد عطية أبا جرير، ومعروف أنه كان يلقب جريراً بابن المراغة.

(٢) نطفت الكأس: قطرت، والمصراع الثاني صفة لكأس مع الفصل بين الصفة والموصوف.

(٣) في ب: «أباءت» وفي نسخة أخرى «أثابت» وكلاهما بمعنى «رجع» المتعدي كأنه يريد رجعت نفسها إلى الأخذ بالثأر.

(٤) ظاهر البيتين يفيد أن وكيعاً مات قتيلاً، وأنه كان ذا صلة بالخليفة أبي بكر.

(٥) نون «فاطمة» للضرورة.

يُغْضِي حياءً ويُغْضَى من مهابته فما يُكَلَّمُ إلا حين يَبْتَسِم
بكَفّه خيزُرانٌ رِيحُها عَبِقٌ من كفّ أروعَ في عِرْنينه شمم[1]
يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحته رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم[2]
الله شرَّفه قِدْماً وعَظّمه جَرَى بذاك له في لوحه القلم
/ أيُّ الخلائق ليست في رقابهم لأَوَّلِيَّة هذا أولَهُ نِعَمُ؟[3]

[٢١/٣٧٧]

مَنْ يشكرِ الله يشكرْ أوّليّة ذا فالدِّين من بيت هذا ناله الأمم
يَنْمي إلى ذِروة الدين التي قَصُرت عنها الأكفُّ وعن إدراكها القَدَمُ
مَنْ جَدُّه دان فَضْلُ الأنبياء له وفَضْلُ أمّته دانت له الأمم
مُشتقَّةٌ من رسول الله نَبْعَتُه طابت مغارسُه والخِيمُ والشِّيَمُ[4]
ينشقُّ ثَوبُ الدّجى عن نُور غُرّته كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظُّلَم
مِنْ معشرٍ حبُّهم دينٌ، وبغضهم كُفْرٌ وقُربُهمُ مَنْجى ومُعْتَصَم
مُقَدَّمٌ بعد ذكر الله ذِكرُهمُ في كلّ بَدء ومختومٌ به الكَلِم
إن عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمتَهم أو قيل مَنْ خيرُ أهل الأرض قيلَ: همُ
لا يستطيع جوادٌ كنهَ جودهُمُ ولا يُدانيهمُ قومٌ وإن كرموا
يُسْتَدفَع الشَّرُّ والبلوى بحبّهمُ ويسترَبُّ به الإحسانُ والنِّعَم[5]

[6] وقد حدثني بهذا الخبر أحمدُ بنُ الجعد، قال: حدثنا أحمد بن القاسم البرتيّ، قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعيّ، فذكر أن هشاماً حجَّ في حياة أبيه، فرأى عليَّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهم يطوف بالبيت والناسُ يُفْرِجون له. فقال: مَنْ هذا؟ فقال الأبرش الكلبي: ما أعرفه، فقال الفرزدق: ولكني أعرفه، فقال: من هو؟ فقال:

* هذا الذي تعرف البطحاء وطأته *

وذكر الأبيات... إلخ[6].

/ قال: فغضب هِشامٌ فحبَسه بين مكة والمدينة فقال:

[٢١/٣٧٨]

أتَحبِسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يَهْوى مُنيبُها[7]

(١) العرنين: الأنف.
(٢) عرفان: مفعول لأجله، أي يكاد ركن الحطيم يقبض على راحته عند استلامها إياه، لأن الركن يعرف هذه الكف.
(٣) نعم اسم ليس، أي، ما في الخلائق مخلوق لا يدين بالنعمة له أو لأوليته: جدوده السابقين، وفي نسخة أخرى: أي الخلائق إلا في رقابهم، وعليه تكون «نعم» مبتدأ مؤخراً لقوله: «في رقابهم».
(٤) النبعة: شجرة صلبة الألياف تتخذ منها القسيُّ، وكنى بها عن الأصل والأرومة، والخيم: الأصل والشرف.
(٥) يسترب: يستزاد وينمى.
(٦ ـ ٦) تكملة من هد، هج.
(٧) كنى بقوله: «والتي... إلخ» عن مكة.

يقلّبُ رأساً لم يكن رأس سيِّدٍ وعيناً له حولاء بادٍ عيوبُها[١]

فبلغ شعرُه هِشاماً، فوجّه، فأطلقه.

بينه وبين مالك بن المنذر:

أخبرنا عبدالله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرنا أبو روح الراسبيّ، قال:

لما ولِيَ خالدُ بن عبدالله العِراقَ ولّى مالك بن المنذر شُرطَة البصرة، فقال الفرزدق:

يُبَغِّض فينا شرطَة المصر أنني رأيتُ عليها مالكاً عَقِبَ الكلبِ

قال، فقال مالك: عَلَيَّ به، فمضوا به إليه، فقال:

أقول لنفسي إذ تَغَصُّ بريقها ألا ليت شعري ما لها عند مَالِكِ؟

قال: فسمع قولَه حائكٌ يطلع من[٢] طرازه، فقال:

لها عنده أن يَرجِعَ اللّهُ ريقها إليها وتنجُو من عظيم المهالك[٣]

فقال الفرزدق هذا أشعرُ الناس، ولَيعودَنَّ مجنوناً، يصيح الصبيان في أثره [٤] فقال: فرأوه بعد ذلك مجنوناً يصيح الصبيان في أثره [٤].

[٣٧٩/٢١] / أخبرنا / عبدُالله بن مالك قال: حدثنا محمد بن علي بن سعيد، قال حدثنا القَحْذميّ: قال:

٤٢/١٩ فلما أتَوْا مالك بن المنذر بالفرزدق قال: هيه عَقِبَ الكلب، قال: ليس هذا هكذا قلت، وإنما قلت:

ألم ترني ناديتُ بالصوت مالكاً ليسمع لما غصَّ من ريقه الفمُ

أعوذ بقبر فيه أكفانُ مُنْذرٍ فهن لأيدي المستجيرين مَحْرَمٌ[٥]

قال: قد عذتَ بمعاذ[٦]، وخلّى سبيلَه.

أخبرنا عبدالله قال: حدثني محمد بن موسى، قال:

كتب خالدٌ القسريُّ إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق، ويذكر أنه بلغه أنه هجاه، وهجا نهرَه المبارك[٧]، وهو النهر الذي بواسط الذي كان خالد حفره، [٨] فاشتد مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم[٨] فأخذه وحبسه ومرُّوا به على بني مجاشع، فقال: يا قوم، اشهدوا أنه لا خاتم بيدي، وذلك أنه[٩] أَخَذَ عُمَرَ بنَ

(١) فاعل يقلب، ضمير هشام، وكانت عينه حولاء وكان القياس «بادياً عيوبها»، ولا يصح أن يكون «باد» خبراً مقدماً عن «عيوب» لأنه مفرد.
(٢) هد: «يطلع من طراز له»: دكان الحائك.
(٣) سكن واو «تنجو» للضرورة.
(٤ ـ ٤) تكملة من هد، هج.
(٥) منذر: أبو مالك، وضمير هن يعود على الأكفان.
(٦) بمعاذ: بذي حرمة، يعوذ من استعاذ به.
(٧) تقدم هذا الخبر برواية أخرى.
(٨ ـ ٨) تكملة من هد، هج.
(٩) فاعل أخذ: ضمير المنذر.

يزيدَ بن أسَيْد، ثم أمرَ به فلُويتْ عنقُه، ثم أخرجوه ليلاً إلى السجن، فجعل رأسه يتقلب، والأعوان يقولون له: قوِّمْ رأسك، فلما أتَوْا به السّجّانَ قال: لا أتسلمه منكم ميتاً، فأخذوا المفاتيح منه، وأدخلوه الحبس، وأصبح ميتاً، فسمَّعوا أنه مصّ خاتمه وكان فيه سم، فمات، وتكلم الناس في أمره، فدخل لبطةُ بن الفرزدق على أبيه، فقال: يا بني، هل كان من خبر؟ قال: نعم، عُمَرُ بنُ يزيدَ مصَّ خاتمه في الحبس، وكان فيه سم، فمات، فقال الفرزدق: والله يا بني لئن لم تلحق بواسط ليمص[1] أبوك خاتَمَه، وقال في ذلك:

/ ألـم يَـكُ قَتْـلُ عبـدالله ظُلْماً … أبـا حفـص مـن الحُـرَمِ العظامِ[2] [٢١/ ٣٨٠]

قتيـلُ عـداوة لـم يجـنِ ذنباً … يُقَطَّـعُ وهـو يهتـف للإمـام

قال: وكان عُمَرُ عارضَ خالداً وهو يصف لهشام طاعةَ أهل اليمن وحسنَ موالاتهم ونصيحتهم، فصفَّق عَمرُو بنُ يزيد إحدى يديه على الأخرى، حتى سمع له في الإيوان دَوِيٌّ، ثم قال: كذب والله يا أمير المؤمنين، ما أطاعت اليمانية، ولا نصحت، أليس[3] هم أعداؤك وأصحابُ يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ والله ما ينعَقُ ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه، فاحذرهم يا أمير المؤمنين[4] قال: فتبين ذلك في وجه هشام[4] ووثب رجل من بني أمية، فقال لعمرو بن يزيد: وصل الله رحمك وأحسن جزاءك، فلقد شددتَ من أنفس قومك، وانتهزْتَ الفرصة في وقتها، ولكن أحسَبُ هذا الرجل سيَلِي العراقَ، وهو منكِرٌ حسود، وليس[5] يَخارُ لك إن ولي، فلم يرتدعْ عمر بقوله، وظن أنه لا يُقدم عليه، فلما وَلِيَ لم تكن له همة غيرُه، حتى قتله، قال:

جرير يشفع له:

ثم إن مالكاً وجَّهَ الفرزدق إلى خالد، فلماقدم به عليه وجده قد حج، واستخلف أخاه أسدَ بنَ عبدالله على العراق، فحبسه أسد، ووافق عنده جريراً، فوثب يشفع له، وقال: إن رأى الأمير أن يَهَبه لي، فقال أسد: أتشفع له يا جرير؟ فقال: إن ذلك أذلُّ له ـ أصلحك الله ـ وكلم أسداً ابنهُ المنذِرُ، فخلّى سبيله، فقال الفرزدق في ذلك:

لا فضـلَ إلا فضـلُ أمٍّ علـى ابنها … كفضـل أبـي الأشبـال عنـد الفـرزدق[6]

تـداركنـي مـن هُـوَّةٍ دون قعـرِها … ثمـانـون بـاعـاً للطُّـوال العَشَنَّـقِ[7]

/ وقال جرير يذكر شفاعته له: [٢١/ ٣٨١]

وهـل لـك فـي عـانٍ وليس بشـاكـرٍ … فتطلـقَ عنـه عـضَّ مَـسِّ الحـدائـدِ[8]

---

(١) «ليمص» كذا في النسخ، والقياس «ليمصن» بنون التوكيد، ومراد الفرزدق أنه سيقتل، ويدعي عليه أنه مص خاتمه، لا أنه يمص مصاً حقيقياً.

(٢) أبا حفص: مفعول «قتل».

(٣) اسم ليس هنا ضمير الشان، وجملة «هم أعداؤك» خبر ليس.

(٤ ـ ٤) فتبين ذلك، أي أثر ذلك الكلام، والتكملة من هد.

(٥) وليس يخار لك: ليس يختار لك ما يرضيك، والجملة يراد بها التحذير.

(٦) البيت من الطويل دخله الخرم، أبو الأشبال: يراد به أسد بن المنذر، الجار والمجرور «كفضل» خبر لا، وأصل التركيب: لا فضل كفضل أبي الأشبال إلا فضل أم على ابنها.

(٧) الطوال ـ بضم الطاء ـ الطويل، والعشق: الطويل أيضاً، فهو من باب التكرار للتأكيد.

(٨) يريد بالحدائد القيود، ويلاحظ أن جريراً لم ينس النيل من الفرزدق في بيته حتى في مقام الشفاعة له.

يعــودُ وكــان الخبــثُ منــه سجيــةً | وإن قــال: إنــي مُنْتَــهٍ غَيْــرُ عــائــد

يهجو بني فقيم:

٤٣/١٩ / أخبرني عبيد الله، عن محمد بن موسى، عن القحذمي، قال:

كان سببَ هرب الفرزدق من زياد، وهو على العراق، أنه كان هجا بني فقيم، فقال فيهم أبياتاً منها:

وآب الــوفــدُ وفــدُ بنــي فُقَيْــمٍ | بــأخبــث مــا تئــوب بــه الــوفــودُ
أتَــوْنــا بــالقــرود مُعــادليهــا | فصــار الجَــدُّ للجــدُّ السعيــدُ[1]

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقَيْمي والأشهب بن رميلة بأبيات، منها قوله:

تمنّــى ابــنُ مسعــودٍ لقــائي سفــاهــةً | لقــد قــال مَيْنــاً يــوم ذاك ومنكــرا[2]
غنــاءٌ قَلِيــلٌ عــن فُقَيــمٍ ونهْشــلٍ | مَقــامُ هَجيــنٍ ســاعــةً ثــم أدبــرا[3]

يعني الأشهبَ بنَ رُمَيْلةَ، وكان الأشهبُ خطب إلى بني فُقَيْم، فردوه، وقالوا له: اهْجُ الفرزدق حتى نزوّجَك، فرجز به الأشهب، فقال:

[٢١/٣٨٢] / يــا عجبــا هــل يــركــبُ القَيْــنُ الفــرسْ | وَعَــرَقُ القَيْــنِ علــى الخيــل نَجَــسْ؟[4]
وإنمــا ســـلاحُــه إذا جَلَــسْ | الكَلْبتــان والعَــلاةُ والقَبَـــسْ[5]

يهرب من زياد:

فلما بلغ الفرزدق قولُه هجاه، فأرفث[6] له، وألح الفرزدق على النهشليين بالهجاء، فشكوه إلى زياد، وكان يزيدُ بنُ مسعود ذا منزلة عند زياد، فطلبه زياد، فهرب، فأتى بكرَ بن وائل، فأجاروه، فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات:

إنــي وإن كــانــت تميــمٌ عِمــارتِــي | وكنــتُ إلـى القُـرْمُـوسِ منهـا القُمـاقـم[7]
لَمُثْــنٍ علــى أبنــاء بكــرِ بــن وائــلٍ | ثنــاءً يــوافــي ركبهــم فــي المــواســم[8]
همــو يــوم ذي قــار أنــاخــوا فجــالــدوا | بــرأسٍ بــه تَــدْمَــى رؤوسُ الصّــلادم[9]

(١) معادليها: حال من الواو، أي أتونا بالقرود وهم مشابهون لها، وفي الأصل: «فصار المجد للجد السعيد» ولا معنى له، فضلاً عما فيه من الإقواء، وقد اخترنا رواية ف «فصار الجد للجد السعيد» على أن الجد الأولى بمعنى الحظ، والجد الثانية ـ بفتح الجيم أو ضمها ـ بمعنى الرجل المجدود، والسعيد صفة الجد الأولى، والمعنى: رجعوا هم بالقرود، ورجع المحظوظ بالحظ السعيد.

(٢) في هج: «حيناً» بدل «ميناً» وفي غيرها «ميتاً» وهو تصحيف.

(٣) الهجين: غير صريح النسب، وفي البيت عطف الفعل على الاسم، والمعنى: أقام ساعة ثم أدبرا.

(٤) القين: الحداد.

(٥) الكلبتان: آلة من آلات الحداد، والعلاة: السندان، والقبس: ما يستعمله الحداد من النيران في إلانة الحديد.

(٦) أرفث: أفحش.

(٧) البيت من الطويل دخله الخرم، العمارة: الحي دون القبيلة، القرموس، السيد الرئيس، القماقم: الجواد ذو الفضل الغزير.

(٨) لمثن: خبر «إني» في البيت السابق.

(٩) يوم ذي قار: يوم مشهور، كان للعرب على الفرس، ولعل يعني بالرأس هانيء بن مسعود بطل ذلك اليوم، الصلادم: جمع صلدم بمعنى الأسد أو الحجر الصلب، والمعنى يستقيم على كلا المعنيين.

وهرب، حتى أتى سعيد بن العاص، فأقام بالمدينة يشرب، ويدخل إلى القيان، وقال:

إذا شئتُ غنّاني من العاج قاصف ... على معصم ريّانَ لم يتخدّدِ[١]

لبيضاءَ من أهل المدينة لم تَعِشْ ... ببؤس ولم تتبع حمولةَ مُجْحَد

وقامت تخشّيني زياداً وأجفلت ... حواليَّ في بُرْدٍ يمانٍ ومَجْسَد

فقلتُ: دعيني من زياد فإنني ... أرى الموت وقّافاً على كلّ مَرْصَد

/ **مروان ينفيه ثم يجيزه:** [٢١/٣٨٣]

فبلغ شعرهُ مروانَ، فدعاه، وتوعده، وأجّله ثلاثاً، وقال: اخرج عني، فأنشأ يقول الفرزدق:

دعانا ثم أجلنا ثلاثاً ... كما وُعِدَتْ لمَهْلَكِها ثمودُ[٢]

قال مروان[٣]: قولوا له عني: إني أجبته، فقلت:

قل للفرزدق والسّفاهةُ كاسْمِها ... إن كنت تاركَ ما أمرتُك فاجلِس[٤]

ودعِ المدينةَ إنها محظورةٌ ... والحَقْ بمكةَ أو ببيت المقدسِ

قال: وعزم على الشخوص إلى مكة، فكتب له مروان إلى بعض عماله، ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار، فارتاب بكتاب مروان، فجاء به إليه وقال:

مروانُ إنّ مطيّتي معقولةٌ ... ترجو الحِباءَ وربُّها لم ييأسِ

آتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ ... يُخشى عليَّ بها حِباءُ النِّقرسِ[٥]

/ ألقِ الصحيفةَ يا فرزدق لا تكن ... نكراءَ مثلَ صحيفةِ المُتَلَمِّسِ[٦] ٤٤/١٩

قال: ورمى بها إلى مروانَ، فضحك، وقال: ويحك! إنك أميٌّ، لا تقرأ، فاذهب بها إلى من يقرؤها، ثم ردَّها، حتى أختمها، فذهب بها، فلما قُرِئت إذا فيها جائزة، قال: فردَّها إلى مروان، فختمها، وأمر له الحسينُ بنُ عليّ عليهما السلام بمائتي دينار، قال: ولما بلغ جريراً أنه أخرج عن المدينة قال:

/ إذا حلَّ المدينةَ فارجُمُوهُ ... ولا تُدنُوهُ من جَدَث الرسولِ[٧] [٢١/٣٨٤]

فما يُخْمَى عليه شرابُ حدٍّ ... ولا وَرْهاءُ غائبةُ الحليلِ[٨]

فأجابه الفرزدق، فقال:

---

(١) تقدمت هذه الأبيات في الترجمة نفسها. فارجع إليها.

(٢) في هج «دعاني ثم أجلني».

(٣) ليس فيما قاله الفرزدق ما يستدعي عدول مروان عن عقوبته، فلعل هنا خرما، أو لعل بعد البيت السابق أبيات استعطاف لم تذكر.

(٤) الشعر لمروان: ولم نستطع التوفيق بين قوله: «اجلس» في البيت الأول وقوله: «ودع المدينة» في البيت الثاني، ربما كانت «اجلس» تصحيف «احلس» ـ بالحاء ـ بمعنى ضع الحلس على دابتك وارحل، والحلس: القتب أو السرج ونحوهما.

(٥) النقرس: الهلاك، أو الداهية، أو وجع في مفاصل الكعبين.

(٦) صحيفة المتلمس: صحيفة حملها تتضمن هلاكه، وقصتها مشهورة، والمتلمس الشاعر المعروف.

(٧) في هج «إذا حل الفرزدق».

(٨) في هد «يخفى» بدل «يحمى» والورهاء: الحمقاء، والمراد أنه مدمن زير نساء.

نعتّ لنا من الورهاء نَعْتاً قعدتُ به لأمك بالسبيلِ
فلا تبغي إذا ما غاب عنها عطيةُ غيرَ نَعْتِك من حَليلِ[١]

يموت بذات الجنب:

أخبرنا عبدالله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا أبو عكرمة الضبّيّ عن أبي حاتم السجستاني، عن محمد بن عبدالله الأنصاري، قال أبو عكرمة: وحُكِيَ لنا عن لَبَطَةَ بنِ الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب، فكانت سبب وفاته.

قال: ووُصِف له أن يشرب النِّفط الأبيض، فجعلناه له في قدح، وسقيناه إياه، فقال: يا بني عجّلت لأبيك شراب أهل النار، فقلت له: يا أبت، قل: لاإله إلا الله، فجعلت أكررها عليه مراراً، فنظر إليّ وجعل يقول:

فَظلَّتْ تعالى باليَفاع كأنها رماح نحاها وِجْهه الرّيح راكز[٢]

فكان ذا هجِّيراه حتى مات.

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: حدثَني شُعَيب بن صخر، قال:

دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه، وهو يقول:

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأمر جلَّ عن الخطاب

[٢١/٣٨٥] / البيتين[٣]، فقال بلال: إلى الله، إلى الله.

يتمرد في مرض موته:

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الأصمعيّ، قال:

كان الفرزدق قد دَبَّر عبيداً له، وأوصى بعتقهم بعد موته، ويُدفع شيء من ماله إليهم، فلما احتُضِر جمع سائرَ أهل بيته، وأنشأ يقول:

أروني مَنْ يقوم لكم مقامي إذاً ما الأمرُ جلّ عن الخطاب
إلى مَن تفزعون إذا حَثَوْتم بأيديكم عليَّ من التّرابِ

فقال له بعض عبيده ـ الذين أمر بعتقهم ـ: إلى الله، فأمر ببيعه قبل وفاته، وأبطل وصيتّه فيه، والله أعلم.

أخبرني الحسنُ بن عليّ، عن بشر بن مروان، عن الحميديّ، عن سفيان، عن لَبَطَة بن الفرزدق قال:

لمّا احتُضِر أبو فراس قال ـ أيْ لبَطةَ: أبغني كتاباً أكتبْ فيه وصيتي، فأتيته بكتاب فكتب وصيّته:

* أروني من يقوم لكم مقامي *

البيتين، فقالت مولاة له ـ قد كان أوصى لها بوصية ـ: إلى الله عزّ وجلّ، فقال: يا لبطة، امحها من الوصية.

(١) يريد بالبيتين أن أم جرير هي الورهاء التي لا يخفى مكانها عليه حين يغيب حليلها عطية.
(٢) تعالى: أصله تتعالى، ولعل ضمير «ظلت» يعود على خيل، أو إبل، أو نحو ذلك، وكأن الفرزدق صرف هذا الضمير إلى روحه التي تصاعدت حتى بلغت حلقومه.
(٣) لم يتقدم ذكر البيتين، بل ذكر بيتاً واحداً، على أنه سيعيدهما بعد أسطر.

قال سفيان: نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس.

ينظم وصيته شعراً:

وقال عَوانة: قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أوصِ، فقال:

أُوصِّي تميماً إن قضاعةَ ساقها ... نَدَى الغيث عن دارٍ بدومةَ أوجَدْبِ[1]

/ فإنكم الأكفاءُ والغيثُ دُولةٌ ... يكون بشرق من بلاد ومن غَرْبِ[2] [٢١/٣٨٦] ٤٥/١٩

إذا انتجعت كلْبٌ عليكم فوسّعوا ... لها الدارَ في سهل المقامة والرَّحب

فأعظمُ من أحلام عادٍ حُلومُهم ... وأكثرهم عند العديد من التُّرْب

أشدُّ حبالٍ بعد حَيَّيْن مِرَّةً ... حِبالٌ أُمِرّتْ من تميم ومن كلب[3]

يسبقه إلى الآخرة غلام له:

قال: وتوفي للفرزدق ابنٌ صغير قبل وفاته بأيام، وصلّى عليه، ثم التفت إلى الناس، فقال:

وما نَحْن إلا مِثْلُهم غير أنّنا ... أقمنا قليلاً بعدهم وتَقَدَّمُوا

قال: فلم يلبث إلا أياماً حتى مات.

أنشد عند موته:

وقال المدائنيّ: قال لَبَطَةُ: أُغمِيَ على أبي، فبكينا، ففتح عينيه، وقال: أعليَّ تبكون؟ قلنا: نعم، أفعلى ابن المراغة نبكي؟ فقال: ويحكم! أهذا موضع ذكره؟ وقال:

إذا ما دبَّت الأنقاءُ فوقي ... وصاح صدًى عليَّ مع الظلام[4]

فقد شَمِتَتْ أعاديكم وقالت: ... أدانيكم مِنَ أينَ لنا المحامي؟

وقع نعيه على جرير:

أخبرني أبو خليفة الفضلُ بنُ الحُباب إجازة، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثنا أبو العَرّاف، قال: نُعِيَ الفرزدق لجرير، وهو عند المهاجر بن عبدالله باليمامة، فقال:

/ مات الفرزدقُ بعد ما جرَّعتُهُ ... لَيْتَ الفرزدقَ كان عاش قليلا[5] [٢١/٣٨٧]

فقال له المهاجر: بئس ما قلت، أتهجو ابن عمك بعد ما مات! ولو رثيته كان أحسن بك. فقال: والله إني لأعلمُ أنَّ بقائي بعده لقليلٌ، وأنّ نجمي لموافق لنجمه، أفلا أرثيه؟ قال: أبعد ما قيل لك: الو كنت بكيته ما نسيتك العرب.

---

(١) قضاعة: مفعول به لفعل محذوف تقديره: «إن ساق ندى الغيث قضاعة»، دومة: اسم مكان بعينه.
(٢) دولة: متداولة، لا تستقر على حال.
(٣) المرة: إحكام الفتل.
(٤) في ب: «الأفياء». والنقا: الكثيب من الرمل، والصدى: رجع الصوت من الجبل ونحوه، أو هو طائر يخرج من رأس القتيل، ويقول: اسقوني حتى يؤخذ بثاره، وليس المراد أنه مات قتيلاً بل المراد أنه مجاور لهذا الطائر وأمثاله.
(٥) جرعته: سقيته المر ونحوه، وفي، هج: «جدعته» بالدال المشددة بمعنى قطعت أنفه.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: فأنشدني معاوية بن عمرو، قال: أنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها:

فلا ولَدَتْ بعد الفرزدق حاملٌ ولا ذاتُ بعلٍ من نِفاسٍ تَعَلَّتِ[1]

هو الوافد المأمونُ والرَّاتِقُ الثَّأَى إذا النعلُ يوماً بالعشيرة زَلّتِ[2]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة بخبر جرير لمّا بلغه وفاة الفرزدق، وهو عند المهاجر، فذكر نحوا مما ذكره ابن سلام، وزاد فيه، قال:

ثم قال، وبكى، وندم، وقال: ما تقارب رجلان في أمر قط، فمات أحدهما إلا أوشك صاحبُه أن يتبعه.

في أي سنة مات:

قال أبو زيد: مات الحسنُ وابنُ سيرينَ والفرزدق وجريرٌ في سنة عشرٍ ومائةٍ، فقَبْرُ الفرزدق بالبصرة، وقَبرُ جرير وأيوب السّختياني ومالك بن دينار باليمامة في موضع واحد.

وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبة، لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة، وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة، وقد قال فيه الفرزدق شعراً، وذكره في مواضع من قصائده، ويقوّي ذلك ما أخبرنا به وكيع، قال:

[٢١/٣٨٨] / حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني ابن النّطّاح، عن المدائنيّ، عن أبي اليقظان وأبي هَمّام المجاشعيّ:

أن الفرزدق مات سنة أربعَ عشرةَ ومائةٍ.

جرير ينعي نفسه ويرثيه:

قال أبو عبيدة:

حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي، وأمه ابنة جرير بن عطية، قال:

بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل، فقال له جرير: من أين وَضَح الراكب[3]؟ قال: من البصرة، فسأل عن الخبر، فأخبره بموت الفرزدق، فقال:

٤٦/١٩ / مات الفرزدق بعد ما جرّعته ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

ثم سكت ساعة، فظنَنَّاه يقول شعراً، فدمعت عيناه، فقال القوم: سبحان الله، أتبكي على الفرزدق! فقال: والله ما أبكي إلا على نفسي، أما والله إن بقائي؛ خلافَهُ[4] لقليل، إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمدُ ما بينهما قريباً، ثم أنشأ يقول:

فُجعنا بحمَّالِ الدِّيات ابنِ غالبِ وحامي تميم كلِّها والبَراجِم

(١) تعلت المرأة من نفاسها: انقضت عنها مدته.
(٢) الثأى: الفتق.
(٣) من أين وضح الراكب؟: من أين طلع؟ وفي بعض النسخ «أوضع» بدل «وضح» وهما بمعنى واحد.
(٤) خلافه: بعده، ومنه قوله تعالى: ﴿لا يلبثون خلافك إلا قليلا﴾.

بكينـاكَ حِـدْثـانَ الفِـراق وإنمـا بكينَـاك شجْـواً لـلأمـور العظـائـم[١]

فـلا حَملـت بعـدَ ابـنِ ليلـى مَهيـرَةٌ ولا شُـدَّ أنسـاعُ المطـيِّ الـرَّواسِـمِ[٢]

يموت بالدبيلة:

[٢١/٣٨٩]

/ وقال البلاذري: حدثنا أبو عدنان[٣]، عن أبي اليقظان، قال:

أسنَّ الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدُّبَيْلة[٤]، وهو بالبادية فقدم إلى البصرة ؛ فأُتِيَ برجل من بني قيس متطبب؛ فأشار بأن يُكوَى، ويشربَ النّفط الأبيض، فقال: أتعجّلون لي طعام أهل النار في الدنيا؟ وجعل يقول:

أرونـي مَـنْ يقـوم لكـم مقـامـي إذا مـا الأمـرُ جـلَّ عـن الخطـابِ

أبو ليلى المجاشعي يرثيه:

وقال أبو ليلى المجاشعيّ يرثي الفرزدق:

لعمـري لقـد أشجـى تميمـاً وهَـدَّهـا علـى نكبـاتِ الـدهـر مـوتُ الفـرزدق

عشيَّـةَ قُـذنَـا للفـرزدق نعشَـه إلـى جَـدَثٍ فـي هُـوّة الأرض مُعْمَـق

لقـد غيّبـوا فـي اللَّحـد مَـنْ كـان ينتمـي إلـى كـل بـدر فـي السمـاء مُحَلِّـقِ

ثَـوَى حـامـلُ الأثقـال عـن كـل مُثقـل ودفَّـاعُ سلطـانِ الغشـومِ السَّمَلَّـقِ[٥]

لسـانُ تميـمٍ كلِّهـا وعِمَـادُهـا ونـاطقُهـا المعـروف عنـد المُخَنَّـقِ[٦]

فمـن لتميـم بعـد مـوت ابـن غـالـبٍ إذا حـلَّ يـومٌ مظلـمٌ غَيـرُ مُشـرِق

لتبـكِ النّسـاءُ المعْـوِلاتُ ابـنَ غـالـبٍ لجـانٍ وعـانٍ فـي السـلاسـل مُـوثـق

أعلام ماتوا سنة موته:

وقال ابن زكريا الغلابيّ، عن ابن عائشة، قال:

مات الفرزدق وجرير في سنة عشرة ومائة، ومات جرير بعده بستة أشهر، ومات في هذه السنة الحسنُ البصريّ وابنُ سيرين، قال:

/ فقالت امرأة من أهل البصرة: كيف يفلح بلدٌ مات فقيهاه وشاعراه في سنة؟ ونسبت جريراً إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة، وقبر جرير باليمامة، وبها مات، وقبر الأعشى أيضاً باليمامة: أعشى بني قيس بن ثعلبة، وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم:

[٢١/٣٩٠]

(١) حدثان الفراق: أول الفراق وابتداءه.

(٢) المهيرة: من غولي في مهرها، إنساع: جمع نسع، وهو سير عريض تشد به الحقائب والعيب ونحوها، الرواسم: الإبل التي تؤثر في الأرض.

(٣) في هج: «أبو هفان» بدل «أبو عدنان».

(٤) الدبيلة: داء من الأدواء التي تصيب الجوف.

(٥) في هج: «وحمال» بدل «ودفاع». السملق: الشرس السيء الخلق.

(٦) عند المخنّق: عندما يعيا المتكلم عن الكلام كأنه مختنق.

وقال جرير لما بلغه موتُ الفرزدق: قلّما تصاول فحلان، فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به.

ورثاهما جماعة، فمنهم أبو ليلى الأبيض[١]، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما:

لعمري لئن قَرْمَا تَميمٍ تتابعا ... مُجيبَيْن للدّاعي الذي قد دَعَاهُما
لَرُبَّ عَدُوٍّ فرّق الدهرُ بينه ... وَبَيْنهما لم تُشْوِهِ ضَغْمَتَاهما[٢]

يتراءى في المنام:

أخبرني ابن عمار، عن يعقوب بن إسرائيل، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن الأصمعي، عن جرير يعني أبا حازم[٣] قال:

رُئِي الفرزدقُ وجرير في النوم، فرئي الفرزدق بخير، وجرير مُعَلّق[٤].

قال قعنب: وأخبرني الأصمعيّ، عن روح الطائيّ[٥]، قال:

٤٧/١٩ رئيّ الفرزدق في النوم، فذكر / أنه غُفِر له بتكبيرة كبّرها في المقبرة عند قبر غالب.

[٢١/٣٩١] / قال قَعنَب: وأخبرني أبو عبيدة النحويّ وكيسان بن المعروف النحوي، عن لَبَطَة بن الفرزدق، قال:

رأيت أبي فيما يرى النائم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال. نفعتْنِي الكلمةُ التي نازَعنيها[٦] الحسنُ على القبر.

هو والحسن في جنازة النوار:

أخبرني وكيع، عن محمد بن إسماعيلَ الحسانيّ، عن عليّ بن عاصم، عن سفيان بن الحسن، وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام ـ والرواية قريب بعضها من بعض ـ: أنّ النَّوارَ لما حَضَرها الموت أوصت الفَرزدقَ ـ وهو ابنُ عمها ـ أن يُصَلِّيَ عليها الحسنُ البصريّ، فأخبره الفرزدقَ، فقال: إذا فرغتم منها فأعلمني، وأُخرِجت، وجاءها الحسن، وسبقهما الناس، فانتظروهما، فأقبلا، والناسُ ينتظرون، فقال الحسن: ما للناس؟ فقال: ينتظرون خيرَ الناس وشرَّ الناس، فقال: إنّي لستُ بخيرهم، ولستَ بشرهمْ، وقال له الحسن على قبرها: ما أعددتَ لهذا المضجع، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة.

هذا لفظ محمد بن سلاّم. وقال وكيع في خَبَرِه: فتشاغل الفرزدق بدفنها، وجلس الحسنُ يعظ الناس، فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة[٧] الحسن، وقال:

---

(١) في هج: «الأبيضي» بدل «الأبيض».
(٢) في الأصل «لم يثوه ضيفاهما» ولا معنى له، فضلاً عن اختلال وزن البيت.
وفي هد: «لم تشوه صحفتاهما» وليس بشيء، وفي هج: «لم تشوه صنعتاهما» وليس بشيء أيضاً، والذي نرجحه «لم تشوه ضغمتاهما» من أشوى الصائد الصيد: أخطأه، والضغمة: العض العنيف، والمعنى: أن يموتا قرب عدو عضناه، فلم يخطئا مقتله، وربما كانت «لم تشوه صعدتاهما» والصعدة: الرمح.
(٣) في هد، هج: «ابن حازم» بدل «أبا حازم».
(٤) في هد، هج: «محتبس» بدل «معلق».
(٥) في هد: «الكلبي» بدل «الطائي».
(٦) يعني بهذه الكلمة «شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين عاماً» على نحو ما سيأتي تفصيله فيما بعد.
(٧) ب: «على حلقة الناس».

لقد خاب من أولاد آدمَ مَنْ مَشَى إلى النار مغلولَ القِلادةِ أزرقا[١]

أخاف وراءَ القبر إن لم يُعافِني أشدَّ من القبر التهاباً وأضيقا

/ إذا جاءني يومَ القيامة قائدٌ عَنِيفٌ وسَوَّاقٌ يَقُود الفرزدقا[٢] [٣٩٢/٢١]

رواية أخرى له مع الحسن:

أخبرنا أحمد: قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا حيان[٣] بن هلال: قال: حدثنا خالد بن الحر: قال: رأيت الحسنَ في جنازة أبي رجاء العُطَارِدِيِّ، فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وتسعين[٤] سنة، قال إذاً تنجوَ إن صدقت. قال: وقال الفرزدق: في هذه الجِنازة خيرُ الناس وشر الناس، فقال الحسن: لستُ بخير الناس ولستَ بشرهم.

يذكر ذنوبه فينشج:

أخبرنا ابن عمار، عن أحمد بن إسرائيل، عن عبيد الله بن محمد القرشيّ بطُوس، قال:

حدثني يزيدُ بنُ هاشم العبديّ: قال: حدثنا أبي: قال: حدثنا فُضَيلٌ الرّقاشيّ قال:

خرجت في ليلة باردة، فدخلتُ المسجدَ، فسمعتُ نشيجاً وبكاءً كثيراً، فلم أعلم مَنْ صاحبُ ذلك، إلى أن أسفر الصبح، فإذا الفرزدق، فقلت: يا أبا فراس، تركت[٥] النّوار، وهي لَيِّنة الدِّثار دَفِئة الشِّعار، قال: إني والله ذكرت ذُنُوبي، فأقلقتْني، ففزعت إلى الله عز وجلّ.

تنجيه شيبته من النار:

أخبرني وكيعٌ، عن أبي العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدريّ قال: حدثني هلال بن يحيى[٦] الرازيّ: قال: حدثني شيخ كان ينزل سكة قريش: قال:

/ رأيت الفرزدق في النوم فقلتُ: يا أبا فراس، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بإخلاصي يوم الحسن، وقال: لولا شيبتك لعذّبنك بالنار. [٣٩٣/٢١]

رواية أخرى في لقائه مع الحسين:

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن دَماذ، عن أبي عبيدة، عن لَبَطة بن الفرزدق، عن أبيه: قال:

لقيت الحسين بن عليّ ـ صلوات الله عليهما ـ وأصحابَه بالصِّفَاح، وقد ركبوا الإبل، وجَنَّبوا الخيل، متقلّدين السيوفَ، متنكبين القِسِيَّ، عليهم يلامق[٧] من الديباج، فسلمت عليه، وقلت: أين تريد؟ قال: العراق، فكيف تركت الناس؟ قال: تركتُ الناسَ قلوبُهم معك، وسيوفُهم عليك، والدنيا مطلوبة، وهي في أيدي/ بني أمية، والأمر ٤٨/١٩١

(١) يراد بالقلادة الطوق، وبغلها إطباقها، ويراد بقوله: «أزرقا» ما ورد في التنزيل من أن المجرمين يحشرون إلى جهنم زرقا.
(٢) في هج: «يسوق» بدل «يقود».
(٣) في هج: «حسان» بدل «حيان».
(٤) في هج: «وثمانين» بدل «وتسعين».
(٥) يريد أنه يبكي لفراق النوار.
(٦) في هج: «هلال بن عيسى» بدل «هلا بن يحيى».
(٧) في هج: «يلانق» وهو تحريف «يلامق» وواحدة «يلمق» وهو القباء: فارسي معرب.

إلى الله عز وجل، والقضاء ينزل من السماء بما شاء.

أبو هريرة يعظه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، وأحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبّة قال: حدثني هارون بن عمر، عن ضمرة بن شوذب قال:

قيل لأبي هريرة: هذا الفرزدق، قال: هذا الذي يقذف المحصناتِ، ثم قال له: إني أرى عظمَك رَقيقاً وعِرْقَك[1] دقيقاً، ولا طاقةَ لك بالنار، فتُبْ، فإن التَوبَةَ مقبولةٌ من ابن آدمَ حتى يَطيرَ غُرابه[2].

أخبرني هاشم بن محمد، عن الرياشيّ، عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة، عن صالح المريّ، عن حبيب بن أبي محمد، قال:

رأيت الفرزدق بالشام، فقال: قال لي أبو هريرة: إنه سيأتيك قوم يؤيِّسُونك من رحمة الله، فلا تيأسْ.

موازنة بينه وبين جرير والأخطل:

[٢١/٣٩٤] قال أبو الفرج: والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل، / ومَحلُّه في الشعر أكبر من أن يُنَبَّه عليه بقول، أو يُدلَّ على مكانه بوصف؛ لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم، ويعلمان تَقَدُّمَه بالخبر الشائع علماً يُستغْنَى به عن الإطالة في الوصف، وقد تكلّم الناس في هذا قديماً وحديثاً، وتعصبوا، واحتجوا بما لا مزيد فيه، واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيِّهم أحقُّ بالتقدم على سائرها، فأمّا قدماءُ أهل العلم والرواة فلم يسوُّوا بينهما وبين الأخطل؛ لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر، ولا له مثلُ ما لهما من فنونه، ولا تصرَّفَ كتصرّفهما في سائره، وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه، حتى ألحقته بهما، وهم في ذلك طبقتان، أما من كان يميل إلى جزالة الشعر، وفخامته، وشدّة أسرِه، فيُقدِّم الفرزدق، وأما مَنْ كان يميل إلى أشعار المطبوعين، وإلى الكلام السَّمح السهل الغزِل فيقدِّمُ جريراً.

أخبرنا أبو خليفة: قال حدثنا محمد بن سلاّم، قال: سمعت يونس بن حبيب يقول:

ما شهدت مشهداً[3] قط ذكر فيه الفرزدق وجريرٌ، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما. قال ابن سلام: وكان يونس يقدم الفرزدق تقدمة بغير إفراط، وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة.

قال ابن سلام: وقال ابن دأب، وسئل عنهما، فقال: الفرزدق أشعر خاصَّةً وجرير أشعرُ عامَّةً.

أخبرني الجوهريّ وحبيب المهلبيّ عن ابن شبة، عن العَلاء بن الفضل: قال: قال لي أبو البيداء: يا أبا الهُذَيل، أيّهما أشعر؟ أجرير أم الفرزدق؟ قال: قلت: ذاك إليك، ثم قال: ألم تسمعهُ يقول:

[٢١/٣٩٥] / مـا حُمِّلـت نـاقـةٌ مـن معشـرٍ رجـلاً ... مثلـي إذا الـريـح لفّتنـي علـى الكُـورِ[4]

إلا قـريشـاً فـإن الله فضّلهـا ... مـع النبـوّة بـالإسـلام والخِيـر

(١) في هج: «وجلدك» بدل «وعرقك».

(٢) طيران الغراب: كناية عن الشيب، وهي كناية قائمة على تشبيه سواد الشعر بسواد الغراب.

(٣) في هج: «ما شهدت مجلساً».

(٤) تقدم هذان البيتان.

ويقول جرير:

لا تَحسبَنَّ مِراسَ الحرب إذ لَقِحَتْ   شُرْبَ الكسِيس وأكلَ الخبز بالصِّير؟[١]

سلح والله أبو حزرة.

ثلث اللغة من شعره:

أخبرني هاشم الخزاعيّ، عن أبي حاتم السجستانيّ، عن أبي عبيدة، قال:

سمعت يونس يقول: لولا شعرُ الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب

يقرض الشعر في خلافة عثمان وعلي:

أخبرني هاشم الخزاعيّ، عن أبي غسان، عن أبي عبيدة قال: قال يونس أبو البيداء: قال الفرزدق:

كنت أهاجي شعراءَ قومي، وأنا غلام في خلافة عثمانَ بن عفان، فكان قومي يخشون مَعَرّة لساني منذ يومئذ، ووفد بي أبي إلى عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عامَ الجمل، فقال له: إن ابني هذا يقول الشعر، فقال: علّمه القرآن، فهو[٢] خير له.

يبلغ خمسا وسبعين سنة من عمره في الهجاء:

قال أبو عبيدة: ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة، وقد / نيَّف على التسعين سنة، كان منها خمسة[٣] وسبعين ٤٩/١٩ سنة يباري الشعراء، ويهجو الأشراف فيغضّهم، ما ثبت له أحد منهم قط، إلا جريراً.

[٣٩٦/٢١] / **يرث الشعر عن خاله:**

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصّيرفيُّ: قال: حدثنا الحسن بن عليل العنَزيّ، قال: حدثني محمد بن معاوية الأسديّ، قال: حدثنا ابن الرازي، عن خالد بن كلثوم قال:

قيل للفرزدق: مالك وللشعر؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً، ولا كان صعصعةُ شاعراً، فمن أين لك هذا؟ قال: من قِبَل خالي، قيل: أيُّ أخوالك؟ قال: خالي العَلاءُ بن قرظة[٤] الذي يقول:

إذا ما الدهر جرّ على أُناسٍ   بكلكلة أناخ بآخرينا[٥]

فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

يؤنبه أخواله فيمن عليهم:

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكُرانيّ. عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن حمّاد الراوية، وأخبرني هاشم الخزاعي: قال: حدثنا دَماذ، عن أبي عبيدة قال:

(١) الكسيس: شراب يتخذ من الشعير والذرة، الصير: السمكات المملوحة، وفي هد: «الكشيش» بالشين، وهو تصحيف، وفي ب: «بالصبير» بالباء الموحدة بدل بالصير «بالياء المثناة» وهو تصحيف أيضاً.

(٢) تقدم هذا الخبر في أول الترجمة.

(٣) اسم كان ضمير الفرزدق، وخمسة منصوب على الظرفية.

(٤) في هد، هج: «قرطة» بالطاء المهملة.

(٥) في هج: «كلاكلة» بدل «بكلكلة»، والكلاكل: عظام الصدر.

دخل قوم من بني ضَبَّة على الفرزدق فقالوا له: قبّحك اللَّهُ من أبن أخت! قد عرّضتنا لهذا الكلب السفيه ـ يعنون جريراً ـ حتى يشتم أعراضنا، ويذكر نساءَنا، فغضب الفرزدق، وقال: بل قَبَّحَكم الله من أخوال! فوالله لقد[1] شَرَّفكم من فخري أكثرُ مما غَضَّكم من هجاء جرير، أفأنا ويلكم عَرَّضتكم لسُوَيد بن أبي كاهل حيث يقول:

لقــد زَرِقَــتْ عينــاك يــا بــن مُكَعْبَــرٍ كمــا كــلُّ ضَبِّــيٍّ مــن اللــؤم أزرقُ

تــرى اللــؤمَ فيهــم لائِحــاً فــي وجــوههــم كمــا لاح فــي خيــل الحــلائــب أبلــق[2]

أو أنا عرّضتكم للأغلب العِجليّ حيث يقول:

لــن تجــد الضَّبِّــيَّ إلاّ فَــلاّ عبــداً إذانــاً ولقــوم ذَلاًّ[3]

[٢١/٣٩٧] / مثــل قَفــا المُــديــة أو أَكَــلاًّ حتــى يكــون الألأمَ الأقــلاّ

أو أنا عرّضتكم له حيث يقول:

إذا رأيــتَ رجــلاً مــن ضبَّــة فنِكْــه عمــداً فــي سَــوَاء السَّبَّــة[4]

* إن اليَمــانِــيَّ عِقَــاصُ الــزِّبَّــه[5] *

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول:

ولــو يُــذبَــح الضَّبــيُّ بــالسيــف لــم تجــد مــن اللــؤم للضّبــيّ لحمــاً ولا دمــاً!

والله لَمَا ذكرتُ من شَرَفكم، وأظهرتُ من أيامكم أكثرُ، ألستُ القائلَ:

وأنــا ابــنُ حنظلــةَ الأغــرُّ وإننــي فــي آل ضبَّــة للمُعِــمُّ المُخْــوِلُ

فــرعــان قــد بلــغ السَّمــاءَ ذُرَاهمــا وإليهمــا مــن كــل خــوف يُعْقَــلُ[6]

بنو حرام يخشون لسانه:

أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلام، عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالا:

كان[7] فتى في بني حرام بن سماك شويعر، قد هجا الفرزدق، فأخذناه، فأتينا به الفرزدق، وقلنا: هو بين يديك، فإن شئت فاضرب، وإن شئت فاحلق، لا عدوى عليك ولا قصاص، فخلّى عنه وقال:

فمــن يــكُ خــائفــاً لأذاة قــولــي فقــد أمِــنَ الهجــاءَ بنــو حَــرامِ

هُــم قــادوا سفيهَهُــمُ وخــافــوا قــلائــدَ مثــلَ أطــواق الحمَــام

(١) في هج: «لما شرفكم» بدل «لقد شرفكم».
(٢) الحلائب: خيول السباق، والأبلق من الخيل ونحوها: ما اجتمع فيه سواد وبياض.
(٣) الفل: المنهزم، للواحد والجمع، إذانا: مصدر مفعول لفعل محذوف من آذنه إذا أخذ بأذنه، لأن العبد كان يأخذه النخاس بأذنه، وفي الأصل «وأقواماً ذلاّ» وقد رجحنا أنها محرفة عن «ولقوم ذلاّ».
(٤) السواء: الوسط، السبة: الدبر.
(٥) العقاص: خيط تربط به الضفيرة، الزِّبّة: نرجح أنها إدغام زيبه ـ بالتحريك ـ جمع زب، وعلى ذلك يكون المعنى إن دبر اليماني تجمع الأيور كما يجمع الخيط الشعر.
(٦) يعقل: يُلجأ ويُفزع «بالبناء للمجهول».
(٧) تقدم هذا الخبر في الترجمة نفسها.

لائذة بقبر أبيه:

/ أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد، قال: / كان رجل من قضاعة ثم من بني القَين على السّند، وفي حبسه رجل يقال له حُبَيْشٌ ـ أو خُنَيْسٌ ـ وطالت غيبته عن أهله، فأتت أُمُّه قبرَ غالب بكاظمة، فأقامت عليه، حتى علم الفرزدق بمكانها، ثم إنها أَتت فطلبت إليه في[1] أمر ابنها، فكتب إلى تميم القضاعيّ. [٢٩٨/٢١ ٥٠/١٩]

هَبْ لي خُنَيْساً واتّخِذْ فيه مِنّةً ... لغُصّةِ أُمٍّ ما يَسُوغ شرابُها

أَتَتْني فعاذت يا تميمُ بغالبٍ ... وبالحفرة السّافي عليه ترابها

تميمُ بنَ زيدٍ لا تكوننَّ حاجتي ... بظهرٍ فلا يخفَى عليَّ جوابُها[2]

فلما أتاه الكتابُ لم يدر: أخنيس أم حبيش! فأطلقهما جميعاً.

لائذ آخر بقبر أبيه:

أخبرني أبو خليفة: قال: حدثنا محمد بن سلام: قال: حدثني أبو يحيى الضّبيّ قال: ضرب مكاتَب لبني مِنْقَر خيمةً على قبر غالب، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه، ثم قدم عليه، وهو بالمِرْبد فقال:

بقبرِ ابن ليلى غالبٍ عُذْتُ بعدما ... خشيتُ الرّدَى أو أن أُرَدَّ على قسر[3]

فخاطبني قبرُ ابن ليلى وقال لي: ... فَكَاكُكَ أن تَلْقَى الفرزدقَ بالمِصْر

فقال له الفرزدق: صدق أبي، أنخ أنخ، ثم طاف في الناس، حتى جمع له كتابته وفضلا.

يعتذر عن مناقضته نفسه:

أخبرني ابنُ خلف وكيع، عن هارون بن الزيات، عن أحمد بن حماد بن الجميل، قال: حدثنا القحذميّ، عن ابن عياش: قال:

/ لقيتُ الفرزدق فقلتُ له: يا أبا فراس، أنت الذي تقول: [٣٩٩/٢١]

فليتَ الأكفَّ الدافناتِ ابنَ يوسفٍ ... يُقطَّعنَ إذ غَيَّبْنَ تحت السقائِفِ[4]

فقال: نعم، أنا، فقلتُ له: ثم قلتَ بعد ذلك له:

لئن نفرُ الحجّاج آلُ مُعَتِّبٍ ... لَقُوا دَوْلَةً كان العدوُّ يُدالُها[5]

---

(١) بعض الأصول تحذف «في».

(٢) تقدمت هذه الأبيات، كما تقدمت القصة نفسها، وإنما أثبتناها تمشياً مع الأصول ـ على ما في ذلك من تكرار ـ لما قد يكون في المكرر من اختلاف في الأسلوب أو السند أو نحو ذلك.

(٣) شأن هذه الأبيات مع قصتها شأن سابقتها من التكرار.

(٤) ابن يوسف هو الحجاج، وابن مفعول الدافنات، السقائف: جمع سقيفة، والمراد بها هنا ما يسقف به القبر من حجر ونحوه، يدعو على الأيدي التي دفنت الحجاج بالقطع في معرض رثائه، وفي هج، هد «يحثين» بدل «غيّبن من حثى التراب يحثيه، وهي لغة في حثاه يحثوه.

(٥) نفر: فاعل فعل محذوف، تقديرة لئن لقي نفر الحجاج، آل معتب بدل من نفر الحجاج، الدولة: الغلبة، كان العدو يدالها: كانت=

لقـــد أصبـــح الأحيـــاءُ منهـــم أذلـــةً ... وفـي النـاس مـوتـاهـم كلـوحـاً سِبـالُهـا[١]

قال: فقال الفرزدق: نعم، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه، فإذا تخلى منه انقلبنا عليه.

هل أجاز إياس شهادته؟

أخبرنا هاشم بن محمد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ، عن عمه، عن بعض أشياخه قال:

شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية، فقال: أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس، وزيدونا شهوداً، فقام الفرزدق فرحاً، فقيل له: أما[٢] والله ما أجاز شهادتك قال: بلى، قد سمعته يقول: قد قبلنا شهادة أبي فراس، قالوا: أفما سمعتَه يستزيد شاهداً آخر؟ فقال: وما يمنعه[٣] ألا يقبلَ شهادتي، وقد قذفتُ ألفَ محصنة!.

يسترد هبته:

أخبرنا ابن دُرَيْد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس: قال:

[٢١/٤٠٠] كان عطيةُ بنُ جُعال الغدانيّ[٤] صديقاً ونَديماً للفرزدق، فبلغ الفرزدق أنّ رجلاً / من بني غُدانَة هجاه وعاون جريراً عليه، وأنه أراد أن يهجو بني غُدانة، فأتاه عطية بن جُعَال فسأله أن يصفح له عن قومه، ويهب له أعراضَهم، ففعل، ثم قال:

أبنـــي غُـــدانـــة إنّنـــي حَـــرّرتكـــم ... فـــوهبتكـــم لعطيـــةَ بـــنِ جُعـــال

لـــولا عطيـــةُ لاجتَـــدعْـــتُ أنـــوفكـــم ... مـــن بيـــن الأم أعيـــن وسبـــال[٥]

فبلغ ذلك عطية، فقال: ما أسرع ما ارتجع أخي[٦] هبتَه، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة.

مجنون يريد أن ينزو عليه:

[٥١/١٩] / أخبرني وكيع، عن هارون بن محمد: قال: حدثني قبيصة بن معاوية المهلّبيُّ، عن المدائني، عن محمد بن النضر:

أن الفرزدق[٧] مرَّ بباب المفضَّل بنِ المهلَّب، فأرسل إليه غِلمة، فاحتملوه، حتى أدخِل إليه بواسط، وقد خرج من تيّار ماء كان فيه، فأمرَ به، فألقي فيه، بثيابه، وعنده ابنُ أبي علقمة اليَحمَديّ المجنونُ، فسعى إلى الفرزدق، فقال له المفضل: ما تريد؟ قال: أريد أن أنيكه وأفضحه، فوالله لا يهجو بعدها أحداً من الأزد، فصاح

= تتاح للعدو، وفي هج: «كان الزمان أزالها» وهو تحريف يغير المعنىٰ فضلاً عما فيه من الأقواء.

(١) هذا البيت جواب القسم في البيت الأول، وضمير منهم يعود على نفر الحجاج، كلوحاً: جمع كالح، بمعنى عابس، السبال: جمع سبلة، وهي طرف الشارب، أو طرف اللحية، والبيتان من قصيدة يمدح بها الخليفة، ويهجو الحجاج، وفي بعض النسخ: وفي النار مثواهم بدل «موتاهم».

(٢) في الأصل: (أنا) بدل (أما) وهو تحريف.

(٣) كأنه عدل رأيه في إجازة إياس شهادته، وعلل عدم قبولها.

(٤) في الأصل: «العدواني» بدل «الغداني» وهو تحريف.

(٥) ب، «الديوان»، «النقائض»: «الأم آنف» وهذه الرواية مرجوحة؛ لأنه لا معنى لأن يكون الأنف بين الأنف والسبال، وما أثبتناه من «هج» «والمختار».

(٦) يريد أنه هجاهم هجاء مقذعاً في معرض العفو عنهم وذكر هبتهم لصديقه.

(٧) هذا من باب تكرار أخبار أبي الفرج مع تغيير في الأسلوب أو في السند، فقد تقدمت هذه القصة.

الفرزدق: الله[1] الله أيها الأمير فيّ، أنا في جوارك وذمتك؛ فمنع عنه ابن أبي علقمة، فلما خرج قال: قاتل الله مجنونَهم؛ والله لو مسّ ثوبةُ ثوبي لقام بها جرير وقعد؛ وفضحني في العرب فلم يبق لي فيهم باقية.

وأخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلبيُّ، عن ابن شبة، عن محمد بن يحيى، عن عبد الحميد، عن أبيه، عن جده: قال أبو زيد: وأخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار، قال: قال لي الفرزدق:

/ ما مر بي يوم قط أشَدّ عليّ من يوم دخلتُ فيه على أبي عيينة بن المهلب ـ وكان يوماً شديد الحر ـ فما منّا [٢١/٤٠١] أحد إلا جلس في أبْزَن[2]. فقلنا له: إن أردت أن تتفعنا فابعث إلى ابن أبي علقمة، فقال: لا تريدوه؛ فإنه يكدّر علينا مجلسنا، فقلنا: لا بد منه، فأرسل إليه، فلما دخل فرآني؛ قال الفرزدق واللّهِ. ووثب إليّ، وقد أنعظ أيره، وجعل يصيح: والله لأنيكنّه؛ فقلت لأبي عيينة: اللّهَ اللّهَ فيّ، أنا في جوارك، فوالله لئن دنا إليّ لا تبقى له باقية مع جرير؛ فلم يتكلم أبو عيينة؛ ولم تكن لي همة إلا أن عدَوْتُ حتى صعِدتُ إلى السطح، فاقتحمت الحائط، فقيل له: ولا يوم زياد[3] كان مثل يومئذ، فقال: ولا مثل يوم زياد[3].

عمر بن عبد العزيز يجيره، ثم ينفيه:

أخبرني عمي، عن ابن أبي سعد، عن أحمد بن عمر، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له: كوزا الراوية؛ قال أحمد بن عمر: وأخبرني عثمان بن خالد العثماني[4]:

أن الفرزدق قدم المدينة في سنة مُجْدِبة حصّاء[5] فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز، فقالوا له: أيها الأمير، إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً، فلو أن الأمير بعث إليه، فأرضاه، وتقدم إليه[6] ألا يَعرِض لأحد بمدح ولا هجاء؛ فبعث إليه عمر: إنك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم؛ فخذها، ولا تعرِضْ لأحد / بمدح ولا هجاء، فأخذها الفرزدق، ومرّ بعبدالله بن [٢١/٤٠٢] عمرو بن عثمان، وهو جالس في سقيفة داره، وعليه مُطْرَف[7] خَزّ أحمر وجُبّةُ خزّ أحمر، فوقف عليه، وقال:

أعبــــد الله أنـــت أحـــقُّ مـــاشٍ ... وســـاعٍ بـــالجمـــاهيـــر الكبـــارِ

نمـــا الفـــاروقُ أُمّـــك وابـــنُ أروى ... أبـــوك فـــأنـــت مُنصَـــدَعُ النّهـــارِ[8]

همـــا قَمَـــرَا السمـــاء وأنـــتَ نجـــمٌ ... بـــه فـــي الليـــل يُـــدْلـــج كُـــلُّ ســـارِ

---

(١) الله: مفعول فعل محذوف تقديره «ارع» أو «اتق» ونحو ذلك.

(٢) الأبزن: حوض يشبه «البانيو» عندنا، كان يتخذ من المعدن ونحوه للاستحمام، وهو لفظ معرب.

(٣ ـ ٣) التكملة من هد، هج، وقد تقدم أن زياداً طرده، وأنه هجا مسكيناً الدارمي لرثائه آباه في الأبيات التي يقول فيها: «به لا بظبي في الصريمة أعفرا».

(٤) في هد، هج: «عمر بن خالد العماني».

(٥) الحصاء: السنة الجرداء لا خير فيها.

(٦) تقدم إليه: أمره، أو طلب منه.

(٧) المطرف ـ بكسر الميم وضمها مع سكون الطاء وفتح الراء ـ رداء من خز مربع ذو أعلام.

(٨) يريد أنه ينسب إلى الخليفتين عمر وعثمان، منصدع: مصدر ميمي، أو اسم مكان من الصدع، بمعنى انشق وتبلج، وأروى: أم عثمان بن عفان.

فخلع عليه الجبة والعمامة والمِطْرف، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج رجل كان حضر عبدالله والفرزدقُ عنده، ورأى ما أعطاه آياه، وسمع ما أمره عمر به من ألّا يعرض لأحد، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز؛ فأخبره، فبعث إليه عمر: ألم أتقدم إليك يا فرزدقُ ألّا تعرضَ لأحد بمدح ولا هجاء؟ أُخرج، فقد أجلتك ثلاثاً، فإن وجدتك بعد ثلاث نكَّلت بك؛ / فخرج وهو يقول: ٥٢/١٩

فــأجّلنــي وواعــدنــي ثــلاثــاً ... كــا وُعِــدَت لَمِهْلكِهــا ثَمُــودُ[1]

قال: وقال جرير فيه:

نفــاكَ الأغــرُّ ابــنُ عبــدِ العــزيــزِ ... ومثلُــكَ يُنفَــى مــن المسجــدِ

وَشُبهْــتَ نفسَــكَ أشقــى ثَمُــودَ ... فقــالــوا: ضَلَلــتَ ولــم تهْتَــدِ[2]

يهجو من يستكثر عليه الجائزة:

أخبرني[3] حبيب المهلَّبي، عن ابن أبي سعد، عن صباح، عن النوفليّ بن خاقان، عن يونس النحويّ قال:

[٤٠٣/٢١] / مدح الفرزدقُ عمرَ بن مسلم الباهلي، فأمر له بثلثمائة درهم، وكان عمرو بن عَفراء الضّبيّ صديقاً لعمر، فلامه، وقال: أتعطي الفرزدق ثلثمائة درهم، وإنَّما كان يكفيه عشرون درهماً، فبلغه ذلك فقال:

نهيــتُ ابــنَ عِفْــرَى أن يعفّــرَ أمّــهُ ... كعَفْــرِ السّــلا إذا جــرّرَتْــه ثعَــالبُــه

وإنّ امــرأً يَغْتــابنــي لــم أطــأ لــهُ ... حــريمــاً فــلا ينهَــاهُ عنّــي أقــاربُــه

كمحتطــبٍ يــومــاً أســاوِدَ هضْبَــةٍ ... أتــاه بهــا فــي ظلمــة الليــل حــاطبُــه

أَلمّــا استَــوى نــابــاي وابيــضَّ مِسْحلــي ... وأطــرقَ إطــراقَ الكــرى مَــنْ أحــاربُــه؟

فلــو كَــان ضَبّيّــا صفحــتُ ولــو ســرت ... علــى قــدمــي حيَّــاتُــه وعقــاربُــه

ولكــن ديــافــيٌّ أبــوه وأمّــه ... بحَــورانَ يعصِــرنَ السّليــطَ قــرائبُــه

[٤٠٤/٢١] **/ صـوت**

ومقــالهــا بــالنّعــف نعــف مُحَسِّــرٍ ... لفتــاتهــا: هــل تعــرفيــن المُعْــرِضــا؟[4]

ذاك الــذي أعطــى مــواثــقَ عَهــدِه ... ألا يخــونَ وخِلــتُ أن لــن يَنْقُضــا

فلئــن ظفــرتُ بمثْلهــا مــن مثلِــه ... يــومــاً ليَعتــرفَــنَّ مــا قــد أقْــرَضــا[5]

الشعر لخالد القَسْريّ، والناس ينسبونه إلى عمرَ بن أبي ربيعة، والغناء للغريض، ثقيل أولُ بالوسطى، عن

(١) مر هذا البيت في غير هذا الموضع.
(٢) سبق هذان البيتان أيضاً في غير هذا الموضع.
(٣) مرت هذه القصة أيضاً وسبق معالجة الأبيات الواردة فيها.
(٤) مقالها: معطوف على كلام سابق، أو مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: وعجيب مقالها ونحو ذلك، والنعف: مكان مرتفع يكون فيه صعود وهبوط، محسر: مكان.
(٥) أقرض: أسلف، وفي البيت توعد، أي ليعرفن نتيجة إعراضه ونقضه لعهوده.

الهشامي وابن المكي وحبش. وقبل أن أذكر أخبارَه ونسبَه فإني أذكر الرواية في أنّ هذا الشعرَ له.

قصة تتعلق بأبيات هذا الصوت:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع: قال: أخبرني عبد الواحد بن سعيد، قال: حدثني أبو بشر[١]، محمد بن خالد البجليّ: قال: حدثني أبو الخطّاب بن يزيد بن عبد الرحمن: قال: سمعت أبي يحدث: قال: حدثني مسمع بن مالك بن جحوش البجليّ، قال:

ركب خالد بن عبدالله، وهو أمير العراق، وهو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكْرَخةُ، وهي من الكوفة على أربعة فراسخ، وركبت معه في زورق، فقال لي: نشدتك الله يا بن جحوشٍ، هل سمعت غريضَ مكة يتغنى:

ومقـالها بـالنّعـفِ نعـفِ مُحَسِّـرٍ   لفتـاتها: هـل تعـرفين المُعْـرضـا

قل: قلت: نعم، قال: الشعر والله لي، والغناء لغريض مكة، وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمرَ بنِ أبي ربيعة التي رواها المدنيّون والمكيّون؛ وإنما يوجد في الكتب المحدثة والإسنادات المنقطعة، ثم نرجع الآن إلى ذكره.



فهرس موضوعات الجزء الحادي والعشرون

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة «٣٥٦» هجرية

إعداد

مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي



الجزء الثاني والعشرون

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[١/٢٢]

/ بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار خالد بن عبدالله

نسبه

/ هو خالدُ بنُ عبدالله بنِ يزيدَ بن أسدِ بن كُرْزِ بن عامرِ بن عبدالله بن عبد شمس بن غَمغمةَ بن جرير بن شِقِّ بن صَعْب ـ وشقُّ بن صعب هذا هو الكاهن المشهور ـ بن يشكرَ بن رُهم بن أفزل[١] ـ وهو سعدُ الصبح ـ بن زيد بن قَسْر ابن عَبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيانَ بن الغوث بن القرز، ويقال: الفرز بن نَبْتَ بن مالك بن زيد بن كَهلانَ ابن سبأ بن يَشْجُب بن يعرُبَ بن قحطانَ.

٥٣/١٩

فأما غَلبةُ بجيلَة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلةَ ليست برجل، إنما هي امرأة قد اختُلِف في نسبها، فقال ابن الكلبي: يقال لها بجيلةُ بنت صعب بن سعد العشيرة، تزوجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ووداعة وصُهَيْبَة وجَذِيمةَ وأشهل وشهلاءَ وطريفاً والحارث ومالكا وفهما وشيبة. قال ابنُ الكلبي: ويقال: إن بجيلة إمرأةٌ حبشيَّة كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً غير خَثْعَم، فإنه انفرد، فصار قبيلة على حِدَتِه، ولم تحضنهُ بجيلةُ، واحتج مَنْ قال هذا القول بقول شاعرهم[٢]:

ومـا قَـرُبَـت بجيلـةُ منـك دونـي ... بشـيء غيـرِ مـا دُعِيَـتْ بجَيلـة[٣]

ومـا لِلغـوثِ عنـدك أن نُسِبْنَـا ... علينـا فـي القـرابـة مـن فضيلة[٤]

* ولكنّـا وإيّـاكـم كثُـرنـا ... فصِـرنـا فـي المحـلِّ علـى جَـدِيلـة

جَدِيلة ها هنا موضع لا قبيلة، وهم أهلُ بيت شرف في بجيلةَ، لولا ما يقال في عبدالله / بن أسد؛ فإن أصحابَ المثالب ينفونه عن أبيه[٥]، ويقولون فيه أقوالا أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا ـ إن شاء الله ـ وعلى ما قيل فيه أيضاً؛ فقد كان له[٦] ولابنه خالدٍ سُؤْدُدٌ وشرف وجود.

[٢/٢٢]

(١) في بعض النسخ: «أفرك» وفي آخر اختلاف في نسبة أفرك هذا عما هو وارد في هذا الأصل.

(٢) شاعرهم: شاعر خثعم على ما يبدو.

(٣) «ما» من قوله «غير ما دعيت بجيلة» مصدرية، أي أنت لا تمت إلى بجيلة بقربى غير مجرد الدعوى، فإنها ليست أمي ولا أمك.

(٤) الغوث: من أجداد خالد، راجع سلسلة النسب.

(٥) في هج: «عن أمه».

(٦) ضمير له يعود على عبدالله من قوله: «لولا ما يقال في عبدالله».

جده كرز

وكان يقال لكُرْز كُرْزُ الأعِنَّة، وإياه عنى قيْسُ بن الخطيم بقوله ـ لما خرج يطلب النصر على الخزرج ـ:

فــإن تنــزلْ بــذي النَّجــدَاتِ كُــرْزٍ ... تُـلاقِ لـديـه شَـربـا غيـرَ نَـزْرِ[1]

لــه سَجْـلان سَجْـلٌ مــن صـريـح ... وسجـلُ رثيئـةٍ بعتيـق خمـر[2]

ويمنـــعُ مَـــن أراد ولا يُعـــايـــا ... مُقـامـاً فـي المحَلـة وسـطَ قسـر[3]

جده أسد بن كرز

وكان أسدُ بن كُرْز يُدْعَى في الجاهلية رَبّ بجيلة، وكان ممن حرّم الخمر في جاهليته تَنَزُّها عنها، وله يقول القَتَّالِ السُّحَمِيّ:

فـأَبلِـغ ربَّنـا أَسَـدَ بـن كُـرْزٍ ... بـأنَّ النـأيَ لـم يـك عـن تقـالـي

وله يقول القتّال يعتذر:

فـأَبلـغ ربَّنـا أسـدَ بـنَ كُـرْزٍ ... بـأنّـي قـد ضَلَلْـت ومـا اهتـديْـتُ

[٣/٢٢] / وله يقول تأبّط شرًّا:

وجـدتُ ابـنَ كُـرْز تستهـلُّ يمينـه ... ويُطلـق أغـلالَ الأسيـر المكبَّـل[4]

جده أسد وبنو سحمة

وكان قوم من سُحْمة عرضوا لجار لأسد بن كرز، فأطرَدوا إبلاً له، فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة في الجاهلية، وتتبعهم حتى عاذوا به، فقال القتَّال فيه عدة قصائد يعتذر إليه لقومه، ويستقيله فعلَهم[5] بجاره، ولم أذكرها ههنا لطولها، وأنَّ ذلك ليس من الغرض المطلوب في هذا الكتاب، وإنما نذكر ها هنا لُمَعاً[6] وسائِرُه مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابَها وأخبارها، وسَمَّيته كتابَ التعديل والانتصاف. ولبني سُحمة يقول أسد بن كرز / في هذه القصة، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً: ٥٤/١٩

ألا أبلِغـا أبنـاءَ سُحْمَـةَ كُلَّهـا ... بنـي خثعـمٍ عنـي وذَلّ لخثعـم[7]

(١) شربا: جمع شارب، كسفر وركب.

(٢) سجلان: تثنية سجل، وهو الدلو العظيمة، صريح: لبن صريح، الرثيئة: اللبن المحلوب على حامض، فلعله يريد أنه كان يقدم هذا المشروب ممزوجا بالخمر، أو يريد أنه يقدم دلو الرثيئة مملوءا بالخمر لا بالرثيئة، وفي هج. هد «وثيلة» بدل «رثيئة» ولا وجه له، وفي بعض النسخ «ربيلة» والربيلة: الخفض والنعمة، والتخريج على هذا المعنى مقبول.

(٣) لا يعايا: من المعاياة بمعنى لا يضار، قسر: بطن من بجيلة، نائب فاعل «معايا» ضمير من أراد، مقاما: تمييز، وفي هج «مقيم» بدل «مقاما» وعليه تكون كلمة «مقيم» نائب فاعل معايا، وفي هد «مقيما» على الحالية من «أراد» نحوى البيت أن كرزا يمنع النزيل، فلا تلحقه مضارة ما دام نازلا وسط قسر.

(٤) تستهل يمينه: تجود، مأخوذ من استهل المطر: بمعنى تدفق.

(٥) يستقيله فعلهم: يطلب إليه إقالتهم من عقوبة ذنبهم.

(٦) لمعا: جمع لمعة: بمعنى بلغة من العيش، شبه بها النتف من الأخبار.

(٧) بني خثعم: بدل من أبناء سحمة، وفي الأصل «فتى خثعم» بدل «بني خثعم».

فمـــا أنتـــمُ منّـــي ولا أنـــا منكـــم ... فـــراش حـــريـــقِ العَـــرْفَـــجِ المتضـــرِّم [1]

فلســتُ كمــن تُــزري المقــالــةُ عِــرضَــه ... دنيئــاً كعــود الــدوحــةِ المتــرنِّــم [2]

ومــا جــارُ بيتــي بــالــذليــل فَتُــرْتَجــى ... ظُــلامَتُــه يــومــاً ولا المتهضَّــم

وَأَفْــزَلُ آبــائــي وقســـرٌ عَمــارتــي ... همــا ردِّيــانــي عِــزّتــي وتكــرُّمــي

وأحمــسُ يــومــاً إن دعــوتُ أجــابنــي ... عــرانيــنُ منهــم أهــل أيــدٍ وأنعــم [3]

/ فمــن جــار مَــوْلــيّ يــدفــع الضيــمَ جــارُهُ ... إذا ضــاع جــاري يــا أميمــةُ أوْ دمــي [4] [٢٢/ ٤]

وكيــف يخــاف الضيــمَ مــن كــان جــاره ... مــع الشمــس مــا إن يستطــاع بسلــم

وهي قصيدة طويلة.

ولأسد أشعار كثيرة ذكرتُ هذه منها هاهنا لأنْ تعلم إعراقَهم في العلم والشعر، وسائرُها يُذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل، إن شاء الله تعالى.

إسلام جده أسد وابنه يزيد

وأدرك أسدُ بنُ كُرْزٍ الإسلامَ هو وابنُه يزيد بنُ أسد، فأسلما، فأما أسدٌ فلا أعلمه رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلِه رواية كثيرة، بل ما روى شيئاً.

وأما يزيد ابنُه فروى عنه رواية يسيرة، وذكر جريرُ بن عبدالله خبرَ إسلامه، حدَّث بذلك عنه خالدُ بن يزيدَ عن إسماعيلَ بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله، قال:

أسلم أسدُ بن كرز، ومعه رجل من ثقيف، فأهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوساً، فقال له: يا أسد، من أين لك هذه النَّبْعَةُ؟ فقال: يا رسول الله تنبُتُ بجبلنا بالسراة، فقال الثّقفيّ: يا رسول الله، الجبلُ لنا أم لهم؟ فقال: بل الجبل جبل قسْرٍ، به سمى أبوهم [5] قسْر عبقر. فقال أسد: يا رسول الله، ادْعُ لي. فقال: اللهم اجعل نصرك ونصرَ دينك في عقب أسد بن كُرْز. وما أدري ما أقول في هذا الحديث، وأكره أن أكذِّب [6] بما رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، [7] ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه [7] لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفّين على عليٍّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه. ولا كان ابن ابنه خالدٌ يلعنه، على / المنبر. ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره ـ قبحه الله ولعنه ـ إلا أني أذكر الشيءَ كما [٢٢/ ٥]

---

(١) العرفج: شجر يتخذ منه الوقود، كأنه يقول: بيني وبينكم فراش حريق العرفج المتضرم.

(٢) المترنم: من الرنمة، وهي نبات دقيق، يقول: لست ممن تدنس أعراضهم قالة السوء، وليس عرضي حقيرا كعود الشجرة الواهي الدقيق.

(٣) عرانين: جمع عرنين: السيد الشريف، الأيد: القوة والبطش.

(٤) دمي: الدم الذي أطلبه في ثأر ونحوه، وفي الأصل كان المصراع الثاني من هذا البيت مع المصراع الأول من البيت التالي، وكان المصراع الثاني من البيت التالي مكانه، وهو خطأ.

(٥) في الأصل بدل «أبوهم» «ابراهيم» وهو تحريف.

(٦) في هج: «وأكره أن أكذب من روى عن.... الخ».

(٧ ـ ٧) تكملة من «هج».

رُوِي، ومَنْ قال على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ما لم يَقُل فقد تبوّأ مقعده من النار. كما وعده عليه السلام.

منافرة بين جده جريد وقضاعة

وكان جريرُ بن عبدالله نافرَ[1] قضاعة، فبلغ ذلك أسدَ بن عبدالله، وكان بينه وبينه ـ أعني جريراً ـ تباعدٌ، فأقبل في فوارسَ من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجداً، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه، فرآه جرير، ورأى أصحابَه في السلاح ارتاع، وخافه، فقيل له: هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك، فقال جرير: ليت لي بكل بلد ابنَ عم عاقّاً مثلَ أسد، فقال جعدةُ بنُ عبدالله الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد:

تـداركَ رَكْـضُ المـرء مـن آل عبقـر جـريـراً وقـد رانـت عليـه حـلائبُـه[2]

فنفَّسَ واسترخـى بـه العَقْـدُ بعـد مـا تغشّـاه يـوم لا تَـوارى كـواكبـه[3]

// وقاك ابـن كُـرْزٍ ذو الفَعَـال بنفسـه ومـا كنـتَ وَصّـالا لـه إذ تحـاربُـهْ

إلـى أسـدٍ يـأوي الـذليـلُ ببيتِـه ويلجَـأ إذ أعيـت عليـه مـذاهبُـه

فتـى لا يـزال الـدهـرَ يحمـل مُعْظَمـاً إذا المجتـدَى المسـؤول ضَنَّـت رواجِبُـه[4]

٥٥
١٩

جده يزيد يروي حديثا

وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدومَه مع أبيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روي عنه أيضاً حديثاً ذكره هُشَيْمُ بن بشر الواسطيّ عن سنان بن أبي الحكم قال:

سمعتُ خالدَ بن عبدالله القسريّ، وهو على المنبر يقول:

[٢٢/٦] / حدثني أبي عن جدّي يزيدَ بن أسد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا يزيد، أحِبَّ للناس ما تُحبُّه لنفسك. وخرج يزيدُ بن أسد في أيام عمر بن الخطاب في بعوث المسلمين إلى الشام، فكان بها، وكان مطاعاً في اليمن عَظِيم الشأن.

جده يزيد يخف لنصرة عثمان

وخطبة جده يزيد في صفين

ولما كتب عثمان إلى معاويةَ حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام، فوجد عثمانَ قد قُتِل. فانصرف إلى معاويةَ، ولم يُحْدِثْ شيئاً، ولما كان يوم صِفِّينَ قام في الناس فخطب

---

(١) نافره: خاصمه وفاخره.

(٢) الركض: العدو السريع، رانت عليه: غلبت عليه، والضمير يعود على المرء لا على جرير، والمراد أنه غلب عليه لبن الرضاع، فتدارك ذا رحمه، على ما بينهما من شقاق.

(٣) نفس: تنفس، والفاعل ضمير جرير، توارى: أصله تتوارى، وكنى بقوله: لا توارى كواكبه عن طول الليل، وكنى بطويل الليل عن الهم والأرق.

(٤) الرواجب: أصول الأصابع، معظما: عظيما من الأعطية والديّات ونحوها، ضنت رواجبه: بخلت يده: وفي الأصل المجدول بدل المسؤول، والمثبت من هد، هج.

خطبة مذكورة، حرضهم فيها. فذكر من روى عنه خبره في ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامةُ خَزٍّ سوداء، وهو متكئٌ على قائم سيفه، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم: وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهلَ ديننا في هذه الرقعة من الأرض، والله يعلم أني كنت لذلك كارها، ولكنهم لم يُبْلِعُونا ريقنا، ولم يدعونا نَرْتاد لديننا وننظر لمعادنا، حتى نزلوا في حريمنا وبيضتنا[١]. وقد علمنا أنَّ بالقوم حلماءَ وطَغاماً. فلسنا نأمن طغَامهم على ذرارينا ونسائنا، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهلَ ديننَا، فأحرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالُنا حَميَّةً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، والذي بعث محمداً بالحق لودِدتُ أنّي مِتّ قبل هذا، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمراً لم يستطع العبادُ ردّه، فنستعين بالله العظيم، ثم انكفأ.

خمول أبيه عبدالله وخنوثته منذ نشأته

ولم تكن لعبدالله بن يزيد نباهةُ مَنْ ذكرت من آبائه، وأهلُ المثالب يقولون: إنه دعيّ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيامَ خلافة عبد الملك بن مروان، فلما قُتِل عمرو هرَبَ حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمَّن الناس عامَ الجماعة، فأمّنه، ونشأ خالد بن عبدالله بالمدينة، وكان في حداثته يتخنَّث، ويتتبع المغنين والمخنثين ويمشي بين عمرَ بنِ أبي ربيعة وبين النساء في رسائلهن إليه وفي رسائله إليهن، وكان يقال له خالد الخِرِّيت[٢] / فقال مصعب الزبيري: كل ما ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره، فقال: أرسلت الخِرِّيت أو قال: [٧/٢٢] أرسلت الجَرِيَّ[٣] فإنما يعني خالداً القسريّ، وكان يترسل بينه وبين النساء.

يظلل ابن أبي ربيعة وعشيقته

أخبرني بذلك الحرميّ ومحمد بن مزْيد وغيرُهما، عن الزبير، عن عمه، وأخبرني عمي: قال: حدثني الكراني، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، قال:

بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي ومعه خالد بن عبدالله القسري، وهو خالد الخزاعي الذي يذكره في شعره إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبّب بهما، وهما يتماشيان فقصداهما، وجلسا معهما مليًّا، فأخذتهم السماء، ومُطِروا، فقام خالد وجاريتان المرأتين، فظلّلوا عليهم بمِطرفة[٤] وبردين له، حتى كفّ المطر، وتفرقوا، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

/ أفــي رســم دارٍ دمعُــكَ المتــرقــرقُ ... سفَــاهــاً ومــا استِنطــاق مــا ليس ينطِــق؟ ٥٦/١٩

بحيــث التقــى جَمــعٌ ومُفْضَــى مُحسِّــرٍ ... معــالــمُ قــد كــادت علــى الــدهــر تَخْلُــق[٥]

ذكــرتُ بهــا مــا قــد مضــى مــن زمــاننــا ... وذكــرُك رســمَ الــدّار ممــا يشــوّق

---

(١) البيضة: الحوزة والحمى.

(٢) الخريت: الدليل الماهر في أمر الدلالة.

(٣) الجري: الرسول، أو الوكيل.

(٤) المطرفة: رداء من خز مربع فيه أعلام.

(٥) محسر: اسم مكان، وفي هد «فنان» «بدل» «معالم» وبها يختل الوزن، تخلق: تبلى.

مُقاماً لنا عند العشاء ومَجْلساً لنا لم يكدِّره علينا مُعَوِّق
وممشًى فتاةٍ بالكساء يَكُنُّها به تحت عينٍ برقُها يتألَّق[1]
يُبَلُّ أعالي الثوب قطرٌ وتحته شُعاعٌ بدا يُعشِي العيونَ ويُشرِقُ[2]
فأحسنُ شيء بدءُ أولِ ليلةٍ وآخرُها حُزنٌ إذا نتفرّق

[٨/٢٢] / الغناء في هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي؛ وذكر الهشامي أنه منحول.

هو وابن أبي عتيق يستنجزان ابن أبي ربيعة وعده

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العباس المرْوَزيّ، قال: حدثنا ابن عائشة قال:

حضر ابنُ أبي عتيق عُمَر بن أبي ربيعة يوما وهو ينشد قوله:

ومن كان محزوناً لإهراق دمعة وَهَى غربُها فليأتنا نَبْكِه غدا[3]
نُعِنه على الإثكال إن كان ثاكلا وإن كان محزونا وإن كان مُقْصَداً[4]

قال: فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالدا الخِرّيت، وقال: قم بنا إلى عمر، فمضيا إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئنا لموعدك، وأي موعد بيننا؟ قال: قولك.

فليأتنا نَبْكِه غدا.

قد جئناك لموعدك، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقا في قولك، أو ننصرف على أنّك غير صادق، ثم مضى وتركه[5].

قال ابن عائشة: خالد الخريت هو خالد القسري.

يجمع بين ابن أبي ربيعة ومعشوقاته

أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم: قال: حدثنا أبو هِفّان عن إسحاق، وأخبرنا محمد بن مزْيَد، عن حماد، عن أبيه، عن الحزاميّ والمثنّى ومحمد بن سلام، قالوا:

خرجت هند والرّباب إلى متنزّه لهما بالعقيق في نسوة فجلسنا هناك تتحدثنا مليًّا، ثم أقبل إليهما خالدٌ القَسريُّ، وهو يومئذ غلام مؤنث، يصحب المغنيّن والمخنّثين، ويترسّل بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء. فجلس [٩/٢٢] إليهما. فذكرتا عمر بن أبي ربيعة، / وتشوقتاه، فقالتا لخالد: يا خِرّيت ـ وكان يعرف بذلك ـ لك عندنا حُكمُك إن

(١) ممشى: معطوف على «مقاما ومجلسا» يكنها: يسترها، يريد أن الكساء يستر جسمها لا عينها الشبيهة بالبرق المتألق.
(٢) سكن ياء (أعالي) لضرورة الشعر، يعشي العيون: يجعلها لا تبصر، وفي هد: «يغشي العيون».
(٣) الغرب: مسيل الدمع من العيون، وفي هد: «ومن كان محزونا لإهراق دمعة» نبكه ـ بفتح النون أو ضمها ـ بمعنى نبكي بدله أو نجعله يبكي، كلا الوجهين مقبول.
(٤) المقصد: من أقصد فلان فلانا. طعنه فلم يخطىء مقاتله.
(٥) كان السياق يقتضي «ثم مضيا وتركاه».

جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم أنا بعثنا بك إليه، فقال: أفعل فكيف تريان أن أقول له؟ قالتا: تُؤذنه[1] بنا، وتُعلمه أنا خرجنا في سرٍّ منه، ومُرْهُ أن يتنكر، ويلبس لِبسة الأعراب، ليرانا في أحسن صورة، ونراه في أسوإ حال، فنمزح بذلك معه، فجاء خالد إلى عمر، فقال له: هل لك في هند والرباب وصواحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حال حَذَر منك وكِتمانٍ لك أمْرَهما[2]؟ قال: والله إني إلى لقائهن لمشتاق، قال: فتنكر، والْبِس لِبْسة الأعراب، وهلمّ نمضِ إليهن، ففعل ذلك عمر، ولبس ثيابا جافيةً، وتعمّم عِمّة الأعراب، وركب قعوداً له على رحل غير جيد، وصار إليهن، فوقف منهن قريباً، وسلّم، فعرفنه، فقلن: هَلُمّ إلينا يا أعرابيّ، فجاءهن، وأناخ قعوده، وجعل يحدثهن، وينشدهن، فقلن له: يا أعرابي: ما أظرفك، وأحسن إنشادَك! فما جاء بك إلى هذه الناحية؟ قال: جئتُ أَنْشُدُ ضالّة لي، فقالت له هند: انزل إلينا، واحسِرْ عمامتك عن وجهك، فقد عرفنا ضالّتك، وأنت الآن تُقَدِّرُ أنّك قد احتلت علينا، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد / الخِرّيت، حتى قال لك ما قال، فجئتنا على أسوإ حالاتك، وأقبح ملابسك، فضحك عمرٌ، ونزل إليهن، فتحدّث معهن، حتى أمسوا، ثم إنهم تفرقوا، ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

٥٧/١٩

صـــوت

ألـــم تعـــرفِ الأطـــلالَ والمتـــربَّعـــا	ببطـــن حُليَّـــات دوارسَ بَلقعـــا[3]
إلـى السّـرْح مـن وادي المغمَّـس بُـدِّلَـت	معـــالِمُـــه وبـــلا ونكبـــاءَ زعـــزعـــا[4]
/ فَيَبْخَلْـــنَ أو يُخبـــرن بـــالعلـــم بعـــدمـــا	نَكَـــأنَ فـــؤاداً كـــان قـــدْمـــاً مفجَّعـــا[5]
لهنــــدٍ وأتــــرابٍ لهنــــد إذ الهـــوى	جميــعٌ وإذْ لـــم نَخْـــشَ أن يتصـــدّعـــا

[١٠/٢٢]

في هذه الأبيات ثقيل أول لمعبد:

تبـــالَهـــنَ بـــالعِـــرفـــان لمّـــا رأينَنـــي	وقُلْـــنَ امـــرؤ بـــاغٍ أكـــلَّ وأوضعَـــا[6]
وقـــرّبـــن أسبـــابَ الهـــوى لمتيّـــم	يقيـــس ذِراعـــاً كلمّـــا قِسْـــنَ إصبَعَـــا

كان جده عبدا آبقاً

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، وذكر مثل ذلك أبو عُبَيدة معمر بن المثنى:

---

(١) تؤذنه: تعلمه.
(٢) أمرهما: مفعول للمصدر «كتمان».
(٣) حليات: جمع حلية، وهي ما ابيض من يبس النصي، وهو نبت سبط من أجود المراعي، وفي هج؛ «حليات» ـ بالخاء المعجمة ـ «دوارس بلقعا» حالان من الأطلال لا صفتان لحليات، وفي هج: «ألم تسأل» بدل «ألم تعرف».
(٤) في هج: «السفح» بدل «السرح»، المغمس: مكان. النكباء. الزعزع: الريح العاتية.
(٥) نكأن فؤادا: من نكأ الجرح، قشره قبل أن يبرأ، فدمي.
(٦) تبالهن: تظاهرن بالبله، أكل: أرهق دابته، أوضع: أسرع بدابته حتى أنهكها، والمراد أنهن تظاهرن بعدم معرفته، وقلن؛ أعرابي أجهده السير، وأجهد راحلته.

أنّ كُرزَ بن عامر جدَّ خالد بن عبدالله عَبدٌ كان آبقا عن مواليه عبد القيس من هَجَر، ويقال: إن أَصله من يهود تَيْماءَ، وكان أبَقَ[١]، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمغمةَ بنِ شِقٍّ الكاهن، ثم وهبوه لقوم من بني طُهَيَّة، فكان عندهم حتى أدرك، وهرب، فأَخَذَتْه بنو أسد بن خزيمة، فكان فيهم، وتزوج مولاة لهم يقال لها زَرْنَب، ويقال: إنها كانت بغياً، فأَصابها، فولدت له أسدَ بن كُرْز، سماه باسم أسد بن خزيمة لرِقَّةٍ[٢] كانت فيهم، ثم أعتقوه، ثم إن نَفراً من أهل هجر مرّوا به، فعرفوه، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يزل فيهم، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف، فلما رأى دار بجيلة أعجبته، فاشترى نفسه وابنه، فجاء، فنزل فيهم، فأقام مدة، ثم ادَّعَى[٣] إليهم وعاونه على ذلك حيٌّ من أحمس يقال لهم: / بنو مُنَبَّة[٤]، فنفاهم [١١/٢٢] أبو عامر ذو الرقعة ـ سُمِّي بذلك لأن عينَه أُصيبت. فكان يغطيها بخرقة ـ وهو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شِقّ، فنزل كرز في بني سُخْمة هاربا من ذي الرُّقعة، ثم وثب على ابن عم للقَتَّال بن مالك السُّحميّ فقتله، وهرب إلى البحرين مع التجار، فأَقام مدة، ثم مات، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدَّعي في بَجيلة، ولا تُلْحِقُه إلى أن مات، ونشأَ ابنه عبدالله بن يزيد، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري، وكتب له، وكان كاتبا مُفوَّها، وذلك في إمارة عثمان بن عفان.

ابوه خطيب الشيطان

فنال حظا وشرفا، وكان يقال له: خطيب الشيطان، ووسَم[٥] خيلَه: القسريّ، ثم تَدَسَّسَ ليملك خيلا[٦] في بلاد قسر، فمنعته بجيلة ذلك أشدّ المنع، فلم يقدر[٧] عليه، حتى عظم أمره، ونشأ ابنه خالد، ومات هو، فكان خالد في مرتبته، ثم ولي العراق، وقال قيس بن القتال له في هذا المعنى:

ومــن سَمَّــاك بــاسمــك يــا بــن كــرز؟ وأيــن المــولــد المعــروف تــدري؟[٨]

وقال بُجير بن ربيعة السُّخميُّ:

نفتــه مــن الشِّعبيــن قَســرٌ بعــزّهــا إلــى دار عبــد القيــس نَفْــى المُــزَنَّــم[٩]

---

(١) أبق يأبق ـ من باب ضرب وعلم ـ هرب يهرب.
(٢) كذا في النسخ، ولعل الصواب «لرفه كان فيهم» بدل «لرقة كانت فيهم».
(٣) ادعى: انتسب.
(٤) في بعض النسخ «منبه» بدل «منية» وفي بعضها «أمية».
(٥) وسم خيله القسرى: وضع عليها علامة قبيلة قسر، ويبدو أن القبائل كانت تسم الخيل بما يميز خيل كل قبيلة عن خيل سواها.
(٦) في هد. هج: ليملك أرضاً.
(٧) لعلها «تقدر» أو «يقدروا» «بدل» «يقدر» ولا مانع أن تكون «يقدر» بالبناء للمجهول، والمراد ـ كما يبدو ـ أنه استطاع أن يمتلك الخيل أو الأرض على رغم منع بجيلة له من ذلك.
(٨) في رواية: «وأين المولد المعرف أنى؟».
(٩) المزنم: الدعي في قوم ليس منهم.

بين أبيه وأبي موسى بن نصير

/ قال أبو عبيدة: وكان بين عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبي موسى بن نُصير كلام عند عبد الملك بن مروان. فقال له عبدالله: إنما أنت عبد لعبد القيس، فقال: اسكت، / فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك، فقال له عبدالله: أنا ابن أسد بن كرز، نحن الذين نضْمَن الشَّهر[1]، ونطْعِم الدهر، فقال له: تلك قَسْرٌ، ولستَ منهم، وإنَّما أنت عبدٌ آبِقٌ، قد كنتُ أَرَاك تروم مثل ذلك، فلا تقدر عليه، ثم[2] نفاه جرير بن عبدالله إلى الشام، فأقام بها مدة، ثم مضى إلى حبيب، فقال له: دع ذكر البحرين لفراك، أتراك منهم وأنت عَبْدٌ، وأهلك من يهود تيماء فأسكتهما عبد الملك، ولم يسرّه ما قال عبدالله لأبي موسى بن نصير، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله، فقال في ذلك أبو موسى بن نصير:

[٥٨/١٩] [١٢/٢٢]

جـاريـت غيـرَ سَئُـومٍ فـي مُطـاولـة ... يـا بـنَ الـوشـائـط مـن أبنـاء ذي هجـر[3]

لا مـن نـزارٍ ولا قحطـان تعـرفكـم ... سـوى عبيـدٍ لعبـد القيـس أَو مُضـر

تتوارث أسرته الكذب كابرا عن كابر

وقال أبو عبيدة: فأخبرني عبدالله بن عمر بن زيد الحكمي قال:

كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان، وكان أكذبَ الناس في كل شيء معروفا بذلك، ثم نشأ ابنهُ عبدُالله فسلك منهاجَه في الكذب، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسة وسخاءً كانا فيه سترا ذلك من أمره.

قال عُمَر بن زيد: فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبدالله أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة، فجعل يأتي بأحاديث أنكرها، فقلت له: من أنت يا بن أخي؟ قال إسماعيل بن عبدالله / بن يزيد القسريّ. فقلت: يا بن أخي. لقد أنكرتُ ما جرى حتى عرفتُ نسبَك[4]. فجعل يضحك. [١٣/٢٢]

يطلب على المنبر أن يطعموه ماء

أخبرني اليزيديّ، عن سليمانَ بن أبي شيخ، عن محمد بن الحكم، وذكره أبو عبيدة ـ واللفظ له ـ قالا:

كان خالد بن عبدالله من أجبن الناس، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر، فدهش وتحيّر، فقال: أطعموني ماء، فقال الكُمَيْتُ في ذلك، ومدح يوسفَ بن عمر:

---

(١) لعله يريد نضمن شهر السيوف عند الحرب، أو نضمن شهر اسم من تريد رفعته.
(٢) كان سياق الكلام يقتضي أن يقول: ثم نفاك... الخ بكاف الخطاب، ولكن على الرواية التي بين أيدينا ينبغي أن نعيد ضمير نفاه إلى كلمة عبد من قوله: «أنت عبد آبق» وقد يكون في العبارة خرم.
(٣) الوشائط: الدخلاء ينتمون إلى قوم ليسوا منهم.
(٤) يريد أنه إذا عرف السبب بطل العجب، فهو من أسرة يجري الكذب في دمائها.

خـرجـتَ لهـم تمشـي البَـراحَ ولـم تكـن كمـن حِصْنُـه فيـه الـرِّتَـاجُ المُضَبَّـبُ[(١)]

ومـا خـالـدٌ يستطعـم المـاءَ فـاغـرا بِعـدْلِـكَ والـداعـي إلـى المـوت ينعَـب[(٢)]

أولى كذبات ابن الكلبي

وقال ابن الكلبي: أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبدالله سألني عن جدته أم كُرز، وكانت أمةً بغيًّا لبني أسد يقال لها: زرنب. فقلت له: هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين، فَسُرَّ بذلك، ووصلني.

بنو أسد ينكرونه:

قال: قال خالد ذات يوم لمحمد بن منظور الأسدي: يا أبا الصباح، قد ولدتمونا، فقال: ما أعرف فينا ولادة لكم، وإن هذا لكذب. فقيل له: لو أقررت للأمير بولادة ما ضرّك، قال: أأفسُد وأستنبط[(٣)] ما ليس مني، وأُقرّ بالكذب / على قومي؟ فأمر خالدٌ خِداشاً الكندي ـ وكان عاملَهُ ـ بضرب مولًى لعبّاد بن إياس الأسدّي، فقتله، فرُفع إلى خالد، فلم يُقِده، فوثب عبّادٌ على خِداش فقتله، وقال: [٢٢/١٤]

لعمـري لئـن جـارتْ قضيـةُ خـالـدٍ عـن القصـد مـا جـارت سيـوفُ بنـي نَصْـر

يتطاول على السماء

فأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني، عن سحيم بن حصين قال:

قتل خِداش الكِندي رجلا من بني أسد، وكان الكندي عاملا لخالد القسري، فطُولِب بالقَوَد، وهو على دَهْلَكَ/[(٤)]، فقال: والله لئن أقدتُ من عاملي لأُقيدنّ من نفسي، ولئن أقدتُ من نفسي لَيُقيدن أمير المؤمنين من نفسه، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه، لَيُقيدنّ رسول الله ﷺ من نفسه ولئن أقاد رسول الله من نفسه هاهْ هاهْ![(٥)] يعرِّض بالله عز وجل، لعنة الله على خالد. [٥٩/١٩]

أمه نصرانية بظراء

أخبرني الحسن: قال: حدثنا الخراز، عن المدائني، عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبي اليقظان، قالوا:

كانت أم خالد رومية نصرانية، فبنى لها كَنِيسةً في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضُربَ لها بالناقوس، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم.

أعشى همدان يفحش في هجائه

فقال أعشى همدان يهجوه، ويعيّره بأُمه ـ وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك الوقت قالوا: ابن البظراء،

---

(١) البراح: البين الواضح، فهو مفعول مطلق، أي تمشي المشي البراح. والرتاج المضبب: غلق الباب المصنوع من الحديد، يريد أنه خرج لأعدائه سافرا، ولم يتحصن بحصن مغلق.

(٢) العدل ـ بكسر العين ـ المعادل، يقول له: لم تكن كخالد حين استطعم الماء عندما سمع بنبأ الإغارة عليه.

(٣) في هد، هج «وأستليط من ليس مني» بدل «وأستنبط» وهي رواية أدق، واستلاطه: ادعى بنوته زورا.

(٤) الدهلك: جزيرة بين اليمن وأرض الحبشة، أو واحد الدهالك: آكام سوداء معروفة بجزيرة العرب، وليس كلا المعنيين مناسبا هنا، ورواية هد، هج، وهو على «المنبر» بدل «الدهلك».

(٥) هاه هاه: حكاية لضحك الضاحك.

فأنف من ذلك، فيقال: إنه ختن أمه وهي كارهة، فعيَّره الأعشى بذلك حين يقوله ـ:

[٢٢/١٥]

/ لعمــرُكَ مــا أدري وإنــي لســائــلٌ ... أبظــراءُ أم مختــونــةٌ أمُّ خــالــد

فإن كـانـت الـموسـى جـرت فـوق بَظـرهـا ... فمـا خُتِنـت إلا وَمَصَّـانُ قـاعـد[١]

يـرى سـوأة مـن حيـث أطلـع رأسـه ... تمـرّ عليهـا مـرهفـاتُ الحـدائِـد

وقال أيضا فيه، يرميه باللّواط:

ألـم تَـرَ خـالـدا يَختـار مِيمـاً ... ويتـرك فـي النّكـاح مَشَـقَّ صـادِ[٢]

ويُبغِـض كـلّ آنسـةٍ لعـوب ... ويَنكِـح كـلَّ عبـدٍ مستقـاد[٣]

ألا لعـن الإلـهُ بنـي كُـرَيْـزٍ ... فكـرزٌ مـن خنـازيـر السـواد[٤]

يكره مضر، ويسب علي بن أبي طالب

قال المدائني في خبره: وأخبرني ابن شهاب بن عبدالله قال: قال لي خالد بن عبدالله القسري:

اكتبْ ـ لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياما، ثم أتيته. فقال: ما صنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر وما أتممته. فقال: اقطعْه ـ قطعه الله مع أصولهم ـ واكتب ـ لي السيرة، فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سيَر علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ فأذكُره، فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم[٥]. لعن الله خالداً ومن ولاه، وقبحهم، وصلوات الله على أمير المؤمنين[٦]:

[٢٢/١٦]

/ من مظاهر زندقته وانحرافه

وقال أبو عبيدة: حدثني أبو الهذيل العلاّف، قال:

صعِدَ خالدٌ القسري المنبر، فقال: إلى كم يغلبُ باطِلنا حقَّكم، أما آن لربكم أن يغضب لكم؟ وكان زنديقا، أمه نصرانية، فكان يولّي النصارى والمجوسَ على المسلمين، ويأمرهم بامتهانهم وضَربهم، وكان أهل الذمة يشترون الجواريَ المسلماتِ ويطئونهن، فيطلق لهم ذلك، ولا يُغَيِّر[٧] عليهم.

---

(١) مصان: يقال للرجل: يا مصان، وللمرأة يا مصانة، مرادا بكل منهما أنه يمص بظر أمه، وعلى هذه الرواية يكون ثمة إقواء في البيت الثاني، ورواية هد: «فما ختنت الا بمصان قاعد» وهي رواية سليمة تضع عن البيت وزر الإقواء، وعلى كل فالمراد بالمصان هنا خالد نفسه بدليل قوله في البيت التالي «يرى سوأة من حيث أطلع رأسه» يريد الأعشى أن الحجام حين استأصل بظر أم خالد كان خالد يراقب عملية استئصال ذلك البظر الذي كان يمصه، ويرى السوأة التي أطلعت رأسه يوم ولادته.

(٢) يكنى بالميم عن الاست، لأن حلقتها مستديرة، وبالصاد عن فرج المرأة لأن حلقته مستطيلة وفي هج: «ويكره» بدل «ويترك».

(٣) مستقاد: تابع مقود، وفي الأصل «مستفاد» وهو تصحيف، والمثبت من هج.

(٤) كريز: تصغير كرز جد خالد، والسواد، اسم يطلق على العراق.

(٥) يريد ألا يذكر شيئا عنه إلا أن يراه في قعر الجحيم، فيذكر ذلك.

(٦) لعن الله... الخ من كلام أبي الفرج، ويبدو فيه تشيعه، ولعل لهذا التشيع أثرا في تلك الحملة الشعواء التي شنها على خالد بن عبدالله القسري.

(٧) كذا بالأصل، ولعل أصل العبارة «ولا يغيره عليهم» أو «ولا يغار عليهن».

وقال المدائني: كان خالد يقول: لو أمرني أمير المؤمنين نقضتُ الكعبةِ حجرا حجرا، ونقلتها إلى الشام.

قال: ودخل عليه فراسُ بنُ جعدةَ بن هبيرةَ وبين يديه نبقٌ، فقال له، العَن عليَّ بنَ أبي طالب ولك بكل نبقة دينار ففعل فأعطاه بكل نبقة دينارا.

قال المدائني: وكان له عامل يقال له: خالدُ بن أمَيّ[١]. وكان يقول: والله لخالد بنُ أميّ أفضل أمانة من علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه.

وقال له[٢] يوماً: ايّما أعظم ركيتنا[٣] أم زمزم؟ فقال له: أيها الأمير: من يجعل الماء العذب النُّقَاخ[٤] مثل الملح الأجاج؟ وكان يسمي زمزم أم الجعلان[٥].

بينه وبين الفرزدق

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسّانَ دَماذُ، عن أبي عبيدة، قال:

[١٧/٢٢ ط ١٩] أتى الفرزدقُ خالد بن عبدالله القسري، يَستحِمله في ديات حَمَلها، فقال له: إيه / يا فرزدق، كأني بك قد قلتَ: آتي الحائكَ بنَ الحائك، فأخدعَه عن ماله إن أعطاني، أو أذمّه إن منعني. فأنا حائكٌ ابن حائك. ولستُ أعطيك شيئاً. فأذممني كيف شئت، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها:

ليتنـــي مـــن بَجيلـــةِ اللـــؤم حتـــى يُعْـــزلَ العـــامـــلُ الـــذي بـــالعـــراق
فـــإذا عـــامـــل العـــراقيـــن ولّـــى عـــدت فـــي أســـرة الكـــرام العتـــاق[٦]

قال: وإنما أراد خالد بقوله: الحائكَ بنَ الحائك تصحيح نسبه في اليمن، والانتفاء من العبودية لأهل هجر.

يتطاول على الخليفة وابنه فيعزله

وكان خالد شديدَ العصبية على مضر. وبلغ هشاما أنه قال: ما ابني يزيدُ بنُ خالدٍ بدون مسلمةَ بنِ هشام، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق.

يتطاول على مقام النبوة

قال: وخطب بمكة وقد أخذ بعضَ التابعين، فخبسه في دور آل الحضرمي، فأعظم الناس ذلك وأنكروه، فقال: قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدوَّ أمير المؤمنين ومن حاربه، والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبةَ حجرا حجرا لنقضتُها، واللهِ لأميرُ المؤمنين أكرمُ على اللهِ من أنبيائه عليهم السلام، ولعن الله تعالى خالداً وأخزاه.

---

(١) في بعض النسخ «خالد بن العي» وفي بعضها «خالد بن آهي».
(٢) قال له: قال خالد الوالي لخالد عامله.
(٣) الركية: البئر غير مطوية.
(٤) النقاخ: الماء العذب الصافي البارد.
(٥) الجعلان: جمع جعل ـ كزفر ـ وهو حيوان كالخنفساء يكثر في الأماكن الندية.
(٦) رواية هد: «عدت في أسرتي» وهي أجود.

أخبرني أبو عبيدة الصيّرفيُّ، قال: حدّثنا الفضلُ بنُ الحسن المصريّ، قال: حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثني عبيد الله بن حُباب، قال: حدثني عطاءُ بنُ مسلم قال: قال خالدُ بنُ عبدالله، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

/ أيُّما أكرم[١] عندكم على الرجل: رسوله في حاجته أو خليفته في أهله؟ يُعرّض بأنَّ هشاما خيرٌ من النبي [١٨/٢٢] صلى الله عليه وسلم.

يوازن بين إبراهيم الخليل والخليفة

قال أبو عبيدة: خطب خالد يوما، فقال: إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء، فسقاه الله ملحا أجاجا، وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماءً، فسقاه اللهُ عَذبا نُقاخاً[٢]، وكان الوليد حفر بئراً بين ثنيّة ذي طُوى وثنيّة الحَجون، فكان خالد ينقل ماءها، فيوضع في حوض إلى جنب زمزم. ليرى الناسُ فضلَها. قال: فغارت تلك البئر، فلا يُدْرَى أين هي إلى اليوم؟

ينال من علي بن أبي طالب

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ: قال: حدثنا العباس بن ميمون طايع، عن ابن عائشة، قال:

كان خالد بن عبدالله زِنْديقاً، وكانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه. فرأى يوما عِكرمةَ، مولى ابن عباس، وعلى رأسه عمامةٌ سوداءُ، فقال: إنه بَلغني أنَّ هذا العبْدَ يشبه عَلِيَّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامُه، وإني لأرجو أن يسَوِّدَ اللهُ وجهَه كما سوّد وجه ذاك.

قال: حدثني مَنْ سمعه، وقد لعن عليًا ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فقال في ذكره: عليُّ بن أبي طالب بنُ عم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، وزوجُ ابنته فاطمةَ، وأبو الحسن والحسين، هل كَنَّيْتُ[٣]. اللهم العَن خالدا واخْزِه، وجدِّد على روحه العذابَ.

اسماعيل بن خالد يَسب بني أمّية في مجلس السفاح

وقال أبو عبيدة: ذكر إسماعيل بن خالد بنُ عبدالله القسريُّ بني أَمية عند أبي العباس / السفاح في دولة بني [١٩/٢٢] هاشم، فذمهم وسبهم، وقال له حمّاس[٤] الشاعر مولى عثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين: أيسُبُّ بني عمك وعُمَّالَهم وعماتِك رجلٌ اجتمع هو والخِرِّيتُ في نسب؟ إن بني أُمية لحمُك ودمُك، فكلْهم ولا توَكِّلهم[٥]. فقال له: صدقتَ. وأَمسك إسماعيل فلم يُحرْ جوابا.

(١) كأنه يعتقد أن الخليفة خليفة الله، ونسي أن الخليفة خليفة رسول الله، وعليه فلا مجال للمقارنة.

(٢) النقاخ: الماء العذب الصافي البارد.

(٣) استفهام انكاري: يريد به أنه عرف عليا بجميع أدوات التعريف، حتى لا تخطئه اللعنة.

(٤) كذا بالأصل، وفي بعض الأصول جماس ـ بالجيم المعجمة وتشديد الميم ـ ولعل هذا وذاك محرفان عن الجماز الشاعر المعروف.

(٥) يريد أن يقول له: تول أنت بيدك عقوبتهم، ولا تكل ذلك إلى غيرك، على حد قول الشاعر:

فإن كنت مأكولا فكن أنت اكلي وإلا فأدركني ولما أمزق

وقد تمثل بهذا البيت الخليفة عثمان بن عفان في خطاب بعث به إلى علي بن أبي طالب، يستعديه فيه على الثائرين عليه.

سليمان يضربه مائة سوط

وقال ابن الكلبي: كان خالدُ بن عبدالله أميرا على مكة فأمر رأس الحجبة أن يفتح له الباب[١] وهو ينظر، فأَبى فضربه مائة سوط. فخرج الشَّيْبِيُّ[٢] إلى سليمان بن عبد / الملك يشكوه فصادف الفرزدقَ بالباب، فاسترفده[٣]. فلما أذن للناس، ودخلا شكا الشيبيُّ ما لحقه من خالد، ووثب الفرزدق، فأنشأ يقول:

سلُوا خالداً لا أكرم الله خالداً ... متى وليَتْ قسرٌ قريشاً تَدينُها[٤]

أقبْلَ رسول الله أم ذاك بعدَه! ... فتلك قريشٌ قد أغثَّ سمينُها[٥]

رَجَونا هُدَاه لا هدَى الله خالداً ... فما أمُّه بالأم يُهْدَى جنينُها

[٢٢/٢٠] فحمِيَ سليمان وأمر بقطع يد خالد، وكان يزيدُ بن المهلَّب عنده، فما زالَ / يُفَدِّيه[٦]، ويقبِّل يدَه، حتى أمر بضربه مائةَ سوط، ويُعفَى عن يمينه، فقال الفرزدق في ذلك:

لعمري لقد صُبَّتْ على ظهر خالد ... شآبيبُ ما استَهْلَلْنَ من سَبَل القَطْر[٧]

أيُضْرَبُ في العِصيان من كان طائعاً ... ويَعصِي أميرَ المؤمنين أخو قَسْرِ؟[٨]

فنفسَك لُمْ فيما أتيتَ فإنما ... جُزيت جزاءً بالمُحَدْرَجَةِ السُّمرِ[٩]

وأنتَ ابنُ نصرانيَّةٍ طال بَظْرُها ... غَذَتْك بأولاد الخنازير والخمر

فلولا يزيدُ بنُ المهلَّب حَلَّقَتْ ... بكفك فتخاءُ إلى الفرخ في الوكرِ[١٠]

لَعمري لقد صالَ ابنُ شيبةَ صولةً ... أرتْك نجومَ الليل ظاهرةً تسري[١١]

يحبس الفرزدق

فحقدها خالد على الفرزدق فلما وُلِّي، وحفر نهر العراق[١٢] بواسط قال فيه الفرزدق أبياتاً يهجوه منها:

وأهلكتَ مَالَ الله في غير حقِّه ... على النَّهرَ المشؤوم غيرِ المباركِ

---

(١) يريد برأس الحجبة رأس حجبة الكعبة، وبالباب باب الكعبة.

(٢) الشيبي: نسبة إلى بني شيبة الذين كانوا يقومون بسدانة الكعبة.

(٣) استرفده: استعان به.

(٤) تدينها: تخضعها، وتذلها، وفي هج: «تهينها» بدل «تدينها».

(٥) أغث سمينها: هزل ما كان سمينا من إبلها وشائها.

(٦) يفديه: يقول له: جعلني الله فداءك.

(٧) الشآبيب: جميع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر. السبل: المطر.

(٨) يريد أن خالدا يضرب الطائعين، ويعصي هو. وفي «المختار»: «أيضرب في الإسلام».

(٩) المحدرجة السمر: السياط.

(١٠) الفتخاء: العقاب اللينة الجناحين، يريد: لولا يزيد لقطعت يدك، فالتقطتها عقاب لينة الجناحين، وجعلت منها غذاء لفرخها في وكره.

(١١) يريد أن هذه الصولة أرقتك، فجعلت تراقب النجوم في مساريها.

(١٢) في هد، هج: «وحفر نهار المبارك بالعراق».

وتضــرب أقــوامــاً صِحــاحــاً ظهُــورُهــم وتتْــركُ حــقَّ الله فــي ظهــر مــالِــك[١]

/ وقال، ويقال: إنها للمفرج بن المرقع[٢]. [٢١/٢٢]

كــأنــك بــالمبــارك بعــد شهــرٍ يخــوض غمــارهُ نَقْــعُ الكــلاب[٣]

كــذبــت خليفــةَ الــرحمــن عنــه وكيــف يــرى الكــذوبُ جَــزا الكِــذاب[٤]

فأخذ خالد الفرزدق، فحبسه، واعتل عليه بهجائه إياه في حفر المبارك، فقال الفرزدق في السجن:

أبلــغْ أميــرَ المــؤمنيــن رســالــةً فعجِّــل هــداكَ الله نــزعَــك خــالــدًا[٥]

بَنَــى بيعــةً فيهــا الصَّليــبُ لأمّــه وهــدَّم مــن بغــض الإلٰــه المســاجــدَا

فبعث هشامٌ إلى خالدِ بنَ سويد[٦] يأمره بإطلاق الفرزدق، فأطلقه، فقال الفرزدق يهجو خالداً القَسْريّ:

ألا لعَــن الــرحمــنُ ظهــرَ مطيــةٍ أتتْنــا تَخَطَّــى مــن بعيــد بخــالــد[٧]

وكيــف يــؤمُّ المسلميــن وأمُّــه تــديــن بــأنّ الله ليــس بــواحــد؟

ابن عيّاش يشتمه

أخبرنا الحسن، قال: حدثنا أحمدُ بنُ الحارث، قال: حدثنا المدائني، قال:

شتم عبدالله بن عيّاش الهمذانيّ خالدَ بن عبدالله في أيام منصور بن جمهور، فسمِعه رجل من لَخم، فقدَّمه إلى منصور واستعداه عليه، فقال له منصور: ما تريدُ؟

/ فقال ابن عيّاش: أمرنا أيها الأمير برقية العقرب. وفيه[٨] عجب، لخميٌّ يستنصر كلبيًّا على هَمَذانيٌ لبَجَليٍّ [٢٢/٢٢] دَعِيّ.

يدل على هشام

وقال المدائني / في خبره: كان خالد بن عبدالله قريباً من هشام بن عبد الملك مكِيناً عنده فأدَلّ، وتمرَّغ[٩] ٦٢/١٩ عليه، حتى إنه التفت يوما إلى ابنه يزيدَ بن خالد عند هشام، فقال له: كيف بك يا بنيَّ إذا احتاج إليك بنو أمير

(١) تقدم هذان البيتان في «ترجمة الفرزدق».
(٢) في بعض النسخ: «المريع».
(٣) نقع الكلاب: جيف الكلاب المنقوعة في الماء، وفي هج، هد: «بقع الكلاب».
(٤) في هد، هج «وسوف» «بدل» «وكيف» جزا: مقصور جزاء، الكذاب: الكذب.
(٥) تقدم هذان البيتان أيضا في ترجمة الفرزدق.
(٦) ابن سويد مفعول «بعث» وفي «نسخة»: فبعث هشام إلى خالد رسولا».
(٧) تقدم البيتان أيضا في «ترجمة الفرزدق»، وفي هد، هج «من دمشق» بدل «من بعيد». وفي الكامل: «تهادي» بدل «تخطي».
(٨) في العبارة التواء، ونرجح أن قوله: «وفيه عجب» تحريف «والرقية عجب» ويقصد بالعقرب خالدا، وبالرقية الأسجاع التالية، اللخمي هو الواشي، والكلبي هو منصور بن جمهور، والهمذاني هو المتكلم، أي الذي شتم خالدا، والبجلي الدعي هو خالد، والكلام مسوق مساق التهكم.
(٩) تمرغ عليه: تلبث عنده، وأطال الترداد عليه.

المؤمنين؟ قال: أواسيهم ولو في قميصي. فتبين الغضب في وجه هشام[١]، واحتملها.

يلقب هشاماً بابن الحمقاء

قال المدائني: حدثني بذلك عبد الكريم مولى هشام: إنه كان واقفاً على رأس هشام، فسمع هذا من[٢] خالد، قال: وكان[٣] إذا ذُكر هشامٌ قال له: ابنُ الحمقاء فسمعها رجل من أهل الشام، فقال لهشام: إن هذا البَطِر الأشِر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر، فقال: ماذا يقول؟ لعله يقول: الأحول قال: لا والله، ولكن ما لا تنشق به الشفتان قال: فلعله قال: ابن الحمقاء، فأمسك الشامي، فقال: قد بلغني كل ذلك عنه.

يستغل نفوذه فيتضاعف دخله

واتخذ خالد ضياعاً كثيرة حتى بلغت غلّتهُ عشرة آلاف ألف درهم، فدخل عليه دِهقانٌ كان يأنس به فقال له: [٢٣/٢٢] إن الناس يحبون جسمَك، وأنا أحِبُّ جسمك / وروحك، قد بلغت غَلّةُ ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلّتك[٤]، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا، فاحذر، فقال له خالد: إن أخي أسدَ بن عبدالله قد كلمني بمثل هذا، أفأنت أمرته؟ قال: نعم، قال: ويحك! دعه، فرُبَّ يومٍ كان يَطْلُب فيه الدرهم، فلا يجده.

كان بخيلا بطعامه

وقال المدائني في خبره: كان خالد بنُ عبدالله بخيلا على الطعام، فوفد إليه رجل له به حرمة، فأمر أن يكتبَ له بعشرة آلاف درهم[٥]، وحضَر الطعامُ، فأُتِيَ به، فأكل أكلاً منكراً، فأغضبه، وقال للخازن: لا تعرِض عليّ صكّه، فعرَّفه الخازن ذلك، فقال له: ويحك! فما الحيلة؟ قال: تشتري غداً كل ما يُحتاجُ إليه في مَطْبخه، وتهَبُ الطبَّاخَ دراهم، حتى لا يشتريَ شيئا، وتسألُه إذا أكل خالد أن يقول له: إنك اليومَ في ضيافة فلان، فاشترى كل ما أراد، حتى الحطبَ، فبلغ خَمسمائة درهم، فأكل خالد؛ فأستطاب ما صُنِعَ له. فقال له الطبّاخ: إنك كنتَ اليومَ في ضيافة فلان، قال له: وكيف ذاك؟ فأخبرَه، فاستحيا خالد ودعا بصكّه، فصيَّره ثلاثين ألفاً، ووقع فيه، وأمر الخازن بتسليمها إليه.

حيلة يحتالها تاجر عليه

قال: وكان لبعض التجار على رجل دينٌ، فأراد استعداءَ خالدٍ عليه، فلاذ الرجل ببواب خالد، وبرّه، فقال له: سأحتال لك في أمر هذا بحيلة، لا يُدخِلُه عليه أبداً، قال: فافعل، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر [٢٤/٢٢] فدخل، وخالد يأكل سمكاً، فجعل يأكل أكلا شنيعاً كثيراً، فغاظ ذلك خالداً، فلمّا خرج قال / لبوابه: فيم أتاني هذا؟ قال: يستعدي على فلان في دَين يدعيه عليه. قال: والله إني لأعلم أنه كاذب، فلا يدخلنّ عليّ. وتقدَّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه[٦].

---

(١) سبب الغضب أن السؤال يؤذن بحاجة بني أمية وزوال ملكهم.

(٢) هذا: هذا الخبر، ونرجح أن «من» هنا تحريف عن، أي سمع رواية الشامي لهذه القصة.

(٣) عبارة هج: «وكان إذا ذكر هشام قال: ما قال لكم ابن الحمقاء؟».

(٤) في هج: «قد بلغت غلتك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلة ابنك».

(٥) في هج: «بعشرين ألف درهم».

(٦) في هد، هج «بأن يقبض يده عن خصمه» ولعل المراد أنه خلى بين التاجر والمدين، ومنع الشرطة أن تحمي الثاني من الأول.

وقال المدائني في خبره:

خبير بلغة الحمير

كان خالد يوماً يخطب على المنبر. وكان لُحَنَةً، وكان له مؤدب يقال له: الحسين بن رَهمة[١] الكلبيّ، وكان يجلس بإزائه، فإذا شك في شيءٍ أومأ إليه، وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبي في وسط خطبته، وقال: قد حضرتني مسألة، قال: ويحك! أما ترى الشيطان عينه في عيني، يعني حُسيناً، قال: لا بد والله منها، قال: هاتها، قال: أَخبِرْني، قَلْمسَانُ[٢] إذا سَاف[٣]، ثم رفع رأسه وكرف[٤] أيّ شيء يقول؟ قال: أراه يقول: ما أطيبه يا رباه، قال: صدقتَ ما كان ليستشهدَ على هذا سوى ربه.

رأيه في حفظة القرآن

قال المدائني: وقال خالد يوماً على المنبر: هذا كما قال الله عز وجل: أعوذُ بالله من / الشيطان الرجيم ثم أُرتجَ عليه، فقال للتغلبي: قم فافتح عليّ يا أبا زمزم سورة كذا وكذا، فقال: خفِّضْ عليكَ أيها الأمير، لا يهولنَّك ذلك، فما رأيت قط عاقلاً حفظ القرآن، وإنما يحفظه الحمقى من الرجال، قال: صدقتَ، يرحمُك الله.

يهب المغنية للقصاص

وقال المدائنيّ: حدّثني أبو يعقوب الثقفيّ، قال:

قال خالد بن عبدالله للعُريان: يا عُريَانُ، أعجزتَ عن الشُّرَط، حتى أوَلّي / غيرَك! فإن الغناء قد فشا وظهر [٢٢/٢٥] قال: لم أعجزْ، وإن شئت فاعزلني، فقال له: خُذلي المغنّيات، فأحضرهُ خمساً منهن أوْ ستًّا، فأدخلهُنّ إليه، فنظر إلى واحدة منهن بيضَاءَ دعجاءَ؛ كأنَّها أُشرِبتْ ماءَ الذهب، فدعا لها بكرسيٍّ، فجلست. ثم قال لها: اين البَرْبط[٥] الذي كانت تضرب به؟ فأُحضِر، ثم سوّته، فغنت:

إلى خالدٍ حتّى أنخنَ بخالدٍ ... فنعم الفتى يُرجَى ونعم المؤمَّلُ

فقال: اعْدِلي عن هذا إلى غيره، فغنّت:

أروحُ إلى القصَّاص كلَّ عَشيَّةٍ ... أرجّي ثوابَ الله في عدد الخُطَا

قال: وأقبل قاصُّ المصر. فقال له خالد: أكانت هذه تروح إليك؟ قال: لا، وما مثلها يروحُ إليَّ، قال: خذ بيدها فهي لك، ومولاها بالباب، فسأل عنها فقيل: وهبهَا للقاصّ، فتحمّل[٦] عليه بأشْرَاف الكوفة، فلم يردُّها، حتى اشتراها منه بمائتي دينار.

(١) في بعض النسخ: دهمة.
(٢) كذا بالأصل، والذي في هج وهد: أخبرني عن الحمار إذا ساف وكرف، ثم رفع رأسه، وكرف، أي شي يقول؟» وليس بين أيدينا من المعاجم ما يفيد أن كلمة «قلمسان» تطلق على الحمار أو غيره.
(٣) ساف: شم.
(٤) كرف الحمار وغيره: شم بول الأتان، ثم رفع رأسه، وقلب جحفلته.
(٥) البربط ـ كجعفر ـ العود، وهو لفظ معرب عن «بر»، «بط» بمعنى صدر الاوز، لأن شكل العود يشبه شكل صدر الأوز.
(٦) تحمل: توسل.

هشام يضيق به ذرعاً فيقرعه:

وقال المدائنيّ؛ قال خالد في خطبته: والله ما إمارة العِراق ممّا يشرفني، فبلغ ذلك هشاماً، فغاظه جدّاً، وكتب إليه:

بلغني يا بنَ النَّصرانية أنك تقول: إن إمارةَ العراق ليست مما يشرفك، صدقتَ والله، ما شيءٌ يشرفك، وكيف تشرُف وأنت دَعِيٌّ إلى بجيلةَ القبيلةِ القليلةِ الذليلةِ، أما والله إني لأظنُّ أن أولَ ما يأتيكَ ضَغِنٌ من قيس[1]، فَيشُد يديك إلى عنقك.

هشام ينكل به تنكيلا

[٢٦/٢٢] وقال المدائني: حدثني شَبيبُ بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم / قال: لم تزل أفعالُ خالد به[2]، حتى عزلَه هشام، وعذَّبه، وقتل ابنَه يزيد بن خَالد، فرأيتُ في رِجْلِهِ شريطاً قد شُدَّ به، والصبيان يجرونه، فدخلتُ إلى هشام يومًا، فحدثته، وأطلت، فتنفس. ثم قال: يا خالدُ، رُبَّ خالدٍ كان أحبَّ إليَّ قربا، وألذَّ عندي حديثا منك، قال: يعني خالداً القسري، فانتهزتها، ورجوت أن أشفَع له فتكون لي عند خالدٍ يدٌ، فقلت: يا أمير المؤمنين، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده؟ فقد أدَّبْتَهُ بما فَرَط منه، فقال: هيهات، إن خالداً أوجف[3] فأعجف، وأدلّ[4] فأملّ، وأفرط في الإسَاءة فأفرطْنا في المكافأة، فحَلِم الأديمُ[5]، ونَغِلَ الجرح[6]، وبلغ السيلُ الزُّبى[7] والحزام الطُّبيَيْن[8]، فلم يبق فيه مُسْتَصْلح، ولا للصنيعة عنده موضع، عُدْ إلى حديثك.

عود إلى تخنثه ودورانه في فلك عمر بن أبي ربيعة

فأمّا أخباره في تخنثه وإرسال عمرَ بن أبي ربيعة إياه إلى النساء، فأخبرني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هِفّان، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي، وأخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء، قال: [٢٧/٢٢] حدثني الزبير بن بكر، قال: / حدثني محمد بن الحارث بن سعد السعيدي، عن إبراهيم بن قُدَامة الحاطبيّ، عن أبيه، واللفظُ لعلي بن صالح في خبره، قالا[9]: قال الحاطبي:

أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نَسَك بسنين، فانتظرته في مجلس قومه، حتى إذا تفرق القومُ دنوتُ منه، ومعي صاحب لي، فقال لي صاحبي: هل لك في أن / تُرِيغَه[10] عن الغزل، فننظر هل بقي منه شيء عنده؟ فقلت ٦٤/١٩

(١) ضغن: حاقد عليك من قيس الذين لا تفتأ تنال منهم.
(٢) متعلق الجار والمجرور محذوف، تقديره «عالقة» أو مزرية به، أو نحو ذلك.
(٣) لعله يريد بقوله: «أوجف فأعجف» أسرع في الإساءة، وتمادي فيها، فأصاب منزلته عندنا بالهزال والعجف.
(٤) أدل فأمل، أكثر من الإدلال، فسبب لنا السامة والإملال.
(٥) الأديم: الجلد، حلم: كثر دوده، حتى تثقب وفسد.
(٦) نغل الجرح: تعفن، وفسد.
(٧) الزبى: جمع زبية، وهي الربوة لا يصل اليها الماء، فإذا وصل إليها كان ذلك نذيرا بخطر السيل، وجملة «بلغ السيل الزبى» مثل يضرب عند تفاقم الخطر، وبلوغه مداه.
(٨) الطبي ـ بضم الطاء وكسرها ـ حلمة ثدي الناقة ونحوها، وجملة «جاوز الحزام الطبيين: كسابقتها تضرب مثلا في تفاقم الأمر، وبها تمثل عثمان بن عفان في خطابه إلى علي بن أبي طالب، حينما استعداه على الثائرين عليه».
(٩) ضمير «قالا» لعلي بن صالح والحرمي بن أبي العلاء.
(١٠) تريغه: من أراغه عن الأمر وعليه: طلبه منه.

له: دونك. فقال: يا أبا الخطاب أحسنَ والله رَيْسَان العذري ـ قاتله الله ـ قال: وفيم أحسن؟ قلت: حيث يقول:

لــو جُــزَّ بــالسيــف رأســي فــي مــودّتهــا لمــالَ لا شــك يَهــوِي نحــوَهــا رأســي

فقال: نعم أحسن، فقلت: يا أبا الخطاب، وأحسنَ واللهِ تِحيَّةُ بنُ جُنادة العذريّ، قال: في ماذا؟ قلت: حيث يقول:

ســرت لعينيــك سَلْمــى بعــد مغفــاهــا فبِــتُّ مستــوهنــاً مــن بَعْــدِ مسـراهــا

فقلــت: أهــلاً وسهــلاً مــن هَــدَاكِ لنــا إن كنــتِ تمثــالَهــا أو كنــتِ إيّــاهــا

وفي رواية الزبير خاصة:

تــأتــي الــريــاحُ مــن نَحْــوِ أرضكــم حتــى أقــول: دنَــتْ منّــا بــرَيّــاهــا

وقــد تــراخــت بهــا عنّــا نــوًى قَــذَفٌ هيهــاتَ مُصْبحُهــا مــن بعــدِ مُمْسـاهــا[1]

مِــنْ حُبِّهــا أتمنّــى أنْ يــلاقِيَنــي مــن نحــو بلــدتهــا نــاعٍ فينعــاهــا

كيمــا أقــولَ: فِــراقٌ لا لقــاءَ لــه وتُضمــرَ اليــأسَ نفســي ثــم تَسْــلاهــا

/ ولــو تمــوت لــراعتْنــي وقلــتُ لهــا: يــا بــؤسَ للــدهــر ليــت الــدهــرَ أبقــاهــا [٢٨/٢٢]

ويروى:

... لــــــراعتنـــــي مَنِيَّتُهـــــا وقلــتُ يــا بــؤسَ ليــت الــدهــرَ أبقــاهــا

فضحك عمر ثم قال: يا ويحه أحسن والله، لقد هيجتما عليَّ ما كان ساكناً مني فلأحَدِّثنكما حديثاً حُلواً: بينا أنا أوّل أعوامي جالس إذا بخالد الخريت قال: مررت بأربع نسوة قبيلٍ[2]، يَرِدْنَ ناحية كذا وكذا من مكة، لم أر مثلَهن قط، فيهن هند، فهل لك أن تأتيهن متنكراً فتسمَع من حديثهن، ولا يعلَمن؟ فقلت: وكيف لي بأن يخفى ذلك؟ قال: تلبس لِبسةَ الأعراب، ثم تقعدُ على قَعود، كأنك تَنْشُدُ ضالة، فلا يَشْعُرْنَ حتى تهجمَ عليهن، قال: فجلست على قعود. ثم أتيتُهنَّ فسلّمت عليهن، فأنَسْنني، وَسَألْنني أن أنشدَهن، فأنشدتهن لكُثيِّر وجميل وغيرهما، وقلن: يا أعرابي، ما أملحك، لو نزلت، فتحدثت معنا يومنا هذا، فإذا أمسيت انصرفت، فأنختُ قعودي، وجلستُ معهن، فحدثتهن، وأنشدتهن، فدنت هند، فمدّتْ يدها، فجذَبت عِمامتي، فألْقتهَا عن رأسي، ثم قالت: تالله لظَنَنتَ أنك خدعتنا، نحن والله خدَعْناك، أرسَلنا إليك خالداً الخِرّيتَ في إتيانا بك على أقبح هَيْئَتِك، ونحن على أحسن هيئتنا. ثم أخَذنَ بنا في الحديث، فقالت إحداهن: يا سَيدي لو رَأيتني[3] منذ أيام، وأصبحت عند أهلي، فأدخلت رأسي / في جيبي، فنظرت إلى حِرِى، فرأيته ملءَ العُسّ والقَسّ[4] فصحتُ: يا عمراه! فصحتَ[5]: لبيك [٢٩/٢٢]

---

(١) قذف: بعيدة تتقاذف بمن تصيبه، مصبح وممسى: مصدران ميميان، أو اسما مكان أو زمان من أصبح وأمسى، وفي هد، هج «هيهات مصبحها عنا وممساها».

(٢) قبيل: متشابهات.

(٣) في هد «لقد رأيتني» بضم التاء.

(٤) العس: القدح الكبير، أما القس فلا مكان له هنا، ونرجح أنهما تحريف «العين والنفس».

(٥) تاء «صحت» الأولى ضمير المرأة المتحدثة، وتاء «صحت» الثانية ضمير ابن أبي ربيعة.

لبيك، ولم أزل معهن في أحسن وقت إلى أن أمسينا، فتفرقنا، عن أنعم عيش، فذلك حين أقول:

ألم تعرفِ الأطلالَ والمتربَّعا ببطن حُليّات دوارسَ بَلْقعا[1]

وذكر الأبيات.

انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبداً.

[٣٠/٢٢]

صوت

أنائلُ ما رؤيا زعمتِ رأيتِها لنا عجبٌ لو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ

أنائلُ ما للعيش بعدك لذةٌ ولا مشربٌ نلقاه إلا مُرَنَّق[2]

٦٥/١٩ أنائلُ إنّي والذي أنا عبدُهُ لقد جعلتْ نفسي من البين تُشفِقِ

لعمرُكَ إن البين منك يشوقني وبعض بُعادِ البين والنأي أشوقُ

الشعر لصخر بن الجعد الخُضريّ.

أخبرنا بذلك محمد بن مزيد، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضري، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر. ومن الناس من يروي هذه الأبيات لجميل، ولم يأت ذلك من وجه يصحّ، والزبيرُ أعلم بأشعار الحجازيين.

والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي، وفيه لابن المكي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

---

(١) مضى هذا البيت وما بعده في حديث سابق، كما مضى الحديث كله في هذه الترجمة نفسها مع اختلاف في الرواية.

(٢) مشرب مرنق: مشوب غير صاف.

/ أخبار صخر بن الجعد ونسبه

[٢٢/ ٣١]

نسبه

صخرُ بنُ الجعدِ الخُضْرِيّ، والخُضرُ ولدُ مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر، وصخر أحد بني جِحاش بن سَلَمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف، قال: وسُمِّي ولد مالك بن طريف الخُضْر لسوادِهم، وكان مالك شديد الأدْمة[١]. وخرج ولدُه إليه فقيل لهم الخُضر، والعرب تسمي الأسودَ الأخْضَرَ.

ابن ميادة يترفع عن مهاجاته

وهو شاعر فصيح من مُخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد كان يَعْرِض لابن ميادة لمَّا انقضى ما بينه وبين حَكَم[٢] الخُضْريّ من المهاجاة، ورام أن يهاجيَه، فترفَّع ابنُ ميّادة عنه.

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ، عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن الزبير بن بكار مجموعاً، وأخبرني بأخبار له متفرقة الحَرَميُّ بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار.

وحدثني بها غيرُهما من غير رواية الزبير، فذكرت كلَّ شيء من ذلك مفرداً، ونسبته إلى راويه.

قصته مع محبوبته كأس

قال الزبيرُ فيمَا رواه هارون عنه:

حدثني مَنْ أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجَون قال:

كان صخرُ بن الجَعْد مغرما بكأسٍ بنت بُجَيْر بن جُنْدب، وكان يشبب بها، فلقيه أخوها وقَّاصٌ، وكان شجاعا، فقال له: يا صخرُ، إنك تشببُ[٣] بابنة عمك، وشَهَرْتَها، ولعمري ما بها عنك مذهبٌ؛ ولا لنا عنك مرغَب، فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوِّجْكها، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمَنْ ما عرضت لها / بذكر، [٢٢/ ٣٢] ولا أسمعَنّه منك. فأقسمُ بالله لئن فعلتَ ذلك ليخالطنَّك سيفي، فقال له: بل والله إن لي لأشدَّ الحاجة إليها، فوعده موعداً وخرج صخرٌ لموعدِه، حتى نزل بأبياتِ القوم، فنزل منزل الضيف، فقام وقَّاصٌ فَذَبَح، وجمع أصحابَه. وأبطأ صخر عنهم، فلما رأى ذلك وقاص بعث إليه: أن هلمَّ لحاجتك، فأبطأ[٤]، ورجع الرسولُ فقال مثلَ قوله[٥]،

---

(١) الأدمة: السواد.
(٢) في هج «الحكم» بدل «حكم».
(٣) في بعض النسخ: إنك نسبت «بدل» إنك تشبب، وهذه الرواية أنسب.
(٤) ضمير «أبطأ» يصح أن يكون عائدا على صخر، وعلى الرسول.
(٥) في العبارة التواء فلم يتقدم مرجع لضمير «قوله».

فغضِب. وعمِدَ إلى رجل من الحيِّ ليس يُعْدَلُ بصخر، يقال له حِصْنٌ، وهو مُغضَب لما صنع، فحمِدَ الله وأثنى عليه، وزوَّجه كأسَ، وافترق القوم، ومروا بصخر، فأعلَموه تزويجَ كأسٍ بحصن، فرحل عنهم من تحت الليل، واندفع يهجوها بالأبياتِ التي قذَفها فيها فيما قذفَها، وذلك قوله حين يقول:

وأنكحَها حصناً لِيَطْمِسَ حَملَها ... وقد حملَتْ من قبلِ حصنٍ وجرَّتِ

أي زادت على تسعة أشهر، قال: وترافع القومُ إلى المدينة، وأميرُها يومئذ طارق مولى عثمان، قال: فتنازعوا إليه. ومعهم يومئذ رجل يقال له حَزْمٌ، وكان من أشد الناس على صخر شراً. قال: وفيه يقول صخر:

/ كفى حَزَناً لو يعلمُ النَّاسُ أنَّني ... أدافعُ كأساً عند أبوابِ طارقِ[1]

أتنسيْنَ أيامَاً لنا بسُويْقَةٍ ... وأيامَنا بالجِزعِ جِزعِ الخلائقِ

ليالِيَ لا نخشى انصِداعاً من الهوى ... وأيامَ حزمٌ عندنا غيرُ لائقِ[2]

/ إذا قلتُ لا تَفْشِي حديثي تعجرفَتْ ... زياداً لِوُدٌّ ها هنا غيرِ صادقِ[3]

قال: فأقاموا عليه البيِّنةَ بقَذْف كأس، فضُرِبَ الحَدَّ، وعاد إلى قومه، وأسِف على ما فاته من تزويج كأس، فطفِق يقول فيها الشعر.



مطولته في كأس

قال الزبير: فأنشدني عمّي وغيرُه لصخر قوله:

لقد عاود النفسَ الشقيَّةَ عِيدُها ... نعم إنَّهُ قد عاد نحساً سُعودُها[4]

وَعاوَدَهُ من حُبِّ كأسٍ ضَمانةٌ ... على النأْيِ كانت هيضةً تستقيدُها[5]

وَأنِّي ترجِّيها وأصبحَ وصلُها ... ضعيفاً وأمستْ هَمُّه لا يكيدُها[6]

وقد مرَّ عَصْرٌ وهي لا تستزيدُني ... لما استُوْدِعتْ عندي ولا أستزيدُها

فما زلْتَ حتى زَلَّتِ النعلُ زَلَّةً ... برجلك في زوراءَ وعثٍ صعودُها[7]

ألا قل لكأسٍ إن عرضْتَ لبيتِها ... فأين بكا عيني وأين قصيدُها؟

(١) يريد بالمدافعة المقاضاة، وتنوين «كأسا» ليس ضرورة، فهو مؤنث ثلاثي ساكن الوسط يجوز تنوينه ومنعه من الصرف.
(٢) يريد حزما عدوه الذي تقدمت الإشارة اليه، و«حزم» مرفوع على الابتداء، وأيام مضافة إلى الجملة بعدها.
(٣) تعجرفت: تكبرت، زيادا: مفعول لأجله، أي تكبرت لتزيد ودا بيننا غير صادق، وفي هد، هج: «ديارا» بدل «زيادا» ولا معنى له.
(٤) العيد هنا: ما يعتاد الأنسان.
(٥) الضمانة: العلة، الهيضة: المرض بعض المرض، فاعل «تستقيدها» ضمير كأس، يريد أن كأسا تأخذ القود منه، وتثأر لنفسها بما أصابته به من علة بعد علة.
(٦) أمست همه لا يكيدها، أي أمست كأس وليس من همه أن يضمر لها كيدا.
(٧) زوراء: أرض بعيدة، وعث صعودها: من وعث الطريق وعثا: تعسر سلوكه، يريد أنه كان مع كأس على وفاق، حتى زلت به النعل زلة لا إقالة منها.

لعـل البُكـا يـا كـأسُ إن نفـع البكـا ... يُقـرِّب دنيـانـا لنـا فيعيـدُهـا

وكـانـتْ تنـاهـتْ لـوعـةُ الـودِّ بيننـا ... فقـد أصبَحَـتْ يُبْسـاً وأذبـل عـودُهـا[١]

/ ويروى: وقد ذَاء عودُها يقال: ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد. [٣٤/٢٢]

ليـالـيَ ذاتُ الـرمْـسِ لا زال هيْجُهـا ... جنـوبـا ولا زالـت سحـابٌ تجـودُهـا[٢]

وعيـشٌ لنـا فـي الـدهـر إذ كـان قَلْبُـه ... يطيـب لـديـه بُخْـلُ كـأسٍ وجـودُهـا[٣]

تـذكَّـرْتُ كـأسـاً إذ سَمِعْـتُ حمـامـةً ... بكـت فـي ذُرَا نخـل طِـوالٍ جـريـدُهـا

دعـت سـاقَ حُـرٍّ فـاستَجبـتُ لصـوتهـا ... مـولَّهَـةً لـم يبـقَ إلا شـريـدُهـا[٤]

فيـا نفـسُ صبـراً كـلُّ أسبـابِ واصـلٍ ... ستنمِـي لهـا أسبـاب هَجْـرٍ تُبيـدُهـا

قال أبو الحسن الأخفش:

ستنمي لها أسباب صَرْم تُبيدها أجود.

وليـلٍ بَـدَتْ للعيـن نـار كـأنهـا ... سنـا كـوكـبٍ للمستبيـن خُمـودهـا[٥]

فقلـت: عسـاهـا نـارُ كـأسٍ وعلَّهـا ... تَشكَّـى فـأمْضِـي نحـوَهـا وأعـودُهـا[٦]

فتسمـع قـولـي قبـل حتـف يَصِيـدُنـي ... تُسَـرُّ بِـه أو قَبْـلَ حتـفٍ يصيـدهـا

كـأن لـم نكـنْ يـا كـأسُ إلْفَـى مَـودةٍ ... إذِ النـاسُ والأيـامُ تُـرْعَـى عهـودُهـا

من شعره في تجواله

أخبرني عبدالله بن مالك النحوي، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال:

لما ضرِبَ صخرُ بن الجعد الحدَّ لكأس، وصارت إلى زوجها نَدِمَ على ما فرط منه، / واستحيا من الناس [٣٥/٢٢] للحدّ الذي ضُرِبَه، فلحِقَ بالشام، فطالت غيبتُه بها، ثم عاد فمرّ بنخل كان لأهله ولأهل كأس، فباعوه، وانتقلوا إلى الشام، فمر بها صخر ورأى المبتاعين لها يَصرِمونها[٧]، فبكى عند ذلك بكاء شديداً، وأنشأ يقول:

---

(١) في هد، هج «زرعة» بدل «لوعة» والمعنى يستقيم على روايتها.

(٢) ليالي مضاف إلى الجملة بعدها، ذات الرمس: مكان. الهيج: الريح، يقول: إن زرعة الود كانت تناهت بينهما ليالي كانت تهب الريح فيها جنوبا، وكانت السحاب تمطر فيها، والسحاب يذكر ويؤنث.

(٣) عيش: معطوف على «ذات الرمس».

(٤) ساق حر: ذكر القماري، وفي رواية «فاستحثت» وفي الأصل «فاستحث» وفي هد: «فاستجبت» وهذا هو الذي نرجحه، يريد أن الحمامة دعت القمري فاستجبت أنا لندائها حال كونها مولهة. . . الخ.

(٥) وليل واورب، ورابط جملة الخبر محذوف، تقديره بدت العين نار فيه. وفي هج «لا تستبين» بدل «للمستبين» أي أنها نار لا ترى العين لها خمودا، بل هي متقدة دائما.

(٦) رفع «أمضي وأعود» لضرورة الشعر، فالقياس النصب.

(٧) صرم النخلة: جذها.

مررت على خيماتِ كأسٍ فأسبلتْ مدامعُ عيني والرياحُ تُميلُها

67/19 / وفي دارهمْ قومٌ سواهم فأسبلتْ دموعٌ من الأجفان فاض مسيُلها

كذاكَ الليالي ليسَ فيها بسالمٍ صديقٌ ولا يبقى عليها خَليُلها

وقال وهو بالشام:

ألا ليتَ شعري هل تغيَّرَ بَعدَنا عن العهدِ أم أَمْسَى على حاله نجدُ؟

وعهدِي بنجدٍ منذ عشرين حِجَّةً ونحن بدُنيا ثَمَّ لم نَلْقَهَا بعدُ

به الخوصَةُ الدهماءُ تحت ظلالها رياضٌ بها الحَوْذان والنَّفَل الجعدُ[1]

قال: ومرَّ على غديرٍ كانت كأس تشرب منه ويحضره أهلها ويجتمعون عليه، فوقف طويلا عليه يبكي وكان يقال لذلك الغدير جَنان فقال صخر:

بَلِيتُ كما يَبْلَى الرِّداءُ ولا أرَى جَنَاناً ولا أكنافَ ذِرْوَةَ تَخْلُقُ[2]

أَلَوَّى حيازيمي بِهِنَّ صبابةً كما تتلوَّى الحيَّةُ المُتَشَرِّقُ[3]

تموت كأس فيرثيها

أخبرني عبدُالله بن مالك، عن محمد بن حبيب، قال: قال السّعيديّ[4]: حدثني سَبرةُ مولى يزيدَ بن العوّام، قال:

[٣٦/٢٢] / كان صخر بن الجعد المحاربي خِدْنًا لعوّام بن عقبة، وكان عوّام يهوَى امرأة من قومه، يقال لها: سوداء، فماتت، فرثاها، فلما سمع صخرُ بن الجَعْد المرثية، قال: وددتُ أن أعيش حتى تموت كأس، فأرثيها، فماتت كأس، فقال:

على أُمّ داودَ السلامُ ورحمةٌ من الله يجري كلَّ يوم بشيرُها

غداةَ غدا الغادون عنها وغُودِرَتْ بلمَّاعَةِ القِيعان يستنُّ مورُها[5]

وغيِّبتُ عنها يوم ذاك وليْتَني شهِدتُ فيحوي مَنْكِبيَّ سريرُها[6]

ويروى: فيعلو منكبي.

---

(١) الخوص: ورق النخل والمقل والنار جيل وما شاكلها، الحوذان: نبات عشبي، النفل: نبت طيب الرائحة أصفر الزهر، وفي الأصل «بقل» وهو تصحيف.

(٢) جنان، وذروة: مكانان.

(٣) الحيزوم: الصدر أو وسطه، الحية المتشرق: التي تحاول الدفء عند شروق الشمس.

(٤) في هج: «السعدي» بدل «السعيدي».

(٥) لمّاعة القيعان: فلاة يلمع السراب أو البرق في زمانها، يستن: يسرع، المور: الغبار تطير به الرياح كل مطار.

(٦) يكني بقوله: يحوي منكبي سريرها» عن احتضانها أو حملها إلى القبر، ويؤيد المعنى الثاني رواية «فيعلو» التي أشار اليها المؤلف، وهي أجود.

نــزَت كبــدِي لمــا أتــانــي نعِيُّهــا ... فقلــت: أدانٍ صــدعُهــا فمُطِيــرُهــا؟[١]

أمير المؤمنين يسأل عن قائل شعره

أخبرني الحَرَميُّ بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني خالد بن الوضاح قال:

قال عَبْدُ الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجُمَحِيُّ لعبدالله بن مصعب: سألني أمير المؤمنين اليوم في موكبه: مَنِ الذي يقول:

أَلا يــا كــأسُ قــد أفنيــتُ شِعْــري ... فلســتُ بقــائــلٍ إلا رجيعــا؟[٢]

ولم أدر لمن الشعر؟ فقال عبدالله بن مصعب: هو لصخرِ الحُضْرِيِّ، وأنشدَ باقيَ الأبيات، وهي:

/ تُــرجِّــى أَنْ تــلاقــيَ آلَ كــأسٍ ... كمــا يــرْجــو أخــو السَّنةِ الــربيعــا[٣] [٣٧/٢٢]

فلســتَ بنــائــمٍ إلا بحُــزْنٍ ... ولا مستيقظــاً إلا مَــرُوعــا

فــإنَّــكَ لــو نظــرتَ إذا التقينــا ... إلــى كبــدِي رأيــتَ بهــا صُــدوعــا

من شعره حينما ندم على عدم زواجها

قال ابن حبيب في رواية عبدالله بن مالك: لما زُوِّجَتْ كأسٌ جزع صخرُ بن الجعد لما فرط منه وندِم وأسِفَ، وقال في ذلك:

هنيئــاً لكــأسٍ قطعُهــا الحبــلَ بعــدمــا ... عقــدْنــا لكــأسٍ مــوثقــاً لا نخــونُهــا

وإشْمــاتُهَــا الأعــداءَ لمّــا تــألّبــوا ... حــوالــيَّ واشتــدَّت علــيّ ضُغُــونُهــا

/ فإن حَــرامــاً أنْ أخــونَــك مــادعــا ... بِيلْيَــلَ قُمْــرِيُّ الحمــامِ وجُــونهــا[٤] ٦٨ ١٩

وقــد أيْقَنَــتْ نفســي لقــد حِيــلَ دونها ... ودونَــكَ لــو يــأتــي بيــأسٍ يَقينُهــا[٥]

ولكــنْ أبَــتْ لا تستفيــقُ ولا تَــرى ... عَــزَاءً ولا مجلــودَ صَبْــرٍ يُعينهــا[٦]

لــو أنَّــا إذ الــدّنيــا لنَــا مطمئنَّــةٌ ... دَحَــا ظِلُّهــا ثــم ارجحنَّــت غُصــونهــا[٧]

---

(١) في رواية «برت» بدل «نزت» وفي أخرى «أدام» بدل «أدان» وهي أجود، مطيرها: اسم فاعل من أطار، والنعي ـ بالتشديد ـ كالنعي ـ بالتخفيف.

(٢) في الأصل «فلست بنائل بالا رجيعا» وهو تحريف «فلست بقائل الا رجيعا» ويعني ذلك قوله أفنيت شعري.

(٣) السنة هنا: الجدب والمحل.

(٤) يليل ـ بياءين مثناتين ـ اسم موضع، الجون: جمع جوناء، وهي الناقة السوداء، والمعنى: لن أخونك ما ناح الحمام، أو أرزمت الإبل بهذا المكان، وفي النسخ اضطراب كثير في هذا البيت.

(٥) لو هنا للتمني لا شرطية: يتمنى لو أن يقينه بالحيلولة بينه وبينها أراح قلبه باليأس منها وسلوة حبها.

(٦) مجلود: من جلده على الأمر: أكرهه عليه، وإضافة «مجلود» إلى «صبر» من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي الصبر الذي أكره نفسي عليه.

(٧) دحا الظل: استرخى وامتد، ارجحنت: تمايلت.

لهــونــا ولكنــا بغــرّة عيشِنــا عجِبنَـا لـدُنيـانَـا فكِـدنـا نُعينهـا[1]

[٣٨/٢٢] / وكنـا إذا نحـن التقينـا ومـا نُـرى لعينيـن إلا مـن حجـابٍ يَصـونُهـا[2]

أخـذنـا بـأطـراف الأحـاديـث بيننـا وأوسـاطِهـا حتـى تُمَـلّ فنـونهـا[3]

تراه كأس في النوم

قال ابن حبيب: أرسلتْ كأسٌ بعد أنْ زُوِّجَت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يَرَى النائم: كأنه يُلْبِسُها خماراً، وأنَّ ذلك جدّد لها شوقاً إليه وصبَابة، فقال صخر:

أنـائـلُ مـا رؤيـا زعمـتِ رأيتِهـا لنـا عجَـب لـو أنّ رؤيـاكِ تَصْـدُق

أنـائِـلُ لـولا الـودُّ مـا كـان بيننـا نضـاً مثـل مـا ينضـو الخضـابُ فيخلُـق[4]

يشتري نسيئة ثم يهرب من البائع

أخبرنا حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبدالله بن شبيب، قال: حدثني محمد بن عبدالله البكري، قال:

قدم صخر بن الجعد الخُضْريّ المدينة، فأتى تاجراً من تجارها، يقال له سَيَّارٌ فابتاع منه بُرًّا وعِطراً، وقال: تأتينَا غُدوة فأقضيك، وركب من تحت ليلته، فخرج إلى البادية، فلما أصبح سيّار سأل عنه؛ فعُرِف خبرُه، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه، حتى أتوا بئرَ مُطّلِب، وهي على سبعة أميال من المدينة، وقد جهدوا من الحرّ، فنزلوا عليها، فأكلوا تمراً كان معهم، وأراحوا دوابَّهم وسَقَوْها، حتى إذا بَرَد النهار انصرفوا راجعين، وبلغ الخبرُ صخرَ بن الجعد، فقال:

أهْـونْ علـيَّ بسيّـارٍ وصفـوتـه إذا جعلـتُ صِـراراً دون سيّـار[5]

[٣٩/٢٢] / إنّ القضـاءَ سيـأتـي دونـه زمـن فـاطـوِ الصّحيفـةَ واحفَظهـا مـن العـار[6]

يسـائـل النـاسَ هـل أحْسَسْتُمُ جَلَباً محـاربيّـا أتـى مـن نحـو أظفـار[7]

ومـا جَلَبْـتُ إليهـمْ غيـرَ راحلـة وغيـرَ رحـل وسيـف جَفنـةُ عـار

---

(١) لهونا: خبر لوانا في البيت السابق، عجبنا لدنيانا: أنكرناها: يقول: ليتنا نعمنا بالحياة، وهي مواتية، ولكننا تنكرنا لها، فكدنا نعينها على إساءتها لنا.

(٢) جواب إذا في البيت التالي، ويريد بقوله: «وما نرى... الخ» أنهما كانا مستترين عن العيون، فلا تقع عليهما إلا من وراء حجاب.

(٣) في هد، هج: «حتى ترق فنونها».

(٤) بيننا: فراقنا، نضا: نصل، يخلق: يبلى، يقول: إن الفراق يؤثر في الود، ولكن ودنا متين، ولولا متانته ما وهي أثر الفراق، كما يبلى الخضاب وينصل.

(٥) صرار: موضع قرب المدينة، يقول: ماذا عساه يفعل هو وعترته إذا تجاوزت المدينة، وكان بيني وبينه هذا الموضع.

(٦) يريد بالقضاء قضاء الدين، وبالعار فشل سيار في إدراكه.

(٧) فاعل يسائل ضمير سيار، الجلب: ما جلب من متاع وشاء وإبل ونحو ذلك، محاربيا: منسوبا إلى محارب: يعني نفسه، أظفار: طائفة من الكواكب، وقوله: «أتى من نحو أظفار» كلام مسوق مساق التهكم، وفي الأصل «احتثم» بدل «أحسستمو» وهو تحريف، والمثبت من هد، هج.

ومـا أُرِيـتُ لهـم إلا لأدفعهـم . عنـي ويخـرجُنـي نقضـي وإمـراري[١]
حتـى استغـاثُـوا بـأرْوَى بئـرِ مُطَّلِـب . وقـد تحـرَّق منهـم كـلُّ تَمّـار[٢]
وقـال أوّلُهـم نُصحـاً لآخـرهـم : ألا ارجِعُـوا واتـركـوا الأعْـرابَ فـي النـار

جاريته تخدعه

أخبرني عبدالله بن مالك، عن محمد بن حبيب، قال: حدثنا ابن الأعرابي، قال:

كان الجعد المحاربيّ أبو صخر بن الجعد قد عُمِّرَ حتى خَرِف، وكان يكنى أبا الصَّموت؛ وكانت له وليدة[٣] يقال لها سمحاء، فقالت له يوماً: يا أبا الصَّموت، زعم بَنُوكَ أنَك إن مِتَّ قَتَلُوني، قال: ولم؟ قالت: مالي إليهم ذنب غير حبّي لك، فأعْتِقها على أن تكون معه، فمكثت يسيراً، ثم قالت له: يا أبا الصَّمُوت، هذا عَرابةُ من أهل المعدِن يَخطُبني، قال: أَيْنَ هذا مما قلت لي؟ قالت: إنَّهُ ذو مال، وإنما أردت مالَهُ لك، / قال: فأتِني[٤] به، فأتته [٢٢/٤٠] فزوّجه إياها، فولدت له أولاداً، وقَوَّتْهُ بما كانت تصيبُه من الجَعْد، وكانتْ / تأتي الجعدَ في أيّام، فتخضب رأسه، ثم قطعته، فأنشأ الجعد يقول: ١٩

أمْسَـى عَـرابـةُ ذا مـال وذا ولـدٍ . مـن مـالِ جَعْـدٍ وجعـدٌ غيـرُ محمـود
تظـلُّ تُنْشِقُـه الكـافـورَ متكئـاً . علـى السـريـر وتعطينـي علـى العُـود

من قوله لامرأته

قال والجَعْد هو القائل لامرأته:

تُعـالجنِـي أمّ الصَّمـوت كـأنمـا . تُداوِي حِصـانـاً أوهـنَ العظـمَ كـاسِـرُه[٥]
فـلا تعجبـي أُمَّ الصَّمـوت فـإنَّـه . لكـل جـواد مَعْثَـرٌ هـو عـاثِـره
وقـد كنـتُ أصطـاد الظبـاءَ مُـوَطِّئـا . وأضـربُ رأسَ القِـرن والـرمـحُ شـاجِـره[٦]
فـأصبَحْـتُ مثـل العـشّ طـارَت فـراخُـه . وغـودر فـي رأس الهشيمـة سـائـره[٧]

اولاده يرثونه حيا

فلما كبر حَمَلَهُ بنوه، فأتوا به مكة، وقالوا له: تعبَّدْ هاهنا، ثم اقتسموا المال، وتركوا له منه ما يُصْلِحه، فقال:

---

(١) ضمير «لهم» يعود على الناس، الإمرار: فتل الحبل ونحوه، النقض: ضد الفتل، ويريد بالنقض والإمرار: المراوغة والخداع، يريد أنني كنت أظهر نفسي للناس، ثم أغير الطرق، لأضلل المقتفين أثرى، وفي هد: «وما أريتهمو» بدل «وما أريت لهم».

(٢) الأروى: إناث الوعول، وبئر مطلب: المكان الذي نزل فيه سيار ورفقته، والكلام مسوق مساق التهكم، أي أنهم نزلوا بئر مطلب، وأكلوا فيه التمر، وجعلوا يسألون الوعول عنه، وقد تحرق من الغيظ كل آكل تمر منهم.

(٣) وليدة: جارية.

(٤) «فأتِني» كذا بالأصل، والقياس «فأتيني» بإثبات ياء المؤنثة.

(٥) الهاء من كاسره تعود على الحصان لا على العظم.

(٦) موطئا: منحدرا، شاجره: داخل فيه مشتبك به.

(٧) الهشيمة: الشجرة البالية، سائرة: باقية.

ألا أبلغ بني جَعْدٍ رسولا ... وإن حالت جبالُ الغَوْرِ دُوني
فلم أرَ مَعْشَراً تركوا أباهُم ... من الآفاق حيث تركتموني
فإني والرَّوافِض حول جَمْعٍ ... ومَحْطِمُهُنّ من حَصْبَا الحجون[1]
[٢٢/٤١] / لو أني ذو مدافعةٍ وحولي ... كما قد كنت أحياناً كَمُوني[2]
إذا لَمَنَعْتُكُمْ مالِي ونفسي ... بنصلِ السَّيف أو لقتلتُموني

يعيا وعبده حاضر البديهة

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا محمدُ بن عبدالله بن عثمان البكريّ، عن عروة بن زيد[3] الخضري، عن أبيه، قال:

كنتُ في ركب فيهم صخر بن الجعد، ودرنٌ مولى الخضريين معنا، ونحن نريد خيبر، فنزلنا منزلا تعشّينا فيه، فهيّجنا إبلَ صخر، فلما ركبنا ساق بنا واندفع يَرجُز[4]، ويقول:

* لقد بعثت حاديا قراصِفا[5] *

فردّده قِطْعاً من الليل لا يُنْفِده[6]، ولا يقول غيره، ثم قال لنا: إني نسيت عِقالا، فرجع يطلبه في المتعَشّى، ونزل دَرَنٌ يسوق بالقوم، فارتجز دَرَن ببيت صخر، وقال:

لقد بعثتُ حادياً قُراصِفَا ... من منزلٍ رَحَلْتُ عنه آنفا
يسوق خُوصاً رجَّفاً حواجفا ... مثلَ القِسيّ تقذف المقاذفا[7]
[٢٢/٤٢] / حتى ترى الرَّباعِيَ العتارفا ... من شدة السير يُزَجَّى واجفا[8]

(١) في هد، هج «الرواقص» بدل «الروافض» ويريد بها الإبل التي تحمل الحجيج، والواو: واو القسم، جمع: علم على المزدلفة، محطمهن: من الحطم بمعنى الازدحام، الحجون: جبل بمعلاة مكة، يقسم بجموع الحجيج المزدحمة في المزدلفة وفي حصباء الحجون، وتتمة الكلام في البيتين التاليين.

(٢) الحول: القوة، كموني: بدل من التاء في «كنت» والمراد كمونه لعدوه، كي يأخذه على غرة: يقسم أنه لو بقيت له قوته وحيله في مداورة أعدائه ما استطاع أبناؤه أن يؤذوه في نفسه وماله، ولو هلك في سبيل الدفاع عنهما.

(٣) في هج: «عن محمد بن يزيد» بدل «عن عروة بن زيد».

(٤) يرجز: ينشد شعرا من الرجز.

(٥) قراصفا: مسرعا.

(٦) في بعض النسخ: «شطرا من الليل» بدل «قطعا من الليل». ضمير ينفده يعود على البيت «لقد بعثت حاديا قراصفا» وهو من مشطور الرجز، ويريد بقوله «لا ينفده»: لا يجعله ينفذ: وينتهي لكثرة ترداده.

(٧) خوصا: جمع خوصاء، وهي الناقة ونحوها غارت عينها، رجفا: مهتزة، وفي هد، هج «حراجفا» بدل «حواجفا» وليس لكليهما من المعنى ما يناسب المقام، فلعلها محرفة عن «خرانف» بمعنى الإبل الغزيرة، أو «خذارف» بمعنى القطيع من الإبل.

(٨) الرباعي: من ربعت الإبل: سرحت في المرعى، العتارف: لعله من العترفة، وهي في الجمل بمعنى الشدة والقوة، والذي في المعاجم «عتريف» و«عتروف» يزجى: يساق، واجفا: مسرعا، يقول: وهذا الرجز من التفاهة بحيث لا يستحق أن يغضب من أجله صخر على غلامه.

قال: فأدركه صخر، وهو في ذلك، فقال له: يا بن الخبيثة أتجترىء على أن تنفذ بيتا أعياني؟ فقاتله، فضربه، حتى نزلنا، ففرقنا بينهما.

[٤٣/٢٢]

صوت

إذا سَرَّها أمر وفيه مَساءتي ... قضيتُ لها فيما تُحِبُّ على نفسي[1]

وما مرَّ يومٌ أرتجي منه راحَةً ... فأَذكره إلا بكيت على أَمسي

الشعر لأبي حفصٍ الشِّطرنجيّ، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.



(١) في هد، هج «تريد» بدل «تحب».

[٢٢/ ٤٤]

/ أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه

نشأته

أبو حفص: عمر بن عبد العزيز، مولى بني العباس، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسماً أعجميًا، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غَيَّرَهُ وسَمَّاه عبد العزيز.

٧٠/١٩ أخبرني / بذلك عمّي، عن أحمد بن الطَّيب، عن جاعة من موالي المهدي.

ونشأ أبو حفص في دار المهديّ ومع أولاد مواليه، وكان كأحدِهم، وتأدّب، وكان لاعباً بالشُّطرنج مشغوفاً به، فَلُقِّب به لغلَبته عليه.

انقطاعه إلى علية بنت المهدي

فلما مات المهدي انقطع إلى عُلية، وخرج معها لما زوجت، وعاد معها لما عادت إلى القصر، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء، فَتنتحِل[1] بعض ذلك، وتترك بعضه، ومما ينسب إليها من شعره ولها فيه غناء، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارِها:

* تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيةُ الحب *

وهو صوت مشهور لها.

يخلعون عليه أحب الأوصاف

حدثني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثني أحمد بن الطيب السَّرخَسِي قال: حدثني الكنديّ، عن محمد ابن الجهم البرمكيّ، قال:

رأيت أبا حفص الشّطرنجيّ الشاعر، فرأيت منه إنسانا يُلهيك حضورُه عن كل غائب وتُسليك مجالستُه عن هموم المصائب، قُرْبُهُ عُرْس، وحديثُه أُنس، جِدُّه لَعِب، وَلعِبه / جد، ديِّن ماجد[2]، إن لبستَهُ على ظاهره لبِسْتَ [٢٢/ ٤٥] مومِوقا لا تملّه، وإن تتبَّعتَه لتستبِطنَ خبرتَه وقفتَ على مُرُوَّة[3] لا تطير الفواحشُ بجنَبَاتها، وكان فيما علمته أقل ما فيه الشعر، وهو الذي يقول:

---

(١) تنتحله: تنسبه إلى نفسها.

(٢) في هد، هج «دين ماجن».

(٣) في هد، هج «مروة» كما أثبتناها، وفي الأصل كتبت هكذا «مرواة» مضبوطة بكسر الميم وسكون الراء، ولم نجد لها معنى، و«مروة»: تخفيف «مروءة».

صوت

تَحبَّبْ فإنّ الحُبَّ داعيةُ الحبِّ … وكم من بعيدِ الدار مُسْتَوْجِب القُرب[١]

إذا لم يكن في الحب عَتْبٌ ولا رضاً … فأين حلاوات الرسائل والكُتُب؟

تفكَّرْ فإن حُدِّثْتَ أنّ أخا هوىً … نجا سالماً فارجُ النّجاة من الكرب[٢]

وأطيبُ أيامِ الهوى يومُك الذي … تُرَوَّعُ بالتّحريش فيه وبالعَتْب[٣]

قال: وفي هذه الأبيات غناء لعُلَيَّةَ بنتِ المهديّ، وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها، فيقولها، وتغني فيها.

قال: وأنشدني لأبي حفص أيضاً.

صوت

عَرَّضَنْ للذي تُحِبّ بحبٍّ … ثم دَعْهُ يَرُوضُهُ إبليسُ

فلعَلّ الزّمانَ يُدنيك منه … إن هذا الهوى جليلٌ نفيسُ

/ صابِر الحبَّ لا يُصرِّفْك فيه … من حبيبٍ تجهُّمٌ وعبوس[٤] [٤٦/٢٢]

وأَقِلَّ اللّجاجَ واصبر على الجهـ … ـد فإن الهوى نعيمٌ وبُوس

في هذه الأبيات للمَسْدُودِ هزج ذكره لي جحظة وغيرُه عنه.

وأما قوله:

* تحبَّب فإن الحبّ داعية الحبّ *

فقد مضت نسبته في أخبار عُلَيَّة.

مساجلة بينه وبين الرشيد على لسان ماردة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا عبدالله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبدالله بن مالك، وأَخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العباس الكاتب قال:

كان الرشيد يحبّ ماردةَ جاريتَه، وكان خلَّفها بالرَّقَّة، فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها، فكتب إليها:

(١) في هج: «فإن القرب داعية الحب».

(٢) هكذا ورد في هد، وفي الأصل: فارج النجاة من الحب.

(٣) التحريش: الحك والدلك بمشط ونحوه، وقد استعير هنا لما يحدث بين المحبين من تجن ودلال وملاحاة.

(٤) في هج: «لا يغرنك» بدل «لا يصرفك»، وفي المختار: «تجشم» بدل «تجهم» ويريد الشاعر بهذا البيت ما أراده بشار بقوله:

لا يؤنسنك من مخدرة … قول تغلظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة … والصعب يمكن بعدما جمحا

صوت

سلامٌ على النازح المغتربْ ... تحيةَ صَبٍّ به مكتئبْ
غَزالٌ مراتعُه بالبليخ ... إلى دَيْرِ زكّي فقَصرِ الخشبْ
٧١/١٩ / أيا مَنْ أعانَ على نفسِه ... بتخليفه طائعاً مَنْ أحبْ[1]
سأستر والسَّترُ من شيمتي ... هوى من أُحِبُّ بمَنْ لا أُحِبْ[2]

[٢٢/٤٧] / فلما ورد كتابُه عليها أمرت أبا حفص الشُّطرنجيّ صاحب عُلَيَّةَ، فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات، فقال:

أتاني كتابُك يا سيدي ... وفيه العجائبُ كلّ العجَبْ
* أتزعمُ أنك لي عاشقٌ ... وأنك بي مُستهامٌ وصبّ
فلو كان هذا كذا لم تكن ... لتتركني نُهْزَةً للكُرَبْ
وأنت ببغدادَ ترعى بها ... نباتَ اللَّذاذةِ مَعْ مَنْ تُحِبْ
فيا مَن جفاني ولم أجفُه ... ويا مَن شجاني بما في الكتب
كتابُك قد زادني صَبوةً ... وأسْعَرَ قلبي بحَرّ اللّهب
فهَبْني نَعَمْ قد كتمتُ الهوى ... فكيف بكتمانِ دمعٍ سَرَبْ
ولولا اتقاؤك يا سيدي ... لوافتك بي النّاجياتُ النُّجُبْ[3]

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد، حتى حَدَرَها[4] إلى بغداد في الفرات، وأمر المغنين جميعاً، فغنَّوْا في شعره.

قال الأصبهاني: فمِمّن غنّى فيه إبراهيم الموصليّ؛ غنى فيه لحنَيْن، أحدهما ماخوريّ، والآخر ثاني ثقيل عن الهشامي. وغنى يحيى بن سعد[5] بن بكر بن صَغِير العين فيه رملا. ولابن جامع فيه رمل بالبنصر، ولفُليح بن العوراء ثاني ثقيل بالوسطى، وللمعلّي خفيف رمل بالوسطى، ولحسين بن محرز هزج بالوسطى، ولأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر، هذه الحكايات كلها عن الهشامي، وقال: كان المختار من هذه الألحان كلها عند الرشيد الذي اشتهاه منها وارتضاه لحن سليم.

[٢٢/٤٨] / **يصلح بين الرشيد وعليّة بأبياته**

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال:

حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثني جماعة من كُتّاب السلطان:

---

(١) من في المصراع الثاني مفعول تخليف، ويريد بإعانتها على نفسها أنها تسببت في هجر الخليفة إياها.
(٢) يريد أنه سيتظاهر بحب من لا يحب ليستر حبها هي في نفسه على حد قول الشاعر:
أصانع من لاقيت في البيت غيرها ... وكل هوى نفسي لمن لا أصانع
(٣) الناجيات النجب: الإبل الأصيلة السريعة.
(٤) حدر الشيء: دحرجه من علو إلى أسفل، والمراد هنا أنه استقدمها من الرقة.
(٥) في هد، هج: «يحيى بن صفر».

أن الرشيد غضب على عُلَيَّة بنت المهدي، فأمرت أبا حفص الشِّطرنجيَّ شاعرَها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد، ويسألُه الرضا عنها، فيستعطفه لها فقال:

صوت

لو كان يمنعُ حسنُ العقل صاحِبَه ... من أن يكون له ذنبٌ إلى أحدِ

كانت عُلَيَّةُ أبرا الناس كلِّهمُ ... من أن تُكافَا بسوءٍ آخرَ الأبدِ[1]

ما لي إذا غِبتُ لم أُذكَر بواحدةٍ ... وإن سَقِمتُ فطال السُّقْمُ لم أُعَدِ[2]

ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحْرَمُه ... قد كنتُ أحسبُ أنّي قد ملأتُ يدي[3]

فأتاها بالأبيات، فاستحسنتها، وغنت فيها، وألقت الغناء على جماعة من جواري الرشيد، فغنَّيْنَه إيّاه في أول مجلس جلس فيه معهن، فطرِبَ طرَباً شديداً، وسألهن عن القصة، فأخبرنه بها، فبعث إليها، فحضرت، فقبّل رأسها، واعتذرت، فقبِل عُذرَها، وسألها إعادةَ الصوت، فأعادته عليه، فبكى، وقال: لا جرم أني لا أغضب أبداً عليك ما عشت.

بيتان في دنانير بمائتي دينار

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الحسين بن يحيى، عن عمرو بن بانة، قال:

دخل أبو حفص الشِّطرنجيّ على يحيى بن خالد، وعنده ابن جامع، وهو يلقي على / دنانيرَ صوتاً أمره يحيى [٤٩/٢٢] بإلقائه عليها، وقال لأبي حفص: قل في دنانير بيتين يُغنّي فيهما ابنُ جامع، ولك بكل بيت مائة دينار[4] إن جاءت كما أريد، فقال أبو حفص:

/ **صوت** ٧٢/١٩

أشبهَكِ المسكُ وأشبهتِه ... قائمةً في لونه قاعدَه

لا شكَّ إذْ لونُكما واحدٌ ... أنكما من طينةٍ واحدَة

قال: فأمر له يحيى بمائة دينار، وغنى فيهما ابنُ جامع.

قال الأصبهاني: لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج.

صديق حميم لأسرة الخليفة

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان أبو حفص الشِّطرنجيّ ينادم أبا عيسى بنَ الرشيد، ويقول له الشعر، فينتحله، ويفعل مثل ذلك بأخيه

---

(١) أبرا: كذا في هد، وهج و المختار من البراءة، وفي النسخ: أربي. تكافا: من المكافأة وبالتخفيف أيضا.
(٢) هذا البيت منقول من هد و المختار وساقط من الأصل، وقولها: «بواحدة» تعني بواحدة من الذكريات.
(٣) تريد بملء اليد الثقة بمودة الرشيد.
(٤) في هج: «ولك بكل بيت ديناران».

صالح وأخته، وكذلك بعُلَيَّة عمتهم، وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأنسون به، فمرض، فعادوه جميعاً سوى أبي عيسى فكتب إليه:

يعاتب ابن الرشيد لأنه لم يعده في مرضه

إخاءُ أبي عيسى إخاءُ ابنِ ضَرَّةٍ ... ووُدِّيَ وُدٌّ لابنِ أمٍّ ووالدِ[1]

ألم يأته أنّ التأدّبَ نِسبةٌ ... تلاصق أهواءَ الرجالِ الأباعدِ

فما بالُه مُستعذِباً من جفائنا ... مواردَ لم تَعذُبْ لنا من مواردِ

أقمتُ ثلاثاً خِلفَ حُمّى مُضِرَّةٍ ... فلم أرَه في أهلِ ودّي وعائدي

سلامٌ هي الدنيا قروضٌ وإنما ... أخوك مُديمُ الوصلِ عند الشدائدِ

[٢٢/٥٠] **بيتان ليسا له**

حدثني جعفر بن الحسين، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: حدثنا أبي عن أبي حفص الشُّطرنجيّ: قال: قال لي الرشيد يوماً: يا حبيبي، لقد أحسنتَ ما شئتَ في بيتين قلتَهما، قلت: ما هما يا سيدي؟ فمِنْ شرفهما استحسانُك لهما، فقال: قولك:

صوت

لم ألقَ ذا شَجَنٍ يبوح بحُبِّه ... إلا حَسِبتُك ذلك المحبوبَا

حذرًا عليكِ وإنني بِكِ واثقٌ ... ألّا ينالَ سِوايَ منكِ نصيبَا

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ليسا لي، هما للعباس بن الأحنف، فقال: صِدْقُك والله أعجبُ إليّ، وأحسنُ منهما بيتاك حيث تقول:

إذا سرَّها أمرٌ وفيه مساءتي ... قضيتُ لها فيما تريد على نفسي

وما مرَّ يومٌ أرتجي فيه راحةً ... فأذكُرَه إلا بكيتُ على أمسي

في البيتين الأولين اللذين للعباس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصلي، وفيهما لابن جامع رملٌ عن الهشامي، الروايتان جميعاً لعبد الرحمن، وفي أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غيرُ مجنّس.

ينعي نفسه قبل أن يموت

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني الحسين بن يحيى، قال: حدثني عبدالله بن الفضل، قال: دخلت على أبي حفص الشّطرنجي شاعر عُلَيّة بنتِ المهديّ أعوده في عِلّته التي مات فيها، قال: فجلست عنده فأنشدني لنفسه:

(١) في هج: «وودي له ود ابن أم ووالد»، وكلتا الروايتين سليمتان.

/ صوت [٥١/٢٢]

نَعَى لكَ ظِلَّ الشَّبابِ المشيبُ ... ونَادَتْك باسمِ سِواكَ الخطوبُ[(١)]

فكُن مستعِدًّا لداعي الفناءِ ... فإن الذي هو آتٍ قريبُ

/ ألسنا نرى شهواتِ النفو ... سِ تَفْنَى وتبقى عليها الذنوبُ [٧٣/١٩]

وقبلَك داوى المريضَ الطبيبُ ... فعاش المريضُ ومات الطبيبُ

يخافُ على نفسه مَن يتوبُ ... فكيف ترى حالَ من لا يتوبُ؟

غنى في الأول والثاني إبراهيم هزجا.

انقضت أخباره.

// صوت [٥٢/٢٢]

أَبَى لَيْلِيَ أن يذهبْ ... ونِيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ

ونجمٍ دونه النَّسرا ... نِ بين الدَّلْوِ والعقرَبْ[(٢)]

وهذا الصُّبحُ لا يأتي ... ولا يدنو ولا يَقْرُبْ

الشعر لأميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى.

تسرق لحن إسحاق وهو سكران

أخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحوي، قالا: حدثنا محمد بن حماد، قال:

التقيتُ مع دِمَن جارية إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما، فقلت لها: أسمعيني شيئاً أخذتِه من إسحاق، فقالت: والله ما أحدٌ من جواريه أخذ منه صوتا قط[(٣)] ولا ألقى علينا شيئاً قط[(٣)] وإنما كان يأمر من أخذ منه من الرجال مثل مخارق وعلّويه ووجه القرعة الخزاعيّ وجواري الحارث بن بسخنّر أن يلقوا علينا ما يختارون[(٤)] من أغانيهم، وأما عنه فما أخذت شيئاً قط إلا ليلة، فإنه انصرف من عند المعتصم، وهو سكران، فقال للخادم القيِّم على حُرَمه: جئني بدِمَن، فجاءني الخادم، فدعاني، فخرجت معه، فإذا هو في البيت الذي ينام فيه، وهو يصنع في هذا الشعر:

أَبَى لَيْلِيَ أن يَذْهَبْ ... ونِيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ

وهو يتزايد فيه، ويقومه، حتى استوى له، ثم قام إلى عُودٍ مصلَح معلَّق كان يكون في بيت منامه، فأخذه، فغنى الصوت، حتى صحَّ له، واستقام عليه، وأخذته عنه، فلما / فرغ منه قال: أَين دمن؟ فقلت: هو ذا[(٥)] أنا [٥٣/٢٢]

(١) يريد بمناداة الخطوب إياه باسم سواه أن موت لداته نذير موته.

(٢) النسران: مجموعتان من النجوم تقعان في النصف الشمالي من القبة السماوية، والدلو والعقرب: برجان من بروج السماء.

(٣ ـ ٣) ما بين القوسين تكملة من هد.

(٤) في هد، هج «ما يختاره».

(٥) كذا في النسخ، والقياس «هي ذي أنا» بدل «هو ذا أنا» وربما صح أن يكون: هو ضمير الشان.

هاهنا، فارتاع، وقال: مُذْكَمْ أنتِ هاهنا؟ قلت: مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدِك، فقال: خذي العود، فغنيه، فأخذته، فغنيته، حتى فرغت منه، وهو يكاد أن يتميّز غيظاً، ثم قال: قد بقي عليك فيه شيء كثير، وأنا أصلحه لك، فقلت: أنا مستغنية عن إصلاحك، فأصلحه لنفسك، فاضطجع في فراشه ونام، وانصرفت، فمكث أياما إذا رآني قطّب[1] وجهه.

وهذا الشعر تقوله أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به من قُتِلَ في حروب الفِجار[2] من قريش.



(١) في هد، هج: «قطب في وجهي» بدل «قطب وجهه» وظاهر أن سبب هذا التقطيب أخذها اللحن عنه دون أن يشعر.
(٢) الفجار - بكسر الفاء - جمع فجوة، وإنما سميت بذلك لأنها كانت في الأشهر الحرم، ولأن قيسا لما انهزمت فيها قالت: «قد فجرنا».

/ ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ ونسب أُميمة بنت عبد شمس

[٢٢/ ٥٤]

نسب أميمة

أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، وأمها تفخَر[١] بنت عبيد بن رواس بن كلاب، وكانت عند حارثة بن الأوقص[٢] بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمي، فولدت له أُميةَ بنَ حارثة.

وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في أربعة أعوام متواليات، ولم يكن لقريش في أولها مَدْخَل، ثم التحقتْ بها.

فأما الفِجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام، ولم تسمَّ باسم لشهرتها[٣].

وأما الفِجار الثاني فإنه كان أعظمهما؛ لأنهم استحلوا / فيه الحرم، وكانت أيامه يوم نخلة، وهو الذي لم يشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وشهد سائرها، وكان الرؤساء فيه حربَ بن أُمية في القلب، وعبدَالله بن جُدْعان، وهشام بن الْمُغيرة في المَجْنبَتَيْن ثم يوم شمطة[٤]، ثم يوم العبلاء، ثم يوم عكاظ، ثم يوم الحرة.

[٧٤/ ١٩]

الشرارة الأولى في حرب الفجار

قال أبو عبيدة: كان أول أمر الفِجار أنّ بَدْرَ بن معشر الغِفاري أحد بني غِفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناه بن كنانة كان رجلا منيعا مستطيلا بِمنَعتَه على من ورد عكاظ، فاتخذ مجلسا بسوق عكاظ، وقعد فيه وجعل يَبذخ[٥] على الناس ويقول:

نحن بنو مدركةَ بنِ خِنْدِف ... مَن يطعنوا في عينه لا يَطْرِف[٦]

/ ومَنْ يكونوا قومه يُغطرِف ... كأنهم لُجَّةُ بحرٍ مُسدِفِ[٧]

[٢٢/ ٥٥]

وبدر بن معشر باسطٌ رجليه يقول: أنا أعزّ العرب، فمن زعم أنه أعزُّ مني فليضرب هذه[٨] بالسيف، فهو أعز مني،

(١) في هد، هج: «هجر» بدل «تفخر».
(٢) في هج: «الأرقم» بدل «الأرقص».
(٣) في الأصل «تشهر بها» وهو تحريف «لشهرتها» والمثبت من هج.
(٤) في هد: «سبطة»، وفي هج «سخطة» بدل «شمطة».
(٥) يبذخ: يفخر، ويغالي في فخره، وفي ب «يبرح» وفي هد «يبزخ» وكلاهما تحريف.
(٦) لا يطرف: من طرف البصر: تحرك جفناه.
(٧) يغطرف: من الغطرفة بمعنى التيه والخيلاء، مسدف: من الإسداف بمعنى الظلام، وذلك كناية عن كثرة الأمواج.
(٨) هذه: إشارة إلى رجليه، والعرب كثيرا ما تعيد الضمير على المثنى مفردا في مثل يدين وعينين ورجلين.

فوثب رجل من بني نصر بن معاوية، يقال له الأحمر[١] بن مازن بن أوس بن النابغة، فضربه بالسيف على ركبته، فأنْدَرَها[٢]، ثم قال: خذها إليك أيها المخنِدف، وهو ماسك[٣] سيفه، وقام أيضاً رجل من هَوازِنَ، فقال:

أنـــا ابـــن هَمْـــدَانَ ذوي التَّغطـــرفِ بحـــرٌ بحـــورٍ زاخـــرٌ لـــم يُنـــزَفِ[٤]

نحـــن ضـــربنـــا ركبـــةَ المخنـــدِف إذ مـــدّهـــا فـــي أشهـــر المُعَـــرّفِ[٥]

وفي هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها.

اليوم الثاني من أيام الفجار الأول

ثم كان اليوم الثاني من أيام الفِجار الأول، وكان السبب في ذلك أن شبابا من قريش وبني كنانة كانوا ذوي غرام، فرأوا امرأة من بني عامرٍ جميلةً وسيمةً، وهي جالسة بسوق عكاظ في درع وهي فُضُل[٦] عليها برقع لها، وقد اكتنفها شباب من العرب، وهي تحدثهم، فجاء الشباب من بني كنانة وقريش، فأطافوا بها، وسألوها أن تُسفِر، فأبت، فقام أحدهم، فجلس خلفها، وحل طرف ردائها[٧]، وشدَّهُ إلى فوق / حُجْزتها[٨] بشوكة، وهي لا تعلم، [٥٦/٢٢] فلما قامت انكشف درعها عن دبرها، فضحكوا، وقالوا: منعتِنَا النظر إلى وجهك، وجُدْت لنا بالنظر إلى دبرك، فنادت: يا آل عامر! فثاروا، وحملوا السلاح، وحملته كنانة، واقتتلوا قتالا شديداً، ووقعت بينهم دماء، فتوسط حربُ بنُ أمية، واحتمل دماء القوم، وأرْضَى بني عامر من مَثُلَةِ[٩] صاحبتهم.

اليوم الثالث من أيام الفجار الأول

ثم كان اليوم الثالث من الفِجار الأول، وكان سببَه أنّه كان لرجل من بني جُشَمِ بن بكر بن هوازنَ دَيْن على رجل من بني كنانة فلواه[١٠] به، وطال اقتضاؤُه إياه، فلم يُعطِه شيئاً، فلما أعياه، وافاه الجشمي في سوق عكاظ بقِرْدٍ، ثم جعل ينادي: من يبيعني مثل هذا الرُّبَّاح[١١] بما لِيَ على فلان بن فلان الكناني؟ من يعطيني مثل هذا بما لِيَ على فلان بن فلان الكناني؟ رافعاً صوته بذلك، فلما طال نداؤه بذلك وتعييرُه به كنانةَ مرّ به رجل منهم، فضرب القردَ بسيفه، فقتله، فهتف به الجشميّ: يا آل هوازنَ، وهتف الكنانيّ: يا آل كنانة، فتجمع الحيان فاقتتلوا، حتى تحاجزوا، ولم يكن بينهم قتلَى، ثم كفوا، وقالوا: أفي رُبَّاحٍ تريقون دماءكم، وتقتلون أنفسكم؟ وحمل ابنُ جُدْعانَ ذلك في ماله بين الفريقين.

---

(١) في بعض النسخ: «الأحيمر» بالتصغير بدل الأحمر.

(٢) أندرها: أسقطها، وفصلها.

(٣) كذا في النسخ، والمسموع ممسك سيفه، أو ماسك بسيفه.

(٤) الشعر من الرجز ـ وفي هد، هج «أنا أبو الدهقان ذو التغطرف» ولا يستقيم الوزن، والتغطرف: التيه والخيلاء، لم ينزف: لم ينضب ماؤه.

(٥) في أشهر المعرف: في أشهر الوقوف بعرفات.

(٦) فضل: يقال: امرأة فضل ـ بضمتين ـ أي مختالة تسبل من فضل ردائها.

(٧) في هد، هج: «طرف درعها».

(٨) الحجزة: معقد تكة السراويل، وفي هع: «فوق عجزها» بدل «فوق حجزتها».

(٩) من مثلة صاحبتهم: من تنكيلهم وتمثيلهم بها.

(١٠) لواه: ماطله.

(١١) الرباح: الذكر من القرود.

اليوم الأول من أيام الفجار الثاني

قال: ثم كان يوم الفِجار الثاني، وأول يوم حروبه يوم نخلة، وبينه وبين مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ست / وعشرون سنة، وشهد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم مع قومه، وله أربعَ عشرةَ سنةً، وكان يناول عمومتَه النَّبل، هذا قول أبي عبيدة. وقال غيره: بل شهِدَها، وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة. ٧٥/١٩

قال أبو عبيدة: كان الذي هاج هذه الحرب يومَ الفجار الآخرَ، أن البراض بن قيس بن رافع، أحَد بني ضَمْرةَ ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكِّيراً فاسقاً، خلعه / قومُه، وتبرءوا منه فشرب في بني الدِّيل، فخلعوه، فأتى مكة، وأتى قريشاً، فنزل على حرب بن أمية، فحالفه فأحسن حَرْبٌ جِواره، وشرب بمكة، حتى هَمّ حربٌ أن يخلعَه، فقال لحرب: إنه لم يبق أحد، ممن يعرفني إلاَّ خلعني سواك، وإنك إن خلعتني لم ينظر إليَّ أحد بعدك، فدعني على حِلْفِك، وأنا خارج عنك، فتركه. وخرج، فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة. [٥٧/٢٢]

من يجيز لطيمة النعمان

وكان النعمان يبعث إلى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة[١] يُجيزُها له سيِّدُ مُضر، فتباع، ويُشترى له بثمنها الأدَمُ والحريرُ والوِكاءُ والحِذَاءُ والبرُودُ من العَصب[٢] والوشي والمُسيّر[٣] والعَدَني[٤]، وكانت سوق عكاظ في أول ذي القعدة، فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى إلى حضور الحج، وكان قيامها فيما بين النخلة[٥] والطائف عشرة أميال، وبها نخل وأموال لثقيف، فجهز النعمان لطيمة له، وقال: من يجيزها فقال البرّاض: أنا أجيزها على بني كِنانة، فقال النعمان: إنما أريد رجلا يجيزها على أهل نجد، فقال عروة الرحال[٦] بن عتبة بن جعفر بن كلاب، وهو يومئذ رجل من هوازن: أنا أجيزها ـ أبيت اللعن ـ فقال له البراض: مِنْ[٧] بني كنانة تجيزها يا عروة؟ قال: نعم، وعلى الناس جميعاً أفكَلْبٌ خليع يجيزها[٨]!.

قال: ثم شخص بها، وشخص البرّاض، وعروة يرى مكانه، لا يخشاه على ما صنع، حتى إذا كان بين ظَهْرَيْ غطفان إلى جانب فَدَك، بأرض يقال لها أُوارةُ قريب من / الوادي الذي يقال له تَيْمَنُ نام عروة في ظلّ شجرة، ووجد البرّاضُ غفلتَه، فقتله وهرب في عضاريط[٩] الركاب، فاستاق الركاب، وقال البراض في ذلك: [٥٨/٢٢]

وداهيـــةٍ يُهـــالُ النـــاسُ منهـــا ... شـــددتُ لهـا بنـي بكـر ضلوعـي[١٠]

---

(١) اللطيمة: عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة.
(٢) كذا في النسخ، ولعل «العصب» تحريف «القصب» بالقاف لا بالعين، وهو ثياب رقيقة منسوجة من الكتان.
(٣) المسير: ثوب به خطوط من القز والحرير ونحو ذلك.
(٤) العدني، لعله نوع من عروض التجارة ينسب إلى عدن.
(٥) في هد، هج: «نخلة» بدون أداة التعريف.
(٦) في هج: «عروة الرجال» بالجيم لا بالحاء.
(٧) في هد، هج: «وعلى بني كنانة تجيزها يا عروة؟».
(٨) يقصد بالكلب البراض نفسه.
(٩) العضاريط: جمع عضروط، وهو الخادم أو الأجير.
(١٠) بني بكر: منادى، ضلوعي: مفعول «شددت»، وقد يصح اعتبار بني بكر مفعول «شددت» وعليه تكون «ضلوعي» بدلاً من بني بكر، بمعنى أنصاري وأعواني.

هتكتُ بها بيوتَ بني كلاب وأرضعتُ الموالي بالضروع [١]

جمعت لها يديَّ بنصل سيفٍ أفلَّ فخرَّ كالجِذع الصّريع [٢]

وقال أيضاً في ذلك:

نقَمْتُ على المرء الكلابيّ فخرَه وكنت قديماً لا أُقِرُّ فَخارا

علوتُ بحدّ السيف مفرِقَ رأسه فأسمع أهلَ الواديين خُوارا

قال: وأمُّ عروة الرحّال نُفَيْرَةُ بنت أبي ربيعة بن نُهَيْكِ بن هلال بن عامر بن صعصعة، فقال لبيد بن ربيعة يحض على الطلب بدمه:

فأبلغْ إن عرضتَ بني نُمَيْرٍ وأخوالَ القتيلِ بني هِلال

بأنَّ الوافدَ الرحّال أضحى مقيماً عند تَيْمَنَ ذي الظِّلال [٣]

قال أبو عبيدة: فحدثني أبو عمرو بن العلاء، قال: لقي البرّاضُ بشرَ بن أبي خازم، فقال له: هذه القلائص لك على أن تأتي حربَ بن أمية وعبدالله بن جُدْعانَ وهشاماً والوليد ابني المغيرة، فتخبرَهم أن البرّاض قتل عروة، فإني أخاف أن يسبق الخبرُ إلى / قيس أن يكتموه. حتى يقتلوا به رجلا من قومك عظيما. فقال / له: ومَا يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل؟ قال: إنّ هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طريداً من بني ضَمْرَةَ، قال: ومرّ بهما الحُلَيْس بنُ يزيدَ أحدُ بني الحارث بن عبد مناةَ بن كِنانة، وهو يومئذ سيدُ الأحابيش من بني كنانة. والأحابيشُ [٤] من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو نُفاثة بن الدِّيل، وبنو لحيان من خزاعة، والقارة، وهو أثيع ابن الهون بن خزيمة، وعَضل [٥] بن دَمَس بن محلِّم بن عائذ [٦] بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة، فقال لهم [٧] الحليس: مالي أراكم نَجيًّا [٨]؟ فأخبروه الخبر، ثم ارتحلوا، وكتموا الخبر على اتفاق منهم.

[٥٩/٢٢] [٧٦/١٩]

وفاة ابن جدعان

قال: وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جُدْعان، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم ثم يردَّها عليهم إذا ظعنوا، وكان سيداً حكيماً مثرياً من المال. فجاءه القوم، فأخبروه خبر البرّاض وقتلِه عُروةَ، وأخبروا حربَ بن أمية وهشاما والوليد ابني المغيرة، فجاء حرب إلى عبدالله بن جُدْعان، فقال له: احتبس [٩] قِبلَكَ

---

(١) في ب: الرضوع، تحريف «الضروع»، كما في هج، له، والمراد أنني بهذه الداهية أوهنت بني كلاب، وأرضعت قومي لبان المجد والفخار من ضروعها.

(٢) لها: للداهية، وفي نسخة «له» أي لعروة القتيل، أفل: به فلول من كثرة الصراع.

(٣) يريد بقوله: «مقيما» أنه دفين هناك.

(٤) ليس قوله والأحابيش عطفا على ما قبله، بل هو كلام مستأنف، وسموا بذلك لأنهم تحالفوا على أن يكونوا يدا على من سواهم ما أقام حبيش، وهو جبل معروف.

(٥) في هد، هج: «وعقيل بن دلس» بدل «وعضل بن دمس».

(٦) في هد: «محلم بن عائدة» بدل «محلم بن عائذ».

(٧) كان السياق يقتضي أن يقول «لهما» بدل «لهم» لأن الحليس إنما يخاطب البراض وبشر بن أبي خازم فلعله أنزل الاثنين منزلة الجمع.

(٨) نجيا: فعيلا من النجوى: بمعنى متناجين، أي مختلين في حديث سري.

(٩) إنما طلب ذلك إليه حتى لا تطالب هوازن بدم عروة.

سلاح هوازن، فقال له ابنُ جُدعان: أبالغَدْرِ تأمرني يا حرب؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيفٌ إلا ضُرِبتُ به، ولا رمحٌ إلا طُعِنتُ به ما أمسكتُ منها شيئاً[1]، ولكن لكم / مائة درع، ومائة رمح، ومائة سيف في مالي تستعينون [٢٢/ ٦٠] بها، ثم صاح ابنُ جُدْعان في الناس: مَن كان له قِبَلي سلاح فليأتِ، وليأخذه، فأخذ الناس أسلحتهم.

يخدعون هوازن فلا تجدي الخديعة

وبعث ابنُ جُدعان وحربُ بن أُميّة وهشامٌ والوليدُ إلى أبي بَراء[2]: إنه قد كان بعد خروجنا حرب، وقد خِفنا تفاقم الأمر، فلا تُنكروا خروجنا، وساروا راجعين إلى مكة، فلما كان آخرَ النهار بلغ أبا براء قتلُ البراض عُرْوَة، فقال: خدعني حربٌ وابنُ جُدعان، وركب فيمَن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم، فأدركوهم بنخلة، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرَم، وجنّ عليهم الليل، فكفّوا، ونادى الأَدْرَمُ بن شعيب، أحَدُ بني عامر بن ربيعة بن صعصعة: يا معشر قريش، ميعادُ ما بيننا هذه الليلة[3] من العام المقبل بعكاظ، وكان يومئذ رؤساء قريش حربُ بن أميّة في القلب، وابنُ جُدعان في إحدى المجنبتين، وهشامُ بن المغيرة في الأخرى، وكان رؤساءَ قيس عامرُ بن مالك، ملاعبُ الأسِنَّة على بني عامر، وكِدَامُ بن عُمَير على فَهم وعدوان، ومسعودُ بن سهم على ثقيف، وسبيعُ بن ربيعة النصري[4] على بني نصر بن معاوية، والصِّمَّةُ بن الحارث، وهو أبو دُرَيْدِ بن الصمة على بني جُشَم، وكانت الراية مع حرب بن أميّة، وهي راية قُصَيّ التي يقال لها العُقاب.

شعر خداش بن زهير في هذه الحرب

فقال في ذلك خِدَاشُ بن زهير:

يـا شَـدَّةً مـا شـددْنـا غيـرَ كـاذبـة ... علـى سَخِينَـةَ لـولا الليـلُ والحَـرَمُ[5]

/ إذ يَتَّقِينَـا هشـامٌ بـالـوليـد ولـو ... أنّـا ثَقِفنـا هشـامـاً شـالـت الخَـدَمُ[6] [٢٢/ ٦١]

بيـن الأَراكِ وبيـن المـرج تبطحُهـم ... زُرقُ الأسِنَّـة فـي أطـرافهـا السُّهـمُ[7]

فـإنْ سمعتـم بجيـش سـالـكٍ سَـرِفـاً ... وبطَـن مُـرّ فـأخفـوا الجـرس واكْتَتِمُـوا[8]

---

(١) نقول: وهذا مثل من أمثلة الوفاء العربي، يغطي على ما ينسب إلى السموءل بن عادياء اليهودي.
(٢) يبدو من سياق الحديث أن أبا براء هذا كان صاحب رأي في هوازن.
(٣) في هد، هج: «هذه الليالي».
(٤) في هد: «النضري» بالضاد المعجمة.
(٥) الشدة: يريد بها الهجوم، ما شددنا: ما شددناها، سخينة: لقب يطلق على قريش، وهو في الأصل طعام كانت تتخذه، فأطلق عليها، يريد أننا هجمنا على قريش هجمة صادقة، فلم ينقذها من أيدينا إلا هجوم الليل واعتصامها بالحرم.
(٦) هشام: هو هشام بن المغيرة، والوليد: هو أخوه، ويريد بذلك أن الدائرة كانت على قريش، حتى كان أحدهم يتقي الموت بأخيه ليقتل بدله، ثقفه: أدركه، شالت: ارتفعت، الخدم: جمع خدمة، وهي الحلقة المحكمة، وجملة «شالت الخدم» كناية عن الهزيمة، يقال: فض الله خدمتهم: فرق جمعهم.
(٧) السهم ـ بضم السين والهاء ـ الحرارة الغالبة، يريد أننا كنا نبطحهم بطعن الأسنة الزرقاء الحامية الاطراف بين هذين المكانين.
(٨) سرف، وبطن مر: مكانان، يريد أنهم يتبغي عليهم حينما يسمعون بجيشهم أن يختفوا عن العيون، ويكفوا عن الهمس، حتى لا يعرف مكانهم.

عبد الملك يستنشد شعر خداش

وزعموا أن عبد الملك بن مروان استنشد رجلا من قيس هذه الكلمة، فجعل يحيد[١] عن قوله: «سخينة»، فقال عبد الملك: إنا قوم لم يزل يعجبنا السُّخْن، فهات، فلما فرغ قال: يا أخا قيس، ما أرى صاحبَك زاد على التمني والاستنشاء[٢].

البراض يقدم باللطيمة

٧٧/١٩ قال: وقَدِمَ البرّاض باللطيمة مَكّةَ، وكان يأكلها، / وكان عامر بنُ يزيدَ بن الملوَّح بن يعمُرَ الكِنانيُّ نازلا في أخواله من بني نُمَيْر بن عامر، وكان ناكحاً فيهم، فهمت بنو كلاب بقتله، فمنعته بنو نمير، ثم شخصوا به حتى نزل في قومه، واستَغْوَتْ[٣] كنانةُ بني أسد وبني نمير[٤] واستغاثوا بهم، فلم تغثهم، ولم يشهد الفِجارَ أحدٌ من هذين الحيّين.

[٢٢/٦٢] / اليوم الثاني من الفجار الثاني

ثم كان اليوم الثاني من الفِجار الثاني؛ وهو يوم شمطة، فتجمعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة، والأحابيش، وأعطت قريشٌ رُؤُوسَ القبائل أسلحةً تامّة [٥]وأعطى عبدُالله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامة[٥] وأداة، وجَمعَتْ هوازن، وخرجت، فلم تخرج معهم كلابٌ ولا كعبٌ، ولا شهد هذان البطنان من أيام الفجار إلا يومَ نخلة مع أبي براءِ عامرِ بن مالك، وكان القوم جميعا متساندين، على كل قبيلة سيِّدُهم.

قوّاد قريش ومن معهم

فكان على بني هاشم وبني المطلب وَلَفِّهم[٦] الزبيرُ بن عبد المطلب، ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن بني المطلب ـ وإن كانوا مع بني هاشم ـ كان يرأسهم الزبيرُ بن عبد المطلب بن هاشم ورجل منهم، وهو عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، وأم الزّبير الشَّفَّاء بنت هاشم بن عبد مناف، وكان على بني عبد شمس ولِفِّها حَرْبُ بن أمية ومعه أخواه أبو سَفِين[٧] وسفيان، ومعهم بنو نوفلِ بن عبد مناف، يرأسهم بعد حرب مُطعمُ بن عديّ ابن نوفل، وكان على بني عبد الدار ولِفّها خويلدُ بن أسد وعثمان بن الحويرث، وكان على بني زُهرة ولِفّها مَخْرمةُ ابنُ نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان، وكان على بني تيم بن مرة ولِفّها عبدُالله بنُ جُدْعان، وعلى بني مخزوم هشامُ بن المغيرة، وعلى بني سَهمِ العاصي بن وائل، وعلى بني جُمَح ولِفّها أميّةُ بن خلف، وعلى بني عديّ زيدُ بن عمرو بن نفيل، والخطابُ بن نفيل عمّه، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ أبو

(١) ظاهر أن القيسي كان يحيد عن قوله «سخينة» لأنها لقب على قريش، والخليفة من قريش.

(٢) استنشاء: طلب إنشاء الشيء، وعبارة عبد الملك لا تخلو من غموض، فالشعر صريح في هزيمة قريش، وانتصار أعدائهم عليهم، فما معنى قوله: ما أرى صاحبك زاد على التمني والاستنشاء، لعله أراد بذلك التمني قول خداش: «ولو أنا ثقفنا هشاما شالت النعم». ومعروف أن «لو» حرف امتناع لامتناع.

(٣) استغوت كنانة بني أسد: جروهم إلى الحرب. وفي ب «استغوث» بالثاء المثلثة، وهو تصحيف.

(٤) في هد: «وبني تميم».

(٥ ـ ٥) تكملة من هد.

(٦) اللف: الجماعة والأخلاط من الناس.

(٧) في بعض النسخ: «أبو سفيان».

سَهْلِ ابن عمرو، وعلى بني الحارث بن فِهْر عبدُالله بن الجَرّاح أبو أبي عبيدة عامر / بنِ عبدالله بن الجراح، وعلى [٦٣/٢٢] بني بكر بَلْعَاءُ بن قيس، ومات في تلك الأيام، وكان جثّامة بن قيس أخوه مكانَه، وعلى الأحابيش الحُلَيْسُ بن يزيد.

قواد هوازن ومن معهم

وكانت هوازن متساندين كذلك، وكان عطيةُ بن عفيف النَّصْريّ على بني نصر بن معاوية، وقيل: بل كان عليهم أبو أسماء بن الضَّريبة، وكان الخُنيسق الجشمي على بني جُشم وسعدِ ابني بكر، وكان وهب بن مُعَتب على ثقيف، ومعه أخوه مسعود، وكان على بني عامر بن ربيعة وحلفائهم من بني جسر بن محارب سلمةُ ابن إسماعيل[١]: أحد بني البَكّاء، ومعه خالد بن هوذَةَ: أحدُ بني الحارث بن ربيعة، وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة ربيعةُ بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نُهيك بن هلال بن عامر.

هوازن تسبق قريشا وترجح كفتها

قال: فسبقت هوازنُ قريشا، فنزلت شَمْطَة من عكاظ، وظنوا أن كنانة لم توافهم[٢]، وأقبلت قريش، فنزلت من دون المسيل، وجعل حربٌ بني كنانة في بطن الوادي، وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم، ولو أُبِيحت[٣] قريش، فكانت هوازن من وراء المسيل.

قال أبو عبيدة: فحدثني أبو عمرو بنُ العلاء: قال:

كان ابن جُدعان في إحدى المجنبتين، وفي الأخرى هشام بن المغيرة، وحرب في القَلْب، وكانت الدائرة في أول النهار لِكنانة، فلما كان آخر النهار تداعت[٤] هوازن، وصبروا واستَحرَّ[٥] القتل في قريش، فلما رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة / ـ وهم في بطن الوادي ـ / مالوا إلى قريش، وتركوا مكانهم، فلما استحرّ القتل بهم قال أبو مُساحق بلعاءُ بن قيس لقومه: ألحقوا برَخَم ـ وهو جبل ـ ففعلوا، وانهزم الناس.

الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر هذه الحرب

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصير في فئة إلا انهزم من يحاذيها[٦]، فقال حرب بن أمية وعبدالله بن جُدعان: ألا ترون إلى هذا الغلام ما يَحمِل على فئة إلا انهزمت؟

خداش يسجل المعركة بشعره

وفي ذلك يقول خِدَاشُ بن زهير في كلمة له:

فأبلغ أن عرضتَ بنا هِشاما ... وعبدَالله أبلغ والوَلِيدا

أولئك إن يكن في الناس خيرٌ ... فإن لديهمُ حَسَباً وجُوداً

(١) في هد، هج: «سلمة بن يعلي».
(٢) في هد، هج: «لن توافيهم» بدل «لم توافهم»، وفي نسخة أخرى: «ظنوا أن كنانة توافيهم وكلها معان محتملة.
(٣) ولو أبيحت: ولو دارت الدائرة عليها.
(٤) تداعت: دعا بعضها بعضا.
(٥) استحر: صار حارا شديدا.
(٦) في هج: «من يحاربها» بالراء لا بالذال، وكلاهما سديد.

هُمُ خيرُ المعاشرِ من قريشٍ ... وأَوْرَاها إذا قُدِحَتْ زنودا

بأنّا يومَ شَمطةَ قد أقمنا ... عمودَ المجدِ إنَّ له عمودا

جلَبْنا الخيلَ ساهمةً إليهم ... عوابسَ يَدَّرِعْنَ النَقْعَ قودا(١)

فبِتْنا نعقِدُ السِّيما وباتوا ... وقلنا: صبِّحوا الأنسَ الحديدا(٢)

فجاءُوا عارضاً بَرِداً وجئنا ... كما أضرمتَ في الغابِ الوقودا(٣)

ونادوا: يا لعمرٍو لا تفِرّوا ... فقلنا: لا فِرارَ ولا صُدُودَا

[٦٥/٢٢] / قوله: نعقد السِّيما أي العلامات:

فَعارَكْنا الكُماةَ وعاركونا ... عِراكَ النُّمرِ عاركتِ الأسودا(٤)

فولَّوْا نضربُ الهاماتِ منهم ... بما انتهكوا المحارِمَ والحدُودا

تركنا بطنَ شَمْطَةَ من علاءٍ ... كأنَّ خلالَها معَزاً(٥) شريدا

ولم أرَ مثلَهم هُزِموا وفُلُّوا ... ولا كذِيادِنَا عَنَقاً مذودا(٦)

قوله: يا لعمرو، يعني عمرَو بن عامرِ بن ربيعة بن عامرِ بن صعصعة.

اليوم الثالث يوم العبلاء

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفِجار، وهو يوم العَبْلاء، فجمع القوم بَعضُهم لبعض، والتقَوْا على قَرْن الحول بالعَبْلاء - وهو موضع قريب من عكاظ - ورؤساؤهم يومئذ على ما كانوا عليه يوم شَمْطَة، وكذلك مَنْ كان على المجنَبتين، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزمت كنانة، فقال خداشُ بن زهير في ذلك:

خداش يستمر في التسجيل بشعره

ألم يَبلغْك بالعَبلاءِ أنّا ... ضَرَبْنا خِنْدِفاً حتى استقادوا(٧)

نُبَنِّي بالمنازلِ عِزَّ قيسٍ ... ووَدُّوا لو تَسِيخُ بنا البلادُ(٨)

وقال أيضا:

ألم يبلغْك ما لاقَتْ قريشٌ ... وحيُّ بني كنانةَ إذ أُثيرُوا

(١) ساهمة: ضامرة، يدر عن النقع: يلبسن الغبار درعا، قودا: جمع أقود، وهو السلس القياد، أو الطويل العنق والظهر.

(٢) صبحوا القوم الحديد: اسقوهم في الصباح الحديد بدل اللبن أو الخمر.

(٣) العارض: السحاب، البرد: ذو البرد - بفتح الراء - وهو ما يسقط متجمدا من السماء على شكل حبيبات صغيرة.

(٤) النمر: ككتف: ضرب من السباع، والجمع أنمر وأنمار ونمر ونمار، وأكثر كلام العرب نمر كقفل جمع نمر.

(٥) معز - بفتح العين أو سكونها، أو معزى - بكسر الميم وسكون العين - كما في بعض النسخ، كل هذا بمعنى واحد.

(٦) فلوا: ضعفوا وانهزموا، وفي رواية: «قلوا» بالقاف المثناة، والمعنى متقارب، ذياد: مصدر ذاد: دفع وصد، العنق: الجماعة من الناس، يقول: لم أر مثلهم في الشجاعة انهزموا، ولم أر مثل صدنا لجموعهم وتغلبنا عليهم.

(٧) استقادوا: انقادوا، وخضعوا.

(٨) نبني: مضعف «بني» بالتخفيف، تسيخ بنا البلاد: تنخسف.

/ دهمنـاهـم بـأرعَـنَ مكفهـرٍّ فظـلَّ لنـا بعَقْـوَتهـم زئيـر[١] [٢٢/٦٦]
نقـوِّمُ مـارنَ الخطِّـيِّ فيهـم يجـيء علـى أسنَّتِنـا الجـزيـر[٢]

اليوم الرابع يوم عكاظ

ثم كان اليوم الرابع من أيامهم، يوم عُكاظ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول، وقد جمع بعضُهم لبعض، واحتشدوا، والرؤساء بحالهم، وحمل عبدالله بن جُدعان يومئذ ألفَ رجل من بني كنانة على ألف بعير. وخَشِيت قريش أن يجريَ عليها مثلُ ما جرى يومَ العَبْلاء، فقيدّ حربٌ وسفيانُ[٣] وأبو سفيان بنو أمية[٤] بنِ عبد شمس أنفسهم، وقالوا: لا نبرح حتى نموتَ مكاننا، وعلى أبي سفيان يومئذ دِرعانِ قد ظاهر بينهما[٥]، وزعم أبو عمرو بن العلاء أنّ أبا سفيان / بن أمية خاصة قيَّد نفسه، فسُمّي هؤلاء الثلاثةُ يومئذ: العَنَابِس ـ وهي الأُسودُ واحدها عَنْبَسَةٌ ـ [٧٩-١٩] فاقتتل الناس قتالا شديداً، وثَبت الفريقان، حتى همّت بنو بكر بن عبد مناةَ وسائرُ بطون كنانة بالهرب، وكانت بنو مخزوم تَلي كِنانة، فحافظت حِفاظا شديدا، وكان أشدَّهم يومئذ بَنُوا المغيرة، فإنهم صَبَرُوا، وأبلَوْا بلاءً حسنا، فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا[٦] فرجعوا وحمل بلعاءُ بن قيس وهو يقول:

/ إنَّ عُكـاظَ مـأوانـا فخلُّـوهْ وذا المجـاز بعـد أن تَحُلُّـوهْ[٧] [٢٢/٦٧]

مبارزة يهزم فيها رئيس الأحابيش

وخرج الحُلَيْسُ بن يزيد[٨]: أحدُ بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ـ وهو رئيس الأحابيش يومئذ ـ فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثانُ بنُ سعد النصري، فطعنه الحدثان، فدق عضده وتحاجزا.

الدائرة تدور على قيس

واقتتل القوم قتالا شديدا، وحَمَلت قريشٌ وكنانةُ على قيس من كل وجه[٩]، فانهزمت قيسٌ كلها إلا بني نصر فإنهم صبروا، ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دُهمان، فلم يغنوا شيئاً، فانهزموا، وكان عليهم سُبَيْعُ بن أبي ربيعة ـ أحدُ بني دُهْمان، فعقّل نفسه ونادى: يا آل هَوازن، يا آل هَوازن، يا آل نصر! فلم يعرج عليه أحد، وأجفلوا منهزمين، فكرّ بنو أمية خاصة في بني دُهمان ومعهم الخُنيسقُ وقشعة الجشميَّانِ، فقاتلوا فلم يغنوا شيئا، فانهزموا.

---

(١) أرعن. يقال: جيش أرعن: عظيم جرار، العقوة: المكان المنفسح أمام المحلة.
(٢) مارن الخطي: الرماح اللدنة، الجزير: فعيل بمعنى مفعول من الجزر، وفي رواية «الخرير» بالخاء: يعني خرير الدم المنبثق من أثر الطعنة.
(٣) ضبطنا سفيان بضمة واحدة على اعتبار أنه مأخوذ من السفي، فتكون نونه زائدة، ويصح اعتباره مأخوذا عن «السفون» فتكون نونه أصلية، وحينئذ لا يمتنع صرفه.
(٤) بنو أمية: نعت للأعلام الثلاثة السابقة.
(٥) ظاهر بينهما: جعل كلا منهما مقوية للأخرى.
(٦) تذامروا: حض بعضهم بعضا على القتال.
(٧) البيت من المنسرح، وهاء القافية في المصراعين ساكنة، وعكاظ وذو المجاز: مكانان مشهوران في الجاهلية، وبكل منهما كانت تقام سوق للشعر وللتجارة.
(٨) في هد: «الحليس بن زيد».
(٩) ف: «من كل جانب».

من المستجير بخباء سبيعة

وكان مسعود بن مُعتِّب الثقفيّ قد ضرب على امرأته سبيعةَ بنتِ عبد شمس بن عبد مناف خِباء، وقال لها: مَنْ دخله من قريش فهو آمن، فجعلت تُوصِل في خبائها؛ ليتسع[1]، فقال لها: لا يتجاوزني[2] خباؤك فإني لا أمضي لك إلا من أحاط به الخباء، فأحْفَظَها[3] فقالت: أما والله إني لأظن أنك ستودّ أن لو زدتُ في توسعته[4]، فلما [٦٨/٢٢] انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية جيرانها، / وقال لها: يا عمة، مَن تمسّك بأطناب خبائك، أودار حولَه فهو آمن، فنادت بذلك، فاستدارت قيس بخبائها، حتى كثروا جدا، فلم يبق أحد لا نجاة[5] عنده إلا دار بخبائها فَقِيلَ لذلك الموضع: مَدارُ قيس، وكان يُضرب به المثلُ، فتغضب قيس منه، وكان زوجُها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس ـ وهو من ثقيف ـ قد أخرج معه يومئذ بنيه من سُبَيعة، وهم عروة ولوحة[6]، ونُوَيْرَة، والأسود، فكانوا يدورون ـ وهم غلمان ـ في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم، ليجيروهم، فيسودوا، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا.

رواية أخرى لخبر خباء سبيعة

فأخبرني الحرمي والطوسي: قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني محمد بن الحسن، عن المحرز بن جعفر وغيره:

أنّ كنانة وقيسا لما تَوافَوْا من العام المُقبِل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعودٌ الثقفيّ على امرأته سبيعةَ بنت عبد شمس أمّ بنيه خِباءً، فرآها تبكي حين تدانى الناس، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: لما[7] يُصاب غدا من قومي، فقال لها: من دخل خباءك فهو آمن، فجعلت تُوصِل فيه القطعة بعد القطعة والخِرقَة والشيء ليتسع، فخرج وَهْب بن مُعتب حتى وقف عليها، وقال لها: لا يبقى طُنُبٌ من أطناب هذا البيت إلا ربطتُ به رجُلا من بني كنانة، [8]فلما صُفَّ القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة[8] فنادت بأعلى صوتها: إن وهبا يأتلي ويحلف ألاّ يبقى طُنُب من أطناب هذا البيت إلا ربط به رجلا من كنانة، فالجِدّ الْجِدّ، فلما / هُزِمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس، فأجارهم حَربُ بن أميّة. [ط ٤/١٩]

[٦٩/٢٢] / قيس تلجأ إلى خباء سبيعة فيجيرهم حرب بن أميّة

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسّان دَمَاذ، عن أبي عبيدة، قال:

لما هُزِمت قيس لجأت إلى خِباء سُبَيْعَة، حتى أخرجوها منه، فخرجت، فنادت: مَن تعلّق بطُنُب من أطناب

(١) إنما فعلت ذلك على اعتبار أن الدائرة تدور على قومها من قريش، فيتسع الخباء لأكبر عدد ممكن.
(٢) في هد، هج: «لا تتجاوزي خباءك».
(٣) أحفظها: أغضبها، وأوغر صدرها.
(٤) تريد بعبارتها هذه أن الدائرة ستدور على قومه هو، لا على قومها هي. فيلوذ بهذا الخباء المنهزمون من رجاله، وحينئذ يود لو اتسع لأكبر عدد ممكن، وهذا هو ما حدث في نهاية الموقعة.
(٥) في هد، هج: «فلم يبق أحد أراد نجاة عنده إلا دار بخبائها».
(٦) في هد، هج: «الأوحد».
(٧) كان القياس أن يقول: «لمن يصاب غدا من قومي» ولكن هكذا في جميع النسخ التي بأيدينا، فلعلها اعتبرت أن الاصابة تقع على المحاربين والخيول والإبل ونحوها، ومعلوم أن «ما» تقع على العاقل مع غيره.
(٨ ـ ٨) التكملة من هد، ويبدو أن نداءها كان موجها إلى قومها من قريش، لا إلى قوم بعلها من قيس.

بيتي فهو آمن في ذمتي، فداروا بخبائها، حتى صاروا حلقة، فأمضى ذلك كلّه حربُ بن أمية لعمّته، فكان يضرب في الجاهلية بمدار قيس المثل، ويُعيَّرون بمدارهم يومئذ بخباء سُبَيْعة بنت عبد شمس، قال:

شاعران يسجلان الموقعة

وقال ضرار بن الخطاب الفهري قوله:

ألــم تســألِ النــاسَ عــن شــأننا — ولــم يُثْبـتِ الأمــرَ كــالخــابــرِ
غــــداةَ عُكـــاظ إذ استكملَــت — هـــوازنُ فـــي كفِّهـــا الحـــاضــر[(١)]
وجــــاءت سُلَيـــمٌ تَهـــزّ القَنـــا — علـــى كـــل سَلْهَبـــةٍ ضـــامــر[(٢)]
وجئنــا إليهــم علــى المضمــراتِ — بـــأرْعَـــنَ ذي لَجَـــبٍ زاخِــرِ[(٣)]
فلمــا التقينــا أذقنــاهــمُ — طِعــانــاً بِسُمْــرِ القنــا العــائــر[(٤)]
ففــــرّت سُلَيـــمٌ ولـــم يصبـــروا — وطـــارت شَعــاعــاً بنــو عــامــر[(٥)]
وفـــرت ثقيـــفٌ إلـــى لاَتِهـــا — بمُنقلَـب الخــائــبِ الخــاسِــرِ[(٦)]
وقــاتلــت العَنْــسُ شَطْــرَ النهــا — رِ ثــم تــولّــت مــع الصــادر[(٧)]
/ علــى أن دُهمــانَهــا حــافظــت — أخيـــراً لـــدى دارةِ الـــدائـــرِ

[٢٢/ ٧٠]

وقال خِداشُ بن زهير:

أتتنــا قــريــش حــافليــن بجمعهــم — عليهــم مــن الــرحمــن واقٍ ونــاصــرُ
فلمــا دنــونــا للقِبــابِ وأهلِهــا — أُتيــحَ لنــا ريــبٌ مــع الليــل نــاجــرُ[(٨)]
أُتيحــت لنــا بكــرٌ وحــول لــوائهــا — كتــائــبُ يخشــاهــا العــزيــز المكــاثــر
جثــت دونهــم بكــرٌ فلــم تستطعهــمُ — كــأنهــمُ بــالمشــرفيّــة ســامــر
ومــا بــرحــت خيــلٌ تثــور وتُــدّعــى — ويَلْحــقُ منهــم أولــون وآخــر
لــدن غــدوة حتــى أتــى وانجلــى لنــا — عَمــايَــةُ يــومٍ شــرُّه متظــاهــر[(٩)]
ومــا زال ذاك الــدأب حتــى تخــاذلــت — هــوازنُ وارفضّــت سُلَيــمٌ وعــامــر

(١) كفها: لعله من الكف بمعنى ضم الشيء بعضه إلى بعض، والمراد ضم جيوشها. وفي بعض النسخ «لفظها» ولا معنى له.
(٢) السلهبة من الخيل: العظيم الطويل العظام.
(٣) بأرعن: بجيش أرعن: عظيم جرار.
(٤) في هد، هج: «بصم القنا»: بالقنا المصمت، العائر: الذي يصيب العين بالعور.
(٥) الشعاع: المتفرق المنتشر.
(٦) إلى لاتها: إلى صنمها «اللات» الذي تعبده.
(٧) العنس: إحدى القبائل المحاربة، وفي هد، هج: «العير».
(٨) ناجر: شديد الحرارة، وفي هد: «أتيح لنا ريب من الدهر ناجر» وفي هج: «أتيح له عتب مع الليل فاخر».
(٩) شره متظاهر: هجومه قوي، وفي هد، هج بدل المصراع الأول «لدن غدوه حتى أتى الليل وانجلت».

وكـانـت قـريـشٌ يَفْلِـقُ الصخـرَ حـدُّهـا إذا أوهـن النـاسَ الجـدودُ العـواثـرُ

اليوم الخامس يوم حريرة

ثم كان اليوم الخامس، وهو يوم الحُرَيْرَة[١]، وهي حرَّةٌ إلى جانب عُكاظَ، والرؤساء بحالهم إلا بلعاءَ بن قيس؛ فـإنه قد مات فصار أخوه مكانه على عشيرته، فاقتتلوا، فانهزمت كنانةُ وقُتِل يومئذ أبُو سُفيانَ[٢] بنُ أميَّةَ وثمانيةُ رَهْطٍ من بني كنانة، قتلهم عُثمان بن أسيدٍ من بني عمرو بن عامر[٣] بن ربيعة، وقتل ورقاءُ بنُ الحارث: أحدُ بني عمرو بن عامر من بني كنانة[٣] وخمسة نفر.

[٢٢/ ٧١] / خداش يسجل هذه الموقعة

وقال خداش بن زهير، في ذلك:

لقـد بَلَـوْكُـمْ فـأبلَـوْكـمْ بـلاءَهـمُ يـوم الحُـرَيـرة ضـربـاً غيـرَ تكـذيـبِ
إن تُـوعِـدونـي فـإنـي لابْـنُ عمِّكـمُ وقـد أصـابـوكـمُ منـه بشُـؤْبـوب[٤]
وإن ورقـاءَ قـد أردَى أبـا كنَـفٍ وابنَـيْ إيـاسٍ وعمـراً وابـنَ أيّـوب
/ وإن عثمـانَ قـد أردى ثمـانيـةً منكـم وأنتـم علـى خُبْـرٍ وتجـريـب

٨١ / ١٩

خداش يفقد أباه فيسجل ذلك الشويعر الليثي

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجلَ، والرجلان يلقيان الرجلين، فيقتل بعضُهم بعضاً. فلقي ابن مَحْمِيَةَ ابن عبدالله الدُّبليّ زهيرَ بن ربيعة أبا خداش، فقال زهير: إني حَرامٌ جئت معتمرا، فقال له: ما تُلَقّى[٥] طِوَالَ الدهر إلا قلتَ: أنا معتمر، ثم قتله، فقال الشويعر الليثي، واسمه ربيعةُ بن عَلَس[٦]:

تـركنـا ثـاويـاً يـزقـو صـداهُ زهيـراً بـالعـوالـي والصِّفـاحِ[٧]
أُتيـح لـه ابـنُ مَحميَـةَ بـنِ عبـدٍ فـأعجلـه التَّسـوُّمُ بـالبطـاحِ[٨]

صلح لا يتم

ثم تداعَوْا إلى الصلح على أن يَدِيَ[٩] مَنْ عليه فضلٌ في القتلى، الفضلَ إلى أهله، فأبى ذلك وَهْب بن مُعَتِّب،

(١) الحريرة: تصغير حرة ـ بفتح الحاء وتشديد الراء مع فتحها ـ وهي الأرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت.
(٢) هو غير أبي سفيان أبي معاوية، فالقتيل عمه.
(٣ ـ ٣) التكملة من هد.
(٤) الشؤبوب: الدفعة من المطر، والمراد هنا شؤبوب من الدماء.
(٥) هذه رواية هد، هج، والذي في ب: «ما تبقى».
(٦) في ب «عبس».
(٧) يزقو: يصوت، الصدى: طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل، فما يزال يقول: «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره، الصفاح: السيوف.
(٨) التسوم: الإغارة، أو سوق الخيل المسومة.
(٩) في رواية «يؤدي» بدل «يدي»، وعلى الرواية الأولى يكون المراد بالفضل المال المتبقي، وعلى الرواية الثانية يكون المراد بالفضل القتلى الزائدين.

وخالف قومه، واندسّ إلى هوازن، حتى أغارت / على بني كنانة، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة، عليهم [٧٢/٢٢] سلمةُ بن سُعْدَى[١] البكائي، وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظَبْيان الهلالي، وبنو نصر بن معاوية، عليهم مالكُ بن عوف، وهو يومئذ أمْرَدُ، فأغاروا على بني ليث[٢] بن بكر بصحراءِ الغميم، فكانت[٣] لبني ليث أول النهار، فقتلوا عبيد بن عوف البكائي، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمل الجسري حليف بني عامر، ثم كانت على بني ليْث آخرَ النهار، فانهزموا، واستحَر[٤] القتل في بني الملوّح بن يعمُرَ بن ليث، وأصابوا نَعماً ونساءً حينئذ، فكان[٥] ممنْ قُتِل في حروب الفِجار من قريش العَوّامُ بنُ خويلد، قتله مُرَّةُ بن مُعتِّب، وقُتِل حِزام بن خويلد، وأحيحةُ بن أبي أُحَيحَةَ، ومعمر ابن حبيب الجُمَحي، وجُرِح حرب بن أمية، وقتل من قيس الصِّمَّةُ أبو دريد بن الصمَّة، قتله جعفر بن الأحنف[٦].

صلح يتم برهائن

ثم تراضَوا بأن يعدُّوا القتلى، فيدُوا مَن فضل، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة، فاجتمعت القبائل على الصلح، وتعاقدوا ألا يعرضَ[٧] بعْضُهم لبعض، فرهن حربُ بن أميّة ابنه أبا سفيانَ بنَ حرب، ورهن الحارثُ بن كَلَدةَ العبديّ[٨] ابنَه النضْرَ، ورهن سفيانُ بن عوف أحدُ بني الحارث بنِ عبد مناة ابنَه الحارث، / حتى وُدِيت[٩] [٧٣/٢٢] الفضولُ، ويقال: إن عتبةَ بن ربيعةَ تقدم يومئذ، فقال: يا معشر قريش، هلمُّوا إلى صلة الأرحام والصلح، قالوا: وما صلحكم هنا، فإنَّا موتورون[١٠]؟ فقال: عَلَى أن نَديَ قتلاكم، ونتصدق عليكم بقتلانا فرضُوا بذلك، وساد[١١] عتبة مذ يومئذ، قال: فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو، فأطلقوهم.

النبي يشهد الفجار

قال أبو عبيدة: ولم يشهد الفِجَار من بني هاشم غيرُ الزبير بنِ عبد المطلب، وشهد النبي صلى الله عليه وسلم وآله سَائِرَ الأيام إلا يومَ نخلة، وكان يناول عمّه وأهله النّبلَ، قال: وشهدها صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة، وطعَن النبي صلى الله عليه وسلم وآلِه أبا بَراء مُلاعِبَ الأسنة، وسئل صلى الله عليه وآلِه عن مشهده يومئذ، فقال: ما سرني أني لم أشهده، إنهم تعدَّوْا على قومي، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرَّاضَ صاحبهم، فأبوا.

(١) في هد، هج: «بني سعلي».
(٢) في هد، هج: «ليث بن كعب بن بكر».
(٣) فكانت، أي الغلبة.
(٤) استحر القتل: أشتد.
(٥) في الأصل: فكان من قتل، وقد صوبناها بزيادة حرف الجر «من» ولعلها: فكان من قتلى حروب الفجار... الخ.
(٦) في هد، هج: «حفص بن الأحنف».
(٧) في بعض النسخ: «فتعاقدوا على أن يرهن بعضهم لبعض» وهي أنسب لما يرد بعد.
(٨) في هج: «العبدري» ـ نسبة إلى عبد الدار ـ بدل «العبدي» والنضر المشار اليه هنا هو أخو قتيلة الذي قتله صلى الله عليه وسلم في بدر، فرثته أخته بالأبيات القافية المعروفة.
(٩) في هد، هج: «حتى أديت» وقد سبق نظير هذا.
(١٠) في هج أورد العبارة كما يلي: «وما صلحكم؟ هؤلاء أصحابنا موتورون».
(١١) في الأصل «وسار عتبة يومئذ على أن أقبل» ولا معنى له، والمثبت من «ف».

كشف حساب القتلى

قال: وكان الفضل عشرين قتيلا من هوازن، فوداهم حرب بن أمية فيما تروي قريش، وبنو كنانة تزعم أن القتلى الفاضِلين قتلاهم، وأنهم هم وَدَوْهم.

هل شهد أعمام النبي هذه الموقعة

٨٢/١٩ وزعم قوم من قريش أن أبا طالبٍ وحمزةَ والعباسَ بني عبد / المطلب ـ عليهما[1] السلام ـ شهدوا هذه الحروب، ولم يردَّ ذلك[2] أهلُ العلم بأخبار العرب.

سبيعة تجير بملها

قال أبو عبيدة: ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن مُعتّب لا يُعرّج على شيء حتى أتى سُبَيْعةَ بنتَ عبد شمس [٢٢/٧٤] زوجته، فجعل أنفَه بين ثدييها، وقال: أنا بالله[3] / وبك، فقالت: كلا، زعمت أنك ستملأ بيتي من أسرى قومي، اجلس فأنت آمن.

عود إلى الصوت وبقيته

وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومن قُتِل من قومها، والأبيات التي فيها الغناء منها:

أبــي لَيْلُــكَ لا يــذهــبْ ... ونِيط الطَّرفُ بالكوكبْ[4]

ونجــمٌ دونــه الأفــوا ... لُ بين الدَّلْـو والعقربْ

وهــذا الصبحُ لا يأتـي ... ولا يــدنــو ولا يقربْ

بعَقْــرِ عشيــرةٍ منّــا ... كرام الخِيم والمنصِبْ[5]

أَحــالَ عليهمُ دهــرٌ ... حديدُ النّاب والمِخلبْ

فحــلَّ بهــم وقد أمِنوا ... ولم يُقْصِرْ ولم يَشْطُبْ[6]

ومــا عَنْــهُ إذا مــا حــلَّ ... مِــن مَنجَــى ولا مَهــربْ

ألا يــا عيــنُ فــابكِيهــم ... بــدمــعٍ منــك مستغْــرِبْ[7]

فــإن أبــكِ فهــم عِــزّي ... وهــم ركنــي وهــم مَنكِــبْ

---

(١) ضمير عليهما يعود على حمزة والعباس، أما أبو طالب فقد استثناه المؤلف فيما يبدو.

(٢) في هد، هج: «ولم يرو ذلك أهل العلم» بدل «ولم يرده».

(٣) متعلق الجار والمجرور محذوف، تقديره لائذ أو معتصم، أو مستجير ونحو ذلك.

(٤) تقدم هذا البيت والبيتان التاليان له.

(٥) في هد، هج: «كرام الخيم والمذهب» الخيم: الخصال والطباع.

(٦) يشطب: من شطب عن الشيء بمعنى عدل عنه.

(٧) مستغرب: غزير.

وهـم أصلِـي وهـم فـرعـي وهـم نسبـي إذا أُنْسَـب
وهـم مجـدِي وهـم شـرفـي وهـم حِصنِـي إذا أرْهَـب
وهـم رُمحِـي وهـم تُـرسـي وهـم سيفـي إذا أغضـب
فكـم مـن قـائـلٍ منهـم إذا مـا قـال لـم يكـذِب
/ وكـم مـن نـاطـقٍ فيهـم خطيـبٍ مصقَـعٍ مُعْـرِب [٢٢/٧٥]
وكـم مـن فـارسٍ فيهـم كمـيٍّ مُعْلَـمٍ مِحْـرَب[١]
وكـم مـن مِـدرَةٍ[٢] فيهـم أريـبٍ حُـوَّلٍ قُلَّـب[٣]
وكـم مـن جَحفـلٍ فيهـم عظيـمِ النّـار والمـوكِـب
وكـم مـن خِضْـرمٍ فيهـم نجيـبٍ مـاجـدٍ مُنجِـب[٤]

[٢٢/٧٦] / صوت

أُحِـبُّ هبـوطَ الـواديـيـن وإنّنـي لمشتهـرٌ بـالـواديـيـن غـريـبُ
أحقًّـا عبـادَ الله أنْ لسـتُ خـارجـاً ولا والجـاً إلا علـيَّ رقيـبُ
ولا زائـراً فـرداً ولا فـي جمـاعـة مـن النـاس إلا قيـل: أنـت مُـريـبُ
وهـل ريبـةٌ فـي أن تحِـنَّ نَجيبـةٌ إلـى إلفهـا أو أن يَحِـنَّ نَجيـبُ

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيباني في أشعار بني جعدة، وذكره أبو الحسن المدائني في أخبار رواها لمالك ابن الصَّمصامة[٥] الجعدي، ومن الناس من يرويه لابن الدُّمَيْنَة ويدخله في قصيدته التي على هذه القافية، والروي والغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو.

(١) المعلم من الفرسان: من يتخذ لنفسه في الحرب علامة تميزه، المحرب: الخبير المضطلع بأمور الحرب.
(٢) المدره: خطيب القوم، أو سيدهم.
(٣) الحول القلب: المحتال الحازم الذي يلبس لكل حال لبوسها، وفي الأصل «حوله مغلب» بدل «حول قلب» وهو تحريف، والمثبت من هد، هج.
(٤) الخضرم: السيد الجواد، المنجب: من ينجب أولاده.
(٥) الصمصامة، والصمصام في الأصل: السيف لا ينثني، واستعمل هنا علما.

[٧٧/٢٢] ٨٣/١٩

/أخبار مالك ونسبه

نسبه

هو مالك بن الصَّمصامة بن سعد بن مالك: أحد بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر بدوي مُقِلّ.

يهوى جنوب ويحول بينهما أخوها

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن خلف بن المرزبان، قالا:

أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبي عمرو الشيباني، قالوا:

كان مالك بن الصَّمصامة الجعديُّ فارساً شجاعاً جوادا جميل الوجه، وكان يهوَى جنوبَ بنت محصَن الجعديَّة، وكان أخوها الأصبغ بن مِحصَن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم، فَنَمَى إليه نُبَذٌ من خبر مالك، فآلى يمينا جزْما: لئن بلغه أنه عَرَض لها أوزارها ليقتلنه، ولئن بلغه أنه ذكرها في شعر أو عرّض بها ليأسرنه، ولا يطلقُه إلا أن يجزَّ ناصيته في نادي قومه، فبلغ ذلك مالكَ بنَ الصَّمصامة، فقال:

إِذا شئتَ فاقرِنِّي إلى جَنْبِ عيهبٍ ... أجبَّ ونِضوي للقلوص جنيبِ[1]

فما الحلْق بعدَ الأسر شرٌّ بَقِيةً ... من الصَّدّ والهِجران وهي قريب

ألا أيها الساقي الذي بلّ دَلْوَه ... بقُريانَ يَسْقِي هل عليك رقيبُ[2]

/ إذا أنتَ لم تشرب بقُريان شربةً ... وحانيةِ الجدران ظَلْتَ تَلوب[3]

[٧٨/٢٢]

أحبّ هبوطَ الواديين وإنني ... لمشتهر بالواديين غريب

أحقًّا عِبادَ الله أنْ لستُ خارجا ... ولا والجا إلا عليَّ رقيب!

ولا زائراً وحدي ولا في جماعةٍ ... من الناس إلا قيل: أنتَ مُريبُ

---

(١) الخطاب لمالك بن الصمصامة أخي جنوب، أقرني: شدني، العيهب: الكساء من الصوف، أجب: مقطوع، النضو: الثوب الخلق، القلوص: في الأصل الناقة الفتية، والعرب تكنى بالقلوص عن الفتاة، يقول: إذا شئت أسرى فشدني إلى رداء من الصوف بال في بيتك بجوار جنوب أختك وفي ب «نجيب» بدل «جنيب»، وهو تحريف.

(٢) قريان: موضع.

(٣) يخاطب بهذا البيت نفسه، وحانية الجدران: لعله قسم بجدران الكعبة الحانية، أو عطف على «قريان» وفي الأصل: «وجانية» بالجيم، ولم نجد لها معنى، تلوب: من لاب يلوب: عطش، أو دار حول الماء وهو لا يستطيع الوصول إليه، يقول: إذا أنا لم أشرب من هذا الوادي فسأظل ظامئا وحق الكعبة.

وهـل ريبـة فـي أن تَحِـنَّ نجيبـةٌ إلـى إلفهـا أو أن يحِـنَّ نجيـب

يراها فلا يستطيع مخاطبتها

وقال أبو عمرو خاصة: حدثنا فتيان من بني جعدة أنها أقبلت ذات يوم، وهو جالس في مجلس فيه أخوها، فلما رآها عرفها، ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها، فأغمي عليه، وفَطِن أخوها لما به، فتغافل عنه، وأسنده بعضُ فِتيان العشيرة إلى صدره، فما تحرك، ولا أحار جوابا ساعة من نهاره، وانصرف أخوها كالخجِل، فلما أفاق قال:

أَلَمَّتْ فما حيّت وعاجتْ فأسرعت إلى جرعة بين المخارم فالنَّجْرِ[1]

خليليَّ قد حانَتْ وفاتِيَ فاحفِرا برابيةٍ بين المخافر والبُترِ[2]

لكيما تقول العبدليَّةُ كلما رأت جدثي: سُقِّيت يا قبرُ من قبر[3]

جنوب ترعى عهده

وقال المدائني في خبره: انتجع أهل بيت جنوب ناحية حِسْي والحِمى، وقد أصابها الغيث، فأمرعت، فلما أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصَّمصامة، حتى إذا بلغته جَنُوبُ أخذ بخطام بعيرها، ثم أنشأ يقول:

/ أَرَيْتُكِ إن أزمعتُمُ اليوم نِيَّةً وغالكِ مُصطافُ الحِمى ومرابعُه[4] [٧٩/٢٢]

أترعَيْن ما استُودِعتِ أم أنتِ كالذي إذا ما نأى هانت عليه ودائعُهُ

فبكت، وقالت: بل أرعى والله ما استودِعت، ولا أكونُ كمن هانت عليه ودائعه، فأرسل بعيرها، وبكى، حتى سقط مغشيًا عليه، وهي واقفة، ثم أفاق، وقام، فانصرف وهو يقول:

/ ألا إنَّ حِسْياً دونه قُلَّةُ الحِمى مُنَى النفس لو كانت تُنال شرائعهُ[5] ٨٤/١٩

وكيف ومن دونِ الورودِ عوائقٌ وأصبغُ حامي ما أُحِبُّ ومانعُه[6]

فلا أنا فيما صدَّني عنه طامعٌ ولا أرتجي وصلَ الذي هو قاطعه

/ صوت [٨٠/٢٢]

يا دارَ هندٍ عفاها كلُّ هطّالِ بالخَبتِ مثلُ سحيقِ اليَمْنَةِ البالي[7]

(١) عاجت: رجعت، الجرعة: الأرض ذات الحزونة، المخارم والنجر: مكانان.
(٢) في هد، هج: «إن حانت» بدل «قد حانت»، وفي هج: «بين المحاضر والبتر» بدل «لي بالمخافر والبتر» وفي هد: «برابية لي بالمحاضر والبتر» وكلها أسماء أماكن.
(٣) العبدلية يعني بها حبيبته، وفي هد: «حييت» بدل «سقيت».
(٤) نية: رحلة وبعدا، غالك: أخفاك عني.
(٥) قلة كل شيء: أعلاه، يريد أن علية الحمى حلوا بحسى، منى النفس: بدل من «قلة الحمى»، شرائع: جمع شريعة، وهي مورد الماء كالغدير ونحوه.
(٦) يريد الأصبغ أخا جنوب.
(٧) عفاها: محاها، وغير معالمها، الخبت: مكان، اليمنة: برد مخصوص يرد من اليمن.

أربَّ فيهــا ولـــيٌّ مـــا يغيِّـــرهـــا والـــريـــحُ ممـــا تعفّيهـــا بـــأذيـــال[1]

دارٌ وقفـــتُ بهـــا صَحبـــي أُســـائلهـــا والـدمـع قـد بـلّ منـي جَيْـبَ سِـرْبـالـي

شـوقـاً إلـى الحـيِّ أيـامَ الجميـعُ بهـا وكيــف يطــربُ أو يشتــاق أمثــالــي؟[2]

قوله. أَرَبَّ فيها أي أقام فيها وثبت، والولّي: الثاني من أمطار السنة، أولها الوسْميّ، والثاني الوليّ، ويروى.

* جرت عليها رياح الصيف فاطّرقت *

واطَّرَقَتْ: تلبدت.

الشعر لعَبِيد بن الأبرص، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن جامع رَمَل بالوسطى، وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولَحْنُ إبراهيم إليه.



(١) تولى المؤلف شرح بعض ألفاظ البيت. الريح: معطوف على ولي، وإثبات الأذيال للريح استعارة.
(٢) الاستفهام هنا للاستبعاد، ولعل سبب هذا الاستبعاد يأسه من اللقاء.

/ أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه[1]

[٢٢/٨١]

اسمه ونسبه

قال أبو عمرو الشيباني: هو عَبيدُ بن الأبرص بن حَنْتَم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرَن به طَرَفةَ وعلقمة بن عَبَدة وعديَّ بنَ زيد.

شاعر ضائع الشعر

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سَلّام، قال:

عبيدُ بن الأبرص قديم الذكر، عظيم الشهرة، وشِعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله في كلمته:

* أَقْفَرَ من أَهْلِهِ مَلْحُوبُ *

ولا أدري ما بعد ذلك.

يتهم بأخته

أخبرنا عبدالله بن مالك النحوي الضرير، قال: حدثنا محمد بن حبيبَ، عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، قالا:

كان من حديث عبيد بن الأبرص أنّه كان رجلا محتاجا، ولم يكن له مال، فأقبل ذات يوم ومعه غُنَيْمة له، ومعه أخته ماوِيّة، ليوردا غنمهما الماءَ، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبَهَهُ[2]، فانطلق حزينا مهموما للذي صنع به المالكي، حتى أتى شجراتٍ فاستظل تحتهن، فنام هو وأخته، فزعموا أن المالكي نظرا إليه وأُخْتُهُ إلى جنبه، فقال:

ذاك عبيـــدٌ قـــد أصـــاب مَيّـــا ... يـــا ليتَـــه ألقحهـــا صبيّـــا

* فحملت فوضعت ضاوياً[3] *

/ فسمعه عَبيد، فرفع يديه، ثم ابتهل، فقال: اللهم إن كان فلان ظلمني، ورماني بالبهتان فأَدِلْني منه ـ أي [٢٢/٨٢] اجعل لي منه دَوْلَة، وانصُرْني عليه ـ ووضع رأسه فنام، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر.

---

(١) جاءت ترجمته في هذا المكان في النسخ المخطوطة: هد، مد، مه، و«التجريد»، وطبعة بولاق وجاءت في آخر «الأغاني» بين ترجمتي: أبي العيال، وعمارة بن عقيل في مخطوطة فيض الله، وطبعة بيروت.

(٢) جبهة: صك جبهته، أو قابله بما لا يحب.

(٣) ضاويا: مهزولا نحيفا.

يهبط عليه الشعر من السماء في النوم

فذُكِر أنه أتاه آت في المنام بكُبّةٍ[١] من شَعْر، حتى ألقاها في فيه، ثم قال: قم، فقام وهو يرتجز: يعني بني مالك؛ وكان يقال لهم بنو الزِّنْيَة يقول:

أيـا بنـي الـزِّنْيـة مـا غـرّكـمُ فلكـمُ الـويـلُ بسـربـال حَجَـرْ[٢]

ثم استمرَّ بعد ذلك في الشعر، وكان شاعرَ بني أسد غير مدافَع.

بينه وبين امرىء القيس

٨٥/١٩ أخبرني هاشم بن محمد / الخزاعيّ، قال: حدّثنا أبو غسان دَماذ، عن أبي عبيدة، قال:

اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حُجْرَ بن عمرو والدَ امرىء القيس إلى امرىء القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه؛ أو يُقيدوه من أيّ رجل شاء من بني أسد، أو يُمهلَهم حولاً؛ فقال: أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مِثْلي، وأما القَوَدُ فلو قِيد إليّ ألفٌ من بني أسد ما رَضيتُهم؛ ولا رأيتهم كفؤا لِحُجْر، وأما النَّظِرة[٣] فلكم، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان، أُحكِّم فيكم ظُبا السيوف وشَبا الأسنّة، حتى أشفيَ نفسي، وأنالَ ثأري، فقال عبيدُ ابن الأبرص في ذلك:

[٢٢/٨٣]

/ صوت

يـا ذا المخـوِّفُنـا بقتـلِ أبيـه إذلالا وحَيْنـا[٤]

أزعمـتَ أنـك قـد قتلـتَ سَـراتنـا كـذبـاً ومينـا[٥]؟

هـلّا علـى حُجْـرِ ابـن أمِّ قطـامِ تبكـي لا علينـا[٦]

إنّـا إذا عَـضَّ الثِّقـا فُ بـرأس صَعْـدتنـا لَـوَيْنـا[٧]

نحمـي حقيقتنـا وبعـضُ النـاس يسقـط بيـن بينـا[٨]

هـلاَّ سـألـتَ جمـوع كِنـدةَ يـوم وَلَّـوْا أيـن أينـا؟

ـ الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشامي، وفيه ليَحيَى المكيّ خفيف ثقيل: ـ

---

(١) الكبة: مجموعة من الخيوط ونحوها على شكل كرة.

(٢) لعله يعني بالسربال الدرع، نقول: وهل كان الوحي يأتيه في المنام بمثل هذا البيت التافه؟

(٣) النظرة ـ بكسر الظاء ـ المهلة، ومنه قوله تعالى: «فنظرة إلى ميسرة».

(٤) إذلالا: مفعول «المخوفنا» الحين: الهلاك.

(٥) سراتنا: أشرافنا.

(٦) حجر ابن أم قطام: هو أبو امرىء القيس، وإنما نسبه إلى أمه سخرية به.

(٧) الثقاف: آلة تعدل بها الرماح المعوجة، الصعدة: الرمح، يريد أن قناتهم لا يعدلها الثقاف، بل تلتوي عليه، كما يقول عمرو بن كلثوم:

وإن قنـاتنـا يـا عمـرو أعيـت علـى الأعـداء قبلـك أن تلينـا

إذا عـض الثقـاف بهـا اشمـأزت وولتهـم عشـوزنـة حـرونـا

(٨) الحقيقة: ما ينبغي حمايته من حريم ووطن ومال وغير ذلك.

قال: وتمام هذا الأبيات:

أيامَ نضربُ هامَهم ... ببواترٍ حتى انحنينا[١]

وجموعَ غسَّانَ الملو ... ك أتينَهم وقد انطوينا[٢]

لُحُقاً أيا طِلُهنّ قد ... عالجن أسفارا وأينا[٣]

[٢٢/٨٤] / [٤]والأياطل: الخواصر أي هن ضوامرها؟[٤]:

نحن الأُلَى فاجمع جمو ... عَك ثم وجِّههم إلينا[٥]

واعلمْ بأنّ جيادَنا ... آلَينَ لا يقضِين دينا[٦]

ولقد أبَحْنَا ما حَمِيـ ... ـتَ ولا مُبيحَ لما حَمينا

هذا ولو قَدَرَتْ عليـ ... ـكَ رماحُ قومي ما انتهينا

حتى تنوشَك نَوْشَةً ... عاداتُهنَّ إذا انتوينا[٧]

نُغْلي السِّباءَ بكل عا ... تقةٍ شمولٍ ما صَحَونا[٨]

ونُهِينُ في لذّاتنا ... عُظْمَ التِّلاد إذا انتشينا

لا يبْلغ الباني ولو ... رفعَ الدّعائمَ ما بَنَيْنا

كم من رئيس قد قتلـ ... ـناهُ وضَيمٍ قد أبينا

ولربَّ سَيِّدِ معشرٍ ... ضخمِ الدّسيعة قد رمينا[٩]

عِقْبانُه بظلالِ عِقـ ... ـبانٍ تُتَمِّمُ ما نوينا[١٠]

حتى تركنا شِلْوَه ... جَزَرَ السِّباع وقد مضينا[١١]

/ إنّا لعمْرُك ما يُضا ... مُ حليفُنا أبداً لدينا [٢٢/٨٥]

/ وأوانِسٍ مثلِ الدُّمى ... حُورِ العيون قد استبينا[١٢] ٨٦/١٩

(١) نون الروى: ضمير البواتر، والألف ألف الإشباع، وليست «نا» من «انحنينا» للمتكلم.

(٢) ضمير «انطوين» يعود على الجياد المفهومة من المقام بدليل البيت التالي، وانطوين: من الطوى بمعنى الجوع، يعني بذلك أنها ضامرة بدليل البيت التالي أيضا.

(٣) الأين: التعب والمشقة.

(٤ ـ ٤) التكملة من هد.

(٥) صلة الألى محذوفة، تقديرها «تعرفهم، أو تدري بأسهم، ونحو ذلك».

(٦) يريد أن كل دم أراقاته جبار لا دية له ولا قود.

(٧) تنوشك: تتناولك، يريد نوشة قاسية، انتوين: نوين، وصممن.

(٨) العاتقة الشمول: الخمر المعتقة، ما صحونا: مدة صحونا.

(٩) الدسيعة: الجفنة الكبيرة، أو المائدة الكريمة، أو العطية الجزيلة، أو القوة العارمة، وكل هذا يتسق مع معنى البيت.

(١٠) يريد أن العقبان تتعاور جسده سربا بعد سرب تتمم فناءه الذي بدءوه، وفي هد، هج، «تيمم» وفي «**المختار**»: «تيمم من نوينا».

(١١) الشلو: بقية اللحم ونحوه، جزر السباع: ما تأكله السباع من اللحم.

(١٢) في هج: «شبه» بدل «مثل» وربما كان الأنسب «وأوانسا» بالنصب على أنها مفعول مقدم «لاستبينا» والتنوين هنا للضرورة.

الشعر على ألسنة الأفاعي

وقرأت في بعض الكتب، عن ابن الكلبي، عن أبيه، وهو خبر مصنوع، يتبين التوليد فيه:

أنَّ عبيدَ بن الأبرص سافر في ركب من بني أسد، فبيناهم يسيرون إذا هم بشجاع يَتَمعَّك[1] على الرمضاء فاتحا فاه من العطش، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها، فنزل فسقاه الشجاعَ عن آخره حتى رَوِيَ وانتعَشَ، فانساب في الرمل، فلما كان من الليل، ونام القوم ندّت رواحلهم، فلم يُرَ لشيءٍ منها أثر، فقام كل واحد يطلب راحلته، فتفرقوا، فبينا عبيد كذلك؛ وقد أيقن بالهَلَكَة والموت إذا هو بهاتف يهتف به:

يا أيُّها الساري المضِلُّ مذهبُهُ دونكَ هذا البَكْرَ منّا فاركبُهْ[2]

وبكْرُكَ الشارد أيضاً فاجنُبُهْ حتى إذا الليلُ تَجَلّى غيهبُهْ[3]

* فَحُطَّ عنه رحلَه وسَيِّبْهُ *

فقال له عبيد: يا هذا المخاطِبُ، نشدتُك الله إلاَّ أخبرتني: من أنت؟ فأنشأ يقول:

أنا الشّجاعُ الذي ألفيْتَهُ رَمِضاً في قفرةٍ بين أحجارٍ وأعقادِ[4]

[٨٦/٢٢] / فَجُدْتَ بالماء لما ضَنَّ حامِلُهُ وزِدتَ فيه ولم تبخل بإنكادِ

الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أوْعيتَ من زادِ[5]

فركب البكرَ وجنَّب بكرَه، وسار فبلغ أهله مع الصبح، فنزل عنه، وحل رحله، وخلاّه، فغاب عن عينه، وجاء من سلِمَ من القوم بعد ثلاث.

يومان للمنذر بن ماء السماء

أخبرني محمد بن عمران المؤدب وعمّي، قالا: حدثنا محمد بن عبيد: قال: حدثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبي، عن الشرقي بن القطامي: قال:

كان المنذرُ بن ماءِ السماءِ قد نادمه رجلان من بني أسد، أحدهما خالد بن المضلّل، والآخر عمرو بن مسعود ابن كَلَدة، فأغضباه في بعض المنطق، فأمر بأن يُحفر لكل واحد حَفِيرةٌ بظَهر الحِيرة، ثم يجعلا في تابوتين، ويدفنا في الحفرتين، فَفعِل ذلك بهما، حتى إذا أصبح سأل عنهما، فأُخبر بهلاكهما، فندم على ذلك، وغَمّه، وفي عمرو ابن مسعود وخالد بن المضلل الأسديين يقول شاعر بني أسد:

---

(١) في ب: «تجنى» بدل «تجلى».

(٢) يتمعك: يتمرغ في التراب، ويتقلب فيه.

(٣) كان القياس إسكان باء «فاركبه» لاضمها.

(٤) الشجاع: الثعبان، رمضا: حار الجوف من شدة العطش، أعقاد: لعل المراد بها الأرض الكثيرة الشجر، ومنه العقدة بهذا المعنى.

(٥) أوعيت: حملت في وعائك. نقول: وقد نسبوا الشعر إلى آدم أبي البشر، وإلى الملائكة، وإلى الشياطين، وها هم أولاء ينسبونه إلى الثعابين.

يــا قبــرُ بيــنَ بيــوتِ آل محــرّقٍ ... جــادت عليــك رواعــدٌ وبــروقُ

أمّــا البكــاءُ فقــلّ عنــك كثيــرُه ... ولئــن بَكيــتَ فَلَلْبُكــاء خَليــقُ[1]

ثم ركب المنذر، حتى نظر إليهما، فأمر ببناء الغَرِيّيْن[2] عليهما، فبُنِيَا عليهما، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغَرِيّين، يُسمّي أحدهما يوم نعيم، / والآخر يوم بؤس، فأولُ من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائةً من الأبل شُوما[3] أي: سودا، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرِبَانٍ[4] أسود، ثم يأمرُ به، فيذبح ويغرّى بدمه الغريّان، فلبث بذلك برهة من دهره. [٨٧/٢٢]

يقتل في يوم بؤس المنذر

ثم إن عبيدَ بنَ الأبرص كان أول من أشرف عليه في يوم بؤسه، فقال: هلا كان الذبح لغيرك يا عَبيد؟ فقال: أتَتْك بحائنٍ[5] رجلاه، فأرسلها مثلا، فقال له المنذر: أو أَجَلٌ بلغ إناه[6]، فقال له[7] المنذر: أنشدني، فقد كان شعرك يعجبني، فقال عبيد: حال الجريض[8] دون القريض، / وبلغ الحِزام الطُّبيين[9]. فأرسلها مثلا، فقال له النعمان: أسمعني، فقال: المنايا على الحوايا[10]، فأرسَلها مثلا، فقال له آخر: ما أشدّ جزعَك من الموت، فقال: لا يرحلُ رَحْلَكَ مَنْ ليس معك[11] فأرسلها مثلاً، فقال له المنذر: قد أمْلَلْتَنِي، فأرِحْني قبل أن آمر بك، فقال عبيد: من عَزّ بزّ[12] فأرسلها مثلاً، فقال المنذر: أنشدني قولك: [٨٧/١٩]

* أقفرَ من أهله مَلحوبُ *

فقال عبيد:

/ صــوت [٨٨/٢٢]

أقفــر مــن أهلــه عَبيــدُ ... فليــس يُبــدِي ولا يُعيــدُ[13]

---

(١) فللبكاء خليق: جدير بك، وفي هد، هج و«المختار»: «فبالبكاء» أي فأنت بالبكاء خليق.

(٢) الغريان: بناءان أقامهما المنذر على نديميه اللذين قتلهما، ونرجح أن هذه التسمية إنما جاءت من طلائهما بدماء من يقتل في يوم بؤس المنذر، والتغرية في اللغة بمعنى التطلية.

(٣) شوما: لعله جمع أشيم أو شيماء بمعنى في جسمها شامة، وليس معنى ذلك السواد، كما شرحه المؤلف، وفي هد: هج «سهما» بدل «شوما» وليس من معانيها السواد أيضا.

(٤) الظربان: حيوان دون السنور، أصلم الأذنين، طويل الخطم، قصير القوائم كثير الفسو، منتن الرائحة.

(٥) الحائن: الهالك.

(٦) إناه: وقته.

(٧) يقتضي السياق أن يقول: «ثم قال له المنذر» بدل «فقال له المنذر» التي تكررت مرتين متتاليتين.

(٨) الجريض: الغصة، أو اختلاف الفكين عند الموت.

(٩) الطبيان: تثنية طبي، وهو حلمة الضرع، أو الضرع كله، وهو مثل يضرب للأمر تجاوز حده.

(١٠) الحوايا: ما احتوى عليه بطن الإنسان أو الحيوان، والجملة مثل يضرب لمن يسعى إلى هلاكه بنفسه.

(١١) معنى الجملة أنه لا يقاسي مشقة رحلتك من لم يعانها معك.

(١٢) بز: غلب، ومعنى الجملة: من غلب أخذ السلب.

(١٣) في هد، هج بدل المصراع الثاني: «فاليوم لا يبدي ولا يعيد» والرواية التي معنا أصوب، لأن الأبيات من مخلع البسيط، أما المصراع الوارد في هد، هج، فمن الرجز.

عَنَــتْ لــه عَنَّــةٌ نكُــودٌ وحــان منهــا لــه ورودُ

فقال له المنذر: يا عبيد، ويحك، أنشدني قبل أن أذبحك، فقال عبيد:

والله إن مِــتُّ لمــا ضــرّنــي وإن أعــشْ مــا عشــتُ فــي واحــدَه[1]

فقال المنذر: إنه لا بد من الموت، ولو أن النعمان عرض لي في يوم بؤس لذبحته، فاختر إن شئتَ الأكحلَ[2]، وإن شئتَ الأبجلَ[3]، وإن شئتَ الوريدَ[4]، فقال عبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شَرُّ ورَّاد، وحاديها شرُّ حاد، ومعادها شرُّ معاد، ولا خير فيه لمرتاد، وإن كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر، حتى إذا ماتت مفاصلي، وذهلت لها ذواهلي فشأْنَك وما تريد، فأمر المنذر بحاجته من الخمر، حتى إذا أخذت منه، وطابت نفسه، دعا به المنذر، ليقتله، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

وخيّــرنــي ذُو البــؤس فــي يــوم بــؤســه خِصــالاً أرى فــي كلهــا المــوتَ قــد بَــرَقْ

كمــا خُيِّــرت عــادٌ مــن الــدهــر مَــرّةً سحــائــبَ مــا فيهــا لــذى خِيــرة أنَــقْ[5]

سحــائــب ريــح لــم تُــوكَّــل ببلــدةٍ فتتــركهــا إلا كمــا ليلــةِ الطَّلَــق[6]

[٨٩/٢٢] / فأمر به المنذر، فَفُصِد، فلما مات غُرِّي بدمه الغَرِيَّان.

طائي يفد على المنذر في يوم بؤسه

فلم يزل كذلك حتى مرَّ به[7] رجل من طيء، يقال له: حنظلةُ بن أبي عفراء، أو ابن أبي عُفْر، فقال له: أبيت اللعن، والله ما أتيتك زائرا، ولأهْلِي من خيرك مائرا[8] فلا تكن ميرتَهم قتلي، فقال: لا بد من ذلك فاسأل حاجة أقضينَّها لك، فقال: تؤَجّلُني سنة أرجع فيها إلى أهلي، وأُحِكم من أمرهم ما أريد، ثم أصِيرُ إليك، فأنفِذْ فيَّ حكمَك، فقال: ومن يكفُلُ بك حتى تعود؟ فنظر في وجوه جلسائه، فعرف منهم شرِيكَ بن عمرو: أبا الحَوْفزانِ بن شريك، فأنشد يقول:

يــا شــريــكٌ يــا بــنَ عمــرِو مــا مــن المــوت مَحَــالــةْ[9]

يــا شــريــكٌ يــا بــنَ عمــرو يــا أخــا مــن لا أخــالــهْ[10]

---

(١) ليس لكلمة «واحدة» هنا معنى، ونرجح أنها «واجدة» ـ بالجيم ـ من الجدة واليسار، أي إن عشت فلن أعيش في رغد من العيش.

(٢) الأكحل: وريد في وسط الذراع.

(٣) الأبجل: عرق في الرجل، أو في اليد بإزاء الأكحل.

(٤) الوريد: عرق في العنق.

(٥) الأنق: الحسن الرائع.

(٦) الطلق: البعد، من طلق ـ بكسر اللام ـ بمعنى بعد.

(٧) ضمير «به» يعود على المنذر، لا على عبيد.

(٨) مائرا: طالبا الميرة: القوت.

(٩) تنوين «شريك» للضرورة كقول الشاعر: «سلام الله يا مطر عليها».

(١٠) كان القياس: «لا أخ لك» بدون ألف، ولكنهم قالوا في مثل هذا وفي مثل قولهم: «لا أبا لك» أنهم افترضوا حذف اللام.

يـــا أخـــا شَيْبـــان فُـــكَّ اليـــوم رهنـــا قـــد أنـــالــه[١]

يـــا أخـــا كـــلِّ مُضـــافٍ وحيَـــا مَـــنْ لا حَيَـــا لـــه[٢]

إنّ شَيْبـــــانَ قبيـــــلٌ أكـــــرمَ اللهُ رجـــــالَـــــهْ

وأبـــوك الخيـــرُ عمـــرٌو وشـــراحيـــلُ الحَمـــالَـــه[٣]

رَقيَّـــاك اليـــوم فـــي المجـــد وفـــي حُســـنِ المقـــالَـــهْ

[٩٠/٢٢]

/ شريك بن عمرو يضمن الطائي

/ فوثب شريك، وقال: أبيت اللعن، يدي بيده، ودمي بدمه إن لم يعد إلى أجله[٤]، فأطلقه المنذر، فلما كان ٨٨/١٩ من القابل جلس في مجلسه، ينتظر حنظلة أن يأتيه، فأبطأ عليه، فأمر بشريك، فقُرِّب، ليقتله.

الطائي يفي بعهده

فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم، فتأملوه، فإذا هو حَنظلة قد أقبل متكفِّنا متحنِّطا معه نادِبتُه تندبه، وقد قامت نادبة شريك تندبه، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما، فأطلقهما، وأبطل تلك السُّنّة.

رواية أخرى لقصة مصرع عبيد

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني عبدالله بن أبي سعد قال: حدثنا عليّ بن الصباح، عن هشام بن الكلبي، قال:

كان من حديث عبيد بن الأبرص وقتله أنّ المنذر بن ماء السماء بنى الغَرِيين، فقيل له: ما تريد إليهما؟ وكان بناهما على قبري رجلين من بني أسد كانا نديميه، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسيّ، والآخر عمرو بن مَسْعود، فقال: ما أنا بملك إن خالف الناس أمري، لا يَمُرّنّ أحد من وفود العرب إلا بينهما، وكان له يومان في السنة يوم يسميه يوم النعيم، ويوم يسميه يوم البؤس، فإذا كان في يوم نعيمه أُتِي بأول من يطلع عليه، فحياه، وكساه، ونادمه يومه، وحمله، فإذا كان يوم بؤسه أُتِي بأول من يطلع عليه، فأعطاه رأس ظَرِبَانٍ أسودَ، ثم أمر به فذبح وغُرِّيَ بدمه الغَرِيّان، فبينا هو جالس في يوم بؤسه إذ أشرف عليه عَبيدٌ، فقال لرجل كان معه: من هذا الشقيّ؟ فقال له: هذا عبيدُ بن الأبرص الأسَدِي الشاعر، فأُتِيَ به فقال له الرجل الذي كان معه: / اتركه ـ أبيتَ اللعن ـ فإني أظن أنّ عنده [٩١/٢٢] من حُسن القريض أفضلَ مما تدرك[٥] في قتله فاسمعْ منه، فإن سمعت حسنا استزدتَه، وإن لم يعجبك فما أقدرَك على قتله. فإذا نَزَلْتَ فادعُ به، قال: فنزل، وطعم وشرب، وبينه وبين الناس حجابُ سترٍ يراهم منه ولا يرونه،

(١) هكذا بالنسخ، وترجح أن عبارة «قد أناله» محرفة عن «قد أتى له» وضمير أتى يعود على «الرهن» والمراد بشيبان الطائي نفسه بدليل البيت التالي.

(٢) الحيا: الغيث والمطر.

(٣) شراحيل: لعله من آباء شريك، والمراد بالحمالة حمالة الديات والديون وما إليها.

(٤) في ب «إلى أهله» وقد رجحنا ما أثبتناه نقلا عن هد، هج.

(٥) كذا في ب، وفي هد: «أظن أن عنده من حسن القريض أفضل مما يترك من قتله» وفي هج تضع كلمة «تريد» بدل كلمة «يترك» والمعنى لا يختلف.

فدعا بعبيد من وراء الستر، فقال له رَدِيفُه[1]: هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد! فقال: أتَتْك بحائن رجلاه، فأرسلها مثلاً، فقال: ما ترى يا عبيد؟ قال: أرى الحوايا عليها المنايا. فقال: فهل قلتَ شيئاً؟ فقال: حال الجريض دون القريض، فقال: أنشدني.

* أقفرَ من أهلِه مَلحوب *

فقال:

أقْفَــــرَ مـــــن أهلــــه عبيـــدُ فليــــس يُبــــدي ولا يعيــــدُ
عنَّـــت لـــه خُطَّـــةٌ نكـــودُ وحـــان منهـــا لـــه ورودُ

فقال أنشدنا:

هِـيَ الخمـر تُكنـى بـأمّ الطِّلـى كمـا الـذئب يُكنـى أبـا جَعْـدَه[2]

وأبى أن ينشدهم شيئاً ممّا أرادوا، فأمر به، فقتل.

خبر نديمي المنذر

فأما خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل ومقتلهما فإنهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء، فيما ذكره [٢٢/٩٢] خالدُ بن كلثوم ـ فراجعاه بعض القول على سُكْرِه، / فغضب، فأمر بقتلهما، وقيل: بل دفنهما حيين، فلما أصبح سأل عنهما، فأُخبِر خبرَهما فندم على فعله، فأمر بإبل، فنُحرت على قبريهما، وغُرِّيَ بدمائها قبراهما إعظاما لهما وحزن عليهما، وبنى الغَرِيّين فوق قبريهما، وأمر فيهما بما قدّمتُ ذكره من أخبارهما، فقالت نادبةُ الأسديين:

ألا بَكَـرَ النـاعـي بخيـر بنـي أسـدْ بعمـرِو بـن مسعـودٍ وبالسيّـد الصَّمـدْ

٨٩/١٩ / وقال بعض شعراءِ بني أسد يرثي خالد بن المُضَلَّل وعمرو بن مسعود، وفيه غناء:

صوت

يـا قبـرُ بيـنَ بيـوتِ آلِ مُحـرّقٍ جـادت عليـك رواعـدٌ وبـروقُ
أمّـا البُكـاءُ فقـلّ عنـك كثيـرُهُ ولئـن بكيـتَ فبـالبكـاء خليـقُ[3]

الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من جامع أغانيه.

ومما يغني به أيضاً من شعر عبيد:

صوت

طـاف الخيـال علينـا ليلـةَ الـوادي مـن أمّ عمـرٍو ولـم يُلْمِـمْ لميعـادِ

(١) رديفه: رديف المنذر، والرديف: نديم السلطان الذي يشاربه، ويجلس بجواره، وينوب عنه إذا غاب.
(٢) الطلى: اسم من أسماء الخمر، ويطلق هذا اللفظ على اللذة، وهذا المعنى هو المراد هنا، لأنه لا معنى لأن يكنى الخمر بأم الخمر، وإنما المعقول أن تكنى بأم اللذة. وأبو جعدة، وأبو جعادة: كنية الذئب، ولعله كنى بذلك لتجعد شعر ذنبه.
(٣) تقدم هذان البيتان، ورواية هد: «ولئن بكيت فبالبكاء حقيق».

أنّي اهتديت لركبٍ طال سيرهمُ ... في سَبْسَبٍ بين دكداكٍ وأعقاد[1]

اذهب إليك فإني من بني أسد ... أهلِ القباب وأهل الجود والنّادي[2]

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسْحاقَ، وفيه ثقيل أول / بالوسطى، ذكر الهشامي [٢٢/٩٣] أنه لأبي زكار الأعمى، وذكر حبش أنه لابن سريج.

وفي هذه القصيدة يقول: يخاطب حُجر بن الحارث أبا امرِىء القيس، وكان حُجْرٌ يتوعده في شيء بلغه عنه، ثم استصلحه فقال يخاطبه:

أبلغ أبَا كَرِبٍ عنّي وإخوتَه ... قولاً سيذهب غَوْراً بعد إنجادِ[3]

لا أعرفنّك بعد الموت تَندُبني ... وفي حياتيَ ما زودّتَني زادي

إنَّ أمامَكَ يوماً أنتَ مدركُهُ ... لا حاضرٌ مفلِتٌ منه ولا بادي

فانظر إلى ظلّ مُلْكٍ أنْتَ تاركُهُ ... هل تُرسِيَنَّ أواخيه بأوتاد[4]

الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به ... والشَّرّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد[5]

عمر يبكي خالد بن الوليد بعد موته:

أخبرنا عيسى بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاعيّ، عن المدائنيّ، عن أبي بكر الهذليّ قال: سمع عمرُ بنُ الخطّابُ نساء بني مخزوم يبكين على خالد بن الوليد، فبكى، وقال: لِيقُلْ نساء بني مخزوم في أبي سليمان ما شِئن، فإنهن لا يكذبن، وعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي، فقال له طلحةُ بنُ عبيد الله: إنك وإياه لكما قال عبيدُ بنُ الأبرص[6]:

لا ألْفِيَنَّك بعدَ الموتِ تندُبني ... وفي حياتيَ ما زوّدتني زادِي

كلب في ضيافة كلب:

أخبرني عمّي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد: قال: حدثني محمد بن عبدالله العبديّ، قال: حدثني سيفٌ الكاتبُ، قال:

/ وَلِيتُ ولايةً، فمررتُ بصديق لي في بعض المنازل، فنزلت به، قال: فِنلنا من الطعام والشراب، ثم غلب [٢٢/ ٩٤] علينا النبيذُ، فنِمنا، فانتبهتُ من نومي، فإذا أنا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يبَشّ به ويسلّم عليه لا أُنكِر

---

(١) رواية هد، هج: «أني اهتديت لركب طال حبسهم» السبسب: المفازة، الدكداك: الأرض فيها غلظ، أو فيها رمل متلبد، أعقاد: أرض شجراء.

(٢) رجحنا رواية هد، هج، وفي ب: «الجرد» بالراء بدل «الجود» بالواو.

(٣) الغور: ما انخفض من الأرض، والإنجاد: سلوك النجود المرتفعة، يريد أن هذا القول سيعم البقاع.

(٤) الأواخي جمع الآخية وهي عروة تربط إلى وتد مدقوق ويشد فيها الشيء، وفي ب: «أراجيه» والأواخي هنا: الأواصر والعرا.

(٥) تقدم هذا البيت على لسان الثعبان الذي عرض لعبيد، فلعل عبيدا سرقه منه.

(٦) يشير طلحة إلى ما فرط من عمر في حق خالد بن الوليد، يوم عزله عن قيادة الجيش عقب توليه الخلافة بعد موت أبي بكر، كأنه يقول له: أتعزله حيا، وتبكيه ميتا؟

من كلامهما شيئاً، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره، وقال له: هل عندك شيء تُطعِمنيه؟ قال: نعم، قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعام، وليس عليه شيء[١]، فذهبا إليه، فكأني أسمع وُلوغَهما في الإناء حتى أكلا ما كان هناك فيه، ثم سأله نبيذاً، فقال: نعم، لهم نبيذ في إناء آخرَ ليس له غطاء، فذهبا إليه فشربا.

الكلاب تتغنى بشعره:

ثم قال له: هل تطربني بشيء؟ قال: إي وعيشك، صوت كان أبو يزيد يغنيه، فيجيده، ثم غناه في شعر عبيد بن الأبرص.

٩٠/١٩

/ صوت

طــاف الخيــالُ علينــا ليلــةَ الــوادي ... لآل أسمــاءَ لــم يُلِمْ لميعــادِ

أنّــى اهتــديــت لركــبٍ طــال سيــرهــمُ ... فــي سَبْسَــبٍ بيــن دَكْــداكٍ وأعقــادِ[٢]

قال: فلم يزل يغنيه هذا الصوت، ويشربان مليًّا، حتى فنِيَ ذلك النبيذ، ثم خرج الكلبُ الداخل، فَخِفْتُ والله على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل، فأمسكتُ، وما أذكر أني سمعت أحسن من ذلك الغناء.

ومما يغنى فيه من شعره قوله:

صوت

لمــن جِمــالٌ قُبيــلَ الصّبــح مــزمُــومَــه ... ميمِّمــاتٌ بــلاداً غيــرَ معلــومــه

فيهــنّ هنــدٌ وقــد هــام الفــؤاد بهــا ... بيضــاءُ آنســةٌ بــالحســن مــوســومــة

[٢٢/٩٥] / الغناء لابن سريج رمل عن يونُس والهشاميّ وحبش.

ومنها[٣] قوله:

صوت

دَرَّ دَرُّ الشبــــاب والشعَــــرِ الأســـ ... ـــود والضّــامــراتِ تحــت الــرِّحــالِ

فــالخنــاذيــذِ كــالقــداحِ مــن الشّــو ... ــطِ يحملــن شِكّــةَ الأبطــالِ[٤]

ليــس رســمٌ علــى الــدّفيــن ببــالٍ ... فَلِــوَي ذِرْوةٍ فجَنْبَــيْ أُثــالِ[٥]

---

(١) يريد أن هذا الطعام ليس في حرز.

(٢) تقدم هذان البيتان، نقول: ويبدو أن عبيد بن الأبرص كان رجل الخوارق، فقد رأينا فمه يحشى بالشعر، فيلهم الشعر وهو نائم، ورأينا الأفاعي تنشده الأشعار ثم ها هو ذا تتغنى بشعره الكلاب.

(٣) ومنها: من الأغاني التي غنى بها من شعره، وليس المراد أن ما يأتي تتمة الأبيات السابقة.

(٤) الخناذيذ: جمع خنذيذ: الشجاع البهمة من الفرسان، الشوحط: شجر صلب الألياف تتخذ منه القسى والقداح، أو هو ضرب من النبع، الشكة: ما يلبس أو يحمل من السلاح.

(٥) أثال: اسم جبل، والبيت لا يخلو من التواء، والذي نراه أنه يريد أن يقول: إن منازل الأحياء تبلى، ولكن رسوم الموتى باقية، فلدى ذروة من الذرا، أو في جانب جبل أثال يكون دفني ودفن سواي، وهذه الأماكن لا يعفى عليها الزمن.

تلك عِرسي قد عيّرتني خِلالي ... ألِبينٍ تريد أم لدلالِ؟[١]

الغناء لطويس خفيف رمل لا شك فيه، وفيه ثقيل أول، ذكر علي بن يحيى أنه لطويس أيضاً، ووجدته في صنعة عبدالعزيز بن عبدالله بن طاهر، وفي الثالث والرابع من الأبيات لدلال خفيف رمل بالبنصر، عن عبدالله بن موسى والهشامي.

/ صوت [٢٢ / ٩٦]

لمن الدّيارُ كأنها لم تُحْلَلِ ... بجنوبِ أسنمةٍ فَقُفِّ العُنْصُلِ

درَسَتْ معالمُها فباقي رَسْمِها ... خَلَقٌ كعنوان الكتاب المُحْوِلِ[٢]

دارٌ لسُعدى إذ سعادُ كأنها ... رشأ غضيضُ الطّرف رَخْصُ المِفْصلِ[٣]

عروضه من الكامل، جنوب أسنمة: أودية معروفة. والقُفّ: الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتد. والعنصل: بصل معروف.

الشعرُ لربيعةَ بنِ مَقْرومٍ الضّبيّ، والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشامي.

* * *



(١) خلالي: خصالي، وهو مفعول ثان «لعيرتني».

(٢) محول: أتت عليه أحوال: سنون.

(٣) رخص المفصل: لينة المفاصل.

[٢٢/٩٧]

/ أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه

اسمه ونسبه:

هو ربيعةُ بنُ مقروم الضّبيُّ بنِ قيس بنِ جابر بن خالد بن عمروِ بنِ عبدالله بنِ السيِّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أُدّ بن طابخةَ بن إلياس بن مُضر بن نزار.

شاعِرٌ إسلامي مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان ممن أصفَقَ[١] عليه كسرى، ثم عاش في الإسلام زماناً.

يهجو ضابىء بن الحارث:

قال أبو عمرو الشيباني:

كان ربيعةُ بن مقروم باع عَجْردَ بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابرِ بن قَطَنِ بنِ نهشل بن دارم ـ لِقْحةً[٢] إلى أجل، فلما بايعه وجد ابنُ مقروم ضابىءَ بن الحارث عند عَجْرد، وقد نهَاه عن إنظاره بالثمن، فقال ابن مقروم يُعرّض بضابىء إنه أعان عليه وكان ضِلعَه[٣] معه:

٩١ / ١٩

/ أَعَجْــرُ ابــنَ المليحــةِ إنَّ همّــي ... إذا مــا لَــجَّ عُــذّالــي لَعَــانِ[٤]

قوله: لعان أي عان من العناء، عناني الشيء يَعنِيني، وهو لي عانٍ.

يَــرى مــا لا أرى ويقــول قــولاً ... وليــس علــى الأمــور بمستعــان

ويحلِــف عنــد صــاحبــه لشَــاةٌ ... أحــبُّ إلــيَّ مــن تلــك الثّمــان[٥]

[٢٢/٩٨]

/ وحــامــل ضــبّ ضِغـنٍ لـم يَضِـرْنـي ... بعيــدٍ قلبُــه حلــوِ اللســان[٦]

ولــو أنــي أشــاء نقَمــتُ منــه ... بِشَغْــبٍ مــن لســانٍ تَيَّحــان[٧]

ولكنــي وصلــتُ الحبــل منــه ... مــواصلــة بحبــلِ أبــي بيــان

---

(١) أصفق عليه: أطبق عليه وحبسه في المشقر.
(٢) اللقحة: الناقة ذات لبن.
(٣) أي: وكان ضلع ضابىء مع عجرد.
(٤) في هد، هج «لعمر أبي المليحة» بدل «أعجر بن المليحة»، وفي هج «إذا ما بح» بدل «إذا ما لج».
(٥) المراد أنه حلاف للأيمان الباطلة.
(٦) الضب: الضغن، وفي ب: «عبء ضغن» ولعل هذه الرواية أنسب، حتى لا يضاف الشيء إلى نفسه.
(٧) الشغب: الشر والخصام، التيحان: من يتعرض للشدائد والمكرمات.

تــرفّــع فــي بنــي قَطَــنٍ وحلّــت ... بيــوتَ المجــد يبنيهــنّ بــانــي[1]

يعني حلّت بنو قطن بيوتَ المجد.

وضَمْــرة إن ضمــرةَ خيــرُ جــارٍ ... إلــى قطَــنٍ بــأسبــابٍ متــانِ[2]

هجــانُ الحــيِّ كــالــذهــب المصفــى ... صبيحــةَ ديمــةٍ يجنيــه جــانِ[3]

قال أبو عمرو: الذهبُ في معدنه إذا جاءه المطر ليلا لاح من غد عند طلوع الشمس فيُتتبّع ويُؤخذ.

يمدح مخلصه من الأسر

قال أبو عمرو: وأُسِرَ ربيعةُ بنُ مقروم واستِيقَ مالُه، فتخلّصه مسعود بن سالم بن أبي سلمى[4] بن ذُبيانَ بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السِّيد، فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله:

كَفَــانِــي أبــو الأشــوسِ المنكــراتِ ... كفــاهُ الإلــهُ الــذي يَحْــذَرُ

أعــزُّ مــن السِّيــدِ فــي منصِــبٍ ... إليــه العَــزازة والمفخــرُ[5]

[٩٩/٢٢] / وقال يمدحه أيضاً:

بَــانَ الخليــطُ فــأمسى القلــبُ معمــودَا ... وأخلفتْــك ابنــةُ الحــرِّ المــواعيــدا[6]

كــأنهــا ظبيــةٌ بِكْــرٌ أطــاع لهــا ... مــن حَــومــلٍ تَلَعَــاتُ الحــيِّ أو أُودا[7]

قــامــت تــريــك غــداةَ البيــن مُنســدِلاً ... تجللــت فــوق متنيهــا العنــاقيــدا[8]

وبــارداً طَيِّبــاً عــذبــاً مَــذاقتُــه ... شــربتُــه مَــزِجــاً بــالظلــم مشهــودا[9]

وجَسْــرةٍ أُجُــد تــدمَــى منــاسمُهــا ... أعْمَلتُهــا بِــيَ حَتــى تَقطَــعَ البيــدا[10]

كلّفتُهــا، فــأتت حتمــاً تكلُّفَهــا ... ظهيــرةً كــأجيــجِ النــار صيخــودا[11]

فــي مهمــةٍ قُــذُفٍ يُخشَــى الهــلاكُ بــه ... أصــداؤه لا تَنِــي بــالليــل تغــريدا[12]

---

(١) فاعل ترفع ضمير «أبي بيان» في البيت السابق، يعني نفسه.
(٢) ضمرة: معطوف على بني قطن في البيت السابق، وفي هج: «علقت له بأسباب متان» بدل «إلى قطن بأسباب متان».
(٣) الهجان: الكريم الحسب، الديمة: السحابة الممطرة.
(٤) في هج: «سلم بن أبي ليلى».
(٥) السِّيد: يطلق على الذئب والأسد، والمراد هنا الثاني.
(٦) الخليط: المخالط من زوج وجار وصديق ونحو ذلك، معمودا: مضني مريضا.
(٧) أطاع لها: اتسعت ودانت لها. تلعات الحي: روابيه العالية، حومل، أود: مكانان. وإنما جر «أود» بالفتحة على معنى بقعة.
(٨) منسدلا: شعرا منسدلا، فاعل تجللت هي يعود على المحبوبة، والمتنان: جانباها، والمراد بالعناقيد عناقيد الشعر.
(٩) الظلم: ماء الأسنان وبريقها، ويريد بالبارد الطيب ريق المحبوبة.
(١٠) جسرة: ضخمة، أي وناقة جسرة، أجد: الناقة الأجد: القوية المتينة الأضلاع. المناسم: جمع منسم: طرف خف البعير أو الناقة.
(١١) صيخودا: شديدة الحرارة، وهي صفة لظهيرة.
(١٢) قذف: مترامي الأطراف، يتقاذف بمن يسلكه، أصداؤه: جمع صدى، وهو طائر يخرج من رأس القتيل ـ فيما يزعم العرب ـ لا يفتأ يصيح قائلا: «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره.

لمّا تشكّت إليّ الأينَ قلتُ لها: لا تستريحنَّ ما لم ألقَ مسعودا[(١)]

ما لم ألاقِ امرأً جَزْلاً مواهبُه رحبَ الفِناء كريمَ الفعل محمُودا

وقد سمعتُ بقوم يُحمَدون فلم أسمع بمثلك لا حِلماً ولا جودا[(٢)]

[٢٢/١٠٠] / ولا عفافاً ولا صبراً لنائبة ولا أُخَبِّرُ عنك الباطلَ السّيدا[(٣)]

السّيد: قبيل الممدوح من آل ضبة.

لا حلمُك الحلمُ موجودٌ عليه، ولا يُلفى عَطاؤك في الأقوام منكودا[(٤)]

وقد سبقتَ لغاياتِ الجواد وقد أشبهتَ آباءك الشُّمَّ الصناديدا

٩٢/١٩ / هذا ثنائي بما أوليتَ مِن حسَنٍ لا زلتَ برًّا قريرَ العينِ محسودًا[(٥)]

يتقاضى دينه بشعر فيقضي

قال أبو عمرو: كان لضابىء بن الحارث البُرْجُمِيّ، على عَجْرَد بن عبد عمرو دينٌ بايعه به نَعَماً، واسْتخار الله في ذلك، وبايعه ربيعة بن مقْروم، ولم يستخر الله تعالى، ثم خافه ضابىء فاستجار بربيعةَ بن مقروم في مطَالبته إياه، فضمن له جواره، فوفّى عَجْردٌ لضابىء، ولم يف لربيعة، فقال ربيعة:

أَعَجْرِدُ إنني من أمانيَّ باطلٍ وقولِ غداً شيخٌ لذاك سؤوم[(٦)]

وإنّ اختلافي نصفَ حولٍ محرَّمٍ إليكم بني هندٍ عليَّ عظيم[(٧)]

فلا أعرفنّي بعد حولٍ محرَّمٍ وقولِ خلا يُشكونَني فألوم[(٨)]

ويلتمسوا وُدّي وعطفيَ بعدما تَناشدَ قولي وائلٌ وتميمُ[(٩)]

[٢٢/١٠١] / وإن لم يكن إلا اختلافي إليكم فإني امرؤٌ عِرضي عليّ كريم

فلا تُفسدوا ما كان بيني وبينكم بني قَطَنٍ إنّ المُليمَ مُليمُ[(١٠)]

فاجتمعت عشيرةُ عَجْرَدٍ عليه، وأخذوه بإعطاءِ ربيعة مالَه، فأعطاه إياه.

---

(١) الأين: التعب والنصب، وفي «المختار»: «لا تستريحين» بلا النافية بدل لا الناهية مع التوكيد كما في ب.
(٢) في ب: «بحلمك» بدل «بمثلك» والمثبت من هد، هج، وهو الصواب.
(٣) الباطل: مفعول ثان لأخبر، والسيد: مفعول أول متأخر.
(٤) موجود عليه: من الوجد بمعنى الغيظ والاضطغان.
(٥) «المختار»، هد، هج: «لا زلت عوض» بدل «لا زلت براً» وعوض: ظرف زمان بمعنى أبداً.
(٦) شيخ: خبر إني: يريد أنه يسأم التسويف والأماني الباطلة.
(٧) أضافة السنة إلى أول شهورها فقال: «نصف حول محرم» يقول: لقد ترددت عليكم نصف عام في طلب ديني، وهذا كثير.
(٨) يشكونني: مضارع أشكاه: أزال أسباب شكواه، يقول: لا يكن منهم أنهم ينصفونني، ويردون إلى ديني بعد مرور عام، وبعد أن سار شعري فيهم، فألوم نفسي على ما قلت.
(٩) هذا البيت تتمة ما قبله، أي وحينئذ يلتمسون ودي بعد أن ذهب شعري فيهم مذهب الأمثال، وحذفت نون «ويلتمسوا» بعد واو المعية الواقعة بعد النهي في البيت السابق «لا أعرفني».
(١٠) المليم: من أتى عملا يستحق عليه اللوم، يريد أن يقول: إن المذنب هو المذنب، فلا يلق المذنب التبعة على سواه.

حماد الراوية يثري على حسابه :

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني حمّادُ بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عَديّ، عن حمّاد الرّاوية، قال:

دخَلتُ على الوليد بن يزيدَ، وهو مُصطبِح، وبين يديه معبد، ومالك، وابن عائشة وأبو كامل، وحكم الوادي، وعمر الوادي يُغنّونه، وعلى رأسِه وصيفة تَسقيه، لم أرَ مثلها تماماً وكمالا وجمالاً. فقال لي: يا حماد، أمرتُ هؤلاء أن يغنُّوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة، وجعلتُها لمن وافق صفتها نِحْلةً[1]. فما أتى أحدٌ منهم بشيء، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها، وهي لك؛ فأنشدته قولَ ربيعةَ بن مقروم الضّبّيّ:

دارٌ لسُعْدى إذ سُعاد كأنّها ... رَشأٌ غريرُ الطّرفِ رخص المِفْصَلِ[2]

شَمَّاءُ واضحةُ العوارضِ طَفلةٌ ... كالبدر من خَلَل السحاب المنجلي[3]

وكأنما ريحُ القَرَنفُلِ نَشرُها ... أو حَنْوَةٌ خُلِطَتْ خُزامى حَوْملِ[4]

وكأنّ فاها بعدما طرَق الكرى ... كأسٌ تُصَفَّق بالرحيق السّلسل

/لو أنها عرضت لأشْمَطَ راهبٍ ... في رأس مُشرفةِ الذُّرا متبتّلِ[5] [١٠٢/٢٢]

جارٍ ساعاتِ النّيامِ لربّهِ ... حتى تخدّدَ لحمُه مُستعمِلِ[6]

لصَبَا لبهجتها وحُسنِ حديثها ... ولهمَّ من ناموسه بتنزُّلِ[7]

فقال الوليد: أصبتَ وصفَها، فاخترها أو ألفَ دينار، اخترت الألف الدينار، فأمرها، فدخلت إلى حرمه وأخذتُ المال.

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيّدِه وحسَنِه، فمن مختارها ونادرها قوله:

صوت

بل إنْ تَرَيْ شَمَطاً تفرَّعَ لِمَّتي ... وحَنا قناتي وارتقى في مِسْحَلي[8]

---

(١) نحلة: عطاء.

(٢) هذا البيت تكملة من المختار.

(٣) العوارض: جمع عارضة: الثنية من الأسنان، أو صفحة الخد، طفلة: ناعمة رخصة.

(٤) الحنوة: الريحانة، الخزامى: نبات عطري الرائحة، حومل: اسم مكان يقول: كأن ريحها ريح القرنفل، أو ريح الريحان المخلوط بخزامى حومل.

(٥) الأشمط: المختلط سواد شعره ببياض، في رأس مشرفة الذرا: في رأس قمة عالية، متبتل: متعبد، وجواب الشرط فيما يأتي.

(٦) جآر: مبالغة من جار: رفع صوته والمراد رفع الصوت بالتسبيح ونحوه، وهو صفة لأشمط في البيت السابق، تخدد لحمه: تشقق من كثرة قيام الليل، مستعمل: مستعمل أعضاءه في أعمال التعبد، وربما كانت «بتعمل» بمعنى متكلف العمل، مرغم نفسه عليه.

(٧) لصبا: جواب «لو» في البيت الرابع، الناموس: بيت الراهب. وخلاصة المعنى أن هذه الفاتنة لو عرضت لراهب هذه صفته لمال إليها، وكاد يولي وجهه شطرها لا شطر القبلة.

(٨) الخطاب في البيت لمحبوبته أو زوجته، الشمط: ابيضاض يخالط سواد الشعر، تفرع لمتي: انتشر، وتفشى فيها، حنا قناتي: قوس ظهري، المسحل: جانب اللحية.

وَدَلَفْتُ مِن كِبَرٍ كأنِّي خاتِلٌ قَنَصاً ومَن يَدْبِبْ لصيدٍ يخْتِلِ[1]
فلقد أُرَى حَسَنَ القَناةِ قَوِيمَها كالنَّصْلِ أخلصه جَلاءُ الصَّيقَلِ[2]
أزمانَ إذْ أنا والجديدُ إلى بِلىً تُصبِي الغواني مِيْعَتي وتَنَقُّلي[3]

[١٠٣/٢٢] / غنى بذلك معبد ثقيلا أول:

[٩٣/١٩] / ولقد شهِدْتُ الخيلَ يومَ طِرادِها بِسَليمِ أَوظِفةِ القوائِمِ هَيْكَلِ[4]
متقاذِفٍ شَنِجِ النَّساعَبْلِ الشَّوى سبَّاقِ أندية الجيادِ عَمَيْثَلِ[5]
لولا أكفكِفُه لكان إذا جرى منه العزيمُ يدقُّ فأسَ المِسحلِ[6]
وإذا جرى منه الحميمُ رأيتَه يهوِي بفارِسه هُوِيَّ الأجدلِ[7]
وإذا تَعلَّلُ بالسِّياطِ جيادُها أعطاك نائيَه ولم يتعلّلِ[8]
ودعَوْا: نَزالِ فكنتُ أولَ نازلٍ وعلامَ أركبُه إذا لم أنزلِ؟
ولقد جمعتُ المالَ من جَمْعِ امرئٍ ورفعتُ نفسِي عن لَئِيمِ المأكلِ[9]
ودخلتُ أبنيةَ الملوك عليهمُ ولَشَرُّ قولِ المرءِ ما لم يُفعَلِ
ولَرُبَّ ذي حَنَقٍ عليَّ كأنما تَغْلي عداوةُ صَدْرِه كالمِرْجلِ[10]
[١٠٤/٢٢] / أزْجَيْتُه عنّي فأبصرَ قصدَه وكَوَيتُه فوقَ النَّواظرِ من عَلِ[11]
وأخِي مُحافظةٍ عَصَى عُذّالَه وأطاعَ لذَّتَه مُعِمٍّ مُخْوِلِ

---

(١) الختل: الخداع، شبه مشية الشيخ الوئيدة بمشية من يريد مباغتة الطير ليصيده، فهو يتئد في سيره، حتى لا يحدث حركة.
(٢) البيت جواب «أن ترى شمطا» حسن القناة: مفعول ثان «لأرى» بالبناء للمجهول، يقول: إن شوه الشيب منظري اليوم فقد كنت بالأمس حسن القوام.. الخ.
(٣) جملة «والجديد إلى بلى» معترضة بين المبتدأ وخبره، الميعة من كل شيء: أوله، والمراد هنا عهد الشباب.
(٤) سليم: صفة موصوف محذوف أي: بفرس سليم.. الخ. أوظفة: جمع وظيف: مستدق الذراع والساق من الفرس ونحوه، هيكل: ضخم.
(٥) متقاذف: سريع، شنج: منقبض، النِسا: عصب الورك يمتد منه إلى الكعب، عبل الشوى: مندمج الأطراف، عميثل: ضخم قوي، «أندية الجياد» نرجح أنها تحريف أبدة الجياد أي: سباق الجياد الشاردة.
(٦) العزيم: الجري، المسحل: اللجام، فأس المسحل: حديدته التي في حنك الفرس، يقول: لولا أنني أزجره، وأخفف من وطأة سيره لقضم فأس اللجام، وفي هد، هج، و«المختار»: «الشكيم» بدل «العزيم».
(٧) الحميم: العرق، الأجدل: الصقر، وسيلان العرق: كناية عن الحمو والإيغال في العدو.
(٨) جيادها: جياد الخيل، أي إذا احتاج جياد الخيل إلى السياط أعطاك هو المكان النائي دون حاجة إليها، وفي هج: «أعطاك ثانية» بدل «أعطاك نائية».
(٩) تنكير امرىء هنا للتعظيم، أي: من جمع امرىء عظيم كريم وفي هج «لئيم المنزل».
(١٠) في «المختار»، هد، هج: «ولد ذي حنق».
(١١) أزجيته: دفعته، وفي بعض النسخ: «أوجيته» والمعنى واحد.

هشٌّ يُراحُ إلى النَّدى نبّهتُه ... والصبحُ ساطِعُ لونه لم يَنْجلِ (١)

فأتيتُ حانوتا به فصبَّحتُه ... من عاتقٍ بمزاجها لم تُقتلِ (٢)

صهباءَ إِلْياسِيَّةٍ أغلى بها ... يَسَرٌ كريمُ الخِيمِ غيرُ مُبَخَّلِ (٣)

ومُعَرَّسٍ عُرْضَ الرداء عَرَسْتُهُ ... من بعد آخرَ مثلِه في المنزلِ (٤)

ولقد أصبتُ من المعيشة لينَها ... وأصابني منه الزمانُ بكلكلِ

فإذا وذاك كأنه ما لم يكن ... إلا تذكُّره لمن لم يجهلِ (٥)

ولقد أتتْ مائةٌ عليَّ أعدُّها ... حَوْلاً فحولا لا بَلاها مُبْتلِ

فإذا الشَّباب كمِبْذَلٍ أنضيتُه ... والدهرُ يُبلي كلَّ جِدَّةِ مِبْذَلِ (٦)

هلّا سألتِ وخُبْرُ قومٍ عندهم ... وشفاءُ غَيِّكِ خابرا أن تسألي (٧)

هل نُكرِمُ الأضيافَ إنْ نزلوا بنا ... ونسودُ بالمعروف غيرَ تنحُّلِ؟ (٨)

/ ونحُلّ بالثغر المخوفِ عَدوُّه ... ونَرُدُّ حالَ العارضِ المتهلّلِ (٩) [١٠٥/٢٢]

ونُعِينُ غارمَنا ونمنع جارَنا ... ونَزينُ مولى ذِكرِنا في المحفِلِ (١٠)

وإذا امرؤٌ منا جَنَى فكأنَّه ... مما يُخافُ على مناكبِ يَذْبُلِ (١١)

ومتى تَقُمْ عند اجتماعِ عشيرةٍ ... خطباؤنا بين العشيرة يُفْصَلِ (١٢)

ويرى العدوُّ لنا دروءاً صعبةً ... عند النجوم منيعةَ المتأوّلِ (١٣)

(١) يراح إلى الندى: يرتاح إليه، وفي «المختار»: «ساطع ضوئه».
(٢) العاتق: الخمر المعتقة.
(٣) إلياسية: نسبة الى إلياس، ولعله اسم الخمار، وفي هد، هج: «صافية القذى» بدل «إلياسية» يسر: سهل سمح، أو يلعب الميسر، وفي «المختار»: «إيليسية».
(٤) المعرس: مكان التعريس: الإقامة ليلا، وفي هج: «عرض الندى» بدل «عرض الرداء».
(٥) لعل الأحسن «فإذا هذا وذاك» فحذف المعطوف عليه، وقد تكون «فإذا» تحريف «هذا» فلا نحتاج إلى تقدير.
(٦) المبذل: الثوب يلبس في المهنة.
(٧) جملتا «وخبر قوم.. إلخ البيت» اعتراض بين السؤال والمسؤول عنه، خابرا: مفعول مقدم لقوله: «أن تسألي».
(٨) غير تنحل: غير ادعاء وكذب. ويروى: غير تبخل.
(٩) العارض المتهلل: السحاب المعترض في الأفق، ولعله يقصد به الجيش العرمرم.
(١٠) المولى: من معانيه الصديق، يريد أن الصديق إذا ذكرهم في محفل وجد ما يقوله.
(١١) يذبل: اسم جبل.
(١٢) يفصل: جواب «متى»، يريد أن خطباءهم أرباب القول الفصل في الخصومات التي تقع بين العشائر. وفي «المختار»: تفصل.
(١٣) الدروء: جمع درء، وهو النتوء في الجبل، المتأول: من تأول الأمر: توسمه وتحراه، يريد أن لهم مراكب وعرة، لا يتوسعها أو يتحرى سلوكها إنسان.

وإذا الحَمـالـةُ أثقلـت حُمَّـالَهـا فعلـى سـوائمنـا ثقيـلُ المحمِـلِ (1)

ونحُـقُّ فـي أمـوالنـا لحليفنـا حقًّـا يبـوء بـه وإن لـم يَسْـأَلِ

وهذه جملةٌ جمعتُ فيها أغانيَ من أشعار اليهود، إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة، فمن ذلك:

[١٠٦/٢٢]

صـوت

أنّـى تَـذَكَّـر زينـبَ القلـبُ وطِـلابُ وصـلِ عـزيـزةٍ صَعْـبُ

/ مـا رَوْضَـةٌ جـاد الـربيـع لهـا مـوشيّـةٌ مـا حـولهـا جـدْبُ

٩٤/١٩

بـألـذّ منهـا إذ تقـول لنـا سيـراً قليـلا يَلْحـقِ الـركـبُ (2)

الشعر لأوْس بن دَبْي القرظي، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وزعم عمرو أن فيه لحنا من الثقيل الأول بالوسطى لمالك، وأن فيه صنعة لابن محرز، ولم يجنسها.



(1) الحمالة: ما يحمل في الديات ونحوها، السائمة: الماشية، يريد أن إبلهم تتكفل بأداء الحمالات المطلوبة، وإن ثقل محملها.

(2) سيرا: مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: سيروا على مهل حتى نلحق بكم: رفقا بالقوارير.

[١٠٧/٢٢]

/ أخبار أوس ونسب اليهود النازلين بيثرب وأخبارهم

أوس بن دُبَي اليهوديُّ رجل من بني قُرَيْظَة، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم: الكاهنان، وهم من ولد الكاهن ابن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران صلى الله على محمد وآله وعليهما، وكانوا نزولا بنوَاحِي يثربَ بعد وفاة موسى ابنِ عمرانَ عليه السلام، وقبل تفرق الأزد عند انفجار سيل العرم ونزول الأوس والخزرج بيثرب.

العمالقة في المدينة

أخبرني بذلك عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ، عن جعفر بن محمد العاصي[١] عن أبي المنهال عُيَيْنَةَ بن المنهال المهلبي، عن أبي سليمان: جعفر بن سعد، عن العِماري، قال:

كان ساكنُو المدينة في أول الدهر قبل بني إسرائيل قوما من الأمم الماضية، يقال لهم: العماليق، وكانوا قد تفرقوا في البلاد، وكانوا أهل عز وبغي شديد، فكان ساكِنِي المدينةِ منهم بنُو هفّ[٢] وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق، وكان ملكَ الحجاز منهم رجلٌ يقال له: الأرقم، ينزل ما بين تَيْماءَ إلى فَدَك، وكانوا قد ملئوا المدينة، ولهم بها نخل كثير وزروع، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابرة من أهل القرى يغزونهم، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشا من بني إسرائيل، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهروا عليهم، ولا يَستبقُوا منهم أحداً، فقدم الجيشُ الحجازَ، فأظهرهم الله عز وجل على العماليق، فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأرقم؛ فإنه كان وضيئا جميلا، فضنُّوا به على القتل، وقالوا: نذهب به إلى موسى بن عمران، فيرى فيه رأيه، فرجعوا إلى الشام، / فوجدوا موسى ـ عليه السلام ـ قد توفي، فقالت لهم بنو اسرائيل: ما صنعتم؟ فقالوا: أظهرنا [١٠٨/٢٢] الله جل وعز عليهم، فقتلناهم، ولم يبق منهم أحد غيرُ غلام كان شابا جميلا، فَنفِسْنَا به عن القتل، وقلنا: نأتي به موسى عليه السلام، فيرى فيه رأيه، فقالوا لهم: هذه معصية: قد أُمِرتم ألاّ تَسْتَبْقُوا منهم أحدا، والله لا تدخلون علينا الشام أبداً.

أول استيطان اليهود المدينة

فلما مُنِعوا ذلك قالوا: ما كان خيرا لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز؛ نرجع إليهم[٣]، فنقيم بها، فرجعوا على حاميتهم، حتى قدموا المدينة، فنزلوها، وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة، فانتشروا في نواحي المدينة كلها إلى العالية، فاتّخذوا بها الآطام[٤] والأموال والمزارع، ولبثوا بالمدينة زمانا طويلا.

---

(١) في هج: «محمد بن عاصم» وفي هد: «محمد العاصمي».
(٢) في هج: «بنو نعف».
(٣) في بعض ب: «يرجع اليها».
(٤) الآطام: جمع أطم بضمتين، أو أطم بضم فسكون: الحصون، أو كل بناء مرتفع.

بنو قريظة النضير يلحقون بإخوانهم

ثم ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعاً بالشام، فوطئوهم، وقتلوهم، ونكحوا نساءهم فخرج بنو النَّضير وبنو قريظة وبنو بَهْدَل[١] هاربين منهم إلى مَنْ بالحجاز من بني إسرائيل لمّا غلبتهم الروم على الشام، فلما فَصَلوا عنها بأهليهم بعث ملكُ الروم في طلبهم؛ ليردهم، فأعجزوه، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوزَ، فلم بلغ / طلبُ الروم التمر[٢] انقطعت أعناقهم عطشا، فماتوا، وسمي الموضع تمر الروم، فهو اسمه إلى اليوم، فلما قدم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابةَ، فوجدوها وَبِيّة[٣] فكرهوها، وبعثوا رائدا أمروه أن يلتمس منزلا سواها، فخرج حتى أتى العالية، وهي بُطحانُ ومَهْزُورٌ: واديان من حَرَّة على تلاع أرض عذبة، بها مياه عذبة تنبت حُرَّ الشجر، فرجع إليهم، فقال: / قد وجدتُ لكم بلداً طيبا نَزِها على حَرّة يصب فيها واديان على تلاع عذبة ومَدرةٍ[٤] طيبة في مُتأخَّر الحرة ومدافع الشَّرْج، قال: فتحوّل القومُ إليها من منزلهم ذلك، فنزل بنو النضير ومن معهم على بُطحانَ، وكانت لهم إبل نواعم، فاتخذوها أموالا، ونزلت بنو النضير ومن معهم على بُطحانَ، وكانت لهم إبل نواعم، فاتخذوها أموالا، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور، فكانت لهم تِلاعُهُ وما سقي[٥] من بُعاثَ وسموات[٦]، فكان ممن يسكن المدينة - حين نزلها الأوس والخزرج - من قبائل بني إسرائيل بنو عكرمة[٧]، وبنو ثعلبة، وبنو محمر[٨]، وبنو زغورا[٩]، وبنو قينقاع، وبنو زيد، وبنو النضير، وبنو قريظة، وبنو بهدل، وبنو عوف، وبنو الفصيص[١٠]، فكان يسكن يثرب جماعةٌ من[١١] أبناء اليهود، فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود، وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة، ولهم كان الأُطُمُ الذي يقال له: الخال.

٩٥/١٩

[٢٢/١٠٩]

بطون من العرب بالمدينة

وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم: بنو الحرمان[١٢]: حي من اليمن، وبنو مَرْثد حي من بليّ، وبنو أُنَيْف من بليّ أيضاً، وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بَهْثَة، وبنو الشظية: حي من غسّان، وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود: الكاهنان، نُسِبوا بذلك إلى جدهم الذي / يقال له الكاهن، كما يقال: العُمَران والحسنان والقمرانّ[١٣]، قال كعبُ بن سعد القرظيّ:

[٢٢/١١٠]

(١) في بعض النسخ: «هدل».
(٢) في هد، هج: «الثمد».
(٣) وبية: تخفيف وبيئة - بالهمز - بمعنى كثر فيها الوباء.
(٤) مدرة: تربة.
(٥) لعلها «وما بقي» بدل «وما سقي».
(٦) في ب: «سمرات» وفي آخر: «سمران».
(٧) في هد، هج؛ «بنو عكوة».
(٨) في ب: «محمم».
(٩) في ب: «بنو زعورا» بالعين المهملة بدل «بنو زغورا» وفي أخرى: «بنو زرعوا».
(١٠) في هد، هج: «بنو القصص».
(١١) في هد. هج: «جماع من أمناء اليود».
(١٢) في هد: «بنو الحرماء».
(١٣) العمران: أبو بكر وعمر، والحسنان: الحسن والحسين، والقمران: الشمس والقمر، ويسمى هذا في اللغة التغليب.

بـالـكـاهِنَيـن قـررتـمْ فـي ديـارِكُـمُ ... جمّـا ثـواكـم ومـن أجـلاكـم جَـدِبًـا[١]

وقال العبّاس بن مرداس السُّلمي يردّ على خَوّات بنِ جبير لمّا هجاهم:

هجـوتَ صـريـحَ الكـاهنَيـن وفيكـمُ ... لهـم نِعَـمٌ كـانـت مـدى الـدهـر تُـرْتُبـا[٢]

عرب آخرون يلحقون بإخوانهم

فلما أرسل الله سيلَ العرم على أهل مأرب، وهم الأزد، قام رائدهم فقال: من كان ذا جَمَل مِفَنّ ووطب مدنّ وقربَة وشنّ، فلينقلب عن بقرات النعم، فهذا اليوم يومُ همّ[٣] وليلحق بالثّنى من شنّ - قال وهو بالسراة - فكان الذين نزلوه أزد شنوءة، ثم قال لهم: ومن كان ذا فاقة وفقر، وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مُرّ، فكان الذين سكنوه خزاعة، ثم قال لهم: من كان منكم يريد الخمر والخمير، وَالأمر والتأمير، والديباج والحرير، فليلحق بِبُصْري والحفير، وهي من أرض الشام، فكان الذين سكنوه غسّان ثم قال لهم: ومن كان منكم ذا همٍّ بعيد وجمل شديد، ومزاد جديد، فليلحق بقصر عُمَان الجديد، فكان الذين نزلوه أزد عمان، ثم قال: ومن كان يريد الراسخاتِ في الوَحلْ، المطعماتِ في المحْل، فليلحق بيثرب ذات النخل. فكان الذين نزلوها الأوسَ والخزرج، فلما توجهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا / في صِرار[٤] ثم تفرقوا، وكان منهم من لجأ إلى عَفاءٍ[٥] من أرض لا ساكن فيه، فتنزلوا [١١١/٢٢] به، ومنهم من لجأ إلى قرية من قُراها، فكانوا مع أهلها، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي / نزلوها [٩٦/١٩] بالمدينة في جهد وضيق في المعاش، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة؛ لأن المدينة ليست بلاد نَعَم، وليسوا بأصحاب نخل ولا زرع، وليس للرجل منهم إلا الأعْذَاقُ[٦] اليسيرة، والمزرعة يستخرجها من أرض موات، والأموال لليهود، فلبثت الأوس والخزرج بذلك حينا.

أبو جبيلة يفتك باليهود

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى أبي جُبَيْلة الغَسّاني وهو يومئذ مَلِك غسان، فسأله عن قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم؛ وضيق معاشهم، فقال له أبو جبيلة: والله ما نزل قوم منا بلدا قط إلا غلبوا أهله عليه، فما بالكم؟ ثم أمره بالمضي إلى قومه، وقال له: أعلِمهم أني سائر إليهم، فرجع مالك بن العجلان، فأخبرهم بأمر أبي جُبَيْلة؛ ثم قال لليهود:

إن الملكَ يريد زيارتكم فأعِدُّوا نُزُلاً فأعدّوه، وأقبل أبو جبيلة سائرا من الشام في جمع كثيف، حتى قدم المدينة، فنزل بذي حُرُض، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج، فذكر لهم الذي قدم له، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسَهم وأشرافهم، وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصّنوا في آطامهم، فَيَمْتَنعوا منه حتى يطول حصاره إياهم،

---

(١) جما ثواكم: كثيرة إقامتكم، وفي هد، هج بدل المصراع الثاني: «إذ فرقوا هام من أجلاكمو حدبا».

(٢) ترتبا: أمرا ثابتا.

(٣) المفن: ذو الفن، فلعله يعني تفنن الجمل في ضروب السير. الوطب: الإناء يسقى فيه اللبن وغيره، ولعلها «ووطب ودن»، يوم هـم: يوم همة وعزيمة.

(٤) صرار: موضع على قرب من المدينة.

(٥) عفاء: يباب.

(٦) الأعذاق: جمع عذق - بفتح العين - وهو النخلة بحملها.

فأمر ببنيان حائرٍ[١] واسع، فبُني، ثم أرسل إلى اليهود: أن أبا جبيلة الملكَ قد أحب أن تأتوه، فلم يبق وجهٌ من وجوه القوم إلا أتاه، وجعل الرجل يأتي معه بخاصّته وحشمه رجاء أن يحبُوَهم، فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالا من جنده أن يدخلوا الحائر، ويدخلوهم / رجلا رجلا، فلم يزل الحجّاب يأذنون لهم كذلك، ويقتلُهم الجند الذين في الحائر، حتى أتوا على آخرهم [١١٢/٢٢]

سارة القريظية ترثي قومها

فقالت سارة القريظية ترثي مَنْ قُتل، منهم أبو جُبيلْة، تقول:

بنفسي أمّةٌ لم تُغْنِ شيئاً ... بذي حُرُضٍ تُعفّيها الرياحُ
كُهولٌ من قُريظة أتلفَتْها ... سيوفُ الخزرجيّة والرّماحُ
رُزِئنا والرزيّة ذات ثِقْلٍ ... يَمُرُّ لأهلها الماءُ القَراحُ
ولو أربوُ بأمرهمُ لجالت ... هنالك دونهم جَأْوَا رَداحُ[٢]

الرمق يمدح أبا جبيلة

وقال الرّمق[٣]، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جُبيلة الغساني:

لم يَقْضِ دَيْنُك في الحسا ... نِ وقد غَنِيتَ وقد غَنِينا[٤]
الرّاشقاتِ المرشقا ... تِ الجازياتِ بما جُزِينا[٥]
أمثالَ غزلانِ الصرا ... ئِمِ يأتزرن ويرتدينا[٦]
/ الرَّيْطَ والدِّيباجَ ... والزَّرْدَ المضاعفَ والبُرِينا[٧] [١١٣/٢٢]
وأبو جُبيلة خيرُ من ... يمشي وأوفاهم يَمينا
وأبَرُّه بِرًّا وأعْلَـ ... ـمهُ بعلم الصالحينا[٨]
أبقت لنا الأيامُ ... والحَربُ المهمَّةُ تعترينا
كبشاً لنا ذَكَراً يفُلُّ ... حسامُه الذكرَ السَّنِينا[٩]

---

(١) الحائر: المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف يجتمع فيه الماء، فيتحير، ولا يخرج.

(٢) أربو: كانوا من ذوي الأرب ـ بفتح الهمزة وكسرها مع سكون الراء ـ بمعنى الفطنة والحذق، الجأوا: مقصور الجأواء: من أوصاف الكتيبة، رداح: كثيرة العدد، وفي بعض المراجع ورد البيت على هذا النحو:

ولو أذنوا بحربهم لجالت ... هنالك دونهم حرب رداح

(٣) في بعض النسخ: «الوسق» وفي آخر: «الربيق».

(٤) غنيت، غنين: أقمت وأقمن: من غنى بالمكان أقام به، أي: لم تنل مرادك من الحسان من غير نأي ولا بعد، فأنت وهن في مكان واحد.

(٥) الراشقات: الراميات بسهام العيون، المرشقات: من أرشق الظبي: مد عنقه.

(٦) الصرائم: جمع صريمة: القطعة من الرمل.

(٧) الريط: مفعول يرتدين في البيت السابق، وهي الثياب اللينة الرقيقة، وفي هد، هج: «الخمل» بدل «الزرد» وهو أنسب، والخمل: القطيفة ونحوها. والبرين، جمع برة: الحلقة من سوار أو خلخال أو حلق ونحو ذلك.

(٨) في هد، هج: «بفعل الصالحينا».

(٩) الكبش: سيد القوم المدافع عنهم، الذكر السنين: السيف المسنون، وفي ب: «الثمين» بدل «السنين» وهو تحريف.

ومعـــــاقــــلا شُمَّـــــا وأسيـ افـــــا يقُمـــــــن وينحنينـــــا

/ ومحلَّـــــــــة زوراء تُـــــــــــ جِـــف بـــالـــرجـــال المُصلتينـــا[١]

٩٧/١٩

بقية خبر أبي جبيلة

فلما أنشدوا أبا جُبَيْلة ما قال الرمق، أرسل إليه، فجيء به، وكان رجلا ضئيلا غير وضيء، فلما رآه قال: «عسل طيب ووعاء سوء»، فذهبت مثلا، وقال للأوس والخزرج: إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم، ثم رحل إلى الشام.

وقال الصامت بن أصرم النَّوْفليّ يذكر قَتْل أبي جبيلة اليهود:

ســائــل قُــريظــةَ مَــن يُقَسِّــم سَبْيَهــا يــوم العُــرَيْــض ومــن أفــاء المغنمــا؟

جـــاءتهـــمُ الملحـــاءُ يخفِـــق ظلُّهـــا وكتيبـــةٌ خشنـــاءُ تـــدعـــو أسلمـــا[٢]

عمِّـي الـــذي جلـــب الهمـــامَ لقـــومـــه حتـــى أحـــلّ علـــى اليهـــود الصَّيْلمَـــا[٣]

/ يعني بقوله: «مَن يقسِّم سبيَها» نسوةً سباهنّ أبو جُبَيْلة من بني قريظة، وكان رآهن فأعجبنه، وأعطى مالك بن العجلان منهن امرأة. [١١٤/٢٢]

مالك بن العجلان يقتفي أثر أبي جبيلة

قال أبو المنهال أحدُ بني المعلَّى: إنهم أقاموا زمنا بعدما صنع، ويهود تعترض عليهم، وتُنَاوِئهم، فقال مالك ابن العجلان لقومه: والله ما أثخنَّا يهودَ غلبةً كما نريد، فهل لكم أن أصنع لكم طعاما، ثم أرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود، فإذا جاءوني فاقتلوهم جميعاً، فقالوا: نفعل، فلما جاءهم رسول مالك قالوا: والله لا نأتيهم أبداً، وقد قَتَل أبو جُبَيْلة منا مَنْ قتل، فقال لهم مالك: إن ذلك كان على غير هوًى منا، وإنما أردنا أن نمحوَه، وتعلموا حالَكم عندنا، فأجابوه، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقُتِل، حتى قَتَل منهم بضعة وثمانين رجلا، ثم إن رجلا منهم أقبل حتى قام على باب مالك، فتَسَمَّع فلم يسمع صوتا فقال: أرى أسرَعَ وِرْدٍ وأبعدَ صَدَرٍ[٤]، فرجع وحَذّر أصحابه الذين بَقُوا، فلم يأتِ منهم أحدٌ، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان:

فَسفُهْـــــــتَ قَيْلَـــــــةَ أحـــــــلامَهـــــــا ففيمَـــــن بقيـــتَ وفيمـــــن تَســـــودْ؟[٥]

فقال مالك:

فـــإنّـــي امـــرؤ مـــن بنـــي ســـالـــم بْـــنِ عَـــوْفٍ وأنـــت امـــرو مـــن يهـــودْ

قال: وصَوّرت اليهود مالكا في بِيَعِهَم وكنائِسهم، فكانوا يلعنونه كلما دخلوها، فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله:

(١) زوراء: بعيدة، يريد بعيدة المنال، المصلتين: المجردين سيوفهم.
(٢) الملحاء: الكتيبة العظيمة، الخشناء: كثيرة السلاح.
(٣) الصيلم: الداهية الشديدة، أو اسم من أسماء السيف، وفي ب: «عي» بدل «عمي» وهو تحريف.
(٤) يريد إن دخل لا يرجع.
(٥) قيلة: أم الأوس والخزرج، أحلامها: بدل من قيلة. وفي ب بدل المصراع الأول «تسقيت قبلة أخلافها» وهو تحريف.

تَحـامـى اليهـودِ بتَلْعـاتهـا تَحـامِـي الحميـرِ بـأبـوالهـا[1]
[١١٥/٢٢] / فمـاذا علـيَّ بـأن يلْعَنـوا وتـأتـي المنـايـا بـأذلالهـا[2]

اليهود يذلون للعرب

قال: فلما قَتل مالكٌ من يهود مَنْ قَتل ذلّوا؛ وقلّ امتناعُهم؛ وخافوا خوفا شديدا؛ وجعلوا كلما هاجهم أحدٌ من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمشِ بعضُهم إلى بعض، كما كانوا يفعلون قبل ذلك، ولكن يذهب اليهوديّ إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول: إنما نحن جيرانكم ومواليكم، فكان كل قوم من يهود قد لجئوا إلى بطن من الأوس والخزرج، يتعززون بهم.

يهودية تعتنق الإسلام

وذكر أبو عمر والشيباني أن أوسَ بنَ دِبِّيّ القرظي كانت له امرأة من بني قريظة أسلمت وفارقته، ثم نازعتها نفسها إليه، فأتته، وجعلت ترغبه في الإسلام، فقال فيها:

دَعتْنِـي إلـى الإسـلام يـومَ لِقيتُهـا فقلـت لهـا: لا بـل تعـالَـيْ تهـوَّدِي
فنحـن علـى تـوراة مـوسـى ودينـه ونِعـم لعمـري الـديـنُ دِيـنُ محمـد
٩٨/١٩ / كـلانـا يـرى أن الـرّسـالـةَ دِينُـهُ ومـن يُهْـدَ أبـوابَ المـراشـد يَـرْشُـدِ[3]

ومن الأغاني في أشعار اليهود:

[١١٦/٢٢] / **صوت**

أعـاذلتـي ألاَ لاَ تَعـذِلينـي فكـم مـن أمـرِ عـاذلـةٍ عَصَيْـتُ
دَعِينـي وارشُـدي إن كنـتُ أَغْـوَى ولا تغـوَيْ زعمـتِ كمـا غـوِيـتُ
أعـاذلَ قـد أطلـتِ اللّـومَ حتّـى لـوَ أنّـي مُنْتَـهٍ لقـد انتهيـتُ
وحتـى لـو يكـونُ فتَـى أُنـاسٍ بكـى مـن عَـذل عـاذلـةٍ بكَيْـتُ
وصفـراءَ المعـاصِـم قـد دعتنـي إلـى وصـلٍ فقلـت لهـا: أبَيْـتُ
وزِقٍّ قـد جـررتُ إلـى النّـدامـى وزِقٍّ قـد شَـرِبـت وقـد سَقيـتُ

الشعر للسموءل بن عاديا ـ فيما رواه السكري عن الطوسيّ ـ ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلاّم، والغناء

(١) تحامى: مصدر تحامي، يريد أنهم يطلبون الحماية بلعنه في الكنائس كما تحمي الحمير نفسها ببولها، وفي ب «تخاني» ـ بالنون ـ وهو تحريف.
(٢) أذلال: جمع ذل ـ بفتح الذال ـ بمعنى الطريق الممهد. أي وماذا يضيرني من لعنهم والمنايا تسير في طرقها إليهم؟ (أو سمعتهم سبّا وراحوا بالإبل).
(٣) في هد. هج: «الرشادة» بدل «الرسالة».

لابن محرز خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول والثاني والرابع والخامس من الأبيات؛ وزعم ابن المكي أنه لمعبد، وزعم عمرو ابن بانة أنه لمالك، ولِدَ حمّان أيضاً في الأول والثاني والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكي أن هذا الرمل لابن سريج، وفي الأول والثاني والسادس رمل بالوسطى، لأبي عبيد مولى فَائِد ثاني ثقيل عن يحيى المكي، وزعم الهشامي أن الرمل لعبد العزيز الدفاف.



[١١٧/٢٢]

/ أخبار السموءل ونسبه

نسبه

هو السموءل بن عُرَيض بن عاديا، بن حباء[1]، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكري عن الطوسي وابن حبيب، وذكر أن الناس يُدرِجون عُرَيضا في النسب، وينسبونه إلى عاديا جده، وقال عمر بن شبة: هو السموءل بن عاديا، ولم يذكر عريضا.

وحكى عبدالله بن أبي سعد عن دارم بن عقال ـ وهو من ولد السموءل ـ أن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب ابن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء، وهذا عندي محال؛ لأن الأعشى أدرك شريح بن السموءل وأدرك الإسلام، وعمرو مزيقيا قديم، لا يجوز أن يكون بينه وبين السموءَل ثلاثة آباء ولا عشَرَة بل أكثر، والله أعلم.

من مفاخر السموءل

وقد قيل: إن أمه كانت من غسان، وكلهم قالوا: إنه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء، وقيل: بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان هذا الحصن لجده عاديا، واحتفر فيه بئراً رَوِيَّة عذبة، وقد ذكرتْه الشعراء في أشعارها، قال السموءل:

فِبالأبلقِ الفَردِ بيتي به ... وبيتُ النضيرِ سوى الأبلقِ

وقال السموءَل يذكر بناء جدّه الحصن:

بنى لي عاديَا حِصناً حصيناً ... وماءً كلما شئتُ استقيتُ

وكانت العرَبُ تنزل به، فيضيفها، وتمتارُ من حصنه، وتقيم هناك سوقا.

[١١٨/٢٢] / وبه يُضرب المثل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قُتِل، ولم يخن أمانته في أَدْرَاعٍ أُودِعَها.

امرؤ القيس يفد عليه

وكان السبب في ذلك ـ فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبي ـ أن امرأ القيس بنَ حُجْر لمّا سار إلى الشام يريد / قيصر نزل على السموءل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم بنو أسد وكراهةِ أصحابه لفعله، وتفرقهم عنه، حتى بقي وحده، واحتاج إلى الهرب، فطلبه المنذر بن ماء السماء، ووجه في طلبه جيوشا من إياد وبهراءَ وتنوخ وجيشا من الأساورة أمده بهم أنو شروان، وخذلته حِميَر، وتفرقوا عنه: فلجأ[2] إلى السموءل ومعه أدراع كانت لأبيه خمسة: الفضفاضة، والضافية، والمحصنة والخريق، وأم الذيول، وكانت الملوك من بني آكل

٩٩/١٩

(١) في هد: «عاديا بن حيا»، وفي هج: «عاديا بن حبيا».
(٢) فلجأ... الخ: تكرار لجملة «نزل على السموءل» التي تقدمت، وذلك لطول الفصل.

المرار يتوارثونها ملكٌ عن ملك[١]، ومعه بنته هند، وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث، وسلاح ومال كان بقي معه، ورجل من بني فزارة يقال له: الربيعُ بن ضَبُع شاعر، فقال له الفزاري: قل في السموءل شعراً تمدحه به، فإن الشعر يعجبه وأنشده الربيع شعراً مدحه به وهو قوله:

ولقـد أتيـتُ بنـي المُصـاصِ مُفـاخـراً ... وإلـى السمـوءل زرتـهُ بـالأبلـقِ[٢]

فـأتيـتُ أفضـلَ مَـن تحمَّـل حـاجـةً ... إنْ جئتَـه فـي غـارمٍ أو مُـرهَـقِ[٣]

عَـرَفَـتْ لـه الأقـوامُ كـلَّ فضيلـةٍ ... وحـوى المكـارمَ سـابقـاً لـم يُسْبَـقِ

/ قال: فقال امرؤ القيس فيه قصيدته: [١١٩/٢٢]

طـرقتْـكَ هنـدٌ بعـد طـول تجنُّـبِ ... وَهْنـاً ولـم تـك قبـل ذلـك تطـرُقُ

قال: وقال الفزاري: إن السموءل يمنَع منك حتى يرى ذاتَ عينك، وهو في حصن حصين ومال كثير، فقدم به على المسوءل، وعرفه إياه، وأنشداه الشعر، فعرف لهما حقَّهما، وضرب على هند قُبَّة من أدَم، وأنزل القوم في مجلس له بَرَاح، فكانت عنده ما شاءالله[٤].

امرؤ القيس يستودعه ودائعه ويرحل

ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغسّاني أن يوصله إلى قيصر، ففعل، واستصحب معه رجلا يدله على الطريق، وأودع بنيه[٥] وماله وأدراعه السموءل، ورحل إلى الشام، وخلّف ابن عمه يزيد بن الحارث مع ابنته هند، قال: ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلق؛ ويقال: بل الحارث بن أبي شَمِر الغساني؛ ويقال: بل كان المنذر وجه بالحارث بن ظالم في خيل، وأَمَرَهُ بأخذ مال امرىء القيس من السموءل.

يضحي بابنه في سبيل الوفاء

فلما نزل به تحصن منه، وكان له ابن قد يَفَع وخرج إلى قَنص له، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم، ثم قال للسموءل: أتعرف هذا؟ قال: نعم، هذا ابني، قال: أفتسلّم ما قِبلَك أم أقتله؟ قال: شأنك به، فلستُ أخفِر ذِمتي، ولا أسلم مال جاري، فضرب الحارثُ وسَط الغلام، فقطعه قطعتين، وانصرف عنه؛ فقال السموءل في ذلك:

وفيْـتُ بـأدرُعِ الكِنـديّ إنـي ... إذا مـا ذُمَّ أقـوامٌ وفيـتُ

وأوصَـى عـاديـاً يـومـاً بـألاّ ... تُهـدّم يـا سمـوءلُ مـا بنيـتُ

بنـى لـي عـاديـاً حِصنـاً حَصيناً ... ومـاءً كلّمـا شئـتُ استقيـتُ

(١) في بعض النسخ: «يتوارثونها ملكا عن ملك» بالنصب على الحالية، لا بالرفع على البدلية، كما في ب، وكلاهما صحيح.
(٢) «المختار»، هد، هج «بني المضاض» بالضاد المعجمة، لا بالصاد المهملة، كما في ب، وفي بعض النسخ: «جئته» بدل «زرته».
(٣) في «المختار»: «في موثق أو مرهق».
(٤) في هد: «فأقاما عنده ما شاءالله».
(٥) في هد: «وأودع أمته»، وفي هج: «وأودع ابنته».

[٢٢/١٢٠] / **الأعشى يستجير بابنه فيجيره**

وقال الأعشى يمدح السموءل ويستجير بابنه شريح[١] بن السموءل من رجل كلبي كان الأعشى هجاه، ثم ظفر به، فأسره، وهو لا يعرفه، فنزَل بشريح بن المسوءل، وأحسن ضيافته، ومَرّ بالأَسْرَى، فناداه الأعشى:

شُريحُ لا تُسْلِمَنّي اليومَ إذا عَلِقت ... حبالُك اليوم بعد القيد أظفاري[٢]

/ قد سرتُ ما بين بلقاءٍ إلى عدنٍ ... وطال في العُجم تكراري وتَسياري[٣]

فكان أكرمَهم عهداً وأوثقهم ... عَقْداً أبوك بعُرفٍ غير إنكارِ

كالغيث ما استمطَرُوه جاد وابُله ... وفي الشدائد كالمستأسِد الضاري

كُنْ كالسَّموءل إذ طاف الهمامُ به ... في جحفلٍ كسواد الليل جرّار[٤]

إذ سامه خُطّتَيْ خسفٍ فقال له: ... قلْ ما تشاء فإني سامعٌ حارِ[٥]

فقال: غَدرٌ وثُكلٌ أنت بينَهما ... فاختر، وما فيهما حظٌّ لمختار

فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له: ... اقتُل أسيرَك إنّي مانعٌ جاري

وسوف يُعقِبُنيه إن ظفِرتَ به ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهارِ[٦]

لا سِرُّهُنّ لدينا ذاهبٌ هدَراً ... وحافظاتٌ إذا استُودِعْن أسراري[٧]

فاختار أدراعَه كَيْلا يُسبَّ بها ... ولم يكن وعْدُهُ فيها بختّار[٨]

[٢٢/١٢١] / فجاء شريح إلى الكلبي فقال له: هبْ لي هذا الأسيرَ المضرور فقال: هو لك، فأطلقه، وقال له: أقم عندي، حتى أكرمك، وأحبُوَك، فقال له الأعشى: إن تمام إحسانك إليّ أن تعطيَني ناقة ناجية[٩]، وتُخلّيني الساعة، فأعطاه ناقة ناجية، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكبيَّ أن الذي وَهب لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح، ابعَث إليّ الأسيرَ الذي وهبتُ لك حتى أحبُوَه، وأعطيَه، فقال: قد مضى، فأرسل الكلبيُّ في أثره، فلم يلحقه.

(١) في هد، هج: «شويح» بدل «شريح».
(٢) في هد، هج، «المختار»: «بعد القد» بدل «بعد القيد» والمعنى واحد.
(٣) «المختار»، هد، هج «بانقيا» بدل «بلقاء».
(٤) يقصد بالهمام الحارث بن ظالم الذي تقدم ذكره، أو المنذر الذي أرسله، وفي هد: «في عسكر» بدل «في جحفل» وفي هج والمختار «كهزيع الليل» بدل «كسواد الليل».
(٥) حار: ترخيم حارث.
(٦) يعني «ببيض ذات أطهار» زوجاته.
(٧) كان القياس أن تكرر «لا».
(٨) ختار: غدار.
(٩) ناجية: سريعة، وإنما بادر الأعشى بالهرب خشية أن يعرف الكلبي هويته فيسترده.

/ سعية بن عريض

[١٢٢/٢٢]

سَعيةُ[١] بن عُرَيض بن عاديا أخو السموءل شاعر، فمن شعره الذي يُغنّى فيه قولُه:

صوت

يـا دارَ سُعْـدَى بمَقْصَـى تلعِـةِ النَّعـم ... حُيِّيـتِ داراً علـى الإقـواء والقِـدَم[٢]

عُجْنـا فمـا كلَّمتنـا الـدارُ إذ سُئِلـت ... ومـا بهـا عـن جـوابٍ خِلـتُ مـن صمـم

ومـا بِجـزعـكِ إلا الـوحـش سـاكنـة ... وهـامـدٌ مـن رمـاد القـدِ والحُمَـم[٣]

الشعر لسعْيَةَ بن عُرَيض،، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه خفيف ثقيل عن الهشامي، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشامي، ويقال: إنه لمالك، وفيه لابن جُؤذرةَ رمل عن الهشامي.

وسَعْية بن عُرَيض القائل، وفيه غناء:

صوت

لُبـابُ هـلْ عنـدكِ مـن نـائـلِ ... لعـاشـقٍ ذي حـاجـةٍ سـائـلِ

عَلَّلتِـه منـك بمـا لـم يَنَـلْ ... يـا رُبمـا عَلَّلـتِ بـالبـاطـلِ

الغناء لابن سُرَيج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق، وفيه لابن الهربذ / خفيف رمل بالوسطى [١٢٣/٢٢] عن عمرو، وفيه لمتيَّم رمل آخر من جامعها، وفيه لحن ليونس غير مجنس، وأول هذه القصيدة:

لُبـابُ يـا أخـتَ بَنِـي مـالـكِ ... لا تشتـري العـاجـلَ بـالآجـلِ

لُبـابُ داوينـي ولا تَقْتُلـي ... قـد فُضِّـل الشـافـي علـى القـاتـل[٤]

إن تسـألـي بـي فـاسـألـي خـابـراً ... والعِلْـم قـد يكفـي لـدى السـائـل

/ يُنْبِيـكِ مـن كـان بنـا عـالمـاً ... عنَّـا ومـا العـالِـمُ كـالجـاهـلِ

أنَّـا إذا حـارت دواعِـي الهـوى ... وأنصـتَ السـامـع للقـائـل

١٠١ / ١٩

---

(١) في هد، هج: «سعيد» بدل «سعيه» وفي ب: سعية بن غريض وله ترجمة في الجزء ٣/١٢٩ ط الدار.

(٢) مقصى: اسم مكان من قصا: بمعنى بعد، وهذه هي رواية هد، وفي ب: بمنضى «وهو تحريف».

(٣) الجزع: منعطف الوادي، أو وسطه، ورواية «بجزعك» رواية هد، هج، وب والحمم: الفحم والرماد، وكل ما تخلف مما أحرقته النار.

(٤) في «المختار»: «قد فضل الساقي...».

واعتلــــج القـــومُ بـــألبــابهـــم ... فـي المنطـق الفـاصـل والنـائـل[١]
لا نجعـــلُ البـــاطـــلَ حقًّـــا ولا ... نَلُـــطُّ دون الحـــق بـــالبـــاطـــل[٢]
نخـــاف أن تَسفَـــهَ أحـــلامُنـــا ... فَنُخْمـــلَ الـــدهـــرَ مـــع الخـــامـــل

معاوية يتمثل بشعره

أخبرني محمد بن خلف وكيع[٣]، قال: حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي: قال: حدثني العمري، عن العتبي، قال:

كان معاوية يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر:

إنـــا إذا مـــالـــت دواعـــي الهـــوى ... وأنصـــت الســـامـــع للقـــائـــل
لا نجعـــلُ البـــاطـــلَ حقًّـــا ولا ... نَلُـــطُّ دون الحـــق بـــالبـــاطـــل
نخـــاف أن تَسفَـــهَ أحـــلامُنـــا ... فَنُخْمـــلَ الـــدهـــرَ مـــع الخـــامـــل

[١٢٤/٢٢] / **عبد الملك بن مروان يسمع شعره قبل القضاء**

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء: قال: حدثنا الزبير بن بكار: قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال: أخبرني خالي يوسف بن الماجشون، قال:

كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده:

إنـــا إذا مـــالـــت دواعـــي الهـــوى ... وأنصـــت السّـــامـــعُ للقـــائـــل
واصْطَـــرعَ القـــومُ بـــألبـــابهـــم ... نقضـــي بُحكـــمٍ عـــادل فـــاصـــل
لا نجعـــلُ البـــاطـــلَ حقًّـــا ولا ... نُلِـــطُّ دون الحـــقِّ بـــالبـــاطـــل
نخـــاف أن تسفَـــهَ أحـــلامُنـــا ... فَنُخْمـــلَ الـــدّهـــرَ مـــع الخـــامـــل

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين.

أصحابه يميلون مع الريح

أخبرني وكيع والحسن بن علي قالا: حدثنا أَبو قلابة: قال: حدثنا الأصمعي، عن أبي الزناد، عن أبيه، عن رجال من الأنصار:

أنّ سَعْيَةَ بن عُريض أخا السموءل بن عاديا كان ينادم قوما من الأوس والخزرج، ويأتونه، فيقيمون عنده، ويزورونه في أوقات قد ألف زيارتَهم فيها، فأغار عليه بعض ملوك اليمن، فانتَسَفَ[٤] من ماله حتى افتقر، ولم يبق له مالٌ، فانقطع عنه إخوانُه، وجفَوه، فلما أخصب، وعادت حاله، وتراجعت راجعوه، فقال في ذلك:

---

(١) في «المختار»: «نقضي بحكم عادل فاصل» بدل: «في المنطق الفاصل والنائل»، وفي هد، هج: «في المنطق القائل والفاصل».
(٢) لط بالشيء وألظ به: تمسك به، ولزمه. وفي «المختار»: «نلط».
(٣) في هد: محمد بن خلف بن المرزبان.
(٤) انتسف ماله: من نسف الشيء: اقتلعه من أصله.

أرى الخُلّان لما قلّ مالي ... وأجحفَتِ النوائبُ وَدّعوني
فلما أن غَنِيتُ وعاد مالي ... أراهم لا أبالك راجعوني
/ وكان القوم خُلّانا لمالي ... وإخوانا لما خُوِّلْتُ دوني [١٢٥/٢٢]
فلما مَرّ مالي باعدوني ... ولما عاد مالي عاودوني[١]

(٢ومن أشعار اليهود ويُغَنّى به٢):

صوت

هل تعرِف الدارَ خفّ ساكنُها ... بالحِجْر فالمُسْتَوَى إلى ثمد[٣]
دار لبهنانة خَدَلَّجة ... تضحك عن مثل جامد البَرَد[٤]
نِعمَ ضجيعُ الفتى إذا بَرِد ... الليلُ وغارت كواكبُ الأسد
/ يا مَن لقلبٍ متيّمٍ سَدِمٍ ... عانٍ رهينٍ أُحيط بالعُقَد[٥] ١٠٢/١٩
أزجرهُ وهو غيرُ مُزدجرٍ ... عنها وطرفي مقارنُ السُّهُد
تمشي الهوينا إذا مشت فُضُلاً ... مشي النزيف المبهور في صَعَد[٦]
تظل من زَوْرِ بَيْتِ جارتها ... واضعةً كفها على الكبد[٧]

/ الشعر لأبي الزنّاد[٨] اليهودي العديمي[٩]، والغناء لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى في الثلاثة الأبيات [١٢٦/٢٢] الأول، عن الهشامي ويحيى المكي، وفيها لمعبد خفيف ثقيل أول عن الهشامي، وقال: أظنه من منحول يحيى بن المكي، وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح، ولابن محرز في «يا من لقلب».

وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو أن فيها لحنا لمعبد لم يذكر طريقته، وذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديما غير مجنس، وهذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم، وذكر ذلك عمر بن شبة:

(١٠ومن الغناء في أشعار اليهود من قُريظة والنّضير١٠):

---

(١) في هد، هج: «فلما شذ» بدل «فلما مر».
(٢ ـ ٢) التكملة من هج.
(٣) في هد، هج: «إلى السند».
(٤) الهنانة: الطيبة النفس والريح، والضحوك الخفيفة الروح، الخدلجة: الممتلئة الساقين والعضدين.
(٥) سدم: يقال: عاشق سدم: شديد العشق.
(٦) فضل: مختالة في مشيتها، تفضل من ذيل ردائها، النزيف: المنتشي من السكر ونحوه، المبهور: من انقطع نفسه من الإعياء، في صعد: في علو وارتفاع، لأن مشية الصاعد أشق من مشية المنحدر، إذ الأول ضد جاذبية الأرض بخلاف الثاني.
(٧) كنى بوضع اليد على الكبد عن الخوف من الرقباء ونحوهم.
(٨) في هج: «لأبي الذيان».
(٩) في هد: «القرظي».
(١٠ ـ ١٠) التكملة من هد.

[١٢٧/٢٢]

/ صـــوت

دورٌ عفَتْ بِقُرَى الخابور غيَّرَها ... بعدَ الأنيسِ سَوَافي الرِّيح والمطرُ

إن تُمسِ دارُكَ مِمَّنْ كان ساكنَها ... وحشاً فَذَلِكَ صَرفُ الدهر والغِيَرُ[١]

وقد تحلُّ بها بِيضٌ ترائبُها ... كأنها بين كُثْبانِ النَّقَا البَقَرُ[٢]

الشعر للربيع بن أبي الحُقَيق، روى ذلك السكري، عن الطوسي، وعن محمد بن حبيب، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وهو صوتٌ مشهور ابتداؤه نشيد.



(١) في هد، هج «ممن كان يسكنها».
(٢) في بعض النسخ بدل المصراع الأول «حلت بها كل مبيض ترائبا» والترائب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين، أو موضع القلادة، مفردها تريبة.

[١٢٨/٢٢]

/ أخبار الربيع بن أبي الحقيق[١]

الربيع رئيس لبني قريظة

كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة، وهم وبنو النضير جميعا من ولد هارون بن عمران، يقال لهما: الكاهنان، وكان الربيعُ أحدَ الرؤساء في يوم حرب بُعاثَ، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه، فكانت رياسة بني قريظة للربيع، ورياسة الخزرج لعمرو بن النُّعمان البياضِيِّ، وكان رئيسَ بني النضير يومئذ سلامُ بن مشْكَم.

يلتقي بالنابغة الذبياني

أخبرني عمي ومحمد بن حبيب بن نصر المهّلبيّ، قال: حدثنا عبدالله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن الحسن الأنصاريُّ، قال: حدثني الحسن بن موسى؛ مولى بني مازن بن النجار عن أبي عبيدة قال:

أقبل النابغة الذبياني يريد سُوقَ بني قَيْنُقاعَ، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلا من أُطُمِه، فلما أشرفا على السوق سمعا الضَّجَّة، وكانت سوقا عظيمة، فَحَاصَتْ[٢] بالنابغة ناقته، فأنشأ يقول:

* كادت تُهَالُ[٣] من الأصوات راحلتي *

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق: أَجِز يا ربيع، فقال:

* والنَّفْرُ منها إذا ما أوجَسَتْ خُلُق *

فقال النابغة: ما رأيتُ كاليوم شِعراً، ثم قال:

* لولاَ أُنَهْنِهُهَا[٤] بالسَّوط لاجْتَذَبتْ *

[١٢٩/٢٢]

/ أَجِز يا ربيع، فقال:

* منّي الزمامَ وإنّي راكبٌ لَبِق *

فقال النابغة:

* قد ملَّتِ الحبْسَ في الآطام واسْتَعَفَتْ[٥] *

---

(١) خلت طبعة بولاق من هذه الترجمة، ولكنها جاءت هنا في النسخ: هج، هد، مج، مه وكذا في الجزء الواحد والعشرين من طبعة ليدن.

(٢) حاصت ناقته: نفرت، وحادت.

(٣) تهال: يعتريها الهول.

(٤) أنهنها: أزجرها.

(٥) استعفت: لعل المراد بهذا الفعل أنها طلبت من يسعفها بمنازلها، وفي نسخة: واشتعفت بالشين.

أَجِز يا ربيع، فقال:

* إلى مناهِلِهَا لو أنَّهَا طُلُق *

فقال النابغة: أنت يا ربيع أشعر الناس.

أبان بني عثمان يتمثل بأبياته

حدثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهري، ومحمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال: حدثني الحِزاميُّ قال: حدثني سعيد بن محمد الزُّبيريّ، قال: حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه قال:

قَلَّ ما جَلَسْتُ إلى أبانَ بن عثمان إلا سمعتُه يتمثل بأبيات ابن أبي الحُقَيق.

سئِمْتُ وأَمْسَيْتُ رهنَ الفِرا ... شِ مِنْ جُرْمِ قومي ومن مَغْرَمِ[1]

ومن سَفَهِ الرَّأي بعد النُّهي ... وغَيْبِ الرَّشادِ، ولم يُفْهَمِ

فلوْ أنَّ قومي أطاعوا الحلـ ... ـيمَ لم يتعَدَّوْا ولم نُظْلَمِ

ولكنَّ قومِي أطاعُوا الغُوَا ... ةَ حتى تعكّص أهلُ الدم[2]

[٢٢/١٣٠] / فأودى السَّفيهُ برأي الحلـ ... ـيم وانْتَشَرَ الأمرُ لم يُبْرَمِ

يعاتب قوما من الأنصار

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا مُعاذ[3]، عن أبي عبيدة قال: قال الربيع بن أبي الحقيق يعاتب قوما من الأنصار في شيء بينهم وبينه:

رأيتُ بني العنقاء زَالُوا ومُلْكُهُمْ ... وآبُوا بأنْفٍ في العشيرة مُرْغَمِ[4]

فإن يُقْتَلُوا نَنْدمْ لذاك وإن بقُوا ... فلا بدَّ يوماً من عُقُوقٍ ومأْتَمِ[5]

وإنّا فُوَيْقَ الرأسِ شؤبوبُ مُزْنَةٍ ... لها بَرَدٌ ما يغشَ مِ الأرضِ يَحْطِمِ[6]

(١) في بعض النسخ: «مغرمي» بالاضافة إلى ياء المتكلم.

(٢) تعكص أهل الدم: ضنوا.

وروى البيتان في «المختار» هكذا:

ولكن قومي أطاعوا الغوا ... ة وانتشر الأمر لم يبرم

فأودى السفيه برأي الحليم ... حتى تحكم أهل الندم

(٣) في هد. هج: «دماذ».

(٤) في هج: «بني النجار» بدل «بني العنقاء» وفي هد، هج: «زالوا ومالهم» بدل «زالوا وملكهم» وقد جرى البيت على غير الأفصح حيث عطف على ضمير الرفع المتصل بدون فاصل، يقول ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما وبلا فصل يرد ... في الشعر والنظم وضعفه اعتقد

(٥) يريد أنهم حلفاء، إن أصابهم أذى عز علينا. وإن سلموا بغوا علينا.

(٦) الشؤبوب: الدفعة من المطر، يقول: نحن لهم كماء المزن المصحوب بالبرد الذي يحطم الأرض، يعني أننا نفاعون ضراررون، وفي هد، هج: «ما يغش في الأرض» «ما يفش م الأرض»، «وأصلها من الأرض».

[١٣١/٢٢]

/ صوت

ولنـــا بئـــرٌ رَوَاءٌ جَمَّـــةٌ مَـــن يَـــردْهـــا بـــإنـــاء يغتَـــرفْ[١]

/ تُـــدْلِـــجُ الجـــونُ علـــى أكتـــافهـــا بِـــدلاءٍ ذاتِ أمـــراسٍ صُـــدُف[٢]

١٠٦/١٩

كـــلّ حـــاجـــاتـــيَ قـــد قَضَيتهـــا غيـــرُ حـــاجـــاتـــيَ مـــن بطـــن الجُـــرُف[٣]

الشّعر لكعب بن الأشرف اليهوديّ، والغناء لمالك ثقيل أول عن يُحيَى المكي، قال: وفيه لابن عائشة خفيف ثقيل، ولمعبد ثاني ثقيل قال يحيى[٤] في كتابه: وقد خلط الرواة في ألحانهم، ونسبوا لحنَ كلٍّ واحد منهم إلى صاحبه، وذكر الهشامي أن فيه لابن جامع خفيفَ رمل بالبنصر، وفيه لجُنْدُب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس.



(١) الرواء: الماء العذب، أو الكثير الذي يرتوى منه.

(٢) تدلج: تسير ليلا، الجون: الإبل السوداء. أكتافها: جوانبها ونواحيها، أمراس: حبال، صدف: جمع صدوف. وهي المرأة تعرض لك وجهها ثم تصدف عنك: شبه بها حبال البئر، لأنها لا تزال تظهر وتختفي عند ملء الدلاء.

(٣) بطن الجرف: موضع قرب المدينة. ولعل الشاعر كانت له حبيبة في هذا الموضع.

(٤) في هج: «قال معبد».

[١٣٢/٢٢]

/ أخبار كعب ونسبه ومقتله

اسمه ونسبه

كعبُ بنُ الأشرف مُختلَفٌ في نسبه، فزعم ابن حبيب أنه من طّيء، وأمه من بني النَّضير، وأن أباه توفي وهو صغير، فحملته أمه إلى أخواله، فنشأ فيهم، وساد، وكبر أمره، وقيل: بل هو من بني النَّضير.

وكان شاعراً فارساً، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيرِه في الحروب التي كانت بين الأوْس والخزرج، تُذكر في مواضعها إن شاء الله تعالى ـ وهو شاعر من شعراء اليهود فَحْل فصيح، وكان عدوا للنبي صلى الله عليه وسلم يهجوه، ويهجو أصحابَه، ويُخَذِّل منه العربَ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه، فقتلوه في داره.

ذكر خبره في ذلك

كان كعب بن الأشرف يهجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويُحرِّض عليه كُفّارَ قريش في شعره، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، وهي أخلاط، منهم المسلمون الذين تجمَعُهم دعوةُ النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوْثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقه[١] والحصون، وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم ـ إذ قدم ـ استصلاحَهم كلَّهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، ويكون مسلماً وأخوه مشرك، وكان المشركون واليهود حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم يؤذونه وأصحابَه أشدّ الأذى، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصَّبر على ذلك والعفوِ عنهم، وأنزل في شأنهم: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ من الذين أُوتُوا الكتابَ من قبلِكم[٢]﴾ الآية. وأنزل فيهم: ﴿وَدَّ كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم[٣]﴾ [١٣٣/٢٢] / إلى قوله: ﴿واصفحوا﴾ فلما أبى كعبُ بنُ الأشرف أن ينزع عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابِه أمر النبي صلى الله عليه وسلم سعدَ بن معاذ أن يبعث إليه رهطا، فيقتلوه، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبْس بنَ جُبير، والحارث ابن أخي سعد، في خمسة رهط، فأتوه عشيّة، وهو في مجلس قومه بالعوالي، فلما رآهم كعبُ أنكر شأنَهم، وكان يُذْعَر منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟ فقالوا: جئنا لنبيعَك أدراعا نسْتَنْفِق أثمانها، فقال: والله لئن فعلتم ذلك لقد جُهِدتُم[٤] مُذْ نزل بكم هذا الرجل، ثم واعدهم أن يأتوه عشاءَ حين تهدأ أَعينُ الناس، فجاءوا، فناداه رجل منهم،

(١) الحلقة: يراد بها حلقة القوم، أو حلقة البئر.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٦.
(٣) سورة البقرة الآية ١٠٩.
(٤) جهدتم: افتقرتم، وساءت حالكم، ويقصد بالرجل محمدا صلى الله عليه وسلم.

فقام ليخرج، فقالت امرأته: ما طرقوك ساعتَهم هذه بشيءٍ مما تحبّ، فقال: بلى إنهم قد حدّثوني حديثَهم، وخرج إليهم، فاعْتَنَقَهُ أبو عبس، وضربه محمد بنُ مَسلمة بالسيف في خاصرته، وانحنوا عليه، حتى قتلوه، فرُعِبَتْ اليهود / ومَنْ كان معهم من المشركين، وغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: قد طُرِق[1] صاحبنا الليلة، وهو سيّد من سادتنا، فقتل، فذكر لهم ﷺ ما كان يُؤذَى به في أشعاره، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتابا، فكُتِبت الصحيفة بذلك في دار الحارث، وكانت بعد النبي صلى الله عليه وسلم عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[2]

١٠٧/١٩

/ صــوت

[١٣٤/٢٢]

هــل بــالــديــار الــتــي بــالقــاع مــن أحــدِ ... بــاقٍ فيسمَــعَ صَــوتَ المُــدلــج الســاري

تلــك المنــازُل مــن صَفــراءَ ليــس بهــا ... نــارٌ تضــيء ولا أصــوات سُمَّــار

ويروى: «ليس بها حَيٌّ يُجيب».

الشعر لبيهسٍ الجِرْمي، والغناء لأحمدَ بن المكّيّ ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، وقال عمرو بن بانة: فيه ثاني ثقيل بالبنصر، يقال: إنه لابن محرز، وقال الهشامي: فيه لحباب بن إبراهيم خفيف ثقيل، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء.

* ارفع ضعيفكَ لا يَحُرْ بك ضعفُهُ *[3]

---

(١) طرق: أتى ليلا.

(٢) الخبر المتقدم ساقط من جميع النسخ التي بأيدينا، وهو منقول من ب.

(٣) لا يحر بك ضعفه: لا يرجع بك ضعفه عن نصرته: من حار يحور: رجع يرجع.

[١٣٥/٢٢]

/ أخبار بيهس ونسبه

اسمه ونسبه

بَيْهَسُ بن صُهَيب بن عامر بن عبدالله بن نائل بن مالك بن عُبَيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غالب بن عَدِيّ ابن بَيهس بن طَرُود بن قدامة بن جَرم بن ربّان بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضَاعة.

ويكنى أبا المقدام: شاعر فارس شجاع، من شعراء الدولة الأموية، وكان يبدو[١] بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب وعُذرة، ويحضر إذا حضروا، فيكون بأجناد الشام، وكان مع المهلب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة، وكانت له مواقف مشهورة وبلاءٌ حسن، وبعَضُ أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر.

من هي صفراء

وقد اختلف الرواة في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا، فذكر القَحْذَميّ أنها كانت زوجتَه وولدت له ابنا، ثم طلقها، فتزوجت رجلاً من بني أسد، وماتت عنده، فرثاها. وذكر أبو عمرو الشيباني أنها كانت بنتَ عمّه دِنْيَةً[٢]، وأنه كان يهواها، فلم يُزَوَّجها، وخطبها الأسديّ، وكان مُوسِراً، فزُوِّجَها.

قال أبو عمرو: وكان بيهس بن صُهيب الجرميّ يهوَى امرأة من قومه، يقال لها، صفراءُ بنتُ عبدالله بن عامر بن عبدالله بن نائل، وهي بنتُ عمه دِنْيَةً، وكان يتحدث إليها، ويجلس في بيتها، ويكتم وَجْدَهُ بها، ولا يُظهره لأحد، ولا يخطبها لأبيها؛ لأنه كان صعلوكا لا مال له، فكان ينتظر أن يُثْرِيَ، وكان من أحسن الشباب وجهاً وشارةً وحديثا وشِعراً، فكان نساء الحيّ يتعرّضن له، ويجلسْن إليه ويتحدثن معه، فمرت به صَفْراء، فرأته جالسا مع فتاة منهن، فهجرته زمانا لا تُجيبه إذا دعاها، ولا تخرج إليه إذا زارها، / وعرض له سفر، فخرج إليه، ثم عاد، وقد زوّجها أبوها رجلا من بني أسد، فأخرجها، وانتقل عن دارهم بها، فقال بيهسُ بنُ صُهيب: [١٣٦/٢٢]

سقَى دِمنةً صفراءُ كانت تَحُلها ... بنَوءِ الثُّريّا طلُّها وذِهَابُها[٣]

وصابَ عليها كلُّ أسحمَ هاطلٍ ... ولا زال مخضرًّا مَريعاً جنابُها[٤]

أَحَبُّ ثَرَى أرضٍ إليَّ وإن نأت ... مَحلُّكِ منها نَبْتُها وترابُها[٥]

---

(١) يبدو: يسكن البادية.

(٢) دنيه: يقال: هو ابن عمي دنية أو دنيا: قريب لاصق.

(٣) الدمنة: ما بقي من آثار الدور ونحوها، جملة «صفراء كانت تحلها» صفة «دمنة» طلها: فاعل سقي، الذهاب: جمع ذهبة، وهي المرة من المطر، نوء الثريا: مطرها، وفي هد، هج: «نجاء الثريا» ولم نجد له معنى، وفي ف: «لحا الثريا» ويختل به وزن البيت.

(٤) صاب المطر ونحوه: أنصب، أسحم: أسود، يريد الغمام الأسود، لأنه أغزر مطرا.

(٥) أحب: خبر مبتدأ محذوف تقديره «هي» يعود على الدمنة، «محلك منها... الخ» كلام مستأنف يعلل به سبب الحب، وفي ف: محلك أرضا» بدل «محلك منها».

١٠٨ / ١٩

/ على أنّها غضبى عليّ وحبّذا رِضاها إذا ما أُرضِيَتْ وعتابها[1]

وقد هاج لي حيناً فراقُك غُدوةً وسعيُك في فيفاءَ تَعْوي ذئابُها[2]

نظرتُ وقد زال الحمولُ ووازنوا بِركوةَ والوادي وخفَّتْ رِكابُها

فقلتُ لأصحابي: أبِالقرب منهمُ جرى الطيرُ أم نادى بِبَينٍ غرابُها؟

يرثي صفراء

قال أبو عمرو: ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجُها، فقال بيهسٌ يرثيها:

هل بالديار التي بالقاعِ من أحدِ باقٍ فيسمعَ صوتَ المُدلِجِ الساري

تلك المنازل من صفراءَ ليس بها نارٌ تضيء ولا أصواتُ سُمّار

عَفَّتْ معارفَها هُوجٌ مُغبَّرَةٌ تَسفي عليها ترابَ الأبطحِ الهاري[3]

[١٣٧/٢٢]

/ حتى تنكّرتُ منها كلَّ مَعْرِفَةٍ إلا الرَّمادَ نخيلاً بين أحجار[4]

طال الوقوفُ بها والعيْنُ تسبِقُني فوقَ الرِّداء بَوادي دمعِها الجاري[5]

إن أُصبحِ اليومَ لا أهلٌ ذوو لَطَفٍ ألهوا لديهم ولا صفراءُ في الدار[6]

أرعى بعينِي نجومَ الليل مرتقباً يا طُولَ ذلك من همٍّ وإسهار[7]

فقد يكونُ لِيَ الأهلُ الكِرامُ وقد ألهو بصفراءَ ذاتِ المنظر الواري[8]

من المَواجدِ أعْراقاً إذا نُسِبَتْ لا تَحْرِمُ المالَ عن ضيفٍ وعن جار[9]

لم تَلْقَ بؤساً ولم يَضرر بها عَوَزٌ ولم تُزخِّفْ مع الصّالي إلى النار[10]

كذلك الدهرُ إنّ الدهرَ ذو غِيَرٍ على الأنام وذو نقضٍ وإمرار[11]

---

(١) في هد: «وغضابها» بمعنى مغاضبتها، بدل: «وعتابها».

(٢) الفيفاء: القفراء، وفي هد، هج، ف: «هاج لي حزنا» بدل «هاج لي حينا» وفي النسخ الثلاث أيضا: «خشناء» بدل «فيفاء» والمعنى لا يتغير.

(٣) هوج: جمع هوجاء، يريد: «رياح هوج»، الهاري: تخفيف الهاريء: من هرأه بمعنى أذابه وأبلاه وفي ف: «هوجاء مغبرة».

(٤) نخيلا: حال من الرماد بمعنى ناعم دقيق.

(٥) بوادي دمعها: ظواهره.

(٦) اللطف: اليسير من الطعام ونحوه، وفي هد «أصبو اليهم» بدل «ألهو لديهم» وجواب إن الشرطية في البيت الثالث: «فقد يكون لي الأهل... الخ».

(٧) في هد، هج: «ليل» بدل «هم».

(٨) الواري: السمين، أو يريد به المضيء. وفي «المختار»: «المنطق الواري».

(٩) المواجد: جمع ماجدة، لا تحرم المال: لا تمسكه: من أحرم الراعي، يقال: أحرم كذا عن كذا: أمسكه عنه.

(١٠) لم تزخّف: من زَخفت المرأة العجين إذا أكثرت ماءه، والمراد أنها لم تصل النار لإنضاج الخبز، وفي ب «لم ترجف» ـ بالجيم لا بالخاء ـ وقد رجحنا أن ثمة تصحيفاً.

(١١) النقض والإمرار: ضدان: الأول فك الحبل، والثاني فتله.

قـد كـاد يعتـادنـي مـن ذكـرهـا جَـزَعٌ لـولا الحيـاءُ ولـولا رهبـةُ العَـارِ[1]

[١٣٨/٢٢] / سقـي الإلـهُ قبـورا فـي بنـي أسـدٍ حـول الـربيعـة غَيْثـاً صـوبَ مـدرار[2]

مَـنِ الـذي بعـدكـم أرضَـى بـه بـدلاً أوَ مَـنْ أُحَـدِّثُ حـاجـاتـي وأَسْـراري؟[3]

يقف وصحبه على قبرها وينشد

قال أبو عمرو: واجتاز بيهسٌ في بلاد بني أسد، فمر بقبر صفراء، وهو في موضع يقال له الأَحَصُّ[4]، ومعه ركب من قومه، وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد، فأوسعوا لهم، وكان بينهم صِهرٌ وَحِلْف، فنزل بيهس على القبر، فقال له أصحابه: ألا ترحل، فقال: أما والله[5]، حتى أظل نَهاري كلَّه عنده، وأقضيَ وطراً فنزلوا معه عند قبرها، فأنشأ يقول، وهو يبكي:

أَلِمَّـا علـى قَبْـرٍ لصفـراءَ فـاقـرآ السّـلام وقـولاَ حَيَّنَـا أيُّهـا القبـرُ

ومـا كـان شيئـاً غيـر أن لسـتُ صـابـراً دعـاءَكَ قبـراً دونـه حِجَـجٌ عَشْـرُ[6]

بـرابيـةٍ فيهـا كِـرام أحِبّـةٌ علـى أنهـا إلا مضـاجعَهـم قَفْـرُ[7]

عشِيَّـةَ قـال الـرّكـب مـن غَـرَضٍ بنـا تـروَّحْ أبـا المقـدام قـد جَنـح العصرُ[8]

فقلـتُ لهـمُ: يـومٌ قليـلٌ وليلـةٌ لصفـراءَ قـد طـال التجنُّـبُ والهَجـرُ

[١٣٩/٢٢] / وبِـتُّ وبـات النـاسُ حَـولـيَ هُجَّـداً كـأنَّ علـيَّ اللّيـلَ مـن طـولـه شهـر[9]

إذا قلـتُ هـذا حيـن أهجَـعُ سـاعـةً تطـاول بـي ليـلٌ كـواكبُـه زُهـر

أقـولُ إذا مـا الجنـبُ مَـلَّ مكـانَـه أشـوكٌ يُجـافِـي الجَنْـب أم تحتـه جمْـرُ؟

$\frac{١٠٩}{١٩}$ / فلـو أنّ صَخْـراً مـن عَمـايـةَ راسيـاً يقـاسـي الـذي ألقـى لقـد مَلَّـه الصخرُ[10]

قال: وأما القحذميّ فإنه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ، عن عيسى بن إسماعيل رتينَةَ عنه، أنّه كان تزوّجها، ثم طلّقها بعد أن ولدت منه ابناً؛ فتزوجها رجل من بني أسد، فماتت عنده، وذكر من شعره فيها

---

(١) يريد بالعار الذي يخشاه دمعه وضعفه وانهياره أمام المصيبة، كما يقول جرير في رثاء زوجته:

لـولا الحيـاء لهـاجنـي استعبـار ولـزرت قبـرك والحبيـب يـزار

(٢) الربيعة: مكان قبر صفراء. صوب مدرار: مطر سحابة هطالة.

(٣) في هد: «من ذا الذي» بدل «من الذي»، وفي هد، هج، ف: «أم من» بدل «أو من».

(٤) في هد، هج: «الأحص».

(٥) في هد: «لا والله».

(٦) اسم كان ضمير الشأن ـ، ولو كانت «كان» تامة» و«شيئا» مرفوعة لكان أحسن، دعاءك: مفعول «صابرا» وقبرا: مفعول «دعاءك» يقول: لا شيء إلا أنني لم أستطع الصبر على أن أدعو قبرك بعد مرور سنين عشر على وفاتك.

(٧) في هج: «كرام أعزة» بدل «كرام أحبة»، «لولا مضاجعهم» بدل «إلا مضاجعهم».

(٨) الغرض: الضجر والملال.

(٩) في ب «هجرا» بدل «هجدا» والمثبت من هد، هج، ف.

(١٠) عماية: اسم جبل.

ومراثيه لها قريباً مما تقدم ذكره. وذكر أن بَيْهسَ بنَ صُهَيْب كان من فُرسانِ العرب، وكان مع المهلّب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة. [1] وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام [1].

يتهم في قتيل

قال: أبو عمرو: ولما هدأت الفتنة بعد مرج راهط، وسكن الناس مرّ غلامٌ من قيس بطوائف من جرم وعذرة وكلب، وكانوا متجاورين على ماء لهم؛ فيقال: إن بعض أحداثهم نخس «بيْهسٌ[2]» به ناقتَه فألقته، فاندقّت[3] عنقُه، فمات؛ فاستعدى قومُه عليهم عبد الملك، فبعث إلى تلك البطون مَنْ جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم، فحبسهم، وهرب بيهس بن صهيب الجَرمي، وكان قد اتّهم أنه هو الذي نَخَس به، فنزل عَلَى محمد بن مروان / فعاذبه، واستجاره، فأجاره إلا من حدٍّ توجبه عليه شَهادة، فرضي بذلك، وقال وهو متوارٍ عند محمد: [١٤٠/٢٢]

لقد كانتْ حوادثُ معْضلاتٌ ... وأيامٌ أغصّتْ بالشّراب

وما ذنبُ المعاشرِ في غلامٍ ... تقطّر بين أحواض الجِباب[4]

على قَوْداء أفرطها جِلالٌ ... وغضّ فهي باقيةُ الهِباب[5]

ترامتْ باليدين فأرهقته ... كما زلّ النَّطيح من القِباب[6]

فإنّي والعِقابَ وما أرجّي ... لكالسّاعي إلى وَضَح السّراب

فلمّا أن دنا فرجٌ بربّي ... يكشّف عن مُخفقَةٍ يَباب[7]

من البُلدان ليس بها غريبٌ ... تَخُبُّ بأرضها زُلُّ الذِّئاب[8]

فظنّي بالخليفة أنّ فيه ... أماناً للبريءِ وللمصاب

وأنّ محمداً سيعود يوماً ... ويرجعُ عن مُراجَعةِ العِتاب

/ فيجبر صِبْيَتي ويحوط جاري ... ويؤمن بعدها أبداً صِحابي [١٤١/٢٢]

هو الفرع الذي بُنِيَتْ عليه ... بيوتُ الأطيبين ذوي الحِجاب

قال: فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه، حتى أمَّن بيهسَ بن صهيب وعشيرته، واحتمل ديةَ المقتول لقيس[9] وأرضاهم.

(١ ـ ١) التكملة من هد، هج.

(٢) زدنا كلمة «بيهس» ليتسق الكلام على نحو ما سيجيء.

(٣) العنق يذكر ويؤنث.

(٤) تقطر: وقع على قطره من علو، وفي هد، ف: «الخباب» وفي هج: «الحباب» بدل «الجباب»، وهي أسماء أماكن.

(٥) القوداء: الطويلة العنق والظهر، يريد ناقة قوداء، أفرطها جلال: ضخمة، وغض: لعل المراد غض البصر بمعنى أنها لا تسير على هدى، الهباب: الصياح، وفي هج: «عصى» بدل «غض».

(٦) النطيح: المنطوح، وفي هد، ف: «زال» بدل «زل»، وفي ب «الحقاب» ورجحنا رواية هج «القباب»، وفي ف، هد، هج: «البطيح» بالباء.

(٧) المخفقة: الخالية، لعله يريد المكان الذي هرب إليه.

(٨) زل: جمع أزل: السريع العدو الخفيف الوركين، وفي ف، هد، هج: «الذباب» بدل «الذئاب».

(٩) في ب «بعسر» بدل «القيس» وهو تحريف والتصويب، من هد، ج، ف.

[١٤٢/٢٢]

/ صوت

نـــزل المشيـــبُ فمـــا لـــه تحـــويـــلُ[1] ومضـــى الشّبـــابُ فمـــا إليـــه سبيـــلُ

ولقـــد أُرانـــي والشّبـــابُ يقـــودُنـــي ورداؤه حســـــنٌ علـــيّ جميـــــلُ

الشعر للكميت بن معروف الأسديّ، والغناء لمعبد خفيف، ولحنه من القدْر الأوسط، من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطي عن إسحاق.



(١) في هج «ترحيل».

/ أخبار الكميت بن معروف ونسبه

[١٤٣/٢٢]

اسمه ونسبه

هو الكُمَيْتُ بنُ معروف بن الكميت بن ثعلبةَ بن ربابِ بن الأَشْتر بن جحوانَ بن فقعسِ بن طَرِيف بن عَمْرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُودَان بن أسد بن خزيمة بن مدركة / بن إلياس بن مضر. ١١٠/١٩

شاعر من شعراء الإسلام بدَوِيّ، أمه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة.

أسرته ما بين شعراء وشواعر

والكميت أحد المُعرِقين في الشعر، أبوه معروف شاعر، وأمه سعدة شاعرة، وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر، وابنه معروف الكميت شاعر.

فأما أبوه فهو القائل لعبدالله بن المُساوِرِ بن هند:

إنَّ مُناخي أمسِ يا بنَ مُساوِرٍ ... إليكَ لَمِنْ شُرْبِ النُّقَاخِ المُصَرَّدِ[١]

تباعدتَ فوقَ الحقِ من آل فقعسٍ ... ولم ترجُ فيهم رِدَّةَ اليومِ أو غدِ[٢]

وقلتَ غِنًى لا فقرَ في العَيْشِ بعدَه ... وكلُّ فتًى للنائباتِ بمَرْصَدِ

كأنكَ لم تعلمْ محلَّ بيوتِكم ... مع الحيِّ بينَ الغورِ والمُتَنَجَّدِ

فلولا رجالٌ من جَذيمةَ قَصْرَةً ... عَدَدْتَ بلائي ثم قلتَ له اعدُدِ[٣]

/ أمه تؤنبه وترثيه

[١٤٤/٢٢]

وأمُّه سُعدةُ القائلة له، وقد تزوّج بنتَ أبي مَهْوَش على مراغمة لها، وكراهة لذلك، فغضبت سُعدةُ وقالت فيه:

عليكَ بأنقاضِ العراقِ فقد عَلَتْ ... عليكَ بتَخْدينِ النّساءِ الكرائمِ[٤]

لعمري لقد راش ابنُ سُعدَةَ نَفْسَهُ ... بريشِ الذُّنَابي لا بريشِ القَوادمِ[٥]

---

(١) الأبيات ـ كما يبدو ـ في العتاب. والبيت الأول من الطويل دخله الخرم، النقاخ: الماء العذب البارد، المصرد: من صرد العطاء: قلله، وصرد الإناء: وضع فيه ماء لا يكفي للشرب، كأنه لا يحمد مقامه عنده.

(٢) آل فقعس: قبيلة الشاعر، ولم ترج فيهم ردة اليوم والغد: طرحتهم جانبا، ولم تحتفظ بخط رجعتهم إليك، أو رجعتك إليهم.

(٣) قصرة: داني النسب، وفي هد، ف: «عددت بلادي» بدل «عددت بلائي».

(٤) بتخدين النساء: باتخاذهن أخدانا، وفي بعض النسخ: «غلت» بدل «علت» تقول له: عليك بمهازيل العراق، فقد ضنت عليك بكرائمها.

(٥) القوادم: ريشات عشر أو أربع في مقدمة جناح الطائر.

بَنَـى لـك معـروفٌ بنـاءً هـدمتَـهُ ولِلشَّـرف العـاديِّ بـانٍ وهـادمُ[(١)]

وهي القائلة ترثي ابنها الكُمَيْت:

لأمِّ البـلادِ الـويـلُ مـاذا تضمَّنَـت بـأَكْنـاف طـوري مـن عَفـافٍ ونـائـل[(٢)]

ومـن وَقَعـاتٍ بـالـرجـال كـأنهـا إذا عنَّـت الأحـداثُ وقْـعُ المنـاصـل

يُعـزِّي المُعـزّى عـن كُمَيْـتٍ فتنتهـي مقـالتـهُ والصَّـدر جـمُّ البَـلابـلِ

أخوه يرثيه

وأعشى بني أسد أخو الكميت، واسمه خَيْثَمةُ، الذي يقول يرثي الكُمَيت وغيرَه من أهل بيته:

هـوِّن عليـك فـإنّ الـدهـر منجـدبٌ كـلُّ امـرىءٍ عـن أخيـه سـوف ينْشَعِـب[(٣)]

فـلا يُغـرَّنْـكَ مـن دهـرٍ تقلُّبـه إنّ اللّيـالـيَ بـالفتيـان تنقلِـبُ

/ نـام الخلـيُّ وبـتُّ الليـلَ مُـرتفقـا كمـا تـزاور يخشـى دفّـه النَّكِـبُ[(٤)]

[٢٢/١٤٥]

إذا رجعـتُ إلـى نفسـي أحـدِّثهـا عمّـن تضمَّـن مـن أصحـابـيَ القُلُـب[(٥)]

مـن إخـوةٍ وبنـي عـمٍّ رُزِئتهـمُ والـدّهـرُ فيـه علـى مستعِتـبٍ عَتَـب

عـاودتُ وجـداً علـى وجـدِ أكـابـدُه حتـى تكـاد بنـاتُ الصَّـدْر تلتهـب[(٦)]

هـل بعـدَ صخـرٍ وهـل بعـد الكميتِ أخٌ أم هـل يعـودُ لنـا دهـرٌ فنصطحـبُ؟[(٧)]

لقـد علمـتُ ولـو مُلّيـت بعـدَهـمُ أنّي سـأنهـل بـالشُّـرب الـذي شـربـوا[(٨)]

ابنه معروف يتغزل

ومعروف بن الكميت القائل:

لقـد كنـت أحسبنـي جَلْـداً فهيَّجنـي بـالشيـب منـزلـةٌ مـن أمّ عمّـار

كـانـت منـازلَ لا ورهـاءَ جـافيـةٍ علـى الحـدوج ولا عُطْـلاً بمقفـار[(٩)]

---

(١) معروف: أبو الكميت، العادي: العتيق، يقال: مجد عادي، وشرف عادي، وفي البيت إقواء.

(٢) في هج، ف وردت «طورا» بالألف لا بالياء، وهي اسم مكان.

(٣) منجدب: مطاوع جدبه: ذمه، وعابه.

(٤) مرتفقا: متكئا على مرفق، تزاور: مال وانحرف، دفه: جنبه، النكب: المصاب في منكبه، وهو فاعل يتنازعه الفعلان «تزاور ويخشى».

(٥) القلب جمع قليب بمعنى البئر، ويعني الحفرة التي يدفن فيها الموتى.

(٦) البيت جواب الشرط «إذا رجعت»، بنات الصدر: كناية عن الضلوع، وفي ف، هج «بنات الدهر» والرواية الأولى أصح.

(٧) «نصطحب» معطوف على «يعود»، لا منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد الاستفهام، وإلا كان في البيت إقواء.

(٨) ولو مليت: ولو أمهلت، الشرب ـ بكسر الشين ـ الماء الذي يشرب.

(٩) «منازل» مضاف، وورهاء مضاف إليه، «ولا» فاصلة بينهما، الورهاء: المرأة الكثيرة الشحم، الحدوج: جمع حدج ـ بكسر الحاء ـ وهو مركب من مراكب النساء كالهودج، العطل: المرأة لا حلى لها، المقفار: الأرض المقفرة، وفي هد، هج، ف: «ولا عطلاء =

ومـا تجَـاوُزُنـا إذ نحـن نسكنهـا ... ولا تَفَـرُّقُنـا إلا بمقـدار

[١٤٦/٢٢]
١١١/١٩

/ صـوت

أرقـتُ لبـرق دُونَـه شَـذَاوِنِ ... يمـانٍ وأهـوى البـرقَ كـلَّ يمـانـي [1]

فليـت القِـلاصَ الأدمَ قـد وخـدَت بنـا ... بـوادٍ يمـانٍ ذي رُبـاً ومَجـانـي [2]

الشعر ليعلى الأحولِ الأزديّ، وجدت ذلك بخط أبي العباس محمد بن يزيد المبرد في شعر الأزد، وقال عمرُو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: هي ليعلى الأحْول، كما رَوى غيرُه، قال: ويقال: إنها لعمرو بن أبي عمارة الأزدي من بني خُنَيس [3]، ويقال: إنها لجوّاس بن حيانَ من إزد عمان.

وأول هذه القصيدة، في رواية أبي عمرو، أبيات فيها غناء أيضاً وهي:

صـوت

أو يُحكمـا يـا واشِـيَ أمِّ مَعْمَـرٍ ... بمَـن وإلـى مَـن جئتمـا تَشيـانِ؟ [4]

بمـن لـو أراه عـانيـاً لفـدَيْتُـهُ ... ومَـن لـو رآنـي عـانيـاً لفَـدانـي

لِعَريب في هذين البيتين ثَقِيل أول، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته، وقال ابن المكي: لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كُلّها.

= مقفار» وعلى الرواية الأولى كان القياس «عطل» بالجر لا بالنصب، وربما صح اعتبار ورهاء وجافية وعطلا» صفات لكلمة «منازل» وعلى هذا يكون المراد من قوله «لا ورهاء» أنها ليست ورهاء الرياح: ليست عاصفتها، والتوجيه الأول أصح، وهو الذي يتمشى مع رواية هد، هج، ف، وإلا كان في البيت إقواء؛ إذ يلزم عليه نصب كلمة «مقفار».

(١) شذوان: تثنية شذا: شجر تتخذ منه المساويك، كل: بدل من البرق.

(٢) القلاص الأدم: النوق السمراء، وفي هد، هج: «محاني» ـ بالحاء المهملة ـ بدل «مجاني» ـ بالجيم المعجمة ـ

(٣) في هج: «حبيش» بدل «خنيس».

(٤) في هج: «أم مالك» بدل «أم معمر».

[٢٢/١٤٧]

/ أخبار يعلى ونسبه

اسمه ونسبه

يعلى الأحولُ بنُ مسلم بن أبي قيس، أحدُ بني يَشكر بن عمرو بن رالان[1] ـ ورالانُ هو يشكر ـ ويشكر لقب لُقّب به ـ بن عمران بن عمرو بن عدي بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام ـ هكذا وجدته بخَطّ المبرد ـ بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

شاعر فاتك خليع:

شاعر إسلامي لص من شعراء الدولة الأموية، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكة عند نافع بن عَلْقَمة الكِنَاني[2] في خلافة عبد الملك بن مرْوان[3].

قال أبو عمرو: وكان يعلى الأحولُ الأزديّ لِصًا فاتكاً خارباً، وكان خليعا، يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم، فيغيرُ بهم على أحياء العرب، ويقطع الطريق على السّابلة، فَشُكِي إلى نافع بن علقمةَ بن الحارث بنِ محرّث الكنانيّ ثم الفقيمي، وهو خال مروان بـن الحكم، وكان والِيَ مكة، فأَخَذَ به عشيرته الأزدِيّين[4]، فلم ينفعه ذلك، واجتمع إليه شيوخ الحَيّ فعرّفوه أنه خليع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب، وأنه لو أَخَذَ به سائرَ الأزدِ ما وضع يده في أيديهم[5]، فلم يقبل ذلك منهم، وألزمهم إحضاره، وضَمّ إليهم شُرَطاً يطلبونه إذا طرق الحَيّ حتى يجيئوه به.

يسلمه قومه إلى الحاكم

فلما اشتَدّ عليهم في أمره طلبوه، حتى وجدوه، فأتوا به، فقيّده وأودعه الحبس، فقال في محبِسه:

[٢٢/١٤٨] // **قصيدته في سجنه**

أرقـــتُ لبـــرقٍ دونـــه شَـــدَوَانِ ... يَمـــانٍ وأهـــوى البـــرقَ كـــلَّ يمـــان[6]

فِبـــتُّ لـــدى البيـــت الحـــرام أشيمُـــهُ ... ومِطْـــوايَ مـــن شـــوقٍ لـــه أرقـــان[7]

(١) في ف، هج: «ابن فلان وفلان» بدل «ابن رالان» وأغلب الظن أنه تحريف.
(٢) في هج: «الكندي».
(٣) في بعض النسخ: «في خلافة مروان».
(٤) في رواية «الأدنين».
(٥) لعل المراد: ما وضع يعلى يده في أيدي قومه: ما أسلم نفسه إليهم.
(٦) تقدم هذا البيت.
(٧) أشيم: مضارع شام البرق ونحوه: تطلع إليه ليرى أين يقع مطره؟ وفي ب «أخيله» بدل «أشيمه» والمثبت من هد، هج وهو الصواب.

المِطْو: الصاحب.

إذا قلتُ: شِيماه يقولان والهوى ... يصادف منّا بعض ما تريان[1]

جرى منه أطرافُ الشري فمشيَّعٌ ... فأبيانُ فالحيَّان من دَمران[2]

فمرّانُ فالأقْباصُ أقْباصُ أملَجٍ ... فماوانِ من واديهما شَطِنَان[3]

هنالك لو طَوَّفْتما لوجدتما ... صديقاً من أخوانِ بها وغوان[4]

/ وعزْفُ الحمامِ الوُرْقِ في ظلِّ أيكةٍ ... وبالحي ذي الرَّوْدَين عزفُ قيان[5]

١١٢/١٩

ألا ليت حاجاتي اللواتي حَبَسْنَني ... لدي نافعٍ قُضِّينَ منذ زمان

وما بِيَ بُغضٌ للبلاد ولا قِلىً ... ولكنَّ شوقاً في سواه دعاني[6]

/ فليتَ القِلاصَ الأدم قد وخَدت بنا ... بوادٍ يمانٍ ذي رُباً ومجاني[7]

[١٤٩/٢٢]

بوادٍ يمانٍ يُنبِت السِّدرَ صدرُه ... وأسفله بالمرخ والشَّبَهان[8]

يدافعنا من جانبيه كليهما ... عزيفان من طرفائه هَدِبان[9]

وليت لنا بالجوز واللوز غيلة ... جناها لنا من بطن حلية جاني

الغيلة: شجر الأراك إذا كانت رطبة، ويروى في موضع: من بطن حلية: من حب جيحة.

وليتَ لنا بالدِّيك مُكّاءَ روضةٍ ... على فَنَنٍ من بطن حليةَ داني[10]

وليت لنا من ماء حزنة شربةً ... مبردةً باتت على طهمان[11]

ويروى: من ماء حمياء.

---

(١) شيماه: أمر من «شام» وألف الاثنين لصديقيه: والهاء للبرق المتقدم ذكره، وجملة «والهوى... الخ البيت» اعتراضية، ومقول القول في البيت التالي وما بعده.

(٢) مشيع، وأبيان، ومران: أماكن، وضمير «منه» يعود على البرق، أي يقول صاحباه: جرى ماء البرق في هذه الأماكن.

(٣) مران، أملج: مكانان، أقباص: جمع قبص ـ بفتح القاف وكسرها ـ وهو مجتمع الرمل الكثير، ماوان: تثنية ماء، شطنان: بعيدان.

(٤) وصل همزة «إخوان» لإقامة الوزن، وفي هد «عمران» ـ بالعين ـ بدل «غوان» وما في ب أصوب.

(٥) الورق: جمع ورقاء: ما كان لونها لون التراب، الرودين: تثنية رود: الريح اللينة، وفي ب «ذو» بدل «ذي» ولم نجد لها وجها.

(٦) في ب «قلا» ـ بالألف ـ وكان القياس أن يقول: «في سواها» بدل «في سواه» لأن الضمير ضمير البلاد، ولعله أعاد الضمير على «نافع» في البيت السابق.

(٧) تقدم هذا البيت.

(٨) المرخ والشبهان: مكانان.

(٩) عزيفان: تثنية عزيف: صوت الرياح حين تسفى الرمال، الطرفاء: أنواع من الشجر، منها الأثل، هدبان: تثنية هدب: من قولهم: عثنون هدب: مسترسل، وهذه هي رواية هد، وفي ب «هذبان» تثنية «هذب» من قولهم: فرس هذب: شديد السرعة، وفي ف: «هدبان» وفي هج: «هربان»، وفي هد، هج: «كلاهما» بدل «كليهما»، والذي اخترناه هو ما أثبتناه.

(١٠) المكاء: طائر.

(١١) في هج، ف: «طيهان» بدل «طهمان» وفي هد: «طيهان» وكلها أمكنة.

[٢٢/١٥٠]

/ صـوت

إن السلامَ وحُسنَ كلِّ تحيّةٍ تغدو على ابن مجزِّزٍ وتروحُ[١]
هلا فدى ابنَ مجزِّزٍ متفحشٌ شَنِجُ اليدين على العطاء شَحِيحُ[٢]

الشعر لجَوّاس العُذْرِيّ، والغناء لسائب بن خاثر خفيف ثقيل بالوسطى بن يحيى المكي والهشامي من رواية حماد عن أبيه، في أخبار سائب خاثر وأغانيه.



(١) في هد، هج، ف: «محرر» ـ برائين مهملتين ـ بدل «مجزز» بزايين معجمتين.
(٢) شنج اليدين: مقبوضهما، كناية عن البخل.

/ نسب جواس وخبره في هذا الشعر

[٢٢/ ١٥١]

اسمه ونسبه

هو جَوّاس بن قُطْبَةَ[(١)] العُذريّ، أحدُ بن الأحبّ رهطِ بُثينَةَ، وجَوّاسٌ وأخوه عبدالله الذي كان يهاجي جَميلاً ابنا عَمِّها دِنْيَةً، وهما ابنا قُطبةَ بن ثعلبةَ بن الهون ابن عمرو بن الأحبّ بنُ حُنّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة[(٢)] بن عبيد ابن كثير بن عجرة[(٣)].

يناقر جميل بن معمر فترجح كفته

وكان جوّاس شريفا في قومه شاعرا، فذكر أبو عمرو الشيباني:

أنّ جميلَ بن عبدالله بنِ مَعْمَرٍ لمّا هاجى جَوّاسا تنافرا إلى يهود تَيْماء، فقالوا لجميل: يا جميل، قُلْ في نفسك ما شئت، فأنت والله الشاعر الجميل الوجه الشريف، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أبيك ما شئت، ولا تذكرنَّ أنت يا جميل أباك في فخر؛ فإنه كان يسوق معنا الغنم بتَيْماء، عليه شملةٌ لا تُوارِي استَه، ونَفَّروا[(٤)] عليه جوّاسا، قال: ونَشِب الشرُّ بين جَمِيل وجوّاس، وكانت تحته أم الجُسَيْرِ أختُ بُثَينةَ التي يذكرها جميل في شعره، إذ يقول:

يـــــا خَلِيلَـــــي إن أمَّ جُسَيْـــــرِ حيـن يـدنـو الضَّجيـع مـن عَلَلِـهْ[(٥)]

روضـــــةٌ ذاتُ حَنْـــــوَةٍ وخُـــــزَامَـــــى جــادَ فيهــا الــربيــعُ مــن سَبَلِــهْ[(٦)]

[٢٢/ ١٥٢]

/ قوم جميل يثأرون منه

فغضب لجميل نَفَرٌ من قومه يقال لهم بنو سفيان، فجاءوا إلى جوّاس ليلا وهو في بيته، فضربوه وعَرَّوْا امرأتَه أمَّ الجُسَير في تلك الليلة، فقال جَميل:

مــا عَــرَّ جــوَّاسَ استَهــا إذ يسبُّهــم بصَقْـرَيْ بنـي سُفيـانَ قَيْـسٍ وعـاصـمِ[(٧)]

همــا جــرّدا أمَّ الجُسَيْــرِ وأوقعــا أمــرَ وأدهــى مــن وَقِيعــةِ ســالِــمِ

(١) في بعض النسخ: «قطنة»، بالنون لا بالباء.

(٢) في هد، هج، ف: «ضبة» بدل «عتبة».

(٣) في ف، هج: «عجوة».

(٤) نفروا بالتشديد ـ نصروا، وفضلوا.

(٥) العلل: الشرب مرة بعد مرة، والمراد العلل من رضاب أم جسير.

(٦) الحنوة: نبات سهلي، أو هي الريحان، أو نوع من الآذريون، الخزامي: نبت طيب الرائحة، السبل: المطر.

(٧) البيت من الطويل دخله الخزم، عر: ساء وضر، ومنع صرف جواس للضرورة ولم يتقدم مرجع لضمير «يسبهم» ولعل الأصل «يسبها» والمعنى عليه: ما ساء جواسا تعرية است امرأته حين سبّها بهذين البطلين.

يعني سالم بن دارة.

فقال جوّاس:

١١٣/١٩ / مـا ضُـرِبَ الجَـوّاسُ إلا فُجَـاءةً على غفلـةٍ مـن عَيْنِـه وهْـو نـائـمُ[١]

فـإلا تَعجُلْنـي المنيّـةُ يَصْطَبِـحْ بكـأسـك حِضْنـاكـم حُصَيْـن وعـاصِـمُ[٢]

ويُعطِـى بنـو سفيـان مـا شئـتُ عَنْـوةً كمـا كنـت تُعطِينـي وأنفُـك راغِـمُ

جميل يحدو ركاب مروان بن الحكم

وقال أبو عمرو الشّيباني:

حجّ مروانُ بن الحَكَم، فسار بين يديه جميلُ بن عبدالله بن مَعْمَر، وجوّاسُ بن قطبة، وجوّاس بن القَعْطل الكلبيّ، فقال لجَميل: انزل فسُقْ بنا، فنزل جميل فقال:

يـا بُثْـن حَيِّـي وَدِّعينـا أوصِلـي وهـوِّنـي الأمـرَ فـزُوري واعْجَلِـي[٣]

[١٥٣/٢٢] / ثُمّـت أيّـا مـا أردتِ فـافْعَلـي إنـي لآتـي مـا أتيـت مُـؤْتلـى[٤]

فقال له مروان: عَدّ عن هذا، فقال:

أنـا جميـلٌ والحِجـازُ وطنـي فيـه هَـوَى نَفْسِـي وفيـه شَجَنـي

هذا إذا كان السّياق دَدَني[٥]

جواس بن قطبة يحدو ركاب مروان

فقال لجَوّاس بن قطبة: انزل أنت يا جوّاس فسُق بنا، فنزل فقال ـ وقد كان بلغه عن مروان أنه توعّده إن هاجَى جميلا:

لسـتُ بعبـدٍ للمطـايـا أسـوقهـا ولكننـي أرمـي بهـنّ الفيَـافِيـا[٦]

أتـانـيَ عَـن مـرْوانَ بـالغيـب أنـه مُبِيـحٌ دمـي أو قـاطِـعٌ مـن لسـانيـا

وفـي الأرض مَنجـاة وفُسحَـةُ مـذهـبٍ إذا نحـن رقّقنـا لهـن المثـانيـا[٧]

فقال له مروان: أمَا إن ذلك لا ينفعُك إذا وجب عليك حق، فاركب لا ركبتَ.

---

(١) البيت من الطويل دخله الخزم أيضا.

(٢) يصطبح بكأسك... الخ: يشرب بالكأس التي كنت أسقيك بها حصين وعاصم، والبيت هو وما بعده إيعاد وتهديد.

(٣) في هد، هج: «يا بنة حنا» بدل «يا بثن حيي».

(٤) مؤتلى: من ألا الشيء ألو: استطاعه.

(٥) الددن: اللهو، كالدد، وفي هج: «بدني» بدل «ددني» ولا معنى له.

(٦) البيت من الطويل دخله الخرم.

(٧) المثاني: ما يكرر ويثنى من الآيات القرآنية وغيرها، ويريد بها هنا أناشيد الحداء، وضمير «لهن» يعود على الإبل المفهومة من المقام، أو على المطايا المذكورة في البيت الأول، وفي هد، هج: «وللمرء مذهب» بدل «وفسحة مذهب».

جواس بن القعطل يحدو ركاب مروان

ثم قال لجَوّاس بن القَعْطل ـ ويقال بل القصة كلها مع جواس بن قطبة ـ: انزل فارجز بنا، فنزل فقال هذه الأبيات:

يقــول أَميــري: هــل تســوقُ ركــابَنــا ... فقلــتُ: اتّخــذ حــادٍ لهــن ســوائِيــا[1]

تكــرمــتُ عــن سَــوْقِ المَطــيّ ولــم يكــن ... سِيــاقُ المطــايــا هِمَّتــي ورَجــائِيــا

/ جعلــتَ أبــي رِهْنــاً وعِــرضــيَ ســادراً ... إلــى أهــل بيــتٍ لــم يكــونــوا كِفــائيــا[2] [١٥٤/٢٢]

إلــى شــرِّ بيــت مــن قُضــاعَــة منصِبــاً ... وفــي شــرِّ قــوم منهــمُ قــد بَــداليــا

فقال له: اركب لا ركبتَ.

عود إلى الصوت وخبر ابن مجزز

والأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جَّواسُ بنُ قُطْبَةَ العذريُّ علقمةَ بن مجزِّز قال أبو عَمْرو الشيبانيُّ: وكان عُمَر ابنُ الخطاب رضي الله عنه بعث علقمةَ بن مجزز الكنانيَّ ثم المدلجيَّ في جيش إلى الحبشة، وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلا بإذن الملك، وإلا قوتلوا عليه، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سُمًّا، فوردوه مغترين[3]، فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، وكانوا قد أكلوا هناك تمراً، فنبت ذلك النوَى الذي ألقوه نخلا في بلاد الحبشة، وكان يقال له نخل ابن مجزز، فأراد عمر أن يجهزَ إليهم جيشاً عظيماً فشُهِد عنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اتركوا الحبشة ما تركوكم، وقال: وددت لو أن بيني وبينهم بحراً[4] من نار، فقال جوّاس العذري يرثي علقمةَ ابن مجزز:

إنّ السّــلامَ وحُسْــنَ كــلِّ تحيــةٍ ... تغــدو علــى ابــن مجــزِّز وتَــروحُ

فــإذا تجــرّد حــافِــراك وأصبحــت ... فــي الفجــر نــائحــةٌ عليــك تنــوحُ[5]

وتخيّــروا لــك مــن جيــادِ ثيــابهــم ... كفنــاً عليــك مــن البَيــاض يلــوح

/ فهنــاك لا تُغنِــي مــودّةُ نــاصــحٍ ... حــذرا عليــك إذا يُسَــدُّ ضــريــحُ [١١٤/١٩]

/ هــلا فَــدى ابــنَ مجــزز متفحّــشٌ ... شَنِــجُ اليــديــن علــى العطــاء شحيــحُ [١٥٥/٢٢]

متمــرِّعٌ ورعٌ وليــس بمــاجــدٍ ... متملّــح وحــديثُــه مقبــوحُ[6]

وفيمن هلك مع ابن مجزز يقول جوّاس:

---

(١) كان القياس «اتخذ حاديا» ولكنه أجراها مجرى «ولو أن واش باليمامة داره» للضرورة.

(٢) الرهن ـ بكسر الراء ـ من قولهم: هو رهن مال ونحوه، أي سائس.

(٣) لعلها «معترين» بالعين المهملة، لا مغترين بالغين المعجمة، من اعترار الفقر والحاجة، أو التعرض للمعروف دون سؤال.

(٤) في هد: «جبلا».

(٥) لعل المراد: تجرد حافرا قبرك: تخففا من ثيابهما استعدادا للحفر.

(٦) متمرع... الخ: صفات «المتفحش» في البيت السابق، والمتمرع: طالب المرع: الخصب، يريد أنه جشع، ورع: جبان، متملح: يتكلف الملاحة، وفي هج: «وحديثه مملوح» بدل «مقبوح» كأنه يريد أن حديثه ملح لا عذب.

أَلَهْفِي لِفِتيانٍ كأنّ وجوهَهم دنانيرُ وافت مهْلِكَ ابنِ مُجزَّز

[١٥٦/٢٢]

صوت

أَحَبّتَنا بأَبِي أَنتُمُ وسَقْياً لكم حيثما كُنْتُمُ

أطلتُمْ عَذابي بميعادِكم وقلتُم نزورُ فما زرتُمُ

فأُمسك قلبِي على لوعتي ونمَّتْ دموعي بما أَكتُمُ

ففيمَ أسأتم وأخلفتُمُ وقِدْماً وفَيْتُمْ وأحسنتُمُ

الشعر لإبراهيم بن المدبر، والغناء لَعريب خفيف ثقيل.



/ أخبار إبراهيم بن المدّبر [٢٢/١٥٧]

نشأته

أبو إسحاق بن المُدَبِّر شاعرٌ كاتب متقدم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوي الجاه والمتصرِّفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات، وكان المتوكلُ يقدّمه ويؤثره، ويفضله، وكانت بينه وبين عَريبَ حالٌ مشهورة، كان يهواها، وتهواه، ولهما في ذلك أخبار كثيرة، قد ذكرتُ بعضها في أخبار عَريبَ، وأذكر باقيها هاهنا.

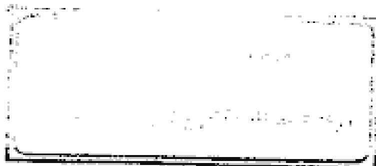
بين يدي المتوكل

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةَ قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال:

مرض المتوكل مرضة خِيف عليه منها ثم عوفي، وأُذِن للناس في الوصول إليه، فدخلوا عَلَى طبقاتهم كافة ودخلتُ معهم، فلما رآني استدناني، حتى قُمتُ وراء الفتح، ونظر إليَّ مُستنْطِقًا فأنشدته:

يـومٌ أتـانـا بـالسـرورِ ... فـالحمـد لله الكبيـرِ
أخلصـتُ فيـه شُكـرَه ... ووَفَيـتُ فيـه بـالنُّـذورِ
لمـا اعتَلَلـتَ تَصـدَّعـتْ ... شُعَـبُ القلـوب مـن الصـدورِ[١]
مـن بيـن ملتهـب الفـؤا ... د وبيـن مكتئـبِ الضميـرِ[٢]
يـا عُـدَّتـي للـدِّيـنِ والـدُّنيـ ... ـا وللخَطْـب الخطيـرِ
كـانـت جُفـونـي ثَـرَّةَ الـ ... آمـاق بـالـدَّمـعِ الغَـزيـرِ
لـو لـم أمـت جـزعـاً لعمـ ... رُكَ إننـي عيـنُ الصبـور
/ يـومـي هنـالـك كـالسّنيـ ... نَ وسـاعتـي مِثـلُ الشُّهـورِ [٢٢/١٥٨]
يـا جعفـرُ المتـوكـلُ الـ ... ـعـالـي عَلَـى البـدرِ المُنِيـرِ
اليـومَ عـاد الـديـن[٣] غـضَّ ... العـود ذا وَرَقٍ نَضِيـرِ
واليـومَ أصبحـت الخـلا ... فـة وهـي أرسـى مـن ثَبِيـرِ[٤]
قـد حـالَفَتْـكَ وعـاقَـدَتْـ ... ك عَلَـى مطـاولَـةِ الـدُّهـورِ

(١) هج: «من الصدور».
(٢) هج: «من بين مكتئب الفؤاد وبين ملتهب».
(٣) هج: «عاد الملك».
(٤) ثبير: جبل.



١١٥/١٩

/ يـا رحمـةً للعـالميـ نَ ويـا ضيـاء المستنيـر
يـا حجـةَ اللهِ الَّتـي ظَهَـرَتْ لـه بِهُـدَى ونُـور
لله أنـتَ فمـا نُشَـا هِـدُ منـكَ مـن كَـرم وخيـر
حتـى نقـول ومَـن^(١) بِقُـر بِـكَ مـن ولِـيٍّ أو نَصيـر
البـدرُ ينطِـق بيننـا أَمْ جعفـرٌ فـوقَ السـريـر!
فـإذا تـواتَـرتِ العَظَـا ئِـمُ كُنـتَ منقطـعَ النَّظيـر
وإذا تعـذَّرت^(٢) العَطَـا يَـا كنـتَ فيَّـاضَ البُحـور
تُمضـي الصـوابَ بـلا وزيـ رٍ أو ظهيـرٍ^(٣) أو مُشيـر

فقال المتوكلُ للفتح: إن إبراهيمَ لينطق عن نية خالصة، وودٍّ مَحْض، وما قضينا حقّه، فتَقَدمْ بأَن يُحملَ إليه الساعةَ خمسون ألف درهَم، وتُقدمْ إلى عبيدالله بن يحيي بأن يُولِّيه عملا سَرِيًّا^(٤) يَنتفع به.

[١٥٩/٢٢] / المتوكل ينتقض عليه ويودعه السجن

حدثني عمّي قال: حدثني محمد بن دَاود بن الجَرَّاح قال:

كان أحمدُ بنُ المدبِّر ولِيَ لعبيدالله بنِ يحيى بن خاقانَ عملاً، فلم يَحمَد أثرَه فيه، وعمل عَلَى أن يَنْكُبَه. وبلغ أحمدَ ذلك فهربَ، وكان عُبيدالله منحرِفاً عن إبراهيم، شديدَ النَّفاسة^(٥) عليه برأي المتوكل فيه، فأغراه به، وعرّفه خبرَ أخيه، وأدَّعى عليه مالاً جليلا، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه، وأوغر صدرَه عليه حتى أذن له في حَبْسه، فقال وهو محبوس:

تسلـيْ ليـس طـولُ الحبـس عـاراً^(٦) وفيـه لنـا مـن الله اختيـارُ
فلـولا الحبـس مـا بُلِـي اصطبـارٌ ولـولا الليـلُ مـا عُـرِفَ النهـارُ
ومـا الأيـام إلا مُعْقِبـاتٌ^(٧) ولا السلطـانُ إلا مستعـارُ
وعـن قـدرٍ حُبِسْـتُ فَـلاَ نَقِيـضٌ وفيمـا قَـدَّرَ الله الخيَـارُ^(٨)
سيُفْـرَجُ مـا تـريـنَ إلـى قليـلٍ مقـدره وإن طـال الإسَـارُ

ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حِسَانٌ مختارة، منها قولُه في قصيدة أولها:

---

(١) من معطوفة على ضمير «نقول» بلا فاصل، وذلك رأي مرجوح.
(٢) في جـ: «تغورت».
(٣) ظهير: معين.
(٤) في جـ، هج: «سنياً»، يعني شريفا.
(٥) النفاسة: مصدر نفست عليه الشيء إذا ضننت به، ولم تحب أن يصل إليه.
(٦) في هج: «تسل فليس طول الحبس عار» على التصريح وجعل عار اسم ليس مؤخرا.
(٧) معقبات: يعقب بعضها بعضا بالخير والشر أو بالنور والظلام.
(٨) البيت زيادة في ج، وفي هد: «حبست فلا تراعي».

أدموعُها أم لؤلؤٌ متناثرُ ... يندى به وَرْدٌ جنيٌّ ناضرُ

يقول فيها:

لا تؤيسنَّكَ من كريمٍ نَبْوةٌ ... فالسيفُ ينبو وهو عضبٌ باترُ[1]

هذا الزمانُ تسومُني أيامُه ... خَسْفاً[2] وهأنذا عليه صابرُ

/ إن طال ليلي في الأسارِ فطالما ... أفنيتُ دهراً ليلهُ متقاصرُ [٢٢/١٦٠]

والحبسُ يحجبُني وفي أكنافِه ... منّي عَلَى الضرّاءِ ليثٌ خادرُ[3]

عجباً له كيف التقت أبوابُه ... والجودُ فيه والغمامُ الباكرُ؟[4]

هلا تقطّع أو تصدّع أو وَهى ... فعذرتُه؛ لكنّه بِيَ فاخرُ

ومنها قوله في قصيدة أولها:

ألا طرقت سَلْمَى لدَى وَقْعةِ السّاري ... فريداً وحيداً موثقاً نازحَ الدارِ[5]

هو الحبسُ ما فيه عَلَيَّ غَضاضةٌ ... وهل كان في حبس الخليفةِ مِن عارِ!

يقول فيها:

ألستِ ترينَ الخمر يظهرُ حسنُها ... وبهجتُها بالحبس في الطين والقارِ![6]

/ وما أنا إلا كالجوادِ يصونه ... مقوِّمه للسّبْق في طَيِّ مضمارِ ١١٦/١٩

أو الدُّرّةِ الزهراءِ في قعرِ لُجَّةٍ ... فلا تُجتَلى إلا بهَولٍ وأخطارِ

وهل هو إلا منزِلٌ مثلُ منزلي ... وبيتٌ ودارٌ مثلُ بيتيَ أو داري؟

فلا تنكري طولَ المدَى وأذى العِدى ... فإنّ نهاياتِ الأمورِ لإقصارِ[7]

لعلّ وراءَ الغيبِ أمراً يسرُّنا ... يقدّرُه في علمِه الخالقُ الباري

وإنّي لأرجو أن أصولَ بجعفرٍ ... فأهضمَ أعدائي وأُدْرِكَ بالثّارِ

/ يثني على من خلّصه من سجنه [٢٢/١٦١]

فأخبرني عمي عن محمدِ بنِ داودَ:

---

(١) ينبو: يبعد في ضربه.

(٢) في هج: حتفا.

(٣) أكنافه: نواحيه جمع كنف، الضراء: الشدة والضيق، خادر: ملازم لأجمته. وفي ف: «والسجن يحجبني».

(٤) في جـ: «والربيع الباكر» بدل الغمام ولفظها أليق.

(٥) الطرق: الضرب على الباب ليلا. وقعة الساري: نومته آخر الليل، نازح: بعيد عنه.

(٦) القار والقير: ما يدهن به سداد الدنان.

(٧) هذا البيت في هد، وهج، ساقط في غيرهما ومعنى «إقصار» انتهاء وترك وكف.

أن حبسه طال، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلةٌ مع عَضْل[١] عبيدالله وقصدِه إياه، حتى تخلّصَه محمدُ بنُ عبدالله بن طاهر، وجَوَّد المسألة في أمره[٢]، ولم يلتفت إلى عُبيدالله، وبذل أن يحتملَ في ماله كلَّ ما يطالبُ به، فأعفاه المتوكل من ذلك، ووهبه له، وكان إبراهيم استغاثَ به ومدحَهُ، فقال:

دعوتُك من كَرْب[٣] فلبّيتَ دعوتي ... ولم تتعرضْني إذ دعوتُ المعاذرُ
إليك وقد حُلّئتُ[٤] أوردتُ هِمّتي ... وقد أعجزتني عن هُمُومي المَصادرُ
نمى بك عبدُالله في العزّ والعُلا ... وحاز لك المجدَ المؤثّلَ طاهرُ
فأنتم بَنو الدنيا وأملاكُ جوّها[٥] ... وساسَتُها والأعظَمون الأكابرُ
مآثرُ كانتْ للحُسَين ومُصعَبٍ ... وطلحةَ لا تحوِي مَداها المفاخرُ[٦]
إذا بذلوا قيلَ الغيوثُ البواكرُ ... وإن غَضِبوا قيل الليوثُ الهواصرُ[٧]
تطيعكُمُ يَومَ اللقاء البواترُ ... وتزهو[٨] بكمْ يوم المقامِ المنابرُ
وما لكُمُ غيرَ الأسرّة مجلسٌ ... ولا لكُمُ غيرَ السيوفِ مخاصرُ[٩]
ولي حاجة إن شئتَ أحرزتَ مجدها ... وسرَّكَ منها أولٌ ثم آخرُ
[١٦٢/٢٢] / كلام أميرِ المؤمنين وعطفُه ... فما ليَ بعد الله غيرَكَ ناصرُ
وإن ساعدَ المقدورُ[١٠] فالنُّجح واقع ... وإلا فإني مخلص الودّ شاكِرُ

عريب تكاتبه وتشفع له

حدثني جعفر بنُ قُدامة قال:

كتبت عَريبُ من سُرَّ من رأى إلي إبراهيم بن المدبر كتابًا تتشوَّقُه فيه، وتخبره باستيحاشها له، واهتمامها بأمره، وأنها قد سألت الخليفةَ في أمره، فوعدها بما تُحِبُّ، فأجابَها عن كتابها، وكتب في آخر الكتاب:

لعمرك ما صوتٌ بديعٌ لمعبَدٍ ... بأحسنَ عندي من كتاب عَريبِ

---

(١) عضل: منع.
(٢) جود المسألة في أمره: أحسن الشفاعة فيه.
(٣) في جـ: «عن كرب».
(٤) في ب، س: جليت وهي تحريف، ومعنى حلئت: منعت الماء.
(٥) في هج: «شرقها» بدل «جوها».
(٦) المفاخر: جمع مفخرة: ما يتباهى به.
(٧) الهواصر: الكواسر المحطمة.
(٨) في م، هج، هد: ونزهى، والمعنى ونفتخر.
(٩) المخصرة: ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب.
(١٠) في م، هد، هج: «المقدار»، والمعنى واحد.

تـأمّلـتُ فـي أثنـائـه خَـطَّ كـاتـبٍ ورقّـةَ مشتـاقٍ ولَفـظَ خَطيـبِ
وراجَعنـي مـن وصلهـا مـا استـرقَّني وزهَّـدنـي فـي وصـلِ كـلِّ حَبيـبِ
فصـرتُ لهـا عبـداً مُقـرًّا بِملكِهَـا ومستمسِكـاً مـن وُدهـا بنصيـبِ

يحب نبتا وتحب هي مظفرا

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال:

كان عليّ بنُ يحيى المنجّم وإبراهيم بن المدبر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسُرَّ من رأى على حال أُنس، وكانت تغنّيهم جارية يقال لها نَبْتٌ جاريةُ البكرية[1] المغنية من جواري القِيان، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبِّر بنظره ومَزْحه / وتجميشه[2]، وهي مقبلة على فتىً كان أمردَ من أولاد الموالي يقال لهُ مُظَفَّر، كانت تهواه، وكان أحسن الناس وجهاً، ولم يزل ذلك دأبَهم إلى أن افترقوا، فكتبَ إليه عليُّ بنُ يحيى يقول:

١١٧/١٩

لقـد فتنَـتْ نبـتٌ فتـى الظَّـرف والنَّـدى بمقلـةِ رِيـمٍ فـاتـرِ الطَّـرفِ أحـورِ
/ وشـدوٍ يـروقُ السـامعيـن ويمـلأ الـ قلـوب سـروراً مُـونِـقٍ متخيَّـرِ

[٢٢/١٦٣]

فـأصبـحَ فـي فـخِّ الهـوى متقنِّصـاً عـزيـزٌ علـى إخـوانـه ابـنُ المـدبِّـرِ[3]
ولـم تـدرِ مـا يَلْقـى بهـا ولـو أنّهـا درَتْ رؤّحـتْ مـن حَـرِّه المُتَسـعِّـرِ
وذاكَ بهـا صـبٌّ ونَبْـتٌ خليَّـةٌ ومشغـولـةٌ عنـه بـوجـه مُظَفَّـرِ
ولـو أنصفـتْ نبـتٌ لمـا عـدلـتْ بـه سـواهُ وحـازت حُسْـنَ مـرأى ومَخْبَـرِ

فكتب إليه إبراهيم بن المدبر:

طَـرِبْـتُ إلـى قُطْـرُبُّـلٍ[4] وبَلَشْكـرِ[5] وراجعـتُ غَيًّـا ليـس عنـي بمُقصِـرِ
وذكَّـرنـي شعـرٌ أتـانِـيَ مـونِـقٌ حبـائـبَ قَلبـي فـي أَوائـلِ أعصُـري
فنَهنَهـتُ[6] نفسـي عـن تـذكُّـرِ مـا مضـى وقلـتُ: أفيقـي لاتَ حيـنَ تـذكُّـرِ
أبـا حَسَـنٍ مـا كنـتَ تعـرَفُ بـالخَنَـا ولا بِعُلُـوٌ فـي المكـانِ المـؤخّـرِ[7]
ومـا زِلـتَ محمـود الشمـائـل مرتضـى الخـلائـقِ معـروفـا[8] بعُـرْفٍ ومنكَـرِ

---

(١) في ف «بنت حارثة البكرية» بدل «جارية البكرية».

(٢) في ب، س «تخميشة» وهو تحريف، والتجميش: المغازلة بالقرص واللعب.

(٣) في جـ، هج: «لُجِّ الهوى».

(٤) قطربل: قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر.

(٥) بلشكر من قرى بغداد. وفي هج: «وراجعت عما لست عنه بمقصر».

(٦) نهنهت: كفت وزجرت.

(٧) الخنا: الفحش في القبول، في جـ: «بغلو في المقال» وفي م: «في المقام».

(٨) في هج: «مقرونا».

أترمـي بنَبْتٍ مـن جفـاهـا تَخَيُّراً ... وبـاعـدهـا عنـه بـرأيِ مـوقَّـرِ؟[1]

ودافعَهـا عـن سـرِّهـا وهـي تَشْتكـي ... إليـه تبـاريـحَ الهـوى المتسعِّـرِ[2]

ولـو كـان تبّـاعـاً دواعـيَ نفسِـه ... إذاً لقضـى أوطـارَه ابـنُ المـدبّـرِ

[٢٢/١٦٤] / علـى أنـه لـو حصحَـصَ الحـقُّ بـاعَهـا ... ولـو كـان مشغـوفـاً بهـا بمُظَفَّـرِ

بلـؤلـؤةٍ زهـراءَ يشـرُق ضـوءُهـا ... وغُـرَّةِ وجـهٍ كـالصبـاحِ المشهَّـرِ

إلـى الله أشكـو أنَّ هـذا وهـذِه ... غـزالاً كثيـبٍ ذي أقـاحٍ مُنـوِّرِ

وأنـتَ فقـد طـالبتَهـا فـوجـدتَهـا ... لهـا خُلُـقٌ لا يـرغَـوي ذو تـوعُّـرِ

وحـاولـتَ منهَـا سلـوة عـن[3] مُظَفَّـرٍ ... فمـا لان منهـا العِطْـفُ عنـد التَّخَيُّـرِ[4]

نصحتُـك عـن وُدٍّ ولـم آلُ جـاهـداً ... فـإن شئـتَ فـاقبـل قـولَ ذي النصـح أوذَرِ

فكتب إليه عليُّ بنُ يحيى المنجم:

لعمـري لقـد أحسنـتَ يـا بـنَ المـدبّـر ... ومـا زلـت فـي الإحسـان عيـن المشهَّـرِ

ظَـرُفْـتَ ومـن يجمـعْ مـن العلـم مثـلَ مـا ... جمعـت أبـا إسحـاق يَظْـرُفْ ويُشْهَـرِ[5]

ولإبراهيمَ في نَبْتٍ هذه أشعارٌ كثيرةٌ منها قولُه:

نَبْـتٌ إذا سكتَـت كـان السكـوتُ لهـا ... زَيْنـاً وإن نطقـت فـالـدرُّ يَنْتَثِـرُ

وإنمـا أقصـدتْ[6] قلبـي بمُقْلَتِهـا ... مـا كـان سهـمٌ ولا قـوسٌ ولا وَتَـرُ

وقوله:

يـا نبـتُ يـا نبـتُ قـد هـام الفـؤادُ بكـم ... وأنـت واللهِ أحلـى الخلـقِ إنسـانـا

ألَا صِلينـي فـإنّـي قـد شُغِفـتُ بِكُـمْ ... إن شئـتِ سـرًّا وإن أحببـتِ إعـلانـا

خاتما عريب

١١٨/١٩ / أخبرني جعفرُ بن قدامة قال:

[٢٢/١٦٥] كان في إصبع إبراهيم بن المدبر خاتمان وهبتْهما له عَريب، وكانا مشهورين لها، / فاجتمع مع أبي العُبَيس بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب، فلما سكرا اتفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العُبَيس، ويقيمَ عنده من غدٍ إن لم يُرَ الهلال، وأخذ الخاتَمين منه رهناً. ورُئِي الهلالُ في تلك الليلة، وأصبح الناس صياماً،

---

(١) ف: «برأي موفر» بالفاء.

(٢) المستعر: المتقد، وفي جـ، وهد، وهج: «دافعها عن وصله».

(٣) في جـ، هد، هج: «سلوة من».

(٤) في جـ: «التجير».

(٥) في جـ: «ويشعر».

(٦) أقصدت: أصابت فلم تخطىء.

فكتب إبراهيم إلى أبي العُبَيس يطالبه بالخاتمين، فدافَعَه، وعبث به، فكتب إليه من غد:

كيف أصبحتَ يا جعلتُ فِدًا كا ... إنني أشتكي إليك جَفاكا
قد تَمادى بك الجفاءُ وما كنـ ... ـتَ حقيقاً ولا حَرِيًّا بذاكا
كُن شبيهاً بمن مضى جعل اللـ ... ـهُ لكَ العُمرَ دائماً ورَعَاكا
إنَّ شهرَ الصيامِ شهرُ فكاكٍ ... أنتَ فيه ونحنُ نرجو الفَكاكا
فارددِ الخاتَمينِ ردًّا جَميلا ... قد تنعَّمتَ[1] فيهما ما كفاكا
يا أبا عبدِالله دعوةَ داعٍ ... يرتجي نُجحَ أمره إذ دعَاكا
[2]ـ يعني أبا عبدالله بن حمدون والد أبي العبيس المخاطب بهذا الشعر ـ[2]
خاتماي اللذانِ عند أبي العبـ ... ـاس قد شارفَا لديه الهلاكا
وهو حُرٌّ وقد حكاكَ كما أنـ ... ـك قد المكرُماتِ تحكِي أباكا

فبعث بالخاتَمين إليه.

عريب تزوره؛ وتستزير أبا العبيس

وأخبرني جعفر قال:

زارت عَريبُ إبراهيم بن المدبر وهو في داره على الشاطىء في المُطَيْرة[3] واقترحت عليه حضور أبي العُبَيس فكتب إليه إبراهيم:

/ قل لابنِ حمدونَ ذاك الأريبِ ... وذاك الظريفِ وذاك الحسيبِ[4] [٢٢/١٦٦]
كتابي إليكَ بشكوى عَريبِ ... لوجدٍ شديدٍ وشوقٍ عجيبِ
وَشوْقِي إليكَ كشوق الغريبِ ... إلى أرضِهِ بعد طولِ المغيبِ
ويومِيَ إن أنتَ تَمَّمتَه ... بقُربكَ ذُو كُلِّ حُسْنٍ وطِيبِ
حَبَاني الزمانُ كما أشتَهي ... بقرب الحبيبِ وبُعْدِ الرقيبِ
فما زلتُ أشربُ من كفِّه ... وأسقيه سقيَ اللطيفِ الأديبِ[5]
ويشكو إليَّ وأشكو إليه ... بقولٍ[6] عفيفٍ وقولِ مريبِ

(١) تنعمت: تمتعت: وفي ب، س، جـ، هد، هج: «تولعت».
(٢ ـ ٢) التكملة من هد وهج.
(٣) المطيرة: قرية من متنزهات بغداد وسامراء.
(٤) البيت من المتقارب دخله الخرم.
(٥) في جـ: «الأريب».
(٦) هج، هد: «بفعل عفيف».

إلـى أن بـدا لـيَ وجـهُ الصباح كـوجهـك ذاك العجيبِ الغـريـبِ[1]
فـلا تُخْلِنـا[2] يـا نظـامَ السـرو ر منـك فـأنـت شفـاءُ الكَئيـبِ
وغـنّ لنـا هَـزَجـاً مُمْسِكـاً تَخِـفّ لـه حـركـاتُ اللبيـبِ[3]
فـإنـك قـد حُـزتَ حسـن الغنـاءِ وقـد فُـزتَ منـه بـأوفـى نصيـب
وكـن بـأبـي أنـت رَجْـعَ الجـوابِ فِـداؤك أنفُسُنـا مـن مُجيـبِ[4]

يعجبه اللحن فيكمله

أخبرني جعفر قال:

غنَّى أبو العُبيس بنُ حَمْدون يوما عند إبراهيم:

[١٦٧/٢٢]

/ صوت

إنـي سـألتـكَ بـالـذي أدنـى إليـكَ مـن الـوريـدِ
إلاَّ وصلـتَ حبـالَنـا وكَفَيْتَنـا شـرَّ الـوعيـدِ

١١٩/١٩ / فزاد فيه إبراهيم[5] قوله:

الهجـرُ لا مستحسَـنٌ بعـد المـواثـقِ والعهـودِ
وأراكِ مغـراةً بـه[6] أفمـا غـرِضـت مـن الصـدودِ؟[6]
إنـي أجـدِّدُ لـذَّتـي مـا لاح لـي يـومٌ جـديـدُ[7]
شُـربـي معتّقـة الكُـرو م ونُـزهَتـي وَرْدُ الخُـدُودِ

فغنى هذه الأبيات أبو العُبَيس متصلة باللحن الأول في البيتين وصار الجميع صوتاً واحداً إلى الآن، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبر والأوّلان لَيْسَا له.

(١) في حـ، هد، هج: «الحبيب القريب».
(٢) في: جـ: «فلا تخلها».
(٣) في م: «يحن إليه فؤاد».
(٤) في حـ، وهج: «من حبيب».
(٥) في هج: «إبراهيم بن المدبر».
(٦) مغراة: مولعة من أغرى بالشيء أولع به، غرضت: ضجرت ومللت.
(٧) في البيت إقواء وفي هج، هد: «ما دمت في يوم جديد».

نسبة هذا الصوت

الغناء في البيتين الأولين خفيف ثقيل مزموم[١] لأبي العبيس، وفيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق وفيهما لعريب[٢] ثاني ثقيل بالوسطى.

يكمل لحناً آخر

قال جعفر: وغنته[٣] يوماً كُراعةُ بسُرَّ من رأى ونحن حضور عنده.

[١٦٨/٢٢]

/ يا معشر الناسِ أما مُسلمٌ ... يشفعُ عند المذنبِ العاتبِ؟
ذاك الذي يهربُ من وصلِنا ... تعلَّقوا باللهِ بالهاربِ

فزاد فيهما قولَه:

ملَّكتُه حَبْلي ولكنَّه ... ألقاهُ من زُهدٍ عَلَى غاربي
وقال إني في الهوى كاذبٌ ... فانتقمَ اللهُ من الكاذب[٤]

عود إلى حبس المتوكل له

حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن داود قال:

كتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبدالله بن حمدون[٥] في أيام نكبته يسأله إذكارَ المتوكِّل والفتح بأمره:

كم تُرَى يبقَى علَى ذَا بدني ... قد بَلِي من طول هَمٍّ وضَني![٦]
أنا في أسرٍ وأسبابِ رَدًى ... وحديدٍ فادحٍ يكْلِمُني[٧]
يا بن حمدونَ فتى الجودِ الذي ... أنا منه في جَنًى وردٍ جَنِي
ما الذي ترقُبُه أم ما ترى ... في أخٍ مضطَهدٍ مرتَهَنِ!
وأبو عمرانَ موسى[٨] حنقٌ ... حاقدٌ[٩] يطلُبني بالإحَنِ[١٠]
وعبيدُ اللهِ أيضاً مثلُه ... ونجاحٌ بي مُجِدٌّ مَا يَنِي

---

(١) مزعوم من الزم وهو شد الأوتار.
(٢) في ب، س: لريق، وهو تحريف.
(٣) في ب، س: «وغنيته» وهو تحريف.
(٤) في هد، هج: «انتقم الله» بدون فاء.
(٥) حمدون: أحد ندماء المتوكل.
(٦) ضنى: تعب.
(٧) يكلمني: يجرحني.
(٨) أبو عمران موسى بن بغا الكبير أحد قواد المتوكل.
(٩) كذا في م وفي ب، س: حاقن، ولا معنى لها.
(١٠) جمع إحنة وهي الحقد والغضب.

[١٦٩/٢٢] / ليس يشفيه سوى سفكِ دمي أَو يراني مُدرَجاً في كَفَني
والأميرُ الفتحُ إن أذكرتَه حُرمَتي قام بأمري وعُني
فأْلُ[1] صدقٍ حين أدعو باسمه وسرور حين يَعْرو حَزَني
قل له: يا حُسْنَ ما أوليتني مالِمَا أوليتني من ثَمن
زاد إحسانَك عندي عِظَماً أَنّه بادٍ لمن يعرفُني
لستُ أدري كيف أجزيك به غير أني مُثقَلٌ بالمِنَن
ما رأى القومُ كذَنبي عندهم عُظْمُ ذَنبي أَنَّني لم أخُن
ذاك فِعلي وتُراثي عن أبي واقتدائي بأخي في السُّنَن
سنَّةٌ صالحة معروفَة هي منّا في قديم الزمَن
١٢٠/١٩ / ظَفِر الأعداءُ بي عن حيلةٍ ولعلّ الله أن يُظفِرني
ليتَ أني وهُمُ في مجلسٍ يَظْهَرُ الحقُّ به للفَطِن
فترى لي ولهُم ملحمةً يَهلِكُ الخائنُ فيها والدَّني
والذي أسأَلُ أن يُنصِفَني حاكِمٌ يَقضي بما يلزمُني
قُل لحمدونَ خليلي وابنِه ولعيسى[2] حرِّكوه يا بَني

ـ يعني يا بَني الزانية، فلم يزالوا في أمره حتى خلّصوه ـ

هل جرب الخمر من فمها؟

حدثني محمد بن يحيى الصولي: قال:

كان إبراهيم بن المدبر يحب جارية للمغنية المعروفة بالبكرية بسُرَّ من رأى فقال فيها:

[١٧٠/٢٢] / غادرتِ قلبي في إسار لديكِ فويلتا[3] منكِ وويلي عليكِ
قد يعلمُ اللهُ عَلَى عرشِه[4] أني أعاني الموتَ شوقاً إليك
مُنّي بفكّ الأسر أو فاقتُلي أيهما أحببتِ من خُلّتَيك
قد كنتُ لا أُعدَى[5] على ظالم فصرتُ لا أُعدِي على مُقلتيك

(١) في س: «قال» وهو تحريف. يعني التفاؤل باسم الفتح بن خاقان.
(٢) يقصد عيسى بن إبراهيم النصراني كاتب سعيد بن صالح، وكان يسعى على ابن المدبر.
(٣) كذا في ف، وفي جـ: «فالويل لي منك» وفي هد: «غودر قلبي».
(٤) كذا في ب وفي حـ، هج: «فليعلم الله تعالى اسمه».
(٥) لا أعين: وفي ب: «أعدو» ولا معنى له.

الخمـــرُ مـــن فيـــكِ لمـــن ذاقَـــهُ والـــوردُ للنـــاظِـــر مـــنْ وجنتيْـــك
يـــا حســـرتَـــا إن مـــتُّ طـــوعَ الهـــوى ولـــم أنـــل مـــا أرتجيـــه لـــديـــك

وأنشدها أبو عبدِالله بن حَمدونَ هذه الأبيات، وغنّت بها، وجعل يكرّر قوله:

* الخمرُ من فيكِ لمن ذاقه *

ويقول: هذا والله قولُ خبيرٍ مجرّب، فاستحيتْ من ذلك، وسبّت إبراهيم، فبلغه ذلك، فكتب إلى أبي عبدِالله يقول:

ألـم يَشُقْـكَ التمـاعُ البـرقِ فـي السحَـرِ؟ بَلـى وهَيَّـج مـن وَجْـدٍ ومـن ذِكَـرِ
مـا زال دمعـي غـزيـرَ القَطْـر مُنسجمـاً سَحّـاً بـأربعـةٍ تَجـري[1] مـن الـدُّررِ
وقلـتُ للغيـثِ لمـا جـادَ وَابِلُـه ومـا شجـانـي مـن الأحـزان والسَّهَـرِ
يـا عـارضـاً مـاطـراً أمطِـرْ علـى كبـدي فـإنّهـا كَبِـدٌ حَـرَّى مـن الفِكَـرِ
لشـدّ مـا نـالَ منّـي الـدهـرُ واعتلقَـتْ يـدُ الـزمـان وأوهـتْ مـن قُـوى مِـرَري[2]
يـا واحـدي مـن عبـادِ الله كلِّهـم ويـا غنـاي[3] ويـا كَهْفـي ويـا وَزَري
أحيـنَ أنشـدتَ شِعـري فـي مُعـذِّبَتـي أمـا رثَيـتَ لهـا مـن شـدة الخَصَـرِ؟
ومـا شـفعـتَ بهـا شِعـري وقلـتَ بـه في ريقهـا البـارد السلسـال ذي الخَصَـرِ[4]
لبئـس مستنصَحـاً فـي مثـل ذلـك يـا نفسـي فِـداؤكَ مـن مستنصـحٍ غَـدِرِ
واليـوم يـومٌ كـريـمٌ ليـس يُكـرِمُـه إلّا كـريـمٌ مـن الفتيـان ذُو خَطَـرِ
نشـدتُـكَ اللهَ فـاصْبَحْـه[5] بصحْبتِـه مُبـاكِـراً فـألَـذُّ الشُّـرب فـي البُكَـرِ
وأجمَـعْ نـدامـاكَ فيـه واقتـرِحْ رَمَـلاً صـوتـاً تغنّيـه ذاتُ الـدَّل والخَفَـرِ
يـرتـاح للـدَّجْـن[6] قَلبـي وهـو مقتسَـمٌ بيـن الهمـوم ارتيـاحَ الأرضِ للمطَـرِ
يـا غـادراً يـا أحـبَّ النـاسِ كلّهـمُ إلـيَّ واللهِ مـن أُنْثـى ومـن ذَكَـرِ

[٢٢/١٧١]

(١) في هد: «تهمي» بدل «تجري».
(٢) مرري: قواي، جمع مرة.
(٣) في حـ: «غيائي».
(٤) الخصر: البرد، والفعل خصير.
(٥) كذا في ف؛ وفي ب، س: «فاصحبه».
(٦) جـ، هج: «للذكر»، بدل «للدجن».

ويا رجائي ويا سُؤْلي ويا أملي ... ويا حياتي ويا سَمعي ويا بصَري
/ ويا مُنايَ ويا نوري ويا فَرَجي ... ويا سروري ويا شَمسي ويا قمري
لا تقبلي قولَ حسّادي عليّ ولا[1] ... والله ما صدقوا في القول والخَبَر
أدالني[2] الله من دهرٍ يُضَعضِعُني[3] ... فقد حُجبتُ عن التسليم والنظَر
إن يحجُبُوا عنك في تقديرهم بصَري ... فكيف لم يحجُبُوا ذِكري ولا فِكَري؟
/ يا قوم قَلبي ضعيفٌ من تذكُّرها ... وقلبُها فارغٌ أقسى من الحجَر
الله يعلم أنّي هائم دَنِفٌ ... بغادةٍ ليتها حَظّي من البَشَر

١٢١ / ١٩ — [٢٢/ ١٧٢]

مجلس من مجالسه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدثني عبدالله بن محمد المرْوَزي، قال: حدثني الفضل بن العباس ابن المأمون، قال:

زارتني عَريبُ يوما ومعها عِدّةٌ من جواريها، فوافتنا ونحن عَلَى شرابنا، فتحدثت معنا ساعة، وسألتُها أن تقيمَ عندنا، فأبَتْ، وقالت: قد وعدتُ جماعة من أهل الأدب والظَّرف أن أصيرَ إليهم، وهم في جزيرة المربد[4]، منهم إبراهيم بن المدبر، وسعيد بن حميد، ويحيى بن عيسى بن منارة، فحلفت عليها، فأقامت. ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطراً واحداً: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أردتُ، ولولا، ولعلي.

ووجهّت الرقعة إليهم، فلما وصلت قرءوها، وعَيُوا بجوابها، فأخذها إبراهيم بن المدبّر، فكتب تحت أردت «ليتَ» وتحت لولا «ماذا»؟ وتحت لعلي «أرجو» ووجّه بالرقعة إليها، فلما قرأتْها طَربت ونعرَت[5]، وقالت: أنا أترك هؤلاء وأقعدُ عندكم؟ تركني الله إذاً من يديه، وقامت فمضتْ وقالت لكُم فيمن أتخلّفُه عندكم من جواريّ كفاية[6].

عريب تتدله في حبه عند مكاتبتها له

أخبرني محمد بن خلَف: قال: حدثني عبدالله بن المعتز، قال:

[٢٢/ ١٧٣] قرأت في مكاتبات لعَريب فصلا من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبّر / مكاتبة بديعة بعيادة: قد استبطأتُ عيادتكَ ـ قُدِّمتُ قبلكَ ـ[7] وعَذَرْتك، فما ذكرت عذرا ضعيفا لا ينبغي أن يفرح به[7]. فأستديم الله نعمه عندك.

(١) في حـ، هد: «فلا».
(٢) أدالني: نصرني.
(٣) في جـ: «يضعفني» بمعنى يهدمني.
(٤) كذا في ف؛ باقي النسخ «المؤبد»؛ تصحيف.
(٥) نعرت: صوتت بخيشومها.
(٦) تخلف فلان فلانا: جعله خليفته، وفي هد، هج: «لكم في جواري الكفاية».
(٧ ـ ٧) التكملة من هد.

قال وكتبت إليه أيضاً:

أستوهب الله حياتكَ، قرأت رقعتكَ المسكينة التي كلّفتَها مسألتك[١] عن أحوالنا، وَنحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك، ونسأله الإجابة فلا تُعوِّد نفسكَ ـ جعلني الله فداءها ـ هذا الجفاءَ، والثقةَ مني بالاحتمال وسرعة الرجوع.

وكتبت إليه وقد بلغها صومُه يوم عاشوراء:

قَبِل الله صومَكَ وتلقَّاه بتبليغكَ ما التمست، كيف ترى نفسك؟ ـ نفسي فداؤك ـ ولم كدَّرت جسمَك في آبٍ[٢]، أخرجه الله عنك في عافية، فإنه فظ غليظ وأنت محرور[٣]، وإطعامُ[٤] عشرة مساكين أعظمُ لأجرك، ولو علمتُ لصمتُ لصومك مساعدة لك وكان الثواب في حسناتكَ دوني، لأن نيتي في الصوم كاذبة.

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال:

اتصلت لعريب أشغال دائمة في أيام تركوا رسي[٥]، وخدمتها فيما هنالك. فلم يرها إبراهيم بن المدبّر مدة، فكتب إليها:

[١٧٤/٢٢]

/ صـــوت

إلــى الله أشكــو وحشتــي وتفجُّعــي	وبعــدَ المــدَى بينــي وبيــن عَــريــبِ
مضـى دونهـا شَهْـران لـم أحـلَ فيهمـا	بعيــشٍ ولا مـــن قُــربهـــا بنصيــبِ
فكنـت غـريبـاً بيـن أهلـي وجيـرتـي	ولسـت إذا أبصـــرتهـــا بغـــريـــبِ
وإنّ حبيبـــاً لـــم يـــرَ النّـــاسُ مثلَـــه	حقيـــق بـــأن يُفْـــدى بكـــلّ حبيـــب

١٢٢/١٩

/ لعَريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتز، وهو من مشهور غنائها.

عود إلى مكاتبات عريب

وقال ابن المعتز في ذكره مكاتبات عَريب إلى إبراهيم بن المدبر، وقد كتب إليها يشكو علته:

كيف أصبحتَ أنعم الله صباحكَ ومبيتَك؟ وأرجو أن يكون صالحاً، وإنما أردتَ إزعاج قلبي فقط.

وكتبتْ إليه تدعو له في شهرِ رَمضانَ:

أَفديك بسمعي وبصري وأهلّ اللهُ هذا الشهرَ عليك باليُمن والمغفرة، وأعانك على المفتَرض فيه والمتنفَّل، وبلّغك مثلَه أعواماً، وفرَّج عنك وعنّي فيه.

قال وكتبت إليه:

---

(١) كلف، يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه.

(٢) آب: شهر أغسطس. وفي هد: «ولم كدرت نفسك بالصوم في آب».

(٣) محرور: يجد بصدره حرارة.

(٤) في هد. والطعام عشرة...

(٥) كذا في النسخ ولم نقف له على معنى.

فداؤك السمعُ والبصرُ والأبُ والأمُّ ومن عرفني وعرفتُه. كيف ترى نفسَك وُقِّيتَها الأذى؟ وأعمى الله شانِئَك، ومقَّه؟[1] الله عند هذه الدعوة، وأرجو أن تكون قد أُجيبت إن شاء الله، وَكيف ترى الصوم؟ عرَّفك الله بركَته، وَأعانك على طاعتِه، وَأرجو أن تكون سالما من كل مكروه بحول الله وقوّته، وواشَوقي إليكَ وواحشتي لك، ردَّك الله إلى أحسنِ ما عوّدك، ولا أشمتَ بي فيك عدوًّا وَلا حاسداً. وقد وافاني كتابُكَ لاعدمتُه إلاّ بالغنى عنه بك، وذكرت [١٧٥/٢٢] حامله، فوجهتُ رسولي إليه / ليدخله، فأسأله عن خبرك، فوجدتَه منصرفا، ولو رأيته لفرشت خدّي له، وكان لذلك أهلا.

وكتبتْ إليه وقد عتَبتْ عليه في شيء بلَغها عنه:

وَهب الله لنا بقاءَكَ ممتّعاً بالنعم، ما زلتُ أمسّ[2] في ذكرك، فمرة بمدحك، ومرة بشكركَ، ومرة بأكلك وذكرك بما فيك لوناً لوناً. اجحدْ ذنبك الآن وهات حُججَ الكتّاب ونفاقَهم، فأما خبرنا أمس فإما شربنا من فَضلة نبيذك على تذكارك رِطلاً رِطلاً، وقدْ رفعنا حُسبانَنا إليك، فارفع حُسبانَك إلينا، وخَبِّرْنا من زاركَ أمس وألهاكَ، وأي شيء كانت القصةَ على جهتها؟ وَلا تُخطرف[3]، فتحوجنَا إلى كشفكَ والبحثِ عنك[4]، وعن حالك، وقل الحقَّ، فمن صدق نجا، وما أحوجك إلى تأديب، فإنكَ لا تُحسن أن تؤدّبه، والحقّ أقولُ إنه يعتريك كُزاز[5] شديد يجوز حدّ البرد. وكفاك بهذا من قولي عقوبة، وإن عدت سمعتَ أكثرَ من هذا، والسلام.

يشمت في الشامت به

حدثني عمي قال: حدثني محمد بن داود قال:

كان عيسى بن إبراهيم النَّصراني المكنى أبا الخير كاتب سعيدِ بنْ صالح يسعى على إبراهيم بن المدّبر في أيام نكبته، فلما زالت، ومات سعيد نُكب عيسى بن إبراهيم وحُبس ونُهبت دارهُ فقال فيه إبراهيم بن المدبر:

قـل لأبـي الشـرِّ إنْ مـررتَ بـه	مقـالـةً عُـرِيِّـتْ مـن اللَّبَـس[6]
أَلبَسَـكَ اللهُ مـن قـوارعـه	آخـذةً بـالخُنـاق والنَّفَـس
/ لا زلـتَ يـابـن البظـراءِ مـرتهنـا	فـي شـرِّ حـال وضيـقِ محتبَـس
أقـول لمـا رأيـتُ منـزلَـه	منتَهبـاً خـاليـاً مـن الأنَـس[7]
يـا منـزلاً قـد عَفَـا مـن الطَّفـس[8]	وسـاحـةً أخليـتْ مـن الـدَّنـس

[١٧٦/٢٢]

(١) المراد أهلكه، من متى الطلعة: شقها للأبار. وفي ب، س: «أمقه»، وفي هد: «وعطست والله عند هذه الدعوة».
(٢) كذا في جـ وفي هد، هج: «أدس» تصحيف.
(٣) لا تخطرف: لا تجاوز الحقيقة.
(٤) كذا في جـ وفي س وب: «عليك» وهو تحريف.
(٥) «إنه يعتريك كزاز» المراد الانقباض والانزواء، والكزاز أصله داء من شدة البرد، وفعله كز.
(٦) هد: عريت من الدنس».
(٧) الأنس: المؤانسين جمع أنيس.
(٨) الطفس: الدنس.

من لاقترافِ الفحشاء بعد أبي الشرّ ومن للقبيح والنجس؟

تحية إلى أحبابه من الدير

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال:

وليَ إبراهيمُ بنُ المدبر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغورَ الجزرية[1]، فكان أكثر مقامه بمَنبِج[2]، فخرج في بعض أيام ولايته إلى نواحي دَلوك[3] ورعبان[4]، وخلّف بمنبج جاريةً كان يتحظّاها مغنية يقال لها غادِر، فحدثني بعضُ كتابه أنه كان معه بدَلوك، وهو على جبل من جبالها، فيه دَيْر يُعرف بدير سليمان من أحسن بلاد الله وأنزهها، / فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب:

١٢٣
١٩

أيا ساقِيَينا[5] وسْطَ دَيْرِ[6] سليمانِ ... أديرا الكُئوسَ فانهلاني وعُلّاني

وخُصّا بصافيها أبا جعفرٍ أخِي ... وذا ثقتي بين[7] الأنام وخُلصاني[8]

وميلاَ بها نحو ابنِ سَلّامِ الذي ... أودُّ وعُودًا بعد ذاك لنعمانِ

/ وعُمّا بها الندمانَ والصحبَ إنني ... تَنَكَّرْتُ عيشي[9] بعد صحبي وإخواني

[١٧٧/٢٢]

ولا تتركا نفسي تمُتْ بسَقامِها ... لِذِكْرى حبيب قد شجاني وعنّاني[10]

ترحّلتُ عنه عن صدود وهجرة ... وأقبل نحوي وهو باكٍ فأبكاني

وفارقتُه والله يجمع شملَنا ... بلَوعة[11] محزون وغُلّة حَرّانِ

وليلة عين المَرْجِ[12] زار خيالُه ... فهيّج لي شوقًا وجدّد أشجاني

فأشرفت أعلى الدَّيْر أنظر طامحًا ... بألمح آماقٍ وأنظرِ إنسانِ

لعلّي أرى أبياتَ مَنْبِجَ رؤية ... تُسَكِّنُ من وجدي وتكشفُ أحزاني

فقصّر طرفي واستهلّ بعَبرة ... وفدّيتُ من لو كان يدري لفدّاني

---

(١) تشمل أنطاكية ومرعش، وف: «الخزرية» وفي س، ب: الخزوية» وهو تحريف.
(٢) منبج: من أعمال حلب شمالي الشام.
(٣) دلوك، بفتح الدال كما في «القاموس» و«معجم ما استعجم»، وفي ياقوت بالضم: بليدة من نواحي حلب.
(٤) في س، ب رعيان، بالياء وهو تحريف: مدينة بين حلب وسميساط.
(٥) في س وب: «يا ساقيبا» وهو تحريف.
(٦) دير سليمان: قرب دلوك مطل على مرج العين، وهو في غاية النزاهة.
(٧) في م، ب «دون».
(٨) الخالص من الإخوان يستوى فيه الواحد والجمع.
(٩) في ب، س: «عيش».
(١٠) في ياقوت: «قد سقاني وغناني».
(١١) في ب،س: «بكرعة» وهو تحريف.
(١٢) عين المرج: قرية من نواحي سامراء وكانت من متنزهات بغداد.

ومثّلـــهُ شـــوقـــي إليـــه مقـــابلـــي ونـاجـاهُ قلبـي بـالضمير ونـاجـانـي[1]

يهدي شعره إلى أخيه

قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبر أهداه مجموعا إلى أخيه أحمد، فلما وصل إليه قرأه وكتب عليه بخطه:

أبـا إسحـاقَ إن تكـن الليـالـي عطفـنَ عليـكَ بـالخطـب الجسيـمِ

فلـم أرَ صـرْفَ هـذا الـدهـرِ يجـري بمكـروه علـى غيـر الكـريـمِ

وفاء عريب له

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني ميمونُ بنُ هارون قال:

اجتمعتُ مع عريب في مجلس أنس بسرَّ من رأى عند أبي عيسى بن المتوكل، وَإبراهيمُ بن المدبر يومئذ [٢٢/١٧٨] ببغداد، فمرّ لنا أحسنُ يوم، وَذكرتهُ عريبُ فتشوّقته / وأحسنت الثناء عليه وَالذكر له، فكتبتُ إليه بذلك من غد، وَشرَحْته له، فأجابني عن كتابي وكتب في آخره:

أتعلَـمُ يـا ميمـونُ مـاذا تُهيجُـه بـذكـركَ أحبـابـي وحفِظَهُـم العَهْـدا

ووصـفِ عـريـبٍ فـي كـريـم وفـائهـا وَإجمـالهـا ذكـرى وَإخـلاصِهـا الـوُدّا؟

عليهـا سـلامـي إن تكـن دارُهـا نـأتْ فقـد قـرَّب الله الـذي بيننـا جِـدّا

سقـى الله داراً بعـدنـا جمعتكـم وَسكَّـن ربُّ العـرش سـاكنَهـا الخُلـدا[2]

وخـصَّ أبـا عيسـى الأميـرَ بنعمـة وأسعـد فيمـا أرتجيـه لـه الجَـدّا

فمـا ثَـمَّ مـن مجـدٍ وَطَـوْلٍ وسُـودَدٍ ورأي أصيـلٍ يصـدَعَ الحجَـرَ الصَّلـدا

يصلحون بينه وبين عريب

حدثني جحظةُ قال: حدثني عبدالله بن حمدون قال:

اجتمعت أنا وَإبراهيم بن المدبر وابن منارة وَالقاسم وابن زُرزُور في بستان بالمُطَيرة وَفي يوم غيم يُهريق رذاذه ويَقطر أحسن قَطْر، وَنحن في أطيب عيش وأحسن يوم، فلم نشعر إلا بعريبَ قد أقبلت من بعيد، فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا، فخرج حافيا، حتى تلقّاها وأخذ بركابها[3]، حتى نزلتْ وقبّل الأرضَ بين يديها، وَكانتْ قد هجرته مدّة لشيء أنكرته عليه، فجاءتْ وجلست وأقبلتْ عليه مبتسمة، / وَقالتْ: إنما جئتُ إلى مَنْ هاهنا لا إليكَ. ١٢٤/١٩ فاعتذَر وَشيَّعْنا[4] قوله، وشفعنا له. فرضيت وأقامت عندنا يومئذ وباتَتْ، وَاصطبحْنا من غد، وأقامت عندنا فقال إبراهيم:

(١) في ياقوت: «وورناجاه عني بالضمير».
(٢) في ف، هج، هد: رب الخلد.
(٣) الركاب: حديدة معلقة في السرج يستعان بها على الركوب، والجمع ركب كعنق.
(٤) شيعنا: قوينا.

[١٧٩/٢٢]

/ صوت

بـأبـي مـن حقَّـقَ الظـنَّ بـه ... فـأتـانـا زائـراً مُبتـدِيـا
كـان كـالغيـثِ تـراخـى مُـدّةً ... وأتـى بعـد قُنـوط مُـرويـا
طـاب يـومـانِ لنـا فـي قُـربـه ... بعـد شهـريـن لهجـرٍ مضَيـا
فـأقـرَّ اللهُ عَينـي وشفَـى ... سَقَمـاً كـان لجسمـي مُبليـا

لعريب في هذا الشعر لحنان: رَمَل وَهَزَج بالوسطى.

من شعره في عريب

أنشدني الصوليّ رحمةُ الله لإبراهيم بن المدبر في عريب:

زعمـوا أنـي أُحـبُّ عَـريبـا ... صـدقـوا واللهِ حُبّـاً عجيبـاً
حـلَّ مـن قلبـي هـواهـا مَحـلاًّ ... لـم تَـدَعْ فيـه لِخَلـق نصيبـا
ليقـلْ مـن قـدْ رَأى النـاسِ قـدْمـا: ... هـل رأى مثـلَ عَـريـب عَـريبـا؟
هـي شمـسٌ والنسـاءُ نُجـومٌ ... فـإذا لاحـت أفلْـن غُيـوبـا

وأنشدني الصوليّ أيضا له[١] فيها:

ألا يـا عـريـبُ وُقيـتِ الـرَّدى ... وجنّبـك اللهُ صَـرْفَ الـزمـنْ
فـإنـك أصبحـتِ زيـنَ النسـاء ... وواحـدةَ النـاس فـي كـل فَـنّ
فقـربُـكِ يُـدنـي لـذيـذَ الحيـاةِ ... وبعـدُكِ ينفـي لـذيـذَ الـوَسَـنْ
فنعـم الجليـسُ ونعـم الأنيـسُ ... ونعـم السَّميـرُ ونعـم السَّكن[٢]

[١٨٠/٢٢]

/ وأنشدني أيضاً له:

إن عـريبـا خُلقـتْ وحـدَهـا ... فـي كـلّ مـا يحسُـنُ مـن امـرهـا
ونعمـةٌ لِلّـهِ فـي خَلقِـه ... يقصِّـر العَـالـم عـن شكـرهـا[٣]
أشهـدُ فـي جـاريتَيهـا علـى ... أنهمـا مُخبِـتَتـا دَهـرِهـا
فبـدعـةٌ تُبـدعُ فـي شَـدْوهـا ... وتُحْفَـةٌ تُتحـف فـي زَمْـرِهـا
يـا ربِّ أمتعهـا بمـا خـوَّلَـت ... وامـدُد لنـا يـا ربُّ فـي عمـرهـا

أبو شراعة يودعه

أخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شُراعة القيسي البصريّ قال:

(١) هذا الخبر زيادة من ف.
(٢) السكن: ما يسكن إليه ويستأنس به.
(٣) كذا في ف.

كان إبراهيمُ بنُ المدبر يتولّى البِصْرة، وكان محسناً إلى أهل البلد إحسانا يعمهم، ويشتمل على جماعتهم[1] نفعُه، ويخصُّنا من ذلك بأوفر حظ وأجزلِ نصيب، فلما صُرِفَ عن البصرة شيَّعه أهلُها، وتفجعّوا لفراقه، وساءهم صَرْفُهُ، فجعل يرد الناسَ من تشييعهم على قدر مراتبهم[2] في الأنس به، حتى لم يبق معه إلاّ أبي، فقال له: يا أبا شراعة، إن المشيِّع مودِّع لا محالة، وقد بلغت أقصى الغايات، فبحقي عليك إلا انصرفتَ، ثم قال: يا غلام احمل إلى أبي شراعة ما أمرتك له به، فأحضر ثيابا وطيبا ومالا، فودّعه أبي، ثم قال:

يــــا أبـــــا إسحـــــاق ســـــرْ فـــي دَعَــة ... وامــضِ مصحـــوبـــا فمـــا منـــك خَلَـــفْ

/ ليـــت شعـــري أيُّ أرض أجـــدبـــتْ ... فـــأُغيثـــت بـــك مـــن جهـــد العَجَـــف[3]؟

/ نـــزل الـــرُّحْـــمُ[4] مـــن الله بِهـــم ... وحُـــرِمنَـــاكَ لـــذنـــب قـــد سلـــفْ

إنمـــا أنـــت ربيـــعٌ بـــاكـــر ... حيثُمَـــا صـــرَّفَـــه الله انصـــرفْ

١٢٥/١٩ [٢٢/١٨١]

قلبه عند عريب

أخبرني عليّ بن العباس بن طلحة الكاتب قال:

قرأتُ جوابا بخط أبراهيمَ بنِ المدبر في أضعاف رقعة كتبتْها إليه عريبُ، فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب تسألُه فيه عن خبره.

وســـاءلتمـــوه بعـــدكـــم كيـــف حـــالُـــه ... وذلـــك أمـــر بيّـــنٌ ليـــس يُشكـــلُ

فـــلا تســـألـــوا عـــن قلبـــه فَهْـــو عنـــدكـــم ... ولكـــنْ عـــن الجســـم المُخلَّـــف فـــاســـألـــوا

لا يسر وعريب نازحة

أخبرني عليّ بنُ العباس[5] قال: حدثني أبي قال:

كنتُ عند إبراهيم بنِ المدبّر، فزارته بدعةُ وتُحفةُ وأخرجتَا إليه رقعةً مِن عريب فقرأناها فإذا فيها:

بنفسي أنت وسمعي وبصري، وقلّ ذاك لك، أصبح يومنا هذا طيّبا، طيَّب الله عيشَك، قد احتجبت سماؤه ورقّ هواؤه، وتكامل صفاؤه، فكأنه أنت في رقة شمائلك وطيب محضَرك ومخبرك، لا فقدتُ ذلك أبداً منك، ولم يصادف حسنُه وطيبُه مني نشاطاً ولا طرباً لأمور صدَّتْني عن ذلك، أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بِنشرها. وقد بعثتُ إليك ببدعةَ وتحفة ليؤنسَاك وتُسَرَّ بهما. سرَّكَ الله وسرّني بك!

فكتب إليها يقول:

---

(١) في هج: ويشمل جماعتهم.

(٢) هج: «على قدر منازلهم».

(٣) العجف: الهزال الشديد.

(٤) الرحم هنا: الرحمة.

(٥) في هج: على بن العباس بن أبي طلحة الكاتب.

كيف السرورُ وأنتِ نازحةٌ عنّي وكيف يسوغُ لي الطربُ!
إن غبتِ غاب العيشُ وانقطعتْ أسبابُهُ وألحّت الكُرَبُ

وأنفذ الجواب إليها، فلم يلبث أن جاءت، فبادر إليها، وتلقاها حافيا حتى جاء بها عَلَى / حمار مصري كان [١٨٢/٢٢] تحتها إلى صدر مجلسه، يطأ الحمارُ عَلَى[1] بساطه وما عليه، حتى أخذ بركابها، وأنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها، ثم قال:

ألا رب يوم قصّر اللهُ طولَه بقرب عريبٍ حبّذا هو من قُربِ
بها تحسُن الدنيا وينعَم عيشُها وتجتمع السرّاءُ للعين والقَلْبِ

من شعره في جاريتي عريب

حدثني عليّ بن سليمان قال: أنشدني أبي قال:

أنشدني[2] إبراهيم بن المدبر، وقد كتب إلى بِدعة وتحفة يستدعيهما، فتأخرّتا عنه فكتب إليهما:

قل يا رسول لهذه ولهذه بأبي هُمَا
قد كان وصلكما لنا حَسَناً ففيم قطَعْتُما؟
أعريبُ سيّدةُ النسا ءِ بهجرنا أمرتْكُمَا؟
كلاَّ وبيت الله بل هذا جفاءٌ منكما

صوت له غنته عريب

وأنشدني عليّ بنُ العباس لإبراهيم بن المدبر، وفيه لعَريبَ هَزَج، وقال:

ألا يا بأبي أنتم نأت دارٌ بنا عنكم
فإن كنتُم تبدلتُم فما مِنْ بَدَلٍ منكم
وإن كنتُم عَلَى العَهدِ فأحسنتُم وأجملتم
/ ويا ليتَ المنى حَقَّت فنبديها ولا تكتُمْ
فكنتُم حيثما كنا وكنّا حيثما كنتم

[١٢٦/١٩]

من شعره في سجنه

وحدثني عليّ قال: حدثني أبي قال:

/ دخلتُ ليلة على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته ببغداد في ليلة غَيم، فلاح برقٌ من قطب الشمال ونحن [١٨٣/٢٢] نتحدث، فقطع الحديثَ، وأمسك ساعة مفكراً، ثم أقبل عليّ فقال:

(١) الفعل متعد بنفسه، واستعمله «اللسان» كما جاء هنا فقال في مادة وطأ: لأن من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في هلاكه وأهانته.
(٢) في س وب زيادة «أبي».

بـــارقٌ شــــرَّد الكـــــرى لاح مـــن نحـــوِ مـــا تـــرَى
هـــاج للقلـــب شجـــوَه فـــاعْتـــرَى منـــه مـــا اعتـــرى
أيهـــا الشـــادنُ[1] الـــذي صـــاد قلبـــي ومـــا درَى
كـــن عليمـــا بشِقْـــوتـــي فيـــك مـــن بيـــنِ ذا[2] الـــورَى

عود إلى جاريتي عريب

وحدثني عن أبيه قال:

كنت عند إبراهيم بن المدبر فزارتْه بِدعةُ وتُحفةُ وأقامتا عنده، فأنشدنا يومئذ:

أيهـــا[3] الـــزائـــران حيـــاكمـــا اللـ ـــه ومـــن أنتمـــا لـــه بـــالسَّـــلامِ
مـــا رأينـــا فـــي الـــدهـــر بـــدرا وشمســـا طَـــرَقـــا ثـــم رجّعـــا[4] بـــالكـــلامِ
كيـــف خلّفتمـــا عَـــريبـــا سقـــاهـــا اللهُ ربُّ العبَـــــاد صـــــوبَ الغَمـــــامِ
هـــي كـــالشمـــس والحســـانُ نجـــوم ليـــس ضـــوءُ النهـــار مثـــلَ الظـــلامِ
جمعـــتْ كـــلّ مـــا تفـــرّق فـــي النـــا س وصـــارت فـــريـــدةً فـــي الأنـــامِ

شعره في سجنه

وأنشدني عن أبيه لإبراهيم بن المدبر وهو محبوس:

[٢٢/١٨٤] / وانـــي لأستنشـــي[5] الشّمـــال إذا جـــرتْ حنينـــاً إلـــى ألأف قلبـــي وأحبـــابـــي
وأهـــدِي مـــع الـــريـــح الجنـــوب إليهـــمُ سـلامـي وَشكـوَى طـولِ حُـزنـي وأوصـابـي
فيـــاليـــت شعـــري هـــل عـــريـــبُ عليمـــةٌ بـــذلـــك أو[6] نـــام الأحبـــة عمـــا بـــي؟

يعاتب صديقه أبا الصقر

حدثني عمي، عن محمد بن داود قال:

كَانَ إبراهيم بن المدبر صديقَ أبي الصقر اسمعيل بن بُلبُل فلم يرض فعله لمّا نكب ولا نيابتُه عنه فقال فيه:

---

(١) الشادن: ولد الظبي.

(٢) في س وب: «ذي»: وهو تحريف.

(٣) في س وب: «أيهما» وهو تحريف وفي هد: أيها الراكبان.

(٤) الترجيع في الأصل؛ ترديد الصوت على نحو ما يفعل الملحنون، والمراد هنا تكرار لاستئذان، وفي هج: ثم رجعنا في الكلام.

(٥) أستنشي: أشم، وفي س، ب:«لأستنى» وفي هدهج: «إني لأستنشي» بلا واو، فيكون في البيت خرم.

(٦) في ب، س: «أم».

لا تُطِـــل عـــذلـــي عنـــاء[(١)] إن فـــي العـــذل بـــلاءَ[(٢)]
لســـت أبكـــي بطـــن مـــرٍّ[(٣)] فكـــديًّـــا[(٤)] فكَـــداء[(٥)]
إنّمـــا أبكـــي خليـــلا خـــانَ فـــي الـــود الصفـــاءَ
يـــا أبـــا الصقـــر سقـــاك اللـ ـــه تَهتـــانـــا[(٦)] رواءَ[(٧)]
وَأدام الله نُعمـــا ك وَمـــلأك[(٨)] البقـــاءَ
لِـــمْ تجـــاهَلـــتَ ودادي وَتنـــاسيـــتَ الإخـــاء؟
/ كنـــتَ بَـــرًّا فعلـــى را ســـي تعلّمـــت الجفـــاءَ [١٨٥/٢٢]
لا تميلـــنَّ مـــع الـــريـ ـــح إذا هَبّـــتْ رُخـــاءَ
ربّمـــا هَبّـــتْ عقيمـــا[(٩)] تتـــرك الـــدنيـــا هَبَـــاءَ

حلم يتحقق

أخبرني علي بن العباس قال: حدثني أبي قال:

كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته عَريبُ. / فقال لها: رأيت البارحة في النوم أبا العبيس وَقد غنى في هذا الشعر وأنت تراسلينه فيه: ١٢٧/١٩

يـــا خليلـــيَّ أرقنـــا حَـــزَنَـــا لِسَنَـــا بَـــرقٍ تبـــدَّى مَـــوْهنـــا[(١٠)]

وَكأني أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأول:

وجـــلا عـــن وجـــهِ دعـــدٍ مَـــوْهِنـــا عجبـــاً منـــه سَنـــاً أبـــدى سَنَـــا

فقالت: ما أملح والله الابتداءَ والإجازة! فاجعل ذلك في اليقظة، واكتب إلى أبي العبيس وسله عني وعنك الحضورَ، فكتب إليه إبراهيم:

يـــا أبـــا العبـــاس يـــا أفتـــى الـــورى زارنـــا طيفُـــك فـــي سُكْـــر الكـــرَى
وتغنَّـــى لـــيَ صـــوتـــاً حسنـــاً فـــي سنَـــا بـــرقٍ علـــى الأفـــق ســـرَى

---

(١) في س وب: «عيّماء».
(٢) في س، ب: «عياء».
(٣) بطن مر: من نواحي مكة يجتمع عنده وادي النخلتين.
(٤) بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعيين.
(٥) بأعلى مكة عند المحصب.
(٦) تهتانا: مطرا متتابعا.
(٧) رواء: كثيرا مرويا.
(٨) ملاك: أمتعك.
(٩) عقيماً: لا خير فيها.
(١٠) موهن، نحو نصف الليل.

وعـــريـــبٌ عنـــدنـــا حـــاصلـــةٌ[١] زيـــنُ مَـــنْ يمشـــي علـــى وجـــه الثَّـــرى

نحـــن أضيـــافُـــكَ فـــي منـــزلِنَـــا نتمنَّـــاكَ فكـــن أنـــت القِـــرَى

قال: فسار إليهما أبو العبيس، وحدثه إبراهيم برؤياه، فحفظا الشعر، وَغنيّا فيه بقية يومهما:

[١٨٦/٢٢]

/ صوت

ألا حـــيِّ قبـــل البيـــن مـــن أنـــتَ عـــاشقُـــهْ ومـــن أنـــت مشتـــاق إليـــه وشـــائقُـــهْ

ومـــن لا تـــواتـــى داره غيـــرَ فَيْنَـــةٍ[٢] وَمـــن أنـــت تبكـــي كـــلَّ يـــوم تفـــارقُـــه

الشعر لقَيْس بن جَروةَ الطائي الأجَئِيّ، قاله في غارة أغارها عمرُو بنُ هند على إبِل لطيّىء فحرَّض زُرارة بن عُدَس عمرو بن هند على طيىء وقال له: إنهم يتوعّدونك، فغزاهم واتّصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببني[٣] تميم في يوم أوارة[٤] وخبر ذلك يذكر هَا هنا؛ لتعلّق بعض أخباره ببعض.

والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي ومِنْ مجموع غناء إبراهيم.



(١) في هد: «حاضرة».

(٢) الفينة: الحين.

(٣) كذا في جـ، وفي س، ب، ف: «ابن».

(٤) أوارة: اسم ماء أو جبل لبني تميم بناحية البحرين؛ وقد أوقع فيه عمرو بن هند ببني تميم.

[٢٢/١٨٧]

/ ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب

يوم أوارة

نسختُ ذلك من كتاب عُمَر بنِ محمد بن عبد الملك الزيات بخطه، وذكر أن أحمدَ بن الهيثم بن فِراس[١] أخبره به عن العمريّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وغيره من أشياخ طيّىء. قال: وحدثني محمد بن أبي السريّ عن هشام بن الكلبي قالوا:

كان من حديث يوم أُوارة أن عمرَو بنَ المنذر بن ماء السماء ـ وهو عمرو بن هند يعرف باسم أمه هند بنت الحارث الملك المنصور بن حُجْر آكل المُرار[٢] الكنديّ وهو الذي يقال له مُضَرِّط الحجارة ـ أنه كان عاقد هذا الحي من طيّىء على ألا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا، وأن عمرو بنَ هند غزا اليمامةَ، فرجع مُنفِضا[٣] فمر بطيّىء، فقال له زُرارَة بن عُدَس بن زيد بن عبدالله بن دارم الحنظلي: أبيتَ اللعن! أصِبْ من هذا الحيّ شيئا، قال له: ويلك! إنّ لهم عَقْدا، قال: وإن كان، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذوادا[٤].

قيس بن جروة يتهدد عمرو بن هند

فقال في ذلك الطائيّ، وهو قَيس بن جَروة أحد الأجئين[٥] قال:

ألا حـيِّ قبـل البيـن مـن أنـت عـاشقُـهْ ومـن أنـت مشتـاقٌ إليـه وشـائقـهْ

ومـن لا تُـواتـي داره غيـرَ فَينـةٍ ومـن أنـت تبكـي كـلَّ يـومٍ تُفـارقُـهْ

وتعـدو بصحـراء الثـويّـةِ[٦] نـاقتـي كعدو النَّحوص[٧] قَدْ أمخَّت[٨] نواهِقُهْ[٩]

[٢٢/١٨٨] / إلـى الملـك الخيْـر ابـن هنـد تـزوره وليـس مـن الفـوْت الـذي هـو سـابقه[١٠]

١٢٨
١٩

(١) وفي س، ب: «الفراس».
(٢) المرار: شجر من أفضل العشب وأضخمه إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها.
(٣) منفضا: نافد الزاد.
(٤) الذود: جماعة الإبل من ثلاث إلى عشر ولا يكون إلا من الإناث.
(٥) في س، ب: الأحيين، وهو تحريف، والنسبة إلى أجأ.
(٦) الثوية: موضع قرب الكوفة.
(٧) النحوص: الأتان لا ولد لها ولا لبن فيها، وفي هج: «كعد ورباع».
(٨) أمخت: صار لها مخ.
(٩) النواهق: عظام شاخصة من ذي الحافر في مجرى الدمع، والمراد أنها سمينة.
(١٠) في ب، س: «سائقه».

وإنَّ نســاءً هُــنَّ مــا قــال قــائــل غنيمــةُ ســوء بينهــن مَهــارقــه[١]

ولــو نيــل فــي عهــدٍ لنــا لحــمُ أرنــب رَدَدْنــا وهــذا العهــد أنــت مُعــالقــه[٢]

فهبــك ابــنَ هنــد لــم تُعقــك أمــانــةٌ ومــا المــرء إلا عَقــده وَمَــواثِقُــه

وكنــا إنــاســا خــافضيــن بنعمــةٍ يسيــل بنــا تلْــع[٣] المَــلا[٤] وأبــارقــه[٥]

فــأقسمــتُ لا أحتــلُّ[٦] إلاّ بصهــوةٍ[٧] حــرامٌ علــيَّ رَمْلُــه وشقــائقِــه[٨]

وأقســم جَهــدا بــالمنــازل مــن مِنًــى ومــا خــبّ[٩] فــي بطــائِهــن دَرادِقُه[١٠]

لئــن لــم تغيــرَّ مــا قــد فعلتــمُ لأنتحيــنْ[١١] العظــم ذو أنا[١٢] عارقــه[١٣]

[١٨٩/٢٢] / فسمي عارقا بهذا البيت. فبلغ هذا الشعر عمروَ بنَ هند، فقال له زُرارة بن عُدَس: أبيت اللعن، إنه يتوعّدك. فقال عمرو بن هند لتُرملة[١٤] بن شُعاث الطائي ـ وهو ابن عمّ عارق[١٥]: أيهجوني ابن عمك ويتوعّدني!. قال: والله ما هجاك، ولكنه قد قال:

والله لــو كــان ابــنُ جفنــةَ جــاركــم لَكَسَــا الــوجــوه غضــاضــة[١٦] وهــوانــا

وســلاســلا يبــرقــن فــي أعنــاقكــم وإذاً لقطَّــع تلكــم[١٧] الأقــرانــا[١٨]

ولكــان عــادتُــه علــى جيــرانــه ذهبــا وريَطــا رادِعــا وجفــانــا

---

(١) المهرق: ثوب أبيض أو ورق يُكتب عليه العهود وما أريد بقاؤه على الدهر، والمعنى: أن النساء اللاتي سباهن الملك وحسّن له بعض الناس الإيقاع بهن غنيمة شر لا ينتفع بها إذ قد سبق عهد الملك لهن بالأمان.

(٢) معالقه: متعلق بذمتك، والمعنى لو صاد أحد أرنبا في حمانا لاقتصصنا منه وفاء بعهدنا فكيف بك لا تحمي نساء تعهدت لهن!

(٣) تلع: جمع تلعة وهي ما علا من الأرض أو ما سفل منها والمراد الثاني.

(٤) الملا: الصحراء.

(٥) أبارق: جمع أبرق: أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين.

(٦) أحتل: أنزل.

(٧) صهوة: برج يتخذ في أعلى الرابية.

(٨) شقائق: جمع شقيقة، وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب.

(٩) الخبب: سير يراوح الفرس فيه بين يديه ورجليه.

(١٠) درادق: جمع دردق كعسكر: صِغار الإبل.

(١١) لأنتحين: لأقصدن، يريد لأصيبن هذا العظم.

(١٢) كذا في ف و«اللسان» وفي س، ب: أنت.

(١٣) عرق العظم: أخذ اللحم الذي عليه كله؛ وفي س، ب، جـ: «غارقة»، وهو تحريف.

(١٤) في س، ب: «ثرملة» تحريف.

(١٥) في س، ب: «غارق» تحريف.

(١٦) في س، ب، هد: «ما إن كساكم غصة».

(١٧) في جـ: «منكم» وفي هج: «عنكم».

(١٨) الأقران: جمع قرن كجبل؛ حبل.

قالوا: الرداع: المصبوغ بالزعفران، وإنما أراد ترملة أن يُذهبَ سَخيمته، فقال: والله لأقتلنّه. فبلغ ذلك عارقا، فأنشأ يقول:

مـن مبلـغٌ عَمـرو بـنَ هنـدٍ رسـالـةً ... إذا استحقبتها[1] العِيس[2] تُنْضى[3] على البعد

أيـوعـدُنـي والـرمـل بينـي وبينـه؟ ... تبيـنْ رويـداً مـا أمـامـةُ مـن هنـد

ومـن أجـاً[4] دونـي رِعـانٌ[5] كـأنّها ... قنابل خيـل[6] مـن كميـت[7] ومـن وَرْدِ[8]

/ غـدرتَ بـأمـر أنـت كنـتَ اجتـذبْتنا ... عليـه وشـرُّ الشيمـة الغـدرُ بـالعهـد [١٩٠/٢٢]

فقـد يتـرك الغـدرَ الفتـى وطعـامُـه ... إذا هـو أمسَـى حَلبـةٌ مـن دم الفصـد[9]

عمرو يغزو طيئا ويشفع غانما فيهم

فبلغ عمرَو بن هند شعرُه هذا، فغزا طيئا، فأسر أسرى من طيء من بني عدي بن أخزم ـ وهم رهط حاتم بن عبدالله ـ فيهم رجلٌ من الأجئيّين يقال له قيسُ بن جَحدر ـ وهو جد الطرماح بن حكيم، وهو ابن خالة حاتم ـ فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند، وكذلك كان يصنع، فسأله[10] إياهم، فوهبهم له إلا قيس بن جحدر، لأنه كان من الاجئيّين من رهط عارق، فقال حاتم:

فككـت عـديًّـا كلّهـا مـن إسـارهـا ... فـأنعِـمْ وشفِّعنـي بقيـس بـنِ جَحْـدَر

أبـوه أبـي والأمهـاتُ أمّهـاتنـا ... فـأنعـم فـدتْـكَ اليـوم نفسـي ومعْشري[11]

فأطلقه.

مالك بن المنذر

قال: وبلغنا أن المنذرَ بن ماء السماء وضع ابنا له صغيراً ـ ويقال: بل كان أخاله صغيرا ـ يقال له؛ مَالك عند زُرارة، وإنه خرج ذات يوم يتصيَّدُ، فأخفق، ولم يصب شيئا، فرجع، فمرّ بإبلٍ لرجل من بني عبدالله بن دارِم، يقال له سُوَيد بن ربيعة بن زيد بن عبدالله بن دارم، وكان عند سويد ابنةُ زُرارة بن عُدَس، فولدت له سبعةَ غِلمة، فأمر مالك بن المنذر بناقة / سمينة منها فنحرها، ثم اشتوى وسويدٌ نائم، فلما انتبه شدَّ على مالك بعصاً فضربه بها، [١٢٩/١٩]

(١) حملتها على حقيبة الرحل.
(٢) الإبل البيض جمع أعيص أو عيساء.
(٣) تنضى: تهزل.
(٤) في س، ب: «ومما أجا».
(٥) رعان: جمع رعن وهو أنف يتقدم الجبل.
(٦) قنابل: جمع قنبل، جماعة من الخيل.
(٧) كميت: تصغير كمت، وهو من الخيل ما خالط حمرته سواد غير خالص.
(٨) ورد: أحمر ضارب إلى الصفرة.
(٩) مرة من الحلب وكانوا يأخذون دم العروق يفصدونه ويجففونه ثم يأكلونه.
(١٠) ب، س: «فسألهم» تحريف.
(١١) ف: «أهل ومعشري».

فأمَّه[١]. ومات الغلامُ، وخرج سويدٌ هارباً حتى لحق بمكة وعلم أنه لا يأمن، فحالف بني نوفل بن عبد مناة [٢٢/١٩١] واختطّ[٢] بمكة، فمن ولده أبو أهاب / بن عزيز[٣] بن قيس بن سويد، وكانت طيّىء تطلب عثرات زُرَارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك، فانشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلقط الطائي يقول:

مــن مبلــغٌ عمــرا بــأنَّ المــ ... ـرءَ لــم يُخلــق صُبــارهْ[٤]

وحـــوادث الأيـــام لا ... تبقـــى لهـــا إلا الحجـــارهْ

أن ابـــن عِجـــزة أمـــه ... بـــالسَّفـــح أسفَـــلَ مـــن أُوارهْ

ـ قال هشام: أول[٥] ولد المرأة يقال له: زُكمة، والآخر: عِجزة ـ

تسفِي الرياحُ خلاله سَحيًا وقد سَلبُوا إزارَهْ[٦]

فـــاقتـــل زُرارةَ لا أرى ... فـــي القـــوم أفضـــلَ مـــن زُراره

هرب زرارة وعودته

فلما بلغ هذا الشعرُ عمرَو بن هند بكى، حتى فاضت عيناه، وبلغ الخبرُ زرارة، فهرب، وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليه، فأخذ امرأته وهي حُبلى فقال: أذكرٌ في بطنك أم أنثى؟ قالت: لا علم لي بذلك، قال: ما فعل زُرارة الغادر الفاجر؟ فقالت: إن[٧] كان ما علمتُ لطيِّبُ العَرَق سمين المَرق ويأكل ما وَجد، ولا يسأل عما فقد، لا ينام ليلةَ يَخافُ، ولا يشبع ليلةَ يُضافُ. فبَقر بطنها.

فقال قوم زُرارة لزرارة: والله ما قتلتَ أخاه، فأت الملك، فاصدقه الخبر، فأتاه زرارة، فأخبره الخبر فقال: [٢٢/١٩٢] جئني بسويد، فقال: قد لحق بمكة، قال: فعليّ ببنيه السبعة، فأتى ببنيه / وبأمهم بنت زُرارة[٨] وهم غِلْمة بعضهم فوق بعض، فأمر بقتلهم، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه، وتعلّق بزُرارة الآخرون فتناولوهم، فقال زُرارة: يا بعضي دع بعضاً[٩]، فذهبت مثلا. وقتِلوا.

عمرو ينكل ببني تميم

وآلى عمرو بن هند بأليّة ليحرقَنّ من بني حنظلة مائة رجل، فخرج يريدهم وبعث على مقدّمته الطائيَّ عمرو بن ثعلبة[١٠] بن عَتّاب بن مِلقط، فوجدوا القوم قد نَذِروا، فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية

---

(١) أمه: شج رأسه.
(٢) اختط: نزل خطة بمكة، وفي هد، هج: «متاب» بدل «مناة».
(٣) في س، ب: «أهاب من عزيز».
(٤) صبارة مثلثة الصاد: الحجارة الملمس.
(٥) في «القاموس» و «الصحاح»: آخر ولد الأبوين، وعليه فهو مرادف للعجزة.
(٦) سحياً: قشراً.
(٧) إن هنا مخففة من الثقيلة.
(٨) في س، ب: «زرارة غلمة» وهو تحريف.
(٩) مثل يضرب في تعاطف ذوي الأرحام، وأراد بقوله: يا بعضي أولاد بنته لأنهم جزء منه، وبقوله: بعضا نفسه.
(١٠) في س، ب: «غياث».

البحرين، فحبسهم، ولحقه عمرو بن هند، حتى انتهى إلى أوارة، فضُرِبت فيه قبّتُه، فأمر لهم بأُخدود فحفِر لهم، ثم أضرمه نارا، فلما احتدمت وتلظّت، قذف بهم فيها، فاحترقوا.

إن الشقي وافد البراجم

وأقبل راكب من البراجم ـ وهم بطن من بني حنظلة ـ عند المَساء، ولا يدري بشيء مما كان يُوضع له[1] بعيره فأناخ، فقال له عمرو بن هند: ما جاء بك؟ قال: حبُّ الطعام، قد أقويْتُ[2] ثلاثا لم أذق طعاما، فلما سطع الدخان ظننتُه دخانَ طعام، فقال له عمرو بن هند: ممن أنت؟ قال: من البراجم، قال عمرو: إن الشقيَّ وافدُ البراجم[3] فذهب مثلا، ورمى به في النار، فهجت العرب تميما بذلك، فقال ابن الصَّعِقِ العامري:

ألا أبلــغْ لــديــكَ بنــي تميــم ... بــآيــة مــا يُحبُّــون الطعــامــا

مثل من شجاعة المرأة

وأقام عمرو بن هند لا يرى أحدا، فقيل له: أبيت اللعن! لو تحلّلت بامرأة منهم، / فقد أحرقت تسعة وتسعين [٢٢/١٩٣] رجلا. فدعا بامرأة من بني حنظلة، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا الحمراء بنت ضمّرة بن جابر بن قَطَنَ بن نهشلَ بن دارم، فقال: إني لأظنّك أعجمية، فقالتْ: ما أنا / بأعجمية ولا ولدْتني العجم. ١٣٠/١٩

إنّــي لبنــتُ ضمــرةَ بــن جــابِــر ... ســادَ معــدًّا كــابــراً عــن كــابــر[4]

إنــي لأخــتُ ضَمــرة بــنِ ضَمــرةْ ... إذا البــلاد لُفّعــت بجمــرةْ

قال عمرو: أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصَرَفتك عن النار، قالت: أما والذي أسألُه أن يضع وسادَك، ويخفِض عمادَك، ويسلبك مُلكك[5]، ما قتلتَ إلا نساء أعاليها ثُدِيّ وأسفلها دُمِيّ[6] قال: اقذفوها في النار، فالتفتت، فقالت: ألا فتًى يكون مكان عجوز! فلما أبطؤوا عليها قالت: صار الفتيانُ حُمما[7]، فذهبت مثلا فأحرِقت، وكان زوجها يقال له هَوذة[8] بن جرول بن نهشل بن دارم.

لقيط يعير بني مالك

فقال لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة بأخذ من أخذ منهم الملك وقتله إياهم ونزولهم معه:

لمــن دمنــةٌ أقفــرتْ بــالجنــابِ ... إلــى السفــح بيــن المَــلا فــالهضــاب[9]

بكيــتَ لعــرفــان آيــاتهــا ... وهــاج لــك الشــوقَ نعــبُ الغــرابِ

(١) الإيضاع: حمل الدواب على العدو السريع.
(٢) أقويت: نفد زادي.
(٣) مثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة.
(٤) في س، ب: «كابر».
(٥) في بعض النسخ ويقرب هلكك».
(٦) جـ: دم، كناية عن الضعف وفي هد: «حلى».
(٧) في ب، س: «كان الفتيان».
(٨) في س وب: «حوذة» وهو تحريف.
(٩) الجناب والسفح والملا والهضاب: مواضع.

فأبلغ لديك بني مالك مغلغلةً[1] وسراةَ الرِّبابِ

[٢٢/١٩٤] / فإن امرأً أنتمُ حولَه تحفُّون قُبَّتَه بالقِبابِ

يُهينُ سراتكمُ عامداً ويقتلكم مثلَ قتلِ الكلابِ

فلو كنتمُ إبلاً أملحت[2] لقد نزَعَتْ للمياه العذابِ

ولكنكمْ غنمٌ تُصطفى ويُترك سائرُها للذئابِ

لعمرُ أبيكَ أبي لخير[3] ما أردتَ بقتلهمُ من صوابِ

ولا نعمةً إن خيرَ الملو كِ أفضلهم نعمةً في الرقابِ

شعر الطرماح في أوارة

وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا.

واسألْ زُرارة والمأمور[4] ما فعلت قَتْلَى أُوارةَ من رعلان واللَّددِ[5]

ودارِماً قد قذفنا[6] منهمُ مائة في جاحِم[7] النار إذ يُلقونَ بالخُدَدِ[8]

ينزون بالمشتوي منها ويوقدُها عمرٌو ولولا شحوم القوم لم تَقِدِ

زرارة يريد الثأر من ابن ملقط

قال: فحدثني الكلبي عن المفضل الضبي قال:

لما حضر زُرارة الموتُ جمع بنيه وأهل بيته ثم قال: إنه لم يبق لي عند أحد من العرب وِتْر، إلا قد أدركته؛ غير تحضيض الطائيّ ابن ملقطِ الملك[9] علينا، حتى صنع ما صنع، فأيكم يضمن لي طلب ذلك من طيء؟ قال [٢٢/١٩٥] عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد أنا لك / بذلك ياعم. ومات زرارة، فغزا عمرو بن عمرو جديلة، ففاتوهم، وأصاب ناساً من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن تمامة وقال في ذلك شعرا.

لقيط بن زرارة يخطب بنت ذي الجدين

وكان زُرارة بن عُدس بن زيد رجلا شريفا، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط، ورأى منه خُيَلاءَ ونشاطاً، وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذ شاب. فقال له زرارة: لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتني بمائة من هجان المنذر بن

---

(١) أي رسالة محمولة من بلد إلى بلد.
(٢) أملحت: وردت ماء ملحا.
(٣) س، ب: «إلى الخير» ولا معنى له.
(٤) ب، س: «المأمون».
(٥) رعلان حصن، واللدد: موضع، وفي هد: باللدد.
(٦) كذا في ف، وفي س، ب: «قتلنا».
(٧) جاحم: شديد الاشتعال.
(٨) الخدد: جمع خدة أي حفرة.
(٩) في س، ب: «ملقطا الملك».

ماء السماء، أو نكحتَ بنت ذي الجدَّين بن قيس بن خالد. قال لقيط: لله عليَّ ألا يمس رأسي غَسْل، ولا آكُلَ لحما، ولا أشرب / خمرا، حتى أجمعهما جميعاً أو أموت. فخرج لقيط ومعه ابن خال له، يقال له: القُراد بن إهاب، وكلاهما كان شاعراً شريفاً، فسارا حتى أتيا بني شيبان، فسلّما على ناديهم ثم قال لقيط: أفيكم قيس بن خالد ذو الجدَّين؟ وكان سيدَ ربيعة يومئذ، قالوا: نعم، قال: فأيّكم هُو؟ قال قيس: أنا قيسٌ، فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً ابنتَك ـ وكانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحدٌ ابنته علانية إلا أصابه بشَرٍّ وسمَّع به ـ فقال له قيس: ومن أنت؟ قال: أنا لقيط بن زُرارة بن عُدُس بن زيد، قال قيس: عجباً منك يا ذا القُصّة! هلا كان هذا بيني وبينك؟ قال: ولم يا عمّ؟ فوالله إنك لرُغبَة[1] وما بي من نَضَاة[2] ـ أي ما بي عار ـ ولئن ناجيتك لا أخدعك ـ ولئن عالنتك لا أفضحك، فأعجَب قيسا كلامُه، وقال: كفء كريم؛ إني زوّجتُكَ ومهرتُك مائة ناقة ليس فيها مظائر[3] ولا ناب[4] ولا كَزُوم[5]، ولا تبيت عندنا عَزبا ولا محروما. ثم أرسل إلى أم الجارية: / أني قد زوجت لقيطَ بن زُرارة ابنتي القَدور، فاصنعيها واضربي لها ذلك البَلَق[6]، فإن لقيطَ ابنَ زُرارة لا يبيت فينا عَزبا. وجلس لقيط يتحدث معهم، فذكروا الغزو، فقال لقيط: أما الغزو فأردُّها للقاح وأهزِلُها للجمال، وأما المقام فأسمنها للجمال، وأحبُّها للنساء. فأعجب ذلك قيساً، وأمر لقيطا، فذهب إلى البلَق فجلس فيه، وبعثت إليه أمُّ الجارية بِمجمرة وبخور، وقالت للجارية: اذهبي بها إليه، فوالله لئن ردّها ما فيه خير، ولئن وضعها تحته ما فيه خير، فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخَّر شعره ولحيته ثم ردَّها عليها، فلما رجعت الجاريةُ إليها، خبَّرتها بما صنع، فقالت: إنه لخليقٌ للخير، فلما أمسى لقيط أهدِيت الجارية إليه. فمازحها بكلام اشمأزَّت منه، فنام وطرح عليه طرف خَميصة[7]، وباتت إلى جنبه، فلما استثقل انسلَّتْ فرجَعَت إلى أُمها، فانتبه لقيط، فلم يرها، فخرج حتى أتى ابن خاله قرادا وهو في أسفل الوادي، فقال: ارحل بعيرك وإياك أن يُسمع رُغاؤها[8].

١٣١/١٩
[١٩٦/٢٢]

لقيط يحظى بجوائز المنذر وكسرى

فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء، وأصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت، ولم يدر ما الذي ذهب به. ومضى لقيط، حتى أتي المنذَر فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله، فأعطاه مائة من هجائنه، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زُرارة، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر، ثم أنصرف لقيط من عند كسرى، فأتى أباه، فأخبره خبره.

لقيط يعود إلى زوجته ثم تئيم منه

وأقام يسيرا، ثم خرج هو وقرادٌ حتى جاءا محلة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل، فقال لقيط:

---

(١) رغبه: يرغَب فيك الناس.
(٢) ف: «قصاه».
(٣) كذا في ف ومعناها ليست مشرومة الأنف حين تغمى للظئار، وفي س، ب «مصابرة».
(٤) الناب: الناقة المسنة.
(٥) الكزوم: الناقة ذهبت أسنانها هرما.
(٦) البلق الفسطاط.
(٧) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.
(٨) البعير يطلق على الناقة ايضا، والملك أنث الضمير.

انظــر قــرادُ وهــاتــا نظــرةً جــزعــا عُــرضَ الشقــائــق هــل بيَّنْــتَ أظعــانــا

[١٩٧/٢٢] / فيهــنّ أتــرجّــة[1] نضــخ[2] العبيــر بهــا تكســى تــرائبهــا شَــذْرا[3] ومَــرجــانــا

فخرجا حتى أتيا قيس بن خالد. فجهزها أبوها، فلما أرادت الرحيل قال لها: يا بنيَّة كوني لزوجكِ أمةً يكن لكِ عبداً، وليكن اكثرُ طيبك الماء، فإنك إنما يُذهَب بك إلى الأعداء، وأراك إن ولدتِ فستلدين لنا غيظا طويلا، واعلمي أن زوجَك فارُس مضر، وأنه يوشك ان يُقتلَ أو يموت، فلا تخمشي عليه وجهاً ولا تحلقي شعرا، قالت له: أما والله لقد ربيتَني صغيرة، وأقصيتني كبيرة، وزودتني عند الفراق شرَّ زاد. وارتحل بها لقيط، فجعلتْ لا تمر ١٣٢/١٩ / بحيّ من العرب إلا قالت: يا لقيط، أهؤلاء قومُكَ؟ فيقول: لا، حتى طلعت على محلة بني عبدالله بن دارم، فرأت القبابَ، والخيل العِرابَ[4]، قالت: يا لقيط أهؤلاء قومك؟ قال: نعمْ، فأقام أياما يُطعِم ويَنحر، ثم بنى بها، فأقامت عنده حتى قتِل يوم جَبَلة[5]، فبعث إليها أبوها أخاً لها فحُملت، فلما ركبت بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبدالله بن دارم، فقالت: يا بني دارم، أُوصيكم بالغرائب خيراً، فوالله ما رأيت مثلَ لقيط، لم تخمش عليه امرأة وَجْهاً ولم تحلِق عليه شَعرا، فلولا أني غريبة لخَمَشْت وحلقت، فحبب الله بين نسائكم، وعادى بين رعائكم، فأثنوْا عليها خيرا.

زوجة لقيط في عصمة غيره

ثم مضت حتى قدمتْ على أبيها، فزوجها من قومه، فجعل زوجُها يسمعُها تذكر لَقيطا وتحزن عليه، فقال لها: أيَّ شيء رأيت من لقيط أحسنَ في عينك؟ قالت: خرج يوم دَجْن وقد تَطيَّب وشرب، فطرد البقر فصرع منها، ثم أتاني وبه نضحُ دماء، فضمني ضمة، وشمني شمة، فليتني مِتُّ ثَمَّة، فلم أَر منظراً كان أحسنَ من لَقيط. فمكث [١٩٨/٢٢] عنها / حتى إذا كان يومُ دَجن شَرب، وتطيّب، ثم ركب، فطرد البقر، ثم أتاها وبه نضح دمٍ والطيبُ وريح الشراب، فضمها إليه وقبّلها، ثم قال لها: كيف ترينَ؟ أأنا أم لَقيط فقالت: ماءٌ ولا كصدَّاء، ومرعى ولا كالسَّعدان[6] فذهبت مثلا، وصَدَّاء: ركية ليس في الأرض ركية أطيب منها، وقد ذكرها التميمي في شعره:

إنّــي ونهيــامــي بــزينــبَ كــالــذي يُخــالــس مــن أحــواض صَــدَّاءَ مَشــربــا

يــرى دونَ بــرد[7] المــاءِ هَــولاً وذادةً إذا اشتــد[8] صــاحــو أقبــل أن يتحببــا

يقول: قبل أن يروَى يقال: تحبَّبتُ من الشراب أي رَويتُ، وبَضعْت منه أيضاً أي رويت منه، والتحبُّبُ: الرِّيّ.

(١) الأترجة ثمر شجر بستاني من فصيلة الليمون.

(٢) نضخ، أي أثر طيب يبقى في الثوب وغيره.

(٣) شذرا: قطعا من الذهب.

(٤) العراب: خلاف البراذين واحدها عربي.

(٥) يوم بين بني عبس وذبيان ابني بغيض.

(٦) السعدان: اطيب المراعي للإبل.

(٧) في ب: «ورد».

(٨) في ف: «شد».

[١٩٩/٢٢]

صوت

وكاتبةٍ في الخد بالمسك جعفرًا ... بنفسي مَخطُّ[1] المسك من حيث أثَّرا

لئن كتبتْ في الخد سطرا بكفِّها ... لقد أودعتْ قلبي من الحُبِّ أسطُرا

فيا من لمملوك لملكِ يمينه ... مطيعٌ لها فيما أسرَّ وأظهرا

ويا من هواها في السريرة جعفرٌ ... سقى الله من سُقيا ثناياكِ جعفرا

الشعر لمحبوبة شاعرةِ المتوكل، والغناء لعريب خفيف رَمَل مطلق.



(١) القلم يخط به المسك.

[٢٢/٢٠٠]

/ أخبار محبوبة

كانت محبوبة أجمل من فضل

كانت محبوبة مؤلَّدة من مولدات البصرة، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضلُ الشاعرة اليمامية أن تتقدمها، وكانت محبوبة أجملَ من فَضْل وأعفّ، ومَلَكها المتوكل وهي بكر، أهداها لهُ عبدُالله بنُ طاهر، وبقيت بعده[١] مدة، فما طمع فيها أحد، وكانت أيضاً تغني غِناءً ليس بالفاخر[٢] البارع.

أخبَرني بذلك جحظةُ عن أحمد بن حَمدون. أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال:

حدثني عليّ بن يحيى المنجم: كان عليّ بنُ الجهم يُقَرب من أنس المتوكل جدًا، ولا يكتمه شيئاً من سره مع حرمه وأحاديث خَلواته، فقال له يوما: إني دخلت على قبيحةَ، فوجدتُها قد كتبتْ اسمي على خدِّها بغالية[٣]؛ فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدِّ، فقل في هذا شيئاً. قال: وكانت محبوبة حاضرة للكلام من / وراء السِّتر، وكان عبدالله بن طاهر أهداها في جملة أربعمائة وصيفة[٤] إلى المتوكل، قال: فدعا عليّ بن الجهم بدواة، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكر، قالت محبوبة على البديهة من غير فكرٍ ولا رويَّة:

١٣٣ / ١٩

وكـاتبـةٍ بـالمسـك فـي الخـدِّ جعفـرًا ... بنفسـي مَخـطُّ المسـكِ مـن حيـث أثَّـرا

لئـن كتبـتْ فـي الخـد سطـرا بكَفِّهـا ... لقـد أودعـتْ قلبـي مـن الحـبِّ أسطـرَا

[٢٢/٢٠١]

/ فيـا مَـنْ لمملـوك لِملـكِ يمينـه ... مطيـعٍ لـه فيمـا أسـرَّ وأظهـرَا

ويـا مـن مناهـا[٥] فـي السريـرةِ جعفـرٌ ... سقـى الله مـن سُقيـا ثَنـايـاك جعفَـرا

قال: وبقيَ عليّ بن الجهم واجما لا ينطق بحرف. وأمر المتوكل بالأبيات، فبعث بها إلى عريب وأمر أن تغنّيَ فيها، قال علي بن يحيى: قال علي بن الجهم بعد ذلك: تحيّرتُ والله، وتقلّبتْ خواطري، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله.

شعرها في تفاحة

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدثني ابن خُرْداذبة قال حدثني عليّ بنُ الجهم: قال

كنتُ يوما عند المتوكل وهو يَشربُ ونحن بين يديه، فدفع إلى محبوبة تُفاحة مغلَّفة فقَبّلتها، وانصرفت عن

(١) في هج: «عنده».
(٢) في ف: «غير بارع فاخر».
(٣) الغالية: أخلاط من الطيب.
(٤) ف: «جارية».
(٥) ف: «هواها» بدل «مناها».

حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرِب، ثم خرجت جاريةٌ لها ومعها رقعة، فدفعتها إلى المتوكل فقرأها، وضحك ضحكا شديدا، ثم رمى بها إلينا، فقرأناها وإذا فيها:

يا طيبَ تُفاحة خلوتُ بها — تُشعل نارَ الهوى على كَبِدي
أبكي إليها وأشتكي دَنَفي — وما ألاقي من شدَّة الكَمَدِ
لو أن تفاحةً بكت لبكت — من رحمتي هذه التي بيدي
إن كنتِ لا ترحمين ما لقيتْ — نفسي من الجهد فارحمي جسدي

قال: فوالله ما بقيَ أحد إلا استظرفها، واستملحها، وأمر المتوكل فغُنّيَ في هذا الشعر صوتٌ شربَ عليه بقية يومه.

وفاؤها للمتوكل بعد موته

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني علي بنُ يحيى المنجم.

أن جواريَ المتوكل تفرّقن بعد قتله، فصار إلى وصيف عدّة منهن، وأخذ محبوبة فيمن أخذ، فاصطبح يوما وأمر بإحضار جواري المتوكل، فأحضِرن، عليهنّ الثياب الملونة، / والمذهبة والحُليّ، وقد تزيَّنّ وتعطرّن إلا محبوبة فإنها جاءت مَرْهاء[1] متسلّبة[2]، عليها ثيابٌ بياضٍ غيرِ فاخرة، حزناً على المتوكل. فغنى الجواري جميعا، وشربن وطربَ وصيفٌ وشرب، ثم قال لها: يا محبوبة غنّي فأخذت العود، وغنّت وهي تبكي، وتقول: [٢٢/٢٠٢]

أيُّ عيش يطيبُ لي — لا أرى فيه جعفرَا
ملكا قد رأته عَيْـ — ـني قتيلا معفَّرَا[3]
كلُّ من كان ذا هُيا — مٍ وحزن فقد برَا[4]
غير محبوبةَ التي — لو ترى الموتَ يُشترَى
لاشترته بملكها — كُلُّ هذا لتُقبَرَا
إن مَوْتَ الكئيبِ أصْـ — ـلَحُ من أن يعمَّرَا

/ فاشتدّ ذلك على وصيف، وهمَّ بقتلها. وكان بُغا حاضرا، فاستوهبها منه، فوهبها له، فأعتقها، وأمر بإخراجها، وأن تكون بحيث تختارُ من البلاد، فخرجت من سُرَّمن رأى إلى بغداد، وأَخْمَلَتْ ذكرها طولَ عمرِها. [١٣٤/١٩]

خصام وصلح في المنام؛ ثم في اليقظة

أخبرني جعفر بن قُدامة، قال: حدثني ملاوِّي الهَيْثَمي قال: قال لي عليُّ بنُ الجهم:

كانت محبوبة أُهديت إلى المتوكل أهداها إليه عبدالله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية، وكانت بارعة

(١) مرهاء: غير مكتحلة.
(٢) متسلبة: لابسة ثياب الحداد.
(٣) معفرا: ممرغا في التراب أو مضروبا به الأرض.
(٤) تخفيف برأ من مرضه، بمعنى شفي منه.

الحسن والظّرف والأدب مغنّيةً محسنة، فحَظِيتْ عند المتوكل، حتى إنه كان يُجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب، فيُدخلُ رأسَه إليها، ويحدّثها، ويراها في كل ساعة. فغاضبها يوما، وهجرها ومنع جواريَه جميعا [٢٢/٢٠٣] من / كلامِها ثم نازعتْه نفسه إليها، وأراد ذلك، ثم منعته العزةُ، وامتنعت من ابتدائه إدْلاَلاً عليه بمحلّها منه. قال عليُّ بنُ الجهم: فبكَّرْتُ إليه يوما فقال لي: إني رأيت البارحة محبوبة في نومي كأني قد صالحتها، فقلت: أقرّ الله عينَك يا أمير المؤمنين، وأنامَك على خير، وأيقظك على سرور، وأرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة، فبينا هو يحدّثني وأجيبه[1] إذا بوصيفة قد جاءته، فأسرّت إليه شيئا، فقال لي: أتدري ما أسرّتْ هذه إليَّ؟ قلت: لا، قال: حدثتني أنها اجتازت بمحبوبة الساعةَ وهي في حجرتها تغنّي، أفلا تعجب من هذا؟ إني مغاضبها، وهي متهاونة بذلك، لا تبدؤني بصلح، ثم لا ترضى حتى تغني في حجرتها، قم بنا يا عليُّ حتى نسمع ما تُغنّي. ثم قام، وتبعتُه، حتى انتهى إلى حُجرتها فإذا هي تغني وتقول:

أَدُور في القصر لا أرى أحداً ... أشكو إليه ولا يكلِّمُني

حتى كأني ركبتُ معصيةً ... ليستْ لها توبةٌ تُخلِّصني

فهل لنا شافعٌ إلى مَلِكٍ ... قد زارني في الكَرى فصالحني

حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا ... عاد إلى هجره فصارمني

فطرب المتوكِّلُ، وأحستْ بمكانه. فأمرت خدَمَها، فخرجوا إليه، وتنحّينا وخرجتْ إليه، فحدّثته أنها رأته في منامها، وقد صالحها، فانتبهت، وقالت هذه الأبيات، وغنّت فيها. فحدّثها هو أيضا برؤياه، واصطلحا، وبعث إلى كلّ واحد منا بجائزة وخِلْعة.

ولما قتِل تسلّى عنه جميعُ جواريه غيرها، فإنها لم تزل حزينة مستلْبة هاجرة لكل لذة حتى ماتتْ. ولها فيه مراثٍ كثيرة.

[٢٢/٢٠٤] / صوت

يا ذا الّذي بعذابي ظلّ مفتخرا ... هل أنت إلا مليكٌ جارَ إذ[2] قَدَرا

لولا الهوى لتجازيْنا[3] على قَدَرٍ ... وإن أُفِقْ منه يوما ما فسوفَ ترَى

الشعر يقال إنه للواثق، قاله في خادم له غضب عليه، ويقال: إن أبا حفص الشّطرنجي قاله له.

والغناء لعُبيْدة الطنبورية رمَل مطلق، وفيه لحن للواثق آخر، قد ذكر في غنائه.

(١) في س، ب: «فاحدثه».

(٢) س، ب: «أن».

(٣) وفي س، ب: «لتجارينا».

/ أخبار عبيدة الطنبورية

[٢٠٥/٢٢]

نشأتها

كانت عُبيدةُ من المحسِنات المتقدّمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إسحاقُ وحسْبها بشهادته. وكان أبو حَشيشة[١]، يعظّمها، ويعترف لها بالرياسة والأستاذية، وكانت / من أحسنِ الناس وجهاً، وأطيبِهم صوتاً. ١٣٥/١٩ ذكرها جحظة في كتاب الطُّنبوريين وَالطُّنبوريات، وقرأتُ عليه خبرَها فيه فقال: كانت من المحسِنَات، وكانت لا تخلو من عِشْق، ولم يُعرف في الدنيا امرأة أعظمُ[٢] منها في الطنبور، وكانت لها صنعةٌ عجيبة، فمنها في الرمَل:

كُــــن لـــــي شفيعـــــاً إليكـــــا | إن خــــــفّ ذاك عليكـــــــا
وأعفِنــــــي مــــــن ســــــؤالــــــي | ســــواكَ[٣] مـــا فـــي يـــديكــــا
يـــا مَـــــنْ أعِـــــزُّ وأهـــــوَى | مــــالـــــي أهـــــونُ عليكـــــا؟

تغني بحضرة إسحاق وهي لا تعرفه

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: قال، لي عليّ بن الهيثم اليزيديّ:

كان أبو محمد ـ يعني أبي رحمه الله إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ ـ يألفني ويدعوني، ويعاشرُني، فجاء يوماً إلى أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه، فرجع ومرَّ بي، وأنا مشرف من جَناح لي، فوقف وسلَّم عليَّ. وأخبرني بقصته، وقال، هل تنشطُ اليومَ للمسير إليَّ؟ فقلت له: ما على الأرض[٤] / شيء أحبّ إليَّ من ذلك، [٢٠٦/٢٢] ولكني أخبِرُك بقصتي، ولا أكتمُك. فقال: هاتها، فقلت: عندي اليوم محمدُ بنُ عمرو بنِ مَسعدة وهارون بن أحمد ابن هشام، وقد دعونا عُبيدةَ الطُّنبورية، وهي حاضرة، والساعةَ يجيء الرجلان، فامضِ في حفظ الله، فإني أجلسُ معهم حتى تنتظمَ أُمورُهم، وأَروح إليك، فقال لي: فهلاّ عرضتَ عليَّ المُقام عندك؟ فقلت له: لو علمتُ أن ذلك مما تَنشط له والله لرغبتُ إليك فيه، فإن تفضلّتَ بذلك كان أعظمَ لمِنّتك، فقال: أَفعلُ، فإني قد كنت أشتهي أن أسمَع عُبيدة، ولكن لي عليك شريطَة، قلت: هاتها، قال: إنها إن عرفتني وسألتموني أن أُغنّي بحضرتها لم يَخْف عليها أمري وانقطعتْ فلم تصنع شيئاً، فدعوها على جِبِلّتها[٥]، فقلت: أفعلُ ما أُمرتَ به، فنزل وردَّ دابته وعرَّفتُ صاحبيَّ ما جرى، فكتماها أمرَه وأكلنا ما حضر، وقُدِّم النبيذ، فغنت لحناً لها تقول:

(١) هو محمد بن علي بن أبي أمية كان نديم الخلفاء وله كتاب في الطنبوريين أجاد فيه.
(٢) كذا في ف وهج وفي النسخ الاخرى: «أعطره».
(٣) ف «سؤال».
(٤) في هد: «ما في الأرض».
(٥) في هد، هج، ف: «على جملتها».

قــــريــــبٌ غيــــرُ مقتــــرِبِ ومــــؤتلِــــفٌ كمجتنِــــبِ
لــــه وُدّي ولــــي منــــه دواعــــي الهــــم والكُــــرَب
أواصلُــــه علــــى سَبَــــبٍ ويهجُــــرنــــي بــــلا سبــــب
وَيظلِمُنــــي علــــى ثقــــةٍ بــــأنّ إليــــه مُنقَلَبــــي

فطرب إسحاق، وَشرب نِصفاً، ثم غنّت وَشرب نِصفاً، ولم يزل كذلك حتى وَالى بين عشرة أنصاف، وَشربناها معه؛ وَقام ليصلّي، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام: وَيحك يا عبيدة! ما تبالين وَالله متى مت، قالت[1]: ولم؟ قال: أتدرين مَنَ المستحسنُ غناءَكِ والشاربُ عليه ما شرب؟ قالت: لا والله، قال: إسحاق بن [٢٠٧/٢٢] إبراهيم الموصليّ، فلا تعرِّفيه أنك قد عرفته. فلما جاء إسحاق ابتدأتْ / تُغنّي، فلحقتها هيبَةٌ له، واختلاط، فنقصتْ نقصاناً بيّناً، فقال لنا: أعرّفْتموها من أنا؟ فقلنا له: نعم. عرَّفها إيّاكَ هارونُ بنُ أحمد، فقال إسحاق: نقوم إذاً، فننصرف، فإنه لا خيرَ في عشرتكم الليلةَ ولا فائدةَ لي ولا لكم، فقام فانصرف.

حدثني بهذا الخبر جحظةُ عن جماعة منهم العباس بن أبي العُبيس، فذكر مثله وقال فيه: إن الصوت الذي غنّته.

١٣٦/١٩ * / يا ذا الذي بِعذابي ظلَّ مفتخراً *

المسدود يأبى أن يغني قبلها

حدثني جحظةُ قال: حدثني محمد بن سعيد الحاجب قال: حدثني ملاحِظٌ غلام أبي العباس بن الرشيد. وَكان في خدمة سعيد الحاجب، قال:

اجتمع الطُّنبوريُّون عند أبي العباس بن الرشيد يوماً، وَفيهم المسدودُ وعُبيدة، فقالوا للمسدود: غنِّ، فقال: لا والله، لا تقدّمتُ[2]، عُبيدَة، وَهي الأستاذة، فما غنّى حتى غَنّتْ.

لم تدخل عليه بعد أن تزوج

وحدثني جحظة، قال: حدثني شرائح الخزاعيُّ صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر وَساباط شرائح مشهور قال:

كانت عُبيدة تعشقُني فتَزَوّجتُ فمرت بي يوماً فسألتها الدُّخولَ إليّ فقالت يا كَشْخَانُ[3]، كيف أدخل إليك وَقد أقعدتَ في بيتك صاحب مَصْلَحَةٍ[4]! ولم تَدْخل.

[٢٠٨/٢٢]/ ما كتب على طنبورها

وحدثني جحظة قال:

(١) كذا في ف، وفي س، ب: «قال».

(٢) في ف: «ما» بدل «لا» وهي أوضح إلا اذا أريد الدعاء فتصبح «لا».

(٣) الكشخان: من لا يغار على حريمه.

(٤) كذا في ف وفي س، ب: «مسلحة».

وهب لي جعفرُ بن المأمونُ طُنبورَها فإذا عليه مكتوب بأبنوس:

كــل شــيء ســوى الخيــا ... نــة فــي الحُــبِّ يُحْتَمَــلْ

تاريخ غير مشرف

وَحدثني جحظةُ وجعفرُ بنُ قدامة، وخبر جعفر أتم، إلا أني قرأتُه على جحظة، فعرفه، وَذكر لي أنه سَمِعه، قالا جميعاً: حدثنا أحمد بن الطيب السرخسيّ قال:

كان عليّ بن أحمد بن بسطام المروزيّ ـ وهو ابن بنت شبيب بن واج، وَشبيب أحد النفر الذي سترهم المنصور خلف قبّته يوم قتلَ أبا مُسلم؛ وقال لهم: إذا صفّقتُ فاخرجوا فاضربوه بسُيُوفكم. ففعل وفعلوا ـ فكان عليّ بن أحمد هذا يتعشقُ عُبيدة الطنبورية وَهو شاب وَأنفق عليها مالا جليلا، فكتبتُ إليه أسأله عن خبرها ومَن هي؟ وَمن أينَ خرجَتْ؟ فكتب إليّ: كانت عُبيدةُ بنتَ رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغسّانيّ، نديم عبدالله بن طاهر ـ وأبو السمراءُ أحدُ العِدَّة الذين وَصلهم عبدالله بن طاهر في يوم وَاحد لكل رجل منهم مائةُ ألفِ دينار ـ وَكان الزّبيديّ الطُّنبوريّ أخو نظم[1] العمياء، يختلف إلى أبي السمراء، وكان صباح صاحب أبي السمراء، فكان الزبيدي إذا سار إلى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة وباتَ، وشربَ، وغنى وأنِس، وكان لعُبيدة صوت حسن وطبع جيِّد، فسمعت غناءَ الزُّبيدي، فوقع في قلبها واشتهته، وسمع الزُّبيدي صوتها، وعرفَ طبعَها فعلَّمها، وواظبَ عليها، ومات أبوها، ورقَّت حالُها، وقد حَذِقت الغِناء على الطُّنبور، فخرجت تغنّي، وتقنع باليسير، وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح، فلم يزل أمرها يزيد، حتى تقدّمتْ وكبُر حظها، واشتهاها الناس. وحلَّتْ تِكَّتَهَا، وسمَحت، ورغب فيها الفتيانُ، فكانَ أولَ مَن تَعَشَّقَهَا عليّ بن الفرج الرُّخجيّ[2] / أخو عمر، وكان حسنَ الوجه [٢٠٩/٢٢] كثيرَ المال، فكنت أراها عنده، وكنّا نتعاشر على الفروسيّة، ثم ولدت من عليّ بن الفرج بنتاً، فَحجَبها لأجل ذلك، فكانت تحتال في الأوقات بعلة الحمّام وغيره، فتلُمُّ بمن كانت تودُّه ويودُّها، فكنت ممن تُلمُّ به، وأنا حينئذ شابٌّ قد ورثتُ عن أبي مالاً عظيماً وضِياعاً جليلة، ثم ماتت بنتُها من عليّ بن الفرج، وصادفَ ذلك نكبتَهم واختلالَ[3] حال عليّ بن الفرج، فطلّقها فخرجت، فكانت تخرج بدينارين للنهار وديناريْن لليلْ، واعترَتْ[4] بأبي السمراء، ونزلت في بعضِ دوره.

وتزوجت أُمها بوكيل له، فتعشّقت غلاماً من آل حمزةَ بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببَغداد، وكان يغنّي بالمعزفة غناء مليحاً، وكان حسنَ / الوجه، لا عيب في جَماله إلا أنه كان متغيّرَ النَّكْهَة، وكانت ١٣٧/١٩ شديدة الغُلمة لا تحرِم أحداً ولا تكرهه، من حدّ الكهول إلى الطفل، حتى تعلّقت شابًا يعرفُ بأبي كرب بن أبي الخطاب، مشرط[5] الوجه أفطس قبيحاً شديد الأدْمة، فقيل لها: أيّ شيء رأيت في أبي كرب؟ فقالتْ: قد تمتعت

(١) ف: «قطر».
(٢) كذا في ف وهج وفي س، ب: «الزحجي».
(٣) في س، ب: «اختلاط».
(٤) اعترت بفلان: اعترضت للمعروف.
(٥) كذا في م وفي ا، ف: «مترك» لعلها تحريف مشرط، فإن العبيد الزنوج يشرطون وجوههم.

بكل جِنس من الرجال إلا السودان، فإن نفسي تبشعهم[1]، وهذا بينَ الاسود والأبيض، وبينه فارغ لما أُريد، وهو صفعاني[2] إذا أردت ووكيلي إذا أردت. قال: وكان لها غُلام يَضْرِب عليها يقال له عليّ ويلقب ظئر عُبيدة، فكانت إذا خلت في البيت وشبّقت اعتمدت عليه، وقالت: هو بمنزلة بغْلِ الطحّان يصلح للحَمْل والطَّحْن والركوب.

[٢١٠/٢٢] وكان عمرُو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنّيهم مع جواريه، وَإنما / عرفها من داري، لأنه بعث يدعوني، فدخل غلامُه، فرآها عندي، فوصفها له فكتب إليّ يسألني أن أجيئَه بها مَعي. ففعلتُ، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحارث بن جمعة والحسن بن سليمان البرقي[3] وهارون بن أحمد بن هشام، فعدلوا كلُّهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه، ومال إليها جواريه، وما خرجت إلا وقد عقدت بين الجماعة مودة، وكان جواري عمرو بن بانة يشتقْن إليها، فيسألنه أن يدعوها، فيقول لهنّ: ابعثن إلى عليّ حتى يبعثَ بها إليكنّ، فإنه يميل إليها، وهو صديقي وأخشَى أن يظن أني قد أفسدتها عليه ـ ولم يكن به هذا إنما كان به الدّيناران اللذان يريد أن يحدرها بهما ـ وكان عمرو من أبخل الناس، وكان صوتُ إسحاق بن إبراهيم عليها:

* ياذا الذي بعذابي ظل مفتخراً *

وكانت صوتُ عَلّوية ومُخارق عليها:

* قريبٌ غير مقترب *

وهذان الصوتان جميعا من صنعتها.

إسحاق يحبها حية ويرثيها ميتة

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها، ويمنع نفسه ذلك لتيهه ولبَرّ مكته وتوقّيه أن يبلغَ المعتصم عنه شيء يعيبه، وماتت عُبيدة من نَزْف أصابها، فأفرط حتى أتلفها.

وفي عبيدة يقول بعضُ الشعراء، ومن الناس من ينسبه إلى إسحاق[4]:

أمسـت عُبيـدةُ فـي الإحسـان واحـدةً ... فـالله جـارٌ لهـا مـن كـلّ محـذور

مـن أحسَـنِ النـاس وجهـا حيـن تُبصـرُها ... وأحـذقِ النـاس إن غنّـت بطُنبـور

أخبرني جعفرُ بن قدامة قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك الخُزاعي قال: سمعت إسحاق يقول: الطنبور إذا تجاوز عُبيدَةَ هَذَيان.

[٢١١/٢٢] / صـوت

سَقِمـتُ حتـى ملّنـي العـائـدُ ... وذبـتُ حتـى شمـتَ الحـاسـدُ[5]

(١) كذا في ف وفي س، ب: «تبشعتهم».
(٢) صفعاني: يصفع.
(٣) ف: «البرتي».
(٤) في هج: «إسحاق إبراهيم الموصلي».
(٥) هج: «حتى شفني الحاسد».

وكنــتُ خِلــواً مــن رسيـسِ الهــوى حتــى رمــانــي طــرفُــك الصــائــدُ

الشعر فيما أخبرني به جحظة لخالد الكاتب ووجدتُه في شعر محمد بن أُميَّة له، والغناء لأحمد بن صَدقة الطنبوريّ، رمل مطلق.

وقد مضت أخبارُ خالد الكاتب ومحمد بن أُمية ونذكر ها هنا أخبارَ أحمدَ بنِ صدقه.



[٢١٢/٢٢]

/ أخبار أحمد بن صدقة

اسمه ونسبه ونشأته

١٣٨ / ١٩ / هو أحمدُ بن صَدقة بن أبي صدقة، وكان أبوه حجازيًا مغنيًا، قدِم على الرشيد، وغنى له، وقد ذَكرْتُ أخبارَه في صدر هذا الكتاب.

وكان أحمدُ بنُ صدقة طُنبوريًا محسنا مقدَّما حاذقا حَسَنَ الغناء مُحكم الصنعة، وَله غناء كثير من الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطُّنبوريّين، وكان ينزل الشام، فوُصف للمتوكل، فأمر بإحضاره، فقدِم عليه وغناه، فاستحسن غناءه، وأجزل صلته، واشتهاه الناسُ وكَثُر مَنْ يدعوه، فكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافا.

٩ جحظة يشيد به

أخبرني بذلك جحظةُ وقال:

كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكر منها الصوتَ المتقدِّمَ ذكرُه ووصفَه وقرَّظه، وذكر بعده هذا الصوت:

وشــادنٍ ينطِــق بــالظَّــرفِ حُســنُ حبيبــي منتهــى الــوصــفِ
هــام فــؤادي وجـرت عَبْـرتـي[١] لا بُعْــدَ الإلْــفُ مــن الإلــفِ

قال: وهو رَمَل مطلق، ولو حلفْتُ أنهما ليسا عند أحد من مغنّي زماننا إلاّ عند واحد ما حَنِثت ـ يعني نفسه.

خبره مع خالد بن يزيد

حدثني محمدُ بنُ مزْيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أحمد بن صدَقة قال:

اجتزت بخالد بن يزيدَ الكاتب، فقلت له: أنشدْني بيتين من شعرِكَ حتى أُغنّي فيهما. قال: وَأيُّ حظ لي في ذلك؟ تأخذُ أنت الجائزةَ وأحصِّل أنا الإثم! / [٢١٣/٢٢] فحلفت له أني إن أفدتُ بشعرك[٢] فائدة جعلت لك[٣] فيها حظا، أو أذكرتُ به الخليفة، وَسألته فيك، فقال: أما الحظ من جهتك فأنت أنزل[٤] من ذلك، ولكن عسى أن تفلحَ في مسألة الخليفة، ثم أنشدني:

تقــولُ ســلا فمــن المــذنَــبُ ومَــنْ عينُــه أبــداً تَــذْرِفُ؟

(١) هج: «وجرت أدمعي».
(٢) في ب، س: «بشعره».
(٣) في س، ب: «له».
(٤) في ف: «أنذل».

ومَـنْ قلبُـه قَلِـق خـافـقٌ عليـك وأحشـاؤه تـرجُـف؟

فلما جلس المأمون للشرب دعاني، وَقد كَان غضب على حَظِيَّة له، فحضرتُ مع المغنيّن، فلما طابت نفسه وَجّهتْ إليه بتفاحة من عنبر، عليها مكتوب بالذهب: يا سيدي، سلوتَ. وعلم الله أني ما عرفْت شيئا من الخبر.

يتغنى بنكره المأمون

وَانتهى الدور إليَّ، فغنّيتُ البيتين، فاحمرَّ وَجه المأمون، وانقلبت عيناه وقال لي: يا بن الفاعلة، ألك عليَّ وَعَلَى حرمي صاحب خبر! فوثبت، وقلت: يا سيدي ما السبب؟. فقال لي: من أين عرفتَ قصتي مع جاريتي؟ فغنيتَ في معنى ما بيننا، فحلفتُ له أني لا أعرف شيئا من ذلك، وَحدّثته حديثي مع خالد، فلما انتهيتُ إلى قوله، «أنتَ أنْزلُ من ذلك» ضحك، وقال: صدق، وَإن هذا الاتّفاقَ ظريف، ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها.

دخوله على المأمون في يوم السعانين

أخبرني محمد قال: حدثنا حماد قال: حدثني أحمدُ بنُ صدقة قالَ:

دخلت على المأمون في يوم السعانين[(١)]، وبين يديه عشرون وَصيفة، جَلباً[(٢)] روميات مزنّرات[(٣)]، قد تزين بالديباج الرومي، وَعلّقن في أعناقهنّ صُلْبانَ الذهب، / وَفي أيديهنّ الخوص والزيتون، فقال لي المأمون: وَيلك يا [٢٢/٢١٤] أحمد! قد قلتُ في هؤلاء أبياتا فغنّني فيها.

ثم أنشدني قوله[(٤)]:

ظبـاءٌ كـالـدنـانيـر مِـلاحٌ فـي المقـاصيـرِ
جَـلاهـنَّ السعـانيـنُ علينـا فـي الـزنـانيـرِ
وقـد زَرّفـن أصـداغـاً كـأذنـابِ الـزرازيـرِ
/ وأقبلـنَ بـأوسـاطٍ كـأوسـاطِ الـزنـابيـرِ

١٣٩
١٩

فحفظتها، وغنّيته فيها، فلم يزل يشرب، وترقُص الوصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند[(٥)]، إلى الإبلا[(٦)] حتى سكر، فأمر لي بألفِ دينار، وَأمر بأن يُنْثَرَ على الجواري ثلاثة آلاف دينار، فقبضت الألف، ونُثرت الثلاثة الآلاف عليهنّ، فانتهبتُها مَعهنّ.

يغضب فيسترضيه الفضل

حدثني جحظة قال حدثني جعفر بن المأمون قال:

(١) يوم السعانين: عيد النصارى يخرجون فيه بصلبانهم قبل الفصح بأسبوع.
(٢) في هد، ف: «جلب» بالرفع على الوصفية لـ«عشرون».
(٣) مزنرات: لابسات الزنار وهو منطقة للنصارى والمجوس كانوا يتميزون بها في زيهم.
(٤) الأبيات زيادة في م وا.
(٥) الدستبند: الرقص مع التماسك بالأيدي زرفن أصداغا، أي جعلن حلقات معرب.
(٦) كذا في س، ب، وفي ف، هد، هج «الإبل»، ولعل المراد منه الرقص العربي، والعرب يقسمون بالراقصات من الإبل.

اجتمعنا عند الفضل بن العباس بن المأمون، ومعنا المسدود، وأحمد بن صدقة، وكان أحمد قد حلَق في ذلك اليوم رأسَه، فاستعجلوا بُلافة كانت لهم، فأخذ المسدود سُكُرّجة[1] خردَل، فصبتها على رأس أحمد بن صدقة وقال: كلوا هذه حتى تجيء تلك. فحلف أحمد بالطلاق ألا يقيم، فانصرف. ولما كان من غد جمعهما الفضل بن [٢١٥/٢٢] / العباس، فتقدم المسدودُ، ودخل أحمد وطنبور المسدود موضوع، فجسَّه، ثم قال: من كَان يسبح في هذا الماء؟ فما انتفعنا بالمسدود سَائر يومه، على أن الفضل قد خلع عليهما، وَحماهما.

يقتله الأعراب وينهبون ماله

ولم يزل أحمد مقيماً، حتى بلغه موت بُنيَّة له بالشأم، فشخص نحو منزله، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه.

هل كان أبخر؟

قال جحظة:

وقال بعض الشعراء يهجو أحمدَ بنَ صدقة وكَانت له صديقة فقطعتْه فعيَّره بذلك ونسبها إلى أنهَا هربت منه لأنه أبخر:

هـربـتْ صـديقـة أحـمـدٍ ... هـربـتْ مـن الـرِّيـقِ الـرّدِي
هـربـت فـإن عـادتْ إلـى ... طُنبـورِه فـاقـطـعْ يـدي

[٢١٦/٢٢] / صوت

أَلـم تعلمـوا أنـي تُخـاف عَـرامتـي ... وأن قنـاتـي لا تليـنُ علـى القَسْـر
وإنـي وإيـاكـم كمـن نبَّـه القَطـا ... ولـو لـم تُنبَّـه بـاتـت الطيـرُ لا تَسـري
أَنـاةً وحلمـاً وانتظـاراً بكـم غـداً ... فمـا أنـا بـالـوانـي ولا الضَّـرَع الغُمـر[2]
أَظُـنُّ صـروفَ الـدهـر والجهـل منكـمُ ... ستحملكـم منّـي علـى مَـركَـب وَعْـر

الشعر للحارث بن وعْلة الجَرمي، وَالغناءِ لابن جامع ثقيل بالبِنصر عن عمرو، وفيه لِسياط لحن ذكره إبراهيم ولم يجنِّسْه، وقيل إن الشعر لوعلة نَفسِه.

(١) سكرجة: صحفة للطعام.
(٢) الضرع: الجبان. والغمر: الغبي، والذي لم يجرب الأمور.

/ أخبار الحارث بن وعلة

[٢١٧/٢٢]

اسمه ونسبه

الحارث بن وعْلة بن عبدالله بن الحارث بن بُلع بن سبيلة[١] بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حَرْم بن زبان[٢] ـ وهو علافٌ، وإليه تنسبُ الرِّحال العِلافِيَّة، وهو أول من اتخذها ـ بن حُلْوَان بن عمران بن الحَافِ بن قُضاعة. وقد ذكرت متقدما الاختلاف في قضاعة، ومن نسبه مَعَدِّياً، ومَنْ نَسَبه حِميريًّا.

والرِّحال العِلافِيَّة مَشْهُورَة عند الناس، قد ذكرتْها الشعراءُ في أشعارها، قال ذو الرُّمة:

وليـلٍ كجلبـاب العَـروس ادَّرعتُـه ... بـأربعـة والشَّخـصُ فـي العيـن واحـدُ

أَحَـمُّ عِـلافـيٌّ وأبيـضُ صـارمٌ ... وأعيـسُ مَهْـرِيٌ وأروعُ مـاجـدُ

وكان وَعلةُ الجرميّ وابنُه الحارث من فُرسان قُضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها، وشهد / وعلةُ الكُلاب الثاني[٣]، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المِنقريّ، وطلبه، ففاته ركْضاً وعدواً، وخبره يذكر بعد هذا في موضعه إن شاءالله تعالى.

ش٤٤ ١٩

ابن الأشعث وعبد الملك يتمثلان بشعره وشعر أبيه

فأخبرني عمي قال: حدثني الكُرانيّ، قال: حدثنا العمريّ عن العُتبيّ قال:

كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجّاج مبتدئاً: أما بعد فإن مَثَلي وَمَثَلُك كما قال القائل:

[٢١٨/٢٢]

/ سـائـلْ مُجـاورَ جَـرْم هـل جنيـتُ لهـا ... حَـرْبـا تفـرّق بيـن الجيـرة الخُلُـطِ؟

أم هـل دلفـتُ بجـرَّار لـه لجَـبٌ ... يَغْشَـى الأمـاعيـزَ بيـن السَّهـل والفُـرُط؟[٤]

ـ والشعر لوَعْلَةَ الجَرْمِيّ ـ هذا مَثَلي وَمَثَلُك، فسأحملك على أصعبِه، وأريحك من مركبه.

فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه جوابه: أما بعد؛ فإني قد أجبت عدُو الرحمن بلا حولَ ولا قوة إلا بالله، ولعمرُ الله لقد صدق، وخلع سلطانَ اللهِ بيمينه، وطاعتَه بشماله، وخرج من الدِّين[٥] عُريانا، كما ولدتْه أمُّه.

---

(١) في هد، هج، ف: «سنبلة».

(٢) كذا في ف بالباء الموحدة، وفي س، ب، هد: الريان»، وفي «اللسان»: (علف): وعلاف رجل من الأزد وهو زيان أبو جرم من قضاعة.

(٣) الكلاب: ماء بين جبلة وشمام وللعرب يومان فيه: الكلاب الأول والكلاب الثاني وثانيهما: لتميم على مذحج.

(٤) الفرط: واحد الأفراط وهي آكام شبيهات بالجبال، وفي هج: «بين الحي» بدل «بين السهل».

(٥) في هد: «خرج من الدين والدنيا عريانا».

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدع جوابَه بشعر فقال: وعلى أن مَثَلي ومَثَلَه ما قال الآخر:

أنـــاةً وحِلمـــا وانتظـــاراً بكُـــم غـــدا فمـــا أنـــا بـــالـــوانِـــي ولا الضـــرَع الغَمْـــر

أظُـــنّ صـــروفَ الـــدهـــر والجهـــلَ منهـــمُ ستحمِلُهـــم[1] منّـــي علـــى مَـــركَـــب وعْـــرِ

فليت شعري أَسَما عَدوُّ الرحمن لدعائم دين اللهَ يهدِّمُها؟ أم رام الخلافَةَ أن ينالها؟ وأوشك أن يُوهن اللهُ شوكتَه، فاستعنْ بالله، واعلم أن الله مع الذين اتَّقوْا والذين هم مُحسنون.

قال مؤلف هذا الكتاب: الشعر الذي تمثل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعْلَة الجرمي، والشعر الذي تمثل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة.

يخذله قومه وينصره آخرون

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدثني طلحة بن عبدالله الطَّلحيّ، عن أحمد بن إبراهيم، عن أبي عبيدة قال:

[٢١٩/٢١] / قتلَتْ نَهدٌ أخا وعلة الجرميّ، فاستعان بقومه، فلم يعينوه، فاستعان بحُلفاء [من][2] بني نمير، وكانوا له حلفاء وإخواناً، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك:

ســـائـــل مُجـــاورَ جَـــرم هـــل جنيـــتُ لهـــا حـــربـــا تُـــزَيِّـــل بيـــن الجيـــرة الْخُلُـــطُ[3]

أم هـــل علـــوتُ بجـــرَّار لـــه لجَـــبٌ يغشـــى المخـــارمَ[4] بيـــن السهـــل والفُـــرُط[5]

حتـــى تـــركـــتُ نســـاءَ الحـــي ضـــاحيـــةً[6] فـــي ســـاحـــة الـــدار يستـــوقـــدْن بـــالغُبُـــط[7]

يفر من قيس ابن عاصم عند غزوه لليمن

أخبرني هاشم بن محمد الْخُزاعيّ، قال: حدثنا الرياشيّ قال:

خرج رجل من بني تميم - يقال إنه قيسُ بن عاصم قال الرياشي: وحقق أبو عبيدة أنه قيس - يوم الكُلاب يلتمس أن يصيب رجلا من ملوك اليمن له فداء، فبينا هو في ذلك إذ أدرك وَعلَةَ الْجَرميّ، وعليه مقطعات له فقال له: على يمينك، قال: على يساري أقصَدُ لي، قال: هيهاتَ منك اليمن، قال: العراقُ مني أبعد، قال: إنك لن ترى أهلَك العامَ، قال: ولا أهلك تراهم[8]، وجعل وعلةُ يركُض فرسه، فإذا ظن أنها قد أعيت وَثَب عنها، فعدا معها،

(١) في هد: «ستحملكم».
(٢) زيادة يقتضيها المقام.
(٣) الخلط: خليط، هم القوم الذين أمرهم واحد، وفي هج: «تفرق» بدل «تزيل».
(٤) المخارم: جمع مخرم وهو أفواه الفجاج.
(٥) الفرط: الجبال الصغيرة، وتجمع على أفراط.
(٦) ضاحية: بارزة.
(٧) يريد قتلت رجالهن فبقيت الرجال وليس لها ما يرحل عليها، أو أنه ذهب بأبلهم فغنوا عن أقتابها فالنساء يستوقدن بها، أو أن الخوف يمنعهن من الاحتطاب فهن يستوقدن بالأقتاب وما جانسها وشابهها.
(٨) كذا في ف، وفي س، ب: «أراهم».

وصاح بها، فتجري وهو يُجارِيها، فإذا أعْيا وثب فركِبَهَا، حتى نجا. فسأل عنه قيس، فعرف أنه وَعْلَةُ الجرمي، فانصرف وتركه، فقال وعلة في ذلك:

[٢٢/ ٢٢٠] / فِـدَى لكمـا رِجْلـيَّ أمّـي وخـالـتـي ... غـداةَ الكُـلاب إذ تُحَـزُّ[1] الـدَّوابِـرُ

١٤١/١٩ / نجـوتُ نجـاء لـم يـر النـاسُ مثلَـه ... كـأنّـي عَقـابٌ عنـد تَيْمَـن[2] كـاسِـرُ

ولمـا رأيـت الخيـلَ تـدعـو مُقـاعِسـاً ... تنـازعنـي مـن ثُغـرةِ النحـر جـائـرُ

فـإن استطـع لا تلتبـسْ بـي مُقـاعـسٌ ... ولا يـرنـي ميـدنهـم والمحـاضـرُ[3]

ولا تـك لـي جـرَّارة مضـريَّـةٌ ... إذا مـا غـدت قـوتَ العيـالُ تُبـادر[4]

أما قوله: «تحز الدوابر» فإن أهل اليمن لما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه: لا تشتغلوا بأسْرهم فيفوتكم أكثرهم، ولكن اتَّبِعوا المنهزمين، فجزّوا أعصابَهم من أعقابهم ودعُوهم في مواضعهم، فإذا لم يبق أحد رجعتم إليهم، فأخذتموهم. ففعلوا ذلك، وأهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم: اليزيدون[5]، وهم يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن هَوْبَر، ويزيد بن المامورِ[6] ويزيد بن مخزَّم[7]. هؤلاء الأربعة اليزيدون، والخامس عبد يغوث بن وقَّاص، فقتِل اليزيدون أربعتهم في الوقعة، وأسِر عبد يغوث بن وقاص، فقتلته[8] الرِّباب برجل منها، وقد ذُكر خَبَرُ مقتله متقدما في صوت يغني فيه وهو:

* ألا لا تلوماني كفى اللومَ مَا بيا *

[٢٢/ ٢٢١] / وأما قوله:

* ولما رأيتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً *

فإن بني تميم لما التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمعة يا آل كعب! فتنادى أهلُ اليمن: يا آل كعب! فتنادوا: يا آل الحارث! فتنادى أهل اليمن! يا آل الحارث! فتناودا: يا آل مقاعس! وتميزوا بها من أهل اليمن.

[٢٢/ ٢٢٢]

/ صـوت

والله لا نظـرتْ عينـي إليـكَ ولـو ... سـالـت مَسـاربُهـا شـوقـا إليـكَ دَمَـا

إن كـنـتَ خنـتُ ولـم أضمـر خيـانتكـم ... فـالله يـأخـذ ممـن خـانَ أو ظَلَمَـا

---

(١) في س، ب: «تحف».

(٢) تيمن: أرض بين بلاد تميم ونجران.

(٣) كذا في ف، وفي س، ب: ونبتئس وميدانهم والمبدى والمحضر، مكان أريد منه الحالون أي البادون والحاضرون.

(٤) كذا في العقد، وفي س، ف: «جرادة» وفي ف: «حدادة» والمراد ولاتك في كتيبة يثقل عليه لكثرتها.

(٥) وفي هج وهد: «اليزيديون» بياء النسب.

(٦) كذا في ف وفي س، ب: «المأمون».

(٧) كذا في ف وكتب الأنساب وفي س، ب: «المخرم».

(٨) كذا في ف وفي ب، س: «فقتله».

سماجة لمُحِبٍّ خان صاحبَه ... ما خان قطُّ محبٌّ يعرِفُ الكرَما

الشعر لعليّ بن عبدالله الجعفريّ، والغناء للقاسم بن زُرزور، ولحنه ثقيل أول مطْلق ابتداؤه نشيد، وكان إبراهيم بن أبي العُبَيْس يذكر أنه لأبيه.

[٢٢/٢٢٣] / فلما وُلِّيَ مُصعبُ بنُ الزبير دعاه، فأنشده الأبياتَ، فقال: أما والله لأقطعنّ السيف في رأسك قبل أن تقطعَه في رأسي، وأمر به فحُبِس، ثم دسَّ إليه من قتله.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن ابن جامع، عن يونس قال:

جاءَ رجل من قريش إلى الغَريض فقال له: بأبي أنتَ وأمي إني جئتُك قاصداً من الطائف أسألك عن صوت تُغنِّيني إياه، قال: وما هو؟ قال: لحنك في هذا الشعر:

تشرَّبَ لونَ الرازقيّ بياضُه ... أو الزعفرانَ خالطَ المسكَ رادعُه[١]

فقال: لا سبيل إلى ذلك، هذا الصوتُ قد نهتني الجنُّ عنه، ولكنّي أغنيك في شِعر لمُرَّة بنِ مَحكان، وقد طرقه ضيفٌ في ليلة شاتِيةٍ، فأنزلَهم، ونَحَر لهم ناقته، ثم غنّاه قوله:

يا رَبّةَ البيت قومي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمّي إليك رحالَ القومِ والقُرُبا

فأطربه، ثم قال له الغَريض: هذا لحن أخذتُه من عبيد بن سُريج، وسأغنيك لحناً عملته في شعر على وزن هذا الشعر وَرويّه للحطيئة، ثم غنّاه:

ما تَقَموا من بغيضٍ لا أبا لهمُ ... في بائس جاء يحدو أينُقاً شُزُبا[٢]

جاءتْ به من بلاد الطُّور تحملُه ... حصّاءُ[٣] لم تتركْ دون العصا شَذَبا[٤]

[٢٢/٢٢٤] / **لا يخفض جبينه إلا لله**

$\frac{١٤٢}{١٩}$ / حدثني اليزيديُّ قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العباس بن عيسى العُقيليّ أن عليّ بن عبدالله الجعفري أنشده:

واللهِ واللهِ ربّي ... وتلكَ أقصى يَميني

لو شئتُ ألا أصلّي ... لما وضعتُ جَبيني

أيهما يدع؟

حدثنا اليزيديّ قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العباسُ بن عيسى قال: حدثني عليّ بن عبدالله الجعفريّ قال:

---

(١) في س، ب: «رادغه»، تحريف، والرازقي: الخمر.

(٢) شزب: جمع شازب بمعنى المهزول، وفي «اللسان»: قال الأصمعي: وسمعت أعرابيا يقول ما قال الحطيئة أينقا شزبا وإنما قال أعنزا شسبا.

(٣) سنة مجدبة: لا نبت فيها كالرأس الأحص الذي لا شعر فيه.

(٤) شذبا: قشرا وجمعه أشذاب.

مرتْ بي امرأة في الطواف، وأنا جالس أُنشدُ صديقا لي هذا البيتَ:

أهوَى هَوى الدين واللذاتُ تُعجبني فكيفَ لي بهوى اللذات والدين؟

فالتفتت المرأةُ إليَّ وقالت: دع أيَّهما شئت وخذ الآخرَ.

عود إلى الصوت

حدثنا اليزيديّ قال: حدثنا محمد بن الحسن الزُّرقي قال: حدثنا عبدالله بن شبيب قال: أنشدني عليُّ بن عبدالله بن جعفر الجعفريّ لنفسه:

والله لا نظرتْ عيني إليكَ ولو سالت مساربُها شوقا إليكَ دما

إلا مفاجأةً عند اللقاء ولا نازعتكِ[1] الدهرَ إلا ناسيا كلِمَا

إن كنت خُنت ولم أُضمرْ خِيانتكمْ فالله يأخذُ ممن خان أو ظلما

سماجَةٌ لمحبٌ خان صاحبَه ما خان قطُّ محبٌّ يَعرف الكَرَما

قال عبدالله بن شبيب وأنشدني عليُّ بن عبدالله لنفسه:

[٢٢/٢٢٥]

/ صوت

وقف الهوى بي حيثُ أنت فليس لي متأخَّر عنه ولا مُتقدَّمُ

أجد الملامةَ في هواكِ لذيذةً حُبًّا لذكركِ فليَلُمني اللُّوَّمُ

وَأَهَنْتِني فأهنت نفسِيَ جاهداً[2] ما من يهون عليك ممن يُكرمُ

أشبهتِ أعدائي فَصِرتُ أحِبُّهم إذا صار حظي منكِ حظيَ منهمُ[3]

[٢٢/٢٢٦]

/ صوت

أتعرفُ رسمَ الدار من أمِّ معبدِ نعم فرماكَ الشوقُ قبل التجلُّدِ

فيالكَ مِنْ شوقٍ ويا لكِ عبرةً سوابقُها مِثل الجُمَانِ المبدَّدِ

الشعر لعتيبة[4] بن مرداس المعروف بابن فَسْوة، والغِناء لجميلة، خفيف ثقيل بالبنصر عن / ابن المكي. وذكر الهشامي أن فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول، وأنه يظنّه من منحول يحيى إليه.

١٤٣/١٩

(١) في ف، هج: «راجعتها» بدل «نازعتك» وفي هد: «راجعتك» والأبيات صالحة لكاف المخاطب وكاف المخاطبة.

(٢) في هد: «صاغرا».

(٣) يروي «الأغاني» في ترجمة أبي الشيص الأزدي أنها له، وهنا يرويها لعلي، وأبو عبيد البكري يحقق أنها لعلي لا لأبي الشيص كتاب «التنبيه» صفحة ٦٧.

(٤) كذا في ف، وفي س، ب: عيينة، وهو تحريف.

[٢٢/٢٢٧]

/ أخبار عتيبة ونسبه

اسمه ونسبه

عُتَيبة[١] بن مِرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم[٢]، لم يقع إليَّ من نسبه غيرُ هذا، وَهو شاعر مُقِلٌّ غيرُ معدود في الفحول، مُخضرم ممّن أدرك الجاهلية وَالإسلام هجّاء خبيث اللسَان بَذِيٌّ.

لماذا لقب بابن فسوة؟

وَابنُ فَسْوة لقَب لزِمه في نفسه، وَلم يكن أَبوه يُلقّب بفسوة، إنما لُقب هو بهذا، وَقد اختُلفِ في سبب تلقيبه بذلك، فذكر إسحاق الموصليّ عن أبي عمرو الشّيباني: نسختُ ذلك من كتاب إسحاق بخطه.

أن عتيبَةَ بنَ مِرداس كَان فاحشاً كثيرَ الشرّ قد أدركَ الجاهليّةَ، فأقبل ابن عَمٍّ له من الحَجّ، وَكان من أهل بيت منهم يقال لهم: بن فَسْوة، فقال لهم عتيبة: كيف كنْتَ يا بن فسوة؟ فوثب مغضباً، فركب راحلته وَقال: بئس لعمر الله ما حيَّيْتَ به ابن عمِّك، قدم عليك من سفر، وَنزل دارَكَ! فقام إليه عُتيبة مُسْتَحيياً، وَقال له: لا تغضب يا بن عمّ، فإنما مازحتُكَ! فأبى أن ينزل، فقال له: انزل وَأنا أشتري منك هذا الاسمَ فأتسمَّى به، وظن أن ذلك لا يضرّه، قال: لا أفعلُ أو تشتريه مني بمحضَرٍ من العشيرة. قال: نعم فجمعهم وَأعطاه بُرداً وجملا وكبشين، وقال لهم عتيبةُ: اشهدوا أني قد قبلت هذا النَّبزَ[٣] [٤]وأخذت الثمن[٤]، وَأني ابنُ فسوة، فزالت عن ابن عمه يومئذ، وَغلَبَتْ عليه وَهُجيَ بذلك، فقال فيه بعض الشعراء:

* أوَدى ابنُ فسوة إلا نَعْتَه الإبلا *

[٢٢/٢٢٨] / وَعُمِّر عُمراً طويلا، وَإنما قال:

* أودى ابنُ فسوة إلا نَعْتَه الإبلا *

لأنه كان أوَصفَ الناس لها، وَأغراهم بوَصفها، ليس له كبير شعر إلا وَهو مُضَمَّن وَصفها.

تخريج آخر لهذا اللقب

وَأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

إنّما سمّي عتيبةُ بنُ مرداس بن فسوة، لأنه كان له جارٌ من عبد القيس، فكان يتحدثُ إلى ابنته، وَكَان لها حظ

---

(١) كذا في ف و «الإصابة» و «الشعراء»، وفي س، ب: عيينة، وهو تحريف.

(٢) كذا في ف وفي س، ب: «أحد بني عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم».

(٣) كذا في ف ومعناه التلقيب بالسوء، وفي س، ب: النبذ. وهو تحريف.

(٤ ـ ٤) التكملة من هج، هد، ف.

من جمال، وكانت تُعجبه ويَهيم بها، فكان أحداثُ بني تميم، إذا ذكروا العبديّ[1]، قالوا: قال ابن فسوة، وفعل ابن فسوة، فأكثروا عليه من ذلك حتى ملَّ فعمِل على التحوُّل عنهم، وبلغ ذلك عتيبةَ، فأتاهُ فطلب إليه أن يقيم، وأن يحتمل اسمه، ويشريه منه ببعير، فلم يفعل، قال: العبديّ: فتحولتُ عنهم وشاع في الناس أنه قد ابتاع مني وغلب عليه، فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له:

وحــوَّلَ مــولانــا علينــا اســمَ أمــه ... ألا رُبَّ مــولــى نــاقــصٍ غيــر زائــدِ

ابن عباس ينهره

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَلي وابن دأب وابن جُعْدُبَة[2]، قالوا:

أتى عتيبةُ بن مرداس ـ وهو ابن فسوة ـ عبدَالله بن العباس عليهما السلامُ وهو عامل لعليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة، وتحته يومئذ شُمَيلة بنت جُنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانية، وكانت قبله تحت مجاشع ابن مسعود السُّلميّ، / فاستأذن عليه، فأذن له، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمتدحهم، فيعطونه، ويخافون [٢٢/٢٩] لسانه، فلما دخل على ابن عباس قال له: ما جاء بكَ إليَّ يا بنَ فسوة؟ فقال له: وهل عنك مَقصَرٌ أو وراءَك مَعْديّ؟ جئتك لتعينَني على مروءتي، وتَصِلَ قرابتي، فقال له / ابن عباس: وما مروءة مَنْ يعصِي الرحمنَ ويقول البُهتانَ $\frac{١٤٤}{١٩}$ ويقطعُ ما أمر الله به أن يوصلَ؟ والله لئن أعطيتك لأعينَنَّكَ على الكفر والعصيان، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعنَّ لسانك. فأراد الكلام، فمنعه مَنْ حضر، وحبسه يومَه ذلك، ثم أخرجه عن البصرة.

الحسن وابن جعفر يصلانه خشية لسانه

فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليٍّ عليه السلام، فلقي الحسن بن عليّ عليهما السلام، وعبدالله بن جعفر عليهما السلام، فسألاه عن خَبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما، فاشتريا عرضَه بما أرضاه، فقال عتيبة يمدح الحسن وابن جعفر عليهما السلام ويلوم ابنَ عباس رضي الله عنهما:

أتيــتُ ابــنَ عبــاس فلــم يقــضِ حــاجتــي ... ولــم يَــرْجُ معــروفــي ولــم يَخشــى منكَــري

حُبِســتُ فلــم أَنطــق بعــذر لحــاجــةٍ ... وسَــدّ[3] خَصــاص[4] البيــت مــن كــل منظــرِ

وجئــتُ وأصــواتُ الخصــوم وراءه ... كصــوت الحمــام فــي القَليــب المغــوَّرِ[5]

ومَــا أنــا إذ زاحمــتُ مصــراعَ بــابــه ... بــذي صَــولَــة ضــارٍ[6]، ولا بحــزَوَّرِ[7]

---

(١) كذا في ب، وهو النسب الفصيح إذ المركب الإضافي ينصب إلى صدره إلا إن ألبس ولا ينسب إلى الجزأين معا للثقل. وفي ف: «للعبقي».
(٢) كذا في ف، وفي س، ب: «جعدية» تحريف.
(٣) كذا في ف، وفي س، ب: شد، وهو تحريف.
(٤) خصاص الباب: ثقبه.
(٥) القليب: البئر البعيدة الغور.
(٦) كذا في ف، وفي س، ب: «باق»، ولا معنى لها، وفي هد: «فان».
(٧) حزور: رجل قوي.

فلـو كنـتُ مِـن زهـرانَ لـم ينـس حـاجتي ... ولكننـي مـولـى جميـل بـنِ مَعْمَـرِ

[٢٣٠/٢٢] / ـ وكان حليفاً لجَميل بن مَعْمر القُرشيّ ـ:

وبـاتـتْ لعبـدالله مِـن دونِ حـاجتـي ... شُمَيلـةُ تلهـو بـالحـديـث المفتَّـرِ[1]

ولـم يقتـربْ مـن ضـوء نـارٍ تحثُّهـا ... شُميلـةُ إلا أن تَصلَّـى بمِجْمـرِ

تُطـالـع أهـلَ السـوق والبـابُ دونَهـا ... بمستفلِكٍ[2] الذِّفري[3] أسيـل المـدثَّـرِ

إذا هـي هَمَّـتْ بـالخـروج يـردُّهـا ... عـن البـاب مصـرَاعـا مُنيـف مجيَّـرِ

ـ وجدت بخط إسحق الموصلي مُجَيَّر: محير. والمحير: المصهرج[4]. والحيار: الصهروج ـ

فليـت قَلـوصـي عُـرِّيَـتْ أو رحلتُهـا ... إلـى حَسَـن فـي داره وابـنِ جعفـرِ

إلـى ابـنِ رسـول الله يـأمُـرُ بـالتقـى ... وللـديـن يـدعـو والكتـابِ المطهَّـرِ

إلـى معشَـر لا يخصِفـون[5] نعـالهـم ... ولا يلبسـون السِّبتَ[6]، مـا لـم يُخَصَّـرِ[7]

فلمـا عـرفـتُ البـأسَ منـه وقـد بـدت ... أيـادي سَبَـا الحـاجـاتِ للمتـذكِّـرِ

تَسنَّمـتُ حُـرجـوجـاً[8] كـأنَّ بُغـامَهـا ... أحيـحُ[9] ابـنِ مـاء[10] فـي يـراعٍ مُفَجَّـرِ

فمـا زلـتُ فـي التَّسيـار حتـى أنختُهـا ... إلـى ابـنِ رسـول الأمَّـةِ المتخيَّـرِ

فـلا تَـدَعُنِّـي إذْ رحلـتُ إليكـمُ ... بَنـي هـاشـم أن تُصْـدروني بِمَصدرِ[11]

[٢٣١/٢٢] / وهي قصيدة طويلة، هذا ذكر في الخبر منها.

وأخبرني بهذا الخبر أحمدُ بنُ عبدالعزيز الجوهري وأحمدُ بنُ عبيدالله بن عمار، عن عمر بن شَبَّة، عن المدائنيّ مثل ما مضى أو قريباً منه، ولم يتجاوز عمر بن شبة المدائني في إسناده.

عامر بن الكريز ينهره أيضا

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسَن بن الحرون قال: قال ابن الأعرابي:

كان عتيبة بن مرداس السُّلَميّ شاعراً خبيثَ اللسان مَخُوف المعرَّة في جاهليته وإسلامه، وكان يقدُم على أمراء

(١) كذا في ف، وفي س وب: «المقتر» تحريف.
(٢) بمستفلك بمعنى مستدير، وفعله في الأساس: فلك ثدي الجارية وتفلك واستفلك.
(٣) الذفري: العظم الشاخص خلف الأذن.
(٤) مصهرج، أي معمول بالصاروج وهو النورة وأخلاطها تصرج بها الحياض والبيوت ونحوها.
(٥) يخصفون: يخرزون.
(٦) السبت: الجلد المدبوغ.
(٧) يخصر: يدقق وسطه.
(٨) الحرجوج الناقة السمينة الطويلة وتجمع على حراجيج.
(٩) المراد الصوت.
(١٠) طائر يكثر وجوده حول المياه.
(١١) كذا في ف، وفي س، ب: «المصدر». وفي هد: «فلا تدعوني» بلا توكيد.

العراق وَأَشرافِ الناس، فيصيب منهم بشعره، فقدم على ابن عامر بن كُرَيز[١] ـ وكان جواداً ـ فلما / استؤذن له عليه ١٤٥/١٩ أرسل إليه: إنك والله ما تسألُ بحسب وَلا دين ولا منزلة، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيَك شيئاً، وأمر به فَلُكِزَ وأُهينَ فقال ابنُ قَنْوة:

وكائن تخطَّتْ ناقتي وزَميلُها ... إلى ابن كُريز مِنْ نُحوس وأَسْعُدِ

وأَغبرَ مَسْحولِ[٢] التراب تَرى له ... حيا[٣] طردَتْه الريحُ من كل مَطْرَدِ

لعمرك إني عند باب ابن عامر ... لكالظَّبي عند[٤] الرَّمْيَةِ المتَردِّدِ

فلم أر يوماً مثله إذ[٥] تكشفَتْ ... ضبابتُه عنّي ولمَّا أُقَيَّدِ

ثم يطيب خاطر

فبلغ قولُه ابنَ عامر، فخاف لسانَه وما يأتي به بعد هَذا ورجع له، وأحسن / القومُ رِفْدَه، وقالوا: هذا شاعر [٢٢/٢٣٢] فارس وشيخ من شيوخ قومه والَيسير يرضيه، فقال: رُدُّوه فرُدّ، فقال له: إيه يا عتيبة، أردد عليّ ما قلت، فقال: ما قلت إلا خيراً قال: هاته فقال: قلت:

أتعرفُ رسمَ الدار من أم معبَدِ ... نعم فرماك الشوقُ قبلَ التجلُّدِ[٦]

فيالكَ من شوقٍ ويالكِ عَبرةً ... سوابقُها مِثل الجُمان المبدَّدِ

وكائنْ تخطتْ ناقتي وزميلُها ... إلى ابن كُريز من نحوس وأسعُدِ

فتى يشتري حُسنَ الثَّناء بماله ... ويعلمُ أنَّ المرءِ غيرُ مخلَّدِ

إذا ما ملمّاتُ الأمور اعترِيْنَه[٧] ... تجلَّى الدُّجَى عن كوكَب مُتوقِّدِ

فتبسم ابن عامر وقال: لعمري ما هكذا قلت، ولكنه قول مستأنف، وأعطاه حتى رَضي وانصرف.

ابن الأعرابي يستحسن أبياتاً له

قال: وأنشدنا ابن الأعرابيّ له بعقب هذا الخبر، وكان يَستحسنُ هذه الأبياتَ ويستجيدُها:

منعّمةٌ لم يُغذها أهلُ بلدةٍ[٨] ... ولا أهلُ مصرٍ فَهيَ هيفاءُ ناهِدُ

فَريعتْ فلم تخبا[٩] ولكن تأوّدتْ ... كما انتصَّ[١٠] مكحولُ المدامع فارِدُ

(١) في هد: «عامر بن الكريز» بدل «ابن عامر بن كريز».

(٢) مسحول: ناعم.

(٣) كذا في ف بمعنى مطر، وفي س، ب: «خبا».

(٤) كذا في ف وفي س، ب: «بعد».

(٥) كذا في ف وفي س وب: «أن».

(٦) ورد هذا المطلع في دالية عدي بن زيد المعدودة في المجمهرات بنصه.

(٧) في س، ب: «اعتلينه».

(٨) في س، ب: «ثلة».

(٩) في س، ب: تحبي.

(١٠) كذا في ف، وفي س، ب: أبنص وهو تحريف. انتص: سار.

وأهـوت لتنتـاشَ الـرّواق[1] فلـم تَقُـم إليـه ولكـن طـأطـأتـه الـولائـدُ

[٢٢/٢٣٣] / قليلـةُ لحـم النـاظـريـن يـزَيـنهـا شبـابٌ ومخفـوضٌ مـن العيـش بـاردُ

تَنـاهـى إلـى لهـو الحـديـثِ كـأنَّهـا أخـو سَقَـمٍ قـد أسلمتـه العـوائـدُ

تـرى القُـرطَ منهـا فـي قنـاة[2] كـأنهـا بمهلكـة لـولا البُـرا[3] والمَعـاقِـدُ[4]

يرثي صريعاً في بئر

وقال أبو عمرو والشيباني:

أغار رجل[5] مِنْ بني تَغلب يقال له الهُذَيل بعقب مقتل عثمان على بني تميم، فأصاب نَعَمًا كثيراً، فورد بها ماءً لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال له سَفَارِ[6]، فإذا عليه الأسود وخالد ابنا نُعيم بن قَعْنب بن الحارث ابن عمرو بن همام بن رباح في إبل لهما قد أورداها، فأراد الهذيل أخذَها، فتفرّقت، فتفرق أصحابُه في طلبها، وهو قائم على رأس رَكيَّة من سَفار، فرماه أحدهما فقتَلَه فوقع في الرَّكيَّة فكانت قَبرَه. ويقال: بل رماه عبدٌ أسود لمالك ابن[7] عروة المازنيّ، فقال عتيبة بن[8] مرداس الذي يقال له ابنُ فَسْوة في ذلك:

مَـنْ مبلـغٌ فِتيـانَ تغلـبَ أنـه خـلال للهُـذيـل مـن سفـارِ قليـبُ؟

إذا صـوَّت الأصـداءُ وسطَهـا فتـى تغلبـيٌّ فـي القَلِيـب غـريـبُ

١٤٦/١٩ / فـأعـددتُ يـربـوعـاً لِتَغلـبَ إنهـم أُنـاسٌ غـذتهـم[9] فتنـةٌ وحـروب

حـويـتَ لقـاحَ ابنـي نُعيـم بـن قعنـب وإنـك إن أحـرزتهَـا لكسـوبُ

[٢٢/٢٣٤] / بشر بن كهف ينهره

وقال أبو عمرو أيضاً:

كان عبدالله بن عامر بن كريز قد تزوّج أخت بشر بن كهف أحد بني خُزاعة بن مازن، فكان أثيراً عنده، واستعمله على الحِمَى، فسأله ابنُ فسوة أن يُرْعيَه فأبى، ومنعه، وطرد إبله، فقال في ذلك:

مَـنْ[10] يـكُ أرعـاه الحمـى أخـواتُـه فمـا لـيَ مـن أخـتٍ عَـوانٍ ولا بِكـرِ

ومـا ضـرَّهـا أن لـم تكـن رَعـتِ الحِمـى ولـم تطلـب الخيـرَ الممنَّـع مـن بشـرِ

(١) الرواق: مقدم البيت أو الفسطاط، وتنتاش، والمراد، تتناول لتنعمها وترفهها بكثرة الخدم.
(٢) كذا في ف؛ وفي س، ب: «فتاة»، والمراد استقامة قدها وطول عنقها.
(٣) البرا: جمع برة، وأصلها بروة: الخلخال.
(٤) المعاقد: جمع معقاد؛ وهو خيط فيه خرزات تعلق في عنق الصبي.
(٥) ف: «فتى».
(٦) سفار: منهل بين البصرة والمدينة قبل ذي قار لبني مازن بن مالك.
(٧) كذا في ف، ب وفي س: «أبي».
(٨) كذا في ف؛ وفي س، ب: «في»؛ وهو تحريف.
(٩) كذا في ب، وفي س، ب: «عرتهم».
(١٠) البيت من الطويل دخله الخرم.

متى يجيء[١] يوماً إلى المال وارثي ... يجد قبض كفٌ غير ملأى ولا صِفْرِ
يجد مُهرة مثل القَناة طِمِرَّة[٢] ... وعضبٌ إذا ما هُزَّ لم يرضَ بالهَبْرِ[٣]
فإن تمنعوا منها حِمَاكم فإنه ... مُباحٌ لها ما بين إنبط[٤] فالكُذْرِ[٥]
إذا ما امرؤٌ أثنى بفضل ابن عمه ... فلعنةُ ربِّ العالمين عَلَى بِشرِ

يسرقون ثيابه؛ فيستعدي قومه عليهم

وقال أبو عمرو الشيباني، ونسخته أيضاً من خط إسحاقَ الموصلي، وجمعت الروايتين:

إن ابن فسوةَ نزل ببني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة، وبات بهم، ومعه جارية له يُقال لها جوزاء، فسرقوا عَيْبَةً له فيها ثيابُه وثياب جاريته، فرحل عنهم، فلما عاد إلى قومه أعلمهمْ ما فعله به بَنو سعد بن مالك. فركب معه فُرسانٌ منهم حتى أغاروا على إبل لبني سعد فأَخذُوا منها صِرْمة[٦]، واستاقوها فدفعوها إليه، فقال يمدح قومه ويهجو بَني سعدٍ بقوله:

[٢٢/٢٣٥]

/ جزى اللهُ قومي من شفيعٍ وشاهدٍ ... جزاء سليمانَ النَّبيِّ المكرَّمِ
همُ القومُ لا قومُ ابنِ دارةَ سالمٍ ... ولا ضابيءٌ إذ[٧] أسْلمَا شَرَّ مُسلَمَ
وما عيبةُ الجوزاء إذ غدرتْ بها ... سَراةُ بني قيسٍ بسرٌّ مكتَّمِ
إذا ما لَقِيتَ الحيَّ سعدَ بنَ مالكٍ ... على زَمَّ[٨] فانزل خائفاً أو تقدَّمِ
أُناسٌ أجارونا فكان جِوارُهمْ ... شَعاعاً كلحم الجازرِ المتقسَّمِ
لقد دنِستْ أعراضُ سعدِ بن مالكٍ ... كما دَنِسَتْ رجلُ البغيِّ[٩] من الدَّمِ
لهم نِسوةٌ طُلْسٌ[١٠] الثياب مَواجِنٌ ... ينادين من يبتاعُ عوداً[١١] بدرهمْ
إذا أيِّمٌ قيسيّةٌ مات بعلُها ... وكان لها جارٌ فليستْ بأيِّمِ
يُمشِّي ابنُ بشرٍ بينهنّ مقابَلا ... بأيرٍ كأيرِ الأرجحيّ المخرَّمِ[١٢]

(١) كذا في ف؛ وفي س، ب: «مانحا» وعلى رواية «نحا» يجب زيادة «ما» قبلها وإلا اختل الوزن.
(٢) الطمرة: الفرس الجواد.
(٣) الهبر: قطع اللحم، المفرد هبرة.
(٤) إنبط كاثمد: موضع ببلاد كلب بن وبرة.
(٥) الكدر: موضع على ثمانية برد من المدينة أو ماء لبني سليم.
(٦) الصرمه: القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين.
(٧) س، ب: «إن».
(٨) زم: بئر لبني سعد بن مالك ومنع «زم» الصرف على اعتباره علما مؤنثا.
(٩) كذا في ف و«معجم ياقوت»، وفي س، ب: «التقى»، ولا معنى له.
(١٠) طلس: جمع أطلس: ثوب خلق.
(١١) ف «فرداً بدرهم».
(١٢) ف: «الأرحجي».

إذا رَاحَ مِن أبياتِهِنَّ كأنّما طلَيْتَ بتنُّوم[1] قَفاه وخِمخِم[2]

وفيه رواية إسحاق:

تسوق الجواري[3] مَنْخَراه كأنّما دَلَكْنَ بتنُّوم قفاه وخمخم

[٢٢/٢٣٦]

/ صوت

قال طال شوقي وعادني طربي من ذكر خَوْدٍ كريمةِ النسب[4]

غرّاءَ مثلِ الهلال صُورتَها أو مثلِ تمثالِ صُورة الذهب

ويروى: «بيعة الرُّهُب» الشعر لعبدالله بن العجلان النَّهدي، والغناء لمالك ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لابن مسجح.



(١) التنوم: شجر مثمر ورقه مع الخل يقلع الثآليل.
(٢) نبت له شوك دقيق لصاق بكل ما يتعلق به وهو من خيار العشب وله زغب خشن.
(٣) كذا في ف، وفي س، ب: «يسوق الجوار مفخراة كأنما» وهو تحريف.
(٤) في هج: «الحسب».

/ أخبار عبد الله بن العجلان

[٢٣٧/٢٢]

اسمه ونسبه

هو عبدالله بن العَجْلان بن عبد الأحَبّ بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن أسود[١] بن أسلم ابن الحاف بن قضاعة. شاعر جاهليٌ أحد المتيمين من الشعراء ومَنْ قتله الحب[٢] منهم.

وكانت له زوجة يقال لها هند، فطلقها، ثم ندم على ذلك، فتزوجت زوجاً غيره، فمات أسفاً عليها.

قصته تشبه قصة قيس ولبنى

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديٍّ قال:

كان عبدالله بن العجلان النهديّ سيداً في قومه وابنَ سيد من ساداتهم، وكان أبوه أكثر بني نَهْدٍ مالا، وكانت هند امرأة عبدالله بن العَجْلان التي يذكرها في شعره امرأة من قومه من بني نَهْدٍ، وكانت أحبَّ الناس إليه، وأحظاهم عنده، فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد، فقال له أبوه: إنه لا ولَد لي غيرُك، ولا ولد لك، وهذه المرأة عاقر، فطلِّقها، وتزوج غيرها، فأبى ذلك عليه، فآلى ألاّ يكلمه أبداً حتى يطلّقها. فأقام على أمره، ثم عمَد إليه يوماً، وقد شرب الخمر حتى سكر، وهو جالس مع هند، فأرسل إليه أن صِرْ إليَّ، فقالت له هند: لا تمض إليه، فوالله ما يريدك لخير، وإنما يريدك لأنه بلغه أنك سكران، فطمع فيك أن يقسم عليك، فتطلّقني، فنَمْ مكانك، ولا تمض إليه. فأبى، وعصاها، فتعلّقت بثوبه، فضربها بمسواك، فأرسلته، وكان في يدها زعفران، فأثَّر في ثوبه مكان يدها، ومضى إلى أبيه، فعاوده في أمرها، وأنَّبه، وضعَّفه، / وجمع عليه مشيخة الحيِّ وفتيانهم، فتناولوه [٢٣٨/٢٢] بألسنتهم، وعيَّروه / بشغفه بها وضَعفِ حَزْمه، ولم يزالوا به حتى طلّقها. فلما أصبح خُبِّرَ بذلك، وقد علمت به هند، $\frac{١٠٣}{١٩}$ فاحتجبت عنه، وعادت إلى أبيها، فأسف عليها أسفاً شديداً، فلما رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير، فزوَّجها أبوها منه، فبنى بها عندهم، وأخرجها إلى بلده. فلم يزل عبدالله بن العَجْلان دَنِفاً سقيما، يقول فيها الشعر، ويبكيها حتى مات أسفاً عليها، وعرضوا عليه فتيات الحي جميعا فلم يقبل واحدة منهنّ، وقال في طلاقه إياها:

فارقتُ هنداً طائعاً — فندمت عندَ فراقِها
فالعينُ تذري دمعةً — كالدُّر من آماقِها
متحلِّيا فوق الردا — ء يجول من رَقْرَاقِها
خَوْدٌ رَداحٌ طَفْلَةٌ — ما الفحش من أخلاقِها

---

(١) في هج: «سود».
(٢) في هج: «العشق».

ولقـــد أَلَـــذُّ حـــديثَهـــا وأُسَـــرُّ عنـــد عنـــاقهـــا

وفي هذه القصيدة يقول:

إن كنـــتِ ســـاقيـــةً بُيســـزْ لِ الادِمِ أو بحقـــــاقهـــــا

فـــاسقِـــي بنـــي نهـــدٍ إذا شـــربـــوا خيـــار زِقـــاقهـــا

فـــالخيـــل تعلـــم كيـــف نُلْـ حِقهـــا غـــداة لحـــاقهـــا

بـــــأسنَّـــــةٍ زُرْق صبحْـ نـــا القَـــوْمَ حـــدَّ رقـــاقهـــا

حتـــى تـــرى قِصَـــد القنـــا والبِيـــضَ فـــي أعنـــاقهـــا

شعره في غارة شنها قومه

قال أبو عمرو الشيباني:

لما طلق عبدالله بن العَجْلان هنداً أُنكِحَت في بني عامر، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات، فجمعت نهد لبني عامر جمعاً، فأغاروا على طوائف منهم، فيهم بنو العجلان / وبنو الوحيد وبنو الحَرِيش وبنو قُشَيْر، ونذروا بهم، فاقتتلوا قتالا شديداً، ثم انهزمت بنو عامر، وغنمت نهدٌ أموالهم، وقتل في المعركة ابنٌ لمعاوية بن قشير بن كعب وسبعة بنين له، وقُرْط وجُدعانُ ابنا سلمة بن قشير ومرداس بن جزعة[1] بن كعب وحُسين[2] بن عمرو بن معاوية وَمَشْحَقة بن المجمَّع الجعفي، فقال عبدالله بن العجلان في ذلك: [٢٢/٢٣٩]

ألا أبلـــغ بنـــي العجـــلان عنـــي فـــلا يُنْبِيـــك بـــالحَـــدثـــان غيـــري

بـــأنـــا قـــد قتَلنـــا الخيـــر قُـــرْطـــا وَجُـــرنـــا[3] فـــي سَـــرَاةِ بنـــي قشيـــر[4]

وَأفلتَنَـــا بنـــو شَكَـــلٍ رجـــالا حُفـــاةً يـــربثـــون علـــى سُمَيْـــر

قيسية ترثي قتل قيس

وَقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم:

أصبتـــمْ يـــا بنـــي نهـــدِ بـــن زيـــد قُـــرومـــا عنـــد قعقعـــة الســـلاح

إذا اشتـــد الـــزمـــان وكـــان محـــلا وَحـــاذر فيـــه أَخْـــوانُ السمـــاح

أهـــانـــوا المـــال فـــي الَّلـــزبـــات صبـــراً وَجـــادوا بـــالمتـــالـــي وَاللقـــاح[5]

وابكـــي مـــالكـــاً وَابكـــى بجيـــرا وَشـــدّاداً لمشتجِـــرِ الـــرمـــاح

وَكعبـــا فـــانـــدبيـــه معـــا وَقُـــرطـــا أولئـــك معشـــري هـــدُّوا جنـــاحـــي

(١) هج: «جعدة».
(٢) في ب: س: «وحسين» تحريف بدليل ما يلي.
(٣) هج: «وجلنا».
(٤) هج: «نمير».
(٥) بعده في هج: «ناقة متلية: يتلوها ولدها».

وبكـيَّ إن بكَيْـتِ علـى حُسَيْـلِ ... وَمـرداس قتيـلِ بنـي صبـاح

حسيل يغدر به أسيره

/ قال: وَأسَر عبدالله بن العَجْلان رجلاً من بني الوَحيد، فمنَّ عليه، وَأطلقه، وَوعده الوحيديّ الثوابَ فلم ١٠٤/١٩ يَفِ فقال عبدالله:

[٢٢/٢٤٠]

/ وَقالـوا لـن تنـال الـدهـر فقـراً ... إذا شكـرتْـك نعمتَـك الـوحيـدُ

فيـا نـدمـا نـدمـت علـى رِزَام ... وَمُخْلِفِـهِ كمـا خُلِـعَ العَتُـودُ

نعم النذير هند

قال أبو عمرو: ثم إن بني عامر جمعوا لبني نهد، فقالت هند امرأة عبدالله بن العَجلان التي كانت ناكحاً فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر: لك[1] خمسَ عَشْرَة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر، فقال: أفعل، فحملته على ناقة لزوجها ناجيةٍ، وزودته تمراً وَوَطْباً من لبن، فركب فجدَّ في السير؛ وفَنِيَ اللبنُ، فأتاهم والحي خلوف في غزو وميرَةٍ، فنزل بهم، وقد يبس لسانه، فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم، وأومأ لهم إلى لسانه، فأمر خراش بن عبدالله بلبن وسمن، فأسخن، وسقاه إياه، فابتلّ لسانه، وتكلّم، وقال لهم: أُتيتم، أنا رسول هند إليكم تُنذركم، فاجتمعت بنو نهد واستعَدّت ووافتهم بنو عامر فَلَحِقُوهم على الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت بنو عامر، فقال عبدالله بن العجلان في ذلك:

عَـاوَدَ عينـي نصبُهـا وَغـرورهـا ... أهـمٌّ عَنَـاهـا[2] أم قَـذَاهـا يعـورُهـا؟

أم الـدار أمسـتْ قـد تعفَّـت كـأنهـا ... زَبـورُ يمـانٍ رقشتـه[3] سطـورهـا؟

ذكـرت بهـا هنـداً وأتـرابَهـا الألَـى ... بهـا يكـذب الـواشـي ويُعْصـي أميـرُهـا

فمـا مُغْـوِلٌ تبكـي لفقـد أليفهـا ... إذا ذكـرتـه لا يكـفُّ زفيـرُهـا

بـأغـزر[4] منـي عبـرة إذ رأيتهـا ... يحـث[5] بهـا قبـل الصبـاح بَعيـرهـا

ألـم يـأت هنـداً كيفمـا صُنْـعُ قـومِهـا ... بنـي عـامـر إذ جـاء يسعـى نَـذِيـرُهـا

[٢٢/٢٤١]

/ فقـالـوا لنـا إنَّـا نحـبّ لقـاءكـم ... وإنـا نحيِّـي أرضكـم ونـزُورهـا

فقلنـا: إذا لا نَنْكُـلِ الـدهـرَ عنكـمُ ... بصُـمِّ القنـا الـلائـي الـدمـاءَ تُميـرهـا

فـلا غـرو أنَّ الخيـل تَنْحِـط فـي القنـا ... تمطَّـرُ مـن تحـت العـوالـي ذكُـورهـا[6]

(١) في هج: «هل لك في».
(٢) هج: «اعراها».
(٣) هج: «نقشته».
(٤) هج: «بأسرع».
(٥) هج: «يخب».
(٦) تنحط: تزفر. تمطر: تسرع.

تـــأوَّهُ ممـــا مَسَّهـــا مـــن كـــريهـــةٍ وتُصغي الخدود والرماحُ تَصورها[1]
وأربـــابهـــا صـــرعـــى بِبُـــرْقَـــةِ أخـــرب تُجَـــرِّرُهُـــمْ ضُبعـــانهـــا ونُســـورهـــا
فـــأبلـــغ أبـــا الحجـــاج عنـــي رســـالـــةً مغلغلـــةً لا يَغْلِبَنْـــك بُسُـــورُهـــا
فـــأنـــت منعـــتَ السلـــم يـــومَ لقيتنـــا بكفيَّـــك تُسْـــدِي غيَّـــةً وتنيـــرهَـــا
فـــذوقـــوا عَلَـــى مـــا كـــان مـــن فـــرط إحْنَـــة حـــلائبنـــا إذْ غـــابَ عنـــا نصيـــرهـــا

نهاية حبه

قال أبو عمرو: فلما اشتدّ ما بعبدالله بن العجلان من السقم خرج سرًّا من أبيه مخاطراً بنفسه حتى أتى أرض بني عامر لا يرهب ما بينهم من الشرّ والتِّرَاتِ، حتى نزل ببني نمير، وقصد خباء هند، فلما قارب دارها رآها وهي جالسة عَلَى الحوض، وزوجها يسقي، ويذود الإبلَ عن مائه، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره، وأقبل يشتدُّ إليها، وأقبلت تشتد إليه، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان، حتى سقطا على / وجوههما، وأقبل زوج هند ينظر ما حالُهما، فوجدهما ميتين. $\frac{105}{19}$

قال أبو عمرو: وأخبرني بعض بني نهد أنّ عبدالله بن العجلان أراد المضيّ إلى بلادهم، فمنعه أبوه وخوّفه الثارات وقال: نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت، فحج، وحج أبوه معه، فنظر الى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثرُ كفّها في ثوبه بخَلوق، فرجع إلى أبيه في منزله، وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات. هذه رواية أبي عمرو.

[٢٢/٢٤٢] / وقد أخبرني محمد بن خلف وَكيع، قال حدثني عبدالله بن عليّ بن الحسن قال: حدثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال:

خرج عبدالله بن العجلان في الجاهلية فقال:

ألا إنَّ هنـــداً أصبحـــت منـــك محـــرمـــاً وأصبحـــت مـــن أدنـــى حُمُـــوَّتِهـــا حَمَـــا
وأصبحـــتُ كـــالمقمـــور جفْـــن سـلاحـــه يقلّـــب بـــالكفيـــن قـــوســـاً وأسهمَـــا

ثم مد بها صوته فمات.

الشعر له أم لمسافر

قال ابن سيرين: فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا. وهذا الخبر عندي خطأ لأن أكثر الرواة يروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أمية، قالهما لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة، فقدم أبو سفيان بن حرب، فسأله عن أخبار مكة، وهل حدث بعده شيء، فقال: لا، إلاّ أنّي تزوجتُ هنداً بنت عتبة، فمات مسافرٌ أسفا عليها، ويدل على صحّة ذلك قوله:

* وأصبحت من أدنى حموّتها حما *

(١) تصورها: تميلها.

لأنه ابن عم أبي سفيان بن حرب لحًّا وليس النميري المتزوج هنداً النهدية ابن عم[1] عبدالله بن العجلان فيكون من أحْمَائها، والقول الأول على هذا أصحّ.

من شعره في هند

ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند:

ألا أبلغا هنداً سلامي فإن نأتْ ... فقلبيَ مذ شطَّتْ بها الدارُ مدنَفُ[2]

ولم أر هنداً بعد موقِف ساعة ... بأنْعَمَ في أهل الديار تطوَّف

أتَتْ بين أتراب تَمَايَسُ إذ مشتْ ... دبيبَ القطا أوهنَّ منهنَّ أقْطَفُ

/ يباكرْنَ مِرْآةً جليًّا وتارة ... ذكيًّا وبالأيدي مَدَاكٌ ومسْوَفُ [٢٢/٢٤٣]

أشارت إلينا في خَفَاءٍ[3] وراعَها ... ومرآةُ الضُّحى مني على الحيِّ موقفُ

وقالت: تباعد يا بن عمي فإنَّني ... مُنيت بذي صَوْلٍ يَغار ويَعْنُفُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أنشدنا فضل اليزيديّ عن إسحاق لعبدالله بن العجلان النهديّ قال إسحاق وفيه غناء:

خليليَّ زورا قبل شحط النوى هنداً ... ولا تأمنا مِنْ دَارِ ذي لَطَفٍ بُعْدا

ولا تعجلا، لم يَدْرِ صاحبُ حاجةٍ ... أغيًّا يلاقي في التعجُّلِ أم رُشْدا

ومرَّا عليها بارك الله فيكما ... وإن لم تكن هندٌ لوجهيكما قَصْدَا

وقولا لها ليس الضلال أجازَنا ... ولكنَّنا جُزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا

[٢٢/٢٤٤]

/ صوت

ألا يا ظبيةَ البَلَدِ ... برانِي طولُ ذا الكمدِ

فرُدِّي يا معذِّبتي ... فؤادي أو خُذي جسدِي

/ بُليتُ لِشقوتي بكُمُ ... غلاماً ظاهِرَ الْجلَدِ [١٤٧/١٩]

فشَيَّبَ حُبُّكمْ رأسي ... وبيّضَ هجرُكم كِبدي

الشعر للمؤمّل بن أميل، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

---

(١) هج: «من بني عم».

(٢) هج: «فقلبي بها مذ شطت الدار مدنف».

(٣) ف: «في حياء».

[٢٢/٢٤٥]

/ أخبار المؤمل ونسبه

اسمه ونسبه

المؤمل بن أُميل بن أُسيد المحاربيّ. من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، شاعر كوفيٌّ من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكانت شهرته في العباسية أكثر، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصّهم[١]، ويخدمهم من أوليائهم، وانقطع إلى المهديّ في حياة أبيه وبعده. وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرِّزين الفحول ولا المرذُولين، وفي شعره لِينٌ[٢]، وله طبع صالح.

يتمنى العمى فيستجاب له

وَكان يهوَى امرأةً من أهل الحِيرة يقال لها هند، وفيها يقول قصيدتَهَ المشهورة:

شَــفَ المــؤمَّــلَ يــوم الحيــرة النظــرُ ... لَيــت المــؤمــلَ لــم يُخلــق لــه بَصَــرُ

يقال: إنه رأى في منامه رجلا أدخل أصبعيه في عينيه، وقال: هذا ما تمنيت، فأصبح أعمى.

المهدي يغدق والمنصور ينتقص

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال: حدثنا عبدالله بن الحسن الحَرَّانيّ، قال: حدثني أبو قُدامة، قال: حدثني المؤمّل قال:

قدمت على المهديّ وهو بالرّي، وهو إذ ذاك وليُّ عهد، فامتدحتُه بأبيات، فأمر لي بعشرين ألفَ دِرْهم، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبي جعفر المنصور، وهو بمدينة السلام يُخْبره أن الأمير المهديّ أمر لشاعر بعشرين ألفَ درهم، فكتب إليه يَعذِله ويلومه، ويقول له: إنما ينبغي أن تعطى لشاعر بعد أنْ يقيم ببابك سنةً أربعةَ آلاف درهم، / وكتب إلى كاتب المهدي أن يوجّه إليه بالشاعر، فطُلِبَ، ولم يَقدر عليه، وكتب إلى أبي جعفر أنه قد [٢٢/٢٤٦] توجّه إلى[٣] مدينة السلام، فأجلَس قائداً من قواده على جسر النهرَوان، وأمره أن يتصفَّح الناسَ رجلاً رجُلا، فجعل لا يمرّ به قافلة، إلا تصفَّح من فيها، حتى مرت به القافلةُ التي فيها المؤمّل، فتصفحهم، فلما سأله من أنت؟ قال: أنا المؤمّل بنَ أُميل المحاربي الشاعر، أحدُ زوار الأمير المهديّ، فقال: إياك طلبتُ، قال المؤمل: فكاد قلبي ينصدع[٤] خوفاً من أبي جعفر.

---

(١) في هد: «يخضرهم» بدل «يخصهم».

(٢) في هد: «وفي شعره لغة ودين».

(٣) كذا في ف، هد، هج، وفي س، ب: «توجه مدينة».

(٤) كذا في ف، بدون أن وهو أفصح.

فقبضَ عليَّ، وأسلمني إلى الربيع، فأدخلني إلى أبي جعفر، وقال: هذا الشاعر الذي أخذ من المهدي عشرين ألفاً، قد ظَفرنا به، فقال: أدخلوه إليَّ، فأُدخلتُ إليه، فسلمت تسليم فزع[1]، مُرَوّع، فردّ السلام، وقال: ليس لك ها هنا إلاَّ خَيْر، أَنت المؤمل بن أميل؟ قلت: نعم، أصلح الله أمير المؤمنينَ أنا المؤمل بن أميل، قال: أتيتَ غلاما غِرًّا، فخدعتَه فانخدع؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير، أتيت غلاماً غِرًّا كريماً، فخدعتُه فانخدعَ قال: فكأن ذلك أعجبَه، فقال: أنشدني ما قلتَ فيه فأنشدتُه:

هـــو المهـــديُّ إلا أن فيـــه ... مشــابهـةً[2] مــن القمــر المنيــرِ
تشــابــه ذا وذا فهمــا إذا مــا ... أنــارا مُشكــلانِ علــى البصيــرِ
فهــذا فــي الظــلام سـراجُ ليــلٍ ... وهــذا فــي النهــار ضيــاءُ نُــورِ
/ ولكن فضَّــل الــرحمــن هــذا ... علــى ذا بــالمنــابــرِ والسَّــريــرِ
/ وَبالمُلْك العــزيــزِ فــذا أميــرٌ ... ومــاذا بــالأميــر ولا الــوزيــر
وبعــضَ الشهــر ينقــصُ ذا وهــذا ... مُنيــر عنــد نقصــانِ الشهــور[3]
فيــابــن خليفــةِ الله المصفَّــى ... بــه تعلــو مفَــاخــرةُ الفَخــورِ
لئــن فُــتَّ الملــوكَ وقــد تــوافَــوْا ... إليــكَ مِــن السهــولــة والــوُعــورِ
لقــد سبــق الملــوك أبُــوك حتَّــى ... بقُــوا مِــن بيــن كــابٍ[4] أو حَسيــرِ
وجئــتَ مصليــاً[5] تجــري حثيثــاً ... ومــا بــك حيــن تجــري مــن فُتــور
فقــال النــاس مــا هــذان إلا ... كمــا بيــنَ الخليــق إلــى الجــديــرِ
لئــن سبــق الكبيــرُ لأهــلُ سَبْــقٍ[6] ... لــه فضــلُ الكبيــر علــى الصَّغيــرِ
وَإن بلــغ الصغيــرُ مَــدَى كبيــرٍ ... فقــد خُلِــق الصغيــرُ مــن الكَبيــرِ

١٤٨/١٩ [٢٢/٢٤٧]

فقال: وَالله لقد أحسنت، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألفَ درهم، فأين المال؟ قلت: هو هذا، قال: يا ربيع، امض معه، فأعطه أربعة آلاف درهم، وخذ الباقي. قال المؤمّل: فخرج معي الربيع، وَحطَّ ثِقْلي، ووَزنَ لي من المال أربعةَ آلاف درهم، وأخذَ الباقي.

فلما وَلِيَ المهديُّ الخلافة ولَّى ابن ثَوبانَ المظَالم، فكان يجلس للناس بالرُّصَافة، فإذا ملأَ كساءَه رِقاعا رفعها إلى المهديّ، فرُفِعَتْ إليه رُقْعة، فلما دخل بها ابن ثَوبان جعل المهديُّ ينظر في الرقاع، حتى إذا وَصل إلى رُقْعتي

(١) هج: «مذعور».
(٢) كذا في ف وفي س، ب: «مشابه صورة القمر المنير».
(٣) كذا في ف وفي س، ب
ونقــص الشهــر ينقــص ذا وهــذا ... أميــر عنــد نقصــان الشهــور
(٤) كاب: عاثر من كبا يكبو.
(٥) مصليا: تاليا للسابق، وسمي بذلك لأنه يضع أنفه عند صلوى سابقه.
(٦) كذا في ف وفي س، ب: «لقد».

ضَحِك، فقال له ابنُ ثوبان: أصلحَ الله أميرَ المؤمنين! ما رأيتك ضَحِكْتَ من شيءٍ من هَذه الرقاع إلا من هذه [٢٢/٢٤٨] / الرُّقعة، فقال: هذه رقعة أعرفُ سببها، ردّوا إليه عشرين ألفَ درهم، فردُّوها إليَّ وانصرفْت.

يبايع موسى وهارون فيأخذ بدرة ونصفا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبدالله بن سعد بن أبي سعد قال: حدثني الحكم بن موسى السلوليّ، قال: حدثني سعد بن أخي العوفيّ قال:

قدم على المهديّ في بيعة ابن ابنيه موسى وهارون المُؤمّل بنُ أُمَيْل المحَاربيّ والحسين بن يزيد بن أبي الحكم السَّلولي وَقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحِميَري من الكوفة، فقدما على المهديّ في عسكره، فأنشده المؤمّل:

هـاكَ بِيـاعَنـا يـا خيـر والٍ ... فقـد جُـدْنـا بـه لـكَ طـائعينـا[١]

فـإن تفعـلْ فـأنـت لـذاك أهـلٌ ... ففضلـك يـا بـنَ خيـر النـاس فينـا

وعَـدُّ لـك يـا بـن وارث خيـرِ خَلْـق ... نبـيّ الله خَيْـرِ المـرسلينـا

فـإنّ أبـا أبيـكَ وأنـتَ منـه ... هـو العبّـاسُ وارثُـه يقينـا

أبـان بـه الكتـابُ وذاك حـقٌ ... ولسنـا للكتـابِ مُكـذِّبينـا

بكـم فُتِحـتْ وأنتـم غيـر شـك ... لهـا بـالعَـدل أكـرمُ خـاتمينـا

فـدونَكَهـا فـأنـتَ لهـا محـلٌّ ... حَبَـاك بهـا إلـهُ العـالمينـا

ولـو قِيـدَتْ لغيـركـمُ اشمـأزّت ... وأعْيَـتْ أن تُطيـعَ القـائـدينـا

فأمر لهمَا بثلاثينَ ألفَ درهم، فجيء بالمال، فأُلقي بينهما، فأخذ كل واحد منهما بَدرة[٢]، وصدَعَ[٣] ١٤٩/١٩ / الأخرى بينهما، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفا.

[٢٢/٢٤٩] / يتلف في ضحكه كل مال

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عبدالله بن أَمين عن أبي محمد اليزيديّ، عن المؤمّل بن أُميل قال:

صِرتُ إلى المهديّ بجُرجان فمدحتُه بقولي:

تعـزَّ ودعْ عنـك سَلمَـى وسِـرْ ... حثيثـاً علـى سـائـراتِ البِغـالِ

وكـلِّ جـوادٍ لـه مَيْعَـةٌ[٤] ... يَخُـبُّ بسـرجِـك بعـدَ الكَـلالِ

إلـى الشمـسِ شمـسِ بنـي هـاشـم ... ومـا الشمـسُ كـالبَـدْر أو كـالهِـلالِ

(١) في هد «فقد جدنا بذلك طائعينا».
(٢) البدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم، وجمعه بدر كعنب.
(٣) كذا في ف وفي س، ب «صدع».
(٤) ميعة الفرس: أول جريه.

ويُضحكــــه أن يــــدومَ[1] الســــؤالُ ويُتلــف فــي ضحكــه كــلَّ مــالِ

فاستحسنَها المهديُّ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وشاع الشعر وكان في عسكره رجل يُعرف بأبي الهوْسات[2]، يُغنّي، فغنّى في الشعر لرُفقائه، وبلغ ذلك المهديّ فبعث إليه سرًّا، فدخل عليه، فغناه، فأمر له بخمسة آلاف درهم، وَأمر لي بعشرة آلاف درهم أُخرى، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور.

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم قبله، وَزاد فيه:

أن المنصور قال له: جئتَ إلى غلام حَدَث، فخدعته، حتى أعطاك من مال الله عشرين ألفَ درهم لشعر قلته فيه، غيرِ جيّد وأعطاكَ من رقيقِ المسلمينَ مالا يملكه، وأعطاك من الكُراع والأثاثِ ما أسرف فيه، يا ربيعُ خذ منه ثمانية عشر ألف درهم، وأعطه ألفين، ولا تعرض لشيءٍ من الأثاث والدواب والرقيق، ففي ذلك غناؤه. فأُخِذَتْ والله مني بخَوَاتِمها، ووُضِعت في الخزائن، فلما وليَ المهديّ دخلتُ إليه في المتظلمين. فلمّا رآني ضحك وقال: مَظلمةٌ أعرفها، ولا أحتاج إلي بيّنة عليها، وَجعل يضحك، وَأمر بالمال فردّ إليّ بعينه، وزاد فيه عشرَةَ آلاف.

/ **لا لحم فيه ولا دم** [٢٢/ ٢٥٠]

أخبرني الحسنُ بن علي الخفّاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بنُ مَهْرُويه قال: حدثني حُذيفة بن محمد الطائيّ قال: حدثني أبي قال:

رأيت المؤمّل شيخاً مُصفَرًّا نحيفاً أعمى، فقلت له: لقد صدقت في قولك:

وقــد زعمــوا لــي أنهــا نــذرت دَمــي ومــا لــي بحمــدِ الله لحــمٌ وَلا دمُ

فقال: نعم ـ فديتك ـ وما كنت أقول إلا حقا.

قال محمد بن القاسم: وحدَّثني عبدالله بن طاهر أن أول هذا الشعر:

حلمــتُ بكــم فــي نَــوْمتــي فغضبتُــمُ ولا ذنــب لــي إن كنــتُ فــي النــوم أحلُــمُ

ســأطــردُ عنــي النــومَ كيــلا أراكــمُ إذا مــا أتــانــي النَّــومُ والنــاس نُــوَّم

تُصَــارِمُنِــي والله يعلــم أنَّنــي أبَــرُّ بهــا مــن والــديْهَــا وأرحَــمُ

صوت

وقــد زعلمــوا لــي أنهــا نــذرتْ دمــي ومــا لــي بحمــدِ الله لحــمٌ ولا دمُ

بــرى حُبهــا لحمِــي ولــم يُبــقِ لــي دَمــا وإن زعمــوا أنــي صحيــح مسلَّــم

فلــم أر مثــلَ الحُــب صــحَّ سَقيمُــه وَلا مثــل مــن لا[3] يعــرف الحــبُّ يسقُــمُ

ستقتُــلُ جلــداً بــاليــاً فــوقَ أعظُــم وليــس يُبــالــي القتــلَ جلــدٌ وأعظُــمُ

---

(١) في س، ب «يديم».
(٢) ف: «المهوسات».
(٣) في س، ب: «لم».

١٥٠/١٩ / في هذه الأبيات التي أولها:

* وَقد زعموا لي أنها نذرت دمي *

لنبيه لحن من خفيف الثقيل المطلق في مجرى الوُسطى عن ابن المكي.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدثنا ابنَ مَهْرُويه، قال: حدثني محمد بن أحمد بن عليّ، قال: لما قال المؤمّل:

شـفَّ المـؤمّـل يـوم الحيـرة النظـرُ ... ليـت المـؤمّـل لـم يخلـقْ لـهَ بَصَـرُ

[٢٢/٢٥١] / عَمِي، وَأُرِي في منامه: هذا ما تمنيتَ.

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر قال: حدثنا عبدالله بن أبي سعد، قال حدثني عليّ بن الحسن[١] الشيباني: قال: رأى المؤمل في منامه قائلا يقول: أنت[٢] المتألّي على الله ألا يعذّبَ المحبِّين حيث تقول:

يكفـي المحبِّيـنَ فـي الـدنيـا عـذابُهـمُ ... وَالله لاعــذّبَهُــم بعــدهــا سَقَــرُ

فقال له: نعم، فقال: كذبت يا عدوّ الله، ثم أدخل إصبعيه[٣] في عينيه وقال له: أنت القائل:

شـف المـؤمّـل يـوم الحيـرة النظـرُ ... ليـت المـؤمّـل لـم يُخلـق لـه بصرُ

هذا ما تمنيت، فانتبَه فزِعاً، فإذا هو قد عَمِي.

لا ترضى مضر بقتله

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مُصعب الزبيريّ قال:

أُنشدَ المهديُّ قولَ المؤمّل:

قتلـتِ شـاعـرَ هـذا الحـيِّ مـن مُضـرِ ... وَاللهُ يعلـم مـا ترضـى بـذا مُضَـرُ

فضحك، وقال: لو علمنا أنها فعلت ما رَضينا، وَلَغضبنا له وأنكرنا.

[٢٢/٢٥٢] / **صـوت**

بكيـتُ حـذارَ البيـن علمـا بمـا الـذي ... إليـه فـؤادي عنـد ذلـك صـائـرُ

(١) س، ب: «الحسين» تحريف.
(٢) المتألي: الحالف.
(٣) في س، ب: «إصبعه».

وَقَالَ أُناسٌ لو صبرتَ وإنني ... على كل مكروه سوى البين صابرُ

الشعر لأبي مالك الأعرج؛ والغناء لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته ورواية الهشاميّ.

قال الهشاميّ: وفيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل، وَلسليم ثقيل أول.



[٢٢/٢٥٣]

/ أخبار أبي مالك ونسبه

اسمه ونشأته

أبو مالك النَّضر بن أبي النَّضر التميميّ، هذا أكثر ما وجدتُه من نسبه، وكان مولده ومنشؤه بالبادية.

ثم وفد إلى الرشيد، ومدحه، وَخدمه فأحمدَ مذهبه، ولحظته عنايةٌ من الفضل بن يحيى، فبلغ ما أحبّ، وهو صالح الشعر، متوسّط المَذهب، ليس من طبقةِ شعراء عصره المجيدين، وَلا من المرذولين.

يرثي أباه

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدثنا أحمد بن الهَيثم بن فراس قال:

كان أبو مالك النضر بن أبي النضر التميميّ مع الرشيد، وكان أبوه مقيما بالبادية، فأصاب قوم من عشيرته الطريقَ، وقطعُوه عن بعض القوافل، فخرج عامل دِيارِ مضر ـ وكان يقال له جَيّال ـ إلى ناحِية كانت فيها طوائف من بني تميم، فقصدَهم وهم غارُّون[1]، فأخذَ منهم جماعةً فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج، وكان ذا مال، فطلبه فيمن طلب من الجناة، وطمع في ماله، فضربه ضرباً أتى فيه على نفسه، وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه:

فيمَ يُلحَى على بكائي العذولُ ... والذي نابني فَظيعٌ جليلُ

/ عدّ هذا الملام[2] عني إلى غيـ ... ـري فقلبي ببَثّه مشغولُ

[١٥١/١٩]

راعني والدِي جَنتْ كفُّ جَيّا ... لِ عليه فراح وهو قتيلُ

أيها الفاجِعي برُكني وعزّي ... هبلتني إن لم أرعْكَ الهبُولُ[3]

/ سُمْتَنِي خُطّةَ الصَّغار وأظلمْـ ... ـتَ نهاري عليَّ غالتك غولُ

[٢٢/٢٥٤]

ما عداني الجفاءُ عنكَ ولكنْ ... لم يُدلني[4] من الزمان مُديلُ

زال عنا السرورُ إذ زُلتَ عنا ... وازدهانا[5] بكاؤنا والعويلُ

ورأينا القريبَ منا بعيداً ... وجفانا صديقُنا والخليلُ

ورمانا العدوُّ من كلّ وجه ... وتجنّى على العزيز الذليلُ

---

(١) غارون: غافلون.

(٢) س، ب: «الكلام».

(٣) هبلتني الهبول: ثكلتني أمي.

(٤) لم يدلني: لم ينصرني.

(٥) ازدهانا: استخفنا وأذهب وقارنا.

يـا أبـا النضـر سـوفَ أبكيك مـا عشـ ـتُ سـويًّـا وَذاك منـي قليـلُ
حملـتْ نعشَـك المـلائكـةُ الأبـ ـرارُ إذ مـالَنـا إليـك[١] سبيـلُ
غيـر أنـي كـذبتُـك الـودَّ لـم تقـ ـطُر جفـونـي دمـا وأنـت[٢] قَتيـلُ
رضِيـتْ مقلتـي بـإرسـال دَمعـي وعلـى مثلـك النفـوسُ تَسِيـلُ
أسِـواكَ الـذي أجـودُ عليـه بـدمـي إننـي إذاً لبخيـلُ
عثـر الـدهـرُ فيـك عثـرةَ سَـوْءٍ لـم يُقِـل مثلَهـا المعيـنُ المقيـلُ
قـل إن ضـنَّ بـالحيـاة فـإنـي بعـده للحيـاة قَـالٍ مَلـولُ
إنّ بـالسفـح مـن ضبـاعـةَ قـومـي[٣] ليـسَ منهـم ـ وهـم أدانٍ[٤] ـ وَصـولُ
لا يـزورون جـارَهـم مـن قـريـبٍ وهـمُ فـي التـراب صَـرعـى حلـولُ
[٢٢/٢٥٥] / حفـرة حَشْـوُهـا وفـاءٌ وحِلـمٌ ونـدىً فـاضـلٌ ولُـبٌّ أصيـلُ
وعفـافٌ عمـا يَشيـن وحِلـمٌ راجـحُ الـوزن بـالـرواسـي يَميـلُ
ويميـن[٥] بنـانُهـا غيـرُ جَعـدٍ[٦] وجبيـنٌ صَلـتٌ[٧] وخـدٌّ أَسيـلُ
وامـرؤ أشـرقـتْ صُفَيحـةُ خـدَّيـه عليـه بشـاشـةٌ وقَبـولُ

[٢٢/٢٥٦] / صوت

لئـن مصـرُ فـاتتنـي بمـا كنـتُ أرتجـي وأخلفنـي فيهـا الـذي كنـتُ آمـلُ
فمـا كـل مـا يخشـى الفتـى بمُصيبـه ولا كـلُّ مـا يـرجـو الفَتَـى هـو نـائـلُ

[٨] الشعر لأبي دُهمان، والغناء لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ. انتهت أخبار مالك ونسبه[٨]

(١) في هد: «إليها» بدل «إليك» وفي ف: «إليه».
(٢) في م: وذاك قليل، والأول أصوب لتقدم هذه القافية.
(٣) كذا في م، وضباعة اسم جبل من جبال طيء، وفي ف: «إن بالسفح من منازل قومي».
(٤) في س، ب: «أذان» وهو تحريف.
(٥) في س، ب: «وبنان يمينها»، ولا معنى له.
(٦) جعد: قصير، والمراد بسط يده بالعطاء.
(٧) صلت: واضح.
(٨ ـ ٨) تكملة من هج، وهد.

[٢٢/٢٥٧]

/ أخبار أبي دهمان

لا يبيح باسم محبوبته

أبو دُهْمان الغِلابيّ شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتي بني أمية وبني العباس[(١)]. ومدح المهديّ، وكان طيِّباً ظريفاً مليحَ النادرة.

وهو القائل لما ضَرَب المهديُّ أبا العتاهية بسبب عشقه عُتبة:

لـولا الـذي أحـدثَ الخليفـةُ فـي الـ ـعُشّـاق مـن ضـربهـم إذا عَشِقـوا

لبُحْـتُ بـاسـم الـذي أُحِـبُّ ولـ ـكنّـي امـرؤ قـد ثَنـانـيَ الفَـرَقُ

يجيد التقليد

١٥٢/١٩ / حدثني بذلك الصوليّ عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي العتاهية. وأخبرني جَحْظَةُ عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

قال رجل لأبي دهمان: ألا أحدثك بطريفة؟ قال: بلى، قال: كنا عند فلان، فمدّ رجله هكذا، فضَرَط، ومدّ المحدث رجله يحكيه فضرط، فقال له أبو دُهمان. يا هذا أنت أحذَقُ خلق الله بحكاية.

حق له أن يتيه عليه

نسختُ من كتاب بخط ميمون بن هارون:

بلغني أن أبا دُهمان مرّ وهو أمير بنيسابور على رجل جالس ومعه صديقٌ له يسايرهُ، فقام الناس إليه ودعَوْا له إلا ذلك الرجل، فقال أبو دهمان لصديقه وهو يسايره: أما ترى ذلك الرجلَ في النَّظارة وترى تيهَه عليّ؟ فقال له: وكيف يتيه[(٢)] عليك وأنتَ الأمير! قال: لأنه قد نَاكَني وأنا غلام.

غلامه يتعجل موته

وأخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، قال:

[٢٢/٢٥٨] / مرض أبو دُهمان مرضا أشْفَى منه على الموت، فأوصى وأملى وصيته على كاتبه، وأوصى فيها بعتِق غلام كان له واقفا، فلما فرغ غدا الغلامُ بالرقعة، فأترّبها، ونظر إليه أبو دُهمان، فقال له: نعم أتِربها يا بنَ الزانية، عسى أن يكون أنجَحَ للحاجة، لاشفاني الله إن أنجحتَ، وأمر به، فأخرج لوقته، فبيع.

(١) في س، ب: «بني هاشم».
(٢) في س، ب: «تيهه».

[٢٢/٢٥٩]

/ صوت

يكُرُّ كما كرّ الكُليبيّ مُهرَه ... وما كرّ إلا خيفةً أن يُعيَّرا
فلا صُلح حتى تزحفَ الخيلُ والقنا ... بنا وبكم أو[1] يَصْدُرَ الأمرُ مَصْدَرا

الشعر لأبي حُزابة التميميّ، والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر.

وهذا الشعر يرثي به أبو حُزابَة رجلا من بني كُلَيب بن يربوع يقال له ناشرةُ اليَرْبُوعيّ، قُتِل بسجستان في فتنَة ابن الزبير، وكان سيّداً شُجاعاً.

يرثي ناشرة اليربوعي

أنشدنيه جَعفرُ بن قُدامة قال: أنشدني أبو هِفّان وأحمد بن أبي طاهر قالا: أنشدنا عبدُالله بن أحمد العدويّ لأبي حُزابة يرثي ناشرةَ اليربوعيّ وقُتِل بسجستان في فتنة ابن الزبير قال:

لعَمري لقد هدّتْ قريشُ عروشَنا ... بأبيضَ نفّاح العَشيّات أزهرا
وكان حَصاداً للمنايا زَرَعْنَهُ ... فهلّا تركنَ النّبتَ ما كان أخضرا
لحا اللهُ قوماً أسلموكَ وجرّدوا[2] ... عناجيج[3] أعطتها[4] يمينُك ضُمَّرا
أما كان فيهمْ ماجدٌ ذو حفيظةٍ ... يرى الموت في بعض المواطنِ أفخرا
يكرّ كما كَرَّ الكُليبيّ مُهره ... وما كرَّ إلا خشيةً أن يُعَيَّرا

يُريد ما كان في هؤلاء القوم مَنْ يكرُّ كمَا كرّ ناشرة الكُليبيّ مُهرَه؟

(١) في س، ب: أن بدل أو.
(٢) في ف، هج، هد: «ضيعوك وأسلموا» بدل «أسلموك وجردوا».
(٣) العناجيج: جياد الخيل واحدها عنجوج كعصفور.
(٤) في ف: «أعطتك» بدل «أعطتها»؛ وهو تحريف.

[٢٢/ ٢٦٠]

/ أخبار أبي حزابة ونسبه

اسمه ونشأته

أبو حُزابة اسمه الوليد بن حنيفة، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم. شاعر من شعراء الدولة الأموية بَدَوِيٌّ حَضِر[1] وسكن البصرة، ثم اكتُتِب في الديوان، وضُرِب عليه البعث إلى سجستان، فكان بها مدة، وعاد إلى البصرة، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك، وأظنُّه قُتل معه، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجّاء.

أبطأ الدلاء أملؤها

١٥٣/ ١٩ فأخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا محمد / بن الهيثم الشاميّ قال: حدثني عَمّي أبو فراس عن العذريّ قال:

دخل أبو حُزابة على طلحةِ الطلحات الخُزاعي، وقد استعمله يزيدُ بن معاوية على سِجستان، وكان أبو حُزابة قد مدحه، فَأَبطأت عليه الجائزةُ من جهته، ورأى ما يُعطي غَيرَه من الجوائز، فأنشده:

وأدليـــتُ دَلـــوي فـــي دِلاء كثيـــرةٍ ... فجئـــن بِمـــلآءَ غيـــر دَلـــوي كمـــا هِيـــا

وأهلكنـــــي ألاّ تـــــزالَ رَغِيبـــــةٌ ... تُقصِّـــرُ دونـــي أو تحُـــلُّ وَرائيـــا

أرانـــي إذا استمطـــرتُ منـــكَ سحـــابةً ... لِتُمطِـرنـي عـادتْ عَجـاجـاً[2] وسـافِيـا[3]

[٢٢/ ٢٦١] قال: فَرماه طلحة بحُقّ فيه دُرّة فأصاب صدرَه، ووقعت في حجره، ويقال: / بل أعطاه أربعةَ أحجارٍ، وقال له: لا تُخدعْ عنها، فباعها بأربعين ألفا. ومات طلحةُ بسجستان.

خلف شحيح لسلف كريم

ثم وَلِيَ من بعده رجل من بني عبدِ شمس يقال له عبدُالله بن عليّ بن عَدِيّ وكان شحيحاً فقال له أبو حزابة:

يـــا بـــنَ علـــيٍّ بَـــرِحَ الخفـــاءُ ... قـــد علِـــم الجيـــرانُ والأكفـــاءُ

أنـــك أنـــت النـــذلُ[4] واللَّفـــاء[5] ... أنـــت لِعَيْـــنِ طَلْحَـــةَ الفِـــداءُ[6]

(١) حضر وحضري بمعنى واحد.
(٢) عجاجا: غبارا.
(٣) سافيا: ريحا تذرو التراب وتسفيه.
(٤) ب، س: «البذل» تحريف.
(٥) اللفاء: الخسيس.
(٦) س، ب: القذاء.

بنـــو عَـــديٍّ كلهـــم ســـواءُ كـــأنهـــم زينيَّـــةٌ[1] جِـــراءُ[2]

رثاء وهجاء

قال ثم وليَها بعدَ عبدالله بن علي عبدُ العزيز بنُ عبدُالله بن عامر بن كُريز أيام الفتنة، فاستأذنَه أبو حزابة أن يأتيَ البصرة، فأذِن له، فقدمها، وكان الناس يحضُرون المِرْبد، ويتناشدون الأشعار، ويتحادثون ساعة من النهار، فشهدهم أبو حُزابةَ، وأنشدهم مَرثية له في طَلحةِ الطلحت يضمنها ذمًّا لعبدِالله بن عليٍّ وهي قوله:

هيهـــاتَ هيهـــاتَ الجنـــابُ الأخضـــر والنـــائـــلُ الغمـــرُ الـــذي لا يُنْـــزَرُ

وَارَاهُ عنـــا الجَـــدثُ المغـــوَّرُ[3] قـــد علـــم القـــوم غـــداة استعبَـــرُوا

[٢٢/٢٦٢]

/ والقَبْـــرُ بيـــن الطلحـــاتِ يُحفـــر أنْ لَـــنْ يـــروا مثلَـــك حتـــى يُنشـــروا[4]

أنـــا أتـــانـــا جَـــرزُ محمَّـــرُ[5] أنْكَـــره ســـريـــرُنـــا والمِنْبَـــرُ

والمسْجـــد المُخْتَضَـــر المُطَهَّـــر وخَلَـــفٌ يـــا طلـــح منـــك أعْـــوَرُ[6]

بليَّـــة يـــا ربَّنـــا لا تُسخَـــر أقـــلُّ مـــن شبـــريـــن حِيـــنَ يُشْبَـــر

* مثل أبي القعواء لا بل أقصر[7] *

قال: وأبو القَعْواءَ حاجبٌ لطلحة كان قصيراً.

بئس العقاب

فقال عون بن عبد الرحمن بن سَلامة ـ وسلامة أمُّهُ ـ وهو رجل من بني تميم بن مرة قيس: بئسَما قلت! أتشاهر الناسَ بشَتْم قريش؟ فقال له، إني لم أعْمِّ، إنما سَمَّيت رجلا واحداً، فأغلظ له عونٌ حتى انصرفَ عن ذلك الموضع، ثم أمر عَوْن ابن أخ له، فدعا أبا حُزابة فأطعمه، وسَقاه، وخلط في شرابه شُبرُ ما[8] فسلّحَه، فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنه، فسلَّحَ على بابهم وَفي طريقه، حتى بلغ أهلَه، ومرض أشهراً، ثم عُوفي، فركب فرساً له، ثم أتى المِربد فإذا عونُ بن سلامة وَاقف، فصاح به، فوقف، ولو لم يقفْ كان أخف لهجَائه، فقال له أبو حُزابة:

يـــا عـــون قـــفْ واستمـــع المـــلامَـــةْ لا سلَّـــمَ اللهُ علـــى ســـلامـــةْ

[٢٢/٢٦٣]

/ زنجيـــةٌ تحسبُهـــا نَعلمـــةْ شكَّـــاءُ[9] شـــانَ جسمَهـــا دَمـــامـــهْ

---

(١) زينيّة: كلاب.
(٢) الأبيات في «الحيوان» ١: ٢٥٥.
(٣) المغور: البعيد الغور.
(٤) البيت ساقط من م.
(٥) كذا في ف وفي س، ب: «جزر» تحريف والأصوب ـ كما في بعض النسخ ـ جرز محمر: فأر هجين.
(٦) في س، ب: بعد شطرين.
(٧) س؛ ب: «أصفر».
(٨) الشبرم: شراب مسهل.
(٩) كذا في ف ومعناها صماء، وفي س، ب: «سكاء».

١٥٤/١٩

/ ذاتِ جِرٍ كريشتَي حمامة ... بينهما بَظْرٌ كرأس الهامة

أعلمتُها وعالِم العَلامَة ... لو أن تحت بَظرها صِمامة

* لدفعتْ قُدُما[1] بها أمامه *

فكان الناس يصيحون به:

* أعلمتها وعالم العلامة *

أبو حزابة ينشد طلحة

أخبرني عَمّي قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني عمي أبو فراس، عن الهيثم بن عديّ قال:

كان عبدالله بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل وقُتِل معها يومئذ، وعلى بني خلف نزلتْ عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصرِ بني خلف، وكان هوى طلحة الطلحات أمَويًا، وكانت بنو أميّةُ مكرِمين له.

فأنشد أبو حُزابة يوماً طلحة:

يا طلحَ يَأبى مجدُك الإخلافا ... والبخلَ لا يُعترفُ اعترافا[2]

إن لنا أحمرةً عِجَافا ... يأكُلنَ كلَّ ليلةٍ إكافا[3]

فأمر له طلحة بإبلٍ ودراهمَ، وقال له: هذه مكانُ أحمرتك.

يأبى الوقوف بباب يزيد

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني[4] قال: حدثني العمريّ، عن لَقيط قال:

[٢٢/٢٦٤] قيل لأبي حُزابة: لو أتيتَ يزيدَ بن معاوية لفرض لك، وشرَّفكَ، وألحقكَ بعِلْيَة / أصحابه، فلست دونَهم، وكان أبو حُزابة يومئذ غلاما حَدَثا، وكان معاوية حيًا، ويزيدُ أميراً يومئذ، فلما أكثر قومُه عليه في ذلك وفي قولهم: إنك سَتشرُف بمصيرك إليه قال:

يُشرّفني سيفي[5] وقلبٌ مُجانبٌ ... لكل لئيم باخلٍ ومعلهَج[6]

وكَرّي على الأبطال طِرْفاً كأنه ... ظَليمٌ وضربي فوق رأسِ المدَجَّج

وقولي إذا ما النفسُ جاشتْ وأجهشت ... مخافةَ يومٍ شَرُّه متأجِّج

عليكِ غمارَ الموت يا نفسُ إنني ... جريء على درء الشجاع المُهَجْهَج[7]

---

(١) غير مثنية ولا ملتوية.

(٢) اعترفه: استخبره عن حاله، أي مجدك واضح لا يسأل عنه سائل.

(٣) الإكاف: برذعة ويقال له وكاف.

(٤) كذا في ف وفي س، ب: «الكجاني» تحريف.

(٥) كذا في س، ب، وفي ف: «سيف».

(٦) معلهج: أحمق لئيم.

(٧) المهجهج: الداهية.

ثم يقف؛ فلا يصل إليه

فلما أكثر عليه قومُه، وعنَّفوه في تأخره أتى يزيدَ بن معاوية، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه فرجع، وقال: والله لا يراني ما حملت عيناي[1] الماءَ إلا أسيراً أو قتيلا، وأنشأ يقول:

فــوالله لا آتــي يــزيــدَ ولــو حــوت ... أنــامــلُــه مــا بــيــن شــرقٍ إلــى غــربِ
لأنَّ يــزيــداً غيَّــر الله مــا بِــه ... جَنــوحٌ إلــى السُّــوءَى مُصِــرٌّ علــى الــذنــبِ
فقــل لبنــي حــرْب تَقُــوا الله وحــدَه ... ولا تُسعِــدوه[2] فــي البِطــالــة واللعــبِ
ولا تــأمنــوا التغييــرَ إن دام فعلُــه ... ولــم ينهَــه عــن ذاك شيــخُ بَنِــي حــربِ
/ أيشــربُهــا صِــرفــاً إذا الليــل جنَّــه ... معتقــةً كــالمســكِ تختــالُ فــي العُلــبِ[3] [٢٦٥/٢٢]
ويَلْحَــى عليهــا شــاربيهــا وقلبُــه ... يهيــمُ بهــا إن غــاب يــومــا عــن الشَّــربِ[4]

يرهن سرجه ليبيت

أخبرني حبيبُ بنُ نَصر المهلبيّ قال: حدثنا عمر بن شبّة، عن المدائني قال:

لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجّاج، وكان[5] معه أبو حُزابة فمروا بدَسْتبَى[6] وبها مستراد[7] الصَّنَّاجَة[8]، وكانت لا يبيت بها أحدٌ إلا بمائة درهم، فبات بها أبو حُزَابة ورهن عندها سرجَه، فلما أصبحَ وقف لعبد الرحمن، فلما أقبل صاح به وقال:

/ أمــرٌ عضــال نــابنــي فــي العَــجِّ[9] ... كــأننــي مطــالَــبٌ بخَــرْجِ
ومستــرادٌ ذهبــتْ[10] بــالسَّــرْجِ ... فــي فتنــة النــاسِ وهــذا الهــرْجِ

١٥٥ / ١٩

فعرف ابنُ الأشعث القصّةَ، وضحك، وأمر بأن يُفتكَّ له سِرجُه، ويُعطى معه ألفَ درهم، وبلغت القصةُ الحجاجَ فقال: أيجاهرُ في عسكره بالفجور فيضحك، ولا ينكِر[11]! ظفرتُ به إن شاء الله.

[٢٦٦/٢٢]

/ لا يثيبه على المدح فيهجوه

أخبرني عمّي، قال حدثنا الكُراني عن العُمريّ، عن العُتبي قال:

---

(١) كذا في ف وفي س، ب: «عيني»، العبارة كناية عن الإبصار.
(٢) في ب: ولا تستعدوه، وهو تحريف.
(٣) ب، س: «القلب».
(٤) الشرب: جماعة الشاربين، اسم جمع شارب كصاحب.
(٥) لعل من الصواب حذف الواو لتكون «كان» جواب لما.
(٦) دستبي: كورة كبيرة تشمل قرى كانت مقسومة بين الري وهمذان.
(٧) مستراد: موضع كمراد، الأول من استراد والثاني من أراد، ويبدو؛ أنه كان مثابة للهو والعبث كما يبدو من كلام الحجاج.
(٨) الصناجة: اللاعبون بالأوتار أو المغنون.
(٩) العج: الصياح والضوضاء.
(١٠) في هد؛ ف: «رهنت» بدل «ذهبت».
(١١) في هد: «ولا يبكي» بدل «ولا ينكر».

مدح أبو حُزابة عبدالله بن علي العَبْشَميّ وهو على سِجستان فلم يُثِبْه فقال يهجوه:

هَبَّتْ تُعاتبني أُما ... مةُ في السماحة والفِضَال

وأَبيتُ عند عِتابها ... إلا خلائقَ ذي النَّوال

أُعطِي أخي وأَحُوطُه ... جُهدي وأبذُل جُلَّ مالي

وأَقِيه عند تشاجُر الأبطا ... ل بالأَسَلِ[1] النِّهالِ[2]

حِفظاً له ورعايةً ... للخالياتِ من الليالي

إذ نحنُ نشربُ قهوةً ... دِرياقةً[3] كدمِ الغَزالِ

حمراءَ يُذهِبُ ريحُها ... ما في الرؤوس[4] من الخَبالِ

وإذا تشعشع[5] في الإنا ... ءِ رمتْ أخاها باغتيالِ

وعلا الحَبابُ فخلتُه ... عِقْداً يُنَظَّم من لآلي

تَشفِي السقيمَ بريحها ... وتُميتُه قبل الإجال[6]

تلك التي تركتْ فؤا ... د أبي حُزابةَ في ضَلالِ

لا يستفيق ولا يُفيـ ... ق نزيفها في كلِّ حالِ

وإذا الكماةُ[7] تنازلوا ... ومشى الرجالُ إلى الرجالِ

وبدت كتائبُ تمتري[8] ... مُهَجَ الكتائبِ بالعوالي

[٢٦٧/٢٢]

فأبو حُزابةَ عند ذا ... كَ أخو الكريهةِ والنِّزالِ

يمشي الهوينى مُعلِماً[9] ... بالسيف مشياً غيرَ آلِ

كالليث يترك قِرنَه ... مُتجدِّلاً بين الرِّمالِ[10][11]

إني نذيرُ بني تميـ ... ـم من أخي قِيلٍ وقالِ

مَن لا يجود ولا يسو ... د ولا يُجِير من الهُزالِ

---

(١) الأسل: الرماح.

(٢) النهال: العطاش جمع ناهل.

(٣) درياقة: شفاء.

(٤) في ف، هد: «النفوس».

(٥) تشعشع: تمزج وتخلط.

(٦) الإجال: جمع أجل حذفت منه الهمزة المسهلة للوزن.

(٧) جمع كي على غير قياس، وهو المدجج بالسلاح.

(٨) تمتري: تستخرج.

(٩) جاعلا لنفسه علامة ليتحدى الأبطال في النزال؛ وفي هد، ف: العرضنة، بدل الهوينى.

(١٠) كذا في ف وفي س، ب: «المجال».

وتـــــراه حيــــن يجيئُــــه الســــؤا ... ل يُــــولَــــع بــــالسُّعــــالِ
متشــــــاغــــــلا متنحنحــــــا ... كــالكلــب جَمجَــم[1] للعِظــال[2]
فــــارفــــضْ قــــريشــــاً كُلَّهــــا ... مــن أجــل ذي الــداء العُضَــال

ـ يعني عبدالله بن علي العبشَمِيَّ.

يشيد بشجاعة التميميين:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني محمد بن الهيثم الشاميّ قال: حدثني عمي أبو فِراس، عن العذريّ قال:

دخل أبو حُزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج، وقد قَدِما سجستان لحرب عبد / الرحمن بن محمد ابن الأشعث، وكان عبد الرحمن لما قدماها هرَب، ولم يبق بسِجستان / من [3]أصحابه إلا سبعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها، فقال لهما أبو حزابة: إنّ الرجل قد هرب منكما، ولم يبق من أصحابه أحد، وإنما بسجستان من[3] كان بها من بني تميم قبل قدومه فقالا له: ما لهم عندنا أمان، لأنهم قد كانوا مع ابن الأشعث، وخلعوا الطاعة، فقال: ما خلعوها، ولكنه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقَة. فلم يُجيباه إلى ما أراد، وعاد إلى قومه، وحاصرهم أهل الشام، فاستقتلت[4] بنو تميم، فكانوا يخرجوا في كل يوم إليهم، فيواقعونهم، وَيكْبِسونهم[5] بالليل، وينهبون أطرافهم، حتى ضجروا بذلك، فلما رأى عمارة فِعلَهم صالحهم، وخرجوا إليه، فلما رأى قلّتهم قال: أما كنتم إلا ما أرى! قالوا: نعم[6]، فإن شئت أن تُقِيلك الصلح أقلناك، وعُدْنا للحرب، فقال: أنا غنيّ عن ذلك، وآمنهم، فقال أبو حُزابة في ذلك:

لله عينَــــا مــــن رأى مــــن فــــوارس ... أكــرَّ علــى المكــروه منهــم وأصبَــرا
وَأكــــرمَ لــــو لاقَــــوْا ســــواداً مُقــــاربــــا ... ولكــن لقُــوا طَمًّــا[7] مــن البحــر أخضــرا
فمــا بــرحــوا حتــى أعضُّــوا سيــوفَهــم ... ذُرَى الهــام منهــم والحــديــدَ المُسمَّــرا
وحتــى حسبنــاهــم فــوارسَ كهْمَــسٍ[8] ... حَيــوا بعــد مــا مــاتــوا مــن الــدّهــر أعصــرا

/ صــوت

إذا اللهُ لــــم يسْــــق إلا الكــــرامَ ... فَسقَّــــى وُجــــوه بَنــــي حَنبَــــلِ

(١) في س، ب: جمع، ومعنى جمجم أخفى صوته.
(٢) العظال: الملازمة في السفاد للكلاب ونحوها.
(٣ ـ ٣) تكملة من ف، هد، هج.
(٤) في س، ب: فاستقلت، وهو تحريف.
(٥) في س، ب: «يبيتونهم».
(٦) في س، ب: «لا».
(٧) طما: غمرا.
(٨) كهمس أبو حي من ربيعة، أو لعل المقصود به كهمس الصريمي، وهو خارجي حارب في أربعين رجلاً أسلم بن زرعة الكلابي في ألفي رجل، فثبت لهم.

وسقَى ديارَهمُ باكراً ... من الغيث في الزمن المُمْحِلِ
تُكفكفه بالعَشِيّ الجنوبُ ... وتُفْرِغُهُ هزة الشَّمألِ
كأنّ الرَّبابَ[1] دوينَ السحابِ ... نَعامٌ تعلَّقُ بالأرجلِ

الشعر لزهير السكب التميمي المازني، والغناء لإبراهيم خفيف رَمل بالبِنصر عن الهشامي وحبش.



(١) الرباب: السحاب الأبيض.

/ نسب زهير السكب وأخباره

[٢٢/ ٢٧٠]

اسمه ونسبه

هو زُهير بن عُروة بن جُلْهُمة بن حَجر بن خُزاعيّ[١]. شاعر جاهليّ. وإنما لقب السَّكب ببيت قاله وقال فيه:

* يَرِقُّ يُضيء خلالَ البيتِ أُسْكوبُ[٢] *

يتشوق إلى أبناء عمومته

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال: حدثنا أبو هِفَّان عن سَعِيد بن هُرَيم[٣] عن أبيه قال:

كان زُهير بن عروة المازنيّ الملقب بالسَّكْب جاهليًا، وكان من أشراف بني مازن وأشدّائهم وفُرسانهم وشُعرائهم، فغاضب قومه في شيء ذمه منهم، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم، فلحِقَه فيهم ضيم، وأرادَ الرجوعَ إلى عشيرته، فأبتْ نفسُه ذلك عليه، فقال يتشوق نَاساً منهم كانوا بني عمه دِنْية[٤] يقال لهم بَنُو حَنْبل:

إذا الله لـم يَسْـقِ إلا الكـرامَ ... فسقَّـى وجـوهَ بنـي حَنْبـلِ

مُلِثًّـا[٥] أحـمَّ دوابـي[٦] السّحـاب ... هَـزيـمِ الصـلاصـل والأزمـلِ[٧]

/ تكـركـره[٧] خضخضـاتُ[٨] الجنـوب ... وتفـرغـه[٩] هـزة الشَّمـأل

[٢٢/ ٢٧١]

كـأن الـربـابَ دُويـنَ السحـابِ ... نَعـام تعلَّـق بـالأرجُـلِ

فنعـم بَنـو العـم والأقـربـون ... لـدى حُطمـة[١٠] الـزمـن المُمْحـلِ

ونعـم المـواسـونَ فـي النـائبـا ... ت للجـار والمعتفـى[١١] المُـرْمِـلِ[١٢]

---

(١) كذا في م وفي س، ب: «خزاعة».
(٢) أسكوب المطر ويصبه.
(٣) في س، ب: «هزيم».
(٤) دنيه أقربيه ويقال فيهم: دنية ودنيا ودنيا.
(٥) ملثا: دائم المطر لا ينقطع.
(٦) أحم: أسود ويجمع على حم، وفي «الكامل» دوالي جمع دالية: ما تدلى من السحاب.
(٧) صلصل الرعد: صفا صوته وواحدة الصلاصل صلصلة، الأزمل: الصوت المختلط.
(٧) تكركره: تجمعه بعد تفرقه.
(٨) جمع خضخضة: هي تحريك الماء والسويق ونحوهما. وريح الجنوب عند العرب ممطرة مخصبة بخلاف ريح الشمال.
(٩) كذا في ف وفي س وب: «تقرعه» ولا معنى لها.
(١٠) حطمة: بضم الحاء وفتحها معناها الشدة.
(١١) المعتفى: السائل.
(١٢) المرمل: الذي نفذ زاده.

ونعـــم الحمـــاةُ الكفـــاةُ العظيـــمَ ... إذا غـــائِـــظُ[1] الأمـــر لـــم يُحلَـــلِ
ميـــامِيـــنُ صُبْـــرٌ لـــدى المعضـــلاتِ ... علـــى مُـــوجـــع الحـــدَثِ المعضِـــلِ
مبـــاذيـــلُ عفـــواً[2] جـــزيـــلَ العطـــاء ... إذا فَضلـــةُ الـــزاد لـــم تُبـــذَل
هـــم سبقـــوا يـــوم جَـــرى الكـــرامِ ... ذَوي السبـــق فـــي الـــزمـــن الأوَّل
وســامَــوْا إلـــى المجـــد أهـــلَ الفَعـــال ... فطـــالـــوا بفعلـــهـــم الأطـــوَل

أبو عمرو بن العلاء يستشهد بشعره

أخبرنا هاشم بنُ محمد الخزاعيّ: قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمَعي، عن عمه قال: سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرَّباب فقال: أما تراه معلقاً بالسحاب كالذيل له، أما سمعت قول صاحبِنا السَّكب:

١٥٧/١٩ / كـــأن الـــرَّبـــابَ دُوَيْـــنَ السحـــاب ... نَعـــامٌ تعلَّـــق بـــالأرجـــل

[٢٢/٢٧٢]

/ صـــوت

ســـلا عـــن تـــذكُّـــره تُكتمَـــا ... وكـــان رَهينـــا بهـــا مُغـــرَمـــا
وأقصـــرَ عنهـــا وآثـــارُهـــا[3] ... تُـــذكِّـــره داءَهـــا الأقـــدمـــا

الشعر للنَّمِر بن تولب، والغناء لخزَرج خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ.

(١) غائظ الأمر: الأمر المجهد الشاق، وفي «رغبة الأمل»: «عاقد»، وفي س، ب: «غائط»، وهو تحريف.
(٢) عفوا: فضلا وزائدا.
(٣) في «منتهى الطلب»: «وآياتها».

/ أخبار النمر بن تولب ونسبه

[٢٧٣/٢٢]

اسمه ونسبه

هو النَّمِر بن تَولَب بن أُقَيش[١] بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكَل ـ واسم عكل عوف بن عبد مناف[٢] ـ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر مقلٌّ مخضرم أدركَ الجاهلية، وأسلم، فحسُن إسلامه، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكتبَ له كتابا، فكان في أيدي أهلِه، ورَوى عنه صلى الله عليه وسلم حديثاً سأذكره في موضعه، وكان النمرُ[٣] أحدَ أجواد العرب المذكورين وفُرسانهم.

أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس

حدثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرنا محمد بن حبيب قال: قال الأصمعيّ:

كان أبو عمرو بن العلاء يُسمّي النمرَ بن تولب الكَيِّسَ لجَوْدة شعره وحُسْنه.

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدثنا عبدالله بن محمد قال: أخبرنا محمد بن سلام الجُمَحيّ، وأخبرنا أبو خليفة في كتابه إليّ، عن محمد بن سلاّم قال:

كان النمر بن تولب جواداً لا يُليق[٤] شيئاً، وكان شاعراً فصيحاً جريئا على المنطق، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكَيِّس لحُسن شعره.

أخبرني هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَف الخزاعيّ قال: أخبرنا الرياشيّ قال: حدثنا / الأصمعي: قال حدثنا قُرَّة بن [٢٧٤/٢٢] خالد، عن يزيد بن عبدالله بن الشِّخِّير أخي مُطرِّف، وأخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ قال: حدثنا محمد بن سلاّم قال:

وفد النَّمِر بن تولَب على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له كتاباً، أخبرناه قُرة بن خالد السَّدوسي وسعيد بن إياس الجريريّ، عن أبي العلاء يزيد / بن عبدالله بن الشّخّير أخي مُطرّف.

١٥٨/١٩

يحظى بكتاب نبوي

وأخبرني عمي عن القاسم عن محمد الأنباري عن أحمد بن عبيد، عن الأصمعي، عن قُرة بن خالد، عن يزيد ابن عبدالله أخي مُطرف ـ واللفظ قريبٌ بعضُه من بعض ـ قال:

---

(١) في م: «أقيشر».

(٢) في هد، هج: «عبد مناة» بدل «عبد مناف».

(٣) في س، ب: «النمير» وهو تحريف.

(٤) لا يليق: لا يبقي شيئا لجوده وسخائه، فهو شبيه بحاتم في جوده وشعره.

بينما نحنُ بهذا المِربد جلوس ـ يعني مِرْبدَ البصرة ـ إذ أتى علينا أعرابيّ أشعثُ الرأس، فوقفَ علينا، فقلنا: والله لكأنَّ هذا الرجلَ ليس من أهل هذا البلد، قال: أجَلْ، وإذا معه قِطعة من جِراب أو أدِيم، فقال: هذا كتاب كتبهُ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأناه فإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من محمدٍ رسولِ الله لبني زُهَير ـ هكذا قال أحمدُ بنُ عبيد، وقال الباقون: لبني زُهَير بن أُقيش ـ حيٌّ من عُكْل ـ إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، وأقمتم الصلاةَ، وآتيتم الزكاةَ، وفارقتم المشركين، وأعطيتم الخُمْس من الغنائم وسهم النبي والصَّفيّ[1] فأنتم آمنون بأمانِ الله وأمانِ رسوله.

يشكون في روايته، فيغضب

وقال أحمد بن عبيد الله في خبره خاصة: «لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم». وقالوا جميعاً في الخبر: فقال له القومُ: حدِّثنا رَحِمَك اللهُ، ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «صَومُ شهر الصَّبر، وصومُ / ثلاثة أيام من كل شَهر يُذهِبْن كثيراً من وحَر[2] الصدر». فقال له القوم: أأنت سمعتَ هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أراكمُ تخافون أن أكذبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لاحدثتُكم حديثاً، ثم أهوَى إلى الصحيفة، وانصاع[3] مُدبرا. قال يزيد بن عبدالله: فقيل لي بعد ما مضى: هذا النمر بن تولب العُكْلِيّ الشاعر. [٢٢/٢٧٥]

مثل من كرمه

أخبرني محمد بن خلَف قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن خلف قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال:

خرج النمرُ بنُ تولب بعدما كبر في إبله، فسأله سائل، فأعطاه فحلَ إبله، فلما رجعت الإبل إذا فحلُها ليس فيها، فهتفت به امرأتهُ، وعذَلَته، وقالت: فهلاً غيرَ فحل إبلك؟ فقال لها:

دَعِيني وأمري سأكفيكه ... وكُوني قعيدةَ بيت ضُباعا[4]
فإنكِ لن تَرْشُدي غاويا ... ولن تدركي لك حظّاً مُضاعا

وقال أيضا في عزلها إياه:

بَكَرتْ باللّوم تَلحانَا ... في بعير ضلَّ أو حَانَا
عَلِقَتْ لَوًّا تُكرّرها ... إنّ لَوًّا ذاكَ أعيانَا

قال: وأدرك الإسلام فأسلم.

تخدعه زوجه

[٢٢/٢٧٦] أخبرني الحسنُ بن عليّ؛ قال: حدثنا أحمدُ بن زهير، قال: حدثنا محمد بن / سلام قال:

كان للنَّمِر بن تولَب أخ يقال له الحارث بن تولَب، وكان سيداً معظما، فأغار الحارث على بني أسد فسبى

---

(١) الصفي: ما اختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل القسمة وجمعه صفايا.
(٢) وحر: حقد وغيظ.
(٣) انصاع: أنفتل راجعا.
(٤) ونرجح أنها مرخم «ضباعة»، وهو اسم زوجته.

امرأةً منهم، يقال لها جَمرة بنت نوفل، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففرِكته[١]، فحبسها، حتى استقرّتْ، وولدت له أولاداً، ثم قالت له في بعض أيّامها: أزِرني أهلِي فإنِي قد اشتقتُ إليهم، فقال لها: إني أخافُ إن صرتِ إلى أهلك أن تَغْلِبيني على نفسك، فواثقته لتَرْجعنَّ إليه. فخرج بها في الشهر الحرام، حتى أقدَمها بلادَ بني أسد، فلما أطلّ على الحيّ تركتْه واقفاً، وانصرفتْ إلى منزل بَعلِها الأول، فمكثت طويلا، فلم ترجِع إليه،/ فعَرف ما صنعت وأنها اختدَعتْه فانصرف وقال: ١٥٩/١٩

جـزى الله عنـا جَمـرةَ ابنـةَ نـوفَـلٍ ... جـزاء مُغِـلٍّ[٢] بـالأمـانـة كـاذبِ

لهـان عليهـا أمـسِ مـوقـفُ راكـبٍ ... إلـى جـانـب السَّـرْحـات أخيـبِ خَـائـبِ

وقـد سـألَـتْ عنـي الـوشـاة ليَكـذِبـوا ... علـيَّ وقـد أبليتهـا[٣] فـي النـوائـب

وصـدَّت كـأنَّ الشمـسَ تحـتَ قِنـاعهـا ... بـدا حـاجـبٌ منهـا وضنَّـتْ بحـاجـب

وقال فيها أيضاً:

كـلُّ خليـلٍ عليهـا الـرعـثُ[٤] ... والحُبَـلاتُ كَـذوب مَلِـقْ

ـ الحبَلات: واحدتها حَبَلة، وهي جنس من الحلى قَدرُ ثمر الطَّلْح ـ.

وقـامـتْ إلـيَّ فـأحلفتُهـا ... بهَـدْيٍ قـلائـده تختفـق[٥]

بـأن لا أخـونَـكَ فيمـا علمـت ... فـإن الخيـانـةَ شـرُّ الخُلـق[٦]

/ وقال فيها أشعاراً كثيرة يطولُ ذكرُها. ٧٧/٢٢]

يشبه حاتما في شعره

أخبرني اليزيديّ، عن محمد بن حبيب قال:

كان أبو عمرو يُشبِّه شِعْر النمر بشِعرِ حاتم الطائيّ.

/أفتى الشعراء

أخبرني الحُسين بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مُصعَب بن عبدالله الزبيري قال:

بلغني أن صالحَ بنَ حسان قال يوما لجلسائه: أيُّ الشعراء أفتى؟ قالوا: عمر بن أبي ربيعة، وقالوا: جميل، وأكثروا القول، فقال: أفتاهم النمر بن تولَب حين يقول:

أهيـمُ بـدَعـدٍ مـا حييـتُ وإن أمُـتْ ... فـواحـزنَـا مَـنْ ذا يَهيـمُ بهـا بَعـدي[٧]!

(١) فركته: أبغضته وهو خاص بالزوجين وهي فارك وفروك.
(٢) مغل: خائن، وقيل: الغلول خاص بالخيانة في الفيء والغنيمة.
(٣) أبليتها: أحسنت إليها.
(٤) الرعثات: مفردها رعثة، والبيت من المتقارب دخله الخزم.
(٥) تخفق: تتحرك وتضطرب، وفي س، ب: «يحتنق» ولا معنى له.
(٦) كذا في هج، وفي ب: «شر خلق».
(٧) من العجب أن يعد هذا البيت دليل الفتوة، وتذكر كتب الأدب أن سكينة بنت الحسين انتقدته؛ لأنه يجافي الغيرة، واقترحت إصلاحه على النحو التالي:

جمرة توصيه بولد منها

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زُهير، عن محمد بن سلام قال:

حج النمر بن تولب بعد هرب جمرةَ منه فنزل بمِنىً، ونزلت جمرةُ مع زوجها قريباً منه، فعرفته، فبعثت إليه بالسلام، وسألته عن خبره، ووصّته خيراً بولده منها فقال:

فحُيِّيتِ عن شَحْطٍ بخيرٍ حَدِيْثنا ... ولا يأمنُ الأيامَ إلا المُضَلَّلُ

يودُّ الفتى طولَ السلامة والغِنى[1] ... فكيف يرى طولَ السَّلامة يفعلُ!

شعره بين يدي الرسول

أخبرني ابنُ المرزُبان قال: حدثنا أبو محمد اليزيديّ، عن الاصمعيّ. وأخبرنا اليزيديّ عن ابن حبيب عن الأصمعيّ قال:

لما وفد النمر بن تولب على النبي صلى الله عليه وسلم أنشده:

/ يا قوم إنّي رجلٌ عندي خَبَرْ ... للهِ من آياتِه هذا القَمَرْ

والشمسُ والشعرى[2] وآياتٌ أُخَرْ ... من يتسامَ بالهدى فالخبثُ شَرّْ

إنا أتيناك وقد طال السَفَرْ ... نَقُودُ خَيلاً رُجُعاً[3] فيها ضَرَرْ

* نُطعمُها اللحمَ إذا عزَّ الشَّجَر *

قال اليزيديّ، عن ابن حبيب خاصة، قال الأصمعيّ: أُطعمها اللحم: أسقيها اللبن، والعرب تقول: اللبن أحد اللحمينِ. وقال ابن حبيب: قال ابن الأعرابي: كانت العرب إذا لم تجد العَلَف دقت اللحمَ اليابسَ، فأطعمَتْه الخيل:

يسلو بدعد عن جمرة

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدثنا العُمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش. وأخبرنا ابنُ المرزُبان قال: أخبرني عيسى بنُ يونس قال: حدثني محمد بن الفضل قال: حدثنا الهيثمُ بن عديّ، عن ابن عبَّاس / قال:

١٦٠/١٩

لما فارق النمر بن تولب امرأتَه الأسدية جزع عليها، حتى خيفَ على عَقلِه ومكث أياماً لا يَطعُم، ولا ينام، فلما رأت عشيرتُه منه ذلك، أقبلوا عليه يلومونَه، ويُعيِّرونه، وقالوا: إن في نساء العرب مندوحةً ومتَّسَعا، وذكروا له امرأة من فَخذه الأدنينْ يقال لها دَعْد، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح، فتزوَّجها ووقعت من قلبه، وشغلته عن ذكر جَمْرةَ وفيها يقول:

= أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

(١) رواها الكامل: «البقا» مقصورة، وفي رغبة الأمل: «يود الفتى طول السلامة جاهدا».

(٢) الشعري: نجم في السماء وهما شعريان: الكبير والغميصاء، ويعدونهما أختي سهيل.

(٣) كليلة: مهزولة جمع رجيع.

أُهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَييتُ فإنْ أَمُتْ ... أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَن يَهِيمُ بها بَعْدِي

والناسُ يروون هذا البيتَ لنُصيب وهو خطأ.

أخبرني اليزيديّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه. وأخبرني / إبراهيم بن محمد الصائغ، عن [٢٧٩/٢٢] ابن قتيبة، عن عبد الرحمن، عن عمه، عن حماد بن ربيعة أنه قال:

أظرف الناس النَّمر بن تولَب حيث يقولُ:

أَهيمُ بدعدٍ ما حييتُ فإن أمت ... أوكِّلْ بدعدٍ مَنْ يهيم بها بعدي

يرثي جمرة

أخبرني ابن المرزُبان قال: أخبرني عبدالله بن محمد قال: أخبرني محمدُ بنُ سلاّم قال:

لما بلغ النَّمرَ بنَ تولَب أن امرأته جَمرة تُوفِّيت، نعاها له رجلٌ من قومه يقال له حِزام أو حَرام، فقال:

ألم ترَ أنَّ جمرةَ جاء منها ... بيانُ الحقِّ أنْ صدقَ الكلامُ

نَعاها بالنديِّ[1] لنا حزامٌ ... حديث ما تحدثُ يا حَرامُ

فلا تبعَد وقد بعِدَتْ وأجرى[2] ... على جَدثٍ تضمَّنَها الغَمامُ

ـ قال الأصمعي: يقال بَعِد وأبْعَد ـ

يهذي في كبره

أخبرني أبو الحَسَن الأسديّ قال: حدثنا الرياشيّ، عن الأصمعيّ. عن أبي عمرو وأخبرني به هاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال: حدثنا أبو غسّان دَماذ، عن أبي عبيدة، عن أبي عمرو قال:

أدركَ النَّمرُ بن تولب النبي صلى الله عليه وَسلَّم، فأسلم وَحسن إسلامه، وعُمِّر، فطال عمره، وكان جواداً واسعَ القِرى كثيرَ الأضياف وَهَّابا لماله، فلما كبر / خَرِف وَأُهتر[3]، فكان هِجِّيراه[4]: اصبَحوا الرَّاكبَ، اغبقوا[5] [٢٨٠/٢٢] الرَّاكب اقرُوا، انحر واللضيف، أعطو السائل، تحملوا لهذا في حِمَالته كذا وَكذا ـ لعادته بذلك ـ فلم يزل يَهذِي بهذا وشبههه مدة خَرَفه حتى ماتَ.

موازنة بين خرف وخرف

قال: وخَرِفتْ إمرأةٌ مِنْ حَيّ كرام عظيم خطرُهم وخطرُها فيهم، فكان هِجِّيراها: زَوِّجوني، قولوا لزوّجي يدخل، مهِّدوا لي إلى جانِب زوجي، فقال عمرُ بن الخطاب، وَقد بلغه خبرُها: ما لهِجَ به أخو عُكل النمِر بن تولب في خَرَفه أفخرُ وأسْرَى، وَأَجملُ مما لَهِجتْ به صاحبتكم. ثم ترحَّم عليه.

(١) كذا في م، أ، وفي س، ب: «النداء».

(٢) كذا بالنسخ، ولعلها محرفة عن أمري من مريت الناقة فأمرت أي: در لبنها.

(٣) أهتر: فقد عقله من الكبر.

(٤) هجيراء: ديدنه وعادته.

(٥) كذا في م، وفي س، ب: «أعقبوا الركب» تحريف، والصبوح: الشرب صباحا، والغبوق: الشرب مساء.

يرثي أخاه

أخبرني ابن المرزُبان قال: حدثني أبو بكر العامريّ، قال: حدثني علي بنُ المغيرة الأثرم، عن أبي عبيدة قال:

مات الحارث بن تولَب، فرثاه النمر فقال:

لا زال صوبٌ مِنْ ربيع وصيِّف[1] يجودُ على حسن[2] الغميم[3] فيثرِبِ
فواللهِ ما أسقي البلادَ لحبِّها ولكنما أسقيكَ حارِ بن تولَبِ
تضمَّنتَ أدواء العشيرة بينها وأنت على أعواد نَعش مُقلَّبِ
كأنَّ امرأً في الناس كنتَ ابنَ أمه على فَلَجٍ[4] من بطن دجلة مطنب[5]

[٢٨١/٢٢] / يتمثل بأبياته

قال حمّاد الراوية: كان النمرُ بنُ تولب كثيرَ البيت السائر والبيتِ المتمثَّل به، فمن ذلك قوله:

لا تغضبنَّ على امرىءٍ في ماله وعلى كرائم صُلب مالكَ فاغضَبِ
/ وإذا[6] تصبك خصاصة فارجُ الغِنَى وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ

١٦١
١٩

وقوله:

تلبَّس لدهرك أثوابَه فلن يبتني الناسُ ما هَدَّما
وأحبب حبيبك حبًّا رويدًا فليس يعولُك أن تصرِما[7]
وأبغض بغيضك بُغضًا رويدًا إذا أنت حاولتَ أن تحكمَا

وقوله:

أعاذلُ أن يصبح صدايَ بقفرةٍ بعيدٍ فأنِّي ناصري وقريبي
ترَيْ أن ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه وأن الذي أفنيتُ كان نصيبي

يعفي صديقه من الدية ويتحملها

نسخت من كتاب بخط السكري أبي سَعيد قال: محمدُ بن حبيب:

كان للنَّمِرِ بن تولَب صديق فأتاه النمرُ في ناس من قومه يسألونه في ديةٍ احتملوها، فلمَّا رآهم، وسألوه تبسَّم، فقال النمر:

---

(١) صيف: مطر يجيء في الصيف أو بعد الربيع.
(٢) كذا في ف ومعناه محبس الماء، وفي س، ب: «حبس».
(٣) الغميم: موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة.
(٤) فلج: نهر صغير.
(٥) بعد في ذهابه: يريد من كنت أخاه، فإنما هو على بحر من البحور من الخصب والسعة (مادة طنب في «اللسان»).
(٦) رواية «الشعر والشعراء»: «ومتى». وإذا صحت رواية إذا فهي شاهد للجزم بإذا.
(٧) كذا في «منتهى الطلب» ومعناه يشق عليك، وفي س، ب: «يهولك»، وفي «شواهد المغني» للسيوطي: فقد لا يعولك.

تبســـم ضـــاحكـــا لمـــا رآنـــي وأصحـــابـــي لـــديَّ عـــن التمـــام[1]

فقال له الرجل: إن لي نفساً تأمرني أن أعطيكم، ونفسا تأمرني ألا أفعل، فقال النمر:

[٢٨٢/٢٢] / أمـــا خليلـــي فـــإنـــي غيـــرُ معجلـــه حتـــى يـــؤامـــرَ نفسَيـــه كمـــا زَعَمَـــا

نفـــسٌ لـــه مـــن نفـــوس النـــاس صـــالحـــةٌ تعطـــى الجـــزيـــلَ ونفـــس تـــرضـــع الغَنَمَـــا

ثم قال النَّمرُ لأصحابه: لا تسألوا أحداً، فالديةُ كلُّها عليَّ.

قصة سيف كالذي وصف النمر

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عليّ بن محمد النوفلِيّ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الحسنُ بنُ محمد بن عبدالله بن حسن بن عليّ قال:

جاءَ أعرابي إلى أبي، وهو مستتر بسُوَيقة[2] قبل مخرجه، ومعه سيف قد علاه الصَّدأُ، فقال: يا بن رسول الله، إني كنت ببطن قُدَيد[3]، أرعَى إبلي وفيها فحل قَطِم[4]، قد كنتُ ضربتُه، فحقِد عليَّ وأنا لا أدري، فخلا بي فشدَّ عليّ يريدُني، وأنا أُحضِر، ودنا مني حتى أن لعابَه ليسقطُ على رأسي لقربه مني. فأنا أشتدُّ، وأنا أنظر إلى الأرض لعلي أرى شيئاً أذبّه عنّي به، إذ وقعتْ عيني عَلَى هذا السيف قد فَحصَ عنه السيل، فظننته عوداً بالياً، فضربتُ بيدي إليه، فأخذته فإذا سيفٌ، فذبّبت به البعيرَ عني ذبًّا، والله ما أردتُ به الذي بلغتُ منه، فأصبتُ خيشومَه فرميت بقَقْمِه[5]، فعلمتُ أنه سيف جيد، وظننتُه من سيوف القوم الذين كانوا قُتِلوا في وقعة قُديد[6]، وها هوذا قد أهديتُه لك يا بن رسولِ الله قال: فأخذه منه أبي، وسُرَّ به. وجلس الأعرابيّ يُحادثه، فبينا هو كذلك / إذ أقبلت غنمٌ [٢٨٣/٢٢] لأبي ثلاثمائة شاةٍ فيها رِعاؤها، فقال له: أبي: يا أعرابيُّ هذه الغنم والرُّعاة لك مكافأةً لك عن هذا السيف، قال: ثم أرسل به إلي المدينة، أو أُرسل إلى قَيْن[7] فأُتِيَ به من المدينة، فأمر به فحُلِّيَ، فخرجَ أكرَم سيوفِ الناس، فأمر فاتُّخِذ له جَفن، ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد. فلمَّا كان اليوم الذي قُتِل فيه، قاتل بغيرِ ذلك السيف، قال: وبقيَ ذلك السيف عند أختي محمد بنت محمد. فزرتها يوماً وهي بينبُع في جماعة من أهل بيتي، وكانت عند ابن عمها الحسن بن إبراهيم بن عبدالله بن الحَسن عليهم أجمعين السلامُ، فخرجتْ إلينا، وكانتَ بَرْزَة[8] تجلس لأهلها كما يجلس الرجال، وتحدِّثهم، فجلست تحدثُنا، وأمرت مولىً لها، فنحرَ لنا جزوراً[9] ليهيىء لنا طعاماً.

فنظرت إليها، والجَزورُ في النخل باركة، وقد بردت وهي تُسلَخُ، فقالت: إني لا أرى في هذه الجزور، / مضرِباً حسَناً. ثم دعتْ بالسيف، وقالت: يا حسنُ ـ فدتك أُختُك ـ هذا سيف أبيك، فخذه واجْمَع يديك في قائمه، ١٦٢/١٩

(١) تكملة من هد. هج.
(٢) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب.
(٣) قديد: موضع قرب مكة.
(٤) القطم: الصئول.
(٥) الفقم: اللحى وطرف الخطم.
(٦) وقعة لأبي حمزة الخارجي على أهل المدنية.
(٧) القين: الحداد والصيقل.
(٨) برزة: متجاهرة جليلة تجلس للقوم يتحدثون إليها وهي عفيفة.
(٩) جزور: بعير أو ناقة تجزر، والجمع جزر والجزائر.

ثم اضرب به أثناءَها[١] من خلفها ـ تريدُ عراقيبها ـ وقد أثبتُّها للبُروك، وهي أربعة أعظم، قال: فأخذتُ السيفَ ثم مضيتُ نحوها، فضربت عراقيبَها فقطعتُها ـ والله ـ أربعَتها، وسبقني السيف، فدخل في الأرض، فأشفقتُ عليه أن ينكسرَ إن اجتذبتُه فحفرتُ عنهُ، حتى استخرجتُه، قال: فذكرتُ حينئذٍ قولَ النمر بن تولب:

[٢٢/ ٢٨٤] / أبقـى الحـوادثُ والأيـامُ مـن نَمِـرٍ أسبَـاد[٢] سيـفٍ كـريـم أثـرُه بـادي

تظـلّ تحفِـر عنـه الأرضَ مُنـدفعـاً بعـد الـذراعيـن والقَيـديـن والهـادِي[٣]

ويروى:

* تظلُّ تحفر عنه إن ظفرتَ به *

يشكو المشيب

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدثنا عمر بن شبَّة قال: أخبرني أحمد بن معاوية الباهليّ، عن أبي عُبيدة قال:

قِيل للنِمر بن تولَب كيف أصبحت يا أبا ربيعة؟ فأنشأ يقولُ:

أصبحـت لا يَحمـلُ بعضِـي بعضـاً أشكـو العـروقَ الآبضـات[٤] أبضـاً

كمـا تَشَكّـى الأرحَبيُّ[٥] الغَـرَضـا كـأنمـا كـان شبـابـي قـرضـاً

من توسلاته

أخبرني هاشِم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال: حدثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: أنشدني حماد بن الأخطل ابن النمر بن تولب لجدِّه:

أعِـذْنـي ربّ مـن حَصَـرٍ وعِـيٍّ ومـن نَفْـسٍ أعـالجُهـا عـلاجَـا

ومـن حـاجـات نفسٍ فـاعصِمنِّـي فـإن لمضْمـرات النفـس حَـاجَـا

فـأنـت وليُّهـا وبـرئـتُ منهـا إليـك فمـا قضيـتُ فـلا خِـلاجَـا[٦]

عود إلى فتوته

ثم قال: كان النمر أفتى خلقِ الله، فقلت: وما كانت فتوّته؟ قال: أوليس فتىً من يقول:

أهيـمُ بـدعـد مـا حييـتُ فـإن أمـتْ فـواحـزَنـاً مـن ذا يهيـم بهـا بَعْـدي؟

---

(١) أثناءها: جمع ثنى بمعنى مثنى (ثنيات).
(٢) أسباد: مفرده ككتف، ومعناها بقية.
(٣) الهادي: العنق وجمعه هواد.
(٤) الآبضات: الشادات.
(٥) الأرحبي: كريم الفحول المنسوبة إلى قبيلة أرحب، وأرحب أيضا مخلاف باليمن منسوب إلى أرحب، وهو مرة بن دعام بن مالك، والغرض: حزام الرحل جمعه غروض وأغراض، وفي س، ب: «الأرجي القرضا» تحريف.
(٦) خلاجا: نزاعا وشكا.

[٢٢/ ٢٨٥]

/ صوت

أيا صاحبيْ رحلي دنا الموتُ فانزِلا ... بسرابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا

وخُطّا الأسنَّةِ مضجَعي ... ورُدّا عَلَى عَيْنيَّ فضلَ رِدائيا

ولا تحسداني باركَ اللهُ فيكما ... من الأرض ذات العَرض أن توسعاليا

لعمري لئن غالتْ خراسانَ هامتي[١] ... لقد كنتُ عن بابيْ خُراسانَ نائيَا

فيا ليتَ شِعري هل أَبيتَنَّ ليلةً ... بجنبِ الغضا أُزْجي القِلاصَ النواجيا[٢]

الشعر لمالك بن الريب، والغناءُ لمعبد مما لا يشكُّ فيه من غنائه، خفيف ثقيل أول بالوُسطى في مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة من رواية عليّ بن يحيى، وفيه لابن سُرَيج هَزَج بالخِنصر في مجرى البنصر عن ابن المكيّ، وفيه لإبراهيم رَمل بالوسطى عن عبدالله بن موسى في الأول والثالث من الأبياتِ، ولإبراهيم ثقيل أول في الخامس ثم الرابع عن الهشاميّ، وقيل: إن الرّمَل المنسوب إليه لنبيه.



(١) هامتي: رأسي، جمعه هام.
(٢) النواجي: جمع ناجية بمعنى سريعة، ويقال أيضا: ناقة نجيبة.

[٢٢/٢٨٦]
١٦٣
١٩

/ أخبار مالك بن الريب ونسبه

اسمه ونسبه

هو مالك بن الريب بن حَوط بن قُرط[1] بن حِسْل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقوص بن مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم.

لص قاطع طريق

وكان شاعراً فاتكاً لصًّا، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة من شُعراءِ الإسلام في أول أيام بني أُمية.

الوالي يريد استصلاحه

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: أخبرنا أبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وعن هشام بن الكلبي وعن الفضل بن محمد وإسحاق بن الجصّاص وَحمّاد الراوية وكلُّهم قد حكى من خبره نحواً مما حكاه الآخرون قالوا:

استعمل معَاوية بن أبي سُفيان سعيدَ بنَ عثمان بن عفان عَلَى خراسان، فمضى[2] سعيد بجنده في طريق فارس، فلقيَه بها مالك بن الريب المازني، وكان من أجمل الناس وجهاً، وأحسنهم ثياباً فلما رآه سعيد أعجبه، وقال له: مالكَ، ويحَكَ تُفسد نفسَك بقطع الطريق! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبَث والفساد، وفيك هذا الفضل! قال: يدعوني إليه العَجز عن المعالي، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان، قال: فإن أنا أغنيتُك، واستصحبتك، أتكفُّ عما كنتَ تفعل؟ قال: إي والله أيها الأمير، أكفُّ كفًّا لم يكفَّ أحدٌ أحسنَ منهُ، قال: فاستصحبه، وأجرى له خَمسمائة دِرهم في كل شهر.

داود بن الحكم يتعقبه هو وأصحابه

قالوا:

[٢٢/٢٨٧] وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان / يقطع الطريق هو وأصحابٌ له، منهم شِظاظ - وهو مولى لبني تميم، وكان أخبثهم - وأبو حرْدَبَة، أحد بني أُثالة بن مازن، وَغويث، أحد بني كعب ابن مالك بن حنظلة، وفيهم يقول الراجز:

الله نجـاكَ مـن القصيـم[3] وبَطـنِ فَلْـج وبنـي تميـم

(١) في س، ب: «فرط» بالفاء تحريف.
(٢) في هد، هج: «فمر» بدل «فمضى».
(٣) القصيم: موضع يشقه طريق بطن فلج.

ومـــن بنـــي حـــرِدبـــة الأثيـــم ومـــالـــكٍ وسيفـــه المسمـــوم
وَمـــن شِظـــاظ الأحمـــرِ الـــزَّنيـــم[١] وَمـــن غـــويـــث فـــاتـــح العُكـــوم[٢]

فساموا[٣] الناسَ شرًّا، وطلبهم مروانُ بن الحكم، وهو عامل على المدينة، فهرَبوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحيّ، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم، فهربوا منه.

يتوعد من يتوعده

وبلغ مالكَ بنَ الريب أن الحارث بن حاطب يتوعده فقال:

تـــألّـــى حِلفـــةً فـــي غيـــر جُـــرْمٍ أميـــري حـــارث شبـــهُ الصّـــرار[٤]
علـــيّ لأجْلـــدَنْ فـــي غيـــرِ جُـــرم ولا أُدنـــي فينفعنـــي اعتـــذاري
وقلـــتُ وقـــد ضممـــتُ إلـــيَّ جـــأشِـــي تجلّـــلْ لا تـــألّ علـــيَّ جـــارِي
فـــإنـــي ســـوف يكفينيـــكَ عَـــزمـــي ونـــصُّ[٥] العيـــسَ بـــالبلـــد القفـــارِ
وعنـــسٌ[٦] ذات معجمـــةٍ[٧] أمـــونٌ[٨] علنـــداةٌ[٩] مـــوثَّقَـــة الفَقـــارِ
تَـــزيـــفُ[١٠] إذا تـــواهقـــتِ[١١] المطـــا يـــا كمـــا زاف المشـــرِّف للخِطـــار[١٢]
وإن ضـــربـــتْ بلَحييهـــا وعـــامـــتْ تفصّـــم[١٣] عنهمـــا حلـــقُ السِّفـــارِ[١٤]
مِـــراحـــاً غيـــر مـــا ضِغْـــنٍ ولكـــنْ لَجـــاجـــاً حيـــن تشتبـــهُ الصحـــاري
إذا مـــا استقبلـــتْ جَـــوْنـــاً بَهيمـــاً تفـــرّجَ عـــن مخيَّســـةٍ[١٥] حِضَـــار[١٦]

[٢٢/٢٨٨]

(١) الزنيم: الملحق بقوم ليس منهم ولا يحتاجون إليه.
(٢) العكوم: جمع عكم وهو الحمل (الربطة).
(٣) في هد، هج: «فأشعروا الناس» بدل «فساموا الناس».
(٤) الصرار: ما يشد فوق خلف الناقة من خيط.
(٥) نص العيس: إجهادي النوق على السير الشديد.
(٦) عنس: ناقة صلبة قوية.
(٧) ذات معجمة: ذات قوة وسمن وبقاء على السير.
(٨) أمون: موثقة الخلق مأمونة الكلال.
(٩) علنداة: ضخمة شديدة طويلة.
(١٠) تزيف: تسرع في تمايل.
(١١) تواهقت: تبارت وتنافست.
(١٢) المعين للسباق؛ وفي هد هج: «المسدد» بدل «المشرف».
(١٣) تفصم: تكسر من غير انفصال.
(١٤) السفار: حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير كالحكمة للفرس.
(١٥) مخيسة: مذللة منقادة.
(١٦) حضار: جمعت قوة وجودة سير.

١٦٤/١٩

/ إذا ما حال روض رُباب[١] دوني ... وتَثليث[٢] فشأنك بالبكاري
وأنياب سيُخلفهنّ سَيفي ... وشدّاتُ الكميّ عَلَى التِّجار[٣]
فإن أسطعْ أرِحْ منه أناسي ... بضربة فانك غيرِ اعتذار
وإن يُفلتْ فإني سوف أبغي ... بنيه بالمدينة أو صِرارِ[٤]

[٢٨٩/٢٢]

/ إلا من مبلغٌ مروانَ عني ... فإني ليسَ دهري بالفِرار
ولا جزِع من الحدَثانِ يوماً ... ولكني أرود لكم وبار

ـ وبار: أرض لم يطأ أحد ثراها ـ

بهزمار[٥] ترادُ العِيس فيهَا ... إذا أشفقنَ من قَلَق الصُّفارِ[٦]
وهنّ يحشْن[٧] بالأعناق حَوْشا ... كأن عظامهنَّ قِداحُ بارِ
كأنّ الرحل أسأرَ من قَراها[٨] ... هلالَ عشية بعد السِّرار[٩]
رأيتُ وقد أتى بُحرانُ دُوني[١٠] ... لليلى بالغُميمِ ضوء نارِ[١١]
إذا ما قلتُ: قد خمدَتْ زَهاها ... عُصيُّ الرند[١٢] والعصْف السواري[١٣]
يُشَبُّ وقودها ويلوحُ زَهْوا ... كما لاح الشَّبوب[١٤] من الصُّوار[١٥]
كأن النَّارَ إذ شُبَّتْ لليلى ... أضاءَتْ جيدَ مُغزلة[١٦] نَوارِ[١٧]

---

(١) رباب: أرض بين ديار بني عامر وبلحارث بن كعب.
(٢) تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة.
(٣) كذا في م، ا، ب، وأنياب: جمع ناب، وهي الناقة المسنة، وتجمع أيضا على نيب وفي «الشعر والشعراء»: و«كرات الكميت» بدل و«شدات الكمي».
(٤) صرار: ماء قرب المدينة على سمت العراق.
(٥) ليس فيما بين أيدينا من «المعاجم» اسم بلفظ هزمار أو ولعلها محرفة عن هرماس وهو موضع بالمعرة أو نهر نصيبين.
(٦) في جميع النسخ بالفاء، وهي حبة تلتصق بالضلوع فتعضها عند الجوع في زعم العرب ولعلها الصفار.
(٧) يحشن: يرمين.
(٨) أسأر: أبقى. والقرا: الظهر.
(٩) السرار: آخر الشهر وفي الكلام كناية عن التقوس والنحافة.
(١٠) في س وب: «نجدا ودوني»، وهو تحريف.
(١١) كذا في «معجم البلدان» بالغين والتصغير وهو ماء لبني سعد وفي س، ب: العميم.
(١٢) الرند: شجر طيب الرائحة يستعمل في البخور.
(١٣) العصف: جمع عصوف وهي الريح الشديدة وفي ب: «للعطف» وهو تحريف.
(١٤) الشبوب: الشاب من البقر.
(١٥) الصوار، كغراب وكلب: القطيع من البقر.
(١٦) مغزلة: ذات غزال.
(١٧) نوار: نفور.

/ وتصطادُ القلوبَ على مطاها[1] ... بلا جَعْدِ القرون ولا قِصارِ[2] [٢٢/ ٢٩٠]

وتبسم عن[3] نقيّ اللون عَذْبٍ ... كما شِيفَ[4] الأقاحي بالقطارِ

أتجزعُ أن عرفتَ ببطن قَوٍّ[5] ... وصحراء الأُدَيهم رسمَ دارِ

وإن حلَّ الخليطُ ولستَ فيهم ... مرابعَ[6] بين دخلَ إلى سَرارِ[7]

إذا حُلّوا بعائجةٍ خلاءً ... يُقطِّفُ نَورَ حَنْوتِها العذاري[8]

يقتل حارسه ويخلص صديقه

فبعث إليه الحارث رجلا من الأنصار فأخذه، وأخذ أبا حردبة، فبعث بأبي حردبة وتخلّف الأنصاري مع القوم الذين كان مالكٌ فيهم، وأمر غلاماً له، فجعلَ يسوق مالكاً. فتغفّلَ مالكٌ غلام الأنصاري، وعليه السيف، فانتزعه منه، وقتله به، وشدَّ على الأنصاريّ، فضربه بالسيفِ حتَّى قتله، وجعل يقتل من كان معه يميناً وشمَالاً.

ثم لحق بأبي حرْدبة، فتخلّصه[9]، وركِبَا إبلَ الأنصاري، وخرجا فراراً من ذلك هاربين، حتى أتيا البحرين، واجتمعَ إليهما أصحابُهما، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالكٌ، فلم يزل بفارس، حتى قَدِمَ عليه سعيد بن عثمان، فاستصحبه.



/ شعره في مهربه [٢٢/ ٢٩١]

فقال مالك في مهربه[10] ذلك:

أحقًّا على السلطان أمّا الذي لَهُ ... فيُعطى وأمّا ما يُرادُ فيمنعُ

إذا ما جعلتُ الرملَ بيني وبينَه ... وأعرض سَهبٌ بين يبرين بلقَعُ[11]

من الأُدمى[12] لا يستجمُّ بها القَطَا ... تكلُّ الرياحُ دونَه فتقطَّعُ

فشأنكم يا آل مروانَ فاطلبُوا ... سِقاطي[13] فما فيه لباغيه مَطمعُ

---

(١) كذا في النسخ ولعلها محرفة عن صفاها بمعنى قسوتها.
(٢) القرون الجعدة: القصيرة، والقرون: الضفائر، قصار: اسم من قصر، يريد بشعر: لا متجعد ولا مكفوف.
(٣) في ب، س: على، وهو تحريف يتكسر به الوزن.
(٤) شيف: جلي، ومنه درهم مشوف مجلو.
(٥) بطن قو: واد بين البصرة والمدنية وفي س، ب: قر.
(٦) مرابع: موضع قريب من حزن بني يربوع.
(٧) سرار: واد.
(٨) الحنوة: نبت طيب الريح.
(٩) في س: فخلصه.
(١٠) س: «مالك بن مهروبه». تحريف.
(١١) يبرين: قرية كثيرة النخل والعيون بحذاء الأحساء.
(١٢) الأدمى: موضع ببلاد سعد.
(١٣) سقاطي: عثاري وسقوطي.

وَما أنا كالغَيرِ المَقيمِ لأهلِهِ ... على القَيدِ في بُحبوحةِ الضيِّمِ يَرتَعُ

١٦٥/١٩ / ولولا رسولُ اللهِ أن كانَ منكمُ ... تبيَّنَ مَن بالنَّصفِ يَرضى ويقنعُ

وقال أيضاً:

لو كنتم تُنكِرونَ الغُدْرَ[1] قلتُ لكم ... يا آلَ مروانَ جاري منكمُ الحكمُ

وَأَتقكم يمينُ اللهِ ضاحيةً ... عندَ الشهودِ وَقد توفي بهِ الذممُ

لا كنتُ أحدثتُ سوءاً في إمارتكم ... وَلا الذي فاتَ مني قبلُ ينتقمُ

نحنُ الذينَ إذا خفتُم مجلِّلةً[2] ... قلتم لنا: إنّنا منكم لتَعتصِموا

حتى إذا انفرجَتْ عنكم دجُنَّتُها ... صرتم كجَرمٍ فلا إلٌّ[3] وَلا رَحِمُ

[٢٢/٢٩٢] / وَقال مالكٌ حين قتَلَ غلامَ الأنصاريّ الذي كان يقودُه:

غلامٌ يقولُ السيفُ يُثقِلُ عاتِقي ... إذا قادني وَسْطَ الرجالُ المجَحْدِلُ[4]

فلولا ذُبابُ السيفِ ظلَّ يقودُني ... بِنسعتِهِ[5] شَثْنُ[6] البنانِ حَزنْبَلُ[7]

أراد اغتيال مالك فاغتاله مالك وقال في ذلك شعراً

قالوا: وَبينا مالك بن الريب ذاتَ ليلة في بعض هناته وَهو نائم - وَكان لا ينام إلا متوشِّحًا بالسيف - إذ هو بشيء قد جَثَم عليه لا يدري ما هو، فانتفضَ به مالك، فسقط عنه، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسودُ كان يقطع الطريق في تلك الناحية، فقال مالك في ذلك:

أدلجتُ في مهمةٍ ما إن أرى أحداً ... حتى إذا حانَ تعريسٌ لمن نَزلا

وضعتُ جنبي وقلتُ: اللهُ يكلؤني ... مهما تنم عنكَ من عينٍ[8] فما غَفلا

والسيفُ بيني وبينَ الثوبِ مُشعِرَهُ[9] ... أخشى الحوادثَ إني لم أكن وَكِلا

ما نمتُ إلا قليلاً نمتُه شَتِزاً[10] ... حتى وجدتُ على جُثماني الثِّقلا

داهيةً من دواهي الليلِ بيّتني ... مُجاهداً[11] يبتغي نفسي وما ختَلا

---

(١) في س، ب: «الغدر».

(٢) مجللة: نازلة عامة.

(٣) إل: ذمة وعهد.

(٤) حجدل فلان فلانا: صرعه.

(٥) النسعة: قطعة من سير أو حبل من أدم تشد به الرحال.

(٦) شثن: غليظ.

(٧) حزنبل: قصير وثيق الخلق.

(٨) في هد، هج: «من ليل».

(٩) جاعله شعاري أو متصلا بي، وفي هج: «الأرض» بدل «الثوب».

(١٠) شتزاً: قلقا.

(١١) في هد، هج: «مجاهر»، وفي هج «قفلا» بدل «ختلا».

أهـويـتُ نفحـاً[1] لـه والليـل سـاتـرُه ... إلا تـوخيتُـه والجـرس فـانخـزَلا[2]

/ لمـا ثنـى اللهُ عنـي شـرَّ عَـدْوتـه ... رقـدت لا مُثْبتـاً ذُعْـراً ولا بَعِـلا[3] [٢٢/٢٩٣]

أمـا تـرى الـدار قَفـراً لا أنيـسَ بهـا ... إلا الـوحـوشَ وأمسـى أهلُهـا احتمَـلا

بيـن المُنيفـةِ[4] حيـث استـنَّ[5] مَـدفعُها[6] ... وبيـن فـردةَ[7] مـن وحشيُهـا قَبـلا[8]

وقـد تقـولُ ومـا تخفـي لجـارتهـا ... إنـي أرى مـالـكَ بـنَ الـريـب قـد نَحَـلا

مـن يشهـد الحـربَ يصلاهـا ويسعرُهـا ... تـراه ممـا كستـه شـاحبـاً وجِـلا

خـذهـا فـإنـي لضـرَّاب إذا اختلفـت ... أيـدي الـرجـال بضـرب يختِـلُ البطَـلا[9]

وقال مالك في ذلك أيضاً:

يـا عـامـلا[10] تحـتَ الظـلام مطيّـةً ... متخـايـلا لا بـلْ وغيـر مخـاتـلِ[11]

أنـيَّ أُنِخْـتُ لشـابـكٍ[12] أنيـابَـه ... مستـأنـس بـدُجـى الظـلام مُنـازلِ

لا يستـريـع عظيمـةً يُـرمـى بهـا ... حصباً[13] يحفز[14] عـن عظـام الكـاهـلِ

حـربـاً[15] تنصّبـه[16] بنبـت هـواجـر ... عـاري الأشـاجع[17] كـالحسـام النـاصِـل

/ لـم يـدر مـا غـرفُ القصـور وفيؤهـا ... طـاوٍ بنخـل سـودِاهـا المتمـايـلِ [٢٢/٢٩٤] <u>١٦٦</u> ١٩

يقـظ[18] الفـؤادِ إذا القلـوب تـآنسـت ... جـزعـاً[19] ونُبُّـه كـلُّ أروع بـاسـلِ

(١) نفحاً: ضربا.
(٢) انخزل: انقطع.
(٣) بعلا: دهشا فرقا، وفي هج «وجلا».
(٤) المنيفة: ماء لتميم على فلج بين نجد واليمامة.
(٥) استن: وضح.
(٦) مدفعها: مسيلها ومجراها.
(٧) فردة: جبل في ديار طيء.
(٨) قبلا: عيانا.
(٩) أي ينزع أعلى البيضة.
(١٠) في س، ب: «غاسلا».
(١١) صريح لا يخادع ولا يرائي.
(١٢) الأسد المشتبك الأنياب، وهذا كناية عن القوة، ويعني مالكا نفسه.
(١٣) حصبا: رميا.
(١٤) يحفز: يدفع من خلف.
(١٥) حربا: شديد الغضب.
(١٦) كذا في النسخ، ولعل تنصبه محرفة عن تنضيه بمعنى تستله من أقاصي الأمور العظيمة، أي يطلب منها.
(١٧) الأشاجع: رؤوس الأصابع، جمع أشجع.
(١٨) في س، ب: «يعظ».
(١٩) في س، ب: «جزعا ووثبة» تحريف.

حيث الدُّجى متطلِّعاً لغفوله ... كالذئب في غلَس الظلام الخاتِلِ
فوجدته ثَبْتَ الجنان مُشيَّعاً[١] ... ركّابَ مَنسِج كلِّ أمرٍ هائلِ
فقراك أبيض كالعقيقة[٢] صارماً ... ذا رَونقٍ يعني[٣] الضريبة فاصلِ
فركبتَ رَدعك[٤] بين ثِنْيي فائزٍ[٥] ... يعلو به أثر الدماءِ وشائلِ

رجل حرب لا سائس إبل

قال: وانطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خُراسان، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن، فطلبوا صاحب إبلهم، فلم يجدوه، فقال مالكٌ لغلام مِنْ غِلمان سعيد: أدْنِ مني فلانة - لناقة كانت لسعَيد عزيزة - فأدناها منه، فمسحها وَأبسَّ[٦] بها حتى درَّت، ثم حَلَبها، فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأغزره دِرَّة، فانطلق الغلام إلى سعيد، فأخبره، فقال سعيد لمالك: هل لك أن تقوم بأمر إبلي، فتكونَ فيها، وأُجزلَ لك الرزقَ إلى ما أرزقُك، وأضع عنك الغَزْو؟ فقال مالك في ذلك:

أنـي لأستحيي الفوارسَ أن أُرى ... بأرض العدا بوَّ المخاض الروائم[٧]
[٢٢/٢٩٥] / وإني لأستحيي إذا الحربُ شمَّرتْ ... أن ارْخِيَ[٨] دون الحرب ثوبَ المُسالم
وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ... ولا المتقي[٩] في السلم جَرَّ الجرائمِ
ولا المتأني في العواقب للذي ... أهمُّ به من فاتكاتِ العزائمِ
ولكنني مستوحدُ العزم مقدمٌ ... على غمرات الحادث المتفاقم[١٠]
قليلُ اختلاف الرأي في الحرب باسلٌ ... جميعُ الفؤاد عند حلِّ العظائمِ

فلما سمع ذلك منه سعيدُ بنُ عثمان، علم أنه ليس بصاحب إبل، وأنه صاحب حرب، فانطلق به معه.

مالك والذئب

قالوا: وبينما مالك بن الريب ليلةً نائم في بعض مفازاته إذ بيَّته ذئب، فزجره فلم يزدجر، فأعاد، فلم يبرح، فوثب إليه بالسيف، فضربه، فقتله، وقال مالك في ذلك:

---

(١) مشيعا: شجاعا.
(٢) العقيقة: البرقة المستطيلة في عرض السحاب يكثر استعارتها للسيف.
(٣) يعني: يقصد ويصيب وفي «مهذب الأغاني»: «يغشى».
(٤) الردع في الأصل: الزعفران، ويقال للقتيل: ركب ردعه إذا خر لوجهه على دمه.
(٥) المراد به السيف وثنيه اثناءه وربما كان المراد بين دم «فائر» وآخر سائل، ويكون قوله «فائز» تصحيف فائر بدليل قوله يعلو به أثر الدماء، فهذا لا يكون إلا في الفوارن.
(٦) أبس: مسح ضرعها.
(٧) الروائم: جمع رائم أو رائمة: عطوف على ولدها.
(٨) في س، ب «أرفض» وهو تحريف.
(٩) في س، ب: «الملقي».
(١٠) في هج: «على الحادث المستعظم المتفاهم».

أذئبَ الغضا قد صرتَ للناس ضُحكة ... تُغادى بك الركبانُ شرقاً إلى غرب
فأنت وإن كنتَ الجريءَ جنانُه ... مُنيتَ بضرغام من الأُسْد الغُلْبِ
بمن لا ينامُ الليلَ إلا وسيفُه ... رهينةُ أقوام سِراعٍ إلى الشَّغْب
ألم ترني يا ذئبُ إذا جئتَ طارقاً ... تخاتِلُني أني أمرؤ وافرُ اللُّبّ
زجرتك مراتٍ فلما غلبتَني ... ولم تنزجرْ نهنهتُ[1] غربَك بالضربِ
فصرت لَقًى لمّا علاك ابنُ حرَّة ... بأبيض قطّاع يُنَجّي من الكَرْبِ
ألا ربَّ يومِ ريبَ لو كنت شاهداً ... لهالك ذِكرى عند مَعمعمة[2] الحربِ
/ ولستَ ترى إلا كَمِيّاً مجدَّلاً ... يداه جميعاً تثبتانِ من التُّربِ[3] [٢٢/٢٩٦]
وآخر يهوي طائرَ القلبِ هارباً ... وكنتُ امرأً في الهيْج مجتمعَ القلبِ
أصولُ بذي الزرَّين[4] أمشي عِرضْنةً[5] ... إلى الموت والأقرانُ كالإبلِ الجُربِ
/ أرى الموت لا أنحاشُ عنه تكرّما ... ولو شئتُ لم أركَب على المركَب الصعب ١٦٧/١٩
ولكن أبتْ نفسي وكانت أبيَّةً ... تَقاعَسُ أو ينصاعَ قومٌ من الرعبِ

تتعلق به ابنته عند الفراق فقال في ذلك شعراً

قال أبو عبيدة: لما خرج مالكُ بنُ الريب مع سعيد بن عثمان تعلّقت ابنته بثوبه، وبكت، وقالت له: أخشى أن يطولَ سفرُكَ أو يحول الموتُ بيننا فلا نلتقي، فبكى وأنشأ يقول:

ولقد قلتُ لابنتي وهي تبكي ... بدخيلِ الهُموم قلباً كئيبا
وهي تُذري من الدموع على الخدّ ... ن من لوعة الفراقِ غُروبا
عَبَرات يكدن يجرحن ما جُز ... ن به أو يدعْنَ فيه نُدوبا
حذرَ الحتفِ أن يصيب أباها ... ويلاقي في غير أهلٍ شَعوبا[6]
اسكُتي قد حززتِ بالدمع قلبي ... طالما حزَّ دمعكُنَّ القلوبَا
فعسى اللهُ أن يدفعَ عنّي ... ريبَ ما تحذرين حتى أؤوبَا
ليس شيءٌ[7] يشاؤه ذُو المعالي ... بعزيزٍ عليه فادْعِي المُجيبا

---

(١) نهنهت: كففت.
(٢) ب، س: «معمة» وهو تحريف.
(٣) في هج: «تضنيان» بدل «تثبتان».
(٤) الزرين: الحدين.
(٥) عرضنة، أي أمشي بقوة.
(٦) شعوب: علم على المنية وقد يعرف بأل.
(٧) في س، ب: «شيئاً».

ودَعـي أن تُقَطِّعي الآن قَلْبي ... أَو تُـريني في رحلتي تَعذيبا

[٢٢/٢٩٧] / أنا في قبضةِ الإلـه إذا كُنْـ ... ـتُ بعيداً أو كنتُ منكِ قريبا

كم رأينا امرأً أتى من بعيد ... ومقيماً على الفراشِ أصيبا

فدعيني من انتحابِكِ إني ... لا أبالي إذا اعتزمتُ النَّحيبا

حسبيَ الله ثم قرّبتُ لِلسَّـ ... ـيرِ علاةً[1] أنجبْ بها مَركُوبا

يتشرد من أجل ضرطة

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال:

كان سببُ خروج مالك بن الريب إلى خُراسان واكتتابه مع سعيد بن عثمان، هَرباً من ضرطَةٍ، فسألته كيف كان ذلك؟ قال: مرّ مالك بلَيلى الأخيَليلة، فجلس إليها يحادثُها طويلا، وأنشدَها. فأقبلت عليه، وأُعجبتْ به حتى طَمع في وصلها، ثم إذا هو بفتىً قد جاء إليها، كأنه نصلُ سَيف، فجلس إليها، فأعرضتْ عن مالك وتهاونَتْ به، حتى كأنه عندها عُصفور، وأقبلت على صاحبها مليّا من نَهارها، فغاظهُ ذلكَ من فعلها، وأقبل على الرجل، فقال: من أنتَ؟ فقال: توبةُ بن الحُمَيِّر، فقال: هل لك في المصارعةِ؟ قال: وما دعاك إلى ذلك وأنت ضيفُنا وجارُنا؟ قال: لا بدَّ منه، فظنَّ أن ذلك لخوفهِ منه، فازداد لَجَاجًا، فقام توبةُ فصارعه، فلما سقط مالك إلى الأرض ضَرَطَ ضَرْطة هائلة، فضحكتْ ليلَى منه. واستحيا مالك، فاكتتب بخُراسان وقال: لا أقيم في بلد العرب أبداً، وقد تحدّثتْ عني بهذا الحديثِ، فلم يزل بخُراسان حتى مات، فقبره هناك معروف.

يتحدث مع أصحابه ويتذاكرون ماضيهم في السرقة

وقال المدائنيّ، وحدثني أبو الهيثم: قال:

اجتمع مالكُ بن الريب وأبو حَردبة وشِظاظ يوما، فقالوا: تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سَرِقتنا، فقال أبو حَردبة: أعجب ما صنعت، وأعَجبُ ما سرقت أني صحبت / رُفقةً فيها رجل على رَحْل، فأعجبني، فقلت [٢٢/٢٩٨] لصاحبي، والله لأسرقنّ رَحْلَه، ثم لا رضيتُ أو آخذَ عليه جُعالة، فرَمقته، حتى رأيتُه قد خَفَق برأسه، فأخذتُ بِخِطام جَمله، فقدته، وعَدَلْتُ به عن الطريق، حتى إذا صيّرتُه في مكان لا يغاثُ فيه / إن استغاث، أنخت البعيرَ [١٦٨/١٩] وصرعته، فأوثقت يدَه ورجلَه، وقدتُ الجمل، فغيّبتُه ثم رجعت إلى الرُّفقة، وقد فقدوا صاحبهم، فهم يسترجعون، فقلتُ: مالكُم؟ فقالوا: صاحبٌ لنا فقدناه، فقلتُ: أنا أعلم الناس بأثره، فجعلوا لي جُعَالة، فخرجت بهم أتبع الأثرَ، حتى وقفوا عليه، فقالوا: مالك؟ قال: لا أدري، نَعست، فانتبهتُ لخمسين فارساً قد أخذوني، فقاتلتهم، فغَلبُوني.

قال أبو حَردبة؛ فجعلت أضحَكُ من كذبه، وأعطوني جُعَالتي، وذهبوا بصاحبهم.

وأعجب ما سرقت أنه مرّ بي رجل معه ناقةٌ وجمل، وهو على الناقة، فقلت: لآخذنّهما جميعاً، فجعلت أعارضه وقد رأيتُه قد خفَق برأسه، فدرت، فأخذتُ الجملَ، فحللته، وسقته، فغيبتُه في القَصيم ـ وهو الموضع

---

(١) علاة: ناقة مشرفة.

الذي كانوا يسرقون فيه ـ ثم انتبه، فالتفت، فلم ير جملَه، فنزل وعقَلَ راحلته، ومضى في طلب الجمل، ودُرْت فحللت عِقال ناقته، وسقتُها.

فقالوا لأبي حَرِدَبَة: ويحك! فحتَّام تكون هكذا! قال: اسكتوا، فكأنكم بي وقد تبت، واشتريتُ فرسا، وخرجتُ مجاهداً، فبينا أنا واقف إذ جاءني سهمٌ كأنه قطعة رِشاء، فوقع في نحري، فمتُّ شهيداً. قال: فكان كذلك: تابَ، وقدِم البصرةَ، فاشترى فرسا، وغزا الروم، فأصابه سهم في نحره فاستُشهد.

ثم قالوا لِشظاظ: أخبرنا أنت بأعجب ما أخذتَ في لصوصيتك، ورأيت فيها، فقال: نعم كان فلانٌ (رجل من أهل البصرة) له بنتُ عم ذاتُ مال كثير، وهو وليُّها، وكانت له نِسوة، فأبت أن تتزوَّجَه، فحلف ألا يزوِّجها من أحد ضراراً لها، وكان / يخطبُها رجل غني من أهل البصرة، فحَرِصَت[1] عليه، وأبى الآخر أن يزوِّجَها منه، ثم إنّ وليّ [٢٢/٢٩٩] الأمر حجَّ، حتى إذا كان بالدوّ[2] ـ على مرحلة من البصرة حذاءها، قريب منه جبل يقال له سَنام، وهو منزل الرفاق إذا صدرتْ أو وردتْ ـ مات الوليّ، فدُفن برابية، وشُيّد على قبره، فتزوجت الرجلَ الذي كانَ يخطبها. قال شِظاظ:

وخرجت رُفقة من البصرة معهم بَزّ ومتاع، فتبصرتهم وما معهم وأتبعتُهم حتى نزلوا، فلما ناموا بيَّتُّهم، وأخذتُ من متاعهم. ثم إن القوم أخذُوني، وضربوني ضرباً شديداً، وجرّدوني ـ قال: وذلك في ليلة قَرَّة ـ وسلبوني كلَّ قليل وكثير، فتركوني عُريانا، وتماوتُّ لهم، وارتحل القومُ، فقلت: كيفَ أصنعُ؟ ثم ذكرت قبر الرجل، فأتيتُه، فنزعتُ لوحَه، ثم احتفرتُ فيه سَرَبا، فدخلت فيه، ثم سددتُ عليّ باللوح، وقلت: لعلي الآنَ أدفأ[3] فأتبعَهم. قال: ومرّ الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرُّفقة، فمرّ بالقبر الذي أنا فيه، فوقف عليه، وقال لرفيقه: والله لأنزلنَّ إلى قبر فلان، حتى أنظرَ هل يحمى الآنَ بُضعَ فلانة؟ قال شِظاظ: فعرفت صوتَه فقلعتُ اللوحَ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القَبر، وقلت: بلى وربِّ الكعبة لأحميَنَّها، فوقع والله على وَجْهِه مَغشيًّا عليه، لا يتحرّك ولا يعقل[4]. فسقط من يده خِطام الراحلة، فأخذت وعهد الله بخطامها[4] فجلستُ عليها، وعليها كلُّ أداة وثياب ونقد كان معه، ثم وجَّهتها قصدَ مطلع الشمس هارباً من الناس، فنجوتُ بها، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدِّثُ الناس بالبصرة، ويحلف لهم أن الميّت الذي كان منعَه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بَسلَبِه وكَفنه. فبقي يومه، ثم هرب منه، والناس يعجبون منه فعاقلُهم يكذّبه، والأحمقُ منهم يصدقه، وأنا أعرف القصةَ، فأضحَكُ منهم كالمتعجب.

[٢٢/٣٠٠]

/ مغامرة أخرى لشظاظ

قالوا: فزدنا، قال: / فأنا أزيدكم أعجَبَ من هذا وأحمقَ من هذا! إني لأمشي في الطريق أبتغي شيئاً أسْرِقه، ١٦٩/١٩ قال: فلا والله ما وجدتُ شيئاً، قال: وكان هناك شجرةٌ ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظِلٌّ غيرَها، وإذا أنا برجل يسيرُ على حمار له، فقلت له: أتسمعُ؟ قال: نعم، قلتُ: إن المقيل الذي تريد أن تقيله يُخسَفُ بالدوابّ فيه، فاحذره، فلم يلتفت إلى قولي. قال: ورمقتُه، حتى إذا نام أقبلتُ على حماره، فاستقتُه، حتى إذا برزت به، قطعتُ طَرف ذَنَبه وأذنيه، وأخذتُ الحمارَ، فخبأتُه وأبصرتُه حين استيقظ من نومه، فقام يطلب الحمارَ، ويقفوا أثرَه، فبينا

---

(١) في س: فخرجت.

(٢) أرض ملساء بين مكة والبصرة.

(٣) في هج: «لعلي الآن قد أفيق فألحقهم».

(٤ ـ ٤) تكملة من هد، هج.

هو كذلك إذ نظر إلى طَرَف ذَنَبه وأُذنيه، فقال: لعمري لقد حُذِّرتُ لو نفعني الحذر، واستمرّ هارباً خوف أن يُخسَف به، فأخذتُ جميع ما بقيَ من رحله فحملتُه على الحمار، واستمرّ فألحقُ بأهلي.

الحجاج يصلب شظاظ

قال أبو الهيثم: ثم صلب الحجاجُ رجلا من الشُّراة بالبصرة، وراح عشيًّا، لينظر إليه، فإذا برجل بإزائه مُقبل بوجهه عليه، فدنا منه، فسمعه يقول للمصلوب: طال ما ركبتَ فأَعقِبْ[1]، فقال الحجاج: من هذا؟ قالوا: هذا شِظاظٌ اللّص قال: لا جرَمَ! والله لَيُعقِبَنَّك، ثم وقف، وأمر بالمصلوب، فأُنزِل وصَلَبَ شِظاظا مكانَه.

مات مالك حتف أنفه

قال ابنُ الأعرابي:

مَرِض مالكُ بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خُراسان في طريقه؛ فلما أشرف على الموت تخلَّف معه مُرَّةُ الكاتب[2] ورجل آخرُ من قومه من بني تميم وهما اللذان يقولُ فيهما:

[٢٢/٣٠١] / أيـا صـاحبـيْ رَحْلِي دنا المـوتُ فـانـزلا ... بـــرابيـــة إنـــي مقيـــمٌ ليـــاليـــا

ومات في منزله ذلك، فدفناه، وقبرُه هناك معروف إلى الآن، وقال قبل موته قصيدته هذه يَرثي بها نفسَه.

قال أبو عبيدة: الذي قاله ثلاثة عشر بيتاً، والباقي منحول، ولَّدهُ الناس عليه.

[٢٢/٣٠٢]



صـوت

فمـــا بيضـــةٌ بـــات الظليـــمُ يحفُّهـــا ... ويـــرفـــعُ عنهـــا جُـــؤجُـــؤا مُتجـــافيـــا

بـأَحسـنَ منهـا يـوم قـالـتْ: أظـاعـنٌ[3] ... مـع الـرَّكـب أم ثـاوٍ لـدينـا ليـاليـا؟

وهبَّـــت شمـــالٌ آخـــر الليـــل قَـــرَّةٌ[4] ... ولا ثـــوب إلاّ بُـــرْدُهـــا وردائيـــا

ومـــا زال بُـــردى طيِّبـــا مـــن ثيـــابِهَـــا ... إلـى الحـولِ حتـى أنهَـجَ[5] الثـوبُ[6] بـاليـا

الشعر لعبد بني الحَسحاس، والغناء لابن سُريج في الأول والثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق، وفي الثالث والرابع لمُخارق خفيف ثقيل عمِله على صنعة إسحاق في:

* أماويَّ إن المال غادٍ ورائحُ *

وكادَه بذلك ليقال إن لحنه أخذه منه، وألقاه على عجوز عُمير، فألقته على الناس، حتى بلغ الرشيدَ خبره، ثم كشفه فعلم حقيقته، ومن لا يعلم ينسبه إلى غيره، وقد ذكر حبَشْ إنه لإبراهيم، وذكر غيره أنه لابن المكي.

وقد شرحت هذا الخبر في أخبار إسحاق.

(١) أي اترك عقبك ومن يخلفك.
(٢) في هد: «الكناني» بدل «الكاتب».
(٣) في رواية الديوان: «أراحل».
(٤) «رواية الديوان»: «وهبت لنا ريح الشمال بقرة» وروى أيضا: «وهبت شمالا آخر الليل قرة».
(٥) أنهج: خلق وَبلي.
(٦) في «الديوان»: «البرد» بدل «الثوب».

/ أخبار عبد بني الحسحاس

[٢٢/٣٠٣]
٢/٢٠

اسمه سُحَيم، وكان عبداً أسودَ نوبيًّا أعجميًّا مطبوعاً في الشعر، فاشتراه بنو الحَسحاس، وهم بطن من بني أسد، قال أبو عبيدة: الحَسحاسُ بن نُفاثة بن سَعيد بن عمرو بن مالك بن ثَعلبة بن دُودَان بن أسد بن خُزَيمة.

قال أبو عبيدة ـ فيما أخبرنا هاشمَ بن محمد الخُزاعيّ عن أبي حاتم عنه: كان عبدُ بني الحَسحاس عبداً أسودَ أعجميا، فكان إذا أنشد الشعر ـ استحسنَه أم استحسنَه غيرُه منه ـ يقول: أهشَنْتُ واللهِ ـ يريد أحسنتُ والله ـ وأدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم، ويقال: إنه تمثّل بكلمات من شعره غير موزونة.

يستشهد الرسول ببيت له

أخبرني محمد بن خَلف بن المرزُبان قال حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا الحسنُ بن موسى قال حدثنا حمّاد ابن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثَّل:

* كفى بالإسلام والشيبِ ناهيا *

فقال أبو بكر: يا رسولَ الله:

* كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا *

فجعلَ لا يطيقُه، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسولُ الله **﴿وما علّمناه الشعرَ وما ينبغي له﴾**.

قال محمد بن خلف وحدثني أحمدُ بن شداد عن أبي سلمة التَّبوذ كي عن حماد بن سلمة، عن رجل، عن الحسن مثله، وروي عن أبي بكر الهذليّ أن اسم عبد بني الحسحاس حَيَّة.

[٢٢/٣٠٤]

/ كان أسود الوجه

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: كان عبدُ بني الحسحاس حُلوَ الشعر رقيقَ الحواشي، وفي سواده يقول:

ومـا ضـرَّ أثـوابـي سـوادِي وإنَّنـي	لكـالمسـك لا يسلـو عـن المسـكِ ذائقـهْ
كُسِيـتُ قَميصـاً ذا سـواد وتحتَـه	قميـصٌ مـن القُـوهـيّ[1] بيـض بنـائقـهْ[2]

/ ـ ويروى: وتحته قميص من الإحسان ـ

٣/٢٠

(١) منسوب إلى قوهستان (كورة بين نيسابور وهراة) ويطلق القوهي على الثوب الأبيض، وإن لم يكن من نسيج قوهستان، ويريد سحيم هنا بياض سريرته وطهارة قلبه.

(٢) البنائق: جمع بنيقة أي ما يحيط بالعنق من الثوب.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن أبي خَيْثمة قال: أنشدني مُصعَب بن عبدالله الزبيريّ لعبد بني الحسحاس ـ وكان يستحسنُ هذا الشعرَ ويعجب به ـ قال:

أشعارُ عبدِ بني الحسحاس قُمْنَ له ... عند الفخارِ مَقامَ الأصلِ والوَرِقِ

إن كنتُ عبداً فنفسي حرّةٌ كَرَماً ... أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخُلُقِ

وقال الأثرم: حدثني السَّرِيُّ بنُ صالح بن أبي مِسهر قال: أخبرني بعضُ الأعراب، أن أول ما تكلم به عبدُ بني الحسحاس من الشعر أنهم أرسلوه رائداً فجاء وهُوَ يقول:

أنعتُ غيثاً حسناً نباتُه ... كالحَبَشيِّ حولَه بناتُه

فقالوا: شاعرٌ والله، ثم انطلق بالشعر بعد ذلك.

بيت له يستحسنه عمر

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد سُحيمٌ عمرَ بنَ الخطاب قوله:

عُميرة ودّعْ إن تجهّزتَ غاديا ... كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

[٣٠٥/٢٢] / فقال عمر: لو قلتَ شعرَك كلَّه مثلَ هذا لأعطيتُك عليه.

لا حاجة لعثمان به

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدثني خالي يوسف بن الماجَشُون قال:

كان عبدالله بن أبي رَبيعة عاملاً لعثمان بن عفان على الجند، فكتب إلى عثمانَ: إني قد اشتريتُ غلاماً حبَشيًا يقول الشعرَ، فكتب إليه عثمانُ: «لا حاجة لي إليه، فاردده، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعرِ منه، إن شَبِعَ أن يتشبّب بنسائهم، وإن جاع أن يهجوَهم»، فردَّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس.

وروى إبراهيم بن المنذِر الحزاميّ هذا الخبر عن ابن الماجَشون قال:

كان عبدُالله بن أبي ربيعة ـ مثل ما رواه الزبير ـ إلا أنه قال فيه: إن جاع هَرَّ، وإن شَبِع فَرَّ.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري عن الأَثرم عن أبي عبيدة. وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمَر قولَه:

تُوسِّدُني كفًّا وتَثْني بِمعْصَمٍ ... عليَّ وتحوي رِجلَهَا من ورائيا

فقال عمرُ: ويلَك إنَّك مقتول.

أخبرني محمد بن جعفر الصيلانيّ قال: حدثني أحمد بن القاسم قال: حدثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ، عن ابن أبي عائشة قال:

أنشد عبد بني الحسحاس عمرَ قوله:

* كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهياً *

[٣٠٦/٢٢]

/ الإسلام أولا

فقال له عمر: لو قدَّمتَ الإسلام على الشيب لأجزتك.

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز وحبيبُ بنُ نصر قالا: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثنا مَعاذُ بن مَعاذ وأبو عاصم عن ابن عون عن محمد بن سيف، أن عبد بني الحسحاس أنشد عمرَ هذا وذكر الحديث مثل الذي قبله.

كان قبيح الوجه

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا إسحاق بن محمد قال: حدثنا عبد الرحمن، ابن أخي الأصمعي عن عمه قال:

كان عبد بني الحسحاس قَبِيحَ الوجه، وفي قبحه يقول:

أتيــتُ نســاء الحــارثيِّيــن غُــدوةً ... بــوجــهٍ بَــرَاه اللهُ غيــرَ جَميــلِ

فشبَّهْنَنــي كلبًــا ولســتُ بِفــوقِــه ... ولا دونــه إن كــان غيــرَ قليــلِ

كان يشبب بنساء مواليه

/ أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلّام، قال: ٤/٢٠

أُتِي عثمانُ بن عفان بعبد بني الحسحاس ليشتريَه فأعجب به فقالوا: إنه شاعر: وأرادوا أن يرغّبوه فيه: فقال: لا حاجة لي به؛ إذ الشاعرُ لا حريم له، إن شبع تشبَّب بنساء أهله، وإن جاع هجاهم، فاشتراه غيرُه، فلما رحل قال في طريقه:

أشــوقــاً ولَمَّــا تمــضِ لــي غيــرُ ليلــة ... فكيــف إذا ســار المطــيُّ بنــا شَهْــرا؟[1]

ومــا كنــت أخشــى مــالكــاً أن يبيعَنــي ... بشــيء ولــو أمســتْ أنــامِلُــه صِفــرا

أخــوكــم ومــولَــى مــالِكــم وحليفُكــم ... ومــن قــد ثَــوى فيكــم وعــاشــركــمُ دَهْــرا[2]

فلما بلغهم شعرُه هذا رَثَوا له، فاستردّوه.

فكان يشببُ بنسائهم، حتى قالَ:

[٣٠٧/٢٢]

/ ولقــد تحــدَّرَ مــن كــريمــةِ بعضِكــم[3] ... عــرَقٌ علــى متــن[4] الفِــراش وطِيــبُ

قال: فقتلوه.

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجشون بمثل هذه الرواية وزاد فيها:

(١) في هج، هد: «عشرا» بدل «شهرا».
(٢) في هج: «أخوكم ومولاكم وكاتم سركم».
(٣) في «الديوان»: «فلقد تحدر من جبين فتاتكم».
(٤) في «الديوان»: «على ظهر».

فلما استردّوه نَشِب يقولُ الشعر في نسائهم، فأخبرني من رآه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر ويشبّب بأخت مولاه وكانت عَليلَة، ويقول:

مـاذا يـريـدُ السقـامُ مـن قمـرٍ ... كـلُّ جَمـالٍ لـوجهـه تَبَـعُ!

مـا يَـرْتجـى خـاب مـن محـاسِنها ... آمَـا لَـهُ فـي القِبـاح مُتَّسَـعُ!

غيَّـر مـن لـونهـا وصفـرهـا ... فـزيـدَ[1] فيـه الجمـال والبِـدَعُ

لـو كـان يبغـي الفـداءَ قلـتُ لـه: ... هـا أنـا دونَ الحبيـبِ يـا وجـعُ

أخبرني محمد بنِ خَلَف قال: حدثنا أبو بكر العامريّ، عن عليّ بن المغيرة الأثْرَم قال: قال أبو عبيدة:

الذي تناهى إلينا من حديث سُحيم عبدِ بني الحسحاس أنه جالسَ نِسوة من بني صُبَيْر بن يربوع، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب وشِدّة المغالبة على إبداء المحاسن، فقال سُحَيم:

كـأن الصُّبيـريّـاتِ يـومَ لقيتَنـا ... ظبـاءٌ حنَـتْ أعنـاقَهـا[2] فـي المكـانِسِ

فكـم قـد شَققنـا مـن رداء مُنَيَّـرٍ[3] ... ومـن بـرقـعٍ عـن طَفلـة غيـرِ نـاعـسِ

[٣٠٨/٢٢] / إذا شُقَّ بـردٌ شُـقَّ بـالبـرد بُـرقُـعٌ[4] ... علـى ذاك[5] حتـى كلُّنـا غيـرُ لابـسِ

فيقال: إنه لما قال هذا الشعرَ أتّهمه مولاه، فجلس له في مكان كان إذا رَعى نام فيه، فلما اضطجع تنفَّس الصُّعَداء، ثم قال:

يـا ذِكـرةً مـالـكَ فـي الحـاضـرِ ... تـذكُـرُهـا وأنـتَ فـي الصـادرِ

مـن كـل بيضـاءَ لهـا كَفَـلٌ[6] ... مثـلُ سنـامِ البكـرة المـائـرِ

قال: فظهر سيّدُه من الموضع الذي كان فيه كامنا، وقال له: مالَكَ؟ فلجلَج في منطقه، فاستراب به، فأجمعَ على قتله، فلما وردَ الماءَ خرجت إليه صاحبتُه، فحادثته، وأخبرته بما يرادُ به، فقام ينفض ثوبَه ويُعفي أثره، ويلقُط رضًا من[7] مَسَكِها[8] كان كَسرَها في لِعبه معها، وأنشأ يقول:

صوت

٥/٢٠ / أتكتُـم حييتُـم علـى النـأي تُكْتَمـا ... تحيـةَ مـن أمسـى بحبِّـكِ مُغـرَمـا

---

(١) في س، ب: «فازتد».

(٢) كذا في «الديوان» وفي س، ب: «حنت أعناقهم المكانس» وفيه الأقواء حينئذ.

(٣) كذا في «الديوان» وفي س، ب: «مزنر»، ومعنى منير: له نير، أي علم الثوب.

(٤) في س، ب: «نيط بالبرد برقع».

(٥) في «الديوان»: «دواليك» وبهذه الرواية يستشهد النحويون في باب المصدر الموضوع موضع الحال المثنى المضاف إلى ضمير المخاطب.

(٦) في «الديوان»: «كعثب» وما هنا أعلى.

(٧) رضا: كسرا.

(٨) مسكها: من سوارها أو خلخالها.

ومـــا تُكتَميــــن إن أتيـــتِ دَنِيَّـــةً ... ولا إن ركبنـــا يـــابنـــةَ القـــوم مَحْـــرمـــا

ومثلِـكِ قـد أبـرزتُ مـن خِـدرِ أمهـا ... إلـى مجلـسٍ تجـرُّ بُـرداً مسَهمـا[1]

الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل، قال:

ومـــاشيـــةٍ مَشْـــيَ القطـــاة اتَّبعتُهـــا ... مـن الستـرِ تخشـى أهلَهـا أن تَكلَّمـا

/ فقـالـتْ: صـهٍ يـا ويـحَ غيـرك إنّنـي ... سمعـت حـديثـاً بينهـم يقْطُـر الـدَّمـا [٢٢/٣٠٩]

فنفضـتُ ثـوبيهـا ونَظّـرت حـولهـا ... ولـم أخـشَ هـذا الليـلَ أن يتصـرّمـا

أُعفّـي بـآثـار الثيـابِ مبيتَهـا ... وألقـط رضًّـا مـن وقـوف[2] تحطَّمـا

قال: وغدوا به ليقتلوه، فلما رأته امرأة كانت بينها وبينه مودّةٌ ثم فسدت، ضحكت به شماتةً فنظر إليها وقال:

فـإن تضحكـي منـي فيـا رُبَّ ليلـةٍ ... تـركتُـكِ فيهـا كـالقَبَـاء المفـرَّجِ

فلما قدّم ليقتل قال:

شُـدُّوا وثَـاقَ العبـد لا يُفْلِتكُـم ... إن الحيـاةَ مـن الممـات قـريـبُ

فلقـد تحـدَّر مـن جبيـن فَتـاتِكـم ... عَـرَقٌ علـى مَتْـنِ الفـراش وَطِيـبُ

يحرق في أخدود

قال: وقُدِّم فقُتِل. وذكر ابن دَأب أنه حُفِر له أُخدود، وأُلقِيَ فيه، وأُلقِيَ عليه الحطَبُ فأُحرِق.

أصابهن كلهن إلا واحدة

أخبرني محمدُ بنُ مَزيد بن أبي الأزهَر قال: حدثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليِّ قال:

كان عبدُ بني الحسحاس يسمّى حيّة، وكان لسيّده بنتٌ بِكر، فأعجبها، فأمرته أن يتمارضَ، ففعل وعصب رأسه. فقالت للشيخ: أسرِحْ أيها الرجُل إبلكَ، ولا تِكلْها إلى العبد، فكان فيها أياما، ثم قال له: كيف تجدُكَ؟ قال: صالحاً، قال: فَرُحْ في إبلك العشيّة، فراح فيها، فقالتِ الجاريةُ لأبيها: ما أحسِبُك إلا قد ضيَّعتَ إبلك العشيةَ، أن وَكلْتها إلى حيّة، فخرج في آثار إبله فوجده مستلقيا في ظل شجرةٍ، وهو يقول:

/ يـا رُبَّ شجـوٍ لـك فـي الحـاضـر ... تـذْكُـرهـا وأنـتَ فـي الصـادر [٢٢/٣١٠]

مـن كـل حمـراءَ جُمَـاليَّـةٍ[3] ... طيِّبـةِ القـادم والآخـر

فقال الشيخ: إن لهذا لشأنا، وانصرف، ولم يُرِه وجهَه. وأتى أهل الماء، وقال لهم: تعَلَّموا والله أن هذا العبدَ قد فضحنا، وأخبرهم الخبر، وأنشدهم ما قال، فقالوا: اقتله، فنحنُ طوعُك، فلما جاءهم وثبوا عليه، فقالوا له:

---

(١) مسهما: فيه صورة السهم.

(٢) وقوف: جمع وقف أي، سوار من ذبل أو عاج.

(٣) جمالية: جميلة.

قلتَ وفعلتَ، فقال: دعوني إلى غد حتى أَعْذِرَهَا[1] عند أهل الماء، فقالوا: إن هذا صواب فتركوه، فلما كان الغد اجتمعوا فنادى: يَا أهل الماء، ما فيكم امرأةٌ إلا قد أصبتُها إلا فلانةَ فإني على موعد منها فأخذوه فقتلوه.

ومما يغنّى فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس، وقال: إن من الناس من يرويها لغيره:

تجمَّعْنَ من شتَّى ثلاثا وأربعا ... وواحدةً حتى كَمَلْنَ ثَمانيا

وأقبلن من أقصى الخيام يَعُدْنَني ... بقيَّة ما أبقينَ نَصلا يمانيا

/ يعُدْن مريضا هنَّ قد هجن داءَهُ ... ألا إنما بعضُ العوائدِ دائيا

٦/٢٠

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأول، والذي ابتداؤه «تجمعنَ من شتى ثلاث» لبنَان.

والذي أوله «وأقبلن من أقصى الخيام». ذكر الهشامي أنهُ لإسحاق وليس يشبه صَنعتَه ولا أدري لمن هو؟

مخارق يكيد لإسحاق

أخبرني جحظة عن ابن حمدون أن مخارقا عملَ لحناً في هذا الشعر:

وَهَبَّتْ شمالا آخرَ الليل قَرَّةً ... ولا ثوبَ إلا بردُها ورِدائيا

على عمل صنعة إسحاق في:

[٣١١/٢٢]

/ * أماويَّ إن المال غاد ورائح *

ليكيد به إسحاق، وألقاه على عجوز عُمَيرِ الباذ غيسى، وقال لها: إذا سئلتِ عنه فقولي: أخذتُه من عجوزٍ مدنية، ودار الصوت حتى غُنِّيَ به الخليفة، فقال لإسحاق: ويلك أخذتَ لحنَ هذا الصوتِ تُغنّيه[2] كلَّه، فحلف له بكل يمين يرضاه أنه لم يفعَلْ وتضمَّن له كشفَ القصة، ثم أقبل على مَنْ غنَّاهم الصوتَ فقال: عمّن أخذتَه؟ فقال: عن فلان، فلقيه، فسأله عمن أخذه فَعَرفه، ولم يزل يكشف عن القصة، حتى انتهت من كل وجه إلى عَجوز عميرٍ، فسئلت عن ذلك، فقالت: أخذتُه عن عجوز مدنية، فدخل إسحاق على عُمَير، فحلف له بالطلاق والعِتاق وكلِّ مُحرِج من الأيمان ألاّ يكلمَه أبدا ولا يدخل داره ولا يترك كيدَه وعداوتَه أو يُصْدِقَه عن حال هذا الصوت وقصتِه، فصدَقه عُمير عن القصة، فحدَّث بها الواثق بحضرة عمير ومُخارق، فلم يكن مُخارقا دفعُ ذلك، وخجل خجلاً بان فيه، وبطل ما أراده بإسحاق.

[٣١٢/٢٢]

/ **صوت**

ثلاثةُ أبيات فبيتٌ أحبُّه ... وبيتان ليسا من هوايَ ولا شَكلي

ألا أيها البيتُ الذي حيلَ دونَه ... بنا أنتَ من بيتٍ وأهلُكَ من أهلِ

الشعر لجميل، والغناء لإسحاق ماخوري بالبِنصر من جامع أغانيه، وفيه رَمَل مجهول ذكره حَبَش لعُلَوية ولم أجد طريقته.

(١) أعذرها: أثبت لها عذرا.

(٢) س، ب «بعينه» بدل «تغنيه».

/ متمم العبدي والجويرية

[٢٢/٣١٣]

أخبرني الحسين بن يحيى المراديّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدثني متمم العبديّ قال:

خرجت من مكة زائراً لقبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإني لَبِسُوق الْجُحْفَةِ[١] إذا جُوَيرية تسوقُ بعيراً، وتترنّم بصوت مليح طيّب حُلْو في هذا الشعر:

ألا أيهــا البيــتُ الــذي حِيــل دونــه ... بنــا أنــت مــن بيــتٍ وأهلُــكَ مــن أهــل

بنــا أنــت مــن بيــت وحــولــك لَــذَّةٌ ... وظِلُّــكَ لــو يُسْطــاعُ بــالبــارد السهــل

ثــلاثــة أبيــات فبيــتٌ أحِبُّــه ... وبيتــان ليسَــا مــن هــواي ولا شكلــي

فقلت: لمن هذا الشعر يا جُويرية؟ قالت: أما ترى تلك الكُوَّة الموفّاةَ بالكِلَّة الحمراء؟ قلت: أراها، قالت: من هناكَ نهض هذا الشعرُ، قلت: أو قائله في الأحياء؟ قالت: هيهات، لو أنَّ لميّت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك، فأعجبني فصاحةُ لسانها ورقةُ ألفاظها، فقلت لها: أَلَكِ أبوان؟ فقالت: فقدت خيرَهما وأجلَّهما، ولي أم، قلت: وأين أُمُّكِ؟ قالت: منك بمرأى ومسمع، قال: فإذا امرأة تبيعُ الخَرَزَ على ظهر الطريق بالجُحْفَة، فأتيتُها، فقلتُ: يا أُمَّتاه، استمعي مني، / فقالتْ لها: يا أُمَّهْ، فاستَمعي من عمّي ما يلقيه إليكِ، فقالتْ: حيَّاكِ الله، هيه، هل من جائِيةِ خبر[٢]؟ قلتُ: أهذه ابنتُك؟ قالت: كذا كان يقول أبوها، قلتُ: أفتزوّجينها؟ قالت: أَلِعلّة رغبتَ فيها؟ فما هيَ والله مَنْ عندها جمالٌ، ولا لَها مال، قلتُ: لحلاوة لسانها وحُسن عقلِها، فقالت: أيُّنا أملَكُ بها؟ أنا أمْ هي بنفسها؟ قلت: بل هي بنفسها، قالت: فإياها فخاطِبْ، فقلت: لعلها أن تستحيَ من الجواب في مثل هذا، فقالت: ما ذاكَ عندها، أنا أخبر / بها، فقلتُ: يا جارية، أما تستمعين ما تقول أُمُّكِ؟ قالت: قد سمعت، [٢٢/٣١٤] قلت: فما عندكِ؟ قالت: أوليس حسبك أن قلت: إني أستحي من الجواب في مثل هذا، فإن كنتُ أستحي في شيء فلِمَ أفعلُه؟ أتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطكَ، لا واللهِ لا يشُدُّ عليّ رجل حِواءه وأنا أجدُ مَذْقَة[٣] لبن أو بقلةً ألين بها مِعَاي، قال: فورد والله عليَّ أعجبُ كلام على وجه الأرض، فقلتُ: أو أتزوجكِ والإذنُ فيه إليكِ، وأعطي اللهَ عهداً أني لا أقربكِ أبداً إلا عن إرادتكِ؟ قالت: إذا والله لا تكون لي في هذا إرادةٌ أبداً، ولا بعد الأبد إن كان بَعْده بَعْد، فقلت: فقد رضيتُ بذلك، فتزوّجتها، وحملتها وأمّها معي إلى العراق، وأقامت معي نحواً من ثلاثينَ سنة ما ضممتُ عليها حِواى قطُّ، وكانت قد عَلِقتْ من أغاني المدينة أصواتا كثيرة، فكانت ربما ترنَّمت بها، فأَشتهيها،

---

(١) الجحفة: قرية كانت على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل وهي ميقات أهل مصر والشام.

(٢) تريد خبرا يجوب البلاد متنقلا.

(٣) مذقة: لبن مخلوط بالماء.

فقلت: دَعيني من أغانيكِ هذه فإنها تبعثُني على الدنُوِّ منك. قال: فما سمعتها رَافِعةً صوتها بغناء بعد ذلك، حتى فارقَتِ الدنيا، وإن أمها عندي حتى الساعة، فقلت: ما أدري متى دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديث هذه.

[٣١٥/٢٢]

/ صـوت

أيهـــا النـــاسُ إن رأيـــي يُـــريـنـــي ـ وهـــو الـــرأيُ ـ طـــوفَـــةً فـــي الـــبلاد

بـــالعـــوالـــي وبـــالقنـــابـــل تَـــرْدى[1] بـــالبطـــاريـــق[2] مِشيـــةَ العُـــوّاد

وبجيـــش عـــرمـــرَمٍ عـــربـــيٍّ جَحْفَـــل يستجيـــبُ صـــوتَ المنـــادي

مـــن تميـــم وخنـــدِفٍ وإيـــاد والبهـــالِيـــلِ حِمْيـــرٍ ومُـــراد

فـــإذا ســـرتُ ســـارت النـــاسُ خَلفـــي ومَعـــي كـــالجبـــالِ فـــي كـــلِّ واد

سَقِّنـــي ثـــم ســـقِّ حميـــرَ قـــومـــي كـــأسَ خمـــرٍ أُولـــى النُّهـــي والعِمـــاد

الشعر لحسَّان بن تُبَّع، والغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه.



(١) تردى: تسرع، والمصدر الرديان والردى.

(٢) البطاريق: جمع بطريق: قائد الروم، تحت إمرته عشرة آلاف رجل.

/ أخبار حسان بن تبع

[٢٢/٣١٦]

هو طوافة في البلاد

أخبرني بخبر حسّان الذي من أجله قال هذا الشعر عليّ بن سليمان الأخفش عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ. وعن أبي عبيدة وأبي عمرو، وابن الكلبي وغيرهم، قال:

كان حسَّانُ بن تُبَّع أحوَلَ أعسَر[١]، بعيدَ الهمّة شديدَ البطش، فدخل إليه يوما وجوهُ قومه - وهم الأقيالُ مِنْ حِمير - فلما أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم:

أيهـــا النـــاسُ إن رأيـــي يُـــريني ... وهْـــوَ الـــرأي طـــوفـــةً فـــي البـــلاد

بـــالعـــوالـــي وبـــالقنـــابـــل تَـــرْدى ... بـــالبطـــاريـــقِ مِشيـــةَ العُـــوّاد

/ وذكر الأبيات التي مضت آنفاً، ثم قال لهم: استعدّوا لذلك، فلم يراجعه أحد لهيبته، فلما كان بعد ثلاثة ٨/٢٠ خرج، وتبعه الناسُ، حتى وطىءَ أرض العَجم، وقال: لأبلغَنّ من البلاد حيث لم يبلُغ أحدٌ من التبابعة، فجال بهم في أرض خُراسان، ثم مضى إلى المغرب، حتى بلغ رُومية[٢]، وخلف عليها ابنَ عم له، وأقبل إلى أرض العراق، حتى إذا صار على شاطىء الفُراتِ، قالت وجوهُ حِمير: ما لنا نُفني أعمارَنا مع هذا! نطوفُ في الأرض كلّها، ونفرّق بيننا وبين بلدنا وأولادِنا وعيالنا وأموالنا! فلا ندري من نُخْلفُ عليهم بعدَنا!

فكلّموا أخاه عَمْراً، وقالوا له: كلّم أخاكَ في الرجوع إلى بلده، ومُلكه. قال: هو أعسرُ من ذلك وأنكر[٣]، فقالوا: فاقتلْه، ونملّكُك علينا، فأنت أحقُّ / بالملك من أخيك، وأنت أعقل وأحسنُ نظراً لقومك، فقال: أخاف [٢٢/٣١٧] ألَّا تفعلوا، وأكونُ قد قتلتُ أخي، وخَرج الملك عن يدي، فواثقوه، حتى ثَلج[٤] إلى قولهم، وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلُّهم إلا ذا رُعيْن، فإنه خالفهم، وقال: ليس هذا برأي، يذهب المُلْكَ من حِمير. فشجَّعه الباقون على قتل أخيه، فقال ذو رعين: إن قتلَته باد ملكُك.

فلما رأى ذو رعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومةٍ، فقال: يا عمرو: إني مستودِعكَ هذا الكتاب، فضعه عندك في مكان حَريز، وكتب فيه:

ألا مَـــنْ يشتـــري سهـــراً بنـــوم ... سعيـــد مَـــنْ يبيـــتُ قَـــريـــرَ عَيـــنِ

(١) أعسر: يعمل بيده اليسرى.

(٢) روميه: مدينة بالمدائن بنيت وسميت باسم أحد الملوك.

(٣) في هج: «وأنكد» بدل «وأنكر».

(٤) ثلج إلى قولهم: استراح.

فـإن تـكُ حِميـرٌ غَـدَرَتْ وخـانـتْ فمعـذرةُ الإلـهِ لـذي رُعيـن

قتله أخوه فامتنع منه النوم

ثم إن عَمْرا أتى حسَّانَ أخاه وهو نائم على فراشِه، فقتله، واستولى على مُلكه. فلم يبارَكْ فيه، وسلّط الله عليه السهرَ، وامتنع منه النومُ، فسأل الأطباء والكهَّان والعُيَّاف، فقال له كاهن منهم: إنه ما قتل أخاه رجل قطُّ إلا مُنع نومَه، فقال عمرو: هؤلاء رؤساءِ حِمير حملوني على قتله ليرجعوا إلى بلادهم، ولم ينظروا إليَّ ولا لأخي.

فجعل يقتل من أشار عليه منهم بقتله، فقتلهم رجلاً رجلاً، حتى خَلَص إلى ذي رُعين وأيقنَ بالشرّ، فقال له ذو رعين: ألم تعلم أني أعلمتك ما في قتله، ونهيتك وبيّنت هذا؟ قال: وفيم هو؟ قال: في الكتاب الذي استودعتُك.

فدعا بالكتاب، فلم يجدْه، فقال ذو رعين: ذهب دمي على أخْذي بالحزم، فصرت كمن أشار بالخطأ، ثم سأل الملك أن يُنعم في طلبه، ففعل، فأتى به فقرأه، فإذا فيه البيتان، فلما قرأهما قال: لقد أخذتَ بالحزم، قال: إني خشيت ما رأيتك صنعتَ بأصحابي.

٢٢/٣١٨ / **ذو شناتر وذو نواس**

قال: وتشتَّت أمرُ حِمير حِينَ قُتِل أشرافُها، واختلفت عليه، حتى وثب على عمرو لُخَيعةُ يَنوف[1]، ولم يكن من أهل بيت المملكة، فقتله، واستولى على ملكه، وكان يقال له ذو شَناتر[2] الحميريّ، وكان فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، وكان يبعثُ إلى أولاد الملوك فيلوط بهم، وكانت حِمير إذا ليطَ بالغلام لم تملّكه، وَلم ترتفع به، وَكانت له مَشرَبَة[3]، يكون فيها يشرف على حرسه، فإذا أتِيَ بالغلام أخرج رأسه إليهم وفي فيه السواكُ، فيقطعون مشافر ناقة المنكوح وذنبها، فإذا خرجَ صيح به: أرطْبٌ أم يباس[4]؟ فمكث بذلك زمانا.

حتى نشأ زُرعةُ ذو نواس، وكانت له ذُؤابة، وبها سمي ذا نُواس - وهو الذي تهوَّد، وتسمى يوسف، وهو صاحب الأخدود بنَجران، وَكانوا نصارى، فخوَّفهم، وحرقَ الإنجيلَ، وهدَّم / الكنائس، ومن أجله غزت الحبشةُ اليمن، لأنهم نَصَارى، فلما غلبوا على اليمن اعترض البحرَ، وَاقتَحمه على فرس فغَرِق -

فلما نشأ ذو نواس قيل له: كأنك وَقد فُعِل بكَ كذا وَكذا، فأخذ سِكّيناً لطيفاً خفيفاً وسمَّه، وجعل له غلافاً، فلما دعا به لخيعة جعله بين أخمصه ونعله، وَأتاه على ناقة له يقال لها: سرابٌ، فأناخها، وصعِدَ إليه، فلما قام يجامعه كما كان يفعلُ انحنى زُرعة، فأخذ السكين فوَجأ بها بطنَه، فقتله، وَأحتزّ رأسه، فجعل السواك في فيه، وأطلعه من الكُوّة، فرفع الحرسُ رؤوسهم، فرأوه، / ونزل زُرعةُ، فصاحوا: زُرعةُ ياذا نواس، أرطب أم يباس؟ ٢٢/٣١٩ فقال: ستعلم الأحراس، استُ ذي نُواس، رَطب أم يباس؟ وجاءَ إلى ناقته، فركبَهَا، فلما رأى الحرس اطّلاع الرأس صعدوا إليه، فإذا هو قد قتل. فأتوا زُرعة، فقالوا: ما ينبغي أن يملِكنا غيرُك بعد أن أرحْتنا من هذا الفاسق، واجتمعتْ حميرٌ إليه، ثم كان مِنْ قصّته ما ذكرناه آنفاً.

(١) كذا في اللسان والجمهرة وهو مأخوذ من اللخع، وهو استرخاء اللحم وينوف من نلف الشيء إذا طال وارتفع.
(٢) شناتر: أصابع بلغة حمير.
(٣) مشربة: غرفة مرتفعة.
(٤) يباس: يابس أو يبيس.

[٢٢/ ٣٢٠]

صوت

يـا ربـةَ البيـتِ قـومـي غيـرَ صـاغـرةٍ ضُمـيّ إليـكِ رحـالَ القـوم والقُـرُبـا(١)
فـي ليلـة مِـنْ جُمـادي ذاتِ أنـديـةٍ لا يُبصـر الكلـبُ مـن ظلمـائهـا الطُّنُبـا(٢)
لا ينبـحُ الكلـبُ فيهـا غَيـر واحـدةٍ حتـى يَلُـفَّ علـى خيشـومـه الـذَّنبـا

الشعر لمُرّة بنَ محكان السّعديّ، والغناءُ لابن سُريج، رَمَل بالوسطى، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو، وذكر حَبَش أن فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوُسطى، والله أعلم.



(١) القرب: جمع قراب ككتاب وهو غمد السيف.
(٢) الطنب: الحبل الطويل يشد به السرادق وجمعه أطناب.

[٢٢/٣٢١]

/ أخبار مرة بن محكان

اسمه ونسبه

هُو مُرَّة بن مَحكان ولم يقع إلينا باقي نسبه، أحدُ بني سعد بن زيد مناة بن تَميم. شاعر مُقِلّ إسلاميّ من شُعراء الدَّولة الأموية، وكان في عصر جرير والفرزدق، فأَخملا ذكره، لنباهتهما في الشعر.

وكان مُرَّة شريفاً جَوداً وهو أحد من حُبِس في المناحَرةِ والإطعام.

ينحر مائة بعير

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز، عن المدائني، قال:

كان مُرَّة بن مَحكان سخيًّا، وكان أبو البكراء يوائمهُ في الشرف، وهما جميعاً من بني الرُّبيع، فأنهب مُرَّةُ بنُ محكان مالَهُ الناسَ، فحبسَه عبيدالله[1] بن زياد، فقال في ذلك الأبيرِد الرِّياحي:

حبسـتَ كـريمـاً أن يجـودَ بمـالـه ... سعـى فـي ثـأى[2] مـن قـومـه متفـاقِـم

كـأنّ دمـاءَ القـوم إذ عَلقـوا بـه ... علـى مكفَهِـرٍّ مـن ثنـايـا المخـارم[3]

فـإن أنـتَ عـاقبـت ابـن مَحكـان فـي النـدى ... فعـاقـب هـداك الله أعظَـمَ حَـاتِـم

قال: فأطلقه عُبيد الله بن زياد، فذبحَ أبو البكراءَ مائة شاة، فنَحرَ مُرَّة بن محكان مائة بعير، فقال بعضُ شعراء بني تميم يمدح مُرّة:

[٢٢/٣٢٢]

/ شـرى مـائـةً فـأنهبـهـا جـواداً ... وأنـت تنـاهـب الحـذَف القِهـادَا

ـ الحذف: صغار الغنم. القهاد: البيض ـ

أخبرني أحمدُ بنُ محمد الأسديّ أبو الحسن، قال: حدثنا الرياشيّ قال: سئل أبو عبيدة عن معنى قول مُرّة بن مَحكان:

* ضمّي إليك رحالَ القوم والقُرُبا *

---

(١) كذا «بالأغاني» في ترجمة الأبيرد الرياحي جزء ١٢ ص ١٤، ومثله في «الأمالي» جزء ٣ ص ١٧٧، وفي النسخ «زياد»، والصواب عبيدالله لقول الأبيرد:

فـأبلـغ عبيـدالله عنـي رسـالـة ... رسـالـة قـاض بـالحكـومـة عـالـم

(٢) كذا في ف، و«الأمالي» جزء ٣ ص ١٧٧. والثأي: الفساد.

(٣) المخارم: جمع مخرم، وهو أنف الجبل.

ما الفائدة / في هذا؟ فقال: كان الضيفُ إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضموا إليهم رَحْله، وبقي سِلاحُه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات، فقال مُرّة بن محكان يخاطب امرأته: ضمِّي إليكِ رحال هؤلاء الضِّيفَان وسلاحهَم، فإنهم عندي في عزّ وأمْن من الغارات والبيَات، فليسوا ممّن يحتاجُ أن يبيتَ لابساً سلاحه. ١٠/٢٠

مصعب بن الزبير يقتله

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس، قال: كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه رجلٌ من بني تميم - يقال له مُرّة بن مَحكان - رجلاً، فلمّا أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مُرّةَ بنُ مَحكان يقول:

أَحــارِ تثبّــتْ فــي القَضــاء فــإنــه ... إذا مـا إمـامٌ جـار فـي الحكـم أقصَـدا[1]

وإنـكَ مـوقـوف علـى الحكـم فـاحتفـظْ ... ومهمـا تصبْـه اليـومَ تُـدرِكْ بـه غـداً

فـإنـيَ مِمّـا أدرِكُ الأمـرَ بـالأنـى[2] ... وأقطـع فـي رأس الأميـر المُهنّـدا



(١) أقصد: أصاب في المقتل أو قتله مكانه.

(٢) في هد، هج: «نانيا»، وقد تكون محرفة عن «آنيا». والأني: الحلم.

[٢٢/٣٢٣]

/ أخبار عليّ بن عبدالله بن جعفر ونسبه

اسمه ونسبه

هو عليُّ بنَ عبدالله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه وَلّادة بنت الحَجَل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أُمية:

شاعر ظريف حجازي، كان عمر بن الفرج الرُّخّجي حمله من الحجاز إلى سُرَّ من رأى مع مَنْ حمل مِن الطالبيّين فحبَسَه المتوكل معهم.

يحبسه المتوكل

حدثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقي قال: حدثنا عمر بن عثمان الزُّهري المعروف بابن أبي قُباجَة قال:

رفع عمر بن الفرج عليّ بن عبدالله بن جعفر الجعفريّ إلى المتوكل أيام حَجّ المنتصر، فحبسه المتوكل لأنه كان شيخَ القوم وكبيرَهم، وكان أغلظ لعُمَر بن الفرج.

يتديث في شعره

قال[1] عليّ بن عبدالله: مكثت في الحبس مدة، فدخل عليَّ رجل من الكتّاب يوما فقال: أريد هذا الجعفري الذي تديَّث في شِعره فقلت له: إليّ فأنا هو، فعدل إليّ وقال: جعلت فداك! أحبّ / أن تنشدني بيتيك اللذين تديّثت فيهما، فأنشدته: ١٤٢/١٩

ولمـا بـدَا لـي أنهـا لا تـودُّنِـي ... وأن هـواهـا لـيـس عنـي بمُنجَـلِ

تمنّيـتُ أن تهـوى سـواي لعلّهـا ... تـذوقُ حـراراتِ الهـوى فتـرقَّ لـي

قال: فكتبهما، ثم قال لي: اسمع ـ جعلتُ فداك ـ بيتين قلتهما في الغيْرة، فقلت: هاتِهما فأنشدني:

ربمـا سـرَّنـي صـدودُك عنّـي ... فـي طـلابيـكِ وامتنـاعـكِ منّـي

حـذراً أن أكـونَ مِفتـاحَ غيـري ... فـإذا مـا خلـوت كنـت التَّمَنّـي

[٢٢/٣٢٤] / فقام القرشي، فقبَّلَ رأسه، فقال له: فدتك نفسي وأهلي، لو لم أقدُم مكة لعمرة ولا لِبرّ وتقوى، ثم قدمتُ إليها لأراك وأسمع منك لكان ذلكَ قليلاً. ثم انصرف.

وحدثني بعض مشايخ الكتّاب أنه دخل على أبي العُبيس بن حَمدون يومًا، فسأله أن يُقِيم عنده فأقام، وأتاهم

---

(١) وردت رواية هذا الخبر في بعض النسخ هكذا «قال: وكان علي بن عبدالله مكث في الحبس مدة فدخل عليه رجل من الكتاب يوما، فقال: أريد هذا الجعفري الذي تديث في شعره، فقلت.. الخ».

أبو العُبَيس بالطعام، فأكلوا، ثم قُدِّم الشراب فشَرِبوا، وغنّاهم أبو العُبَيس يومئذ هذا الصَوتَ:

ألا مُتَّ لا أعطيتَ صبراً وعزمةً غداة رأيتَ الحيَّ للبين غاديا
ولم تعتصرْ عيناك فكهةُ مازحٍ كأنك قد أبدعتَ إذ ظلْتَ باكيا

فأحسن ما شاء، ثم ضرب ستارتَه وقال:

* يا ربةَ البيتِ غَني غير صاغرة *

فاندفعت عِرفانُ، فغنت:

يا ربةَ البيت قومي غيرَ صاغرة ضُمِّي إليك رِحالَ القوم والقُرُبا

قال: فما سمعت غناءً قط أحسن مما سمعتُه من غنائهما يومئذ.

نسبة هذا الصوت

صوت

ألا متَّ لا أُعطِيتَ صبراً وعزمةً غداة رأيتَ الحيّ للبين غاديا
ولم تعتصر عيناك فَكهةُ مازحٍ كأنك قد أبدعتَ إذ ظلتَ باكيا
فصيّرتَ دمعاً أن بكيتَ تَلَدُّداً به لفراقِ الألف كفؤاً مُوازيا
لقد جَلَّ قدر الدمع عندكَ أنْ ترى بكاءك للبين المُشِتِّ مُساويا

/ الشعر لأعرابيّ أنشدناه الحرميُّ بن أبي العلاء، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري عن إسحاق الموصليّ الأعرابيّ. [٢٢/٢٥]

قال الدينَاريّ: وكان إسحاق كثيراً ما يُنشد الشعر للأعراب[١]، وهو قائله وأظن هذا الشعر له، والغناء لعمرو ابن بانة ثقيل أول بالبنصر من كتابه.

[٢٢/٢٦]

/ صوت

فإن تكُ من شيبانَ أمّي فإنني لأبيضُ من عجل عريض المَفارقِ
وكيف بذكرى أمّ هارون بعدما خبطنَ بأيديهنّ رملَ الشقائقِ
كأنّ نَقَا من عالج[٢] أُزِّرَتْ به إذا الرُّل ألهاهنّ شَدُّ المناطقِ
وإنا لتَغلِي في الشِّتاءِ قدورُنا ونصبر[٣] تحت اللامعات الخوافِقِ

عروضه من الطويل الشعر للعُدَيل بن الفَرخ العِجْليّ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه، عن يونس وإسحاق، وفيه لهشام بن المرّيَّة لحن من كتاب إبراهيم، وفيه لسنان الكاتب ثقيل أول عن الهشامي وحَبَش، وقال حبش خاصة: فيه للهذلي أيضاً ثاني ثقيل بالوسطى.

---

(١) كذا في ف وفي س، ب: للاعرابي.
(٢) عالج: رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيىء.
(٣) في ف: «ونضرب».

[٢٢/٣٢٧]

/ أخبار العديل ونسبه

اسمه ونسبه

العُدَيل بن الفَرخ بن مَعن بن الأسود بن عمرو بن عَوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سُمَي[١] بن الحارث - وهو العُكابة[٢] - بن ربيعة بن عِجل بن لُجيم بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعميّ بن جديلَة بن أسد بن ربيعة بن نِزار.

وقال أبو عبيدة: كان العُكابة اسمَ كلب للحارث بن ربيعة بن عِجل، فلقب باسم كلبه، وغَلَب عليه. قال: وكان عِجل من مُحمّقي العرب، قيل له: إن لكل فَرسٍ جوادٍ اسماً وإن فرسَك هذا سابق جواد، فسمِّه، ففقأ إحدى عينيه وقال: قد سمّيته الأعور، وفيه يقول الشاعر:

رمتْني بَنو عجل بداء أبيهمُ ... وهل أحدٌ في الناس أحمقُ من عجل؟
أليس أبوهمْ عار عينَ جَواده ... فصارتْ به الأمثالُ تضرب بالجهل[٣]

هو ودابغ

والعُدَيل شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية، وكان له ثمانيةُ إخوة، وأمهم جميعاً امرأة من بني شيبان، ومنهم من كان شاعراً فارساً: أسود وسوادة وشَملة - وقيل سلمة - والحارث، وكان / يقال لأمهم درماء. ١٢/٢٠

وكان للعُدَيل وإخوته ابنُ عم يسمى عَمْرًا، فتزوج بنت عم لهم بغير أمرهم، فغضبوا ورصدوه ليضربوه، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغاً، فوثب العُديلُ وإخوتُه، / فأخذوا سُيوفَهم، فقالت أمهم: إني أعوذ بالله من شرّكم، فقال لها ابنها الأسود: وأيَّ شيء تخافينَ علينا؟ فوالله لو حملنا بأسيافنا على هذا الحِنْو حِنو قُراقِر[٤] لما قاموا لنا[٥] فانطلقوا حتى لقوا عَمْرًا، فلما رآهم ذُعِر منهم وناشدهم، فأبوا، فحمل عليه سَوادة فضرب عَمْرًا ضربة بالسيف، وضربه عمرو فقطع رِجله فقال سوادة: [٢٢/٣٢٨]

ألا من يشتري رِجلا برِجْل ... تأبَّى للقيام فلا تقوم

وقال عمرو لدابغ: اضربْ وأنت حرّ، فحمل دابغ، فقتل منهم رجلا، وحمل عمرو، فقتل آخر، وتداولاهم،

(١) كذا في «جمهرة أنساب العرب» وفي س، ب «شتى» وفي هج: «ابن سيار».
(٢) كذا في «جمهرة الأنساب»، وفي هد، س، ب: «العباب».
(٣) في هد، هج: «فسارت به الأمثال في الناس بالجهل».
(٤) قراقر: موضع حول ذي قار.
(٥) ف: «لما قام لنا».

فقتلا منهم أَربعةً، وضُرب العُدَيل على رأسِه، ثم تفرّقوا، وهربَ دابغ، حتى أتى الشأم، فداوى ربضةُ بن النعمان الشيبانيّ للعُديل ضربتَه، ومكث مدة.

ثم خرج العُدَيل بعد ذلك حاجّا، فقيل له إن دابغاً قد جاء حاجّا، وهو يرتحل، فيأخذُ طريقَ الشأم، وقد اكترى. فجعل العُديلُ عليه الرصدَ، حتى إذا خرج دابغ ركب العديلُ راحلتَه وهو متلثّم، وانطلق يتبعه، حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العُدَيل ويقول:

يـا دارَ سلمـى أقفـرتْ مـن ذي قـارْ ... وهـل بـإقفـارِ الـديـارِ مـن عـارْ
وقـد كسيـنَ عـرَقـاً مثـلَ القـارْ ... يخـرجْـن مـن تحـتِ خـلالِ الأوبـارْ[1]

فلحقه العُدَيل، فحبس عليه بعيرَهُ، وهو لا يعرفه، ويسيرُ رُويداً، ودابغ يمشي رُويداً، وتقدمت إبلُه فذهبت، وإنما يريدُ أن يباعده عنها بوادي حُنَين، ثم قال له العُدَيل: والله لقد استرخى حَقَبُ[2] رَحلي، أنزِلْ فأغيِّر الرحْلَ، وتُعينُني. فنزل فغيَّر / الرَّحْلَ، وجعل دابغٌ يُعينه، حتى إذا شدّ الرَّحْلَ أخرج العُديلُ السيف، فضربه حتى بَرَدَ، ثم [٢٢/٣٢٩] ركب راحلتَه فنجا، وأنشأ يقول:

ألـم تـرنـي جللـتُ بـالسيـف دَابغـا ... وإن كـان ثـأرًا لـم يُصبـه غليلـي
بـوادي حنيـنٍ ليلـةَ البـدر رعتُـه ... بـأبيـض مـن مـاء الحَـديـد صَقِيـل
وقلـت لهـم: هـذا الطـريـقُ أمـامكـم ... ولـم أكُ[3] إذ صـاروا لَهـم بـدَليـل

جرثومة العنزي يعير العديل

وقال أبو اليقظان: كان العُديلُ هجا جرثومة العَنزيَ الجِلاّنيّ[4] فقال فيه:

أُهـاجـي بنـي جِـلاَّن إذ لـم يكـنْ لهـا ... حـديـثٌ ولا فـي الأوليـن قـديـم

فأجابه جرثومة فقال:

وإنّ امـرأ يهجـو الكـرام ولـم ينَـل ... مـن الثـأر إلا دابغـاً للئيـمُ
أتطلُـب فـي جِـلاَّن وتـرًا تـرومُـه ... وفـاتـك بـالأوتـار شَـرٌّ غـريـمِ[5]

العديل يهرب من الحجاج

قالوا: واستعدى مولًى دابغ على العُديل الحجاجَ بن يوسُف، وطالبه بالقَوَد فيه، فهرب العُديلُ من الحجاج إلى بلد الروم، فلما صار إلى بلد الروم لجأ إلى قيصرٍ، فأمَّنه، فقال في الحجاج:

أُخَـوَّفُ بـالحجـاج حتَّـى كـأنمـا ... يُحـرَّكُ عظـم فـي الفـؤاد مَهيـضُ

---

(١) في هج: «ظلال» بدل «خلال»، والشعر من السريع، ساكن الروى.
(٢) الحقب كسبب: الحزام يلي حقو البعير.
(٣) في س، ب: «ولم آل»، وفي بعض النسخ «ساروا» بدل «صاروا».
(٤) في س، م: «الجلان» وهو تحريف.
(٥) في البيت أقواء.

ودون يــد الحجــاج مــن أن تنــالَنــي بِســاط[1] لأيـدي النـاعجـات عَـريـض[2]
مهــامِــهُ أشبــاه كــأن سَــرابَهــا مُـلاءٌ بـأيـدي الـراحضـات رَحيـض[3]

[٢٢/٣٣٠] / فبلغ شعرهُ الحجاج، فكتب إلى قيصر: لتبعثَنّ به أو لأُغزينّك جَيشاً يكون أوله عندك وآخره عندي، فبعَث به قيصر إلى الحجاج، فقال له الحجّاج لما أدخل عليه: أأنت القائل:

ودون يد الحجاج من أن تنالني... فكيف رأيتَ اللهَ أمكَن منك؟ قال: بل أنا القائل أيها الأميرُ:

فلـو كنـتُ فـي سلمـى أجّـا وشعـابِهـا لكــان لحجّــاج علــيّ سبيــلُ
خليــلُ أميــرِ المــؤمنيــن وسيفُــه لكــلِّ إِمــام مُصطَفًّــى وخليــلُ
بَنَــى قُبَّــةَ الإســلام حتــى كــأنَّمــا هَـدَى النـاسَ مـن بعـد الضـلالِ رسـولُ

فخلّى سبيله، وتحمل دِيَةَ دابغ في ماله.

الحجاج يعفو عن العديل

أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن منصور بن عَطية الغنويّ قال: أخبرني جعفر بن عبيدالله بن جعفر عن أبي عثمان البُقطُريّ[4] قال:

خرج العُديلَ بن الفَرخ يريد الحجاج، فلما صار ببابه حجبه الحاجبُ، فوثب عليه العُديلُ، وقال: إنه لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريش أكبرُ مني ولا أولى بهذا الباب، فنازعه الحاجبُ الكلامَ، فأحفظه، وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيدَ بن المهلب، فلما دخل إليه أنشأ يقول:

لئــن أرتــج الحجــاجُ بــالبخــل بـابَـه فبــاب الفتــى الأزديّ[5] بــالعُــرف يُفتــحُ
فتًــى لا يبــالــي الــدهــرَ مــا قــلَّ مــالُــه إذا جعلــتْ أيــدي المكــارم تسنَــحُ
يــداه يــدٌ بــالعــرف تُنهـبُ مــا حــوت وأخــرى علــى الأعــداء تَسطــو وتجــرحُ
[٢٢/٣٣١] / اذا مــا أتــاه المــرمِلــون[6] تيقَّنــوا بــأنّ الغِنَــى فيهــم وَشيكــاً سَيســرَحُ
أقــام علــى العــافيــن حُــرَّاسَ بــابِــه يُنــادونهــم وَالحُــرُّ بــالحــرّ يَفــرحُ
هلمــوا إلــى سَيْــبِ الأميــر وَعُــرفــه فــإنّ عطــايــاه علــى النــاس تَنْفَــحُ
وليــس كعِلــجٍ مــن ثمــودَ بكَفِّــه مــن الجــودِ وَالمعــروف حَـزم مطـوَّح[7]

(١) بساط: أرض منبسطة مستوية.
(٢) الناعجات: السريعات.
(٣) الراحضات: الغاسلات، والرحيض: المغسول وفي هج: الغاسلات.
(٤) نسبة إلى بقطر: موضع بصعيد مصر على شاطىء مدينة قفط شرقي النيل.
(٥) يقصد بالفتى الأزدي يزيد بن المهلب.
(٦) المرملون: من نفد زادهم.
(٧) في س، ب «مطرح».

فقال له يَزِيدُ: عرَّضْتَ بنا وَخاطَرْتَ بدمك، وَباللهِ لا يصلُ إليك وَأنت في حيِّزي، فأمر له بخمسين ألف درهم، وحمله[1] على أفراس، وَقال له: الحق بعلياء نَجد، واحذر أن تعلقك حبائلُ الحجاج أو تحتجنك محاجِنُه[2]، وابعث إليَّ في كل عام، فلك عليّ مثلُ هذا، فارتحل. وبلغ الحجاجَ خَبرُه، فأحفظه ذلك على يزيد، وطلب العُديلَ، ففاته، وقال لما نجا:

ودونَ يـــد الحجـــاج مـــن أن تنـــالَنـــي ... بســـاطٌ لأيـــدي النـــاعجـــاتِ عـــريـــضُ

قال: ثم ظَفِر به الحجاج بعد ذلك، فقال: إيه، أنشدني قولَكَ:

* ودون يد الحجاج من أن تنالني *

فقال: لم أقل هذا أيها الأمير، ولكني قلت:

إذا ذُكـــر الحجـــاجُ أضمـــرتُ خِيفـــة ... لهـــا بيـــن أحنـــاء الضلـــوع نَفيـــضُ

فتبسم الحجاجُ، وقال: أولى لك! وعفا عنه، وفرضَ له.

سادات بكر يشفعون له عند الحجاج

وقال أبو عمرو الشيبَاني: لما لجَّ الحجاج في طلب العُدَيل لفظته الأرض، ونبَا به كلُّ مكان هربَ إليه، فأتى بكرَ بنَ وائل، وهم يومئذٍ بَادُون جميعٌ، منهم بَنو شيبان / وبَنو عجل وبَنو يشكُر، فشكا إليهم أمرَه، وقال لهم: أنا مقتول، / أفتُسلمونني، هكذا وأنتم أعزُّ العرب؟ قالوا: لا واللهِ، ولكنّ الحجّاجَ لا يُراغَ، ونحن نستوهِبُك منه، فإن أجابنا فقد كُفِيتَ، وأن حادَّنا في أمرك منعنَاكَ، وسألنا أمير المؤمنين أن يَهبكَ لنا. فأقام فيهم، وَاجتمعتْ وجوه بكرِ ابن وَائل إلى الحجَّاج، فقالوا له: أيها الأميرُ، إنا قد جِئناك جميعاً عليك جناية لا يُغفرُ مثلُها، وها نحن قد استسلمنا، وألقينا بأيدينا إليك، فإمّا وهبتَ فأهلُ ذلك أنت، وإمَّا عاقبتَ، فكنتَ المسلَّطَ الملك العادل. فتبسَّم، وقال: قد عفوْت عن كل جرم إلا جُرْمَ الفاسق العُديل، فقاموا على أرجلهم، فقالوا: مثلُك أيها الأميرُ لا يَستثني على أهل طاعته وأوليائه في شيء فإن رأيتَ ألاّ تكدَّ رمِنّك باستثناء، وأن تهبَ لنا العُديل في أولِ من تهَبْ! قال: قد فعلت فهاتوه قَبَّحه الله، فأتوه به، فلما مَثَل بين يديه أنشأ يقولُ:

[٢٢/ ٣٣٢] [١٤/ ٢٠]

فلـــو كنـــتُ فـــي سلمـــى أجـــاً وشعـــابِهـــا ... لكـــان لحجَّـــاجٍ علـــيَّ دليـــلُ

بنـــي قُبـــةِ الإســـلامِ حتـــى كـــأنَّمـــا ... هَـــدى النـــاسَ مـــن بعـــد الضـــلال رســـولُ

إذا جـــار حُكْـــم النَّـــاس ألجـــأ حكمَـــه ... إلـــى الله قـــاض بـــالكتـــاب عقـــولُ

خليـــلُ أميـــر المـــؤمنيـــن وسيفُـــه ... لكـــل إمـــام صـــاحـــبٌ وخليـــل

بـــه نصـــرَ اللهُ الخليفـــةَ منهـــمُ ... وثبّـــتَ مُلكـــا كـــادَ عنـــه يَـــزول

ـ ويروى: به نَصرَ اللهُ الإمامَ عليهم ـ

فـــأنـــت كسيـــفِ اللهِ فـــي الأرض خـــالـــد ... تصـــولُ بعـــونِ الله حيـــن تصـــولُ

(١) في س، ب «وأمر له».
(٢) محاجنه: عصيه المعوجة التي يختجن الناس بها كالخطاطيف.

وجـازيـتَ أصحـابَ البـلاء بـلاءَهـم ... فمَنـا منهـمُ عمَّـا تُحِـبُّ نُكـولُ
وصُلتَ بمـرَّان[1] العـراقِ فـأصحبتْ ... منـاكِبُهـا للـوطء وهـي ذَلـولُ
[٢٢/٣٣٣] / ـ[2]أقـام الـواحـد مقـامَ الجمـع ... فـي قـولـه: ذلـول[2]ـ
أذقـت الحِمَـامَ ابنـي عُبَـادٍ فـأصبحـوا ... بمنـزل مـوهـونِ الجَنـاح ثكـولِ[3]
ومـن قَطَـريٍّ نلـتَ ذاك وحـولـه ... كتـائـبُ مـن رجَّـالـة وخُيـولُ
إذا مـا أتـت بـابَ ابـنِ يـوسُـف نـاقتـي ... أتـتْ خيـرَ منـزول بـه ونَـزيـلِ[4]
ومـا خفـتُ شيئـاً غيـرَ ربِّـي وحـدَه ... إذا مـا انتحيـتُ النفـسَ كيـفَ أقـولُ؟
تـرى الثقليـنِ الجـنّ والأنـسَ أصبحـا ... علـى طـاعـة الحجَّـاج حيـنَ يقـولُ[5]

فقال له الحجَّاجُ: أولى لك فقد نجوتَ! وفرض له، وأعطاه عطاءه، فقال يمدح سائر قبائلَ وائل، ويذكر دفعَها عنه، ويفتخرُ بها:

صَـرمَ الغـوانـي واستـراح عـواذلـي ... وصحـوتُ بعـد صَبـابـة وتمـايُـلِ
وذكـرت يـوم لـوى عتيـقٍ نسـوةً ... يخطِـرْن بيـن أكِلَّـةٍ[6] ومـراحـلِ[7] (٧)
لعـب النعيـمُ بهـنّ فـي أظـلالـه ... حتـى لبِسـنَ زمـانَ عيـش غـافـلِ

صوت

يـأخـذنْ زينتهُـنّ أحسـنَ مـا تـرى ... وإذا عَطِلـن فهـنَّ غيـرُ عـواطـلِ
وإذا خبـأن خـدودَهـنّ أريْنَنـا ... حـدَقَ المهـا وأخَـذْنَ سهـم القـاتـلِ
[٢٢/٣٣٤] / ورمينَنـي لاَ يستتـرن بجُنـة ... إلا الصِّبـا وعَلِمْـن أيـن مَقـاتلـي
١٥/٢٠ / يلبَسـن أرديـةَ الشبـاب لأهلِهَـا ... ويجـرُّ بـاطلُهـنَّ حبـلَ البـاطـلِ

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لابن سُريج ثاني ثقيل بالوُسطي من رواية يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه من منحول يَحيى المكي إلى ابن سُريج.

بيـضُ الأنُـوق[8] كـأنّهـنّ[9]، ومـن يُـرِدْ ... بَيْـضَ الأنـوق فـوكـرُهـا بمعـاقـلِ

---

(١) مران العراق: قرية كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع لبني هلال وهي على طريق البصرة.
(٢ ـ ٢) تكلمة من هد، هج.
(٣) في البيت إقواء.
(٤) في البيت إقواء أيضا.
(٥) في س، ب: «يصول».
(٦) أكلة: جمع إكليل بعد حذف همزته، كدليل وأدلة.
(٧) مراحل: ثياب فيها صور الرحال.
(٨) الأنوق: العقاب، ويقال: أعز من بيض الأنوق لأنها تحرزه في أوكارها في القلل الصعبة فلا يكاد أحد يظفر به.
(٩) في س، ب: «يكسرهن» وهو تحريف.

زعم الغواني أن جهلك قد صحا — وسوادَ رأسك فضلُ شَيبٍ شاملِ[1]
ورآك أهلُك منهم ورأيتَهم — ولقد تكونُ مع الشباب الخاذل
وإذا تطاولتِ الجبالُ رأيتَنا — بفروع أرعَنَ... فوقها مُتطاولِ
وإذا سألتَ ابنَيْ نزارٍ بيَّنا — مَجدي ومنزلتي من ابنَيْ وائلِ
حدِبَتْ بنو بكرٍ عليَّ وفيهمُ — كلُّ المكارمِ والعديدِ الكاملِ
خطَروا ورائي بالقنا وتجمَّعتْ — منهم قبائلُ أُردِفوا[2] بقبائلِ
إن الفوارسَ من لُجَيمٍ[3] لم تزَلْ — فيهم مهابةُ كلِّ أبيضَ ناعلِ
متعمِّمٍ بالتاج يسجدُ حولَه — مِنَ آلِ هَوذةَ[4] للمكارم حاملِ
أو رهطِ[5] حنظلةَ الذين رماحُهمْ — سُمُّ الفوارس حتفُ موتٍ عاجلِ
/ قومٌ إذا شَهَروا السيوفَ رأوا لها — حقًّا ولم يكُ سَلُّها للباطلِ [٢٢/٣٣٥]
ولئن فخرْتُ بهم لمثلِ قديمهم — بَسَطَ المُفاخرُ للِّسانِ القائلِ
أولاد ثعلبةَ[6] الذين لمِثلِهم — حِلْمُ الحليمِ وردُّ جهلِ الجاهلِ
ولَمَجْدُ يشكُرَ[7] سَورةٌ عاديَّةٌ — وأبٌ إذا ذكروه ليس بخاملِ
وبنو القُدارِ اذا عددْتَ صنيعَهم — وضح القديمُ لهم بكلِّ محافلِ
وإذا فخرْتَ بتغلبَ ابنةِ وائلٍ — فاذكُرْ مكارمَ من ندًى وشمائلِ[8]
ولتغلبَ الغلباءِ عِزٌّ بيِّنٌ — عاديَّةٌ[9] ويزيدُ فوقَ الكاهلِ
تسطو على النُّعمانِ وابنِ محرِّقٍ[10] — وابنَيْ قَطامِ بعِزَّةٍ وتناوُلِ
بالمقرباتِ[11] يبِتْنَ حولَ رحالِهم — كالقِدِّ بعد أجلّةٍ وصواهلِ
أولاد أعوجَ[12] والصريحِ[13] كأنَّها — عِقبانُ يومِ دُجُنَّةٍ ومخايلِ[14]

---

(١) في هج «وقشا برأسك» بدل «وسواد رأسك». (٢) في ت «أردفت». (٣) لجيم بن صعب بن وائل.
(٤) هو هوذة بن علي وفد على كسرى وقاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ.
(٥) من بني عجل بن لجم.
(٦) هو ثعلبة بن حنظلة.
(٧) يشكر بن بكر بن وائل.
(٨) في س، ب: «أوائل».
(٩) في هج: «أحلام ثوت» بدل «عز بين».
(١٠) هو عمرو بن هند.
(١١) المقربات: جمع مقربة، وهي الفرس تدنى وتكرم.
(١٢) فحل من الخيل لبني هلال تنسب إليه الخيل الأعوجيات.
(١٣) اسم فرس كريم لعبد يغرث بن حرب وآخر لبني نهشل وثالث للخم.
(١٤) كذا في ف وهي جمع المخيلة: السحابة التي تحسبها ماطرة وفي بعض النسخ: تخايل، وفي س، ب: تحايل.

يلقِطنَ بعد أزومِهِنَّ[١] على الشَّبا[٢] ... عَلَقَ[٣] الشكيمِ بألسُنٍ[٤] وجحافلِ

[٢٢/٣٣٦] / قومٌ هم قتلوا ابنَ هندٍ عَنْوةً ... وقنا الرماحِ تذودُ وِرْدَ الناهلِ

منهم أبو حَنَشٍ[٥] وكان بكفِّه ... رِيُّ السِّنانِ ورِيُّ صدرِ العاملِ

ومُهَلهِلُ الشعراءِ إن فَخَروا به ... ونَدى كُلَيْبٍ عند فضلِ النائلِ

حَجَبَ المنيَّةَ دون واحدِ أمِّه ... من أن تبيتَ وصدرُها ببلابلِ

كفى مجالسةَ الشَّبابِ[٦] فلم يكنْ ... يُستبُّ[٧] مجلسُه وحقُّ النازلِ

حتى أجارَ على الملوكِ فلم يدعْ ... حَرِباً[٨] ولا صَعَراً لرأسِ مائلِ

في كلِّ حيٍّ للهُذيلِ ورهطِه ... نَعَمٌ وأخذُ كريمةٍ بتناولِ

١٦/٢٠ / بيضٌ كرائمُ ردُّهنَّ لعَنْوةٍ ... أسلُ القَنا وأخذنَ غيرَ أراملِ

أبناؤهنَّ من الهُذيلِ ورهطِه ... مثلُ الملوكِ وعشنَ غيرَ عواملِ

وقال أبو عمرو أيضاً: قال: العُدَيل لرجل من موالي الحجَّاج كان وجهَّه في جيش إلى بني عِجْل يطلب العُديل حين هرَبَ منه، فلم يقدر عليه، فاستاق إبلَه، وأحرق بيته، وسلب امرأته وبناته وأخذ حُليَّهن، فدخل العُديلُ يوماً على الحجَّاج ومولاه هذا بين يديه واقف فتعلَّق بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول:

صوت

سلبتَ بناتي حَلْيَهنّ فلم تَدعْ ... سِواراً ولا طَوْقاً على النَّحرِ مُذهبا

ـ هكذا في الشعر: سلبتَ بناتي، والغناءُ فيه: سلبتَ الجواري حَلْيهن ـ

وما عزَّ في الآذانِ حتى كأنّما ... تُعطَّلُ بالبيضِ الأوانسِ رَبربا

[٢٢/٣٣٧] / عواطِلُ إلا أن ترى بخدودِها ... قسامَةً[٩] عِتقٍ أو بنانا مُخضَّبا

فككتَ البُرينَ[١٠] عن خِدَالٍ[١١] كأنها ... برادِيُّ[١٢] غِيلٍ[١٣] ماؤه قد تَنضَّبا[١٤]

---

(١) أزومهنّ: عضهن.

(٢) الشبا: اسم جمع شباة وهي حد كل شيء.

(٣) علق: كل ما يعلق بغيره.

(٤) الشكيم: الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام.

(٥) هو عوف بن عمرو بن عوف بن مالك، من الأوس.

(٦) في س، ب «وأبى مجالسة الشباب».

(٧) يستب: يتشاتم.

(٨) في س، ب: «حدبا».

(٩) قسامة: حسن.

(١٠) البرين: جمع برة وهي هنا الخلخال.

(١١) خدال السوق الغليظة المستديرة جمع خدلة.

(١٢) برادي: جمع بردى بفتح الباء، وهو نبات مائي يكتب على أوراقه إذا جفت.

(١٣) غيل: أجمة وكل واد فيه ماء.

(١٤) تنضب: غار وذهب ماؤه، ولعله مطاوع نضب، ولم نجده في المعاجم التي بأيدينا.

مِـنَ الـدُّرِّ واليـاقـوتِ عـن كـلِّ حُـرَّةٍ ... تـرى سِمطَهَـا بيـنَ الجُمـانِ مُثَقَّبَـا

دَعَـوْنَ أَميـرَ المـؤمنيـن فلـم يُجِـبْ ... دعـاءً ولـم يُسمعـنَ أُمًّـا وَلا أَبَـا

غنَّى في الأول والرابع من هذه الأبيات أحمدُ النصيبي الهَمَذانيّ ثان ثقيل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق، وفيهما ثقيل أول بالسَّبابة والوُسطى، نسبه ابن المكي إلى عبد الرحيم الدَّفَّاف، ونسبه الهشاميّ إلى عبدالله ابن العباس.

أصاب رجل من رهط العديل أنف رجل من عجل فقال العديل في ذلك شعرا

وقال أبو عمرو الشيباني: أصاب رجل من رهط العُديل من بني العكابة أنف رجل من بني عِجل يقال له جَبَّار، فقال العُديلُ في ذلك ـ وكان عَدُوًّا له:

ألـم تـر جبّـاراً ومـارِنَ أنفـه ... لـه ثُلَّـمٌ يهـوِيـن أن يتنخَّعـا[1]

ونحـنُ جَـدَعْنـا أنفَـه فكـأنما ... يَـرَى النـاسَ أعـداءً إذا هـو أطلَعـا

كُلُـوا أنـفَ جَبّـار بِكـاراً[2] فـإنما ... تـركنـاه عـن فَـرطٍ مـن الشَّـرِّ أجـدعـا

معـاقـدُ مـن أيـديهـمُ وأنـوفهـمْ ... بِكـارا ونيبـا[3] تـركـبُ الحَـزْنَ ظُلَّعـا[4]

/ قال: وكان رَجلٌ[5] من رَهط العُديل أيضاً ضربَ يد وكيع أحدِ بني الطاغية، وهما يشربان، فقطعها وافترقا، [٢٢/٣٣٨] ثم هرب العُديلُ وأبوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأول يفخر بقطع أنف جبّار ويد وكيع؛ لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفَه ويدَه دَون من فَعلَ ذلك بهم، فلجأ إلى عُفَير بن جُبَير بن هلال بن مُرة بن عبدالله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جُشَم بن قيس بن عجل، فقال العُديلُ في ذلك:

تـركـتُ وكيعـاً بعـدمـا شـاب رأسُـه ... أشـلَّ اليميـن مستقيـمَ الأخـادع[6]

فَشَـرِّب[7] بهـا وُرْقَ[8] الإفـال[9] وكُـلْ بها ... طعـامَ الـذليـل وانجَحِرْ[10] فـي المخـادع

فقالتْ بنو قَيس بن سعد للفَرخ أبي العديل: يا فرخُ؛ أنصفْ قومك، وأعطِهم حقَّهم، / فركبَ إليهم الفرخُ، $\frac{١٧}{٢٠}$ ومعه حسَّانُ بن وقَّاف ودينار (رجلان من بني الحارث) فأسرتْه بنو الطاغية، وانتزعوه من الرجلين، وتوجَّهوا به نحو البصرة، فرجع حسان ودينار إلى قومهما مستنفرين لهم، فركب النفير في طلب بني الطاغية، فأدركوا منهم رجلا

(١) يتنخع: يلقي أو يرمي نخاعته.
(٢) بكارا: مسرعين مبادرين.
(٣) في س، ب: «وشيئا».
(٤) ظلعا: غامزة في مشيتها من الإعياء، جمع ظالع.
(٥) في س، ب: كان رهط العديل.
(٦) الأخادع: جمع أخدع وهو شعبة من الوريد.
(٧) كذا في ف ومعناه أطعم بها، وفي س، ب: «تشرب».
(٨) ورق: جمع أورق وهو ما في لونه بياض إلى سواد.
(٩) الإفال: جمع أفيل وهو الصغير من الإبل وقد يجمع على أفائل على غير قياس.
(١٠) في س، ب «انحجر».

فأسروه(١ بدل الفرخ. ثم إن عُفَيْراً لَحِقَ بهم ١)، فاشترى منهم الجراحة بسبعين بعيراً، وأخذ الفرخ منهم فأطلَقه، فقال العُديلُ في ذلك:

ما زال في قيسِ بنِ سعدِ لجارِهمْ ... على عَهدِ ذي القرنين مُعْطٍ ومانعُ

هم استنقذوا حسَّانَ قسراً وأنتُمُ ... لِئامُ المقامِ والرماحُ شوارعُ

غدرتم بدينارٍ وحسَّانَ غَدرةً ... وبالفَرخِ لما جاءكم وهو طائعُ

[٢٢/٣٣٩] / فلولا بنو قيسِ بنِ سعدٍ لأصبحَتْ ... عليَّ شداداً[٢] قَبضُهنَّ الأصابعُ

ألَّا تسألون ابنَ المشتَّمِ عنهُمُ ... جُعامةَ والجيرانُ وافٍ وظالعُ[٣]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا الرّياشي عن الأصمعيّ قال: قال أبو النجم للعُدَيل بن الفرخ: أرأيت قولك:

فإن تكُ من شيبانَ أُمِّي فإنّني ... لأبيضُ عجليٌّ عريضُ المَفارقِ؟

أكنتَ شاكًّا في نَسبك حين قلتَ هذا؟ فقال له العُديْل: أفشككت في نفسك أو شعرك حين قلت:

أنا أبو النجم وشعري شعري ... لله دَرِّي ما يُجِنُّ صدري

فأمسك أبو النَّجم واستحْيَا.

العديل ومالك بن مسمع

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدثنا الرياشيّ عن العُتبيّ قال:

حَمَل زيادٌ إلى معاويةَ مالاً من البصرة، ففزعت تميم والأزد وربيعة إلى مالك بن مِسمَع، وكانت ربيعةُ مجتمعةً عليه كاجتماعها على كُلَيب في حياته، واستغاثوا به، وقالوا: يَحملُ المال، ونبقى بلا عطاء فركب مالك بن ربيعة، واجتمع الناسُ إليه، فلحق بالمال فرده، وضرب فُسطاطاً بالمربد، وأنفق المالَ في الناس حتى وفَّاهم عطاءَهم، ثم قال: إن شئتم الآن أن تحملوا فاحملوا، فما راجعه زياد في ذلك بحرف، فلما وليَ حمزةُ بن عبدالله ابن الزبير البَصرة جمع مالاً؛ ليحملَه إلى أبيه، فاجتمع الناس إلى مالك، واستغاثوا به، ففعل مثل فعلِه بزياد، فقال العُديلُ بنُ الفَرخ في ذلك:

إذا ما خَشينا من أميرٍ ظُلامةً ... دعونا أبا غسَّانَ يوماً فعسكرا

ترى الناسَ أفواجاً إلى باب دارِه ... إذا شاءَ جاءُوا دارِعينَ وحُسَّرا[٤]

[٢٢/٣٤٠] / وأولُ هذه القصيدة:

(١ ـ ١) تكملة عن ف.

(٢) في ف: «شديدا».

(٣) ظالع: غامز في مشيه.

(٤) حسر: جمع حاسر: من لا سلاح معه.

أمِـنْ منـزلٍ مـن أم سَكْـن عشيَّـةً ... ظَلِلْتُ بـه(١) أبكـي حـزينـا مُفكـرًا
معـى كـلّ مُسترخـي الإزار كـأنـه ... إذا مـا مشـى مـن جـنّ غِيـل وعَبقَـرا(٢)
يُزجّي(٣) المَطَايـا لا يبالـي كليهمـا(٤) ... مُقلّصـة(٥) خُوصـا(٦) مـن الأيْـن(٧) ضُمَّـرا

العديل شاعر بكر بن وائل

أخبرني حبيبُ بن نصر المهَلّبيّ قال: حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال: حدثني عليّ بن الحسَن الشيبانيّ قال: حدثَني عبدة بن عِصْمة بن معبد القَيسِيّ قال: حدثني جدي أبو أمي / فِراس بن خِندِف، عن أبيه، عن جده عليّ بن شَفيع قال: ١٨/٢٠

لقيتُ الفرزدقَ منصرفَه عن بكر بن وائل؛ فقلت له: يا أبا فِراس: مَنْ شاعرُ بكر بن وائل مِمّن خلفْتَه خلفك؟ قال: أميم بني عِجل ـ يعني العديلَ بنَ الفرخ ـ على أنه ضائع الشعر، سروقٌ للبيوت.

مدح أو تحريض

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدثني محمد بن عبدالله بن مالك الخُزاعيّ عن إسحاق عن الهيثم بن عديّ، عن حماد الراوية قال:

لما قدم الحَجّاجُ العراقَ قال العُديل بنُ الفَرخ:

دعـوا الجُبـنَ يـا أهـل العـراق فـإنَّمـا ... يُهـان ويُسبَـى كـلُّ مـن لا يقـاتـلُ
لقـد جـرَّد الحجـاجُ لِلحـقّ سيفَـه ... ألا فـاستقيمـوا لا يميلـنَّ مـائـلُ
/ وخـافـوه حتـى القـومُ بيـنَ ضُلـوعهـم ... كَنَـزْوِ القطـا ضُمَّـتْ عليـه الحبـائـلُ [٣٤١/٢٢]
وأصبـح كـالبـازي يقلِّـبُ طـرفَـه ... علـى مـرقـب والطيـرُ منـه دواحـلُ(٨)

قال: فقال الحجاج ـ وقد بَلَغته ـ لأصحابه: ما تقولون؟ قالوا: نَقُول: إنه مدحك، فقال: كلاَّ ولكنه حرَّض عليَّ أهلَ العراق، وأمر بطلبه فهرَب وقال:

أُخـوَّفُ بـالحجـاج حتـى كـأنمـا ... يُحرِّكُ عَظْمٌ في الفؤاد مَهيضُ
ودون يَـدَي الحَجّـاج مـن أن تنـالَنـي ... بِسـاطٌ لأيـدي النـاعجـات عَـريـضُ
مهـامُـه أشبـاه كـأنَّ سَـرابَهـا ... مُـلاءٌ بـأيـدي الغـاسـلات رَحيـضُ

(١) في س، ب: «بها».
(٢) غيل وعبقر: مكانان تزعم العرب أنهما من مساكن الجن.
(٣) في س، ب: «منيخي».
(٤) في س، ب: «كلاهما».
(٥) في س، ب: «ملفصة»، ومعناها مسرعة.
(٦) خوص: جمع خوصاء أي غائرة العين.
(٧) من الأين: من التعب.
(٨) دواحل، معناها فارة ومستترة وفي س، ب: «رواحل»

فجدّ الحجاجُ في طلبه حتى ضاقت عليه الأرضُ، فأتى واسطاً، وتنكّر، وأخذ رُقعةً بيده، ودخل على الحجّاج في أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقولُ:

هـأنـذا ضـاقـتْ بـيَ الأرض كلُّهـا إليـكَ وقـد جـوَّلْـتُ كـلَّ مكـان

فلـو كنـتُ فـي ثَهـلان[1] أو شُعبتَـيْ أَجـا لخلتُـكَ إلا أن تُصَـدَّ تَـرانـي

فقال له الحجاج: العديلُ أنتَ؟ قال: نعم، أيها الأمير، فَلَوى قضيبَ خيزُران كان في يده في عنقه، وجعلَ يقول: إيه

* بساط لأيدي الناعجات عريض *

فقال: لا بِسَاط إلاّ عفوُك، قال: اذهب حيث شئتَ:

حوشب بن يزيد وعكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف

أخبرني محمدُ بنُ خَلف بن المرْزُبان قال: حدثنا أحمد بن الهَيثم بن فِراس قال: حدثنا العُمَريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش قال:

كان حوشب[2] بن يَزيد بن الحُويْرث بن رُوَيْم الشيبانيّ وعِكرِمَة بن رِبعيّ البكريّ، يتنازعان الشرف، ويتباريان في إطعام الطعام ونحر الجُزُر في عسكر مصعب، / وكاد حوشَب يغلب عِكرِمَة لسَعة يده. قال: وقَدِمَ عبدُ العزيز بنُ يسار [٢٢/٣٤٢] مولى بُجَير - قال؛ وهو زوج أم شُعْبة الفقيه - بسفائِنِ دَقيق، فأتاه عِكرِمة فقال له؛ اللهَ اللهَ فيَّ، قد كاد حوشَبٌ أن يستعليَني، ويغلبَني بماله، فَبِعْني هذا الدقيقَ بتأخير، ولك فيه مثلُ ثمنه رِبْحاً، فقال: خذه، وأعطاه إياه فدفعه إلى قومه، وفرّقه بينهم، وأمرهم بعَجنه كلِّه، فعجنوه كلَّه، ثم جاء بالعجين كلِّه، فجمعه في هُوَّة عظيمة، وأمر به، فغُطِّيَ بالحشيشِ، وجار برَمكَة[3]، فقرّبوها إلى فرس حوشَب، حتى طلَبها، وأفلت، ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعُها، حتى ألقوها في ذلك العجينِ وتبعها الفرس، حتى تورَّطا في العجين وبقيا فيه جميعًا، وَخرج قومُ عِكرِمة؛ يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين ادركوا فرسَ حوشَب، / فقد غرق في خميرة عِكرِمة فخرج الناس تعجُّباً من ذلك أن تكون خميرةٌ يغرَقُ فيها فرس، فلم يبق في العسكر أحدٌ إلا ركبَ ينظر، وَجاءوا إلى الفرس - وَهو غريق في العجين ما يبين منه إلا رأسُه وَعنقُه - فما أُخرج إلا بالعُمُد وَالحِبال، وَغلب عليه عِكرِمة، وَافتضح حوشَب، فقال العديل بن الفرخ يمدحهما، ويفخر بهما:

وعكـرِمـةُ الفيّـاضُ فينـا وَحـوشَـبٌ همـا فتيـا النـاسِ اللّـذا لـم يغمَّـرا

همـا فتيـا النـاسِ اللـذا لـم ينَلْهمـا رئيـسٌ ولا الأقيـالُ مـن آلِ حُميَـرا

قال: وفي حوشَب يقولُ الشاعر:

وأجـوَدُ بـالمـال مـن حـاتـم وأنحـرُ للجـزر[4] مـن حَـوشَـبِ

---

(١) ثهلان: جبل لنمير.

(٢) في جمهرة الأنساب: «هو حوشب بن ريط بن الحارث بن يزيد بن رويم».

(٣) الرمكه: الفرس والبرذونة تتخذ للنسل.

(٤) في ف: البزل جمع بازل: البعير القوى في تاسع سنيه.

شعر العديل بين السهل والفحل

أخبرني محمدُ بنُ يونس الكاتب قال: حدثنا أحمد بن عبيد، عن الأصمعيّ قال:

دخلتُ على الرشيد يوما وهو مَحموم فقال: أنشدني يا أصمعي شعراً مَليحاً، فقلت: أرصيناً / فحلاً تُريده يا [٢٢/٣٤٣] أميرُ المؤمنين أم شجيًا سهلاً؟ فقال: بل غَزلا بين الفحْل والسَّهل، فأنشدتُه للعُديل بن الفَرخ العِجْليّ:

صحـا عـن طِـلاب البِيـض قبـل مَشيبـه ... وراجـع غَـضَّ الطـرف فهـو خَفيـضُ

كـأنّـيَ لـم أرعَ الصِّبـا ويـروقُنـي ... مـن الحـيّ أحْـوى المقلتيـن غَضيـضُ

دَعـانـي لـه يـومـا هـوًى فـأجـابَـه ... فُـؤادٌ إذا يلقـى المِـراضَ مـريـضُ

لمُستـأنسـاتٍ بـالحـديـثِ كـأنّـه ... تهلُّـلُ غُـرٌّ بَـرْقُهـنَّ وَميـضُ

فقال لي: أعدْها، فما زلتُ أكررها عليه، حتى حفِظها.

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال: حدثني الرياشيّ، عن محمد بن سَلّام، قال:

موته ورثاء الفرزدق له

قدم العُدَيل بن الفرخ البصرة، ومدح مالك بن مِسْمع الجَحْدريّ، فوصله، فأقام بالبصرة، واستطابها، وكان مقيما عند مالك، فلم يزل بها إلى أن مات، وكان يُنادمُ الفرزدق، ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه:

ومـا ولَـدَتْ مثـلَ العُـدَيـلِ حليلـةٌ ... قـديمـا ولا مستحـدثـاتُ الحـلائـلِ

ومـا زال مـذ شَـدَّتْ يـداه إزاره ... بـه تفتـح الأبـوابَ بكـرُ بـن وائـلِ

[٢٢/٣٤٤]

/ صــوت

إنـي بـدَهمـاء عـزَّ مـا أجـدُ ... عـاودنـي مـن حِبـابهـا زُوْدُ

عـاودنـي حبُّهـا وقـد شَحَطَـتْ ... صـرفُ نـواهـا فـإننـي كَمِـدُ

قوله: «عزَّ ما أجد» أي. شدَّ ما أجد. وحِبابُها: حبّها، وهو واحد ليس بجمع؛ والزُّوْدُ: الفزع والذعر. وصرفُ نواها: الوجه الذي تصرِفُ إليه قصدَها إذا نأت. والكمد: شِدَّةُ الحُزن.

الشعر لصخر الغَيِّ الهُذَليّ، هكذا ذكر الأصمعيّ وأبو عمرو الشيبانيّ، وذكر إسحاق عن أبي عبيدة أنه رأى جماعة من شعراء هُذَيل يختلفون في هذه القصيدة فيرويها بعضُهم لصَخْر الغَيِّ، ويرويها بعضهم لعمرو ذي الكلب، وأن الهيثم بن عدي حدَّثه عن حمّاد الراوية أنها لعَمْرو ذِي الكلب.

[٢٢/٣٤٥] ٢٠/٢٠

/ أخبار صخر الغي ونسبه

اسمه ونسبه

هو صخرُ بن عبدالله الخَيْثمي، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل. هذا أكثر ما وجدته من نسبه، ولقب بصخر الغيّ لخلاعته، وشدة بأسه، وكثرة شرّه.

فمن روى هذه القصيدة له، ذكر أن السبب فيها أن جاراً لبني خُناعة بن سعد بن هُذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مُزينة، وقيل: إنه كان جاراً لأبي المثلّم الشاعر، وهو أخوهم، فقتله[1] صخر الغيّ فمشَى أبو المثلم إلى قومه، وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزني والإدراكِ بثأره، فبلغ ذلك صخراً فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلّم وما فعله، فأولها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول:

وَلستُ عبداً للموعِدينَ ولا ... أقبلُ ضَيماً أتَى به أحدُ

جاءت كبيرٌ كيما[2] أحقِّرَها ... والقوم سِيدٌ كأنهم رَمِدوا

في المزنيّ الذي حششتُ[3] به ... مالَ ضَريك[4] تِلادُه نكِدُ

إن أمتِسكْه فبالفِداء وإن ... أُقتل بسيفي فإنه قَوَدُ

ولصخر وأبي المثلم في هذا مناقضات وَقصائدُ قالاها، وأجاب كلُّ وَاحد منهما صاحبه، يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب.

[٢٢/٣٤٦] / الأعلم العداء

وحكى الأثرم عن أبي عبيدة أنه حدَّث عن عبدالله بن إبراهيم الجمَحيّ قال:

كان الأعلم أخو صَخْر الغيِّ أحدَ صعاليك هُذيل، وكان يعدو على رجليه عَدْواً لا يُلحق، واسمه حبيب بن عبدالله، فخرج هو وأخواه صخر وصُخَير، حتى أصبحوا تحت جبل يقالُ له السِّطاع[5]، في يوم من أيام الصيف شديد الحرّ، وهو متأبّط قِربة لهم فيها ماء، فأيبستْها السَّموم، وعَطِشوا حتى لم يكَادوا أن يبصروا مِنْ العَطَش، فقال الأعلم لصاحبيه: أَشرب من القربة لعلي أن أرد الماءَ فأروى منه وانتظراني مكَانكما، وكانت بنُو عديّ بن الدّيل على

(١) في س، ب: «فراه» ولا معنى له.
(٢) في س، ب: «كثيرا كيما أحقرها».
(٣) حششت: قويت.
(٤) كذا في ف و«الديوان» وهو الفقير السيىء الحال وفي س، ب: «طريف».
(٥) سطاع، بكسر أوله: جبل بينه وبين مكة مرحلة ونصف من جهة اليمين.

ذلك الماءُ وهو ماء الأطواء[١]، يتفيئون بنخل متأخِّر عن الماء قدرَ رَمية سهم. فأقبل يمشي مُتَلثِّماً، وقد وضع سيفَه وقوسَه ونَبله فيما بَينه وبينَ صاحبه، فلما برز للقوم مَشى رُويداً مشتملاً، فقال بعض القوم: منْ ترون الرجلَ؟ فقالوا: نراه بعْضَ بني مُدلِج بن مرة.

ثم قالوا لبعضِهم: الْقَ الفتى، فاعرفْه، فقال لهم: ما تريدون بذلك الرجلِ؟ هو آتيكم إذا شَرِبَ، فدعوه فليسَ بمفيتناً، فأقبل يمشي حتى رَمى برأسِه في الحوض مُدْبراً عنهم بوجهه، فلما رَوِيَ أفرغ على رأسه من الماء، ثم أعاد نِقَابه، ورجع في طريقه رُويداً، فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء: هل عرفت الرجل الذي صَدر؟ قال: لا، فقالوا: فهل رأيت وجهَه؟ قال: نعم، هو مشقوق الشَّفة، فقالوا: هذا الأعلَم، وقد صار بينه وبين الماء مقدارُ رَمية سهمٍ آخر، فعَدَوْا في أثره، وفيهم رجل يقال له: جُذَيمة لَيس في القوم مثلُه عدواً، فأغروْه به، وطردوه فأعجزهم، ومرّ على سَيفِه وقوسه ونَبله، فأخذه، ثم مرَّ بصاحبَيه فصاح بهما فضبرا[٢] معه، فأعجزوهم، فقال الأعلم في ذلك:

[٣٤٧/٢٢] / لمّا رأيتُ القومَ بالـ ـعَلْياءِ دون قَدي[٣] المناصِبْ[٤]

وفَرِيتُ[٥] من فزعٍ فلا أرْمي ولا وَدَّعتُ صاحبْ

٢١/٢٠ / يُغرون صاحبَهم بِنا جَهداً وأُغري غيرَ كاذبْ[٦]

أُغري أخي[٧] صخراً ليُعْـ ـجِزَهم ومَدُّوا بالحلائبْ[٨]

وخشيتُ وقعَ ضريبةٍ[٩] قد جُرِّبتْ كلَّ التجاربْ

فأكونُ صيدَهمُ بها وأُصيرَ[١٠] للضَّبعِ السَّواغبْ

جَزَراً وللطير المُرِبَّـ ـة[١١] والذئابِ وللثعالبْ

/ وهي قصيدة طويلة. [٣٤٨/٢٢]

---

(١) كذا في «شرح السكري لديوان الهذليين»، ولعل المراد بالأطواء قرية باليمامة أو مياه لبني عامر، وفي س، ب: «أطوافهم»، ولم نعثر له على معنى.

(٢) ضبرا معه: عدوا معه.

(٣) كذا في ف و«الديوان» ومعناه قدر، وفي س، ب: قرى، وهو تحريف. والمناصب: الأغراض والمرامي.

(٤) المناصب: المباري المناقس.

(٥) فريت: تحيرت ودهشت.

(٦) في هج، هد: وأغرى كل كاذب.

(٧) في «الديوان»: «أبا وهب».

(٨) الحلائب: الجماعات جمع حلبة غير قياس.

(٩) ضريبة: سيف.

(١٠) كذا في «الديوان» وفي النسخ: الذئب بدل وأصير.

(١١) المربة: المقيمة الملازمة.

صـوت

صخر يرثي أخاه أبا عمرو

وقالوا جميعاً: خرج صخرُ الغيّ وأخوه أبو عمرو في غَزاة لهما، فباتا في أرض رَملة، فنهشت أخاه أبا عمرو حَيَّة، فمات، فقال يرثيه:

لعمرُ أبي عمرو لقد ساقه المنَا ... إلى جَدَثٍ يُوزَي لهُ بالأهاضِبِ

لحيَّةِ جُحرٍ في وجارٍ[1] مقيمةٍ ... تنمَّى[2] بها سوقُ المنَا والجوالبِ

أخي لا أخَا لي بعده سبقت به ... منيَّته جمعَ الرُّقي والطبائبِ

وذلك مما يُحدث الدهرُ إنه ... له كل مطلوبٍ حثيثٍ وطالبِ

ـ يوزي له: يمني له. والإزاء: مهراق الدلو. والأهضب: الجبال ـ

وقالا الأثرمُ عن أبي عبيدة: خرج صَخرٌ الغيّ في طائفة من قومه يقدمُها خوفاً من أبي المثلّم، فأغار على بَني المصطلق من خُزاعة، فانتظر بقية أصحابه، وَنَذَرت به بَنو المصطلق، فأحاطوا به فقال:

لو أن أصحابي بَنُو معاوية ... أهلُ جُنوب[3] النخلة الشَّامية

ورهطُ دُهمانٍ وَرهطُ عادية ... ما تركوني للذئب العاوية

وجعل يَرميهم ويَرتجز ويقول:

لو أن أصحابي بنُو خُناعَة ... أهلُ النَّدى والمجدِ والبَرَاعة

تحتَ جلود البَقر القرَّاعة[4] ... لمنعوا من هذه اليراعه[5]

[٣٤٩/٢٢]

وقال أيضاً وهو يُقاتلهم:

لو أن حولي من قُريمٍ[6] رَجْلاً ... بيضَ الوجوه يحمِلونَ النبَّلا

لمنعوني نَجدة وَرِسْلا ... سفع الوجوه لم يكونوا عُزْلا

مقتل صخر ورثاؤه

ـ يقول: منعوني بنَجدة وشِدَّة وَعلى رِسلهم بأهونِ سَعي. قال: فلم يزلْ يُقاتلهم حتى قَتلوه ـ

وَبلغ ذلك أبا المثلّم، فقال يَرثيه:

(١) الوجار: كل حجر يسكن فيه حنش من أحناش الأرض.

(٢) تنمى: ارتفع.

(٣) جنوب: جمع جنب بمعنى ناحية.

(٤) القراعة: الصلبة.

(٥) اليراعة: الضعيف، وفي «الديوان»: «المراعة».

(٦) قريم: حي من هذيل.

رثاء أبي المثلم له

لــو كــان للــدهــر مــالٌ عنــد مُتلــده ... لكَــان للــدّهــر صخــرٌ مــالَ قُنْيَــانِ[1]

آبِــي الهضيمــة آتٍ[2] بــالعظيمــة مِتْـ ... ـلافُ الكــريمــة لاسِقْــطٌ ولا وانــي

حــامي الحقيقة نسّــال[3] الــوديقة[4] معـ ... ـتاقُ الــوسيقــة[5] جَلْــدٌ غيــر ثِنْيــانِ[6]

رَقّــاء[7] مــرقَبَــة، منّــاعُ مَغلبــةٍ ... ركّــابُ سلهبــة[8]، قطّــاعُ أقْــرانِ[9]

/ هبّــاطُ أوديــةٍ شهّــادُ أنــديــةٍ ... حمّــالُ ألــويــة سِــرحــانُ فِتيــانِ [٢٢/٣٥٠]

ـ السرحان: الأسد في لغة هذيل وفي كلام غيرهم الذئب ـ

يحمــي الصحــابَ إذا جــدّ الضّــرابُ ويكْـ ... ـفي القــائليــنَ إذا مــا كُبّــلَ العَــاني[10]

فيتــرك القــرنَ مصفَــرًّا أنــاملُــه ... كــأنَّ فــيَ ريْطتَيْــه نضــخَ إرقــانِ

/ ـ الإرقان: اليَرقان، يعني صفرتَه ـ ٢٢/٢٠

يعطيــكَ مــا لا تكــاد النفــسُ تسلِمُــه ... مــن التــلادِ وهــوبٌ غيــرُ منّــانِ[11]



(١) في س، ب: «قينان» تحريف.
(٢) في «الديوان» وفي ف «نائب».
(٣) سال: مسرع.
(٤) الوديقة: شدة الحر.
(٥) الوسيقة: الطريدة، يريد أنه إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها والعرب تقول: فلان يحمي الحقيقة، وينسل الوديعة، الرجل الشمر القوي.
(٦) في س، ب: «شيبان» وهو تحريف.
(٧) في «الديوان»: «رباء» بمعنى علا وارتفع.
(٨) سلهبة: جسيمة طويلة.
(٩) أقران: جمع قرن، وهو الحبل، يريد أنه وصول للأخوان قطوع لمن سواهم.
(١٠) كذا في «الديوان»، وفي س، ب: «كيل الهاني».
(١١) في «الديوان» «ترسله» بدل «تسلمه».

[٣٥١/٢٢]

انسب عمرو ذي الكلب وأخباره

اسمه ونسبه

هو عَمرو بن العَجلان بنِ عامر بن بُرد بن مُنَبِّه، أحد بني كاهل بن لَحيان بنِ هُذيل.

قال السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي: إنّما[١] سُمي ذا الكلب لأنه كَان له كلبٌ لا يفارقه.

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنه قال: لم يكن له كلبٌ لا يفارقه، إنما خرج غازياً ومعه كلبٌ يصطاد به، فقال له أصحابه: يا ذا الكلب، فثبتتْ عليه.

قال: ومن الناس من يقول له عَمرو الكلب، ولا يقول فيه: «ذو».

قال: وَكان يغزو بني فَهْم غزواً متَّصلاً، فنام ليلة في بعضِ غزواته، فوثب عليه نَمِران فأكلاه فادَّعت فهمٌ قتلَه، هكذا في هذه الرواية.

عمرو ذو الكلب وأم جليحة

وقد أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عُبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضَّل وغيرِهم من الرواة قالوا:

كان من حديث عمرو ذي الكلب الهُذَليّ ـ وكان من رجالهم ـ أنه كان قد علِقَ امرأة من فَهْم يقال لها: أم جُلَيْحة، فأَحبَّها وأحبته، وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه، وطلبوا دمَه، إلى أن جاءها عاماً من ذلك، فَنَذِرُوا به، فخرجوا في أثره، وخرج هارباً منهم فتبعوه يومَهم ذلك، وهم على أثره، حتى أمسَى، وهاجت عليه ريحٌ شديدة في ليلة ظلْماء، فبينا هو يسيرُ على ظهر الطريقِ إذ رأى ناراً عن يمينه، فقال: أخطأتُ واللهِ الطريقَ وإن النارَ[٢] لعلى الطّريق، فحار وَشكّ، وقصد للنّار، حتى أتاها، وقد كان يُصبحُ، فإذا رجل قد أَوقد ناراً ليس معه أحدٌ، فقال له عمرو ذو الكلب: من أنتَ؟ قال: أنا رجل من عَدْوان، / قال، فما اسم هذا المكان؟ قال السَّدُّ، فعلم أنه قد هلك [٣٥٢/٢٢] وأخطأ ـ وَالسدُّ شيء لا يجاوَز ـ قال: ويلك! فلَم أوقدتَ، فوالله ما تشتوي[٣]، ولا تصطلَي، وما أُوقدتَ إلا لمنية عمرو الشَّقي، هل عندك شيء تُطعمني؟ قال: نعم، فأخرج له تَمرات قد نقَّاها في يده، فلما رآها قال: ثمرات، تتبعها عبرات من نساء خَفِرات، ثم قال: اسقني، قال: ماذا؟ ألبنا؟ قال: لا، ولكن اسقني ماء قَراحاً، فإني مقتول صباحا، ثم انطلق، فأسند في السَّد، ورأى القوم الذين جاءوا في طلبه أثره، حيث أخطأ، فاتبعوه، حتى وجدو

---

(١) في س، ب: «إنه».
(٢) في س، ب: «الناس».
(٣) في س، ب: «تشرب».

فدخل غاراً في السّد، فلما ظهروا للسّدّ عَلموا أنه في الغار فنادوْه، فقالوا: يا عمرو، قال: ما تشاءون؟ قالوا: اخرج، قال: فَلِمَ دخلت إذن؟ قالوا: بلى، فاخرجْ، قال: لا أخرُج، قالوا: فأَنشِدْنا قولك:

وَمقعَـدِ كُـربـةٍ قـد كنـتُ مِنهـا[1] مكـانَ الإصبعيـن مـن القِبَـال[2]

قال: ها هي ذه أنا فيها. قال: وعنَّ له رجل من القوم، فرماه عمرو فقتله، فقالوا: أقتلته يا عدوّ الله؟ أجَلْ، ولقد بقيتْ معي أربعةُ أسهم كأنها أنيابُ أمّ جُلَيْحة لا تصلون إليّ أو أقتُلَ بكل سَهم مِنها رجُلا منكم، فقالوا لعبدهم: يا أبا نِجاد، أدخُل عليه، وأنت حُرّ، فتهيأ للدخول أبو نِجاد عليه، فقال له عمرو: ويلك! يا أبا نجاد، ما ينفعك أن تكون حرًّا إذا قتلتك؟ فنكصَ[3] عنه، فلما رأوا ذلك صعدوا، فنقبوا عليه، ثم رمَوْه حتى قتلوه، وأخذوا سَلَبه، فرجعوا به إلى / أم جُلَيحة وهي تَتَشَوَّفُ، فلما رأوْها قال لها: يا أمَّ جُلَيحة، ما رأيكِ في عَمرو، قالت: ٢٣/٢٠ رأيي والله أنكم طلبتموه سريعاً، ووجدتموه مَنِيعاً[4]، ووضعتموه صَريعاً؟ فقالوا: والله لقد قتلناه، فقالت: والله / ما [٢٢/٣٥٣] أراكم فعلتُم، ولئن كنتم فعلتُم، لربّ ثَدي منكم قد افترشَه، وضَبٍّ قد احترشه[5]، فطرحوا إليها ثيابَه، فأخذتْها، فشمّتْها، فقالت: ريحُ عِطر وثوبُ عَمرو، أما والله ما وجدتموه ذا حُجْزة[6] جافية، ولا عانة وافية، ولا ضالة[7] كافية.

أخته ترثيه

وقالتْ رَيطة أختُ عمر وذي الكلب تَرثيه:

كـلُّ امـرئٍ لمحـالِ[8] الـدهـر مكـروبُ وكـلّ مـن غـالـبَ الأيـامَ مغلـوبُ
وكـلُّ حـيٍّ وإن غـزوا وإن سَلِمـوا يـومـاً طـريقُهـمُ فـي الشَّـرِّ عبـوبُ[9]
أبلـغْ هـذيـلا وأبلـغ مَـنْ يُبلِّغُهـا عنّـي رَسـولاً وبعـضُ القـول تكـذيـبُ
بـأنّ ذا الكلـبِ عَمْـراً خيـرهـم نسبـاً ببطـن شِـريـان يعـوي حـولَـه الـذيـبُ[10]
الطـاعـنُ الطعنـةَ النجـلاءَ يتبَعُهـا مُثْعنجِرٌ[11] مـن نَجيـع الجـوفِ أُسكوبُ[12]

---

(١) في س، ب: «فيها».
(٢) القِبال، ككتاب: الزمام في النعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها.
(٣) في س، ب: «نكصوا».
(٤) في س، ب: «تبيعا».
(٥) احترشه: صاده، وذلك بأن يحرك يده على باب جحره ليظنها حية، فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه.
(٦) الحجزة: موضع التكة من الإزار وهذا كناية عن عفته.
(٧) المراد بها السلاح كله على سبيل الاتساع.
(٨) محال: قوة، ويروى بطوال الدهر بمعنى طويل، ويروى بخوال الدهر أي بغيره وصروفه.
(٩) ف «مكذوب» مأخوذ من كذبته نفسه إذا منته الأماني، والدعبوب: الطريق الموطوء.
(١٠) موضع أو واد باليمن يقال إن به قبر عمرو.
(١١) مثعنجر: سائل.
(١٢) أسكوب: منسكب أو مسكوب.

والتـــاركُ القِـــرنَ مصفـــرا أنـــامِلُـــه كـأنـه مـن نقيـع الـوَرْس(١) مخضـوبُ
تَمشـــي النسـورُ إليـه وهـــي لاهيـــةٌ مَشْـيَ العـذارى عليهِـنَّ الجـلابيـبُ
والمخـــرجُ العـــاتـق العـــذْراء مُـذعنـةً فـي السَّبـي ينفـحُ مـن أرْدانهـا الطيـبُ

[٢٢/٣٥٤]

/ صـوت

يـا دارَ عمـرةَ مِـن مُحْتَهلِّهـا(٢) الجَـرَعـا(٣) هـاجـتْ لِـيَ الهـمَّ والأحـزانَ والـوَجَعـا
أرى بعينـــي إذا مـــالـــت حَمـــولَتُهـــمْ بطـن السلَـوْطَـح(٤) لا ينظُـرون مـن تبعـا(٥)
طـــوراً أراهـــم وطـــوراً لا أبينُهُـــمُ إذا تَـرَفَّـع حِـدْجٌ سـاعـةً لمعـا

الشعر للقيط الأيادي يُنذر قومَه قصدَ كِسرى لهم، والغناء لكردَم بن مَعْبد هَزَج بالبنصر من روايتي حَبَش والهشامي.



(١) في س، «ب من رجيع الجوف مخضوب».
(٢) في س، ب من «يحتلها».
(٣) الجرع: الرملة لا تنبت شيئا. وهي هنا موضع.
(٤) السلوطح: موضع بالجزيرة قريب من البشر.
(٥) ف: «مرتبعا».

/ خبر لقيط ونسبه والسبب في قوله الشعر [٢٢/٣٥٥]

اسمه ونسبه

هو لقيطُ بن يعمرَ. شاعر جاهليّ قديم مُقلّ، ليس يُعرف له شعرٌ غيرَ هذه القصيدة وقِطعٍ من الشعر لطافٍ متفرقة.

غزو كسرى لإياد

أخبرني بخبر هذا الشعر عمي قال: حدثني القاسم بن محمد الأنباريّ قال: حدثني أحمد بن عبيد قال: حدثني الكَلبيّ عن الشَّرق بن القُطامي قال:

كان سببُ غزوِ كسرى إياداً أن بلادهم أجدبتْ، فارتحلوا حتى نزلوا بِسنداد[١] ونواحيها، فأقاموا بها دهراً حتى أَخصبوا وكثُروا، وكانوا يَعبدون صنَما يقال له: ذو الكَعبين[٢]، وعبدته بكرُ بنُ وائل من بعدهم، فانتشروا ما بين سِنْداد إلى كاظِمَة وإلى بارق[٣] والخَوَرنق، واستطالوا على الفُرات، حتى خالطوا أرض الجزيرة، ولم يزالوا يُغيرون على ما يليهم[٤]. من أرض السواد، ويَغزون ملوك آل نصر، حتى أصابوا امرأة من أشراف العجم كانت عَروساً قد هُدِيت[٥] إلى زَوجها، فولِيَ ذلك منها سفهاؤهم وأحداثُهم، فسار إليهم مَنْ كان يليهم من الأعاجم، فانحازت إيادٌ إلى العراق وجعلوا يعبُرون إبلهم في القراقير[٦] ويقطعون بها الفُرات وجعل راجزهم يقول:

/ بِئْس مناخُ الحلَقات[٧] الدُّهْمِ ... في ساحة القُرقور وسْطَ اليَمِّ ٢٤/٢٠

وعَبروا الفراتَ، وتبعَهم الأعاجمُ، فقالت كاهنة من إياد تسجُع لهم:

/ إن يقتلوا منكم غلاماً سِلْما ... أو يأخذوا ذاك[٨] شَيخاً هِمّا [٢٢/٣٥٦]

تُخضّبوا نحورَهم دَمّا ... وتُرْوُوا منهم سُيوفاً ظُمّا[٩]

---

(١) سنداد: منازل لأياد أسفل الكوفة.

(٢) في هد، هج: «ذو الكعبات».

(٣) بارق: ماء بالعراق، وهو الحد بين القادسية والبصرة.

(٤) في س، ب: «أهاليهم».

(٥) هديت: زفت إلى بعلها.

(٦) القراقير: جمع قرقور كعصفور: السفينة الطويلة أو العظيمة.

(٧) الحلقات: جمع حلقة: الإبل الموسومة بالحلقات.

(٨) في هج س، ب؛ هد: «منكم».

(٩) في س وب: «منها» وهذا القول من قبيل السجع لا من أوزان الشعر.

فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن مِحْجن بإبل لأبيه فلقيته الأعاجم، فقتلوه، وأخذوا الإبل ولقيتهم إيادٌ في آخر النهار، فهزمت الأعاجم.

قال: وحدثني بعض أهل العلم أن إياداً بيّتتْ ذلك الجمعَ حين عبروا شطَّ الفرات الغَربيّ، فلم يفلِت منهم إلا القليلُ، وَجمعوا به جماجمَهم وأجسادهم، فكانت كالتل العظيم، وكان إلى جانبهم دَيْر، فسمِّي ديرَ الجماجم، وبلغ كسرى الخبر، فبعث مالكَ بنَ حارثة: أحد بني كعب بن زُهير بن جُشَم في آثارهم، ووجَّه معه أربعة آلاف[1] من الأساورة. فكتب إليهم لَقيط.

يـا دارَ عمـرةَ مـن مُحتلّهـا الجَـرَعـا هـاجـتْ لـي الهـمَّ والأحـزانَ وَالـوجعـا[2]

وفيها يقول ـ قال الشَّرقي بن القطامي أنشدَنيها أبو حمزة الثماليّ ـ:

يـا قـوم لا تـأمنـوا إن كنتـمُ غُيُـرًا علـى نسـائكُـمُ كِسـرى ومـا جَمعَـا
هـو الجـلاءُ الـذي تبقـى مـذلّتـه إن طـار طـائـركـم[3] يـومـا وإن وقَعـا
/ هـو الفَنـاء الـذي يجتـثُّ أَصلكُـم فمـن رأى مثـلَ ذا رأيـا[4] ومَـنْ سَمِعـا
فقلّـدوا أمـركـم لله دَرُّكُـم رَحْـبَ الـذراع بـأمـر الحَـرْب مُضْطَلِعـا
لا متـرَفـاً إن رخـاءُ[5] العيـش سـاعـده ولا إذا حـلَّ مكـروه بـه خَشَعـا
لا يَطعَـم النـومَ إلا ريـثَ[6] يبعثُـه هـمٌّ يكـادُ حَشـاه يقطَـع الضِّلَعـا
مسهَّـدُ[7] النـوم تَعنيـه ثُغـورُكُـمُ[8] يـرومُ منهـا إلـى الأعـداء مُطَّلَعـا
مـا انفـكَّ يحلُـبُ هـذا الـدهـرَ أشطـرَه يكـون متّبِعـا طـوراً ومتَّبَعـا
فليـس يشغُلـه مـالٌ يُثَمِّـره عنكـمْ ولا ولـد يَبغـى لـه الـرِّفعَـا
حتـى استمـرَّتْ[9] على شزْرٍ[10] مـريرتُه[11] مستحِكـمَ السـنّ لاقحما[12] ولا ضَـرَعـا[13]

[٢٢/٣٥٧]

---

(١) في هد: «أربعين ألفا».
(٢) في هد، هج: «الجزعا» بدل «الوجعا».
(٣) في س، ب: «طائرهم».
(٤) في س، ب: «يوما».
(٥) في س، ب: «رخى».
(٦) في س، ب «حيث».
(٧) في س، ب: «مسهر».
(٨) كذا في منتهى الطلب وفي هج س، ب، هد: «أموركم».
(٩) استمرت: استحكمت وقويت.
(١٠) شزر: ما يفتل على غير وجهه، أي يفتل من اليسار.
(١١) المريرة: طاقة الحبل والمراد أنه قوي متين.
(١٢) قحما: شيخا فانيا عجوزا.
(١٣) ضرعا: ضعيفا ذليلا مستكينا.

كمالكِ بنِ قِنانٍ[1] أو كصاحبه ... زيدِ القنا حين لاقى الحارِثَينِ[2] مَعَا

إذ عابه عاتبٌ يوماً فقال له: ... دَمِّثْ لجنبكَ قبلَ الليلِ مُضطَجَعا

/ فساوِرُه[3] فألفوه أخا عَلَلٍ ... في الحرب يَختِتلُ الرئبالَ والسَّبُعا

[٣٥٨/٢٢]

عبلَ الذراعِ أبيّاً ذا مُزابنةٍ ... في الحرب لا عاجزاً نكساً ولا وَرَعا[4]

مستنجداً يتحدّى الناسَ كلَّهمُ ... لو صارعوه جميعاً في الوَرى صَرَعا

هذا كتابي إليكمْ والنذيرُ لكمْ ... لمن رأى الرأيَ بالإبرامِ قد نَصَعا

وقد بذلتُ لكم نُصحي بلا دَخَلٍ ... فاستيقظوا إنّ خيرَ العلمِ ما نَفَعا

وجعل عنوان الكتاب:

سلامٌ في الصَّحيفةِ من لَقيطٍ ... إلى مَن بالجزيرةِ من إيادِ

بأنّ الليثَ كسرى قد أتاكمْ ... فلا يحبسكُمُ سوقُ النِّقادِ[5]

موقعه مرج الأكم

/ قال: وسار مالك بن حارثة التغلبيّ بالأعاجم حتى لقيَ إياداً، وهم غارُّون لم يلتفتوا إلى قول لَقيط وتحذيره إياهم ثقةً بأن كسرى لا يقدُم عليهم. فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال له مَرْج الأكم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفِر بهم، وهزَمهم، وأنقذَ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفُرات، ولحقت إيادٌ بأطراف الشأم ولم تتوسّطها خوفاً من غسّان يوم الحارثين، ولاجتماع قُضاعة وغسّان في بلد خوفاً من أن يصيروا يداً واحدةً عليهم، فأقاموا، حتى أمنوا. ثم إنهم تطرّفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية أنقرة، ففي ذلك يقول الشاعر:

٢٥/٢٠

حلُّوا بأنقرةٍ يسيلُ عليهمُ ... ماءُ الفُراتِ يجيءُ مِن أطوادِ

/ صوت

[٣٥٩/٢٢]

اللبينِ يا ليلى جِمالُكِ تُرحَلُ ... ليَقطَعَ منا البينُ ما كان يوصَلُ؟

تُعلّلُنا بالوعدِ ثُمّتَ تلتوي ... بموعودها حتى يموتَ المعلَّلُ

ألم تَرَ أنّ الحَبْلَ أصبحَ واهناً ... وأخلفَ من ليلَى الذي كنتَ آمُلُ

فلا الحبلُ من ليلى يُؤاتيك وصلُه ... ولا أنت تنهَى القلبَ عنها فيَذهَلُ

عَروضه من الطويل، الشعرُ لنُصيب الأصغر مولى المَهدي، والغناءِ ليحيى المكيّ خفيف رَمَل بالبنصر، وكذا نِسبتُه تدلُّ عليه.

---

(١) في س، ب: «سنان».

(٢) يقصد بهما الحارث بن ظالم والحارث بن عوف المريين.

(٣) في س، ب «فثاوروه»، ومعناه واثبوه.

(٤) الورع: الجبان الضعيف.

(٥) النقاد: جنس من الغنم قبيح الشكل مفرده نقد بالتحريك وفي س، ب: «النفاد» وهو تحريف.

وذكر عَمرو بن بانة في نسخته أن خفيف الرَّمل لمالك وأنه بالوسطى، والصحيح أنه لابن المكي.

انتهى الجزء الثاني والعشرون
ويليه الجزء الثالث والعشرون
وأوله أخبار نصيب الاصغر



فهرس موضوعات الجزء الثاني والعشرين